الجواهر واللآلئ المصنوعة

في

تفسير القرآن العظيم

بالأحاديث الصحيحة المرفوعة

تأليف

الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي

حفظه الله تعالى

الجزء الأول

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

[النحل: ٤٤].

«ألا وإنّي أوتِيتُ القرآنَ ومثله مَعَهُ» .

[حديث صحيح].

الجواهر واللآلئ المصنوعة

في

تفسير القرآن العظيم

بالأحاديث الصحيحة المرفوعة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: ١]

والحمد لله ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١].

والصلاة والسلام الأتمان اللائقان بسيد خلقه وأشرف رسله سيدنا محمد الطاهر المطهر، وعلى آله البررة الأطهار، وصحابته السابقين واللاحقين الأخيار.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو عصمتنا وطريق نجاتنا، وسبيل سعادتنا، ومصدر ديننا، ودستور نظام حكمنا، والحكم العدل،

والقول الفصل، وهو النعمة العظمى لهذه الأمة وفخرها وذكرها، وقد جمع بين دفتيه من العلوم والمعارف، والحقائق، والتعاليم في العقائد والعبادات والأخلاق، وفي التشريعات المدنية، والجنائية، والحربية، والمالية، والحقوق الشخصية، والاجتماعية، والدولية، ما لم يجمعه كتاب.

وهو رسالة الله تعالى إلى عباده أنزله على خير خلقه، وأفضل أنبيائه سيدنا محمد بن عبد الله المطلبي الهاشمي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وشرّف وعظّم، ومجّد وكرّم، وأمره بتبليغه لعباده ليعملوا بمقتضاه، ويسيروا في حياتهم على نهجه ليسعدوا في دنياهم وأخراهم.

ثم من فضل الله تعالى ولطفه بهذه الأمة أن جعل هذا الكتاب العظيم بلغة العرب التي هي أشرف اللغات وأوسعها وأوعبها، فكان العربيُّ أيام النبوة إذا سمع آية أو سورة من كتاب الله عزَّ وجل فهم معانيها وما تنطوي عليه من مدلولات، لما كان لدى العرب من معرفة لأساليب هذه اللغة وبيانها وعلومها وفنونها.

بيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم

وبما أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية لجميع البشرية... وقد جاء بحقائق شرعية جديدة، وأمور لا تعرفها العرب في أساليبها، جعل الله عزَّ وجل شرح ذلك وبيانه موكولاً إلى نبيه الكريم ﷺ بوحي منه عزَّ وجل إليه، ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

وقد تولى ﷺ شرح هذا الكتاب العظيم بأقواله وأفعاله وتقريراته وهديه

وسيرته صلوات الله وسلامه عليه، ولذا قال في حديث: «ألاَ وإنِّي أُوتِيتُ القرآنَ ومِثْلَهُ مَعَه»(١).

والذي أوتيه ﷺ مع القرآن، هي سنته الشريفة بأقسامها وأنواعها، فكل ما قاله أو فعله في حياته الزاهرة أيام النبوة مما لم يكن من شؤونه الجِبِليَّة فهو شرح للقرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً، فبيَّن مشكله، وفسَّر مجمله، وخصَّص عامه، وقيَّد مطلقه، . . . فبيَّن جميع القرآن الكريم لأصحابه.

ولذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما قاله رسول الله ﷺ فهو شرح للقرآن، وكل ما ذكره العلماء فهو شرح للسنَّة.

وقد كان الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى موفقًا في هذا الموضوع، حيث قال في مقدمة أصول التفسير: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ١٦]، يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أنَّهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل(٢).

هذا وقد ارتأيت بتوفيق الله تعالى وإذنه أن أجمع ما ثبت لديَّ عن النبي ﷺ من التفسير المرفوع، أو ما كان في حكمه، مستمدًّا ذلك من كتب التفسير الأثرية المعتمدة، ومن الجوامع وأمهات السنَّة المحمدية المشهورة.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٤/ ١٣٠، ١٣١، وأبو داود في السنَّة ٤٦٠٤، والترمذي في العلم ٢٤٧٨.

(٢) انظر على هذا: ابن جرير ١/ ٣٦، وابن كثير، والإتقان ومقدمة التفسير لابن تيمية.

وهو الأول من نوعه لم أسبق إليه فيما أعلم مع كثرة ما كتب في التفسير بالمأثور الذي وقع فيه من الضعيف والواهي والمنكر والموضوع ما هو معلوم لأهل العلم، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى قولته المشهورة: ثلاثة أمور ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي(١). ومراده أن غالبها ليس لها أسانيد صحاح، وليس المراد أنه لم يصح فيها شيء... بل صحَّ الكثير الطيب منه والحمد لله.

التفسير عند العلماء

التفسير في اللغة هو الإبانة والتوضيح وكشف المراد عن اللفظ المشكِل، هذا خلاصة ما قاله علماء اللغة.

وأما في الاصطلاح فهو علم يعرف به ما يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه سيدنا محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداده من علم اللغة والتصريف والنحو وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وبعبارة أبلغ وأخصر: هو كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره(٢).

الحاجة ماسة إلى تفسير القرآن الكريم

إننا محتاجون إلى تفسير القرآن الكريم في كل عصر وجيل، وملزمون بتعلمه حفظًا لألفاظه وتفهُّمًا لمعانيه ومدلولاته، وهو أمر واجب يخاطب به كل المسلمين، ولا بد أن يوجد فيهم من يقوم بذلك.

---

(١) أورده السيوطي في الإتقان، وابن تيمية في أصول التفسير، والفتني في التذكرة، وابن الديبع في تمييزه.

(٢) انظر: البرهان للزركشي ٢/ ١٤٦، ١٤٩، والإتقان للسيوطي ٢/ ٤٩١، ٤٩٢.

ولا شك أن فهم كتاب الله عزَّ وجل ولو على سبيل الإجمال يعين على تدبره الذي هو المقصود الأهم من تلاوته، فإن من لا يتدبره لا يجني منه ثماره المنشودة كالاتعاظ بوعده ووعيده، والاعتبار بأخباره وقصصه. . . وتجديد الإيمان بذكر أسماء الله وصفاته ودلائل توحيده وزيادة محبته تعالى وقوة اليقين والبكاء من خشيته وجلاله وعظمته، والعزوف عن هذه الحياة الزائفة والعمل للآخرة، إلى غير ذلك من الثمرات التي لا يحظى بها ويجنيها إلاَّ المتدبر لهذا الكتاب العزيز الذي يقول فيه عزَّ وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ويقول فيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

للتفسير أربعة أوجه

ذكر العلماء أن التفسير على أربعة أوجه[1]:

أولاً: ما يعلمه كل أحد ممن له مبادىء في التعلم كعامة طلبة العلم، بل وبعض العوام من العرب، وذلك كمثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١ ــ ١٢]، فإن هذه الآية الكريمة لا يخفى معناها على أحد. ومثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ ــ ٢] الآية.

وأمثال ذلك مما هو واضح يستوي في معرفة معناه العامي والمتعلم والعالم على السواء، لأنه مما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص الشرعية وفرائض الدين ودلائل التوحيد، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من

(١) جاء نحو هذا عن ابن عباس مختصرًا، رواه ابن جرير ١/ ٣٤، ٤١ بسندٍ صحيح، وانظر: البرهان ٢/ ١٦٤، والإتقان ٢/ ٥١٤.

قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وأنه عزَّ وجل لا شريك له في ألوهيته وإن لم يعلم أن لفظة «لا» موضوعة في اللغة للنفي و «إلاَّ» للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر.

وكذا يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، و ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، و ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، ونحو ذلك، هو طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب.

وهكذا الحال في نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ . . .﴾ الآية [النساء: ٢٣]، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. . . إلخ.

فأمثال هذه لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعانيها لأنها معلومة لكل أحد ضرورة.

ثانيًا: ما يعلمه المتمكن في علم اللسان العربي وما تقتضيه الألفاظ وتراكيبها من المعاني والمدلولات، ويشمل ذلك القواعد النحوية والتصريف واللغة والبلاغة، لأن القرآن نزل بلسان العرب فلا يعدل عن ذلك إلاَّ لمدلولات شرعية جديدة جاء بها النقل.

ثالثًا: ما يعلمه العلماء الراسخون المتمكنون في سائر العلوم والقواعد التي تؤهلهم لفهم القرآن فهمًا كاملاً، وتأتي هنا القواعد الأصولية والفقهية مضافة إلى ما سبق.

رابعًا: ما لا يعلمه إلاَّ الله عزَّ وجل، كعلوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي استأثر بها، وكفواتح السور وآيات صفاته تعالى الموهمة للتشبيه كمثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فإنه يجب أن نؤمن به على الوجه الذي أراده الله عزَّ وجل من غير أن نبحث عن الكيفية والحقيقة، وهكذا يقال في كل صفة لله عزَّ وجل جاءت في القرآن مما ظاهره يوهم التشبيه بخلقه، مثل: اليد واليمين والقدم والسمع والبصر والكلام والنفس والعجب والضحك والفرح والغضب. . .

وكل ما كان من هذا القبيل فلا مجال فيها للاجتهاد ولا التأويل إلاَّ بتوقيف بنص من القرآن أو السنَّة الصحيحة أو الإجماع.

أمور لا يجوز الكلام فيها إلاَّ بدليل نقلي صحيح

ومما يجب أن يعلم هنا أن هنالك أمورًا تتعلق بالقرآن زيادة على سابقِهِ لا يجوز الخوض والكلام فيها إلاَّ بطريق السمع عن النبي ﷺ أو عن أصحابه الذين شاهدوا الوحي، وأخبروا عما رأوه أو سمعوه من حضرة النبي ﷺ، وهي أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأنبياء، والأمم الماضية، وأخبار الكوائن المرتقبة، وشؤون الآخرة، وأحوال القبور، والبعث والنشر، والجنة والنار. . .

فهذه الأمور علمها متوقف على السمع والنقل الحق، ويحرم الكلام فيها بلا حجة أشد التحريم.

مصادر التفسير

اعلم أن مصادر التفسير التي يرجع إليها لتفسير كتاب الله عزَّ وجل هي ثلاثة:

أولاً: القرآن الكريم، فهو أصح وأعلى الطرق في ذلك، فما أجمله في

آية فسَّره في أخرى، وما أبهمه في كلمة. . بيَّنه في آية ثانية، وما أطلق حكمه أو عمَّمه في موضع. . . قيَّده أو خصه في موضع آخر. . . وهكذا، فالقرآن الكريم هو مصدر أساسي للتفسير.

ولتفسير أبـي الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى الحظ الأوفى في ذلك، فقد اعتنى بذلك كثيرًا، وفي عصرنا كتب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى كتابه الرائق: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» استوفى فيه هذا الجانب وأتى فيه بالعجب، جاء في تسع مجلدات.

ثانيًا: السنَّة المحمدية، فهي شارحة للقرآن الكريم على أوسع نطاق. فهذه الأمهات والدواوين التي كتبت فيها ألوف الأسفار والمجلدات من السنَّة النبوية كلها تفسير وبيان لهذا الكتاب العظيم جملةً وتفصيلا.

أما ما جاء عن بعض أهل العلم من أنَّ ما فسَّره النبـي ﷺ من القرآن الكريم هو شيء قليل جدًّا، فليس على إطلاقه، بل مرادهم بذلك ما جاء عنه منصوصًا عليه بتعيين آياته وكلماته كما سنذكره في كتابنا هذا، وليس المراد أنه لم يفسر من القرآن إلاَّ القليل، فإن هذا باطل بالإجماع ومخالف للقواطع والواقع.

وقد قدمنا كلامًا لابن تيمية في هذا حيث قال: يجب أن يعلم أن النبـي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه. . . إلخ.

ثالثًا: أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كالخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وأبـي بن كعب وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم ممن شاهدوا الوحي والتنزيل، فإن تفاسيرهم ترجع إلى أمرين اثنين:

إما لفهمهم القرآن بالوضع اللغوي والأساليب العربية لأنهم كانوا عربًا أقحاحًا، فهم حجة في ذلك.

وإما لسماعهم من النبـي ﷺ ذلك وما شاهدوه من نزول الوحي

وما رأوه من القرائن، فتفاسيرهم على هذا من قبيل المرفوع فهي حجة أيضًا.

مذاهب العلماء في تفسير الصحابة:

نعم هناك نوع اختلاف في أقوالهم في التفسير، فذهب الجمهور إلى التقييد والتفصيل، فقال الحافظ العراقي:

وَعَدُّ مَا فسَّرهُ الصَّحَابِي ... رَفعًا فَمَحْمُولٌ على الأسْبَابِ

قال ابن الصلاح[1]: إنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر بها الصحابي أو نحو ذلك. ونحوه عند النووي في التقريب[2].

قال الحافظ ابن حجر في نكته[3] على مقدمة ابن الصلاح: تبع المصنف في ذلك الخطيب، وكذا قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: إذا أخبر الصحابي عن سبب وقع في عصر النبي ﷺ أو أخبر عن نزول آية له بذلك: مُسْنَد. لكن أطلق الحاكم النقل عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند، قال الحافظ: والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلاَّ فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع.

وقد نظم هذا العراقي في ألفيته فقال:

ومَا أتى عَن صاحِبٍ بِحَيْثُ لاَ ... يُقَالُ رَأْيًا حُكْمُهُ الرَّفْعُ عَلَى

ما قال في المَحْصُول نحو «من أتى» ... فالحاكِمُ الرفعَ لهذا أثبتا

(١) في المقدمة ص ٧٠.

(٢) ١١٥ مع التدريب.

(٣) ٢/ ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢.

وقوله من أتى إشارةً إلى قول ابن مسعود: «من أتى ساحرًا أو عرَّافًا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١]. فهذا له حكم الرفع لأنه لا مجال فيه للرأي والاجتهاد.

قال الحافظ: وأما إذا فسَّر آية تتعلَّق بحكم شرعي فيحتمل أن يكون ذلك مستفادًا عن النبي ﷺ وعن القواعد فلا يجزم برفعه، وكذا إذا فسَّر مفردًا فهذا نقل عن اللسان خاصةً فلا يجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة، كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي وأبي بكر ابن مردويه، والبيهقي وابن عبد البر في آخرين. انتهى نقل الحافظ.

وما ذكروه هنا من رفع تفسير الصحابي هو مقيد أيضًا بما إذا لم يكن ممن يروي الإسرائيليات كمُسلمة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعبد الله بن عمرو الذي كانت له كتب كثيرة لأهل الكتاب كان يخبر بما فيها من الأمور الغيبيات، وكذا من عرف بروايته عن أهل الكتاب. وما ذكر من هذه التفاصيل هو المعتمد وقول الجماهير من أهل الأصول والحديث.

وذهب بعضهم كالحاكم في المستدرك[٢] إلى أن تفسير الصحابي عند البخاري ومسلم مسند مطلقًا، وتبعه على ذلك الزركشي في البرهان[٣]، ووجَّهه بأنه من باب الرواية لا الرأي، والصحيح ما تقدم من التفصيل، هذا ما يتعلق بالبحث في حكم تفسير الصحابي.

---

(١) وهو عند الحاكم في علوم الحديث ص ٢٢، وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة مرفوعة، منها في صحيح مسلم.

(٢) ١/ ٢٣، ٢٧، ٥٤٢.

(٣) ٢/ ١٥٧.

ويبقى بعد ذلك الأمر فيما إذا وقع بينهم اختلاف فالمرجوع إليهم في ذلك وقتئذٍ مَنِ اشتهروا بالتفسير بكثرة وخاصةً مَنْ عُمِّر بعد الخلفاء كابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي كان يعتبر من علماء الصحابة الربانيين، والذي كان يقول: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلاَّ وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته[1].

وكذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة، فقد كان إمامًا في التفسير بحرًا فيه تصديقًا لدعاء النبي ﷺ له حيث قال فيه: «اللّٰهمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل»[2]، فكان آية في ذلك لا يجارى، ولذا اعتمد البخاري في صحيحه تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة الذي أخذ تفسيره عن تلامذته كالقاسم بن محمد ومجاهد الذي قال: إنه قرأ على ابن عباس ثلاث ختمات يوقفه عند كل آية.

أمَّا الإمام علي رضي الله تعالى عنه وإن كان من صدور مفسري الصحابة وعنه أخذ ابن عباس شيئًا كثيرًا من التفسير، فإنه لم يتجرد لهذا الشأن كابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم.

فهذه الأنواع الثلاثة ـ التفسير بالقرآن، والتفسير بالسنَّة، والتفسير بأقوال الصحابة ـ هي مصادر التفسير، أما تفاسير التابعين فليست مصدرًا مستقلاًّ، بل تفاسيرهم مأخوذة عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم...

---

(١) رواه ابن جرير ١/ ٣٦.

(٢) هو بهذا اللفظ رواه أحمد ١/ ٣٣٥، وهو في الصحيحين بلفظ: «اللهم علِّمه الحكمة»، وفي رواية: «علِّمه الكتاب».

التفسير عبر الأجيال

كان التفسير أيام النبوة وعصر الصحابة والتابعين فمن بعدهم بقليل محفوظًا في الصدور يتلقاه اللاحق عن السابق من الأفواه ولم يكن شيء منه مدونًا.

ولما جاء ابتداء وقت التدوين للسنة النبوية كان التفسير في طليعتها، فكتب جماعة من المحدثين كتبًا خاصة في التفسير بالمأثور دوَّنوا فيها ما جاء عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في ذلك على الخصوص.

وكان من أبرزهم عبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة، وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وأضرابهم من المتقدمين، ثم محيي السنَّة البغوي(١)، وابن كثير والسيوطي، من المتأخرين.

فهذه التفاسير تعتبر تفاسير سلفية محضة، وعندما دوِّنت أمهات السنَّة وأصولها خصَّص كثير منهم أجنحة للتفسير الأثري، وكان من أعلامهم الإمام البخاري والنسائي والترمذي... ثم تخللتها تفاسير أخرى جاءت على نمط آخر جمعت بين الدراية والرواية المحذوفة الأسانيد، وكان من أشهرها الآتي: الكشاف للزمخشري، وتفسير النسفي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومفاتيح الغيب للرازي، ولباب التأويل للخازن، والبحر لأبي حيان، وروح البيان للألوسي، وغيرها مما هو كثير جدًّا.

---

(١) كان الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: إنه أحسن التفاسير.. وهذا قاله قبل وجود ابن كثير.

أحسن التفاسير التي تكفي لفهم كلام الله تعالى

وقد يتساءل الكثيرون عن أحسن وأكمل تفسير يمكن معه فهم كلام الله عزَّ وجل فهمًا كاملاً من جميع نواحيه.

وجوابًا عن هذا نقول: إن أحسن التفاسير وأجملها وأوعاها بالنسبة للتفسير الأثري هو تفسير شيخ المفسرين محمد ابن جرير الطبري الذي قال فيه الإمام النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسيره، والذي قال فيه السيوطي: هو أجل التفاسير وأعظمها، والذي قال فيه قبلهما أبو حامد الإسفراييني: لو سافر أحد إلى الصين في تحصيله لم يكن كثيرًا.

ثم بعده تفسير أبي الفداء ابن كثير وهو أحسن وأجل من تفسير ابن جرير من ناحية جمع الأحاديث والآثار وعزوها لأمهاتها وأصولها المختلفة مع النقد والاختصار النافع، وقد نصَّ على أفضليته جماعة من الأعلام كالسيوطي في كتبه، والزرقاني في شرح المواهب، وابن جعفر في الرسالة المستطرفة.

نعم للحافظ السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور لو كان أبقاه على أصله ترجمان القرآن بأسانيده لما كان في الدنيا أجمع منه، هذا بالنسبة للمأثور.

أما التفسير الكافي الشافي من جميع الوجوه فلا يوجد أصلاً في عالم المطبوعات، وإنما يمكن أن يجمع بين عدة تفاسير فتكون كافية إن شاء الله تعالى، وهي:

الأول: ابن كثير، وفائدته ما تقدم.

الثاني: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، وهو للأبحاث اللفظية

واستخـراج درر القـرآن ونكتـه وفـوائـده، مـع حـل الإشكـالات اللفظيـة والمعنوية.

الثالث: تفسير روح البيان للألوسي وهو في معنى الذي قبله إلاَّ أنه يزيد عليه في تحقيق كثير من المسائل، وينقل فيه كلام المتأخرين ويعتمد على الحافظ في الفتح في الكلام على الأحاديث، ويورد فيه رسائل لبعض من قبله برمتها في أبحاث نفيسة كلامية وغيرها.

الرابع: تفسير القرطبي وفائدته مع تفسير السلف التعرض للإعراب الصحيح والأحكام الفقهية مع نكت وفوائد لا توجد في غيره.

فمن حاز ما ذكرنا فقد جمع من التفاسير ما يكفي، ويمكن الاستغناء **بابن كثير والفخر الرازي والألوسي**(١).

وما ذكرناه فبالنسبة لأعلى مراتب التفسير وفهم القرآن من جميع النواحي والوجوه.

أما أدنى مراتب التفسير أو وسطه وفهم كلام الله عزَّ وجل فهمًا من غير تعمق ولا استيعاب مما يكون عونًا لقارئه على التدبر في الجملة فيكفي فيه من التفاسير واحد من الآتي: تفسير النسفي أو البيضاوي، أو الخازن(٢). ومن المعاصرين: تفسير صفوة التفاسير، أو المقتطف من عيون التفاسير، فبعض هذه كافية إن شاء الله تعالى.

ما يكفي من العلوم لمن يريد فهم القرآن الكريم فهمًا كاملاً

فإن قيل: وماذا يلزم الإنسان من العلوم حتى يفهم القرآن الكريم ويعرفه على الوجه اللائق الكامل حسب الطاقة البشرية؟

---

(١) ملخصًا من رسالة للإمام السيد أحمد الصديق رحمه الله تعالى.

(٢) كان الشيخ عبد الله الصديق رحمه الله تعالى يقول: إنه أحسن التفاسير.

وأجيب: بأنه يجب عليه أن تتوفر فيه العلوم الآتية، وهي:

أولاً: العلوم العربية بجميع أنواعها: كالقواعد النحوية؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب وتقديم الكلام وتأخيره وتقديره، **ثم التصريف** لأن به تعرف الأبنية والصيغ لأنه قد توجد كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها، **ثم الاشتقاق** لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح مثلاً هل هو مشتق من المسح أو السياحة، وكالقرء في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، من أي شيء اشتق؟ **ثم اللغة العربية** وهي معرفة معاني المفردات.. وعلى ما تدل عليه بحسب الوضع العربي حقيقته ومجازه، **ثم علوم البلاغة**، وهي البيان والمعاني والبديع، فإن لها أهمية كبرى في التفسير، فإنه بالأول يعرف خواص الكلمات من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثاني يعرف خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى، وبالثالث يعرف وجه تحسين الكلام، وهذه العلوم هي الأساس الأول.

ثانيًا: علم القراءات المختلفة المتواترة منها والآحاد إذا صحَّت، فإنه بها يعرف ترجيح بعض الوجوه المختلفة مع فوائد أخرى.

ثالثًا: العلم بأسباب النزول، إذ بذلك يعرف معنى الآية بحسب ما أنزلت فيه، وهو من المهمات في ذلك.

رابعًا: معرفة الناسخ والمنسوخ، إذ بذلك يعرف المحكم المعمول به من المنسوخ المرفوع حكمه، وقد ذكر المحققون من أهل التفسير أن الآيات المنسوخة لا تزيد على نحو من عشرين آية.

خامسًا: أن يكون على علم واسع بالسنَّة المحمَّدية، إذ هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي والشارحة للقرآن جملةً وتفصيلاً، ولذلك كان أكثر

المفسرين يخبطون خبط عشواء في تفاسيرهم فيوردون من المناكير والموضوعات فضلاً عن الضعيف ما هو معروف لدى العلماء بالحديث، وهذا عيب كبير وقع فيه من لا دراية له بعلم الحديث الشريف.

سادسًا: أن يكون عارفًا بأصول الدين والعقائد الإسلامية، ويكون له إلمام كامل بما يجب لله ورسله، وما يستحيل وما يجوز، مع توابع ذلك.

سابعًا: أن تكون له معرفة بأصول الفقه وقواعده، إذ بذلك يعرف طرق الاستدلال على الأحكام واستنباط ما يحتاج إليه.. وهذا العلم ضروري للأحكام الشرعية...

ثامنًا: أن يكون على علم ومعرفة بالفقه الإسلامي والمذاهب الإسلامية والخلاف العالي، فإن ذلك أكبر معين له على أخذ الأحكام من القرآن مباشرةً...

فمن أحرز كل هذه العلوم فهم كلام الله تعالى فهمًا كاملاً حسب الحالة البشرية لأنه يكون وقته كمطلق العرب الأقحاح الفصحاء مع زيادة معارف أخرى... وليس المراد أن تكون له هذه العلوم في حافظته حاضرة بكلياتها وجزئياتها، كلا بل يكون عارفًا بمبادئها وكلياتها وقواعدها العامة، فإذا أشكل عليه شيء منها رجع إلى ما أُلِّف وكتب فيها، والأمر سهل على من سهله الله تعالى عليه.

أما من كان قاصرًا عن هذه العلوم أو بعضها فله أن يرجع إلى أي تفسير من التفاسير المتوسطة ليكون له عونًا على ما يؤهله لفهم معاني القرآن في الجملة حتى يتدبره ويجني ثماره، والله الهادِي الموفق إلى أقوم طريق.

عملي في هذا الكتاب

وكان عملي في هذا الكتاب بتوفيق الله تعالى وعونه حسب النقاط الآتية:

أولاً: أذكر السورة باسمها ونوعها، مكية أو مدنية، ثم عدد آياتها، ثم ما احتوت عليه من المقاصد على سبيل الإجمال.

ثانيًا: أورد ما اختصت به كل سورة عن غيرها من العلوم والأحكام والأخلاق والعقائد والقصص والحكم والأسرار وما إلى ذلك، وبالرجوع إلى أقرب سورة يعرف القارىء ذلك، وهذا شيء لم أسبق إليه بحمد الله تعالى فيما أعلم، فينبغي أن يضم إلى أنواع علوم القرآن.

ثالثًا: أذكر الأحاديث النبوية المرفوعة المتعلقة بالسورة أو الآية أو الكلمة، ويشمل ذلك أحاديث أسباب النزول وهي كثيرة، والناسخ والمنسوخ وهي قليلة، والأحاديث الشارحة لبعض الآيات أو الكلمات، أو بيان لحقائق شرعية، وأحاديث جاء فيها استشهاد النبي ﷺ بآيات. . . وأحاديث فضائل السور والآيات، وذكر السور التي كان يقرأها في صلاته، وأحاديث سجدات القرآن، إلى غير ذلك مما أورده مفسِّرو السلف الذين استقيت من كتبهم واقتفيت أثرهم.

رابعًا: قد أذكر أحيانًا تفاسير بعض الصحابة الموقوفة وخاصةً ما جاء عن الإمام علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وهي قليلة.

خامسًا: وهو مما خص به الكتاب والحمد لله، لا أورد إلاَّ ما كان صحيحًا أو حسنًا أو ما يقاربه من الضعيف الخفيف، كأحاديث ليث بن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن لهيعة، وابن إسحاق مع عنعنته، ونحوهم، وهي أيضًا قليلة.

سادسًا: شرحت الأحاديث الواردة في الكتاب مع الآيات وذكرت فوائد وفرائد وتحقيقات لبعض ما اختلف فيه.

سابعًا: ذكرت من الآيات المشروحة نحوًا من ثمانمئة وثلاثين آية.

ثامنًا: ذكرت من الخصائص التي استخرجتها من السور نحوًا من تسعمائة ونيّف خصيصة.

تاسعًا: أوردت من الأحاديث ألفًا وثلاثمئة وسبعًا وثلاثين حديثًا تشمل أغلب الموضوعات الإسلامية، وفيها المتواتر بلفظه ومعناه، والآحاد بمشهوره وعزيزه وغريبه، والصحيح والحسن منها بأقسامها الأربعة، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها الأحاديث القصار والطوال، وأطولها نحو أحد عشر حديثًا كحديث قصة موسى والخضر عليهما السَّلام وحديث الإفك المتعلق بمولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وحديث صلح الحديبية، وحديث الكتابة إلى هرقل، وحديث بداية الوحي في أحاديث أخرى.

عاشرًا: وضعت فهارس للكتاب، شملت:

١ ــ فهرساً للآيات التي ورد فيها سبب النزول.

٢ ــ فهرساً للأحاديث الواردة في الكتاب، ذاكراً طرف الحديث، أو موضوعه الأبرز، وجعلته مرتباً على الحروف الهجائية.

٣ ــ فهرساً للموضوعات والمسائل المستخرجة من الآيات والأحاديث.

واللّٰهَ سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم خاليًا من كل علة ومنزهًا عن كل شائبة شر، وأن يتقبله مني ويجعله هدية إلى حبيبنا ومرشدنا ومعلمنا وإمامنا وقدوتنا، سيدنا أبي القاسم مولانا محمد رسول الرحمة وشفيع الأمة، صلّى الله تعالى عليه وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وكتبه

أبو الفتوح عبد الله عبد القادر التليدي

بتاريخ ١٥ صفر عام ١٤٢٢هـ

بطنجة المغرب

﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي سبع آيات، وتعتبر نسخة مختصرة من القرآن الكريم، فقد اشتملت بالإجمال على كل ما بُيِّن وفُصِّل في القرآن المبين.

مقاصد القرآن الكريم

ذلك أن المقاصد الأساسية التي يتحدث عنها القرآن هي الآتي: التوحيد، الأحكام، القصص، الأخلاق، وبالتفصيل ما ذكرته في أوائل «دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون» ص ٤٧ وهو مطبوع، وهي:

أولاً: التوحيد والدعوة إلى معرفة الله عزَّ وجل، والإيمان والإقرار به وإلى عبادته وحده، والنهي عن اتخاذ شركاء معه، والإفاضة في ذكر ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته بجميع أقسامها... وخاصةً في السور المكية.

ثانيًا: بيان الخلق والإبداع لهذه الكائنات، والإشادة بذلك بكثرة في كل السور والاستدلال بذلك على الوحدانية... والحياة بعد الموت.

ثالثًا: كلامه على الموت والقبور، وقيام الساعة وأشراطها، والبعث

والنشر، والمعاد، وأحوال القيامة، والحساب، والصراط، والجزاء، والجنة والنار وصفاتهما، وما أعدَّ لأصحابهما فيهما من نعيم وعذاب.

رابعًا: بيان الصراط المستقيم ونهج الله القويم، وذكر الأخلاق السامية التي تهذب النفوس، وتنير القلوب، وتحمل على الاستقامة والالتزام، مع ذكر أضدادها السافلة الساقطة، المزرية بالدين والإنسانية والفطرة.

خامسًا: ذكر المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والعلماء العاملين، والمؤمنين الصادقين، وصفاتهم، وأحوالهم أبرارًا ومقربين.

سادسًا: بيان الكفر والكافرين، والطغاة، والظالمين، والمجرمين، والمنافقين، وبيان مآلهم وعواقبهم في الدارين، وسنن الله عزَّ وجل فيهم.

سابعًا: ذكر قصص الأنبياء مع أممهم وكيف نصرهم الله تعالى وأهلك أعداءَهم، وبيان مواقفهم معهم ومجادلاتهم... وقد احتلت هذه القصص نحو الثلث من القرآن.

ثامنًا: بيان الأحكام التشريعية من عبادات، ومعاملات، وجنايات، وحدود، ومواريث، وعلاقات زوجية، والجهاد، والسيرة النبوية، والشؤون السياسية والدستورية، ونظام الحكم، والعلاقات الدولية...

تاسعًا: ذكر العلوم والمعارف، والكلام على المغيبات السابقة واللاحقة، وبيان حقائق علمية لم يهتدِ الإنسان إلى بعض منها إلاَّ اليوم، ولم تزل فيه علوم وأسرار وحقائق لم تصل إليها البشرية بعد.

من خصائص السورة

إن هذه المقاصد التي مرَّ ذكرها، وما تفرع عنها من أنواع وجزئيات جاءت مجملة في هذه السورة الكريمة سورة الفاتحة. وبذلك يعلم السر في

تسميتها بأم الكتاب، وبأم القرآن، والقرآن العظيم. . . فهذه من خصائصها التي لم يشاركها فيها غيرها من السور.

ومن خصائصها أنها أعظم سورة في القرآن كما سيأتي في الأنفال في حديث بذلك. ومن خصائصها أنها تكفي عن غيرها في الصلاة عند عامة الأئمة، ولا يكفي عنها غيرها إلاّ في رواية عن الإمام أبـي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه.

من فضلها

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج[1] ـ ثلاثًا ـ غير تمام، فقيل لأبـي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبد: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قال الله: مجّدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

رواه أحمد ٢/ ١٤١، ٢٥٠، ٢٨٥، ومسلم في الصلاة ٤/ ١٠١، ١٠٢،

(١) خداج، بكسر الخاء، أي: ناقصة. قسمت الصلاة: أراد بها القراءة لأنها جزء من الصلاة. وفي الحديث فضل قراءة الفاتحة ووجوب قراءتها في الصلاة. وستأتي أحاديث تتعلق بهذه السورة آخر البقرة وفي الأنفال وفي النحل.

وأبو داود ٨٢١، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٧، بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٣، وفي المجتبى وابن ماجه في الصلاة ٨٣٨ وغيرهم.

٧ قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى».

رواه أحمد ٤/ ٥٤، ٢/ ٥٦، ٢/ ٥٨، ٢/ ٣٧٧، ٣٧٩، والترمذي ٢٧٦٢، وابن جرير ١/ ٧٩، كلاهما في التفسير، وابن حبان ٦٢٤٦ بالإحسان، وغيرهم، وهو حديث حسن أو صحيح.

وفي الحديث الشريف تفسير وبيان لما أبهم في الآية الكريمة من المغضوب عليهم والضالين. وإنما كان اليهود مغضوبًا عليهم لأنهم عرفوا الحق وكتموه، وفيهم جاء قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. أما النصارى فجاءهم الضلال من جهلهم وتقليدهم لرهبانهم، وفيهم قال الله عزَّ وجل: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ﴾ [المائدة: ٧٧]. وهذا التفسير متفق عليه بين المفسرين.

والسورة الكريمة ليس فيها تفسير مرفوع إلاَّ ما ذكرنا، وما يتعلق ببعض معانيها كصراط المنعَم عليهم ونحوه يأتي في مناسبته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه إلى الأبد.

* * *

﴿ سُورَةُ البَقَرَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مدنية، تعتبر أطول سورة في القرآن العظيم على الإطلاق إذ آياتها ٢٨٦ آية، وهي أم السبع الطوال، وأفضلهن، وأجمعهن لمقاصد الدين وأسسه وقواعده، فقلما موضوع أو مقصد من مقاصد القرآن إلاَّ وله فيها ذكر، إما مجملاً أو مفصلاً.

فقد اشتملت على أصول الدين من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وذكرت من الأسماء والصفات كثيرًا بل اسم الله وحده ذكر فيها نحوًا من مائتين وخمسين مرة، واسم الرب كرر فيها سبعة وثلاثين مرة، وذكر فيها من الأسماء والصفات: الرحمن، الرحيم، الغفور، التواب، الرؤوف، العزيز، الحكيم، العليم، الغني، الحميد، العلي، العظيم، الحي، القيوم، الشاكر، الشديد، البديع، الواسع، السميع، الناصر، البصير، البارىء، المحيط، القدير، الواحد، إلى غير ذلك.

وتحدثت عن الرسالة والقرآن والجنة والنار... وفيها الكلام على: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وأحكام الأسرة، والاقتصاد،

والأيمان، والنذور، والأطعمة، والأشربة، والدماء، والوصايا، والرهن، والدَّين، والشهادة، إلى غير ذلك من الأخلاق والفضائل ومقاصد الشريعة التي أودعت فيها، ولهذا كان لها شأن مما جعل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن يمكث في دراستها ثمان سنوات.

من خصائص هذه السورة

وهذه السورة تمتاز عن غيرها من باقي السور، المكي منها والمدني، بمزايا وخصائص لا توجد في غيرها، وهي كالآتي:

١ ــ ذكر أصناف البشرية إزاء الهداية والضلالة، وذلك بداية من أول السورة إلى آية ٢٠، وهم: المؤمنون الخُلَّص، والكافرون الخُلَّص، ثم المنافقون.

٢ ــ ذكر أول مثل في القرآن وضرب للمنافقين بالنار والماء، انظر آيات ١٧ ــ ٢٠.

٣ ــ أول خطاب إلـٰهي وجهه لعباده جميعًا آمرًا لهم بأن يعبدوه، آية ٢١.

٤ ــ ذكر البعوضة والسر في ضرب المثل بها، آية ٢٦.

٥ ــ ذكر أول آية امتن فيها الله عز وجل على عباده بأن كل ما في الأرض خلق لهم بالأصالة فضلاً منه تعالى ولطفًا بهم، آية ٢٩.

٦ ــ اختصت بذكر قصة سيدنا آدم عليه السَّلام مع الملائكة عليهم السَّلام وإبليس اللعين، من بين سائر السور المدنية، وإنما ذكرت وكررت في السور المكية، آيات ٣٠ ــ ٣٩.

٧ ــ إخبار الله تعالى ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، آية ٣٠.

٨ ــ نعمة الله تعالى على آدم عليه السَّلام وتفضيله وتكريمه بتعليمه الأسماء ومسمياتها، آيات ٣١ ــ ٣٣.

٩ ــ ذكره تعالى بني إسرائيل وخطابه إياهم وتذكيره إياهم بنعمه تعالى عليهم، وذلك في نحو من ثلث السورة، بداية من آية ٤٠ إلى نهاية آية ١٢٣.

١٠ ــ ذم من يأمر غيره بالبر والمعروف وينسى نفسه، آية ٤٤.

١١ ــ ذكر قصة بني إسرائيل وقولهم لسيدنا موسى عليه السَّلام: لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض، آية ٦١.

١٢ ــ ذكر قصة البقرة وإحياء الميت وإخباره بمن قتله، وما في ذلك من العبرة، آيات ٦٧ ــ ٧٣.

١٣ ــ ذكر الآية في الحجارة وتصدعها من خشية الله وعظمته وخروج الأنهار والينابيع منها وتدفقها بغزارة ثم ترديها وتفتتها من خوف الله، انظر آية ٧٤.

١٤ ــ أن اليهود أحرص الناس على الحياة من كل الأمم، آية ٩٦.

١٥ ــ عداوة اليهود لجبريل عداوة سافرة، آيتان ٩٧، ٩٨.

١٦ ــ تبرئة سيدنا سليمان عليه السَّلام من السحر الذي نسبه إليه اليهود كذبًا وزورًا، آية ١٠٢.

١٧ ــ ذكر هاروت وماروت وما كلِّفا به من تعليم السحر بعد النصيحة، آية ١٠٢.

١٨ ــ مشروعية النسخ في الإسلام وأنه تعالى قد يأتي بخير مما نسخ أو مثله، آية ١٠٦.

١٩ ــ بيان أنه لا أحد أظلم ممن يمنع الناس من ذكر الله في المساجد، آية ١١٤.

٢٠ ــ لا يرضى اليهود والنصارى على المسلمين حتى يكونوا مثلهم، آية ١٢٠.

٢١ ـ دعاء الخليل عليه السَّلام ربه ببعثة نبينا ﷺ، آية ١٢٩ .

٢٢ ـ وصاية الخليل ويعقوب عليهما السَّلام بَنِيهِما باتباع ملة الإسلام والثبات عليها حتى الموت، آية ١٣٢ .

٢٣ ـ قصة تحويل القبلة وما حصل عندها من انتقاد اليهود. . . ووجوب التوجه إليها واستقبالها من جميع جهات أهل الأرض. . . آيات ١٤٢ ـ ١٥٠ .

٢٤ ـ تفضل الله عز وجل على الأمة المحمدية بأنهم أمة وسط، أي خيار عدول، آية ١٤٣ .

٢٥ ـ مشروعية الاسترجاع عند المصيبة وثواب من صبر عندها، آيات ١٥٣ ـ ١٥٧ .

٢٦ ـ ذكر الصفا والمروة والطواف بهما، وأنهما من أعلام دين الله، آية ١٥٨ .

٢٧ ـ حكم كاتمي العلم وما أنزل الله عز وجل من الدين الحق، آيتان ١٥٩، ١٦٠ .

٢٨ ـ بيان حكم الدماء وأن في الاقتصاص من القاتل حياة للناس، آيتان ١٧٨، ١٧٩ .

٢٩ ـ بيان فرضية صيام رمضان وبعض أحكامه آيات ١٨٣ ـ ١٨٧ .

٣٠ ـ ذكر الاعتكاف وبعض أحكامه وأنه يكون في المساجد، آية ١٨٧ .

٣١ ـ النهي عن دفع الرشوة للحكام لأخذ أموال الناس بالإثم، آية ١٨٨ .

٣٢ ـ خلق الأهلة والسر فيها، وما يتعلق بها من الأحكام، آية ١٨٩ .

٣٣ ـ الأمر بالقتال، والنهي عن القتال في الحرم المكي إلَّا دفاعًا. . . ، آيات ١٩٠ ـ ١٩٤ .

٣٤ ـ النهي عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة. . . وذلك عام، آية ١٩٥.
٣٥ ـ وجوب إتمام الحج والعمرة لمن دخل فيهما، آية ١٩٦.
٣٦ ـ الإحصار في الحج والعمرة وما يلزم في ذلك. . . ، آية ١٩٦.
٣٧ ـ مشروعية الفدية في الحج والعمرة على من ارتكب محذورًا، آية ١٩٦.
٣٨ ـ مشروعية التمتع بالعمرة إلى الحج وما يتبع ذلك، آية ١٩٦.
٣٩ ـ ذكر مواقيت الحج الزمانية. . . ، آية ١٩٧.
٤٠ ـ إباحة التجارة في الحج وأنه لا حرج في ذلك، آية ١٩٨.
٤١ ـ مشروعية الإفاضة من عرفات والنزول بالمزدلفة، آيتان ١٩٨، ١٩٩.
٤٢ ـ مشروعية ذكر الله في الأيام المعدودات أيام منى، آيات ٢٠٠ ـ ٢٠٣.
٤٣ ـ ذكر أول آية نزلت في ذم الخمر والميسر، آية ٢١٩
٤٤ ـ النهي عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين، آية ٢٢١.
٤٥ ـ ذكر الحيض والنهي عن إتيان الحائض حتى تطهر، آية ٢٢٢.
٤٦ ـ جعل الله عز وجل النساء حرثًا للرجال. . . ، آية ٢٢٣.
٤٧ ـ بيان الإيلاء وهو الحلف على ترك وطىء الزوجة، آيتان ٢٢٦، ٢٢٧.
٤٨ ـ بيان عدة المطلقة التي تعتد بالأقراء، آية ٢٢٨.
٤٩ ـ بيان أن المطلِّق له الحق في إرجاع الزوجة ما دامت في العدة إذا أرادا الإصلاح، آية ٢٢٨.
٥٠ ـ ذكر حقوق الزوجين وأن لكل منهما حقًّا على الآخر، آية ٢٢٨.
٥١ ـ بيان أنواع الطلاق التي يملك الزوج معها الرجعة، آية ٢٢٩.

٥٢ ــ مشروعية الخلع وفدية المرأة نفسها من الزوج إن خافا سوء العشرة وعدم مراعاة حقوق الزوجية، آية ٢٢٩.

٥٣ ــ بيان الطلاق الذي تحرم بعده الزوجة على زوجها، آية ٢٣٠.

٥٤ ــ النهي عن الإضرار بالزوجة وإن ذلك من الاستهزاء بآيات الله، آية ٢٣١.

٥٥ ــ النهي عن منع المرأة من رجوعها إلى زوجها بعد أن طلقها ثم هَوِيَها وهَوِيَته وصلحت الأحوال بينهما، آية ٢٣٢.

٥٦ ــ بيان أمد الرضاع المشروع بين الزوجين، آية ٢٣٣.

٥٧ ــ بيان عدة المرأة المتوفى عنها زوجها. . .، آية ٢٣٤.

٥٨ ــ النهي عن خطبة النساء وقت عدتهن، آية ٢٣٥.

٥٩ ــ مشروعية الطلاق قبل فرض المهر وقبل المسيس، وقبل الدخول والمسيس بعد فرض المهر والصداق وما يلزم ذلك، آيتان ٢٣٦، ٢٣٧.

٦٠ ــ وجوب المحافظة على الصلاة الوسطى على الخصوص وهي العصر، آية ٢٣٨.

٦١ ــ قصة الإسرائيليين الذين خرجوا من ديارهم فارين من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم، آية ٢٤٣.

٦٢ ــ ذكر قصة طالوت مع جالوت وما في ذلك من العبرة، آيات ٢٤٦ ــ ٢٥٢.

٦٣ ــ ذكر آية الكرسي وهي أشرف آية في القرآن الكريم، آية ٢٥٥.

٦٤ ــ ذكر قصة الطاغية الذي حاج إبراهيم في شأن ربه. . .، آية ٢٥٨.

٦٥ ــ قصة الرجل الذي مر على قرية هالكة فأماته الله مائة عام ثم أحياه، وما في ذلك من العبرة، آية ٢٥٩.

٦٦ ــ قصة الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام في الطيور وإحيائهم، آية ٢٦٠ .

٦٧ ــ تضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف، آية ٢٦١ .

٦٨ ــ ذم المن في الصدقة وأن ذلك مبطل لها، آيات ٢٦٢ ــ ٢٦٤ .

٦٩ ــ مثل رائع ضرب للمتصدق والصدقة، آيتان ٢٦٥ ، ٢٦٦

٧٠ ــ من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، آية ٢٦٩ .

٧١ ــ تحريم التعامل بالربا والوعيد الشديد في المرابين، آيات ٢٧٥ ــ ٢٧٩ .

٧٢ ــ الإرشاد إلى إنظار المعسر أو مسامحته، آية ٢٨٠ .

٧٣ ــ ذكر آخر آية نزلت من القرآن إطلاقًا، آية ٢٨١ .

٧٤ ــ ذكر أكبر آية في القرآن وهي آية المداينة، آية ٢٨٢ .

٧٥ ــ بيان الشهود والشهادة وما يتبع ذلك، آيتان ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

٧٦ ــ مشروعية الرهن عند عدم الثقة، آية ٢٨٣ .

٧٧ ــ ذكر خواتيم سورة البقرة وما جاء فيها من الفضل، آيات ٢٨٤ ــ ٢٨٦ .

هذا بعض ما يسر الله استخراجه من هذه السورة العظيمة مما لا يوجد في غيرها، وقد يوجد فيها غير ما ذكرنا لمن تتبعها بإمعان وتدبر كامل، وبالله المستعان.

من فضائل هذه السورة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة».

رواه أحمد ٢/ ٣٣٧، ٣٧٨، ٢٨٤، ومسلم في الصلاة رقم ٧٨٠، والترمذي في فضائل القرآن ٢٦٨٥، ورواية هذا: «إن البيت الذي تقرأ البقرة فيه لا يدخله شيطان».

لا تجعلوا بيوتكم مقابر: يحتمل معنيين: أي لا تهجروا الصلاة فيها كالمقابر، أو لا تدفنوا فيها موتاكم فتصيِّروها مقابر.

وفي الحديث فضل سورة البقرة، ولعظمتها وما فيها من أسرار وقوة الأنوار الإلـٰهية يهرب الشيطان من المنزل الذي تقرأ فيه، وليس هذا لغيرها.

وعن أبـي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبـي ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شافعًا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة».

رواه أحمد ٥/ ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧، ومسلم في الصلاة رقم ٨٠٤.

وعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهم بعد، قال: «كأنهما غمامتان أو ظُلَّتان سَوْدَاوَان بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما فَرْقان من طير صَوَّاف، تُحَاجَّان عن صاحبهما».

رواه أحمد ٤/ ١٨٣، ومسلم ٨٠٥، والترمذي ٢٦٩٢، كلاهما في فضائل القرآن.

الزهراوان تثنية زهراء، أي النيِّران المضيآن. غيايتان بفتحات هي كل ما أظل الإنسان كالغمام وغيره. فرقان أي قطيعان من الطير، وفي رواية: حزقان وخرقان بالحاء والزاي، وبالخاء والراء، وكلاهما قريب في المعنى، وهي الجماعة أو القطعة من الشيء. صواف جمع صافة، أي مثل طير باسطات أجنحتها. شرق بفتح الشين وسكون الراء ثم قاف، أي نور وضوء. البطلة بفتحات هم السحرة.

وفي الحديثين فضل سورتي البقرة وآل عمران، وأنهما تأتيان يوم القيامة تخاصمان عن قارئهما وحافظهما وتظللانه مما يسوءه، كما أن فيهما فضل أهل القرآن العاملين به وأنه سيكون شفيعًا لهم، جعلنا الله تعالى من أشرف أهله القائمين بحقوقه الذين يحلون حلاله ويحرِّمون حرامه، والذين يتلونه حق تلاوته، آناء الليل وآناء النهار، آمين.

آية الكرسي

عن أُبَـيِّ بنِ كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبـا المنـذر أيّ آيـة مـن كتـاب الله أعظـم؟» قلـت: الله لا إلـه إلاَّ هـو الحـي القيوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهنك العلم أبا المنذر»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش».

رواه أحمد ٥/ ١٤٢، ومسلم في الصلاة ٨١٠، وأبو داود ١٤٦٠.

ليهنك بكسر اللام وفتح الياء وسكون الهاء وكسر النون، وهو مضارع هنأ دخلت عليه لام الأمر، والتهنئة ضد التعزية فهي مقرونة بالسرور.

وفي الحديث فضل آية الكرسي وأنها أعظم آية في القرآن الكريم، وذلك لما احتوت عليه وجمعته من أصول الأسماء والصفات، من الألوهية والحياة والوحدانية والعلم والملك والقدرة والإرادة.

وعن أبـي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلاَّ أن يموت».

رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم ١٠٠، والطبراني وابن حبان كما عزاه إليهم المنذري في الترغيب وقال: بأسانيد أحدها صحيح، وجوده الهيثمي كما في المجمع ١٠/ ١٠٢. وللحديث طرق وشواهد منها عن المغيرة بن شعبة عند أبـي نعيم في الحلية ٣/ ٢٢١ وسنده لا بأس به في الشواهد...

وفيه فضل قراءة هذه الآية العظيمة دبر كل صلاة، وأن ذلك من موجبات الجنة، وسيأتي حديث أبي هريرة وغيره عند ذكر الآية إن شاء الله.

خواتيم سورة البقرة

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه».

رواه أحمد ٥/ ١٥١، والبخاري في فضل سورة البقرة رقم ٥٠٠٩، وفي المغازي ٤٠٠٨، ومسلم في الصلاة رقم ٨٠٧، والترمذي ٣٦٩٠، وباقي الجماعة والدارمي ٣٣٩١.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل عليه السَّلام إذ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريل عليه السَّلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط. فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفًا منهما إلاَّ أعطيته».

رواه مسلم في فضائل القرآن من كتاب الصلاة رقم ٨٠٦.

قوله: كفتاه، أي عن قيام الليل أو عن قراءة القرآن أو عن الإيمان. . .
وقوله: نقيضًا، أي صوتًا.

وفي الحديثين فضل خواتيم هذه السورة وأن لها شأنًا عند الله عزَّ وجل، ويأتي مزيد لهذا عند ذكر الآيتين إن شاء الله تعالى.

وهذا أوان البداية في التفسير بإذن الله تعالى وعونه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) (٢) (٣) قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

عن أبي جمعة رضي الله تعالى عنه قال: تغدينا مع رسول الله ﷺ

ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله هل أحدٌ خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني».

رواه أحمد ٤/ ١٠٦، والحاكم ٤/ ٨٥ وغيرهما بسند صحيح، وأورده النور في المجمع ١٠/ ٦٦ برواية أحمد وأبي يعلى والطبراني قال: بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات.

وله شاهد عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فقال: «أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانًا»، قالوا: يا رسول الله، الملائكة، قال: «هم كذلك ويحق لهم ذلك وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم». ثم ذكر الأنبياء والشهداء ثم قال: «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانًا».

رواه أبو يعلى ١٦٠، والبزار ٢٨٣٩، والحاكم ٤/ ٨٥، وصححه وحسَّن النور في المجمع ١٠/ ٦٦ بعض طرقه، وله شاهد آخر عن أنس رواه البزار ٢٨٤٠، وعن ابن عمر ورواه الحسن بن عرفة.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي».

رواه أحمد ٥/ ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤، والطيالسي ٤٢، وابن حبان ١٦/ ٢١٦، قال الهيثمي ١٠/ ٦٧: ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة. وللحديث شواهد عن أنس وأبي سعيد الخدري وأبي عبد الرحمن الجهني، وقد عزوتها في بداية الوصول.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بينًا لمن رآه، والذي لا إلـه غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.

رواه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم ٢/ ٢٦٠، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

في هذه الأحاديث فضل الإيمان بالغيب المذكور في صفة المتقين. والغيب في الآية الكريمة هو ما غاب عنا مما لا نشاهده بحاستنا، فيشمل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، واليوم الآخر، والحياة بعد الموت، والبعث والنشور، ولقاء الله والجزاء والجنة والنار... فكل هذا غيب، فالتصديق بكل ذلك من صفات المتقين الأساسية التي علق عليها الفلاح.

(١) (٢) (٣) قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ
(٤) يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
(٥) بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
(٦) وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا
(٧) يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
(٨) (٩) عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ
(١٠) ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ
(١١) ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ
(١٢) (١٣) قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا

﴿١٤﴾ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
﴿١٧﴾ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾
﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
﴿٢٠﴾ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفَّح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص، عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفَّح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأيّ المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه».

رواه أحمد ٣/ ١٧، والطبراني في الصغير ٣/ ١٠٩، ١١٠ فيمن اسمه موسى، وفيه ليث بن أبي سليم فيه كلام، وحسن له ابن كثير هذا الحديث.

افتتح الله عزَّ وجل هذه السورة الكريمة بأربع آيات في صفة المؤمنين الخُلَّص، وآيتين في الكفار الخُلَّص، وثلاث عشرة آية في المنافقين، وبذلك يكون الناس بالنسبة للهداية والضلال ثلاثة أقسام.

وبين أن المنافقين قسمان: خلَّص وهم المضروب لهم المثل الناري: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا . . .﴾ إلخ. وقسم مترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان، وتارة يخبو، وهم أصحاب المثل المائي:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ . . . ﴾ الآية .

والحديث المذكور مفصل لصفات هذه الأصناف ومبيِّن لها . قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق .

كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : «ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان» .

هكذا أورده ابن كثير ، والذي في الإيمان من البخاري ١/ ٩٧ ، ٩٨ ، ومسلم رقم ١٠٦ : «أربع من كن فيه . . .» وفيه : «وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» ، نعم جاء فيهما : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان» ، لكنه عن أبي هريرة لا عن ابن عمرو ، والكمال لله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ . (٢٢)

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» ، قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أي؟ قال : «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك» ، قلت : ثم أي؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك» .

رواه أحمد ١/ ٣٨٠ ، ٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٣٠ وفي الأدب وفي الديات وفي التوحيد ، ومسلم في الإيمان ٢/ ٨٠ ، وأبو داود رقم ٢٣١٠ ، والترمذي في تفسير سورة الفرقان ٢٩٧٦ ، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٢٨٥ .

الند بكسر النون هو : المثل والنظير والشبيه . حليلة : أي زوجة .

والشاهد من الحديث قوله : أن تجعل لله ندًا ، فاتخاذ الشريك مع الله تعالى هو أعظم الذنوب إطلاقًا ، ثم يأتي بعده قتل النفس بغير حق ، وأفحش

ذلك ما كان سائدًا في الجاهلية من قتل الأولاد خوفًا من إطعامهم... ثم تأتي جريمة الزنا تلك الفاحشة العظيمة، وأعظمها وأشنعها جرمًا أن تكون بزوجة الجار الذي أُمر المسلم بالإحسان إليه وإكرامه ومراعاة حقوقه والحفاظ على حرمته. والترتيب في هذه الكبائر ليس على إطلاقه، فترك الصلاة ولو صلاة واحدة أعظم من قتل النفس عند الله وأكبر من الزنا، وتعاطي الربا أكبر من الزنا أيضًا...

٣٠ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ
٣١ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى
بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب».

رواه أحمد ٤/ ٤٠٦، وأبو داود في السنة ٤٦٩٣، والترمذي في التفسير ٢٧٦٣، وابن حبان ٦١٦١، ٦١٨١، في الإحسان، والحاكم ٢/ ٢٦١، ٢٦٢ وغيره، وحسنه الترمذي وصححه.

قبضة: هي ملء الكف. والحَزْن بفتح الحاء وسكون الزاي هو: الغليظ الصعب.

وفي الحديث إعلام بأصل الإنسان وما ركب فيه من الأخلاق، وما جُبل عليه من الطبائع، وأنه تابع للأرض في جميع ما فيها. وفي الموضوع أحاديث لعله يأتي بعضها فيما يأتي من ذكر سيدنا آدم عليه السَّلام. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ إشارة إلى أنه لا بد للناس من خليفة

يخلـف الله فـي الأرض فـي الحكم بالعدل والقيـام بمهمات الديـن والدنيا، وبـاب الخلافة واسـع لـه أحكام وشروط، وجاءت فـي الموضـوع أحاديـث شتى.

وعـن أنـس رضـي الله تعـالـى عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا»، الحديث بطوله في الشفاعة.

رواه أحمد ٣/ ١١٦، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٢٦، ٢٢٧، وفي الرقاق وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان ٣/ ٥٣، ٥٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٤ وغيره.

قوله: «أنت أبو الناس»، في رواية: «أنت أبو البشر»، وفيه رد على الدرونيين الذين يزعمون أن الإنسان أصله قرد، لعنهم الله وأخزاهم.

وقوله: «وعلمك أسماء كل شيء»، معناه أن الله عزَّ وجل علَّمه جميع أسماء الذوات وغيرها مما سيوجد من أنواع الكائنات بجميع لغات بنيه، وكان ذلك من أعظم ما أكرمه الله عزَّ وجل به، وأفاضه عليه من نعمه، وفضَّله بذلك حتى على الملائكة المكرمين عليهم السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ... ﴾ إلخ، صريح في أنه كلَّم ملائكته بما ذكر وأنهم أجابوه بما في الآية. وقد ضل أقوام من المعاصرين العقلانيين فردوا ذلك ولم تقبله عقولهم الضيقة فقالوا: إن ذلك مجرد تمثيل فقط، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ومعنى الآيات: واذكر يا رسولي لقومك حين ما قال ربك لملائكته: إني خالق في الأرض خليفة يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، فقالوا أي

الملائكة على سبيل التعجب والاستعلام: كيف تستخلف من يفسد في الأرض بالمعاصي ويريق دماء الأبرياء ونحن ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك ونعظم أمرك ونطهر ذكرك؟!

قال تعالى لهم: إني أعلم من المصالح والحكمة في ذلك ما لا تعلمونه. وعلم آدم أسماء المسميات كلها حتى القصعة والقُصيعة والمغرفة والمخيط... ثم عرض تلك المسميات على الملائكة فقال لهم: أخبروني بأسماء هذه المخلوقات التي تشاهدونها؟ فاعترفوا بالعجز وقالوا: سبحانك تنزيهًا لك عن النقص فنحن لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا فأنت العليم الذي لا تخفى عليك خافية، الحكيم الذي لا يفعل إلاَّ ما تقتضيه الحكمة. فقال الله تعالى: يا آدم أعلمهم بأسماء ما عجزوا عن علمهم واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبة ما هنالك. فأخبرهم بذلك.

وفي هذا العرض الإلـهي لهذه القصة ما يدل على تكريم آدم عليه السَّلام وتفضيله ورفع درجته بالعلم الذي أفاضه على روحه الطاهرة مما لم يطلع عليه حتى ملائكته المقدسين، وفي ضمن ذلك تكريم لسائر هذا الجنس الإنساني، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥]، فللّه الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مباركًا عليه كما يحب ويرضى.

٣٤ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار».

رواه أحمد ٢/ ٤٤٠، ٤٤٣، ومسلم في الإيمان ٨١، وابن خزيمة ٥٤٩، وابن ماجه ١٠٥٣.

في الحديث فضل السجود عند المرور في القراءة على السجدة وأن ذلك من موجبات الجنة، وفي السجود لذلك إغاظة للشيطان، وفيه اعتراف إبليس بأنه من أهل النار لامتناعه من السجود الذي أمره الله به مع الملائكة عليهم السَّلام. وكان هذا السجود المأمور به هو سجود حقيقي لآدم عليه السَّلام إكرامًا له وإعظامًا واحترامًا وسلامًا وطاعة لله عزَّ وجل، لأن ذلك امتثال لأمره، والله يأمر عباده بما يشاء. ورجح هذا القول الرازي وابن كثير وغيرهما وضعفوا ما عداه. وكان امتناع إبليس من السجود تكبرًا وحسدًا منه لآدم عليه السَّلام، وقاس مع وجود النص الإلـٰهي، فكفر بذلك وأصبح من الخاسرين اليائسين، ولذلك سمي إبليس من الإبلاس ومن معانيه اليأس. فكان أول من عصى الله عن عمد وأول من تكبر، وأول من حسد، وأول من استدل بالقياس في مقابلة النص والدليل الصحيح، أعاذنا الله تعالى من هذه الفواحش، آمين.

(٣٥) قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٣٥) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احتج آدم وموسى عليهما السَّلام، فقال له موسى: يا آدم خلقك الله بيده، ثم نفخ فيك من روحه، ثم قال لك كن فكنت، ثم أمر الملائكة فسجدوا لك، ثم قال: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٣٥) ﴾، فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت ربك، فقال آدم: يا موسى ألم تعلم أن الله قدر هذا عليَّ قبل أن يخلقني؟» قال رسول الله ﷺ: «لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى».

رواه أحمد ٢/٢٤٨، ٢٦٤، ٣٩٨، والبخاري ١٤/٣٠٨، ومسلم ١٦/ ٢٠٠، ٢٠٢، وأبو داود ٤٧٠١، والترمذي ١٩٦٦، كلهم في القدر، ورواه البخاري في الأنبياء

وفي التفسير وفي التوحيد، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٢٨٤، ٢٨٥، واللفظ له، وسيأتي بألفاظ ومن طرق أخرى في مواضع من الكتاب إن شاء الله تعالى.

قوله: فعصيت، كان ذلك نسيانًا منه عليه السَّلام كما قال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]. وقوله: وحج آدم موسى، أي غلبه بالحجة، لأنه لامه وعاتبه على شيء صدر منه على جهة النسيان مع سابق قدر الله تعالى، وقد غفر الله له ذلك وتاب عليه واجتباه، ومن كان كذلك فلا يوجه إليه اللوم. . .

وفي الحديث دليل على أن الله عزَّ وجل قدَّر كل شيء، من خير وشر وطاعة ومعصية. . . وفي الآية الكريمة دليل على أن الجنة التي أُسكِنَها آدم هي الجنة المعهودة التي أعدها الله تعالى لأوليائه المؤمنين، وهذا قول أهل السنة.

٣٦ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها. . .».

رواه أحمد ٢/ ٤٠١، ٤١٨، ٤٨٦، ٥١٢، ومسلم ٦/ ١٤١، وأبو داود ١٠٤٦، والترمذي ٤٣٩، والنسائي ٣/ ٧٤ وغيرهم. وفي الباب عن أوس بن أوس وأبي لبابة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا. . .﴾ إلخ، أي حملهما على ارتكاب الزلة وقاسمهما إنه لمن الناصحين لهما، كما في الأعراف، وقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا. . .﴾ إلخ، أي فكان هو السبب في إخراجهما من الجنة وما كانا فيه من العيش الرغد، فقال الله تعالى: اهبطا إلى الأرض فإنها مستقركم

أحياءً وأمواتًا، كما قال تعالى في الأعراف: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٥]، وقال في طه: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥].

والحديث يدل على أن إخراج أبينا آدم عليه السَّلام من الجنة كان يوم الجمعة كخلقه، كما أن فيه سيكون اضمحلال هذا العالم وانتهاء هذه الحياة، فيكون بداية خلق الإنسان ونهايته يوم الجمعة، كما أن فيه ستكون نفخة الفزع ونفخة الصعق ثم قيام الساعة، مما يدل على أن لهذا اليوم لشأنًا.

﴿٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ
﴿٤١﴾ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم: «هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟» قالوا: اللَّهم نعم، فقال النبي ﷺ: «اللَّهم اشهد».

رواه الطيالسي ١٩٢٣، وأحمد والترمذي والنسائي في الكبرى مطولاً، وسيأتي قريبًا في هذه السورة وفي آل عمران وسنده حسن، وشهر تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي وغيره.

الحديث يدل على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهذا لا خلاف فيه بين جميع الأمم المنتمية إلى الشرائع الإلـهية، وأبناء إسرائيل هم اليهود والنصارى الذين تناسلوا من الأسباط.

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت من هؤلاء؟ قالوا: خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون».

رواه أحمد ٣/ ١٢٠، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩، وعبد بن حميد في مسنده ١٥٩، وأبو يعلى ٣٩٧٩، وابن حبان ٣٥ في صحيحه في الموارد، وابن جدعان تابعه مالك بن دينار كما عند ابن حبان فيحسن حديثه.

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما أصابك، ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

رواه أحمد ٥/ ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، والبخاري في صفة النار، ومسلم في الزهد ١٧/ ١١٧، ١١٨.

قوله: مقاريض، جمع مقراض وهي آلة قطع. قوله: فتندلق أي تخرج. قوله: أقتابه، جمع قِتب بكسر القاف، والأقتاب الأمعاء.

وفي الحديثين كالآية الكريمة وعيد عظيم وزجر بالغ لمن يأمر الناس بالبر والمعروف وينهاهم عن الفواحش والمناكير ثم ينسى نفسه فيخالفهم إلى عكس ما يقول فيأتي المنكر ويترك المعروف كما هو الشأن في كثير ممن ينتمي إلى العلم اليوم، نعوذ بالله من أن يكون علمنا وبالاً علينا. وإذا كان هذا جزاء من يقول الحق ولا يعمل به، فكيف الحال فيمن يعكس فيأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ككثير من شياطين العلماء الذين غرتهم الحياة وفتنوا باتباع أهوائهم؟ إن أمرهم والله لشديد وعظيم.

(٥٧) قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾.

عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين».

رواه أحمد ١/ ١٨٧، ١٨٨، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٣٠، وفي الطب وفي الأطعمة، ومسلم ٤/ ٣، ٤، والترمذي ١٩٠٨ كلاهما في الأطعمة، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٥، وابن ماجه في الطب ٣٤٥٤.

الكمأة: هو نبات يخرج وينبت وحده. من المن، أي هو شبيه بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه، ووجه شبهها به من حيث إنها تنبت بلا زرع ولا علاج كما كان يأتي المن للإسرائيليين من السماء بلا كلفة ولا مشقة. وقوله: وماؤها شفاء... إلخ، هذا يحتاج إلى معرفة بذلك وكيفية العلاج بها وليس في الحديث شيء من ذلك، وقد قال ﷺ: «أنتم أعلم بدنياكم»، رواه مسلم.

(٥٨) قوله تعالى: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وبدلوا فقالوا: حنطة، حبة في شَعْرة.

رواه أحمد ٢/ ٣١٨، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٣١، ٣٧٣، ٣٧٤، وفي الأنبياء، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٢، والترمذي في التفسير ٢٧٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٦.

قوله: حطة، أي طلبنا حطة، أي تحط عنا خطايانا. قوله: يزحفون، أي يمشون على أدبارهم. قوله: حبة في شَعْرة، في رواية: حبة في شعيرة.

لما فتح يوشع بن نون عليه السَّلام بيت المقدس أُمر من قِبل الله

عزَّ وجل أن يأمر بني إسرائيل الذين كانوا معه أن يدخلوا الحرم خاضعين متواضعين منحنين شكرًا لله تعالى على ما أولاهم من الظفر والنصر على عدوهم، وأن يسألوا الله عزَّ وجل حط ذنوبهم، فبدلوا ما أمروا به تمردًا على الله واستهزاء بأمره فعاجلهم تعالى بالعذاب من عنده. وكان فيما بدلوا: حطة، قالوا بدلها بلغتهم: هطى سمقا، وهي بالعربية: حنطة حمراء قوية فيها شعيرة سوداء. . .

(٥٩) قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٥٩) ﴾.

عن أسامة وسعد وخزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم، فإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارًا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها.

رواه أحمد ١/ ١٨٢، ومسلم في السلام ١٤/ ٢٠٣، ٢٠٧، وفي رواية له عن أسامة: «إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد في الأرض»، ولسعد بن أبي وقاص نحوه أيضًا عنده. وفي رواية لأسامة ١٤/ ٢٠٣، ٢٠٧: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم. . .» إلخ.

الطاعون كل مرض عام كالوباء فيعم الكثير من الناس في جهة خاصة، والمراد به في الحديث الشريف هنا ضرب الجن؛ لحديث: «الطاعون وَخْزُ أعْدَائِكُمْ مِن الجن».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤١٣، بسند صحيح وهو من رواية أبي موسى.

والمقصود أن هذا الطاعون هو بقية عذاب عذَّب الله به بني إسرائيل لما تمرَّدوا على الله وبدَّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فالحديث مبين للرجز المذكور في الآية.

(٦١) قوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين».

رواه أحمد ١/ ٤٠٧، وسنده حسن لوجود عاصم بن بهدلة المقرىء وعزاه النور ١/ ١٨١ للطبراني من طريق آخر، وعزاه الحافظان المنذري وعبد الحق الإشبيلي للبزار، قال المنذري: بإسناد جيد.

قوله: «إمام ضلالة»، يصدُقُ على العالِم المضلِّل والأمير الجائر، فكلاهما إمام ضلالة. وقوله: وممثل، يعني المصور من فيه روح، وقد جاءت قوارع شديدة في المصورين.

والشاهد من الحديث قوله: رجل قتل نبيًا، فمن قتل نبيًا من الأنبياء كان أشد الناس وأعظمهم وأقساهم عذابًا كما فعل اليهود بأنبيائهم عليهم الصَّلاة والسَّلام، ولذلك ضرب الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة والخزي الأبدي ورجعوا بغضب من الله.

٦٨ قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
٦٩ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا
٧٠ لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا
٧١ رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

رواه ابن جرير ١/ ٣٤٧ في التفسير بسند صحيح، ثم ذكره بنحوه معلقًا عن ابن جريج مرفوعًا.

ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما متفق عليه بين مفسري السلف وقد يكون ابن عباس أخذه من النبي ﷺ لأن هذا مما لا مجال للرأي فيه، وفيما قصه الله تعالى علينا في هذه القصة عن بني إسرائيل بيان ما كان عليه اليهود من التمرد والتعنت وابتعادهم عن الاستسلام لله عزَّ وجل والإذعان لأمره، ولذلك لما شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن صفة البقرة شدد الله تعالى عليهم فذكر لها من الصفات ما صعب وشق عليهم وجودها.

(٧٩) **قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في أهل الكتاب.

رواه البخاري في أفعال العباد ٤١٢، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٢٨٦ بسند صحيح.

يعني ابن عباس أن الآية نزلت بسبب اليهود الذين غيَّروا التوراة ونسبوا ذلك لله تعالى فجمعوا بين سيئتين، ثم أضافوا إلى ذلك أكل الحرام الذي كانوا يأخذونه من عوامهم في مقابلة ذلك الكذب، عليهم لعائن الله المتتابعة.

(٨٠) **قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتحت خيبر أُهدِيَتْ لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان من اليهود ههنا»، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: فلان، قال: «كذبتم بل أبوكم فلان»، فذكر الحديث وفيه: فقال لهم ﷺ: «من أهل

النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسأوا، والله لا نخلفكم فيها أبدًا. . .» الحديث.

رواه أحمد ٢/ ٤٥١، والبخاري في كتاب الجزية وفي المغازي ٩/ ٣٧، ٣٨، وفي الطب وفي الهدية، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٣، والدارمي في المقدمة.

ما ذكر في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف هو من ترهات اليهود وافتراءاتهم وغرورهم، حيث ادعوا أنهم لن تصيبهم النار يوم القيامة إلاَّ مقدار الأيام التي عبد فيها أجدادهم العجل وهي أربعون يومًا، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها مسلموا هذه الأمة، فكذبهم رسول الله ﷺ فيما زعموا. . .

﴿٩٤﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ
﴿٩٥﴾ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: لو أنَّ اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

رواه أحمد ١/ ١٤٨ بسند صحيح، وأشار الحافظ في الفتح إلى أنه رواه أيضًا الإسماعيلي في المستخرج، وهو أيضًا عند ابن جرير ١/ ٤٢٤، وأصله في تفسير سورة العلق من صحيح البخاري وجامع الترمذي.

كان اليهود يزعمون أن الجنة خاصة بهم دون سائر الأمم الأخرى فأكذبهم الله وقال لهم: إن كنتم صادقين في ذلك فتمنوا الموت واشتاقوا إليه ليوصلكم إلى الجنة، ثم أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يتمنونه أبدًا بسبب ما قدمت أيديهم من الآثام والجرائم، وجاء النبي ﷺ فأخبر بوحي من الله عزَّ وجل أنهم لو كانوا تمنوا الموت لماتوا عن آخرهم ولشاهدوا منازلهم من جهنم.

(٩٧) قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
(٩٨) مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمع عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاَّ نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل عليه السَّلام آنفًا»، قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة! فقرأ هذه الآية: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ. . . ﴾ الحديث.

رواه أحمد ٣/ ١٠٨، ١٨٩، ٢٧١، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٣٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٦، ٢٨٧.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك. فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، فذكر الحديث. وفيه: إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلاَّ له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السَّلام»، قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، والترمذي في التفسير ٢٩١٥، والنسائي في عشرة النساء من الكبرى ٥/ ٣٣٦، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وسيأتي بعضه في آل عمران.

وفي الحديثين بيان أن سبب نزول الآية هو تعنت اليهود وإغراقهم في الجحود والكفر وبغضهم لسيد الملائكة ورئيسهم ومناصبتهم إياه العداوة وذلك كفر بواح بإجماع المسلمين، قال ابن جرير ١/ ٤٣١: أجمع أهل العلم بالتأويل على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم.

(١٠٦) قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: أقرؤنا أُبَيٌّ، وأقضانا عليٌّ، وإنا لندع من قول أبي، وذاك أن أبيًّا يقول: لا أدعُ شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٣٣، ٢٣٤، وفي فضائل القرآن ١٠/ ٤٢٩، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٢٨٩.

قوله: وإنا لندع، معناه أنه كان يترك بعض ما كان يقرؤه أبي من القراءات التي قد نسخت مع إصرار أُبيّ على عدم تركها لكونه سمعها من رسول الله ﷺ، ولكنه ربما قرأ ما نسخ ولم يبلغه ذلك.

وفي الآية الكريمة دليل على ثبوت النسخ في الوحي الإلـهي، وأنه عزَّ وجل قد يرفع حكمًا أو آية ويأتي بمثل ذلك أو بخير منه حسب حكمته ومصالح عباده، ولا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ في القرآن والسنَّة، وإنما أنكره اليهود ومن نحا نحوهم من الملحدين والزائغين الخاسرين.

(١٠٩) قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يَعْفُون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ . . . ﴾ الآية، وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله تعالى به حتى أذِن الله فيهم بالقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش.

رواه ابن أبـي حاتم ١/ ٢٠٦ بسندٍ صحيحٍ وله أصلٌ في الصحيحين.

الأمر كما قال هذا الحبيب ولا خلاف في ذلك والسور المكية وبعض المدنية ملآنة بالآيات الآمرة بالعفو عن المشركين وكلها واردة قبل نزول قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ . . . ﴾ الآية.

(١١٥) قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته مقبلاً من مكة إلى المدينة حيث توجهت به، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

رواه أحمد ٢/ ٧، ٣٨، ٧٥، ٢٠/ ٤١، ومسلم في باب جواز صلاة النافلة على الدابة ٥/ ٢٠٩، والترمذي ٢٧٦٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٨٢ كلاهما في التفسير، وابن جرير ١/ ٥٠٣.

وعن عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبـي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندرِ أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

رواه الترمذي ٣٠٨ في الصلاة، وفي التفسير ٢٧٦٦، وابن جرير ١/ ٥٠٣، ٥٠٤، وحسَّنه الترمذي، وللحديث طرق وشواهد يشد بعضها بعضًا كما قال ابن كثير.

ظاهر الحديثين أن الآية نزلت لسببين ولا مانع من ذلك كما في سور

وآيات أخر وإن كان السبب الأول وهو الأصح، علمًا بأن كلا القولين قال بهما جمع من المفسرين، وبناءً على ما في الحديثين يستفاد منهما أمران اثنان:

أولهما: مشروعية صلاة النافلة على المركوب والاستقبال لأي جهة ويسقط شرطية استقبال القبلة، وبهذا قال عامة أهل العلم لصحة ذلك من فعل النبي ﷺ.

ثانيهما: صحة صلاة من أخطأ القبلة في صلاة الفريضة وتوجه باجتهاد منه لجهة من الجهات، ولا ينبغي أن يختلف في هذا أيضًا للعمل عليه عند الأكثر، ولحديث عامر المذكور.

يبقى ما المراد بقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾؟ قال شيخ المفسرين ابن جرير ١/ ٥٠٤، ومعنى الآية إذًا: ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته، فولوا وجوهكم أيها المؤمنون نحو وجهي، فإنكم أينما تولوا فهناك وجهي. قال: فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم والمراد الخاص، وذلك أن قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ محتمل أينما تولوا في حال سيركم في أسفاركم في صلاتكم التطوع، وفي حال مسايفتكم عدوكم، في تطوعكم ومكتوبتكم فثمَّ وجه الله، كما قال ابن عمر والنخعي ومن قال ذلك مما ذكرنا عنه آنفًا، ومحتمل فأينما تولوا من أرض الله فتكونوا بها فثمَّ قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها.. ويأتي مزيد في القبلة قريبًا.

(١١٦) **قوله تعالى**: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله

تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا». وفي رواية: «فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول خلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفوًا أحد».

رواه أحمد ٢/ ٣١٧، ٣٩٣، ٣٩٤، والبخاري في بدء الخلق رقم ٣١٩٣، وفي التفسير ٩/ ٢٣٤، والنسائي في الجنائز من المجتبى، وفي النعوت من الكبرى ٤/ ٣٩٥ وغيرهم.

قوله: وشتمني، سمَّاه شتمًا لأن فيه تنقيصًا لله عزَّ وجل، فإن الولد يستلزم والدة، وهي طبعًا تستلزم ناكحًا... وكل ذلك محال على الله تعالى، فمن نسب ذلك إليه تعالى فقد شتمه.

واتفقوا أن هذه الآية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فيمن زعم أن لله عزَّ وجل ولدًا من يهود خيبر، ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب: الملائكة بنات الله، فرَّد الله تعالى عليهم. أفاده الحافظ، وهذا لا ينفي عموم الآية في كل المشركين.

(١٢٥) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

رواه أحمد ١/ ٢٣، ٢٤، ٣٦، والبخاري في الصلاة ٢/ ٥١، وفي تفسير البقرة ٩/ ٢٣٥، وفي الأحزاب ١٠/ ١٤٦، وفي التحريم ١٠/ ٢٨٦، والترمذي في التفسير ٢٧٧٠، ويأتي مطولاً.

هذا من جملة موافقات سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه التي وافق فيها نزول القرآن. وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ . . .﴾ إلخ، المقام هو الحجر المنزل من الجنة الذي كان يقف عليه خليل الرحمن عند بنائه الكعبة، وهو الموجود هنالك أمام الكعبة المشرفة وعنده وخلفه أو حذاءه تشرع صلاة الطواف.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ بكسر الخاء.

رواه أبو داود في الحروف ٣٩٦٩ بسند صحيح، وفي حديث جابر الطويل في صفة الحج: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾». رواه مسلم في الحج. وجمهور القراء قرأوا: واتخِذوا بكسر الخاء على الأمر، وقرأ نافع وابن عامر بفتحها وكلتاهما متواترة.

(١٢٦) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودَعَا لَهَا، وحرَّمتُ المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».

رواه البخاري في البيوع وغيره، ومسلم في الحج ٩/ ١٣٤.

وعن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللَّـهمَّ بارك

لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدنا، اللّٰهمَّ إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة. . . » الحديث.

رواه مسلم في الحج باب فضل المدينة، رقم ١٣٧٣، والأحاديث في الموضوع كثيرة عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأنس، وابن عباس، وعن أبي شريح وعن صفية بنت شيبة وغيرهم، وكلها في الصحيحين أو أحدهما.

وفي الآية الكريمة إخبار عما دعا به الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام للحرم المكي وأهله من حصول الأمن والثمرات. وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد ذلك وتؤذن بدعاء النبي ﷺ للمدينة ورزقها بالبركة، وقد استجاب الله دعاءهما معًا، والطمأنينة وكثرة الثمار والبركة في الحرمين الشريفين ظاهرة ملموسة.

(١٢٧) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر. .»، فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلّا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

رواه أحمد ٦/ ١١٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٤٧، والبخاري في الحج وفي التفسير ٩/ ٢٣٦، ٢٣٧، وفي كتاب الأنبياء، ومسلم في الحج باب نقض الكعبة ٩/ ٨٨، والنسائي في الحج من المجتبى، وفي العلم من الكبرى ٣/ ٣٥٤، ٤٥٥ وغيرهم.

القواعد جمع قاعدة، والمراد به أساس البيت.

ومعنى الحديث أن قريشًا لما هدموا الكعبة وجددوا بناءها لم يجعلوها كلها على أساس إبراهيم بل اقتصروا على قاعدتين منها وهما الركنان اليمانيان، أما اللذان يليان الحجر فغيروهما وأخرجوا الحجر من البيت، فأخبر النبي ﷺ عائشة: لولا أن قريشًا حديثو عهد بالكفر لهدمها وردها لأصلها على قواعد إبراهيم، وقال كما في رواية للبخاري في العلم: «لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين بابًا يدخل منه الناس وبابًا يخرجون منه». ففعل ذلك ابن الزبير أيام خلافته، ولما قتل أعادها عبد الملك بن مروان إلى ما كانت عليه. والأمر لله من قبل ومن بعد. . .

وأخذ العلماء من حديث عائشة هذا أن المصلحة إذا عارضتها مفسدة قدم الأهم منهما، وهي قاعدة عامة معروفة يدخل تحتها جزئيات كثيرة. .

(١٢٩) قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾.

عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنِّي عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى، ورؤيا أمِّي التي رأتْ، وكذلك أمهات النبيِّين يَرَيْنَ، وإن أمَّ رسول الله ﷺ رأتْ حينَ وضعته نورًا أضاءت له قصورُ الشام».

رواه أحمد ٤/ ١٢٧، وابن حبان في صحيحه ٦٤٠٤ مع الإحسان، والحاكم ٢/ ٦٠٠، وابن جرير ١/ ٥٥٦، وابن أبي عاصم في السنة ٤٠٩، والطبراني في الكبير والبزار وغيرهم من طرق بعضها حسنة صحيحة. وله شاهد قوي عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى. . .» الحديث. رواه ابن إسحاق في السيرة ١/ ١٧٥،

والطبري في التفسير ١/ ٥٥٦، والحاكم ٢/ ٦٠٠، وصححه ووافقه الذهبي كالأول.

فهذا الحديث مطابق للآية الكريمة، حيث أخبرا بأن الخليل وولده إسماعيل عليهما الصَّلاة والسَّلام دَعَوَا الله عزَّ وجل ببعثة رسول من بنيهما يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي الدين الذي لا يعرفون إلاَّ به ﷺ، ويزكيهم، أي يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه.

وقوله في الحديث: إني عند الله، في رواية: عبد الله، بالباء. وقوله: لمنجدل، أي منطرح.

(١٣٦) **قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا... ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٣٧، وفي الاعتصام وفي التوحيد رقم ٧٥٤٢، ويأتي أيضًا في العنكبوت.

الحديث يدل على أننا مع أهل الكتاب إذا حدثونا عن كتبهم لا نصدقهم ولا نكذبهم، لأن ما يقولونه يحتمل أن يكون صحيحًا على أصله، ويحتمل أن يكون كذبًا من الذي بدلوه وافتروه، وهذا فيما لا يكون مخالفًا للفطرة أو الدين المتفق عليه بين الأنبياء أو لديننا، وإلاَّ كذبناهم فيه ورددناه عليهم، وما لا نعلمه نقول لهم فيه ما أرشدتنا إليه الآية الكريمة: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا... ﴾ الآية.

وفي الآية إرشاد لنا بأن نؤمن بالله وما أنزل إلينا بواسطة رسولنا ﷺ

مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص تعالى على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا نفرق بينهم فنؤمن بالبعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعل اليهود فإن ذلك كفر بالإجماع. والأسباط هم قبائل بني إسرائيل الذين تناسلوا من أولاد يعقوب، وقد كان منهم أنبياء ورسل صلوات الله وسلامه على جميعهم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا . . .﴾ الآية، والأخرى بـ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل: ٥٢]، وفي رواية: كان يقرأ في الأولى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ التي في البقرة، وفي الثانية: التي في آل عمران: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

رواه مسلم ٦/ ٥، ٦، وأحمد ١/ ٢٦٥، غير أن في رواية أحمد: بخواتيم سورة البقرة.

والحديث فيه مشروعية قراءة ما ذكر في ركعتي الفجر وهو قول جمهور الأئمة.

﴿١٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول:

من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله عزَّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، والوسط العدل». وفي رواية: «فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ أن الرسل قد بلغوا فصدقناه».

رواه أحمد ٣/ ٣٢، ٥٨، والبخاري في بدء الخلق، وفي التفسير ٩/ ٢٣٨، ٢٣٩، وفي الاعتصام، والترمذي ٢٧٧٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٢، كلاهما في التفسير، والرواية الثانية للنسائي.

في الآية والحديث شرف الأمة المحمدية وفضلها حيث جعلها الله عزَّ وجل خيارًا عدولاً وأنها ستشهد يوم القيامة على الناس.

وقوله عزَّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾، أي كما هديناكم إلى الإسلام وإلى طريق الله القويم، كذلك جعلناكم أمة خيارًا عدولاً تستحقون الشهادة على غيركم.

١٤٣ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: . . . وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول القبلة رجال قتلوا لم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩١، ونحوه عن ابن عباس رواه الترمذي ٢٧٧٥ بسند صحيح على شرط مسلم.

قوله: ليضيع إيمانكم، أي صلاتكم، فأطلق الإيمان على الصلاة لأنها جزء منه، على قول جماعة من السلف وغيرهم القائلين بأن العمل شرط للإيمان، والموضوع فيه كلام.

(١٤٤) قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ الآية، فوجه نحو الكعبة، وكان يحب ذلك، فصلَّى رجل معه العصر، قال: ثم مرَّ على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة. قال: فانحرفوا وهم ركوع.

رواه البخاري في الإيمان، وفي الصلاة، وفي خبر الواحد، وفي التفسير ٩/ ٢٣٧، ٢٣٨، ومسلم في المساجد في تحويل القبلة ٥/ ٩، ١٠، والترمذي ٣٠٥ في الصلاة، وفي التفسير ٢٧٧٣، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٦/ ٢٩٠، وابن ماجه ١٠١٠، غير أنه عند مسلم: حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾، فمر رجل من بني سَلِمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة.

رواه مسلم في المساجد ٥/ ١٠، ١١، وأبو داود ١٠٤٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٢ وغيرهم، ونحوه عن ابن عمر في الصحيحين غير أن لفظه: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

في هذه الأحاديث وقوع النسخ وتبديل الأحكام، وكانت القبلة من أول ما نسخ. ولما حولت القبلة قال اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وكان الله عزَّ وجل قد أخبر بما سيقوله هؤلاء وسماهم سفهاء، حيث قال: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ . . . ﴾ الآية. والسفهاء هنا هم ضعفاء العقول من اليهود، وكان في هذه الآية معجزة باهرة، حيث أخبر الله بمقولتهم قبل وقوعها فكانت كما أخبر.

انظر على هذه الآية: البخاري رقم ٣٩٩ في الصلاة، وكبرى النسائي ٦/ ٢٩٠ وغيرهما.

واختلف العلماء في أول صلاة جاء فيها النسخ للقبلة فذكر غير واحد من المفسرين كما قال ابن كثير أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ﷺ وقد صلى ركعتين من الظهر، وذلك في مسجد بني سَلِمة، فسمي مسجد القبلتين، وصحح هذا القول جماعة. وقال آخرون: كانت صلاة العصر لظاهر حديث البراء المذكور في الباب، بيد أنه غير صريح في ذلك لأنه يحتمل أن بعض الصحابة وصلهم ذلك في صلاة العصر والبعض الآخر في صلاة الصبح بعد أن صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح للكعبة. والأمر سهل.

وقوله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ . . . ﴾ إلخ، أي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾، أي فلنجعلك موليًا إلى جهتها أو فلنعطينك ذلك.

وقوله: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ﴾، أي: اجعل تولية وجهك تلقاء وجهة المسجد الحرام أي الكعبة، والمراد بالشطر هنا الجهة. ولا خلاف بين العلماء أن استقبال الكعبة شرط في صحة الصلاة لجميع أهل الأرض، فعينها

للمعاين وغيره يستقبل الجهة والناحية، وللقبلة علامات في سائر أنحاء المعمور معروفة بالكواكب السيارة والثوابت.

وفي أحاديث الباب قبول خبر الواحد في أمور الديانة ولا خلاف في ذلك بين عامة العلماء، وإنَّما اختلفوا في العمل به في العقائد، والصحيح قبوله عند المحققين، وفيها: أن من عمل بالمنسوخ قبل العلم بالناسخ كان على حق وصواب ولا لوم عليه.

(١٥٢) **قوله تعالى**: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إلي ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.

رواه أحمد ٢/ ٢٥١، ٤١٣، ٤٨٠، ٥٠٠، ٥٣٥، وفي مواضع، والبخاري في التوحيد ١٦/ ١٥٥، ١٦٠، ومسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٦٧٥، والترمذي في الدعوات ٣٣٧٠، وابن ماجه في الأدب، رقم ٣٨٢٢ وغيرهم. وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

الحديث من أحاديث الصفات فيجب الإيمان بما فيه ونكل حقيقة ما ذكر فيه إلى الله عزَّ وجل فإنه ليس كمثله شيء.

والشاهد منه أن الله عزَّ وجل يذكر عبده إذا ذكره، ولا ندري كيف يذكره وإن تضاربت في ذلك أقوال المفسرين، فإن ذلك من عالم الغيب لا نحوم حوله.

(١٥٥) (١٥٦) **قوله تعالى**: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
(١٥٧) رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّٰهم آأْجُرني في مصيبتي ــ وفي رواية: اللّٰهم عندك أحتسب مصيبتي فأْجرني فيها ــ وأخلف لي خيرًا منها؛ إلاَّ آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها». فلما توفي أبو سلمة قلت: من هو خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ قالت: ثم عزم الله لي فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ.

رواه أحمد ٦/ ٣٠٩، ومسلم ٦/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.

المصيبة هي كل ما يصاب به الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله مما يسوءه ويؤلمه حتى الشوكة يُشاكها والهم يحزنه، فإذا أصيب بشيء من ذلك فليفزع إلى ما أرشد إليه القرآن والسنة النبوية من الاسترجاع فإنه إن فعل ذلك لا بد وأن يثيبه الله عزَّ وجل على ذلك ويخلف له خيرًا مما نزل به، يضاف إلى ذلك ما سيغمره من صلوات الله ورحمته.

(١٥٨) قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾.

عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية، فما أرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل اللّٰه عزَّ وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا... ﴾ الآية.

رواه أحمد ٦/ ١٤٤، ١٦٢، ٢٢٧، والبخاري في الحج وفي التفسير ٩/ ٢٤٢، ومسلم في الحج ٩/ ٢٢، ٢٣، ٢٤، وأبو داود ١٩٠١، والترمذي ٢٧٧٦، والنسائي ٦/ ٢٩٣ كلاهما في التفسير.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سئل: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾، وفي رواية: كنا نرى ذلك من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ... ﴾ الآية، وفي رواية: كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ... ﴾ الآية.

أخرجه البخاري في الحج وفي التفسير ٩/ ٢٤٢، ومسلم في الحج ٢٤، والترمذي ٢٧٧٧.

الصفا والمروة جبلان عند المسجد الحرام هما من شعائر الله، أي من أعلام دينه، ولذلك كان السعي بينهما من أهم فرائض الحج والعمرة بإجماع المسلمين. وقوله: ومناة، هو صنم كان لهذيل وخزاعة. قوله: يتحرجون، أي كانوا لا يسعون بينهما خروجًا من الحرج والإثم.

ويؤخذ من الحديثين تجنب شعائر الجاهلية والابتعاد عن أعمالهم ومراسمهم لأنها من وحي الشيطان، فلنقارن بين أصحاب رسول الله ﷺ وبين مسلمي عصرنا حيث أجمعوا ـ إلاَّ من رحم الله ـ على اتباع الكفار في جميع عجرهم وبجرهم حتى في الخارجة عن الإنسانية والملحقة بالحيوانات.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو

يقول: «إن الصفا والمروة من شعائر الله، ثم قال: أبدأ بما بدأ الله به. . . » الحديث.

رواه أحمد ٣/ ٣٢٠، ومسلم في الحج ٨/ ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨ في حديثه الطويل في الحج.

فيه مشروعية قراءة هذه الآية عند إرادة السعي وأن يقال: نبدأ أو أبدأ بما بدأ الله به، ثم يبدأ بالصفا. . . إلخ.

(١٥٩) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الناس يقولون أكثَرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾، إلى قوله: ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

رواه أحمد رقم ٧٢٧٣، ٧٢٧٤، ٧٦٩١، والبخاري في العلم ١/ ٢٢٤، وفي البيوع وفي الزراعة، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٥٢، ٥٣، ٥٤.

الصفق بسكون الفاء، هو الضرب على اليد، وهو كناية عن البيع والشراء.

وفي الحديث ما كان عليه أبو هريرة من حفظه للحديث النبوي، واعتنائِهِ به والرغبة فيه، ثم تحديثه به ونشره بين المسلمين. ولذا قال الشافعي رحمه الله تعالى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره. ولا يوجد في الصحابة من يقاربه في حفظه وإكثاره. وفي الحديث أيضًا وجوب تبليغ الشريعة وذم الكاتمين البخلاء بالعلم وأنهم ملعونون يلعنهم الله وملائكته. . . غير أن هذا يكون عند كتم ما وجب بيانه عند السؤال ونحوه؛

للحديث الصحيح: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيام بلجام من نار». رواه أبو داود وغيره.

(١٦٥) قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ (١٦٥) ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ كلمة، وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو مع الله ندًّا دخل النار»، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.

رواه أحمد ١/ ٣٧٤، ٤٦٢، ٤٦٤، والبخاري في الجنائز وفي التفسير ٩/ ٢٤٢، ومسلم في الإيمان ٢/ ٩٢، ٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٤ وغيره.

ما في الحديث متفق عليه بين أهل السنة لا خلاف فيه بينهم، خلافًا للخوارج والمعتزلة القائلين بخلود صاحب الكبيرة في النار.

والند بكسر النون، هو الشريك والنظير، فكان المشركون يتخذون الشركاء لله ويحترمونهم ويقدسونهم ويحبونهم كمحبة المؤمنين لله تعالى.

(١٦٨) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
(١٦٩) ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) ﴾.

عن عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...» الحديث.

رواه أحمد ٤/ ١٦٢، ٢٦٦، ومسلم في ذكر الجنة والنار ١٧/ ١٩٧.

قوله: نحلته بفتح الحاء، أي أعطيته من النحلة، قوله: حنفاء أي على الفطرة مستعدين لقبول الهداية، قوله: فاجتالتهم الشياطين، أي استخفوهم وذهبوا بهم وأزالوهم على ما كانوا عليه.

والحديث موافق للآية الكريمة في أن الله عزَّ وجل جعل ما في الأرض حلالاً لعباده مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان، ولا للعقول، لكن الشياطين جاءتهم فحرمت عليهم الحلال وأحلَّت لهم الحرام، وغيرت عقائدهم وأضلتهم عن الفطرة، وأمرتهم بالشرك بالله وعبادة غيره، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي لا تتبعوا آثاره فإنه عدو لكم ظاهر العداوة ولا يأمركم إلاَّ بما يسوءكم ويحزنكم في الحال والمآل، ويحملكم على ارتكاب الفواحش وعلى كل ما عظم وقبح من المعاصي، كما أنه يأمركم بتحريم ما أحل الله تعالى لكم من البحائر والسوائب. . . إلخ.

(١٧٢) **قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك».

رواه أحمد ٢/ ٣٢٨، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٠٠، والترمذي في التفسير ٢٧٩٨، والدارمي ٢٧٢٠.

في الآية الكريمة امتنان من الله عزَّ وجل على عباده بما أعطاهم من

طيبات الرزق، وأرشدهم إلى الأكل من ذلك وأن يشكروه على ما أولاهم.

أما الحديث فيدل على أنه تعالى طيب ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً، وأنه لا يقبل من عباده إلاَّ ما كان حلالاً طيبًا، وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين في ذلك، وفي الحديث أيضًا أن كل من كان يعيش بالحرام أكلاً وشربًا... فلا تستجاب دعوته وإن تقشف وتذلل وتضرع وأطال السفر للحج أو الجهاد... لأنه أضاع الأصل الذي هو طيب العيش.

(١٧٨) **قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان القصاص في بني إسرائيل، ولم يكن فيهم الدية، فقال الله تبارك وتعالى لهذه الأمة: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ... ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ... ﴾ الآية، فالعفو أن تقبل الدية في العمد، واتباع بالمعروف أن تتبع هذا بمعروف وتؤدي هذا بإحسان فخفف عن هذه الأمة... ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. قتل بعد قبول الدية.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٤٣ وفي الديات، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/ ٢٩٥، وابن حبان في صحيحه ٧/ ٦٠١ بالإحسان، والبيهقي ٨/ ٥١، ٥٢ وغيرهم.

القصاص هي المساواة والمماثلة في القتل والجراح والدية.

وفي الآية الكريمة دليل على شرعية العفو في القتل وأخذ الدية، وإن ذلك من تخفيف الله على هذه الأمة ورحمته بها، وقد كان عند اليهود قصاص بلا عفو، وعند النصارى عفو بلا دية، فجمع الله تعالى لهذه الأمة الأنواع الثلاثة.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن الرُّبيّعَ عمته كسرت ثنية جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا، فعرضوا الأرش فأبوا، فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلاَّ القصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيِّع؟ لا، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه».

رواه أحمد ٣/١٢٨، ١٦٧، ٢٨٤، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٤٣ وفي الجهاد، ومسلم في القسامة ١١/ ١٦٢، وأبو داود ٤٥٩٥، والنسائي في القسامة وابن ماجه ٢٦٤٩.

الأرش بفتح الهمزة، الدية.

وفي الحديث وجوب القصاص في الأطراف وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥]. وفيه كرامة الأولياء، فإن أنس بن النضر لما حلف أن لا تكسر ثنية الربيِّع أبرَّ الله قسمه ولم يحنثه إكرامًا له. وتوجيه حلفه على عدم القصاص بيَّنه النووي في شرح مسلم فليراجع ١١/ ١٦٢.

(١٨٠) قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ (١٨٠) ﴾.

عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث».

رواه أحمد ٤/ ١٨٦، والترمذي ١٩٥٣، والنسائي في الكبرى ٤/ ١٠٧، وابن ماجه ٢٧١٢، والبيهقي ٦/ ٢٥٦ بسند صحيح، وله شواهد صحيحة، بل قال الشافعي في الأم إنه متواتر نقل كافة عن كافة، وذكر غير واحد أنه وقع الإجماع على مضمونه يعنون عدم الوصية للورثة. . .

الآية الكريمة منسوخة بهذا الحديث وبآية المواريث بعد أن كانت الوصية للوالدين والأقارب واجبة. نعم بقيت للأقارب غير الورثة بالإجماع.

١٨٣ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فنزل صوم رمضان هو الفريضة، فمن شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء ترك.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٤٥، ومسلم في الصيام، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٢٩٥، وعن ابن عمر نحوه رواه البخاري وغيره.

أجمع المسلمون على أن الواجب في الصيام هو رمضان، وإن عاشوراء نسخت فرضيته وبقي الاستحباب. وفيه مع الآية الكريمة أن الصيام كان واجبًا على من قبلنا غير أنه كان عليهم شاقًّا، أما هذه الأمة فهو عَوْنٌ لهم على التقوى وَجُنَّة لهم من المعاصي ومن النار.

١٨٤ قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
١٨٥ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ
فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ
ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾، كان من أراد أن يطعم ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٤٧، ومسلم ٨/ ٢٠، والترمذي ٧٠١، وأبو داود ٢٣١٥، والنسائي في المجتبى كلهم في الصيام، ورواه هذا في الكبرى أيضًا ٦/ ٢٩٥، والبيهقي ٤/ ٢٠٠.

الحديث ظاهر في أن الآية منسوخة، وهو قول عامة العلماء، وقد كان الصيام في الأول مفروضًا على التخيير، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا عن كل يوم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، تحتم الصيام وارتفع التخيير.

(١٨٥) **قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدِّينَ يُسْرٌ، ولن يُشَادّ الدين أحدٌ إلاَّ غلبه...» الحديث.

رواه البخاري في الإيمان ١/ ١٠١، ١٠٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٨، ٣٤٩.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعا ولا تختلفا».

رواه أحمد ٤/ ٤١٢، ٤١٧، والبخاري في مواضع المغازي ٩/ ١٢٣، والأحكام ١٦/ ٢٨٥، ومسلم في الجهاد ١٢/ ٤٠، ٤١ وغيره، ورروياه عن أنس: خ في العلم ١/ ١٧٢، وم في الجهاد ١٢/ ٤٢.

في الحديثين دليل على أن دين الإسلام مبني على التيسير والتخفيف ونفي الحرج والتضييق والتشديد إلاَّ في مناسبات عارضة.

وعنه ﷺ قال: «بُعثتُ بالحنيفية السمحة»، أي الشريعة السهلة.

رواه أحمد ٥/ ٢٦٦، ضمن حديث، وفيه أيضاً: «خير دينكم أيسره»، وسنده صحيح.

فالله عزَّ وجل يريد بنا اليسر والترخيص والتسهيل لا التعسير

والتشديد، ولذلك ما سلك أحد طريق التشديد إلاَّ كانت عاقبته الملل والفتور والرجوع إلى الوراء.

(١٨٦) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾.

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفًا ولا نعلو شرفًا ولا نهبط واديًا إلاَّ رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: «يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تَدْعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون، سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته...»، وفي رواية: «إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم».

رواه أحمد ٤/ ٤٠٢، ٤١٨، والبخاري في القدر ١٤/ ٣٠٣، وفي الجهاد وفي الدعوات، ومسلم في التوبة ١٧/ ٢٥، ٢٦، ٢٧، وأبو داود وغيرهم.

قوله: شرفًا، أي موضعًا مرتفعًا، قوله: اربعوا بهمزة وصل مع فتح الباء، أي ارفقوا بأنفسكم.

وفي الآية والحديث بيان أن الله معنا قريب، بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد أول هذا القرب بالعلم، والأولى إبقاؤه على ظاهره مع نفي الحلول والتشبيه، ومقام الربوبية عظيم لا يدرك كنهه ولا تتصوره العقول، فليس كمثله شيء... وفي الآية دليل على أن من دعا الله ولو في نفسه سمعه وأجاب دعاءه، وهذا من اليقينيات.

(١٨٧) قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ .

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضره الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ . . .﴾، ففرحوا بها فرحًا شديدًا.

رواه أحمد ٤/ ٢٩٥، والبخاري ٥/ ٣١، ٣٢، وأبو داود ٢٣١٤، والترمذي ٢٧٧٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٧ وفي المجتبى.

وفي رواية للبخاري وغيره: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ .

وجاء في سبب نزول الآية ما ذكر عن جماعة عن كعب بن مالك، رواه أحمد وابن جرير وغيرهما بسند حسن في الشواهد بلفظ: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من عند النبي ﷺ ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأيقظها وأرادها فقالت: إني قد نمت، فقال: ما نمت، ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ . . . وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس ومراسيل عن جماعة، انظر: ابن جرير والدر المنثور.

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ هنا المراد به الجماع. وقوله: ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، أي تخونونها بمقارفة الجماع ليلة الصيام. وقوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾، أي اطلبوا

بمباشرة نسائكم ونكاحهن ما كتب الله لكم من الولد، ولا يكون قصدكم مجرد قضاء الشهوة.

وفي هذه الآية نعمة عظيمة على المسلمين ورحمة بهم بعد امتحانهم وتحريم الطعام والشراب وقربان النساء ليالي رمضان، وكان في ذلك مشقة عظيمة وعنت بالغ.

(١٨٧) قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾.

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾، ولم ينزل ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود. ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ﴿ مِنَ الْفَجْرِ... ﴾ فعلموا إنما يعني بذلك الليل والنهار.

رواه البخاري في الصيام وفي التفسير ٩/ ٢٤٩، ومسلم في الصيام ٧/ ٢٠١، ٢٠٢.

وعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾، قال عدي بن حاتم: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالاً أبيض، وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٤٩، ومسلم في الصيام ٧/ ٢٠٠، وأبو داود ٢٣٤٩، والترمذي ٢٧٨١، والنسائي ٦/ ٢٩٦، ٢٩٧ كلاهما في التفسير.

قوله: عقال، هو الحبل الذي يشد به البعير ونحوه. قوله: وسادك لعريض، أي نومك لعريض، فهو من باب الكناية، وقيل غير ذلك.

وفي الحديثين مع الآية الكريمة بيان لنهاية الأكل والشرب في ليالي رمضان، وأن ذلك يبقى حتى يبدو ظاهرًا بياض النهار من سواد الليل وهو الفجر الصادق الذي يمتد يمينًا وشمالاً جهة الشروق. وفي الحديثين بيان أن النصوص الشرعية تحمل على ظواهرها اللغوية وحقائقها حتى يأتي البيان الشرعي.

(١٨٧) **قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزَّ وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده.

رواه البخاري ٥/ ١٧٧، ومسلم ٨/ ٦٧، ٦٨، وأبو داود ٢٤٦٢، والترمذي ٧٠٥ وغيرهم.

الاعتكاف في اللغة هو اللزوم، وفي الإسلام لزوم بيت من بيوت الله لعبادته، وله شروط وأحكام تتعلق به مذكورة في مظانها. وانظر: إتمام المنة ٤٧٥ لكاتبه.

(١٨٨) **قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي.

رواه أحمد ٢/ ١٦٤ وفي مواضع، وأبو داود ٣٥٨٠، والترمذي ١٢١١، وابن ماجه ٢٣١٣، والحاكم بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم والذهبي. ورواه أحمد ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، والترمذي ١٢١٠، وابن حبان ١١٩٦ بالموارد وغيرهم. وفيه زيادة: «في الحكم»، وللحديث شواهد.

الراشي الذي يدفع الرشوة، والمرتشي آخذها. وجاء في رواية عند

أحمد من رواية ثوبان زيادة والرائش، وهو الواسطة الماشي بينهما.

وهو يدل على تحريم الرشوة وأن كلًّا من الثلاثة تشملهم لعنة الله عياذًا بالله، لأن ذلك سبب لأخذ أموال الناس بغير حق والحكم بالظلم والجَور. وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾، أي تدفعوها إلى الحكام رشوة ليعينوكم على أخذ طائفة من أموال الناس بأن يحكموا لصالحكم ظلمًا وعدوانًا.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فإن قضيت لأحد منكم بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له من النار، فلا يأخذ منه شيئًا».

رواه البخاري في الأحكام ١٦/ ٢٩٦، ومسلم في الأقضية ١٢/ ٥، وباقي الجماعة.

قوله: ألحن، أي أبلغ وأبين وأقدر على الكلام وبيان الحجة ولو بالباطل.

والحديث يدل على أن حكم الحاكم لا يحل حلالاً ولا يحرم حرامًا، وإنما العبرة بالواقع، فإذا حكم الحاكم على بينة جائرة فالحكم باطل عند الله تعالى ولو وقع تنفيذه، والذي يأخذه المحكوم له هو قطعة من النار، أخذه بالباطل من أخيه المسلم. وفي الآية الكريمة تحريم أخذ أموال الناس بأي طريق كان إلاَّ بحق شرعي.

١٨٩ **قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله الأهلة مواقيت للناس، فصوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يومًا».

رواه عبد الرزاق في الصيام من المصنف ٧٣٠٦، والحاكم ١/ ٤٢٣، وصححه

على شرطهما، ووافقه الذهبي، وله شاهد عن طلق بن علي، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٢٢، والطبراني وغيرهما.

وعن ابن عباس، قال: سأل الناس النبي ﷺ عن الأهلة فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ . . . ﴾ إلخ، جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم ولحجهم ومناسكهم، ولعدة نسائهم ومَحِلِّ دَيْنِهِم.

أخرجه ابن جرير ٢/ ١٨٥ وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٢، وجاء مثله عن جماعة من المفسرين: قتادة وأبي العالية ومجاهد وغيرهم، ولا خلاف بينهم في ذلك.

وسؤال الناس كان عن سبب صغر الهلال وكبره، فأجابهم الله عزَّ وجل عن حكمة تجدده كل دورة من دوراته في فلكه وأن ذلك هو المقصود الأهم الذي ينبغي الاهتمام به والسؤال عنه.

(١٨٩) قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عيِّر بذلك، فنزلت: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا . . . ﴾ الآية. وفي رواية: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ . . . ﴾ إلخ.

رواه البخاري في الحج وفي التفسير ٩/ ٢٤٩، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٦١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٧، ٢٩٨.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت قريش يُدعَون الحُمْس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من الأبواب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان فخرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر، إنه خرج معك من الباب، فقال: ما حملك على ذلك؟

قال: رأيتك فعلت ففعلت، فقال: إني أحمس، قال: إن ديني دينك، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ. . . ﴾ إلخ.

رواه الحاكم ١/ ٤٨٣ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو على شرط مسلم فقط، وكذا رواه ابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣.

الحُمس بضم الحاء وسكون الميم، جمع أحمس وهو المتشدد في الدين.

هكذا كان أهل الجاهلية يبتدعون أمورًا من عندهم ويعدونها من البر والخير، وهي مجرد وحي من الشيطان، فعرفهم الله عزَّ وجل بأن الدخول للبيوت من ظهورها أو أبوابها لا دخل له في البر، وإنما البر هو تقوى الله عزَّ وجل بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

١٩١ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾.

عن أبي شريح العدوي رضي الله تعالى عنه قال لعمرو بن سعيد: إيذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب.

رواه البخاري في الحج ٤/ ٤١٣، ٤١٦ وغيره، ومسلم في الحج أيضًا ٩/ ١٢٧، ١٢٨ وغيرهما، وفيهما عن ابن عباس بلفظ: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلاَّ ساعة من نهار. . .» الحديث، وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره.

في الحديثين وما في معناهما دليل على تحريم القتال في حرم الله المكي وأنه لا يحل لأحد أن يريق به دمًا، وإنما أباح الله تعالى لرسوله ﷺ القتال فيه ساعة من نهار يوم الفتح، ثم عادت حرمتها كما كانت. غير أن القرآن الكريم صرَّح بجواز قتال من قاتل فيه دفاعًا لا ابتداءً، وهكذا فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح فلم يقاتل أحدًا إلاَّ من قاتل. . . كما هو معروف. وههنا كلام طويل لا داعي لإيراده لأنه ليس من شروطنا.

(١٩٣) قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد ضُيِّعُوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، قالا: ألم يقل الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ؟﴾ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. وفي رواية: قال: ثكلتك أمك، أتدري ما الفتنة؟ إنما كان رسول الله ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة وليس يقاتلهم على الملك.

وفي رواية: أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عامًا وتعتمر عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عزَّ وجل وقد علمت ما رغب الله عزَّ وجل فيه، قال يا ابن أخي: بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلاة الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت، قال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾، قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتتن في دينه، إما

قتلوه وإما يعذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، أما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون. وفي رواية: هذه بنته حيث ترون.

رواه البخاري بالرواية الأولى والأخيرة في التفسير ٩/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٨ بالرواية الثانية. وعزاه في الدر المنثور مع البخاري لأبـي الشيخ وابن مردويه ١/ ٤٩٦.

قوله: فتنة ابن الزبير: يعني حربه مع بني أمية حيث كان استقل بالخلافة على الحرمين وما معهما دونهم، فكانت بينه وبينهم معارك أودت بانهزامه وقتله بالحرم الشريف على يد الحجاج الثقفي الطاغية المشهور. وكان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ممن لم يتدخل في ذلك واعتزل الفتنة، فجاءه بعض من كان مغرمًا بالفتن والطعن في الصحابة يلومه على تأخره ويأمره بالقتال، فأجابهم بما ذكر في الباب وعرَّفهم بأنهم يسعون في الفتنة والقتال على الملك والرياسة، لا كما كان عليه النبـي ﷺ وأصحابه في القديم.

وفي الحديث فضل الخليفتين سيدنا علي وسيدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما، وقد ذكرت ما تيسر من فضائلهما في كتاب فضائل الصحابة. والآية الكريمة تدل على وجوب قتال الكفار وخاصة الوثنيين واللادينيين حتى لا تبقى فتنة الكفر ويصبح الدين كله خالصًا لله عزَّ وجل لا يشاركه فيه أحد. . . والآية محكمة معمول بها إلى يوم القيامة.

وقد جاء في صحيح مسلم عنه ﷺ: «اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله. . .» الحديث. وفي الحديث المتواتر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلـه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله. . .» الحديث، واستثنى من

هذا العموم أهل الكتاب فيقاتلون حتى يعطوا الجزية ثم يقرون على دينهم . . .

﴿١٩٤﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلاَّ أن يُغْزَى وتَغْزُوا[1]، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ.

رواه أحمد ٣/ ٣٣٤، ٣٤٥ بسند صحيح.

الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، حرَّم الله تعالى فيها الظلم والقتال. . . وأمر باحترامها وكان ذلك معروفًا حتى عند أهل الجاهلية على ما كانوا عليه من النسيء فيها. وكان النبي ﷺ يحترمها ويعظمها ويأمر بمراعاتها، ولذلك فلم يكن يقاتل فيها حتى تنسلخ إلاَّ إذا قوتل، حتى إنه لما كان بالحديبية وبعث عثمان رضي الله تعالى عنه سفيرًا إلى أهل مكة وبلغه أنه قتل نادى في الصحابة بالبيعة استعدادًا لقتال كفار مكة رغم أنه كان شهر حرام، فلما جاء الخبر بسلامة عثمان عمد إلى مصالحتهم فشرطوا عليه أن يرجع العام ويأتي في العام المقبل، فكان كما اشترطوا، فاعتمر من قابل وكان في القعدة كسابقه فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ. . .﴾ إلخ، فيكون معناه: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ الذي دخلتم فيه مكة، ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الذي صددتم فيه عن دخولها.

وانظر: الدر المنثور ١/ ٤٩٧، ٤٩٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٨، ٣٢٩.

وقيل: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام، وكما هتكوا حرمة الشهر واستحلوا دماءكم فافعلوا بهم مثله. وهذا هو الموافق لهديه ﷺ وحديث الباب.

---

(١) يعني: يغزوه الكفار.

(١٩٥) قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾.

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾، قال: نزلت في النفقة.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥١.

وعن أسلم ابن عمران رحمه الله تعالى قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًّا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

رواه أبو داود في الجهاد ٢٥١٢، والترمذي في التفسير ٢٧٨٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٩٨، ٢٩٩، وابن حبان ١٦٦٧، بالموارد، والحاكم ٢/ ٢٧٥، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: من الروم، المراد بهم معروف.

وقوله: شاخصًا، أي لم يزل متنقلاً من بلد إلى بلد حتى دفن بإسطنبول وبه قبره إلى الآن رضي الله تعالى عنه.

والحديث كسابقه يدل على أن سبب نزول الآية الكريمة هو ترك النفقة والجهاد في سبيل الله وأن ذلك هو المراد بإلقائهم أيديهم إلى التهلكة، لأن ترك ما ذكر يتسبب عنه هجوم الأعداء على المسلمين وانتصارهم عليهم وانهزامهم أمامهم، كما حصل للمسلمين في هذه العصور المتأخرة. وأخذ بعض العلماء من حديث أبي أيوب مشروعية العمليات الاستشهادية ضد الأعداء، ولذلك أدلة كثيرة من السنَّة وآثار الصحابة.

١٩٦ **قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت: يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية، فقال: حجي واشترطي إن محلي حيث حبستني.

رواه البخاري في النكاح ١١/ ٣٥، ومسلم ٨/ ١٣١، ١٣٣ في الحج، ونحوه عن ابن عباس عند أحمد ١/ ٣٣٧، ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أحصر رسول الله ﷺ فحلق وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر عامًا قابلاً.

رواه البخاري في الإحصار من كتاب الحج ٤/ ٣٧٨.

وعن المسور رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق وأمر أصحابه بذلك.

رواه البخاري في الحج ٤/ ٣٨١ في الشروط، وفي الباب غير ما ذكرنا في خ ٤/ ٣٨١.

عامة المفسرين على أن الآية نزلت في عمرة الحديبية حيث منع كفار

قريش النبي ﷺ من دخول مكة فنحر هديه وحلق رأسه. . . وأمر أصحابه بذلك، وكان الصلح بينه وبين المشركين، فاتفق العلماء على أن كل من أحصر ومنع من الحج أو العمرة فعليه أن يحل ويهدي ويحلق، وألحق جماعة من الأئمة بالمحصر بالعدو كل مانع من إتمام الحج كمرض وسيول ونار وحيوان. . . ولا سيما إذا اشترط كما في حديث ضباعة المذكور.

(١٩٦) **قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.**

عن عبد الله بن معقل رحمه الله تعالى قال: قعدت إلى كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه في هذا المسجد ــ يعني مسجد الكوفة ــ فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا! أما تجد شاة؟» قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك»، فنزلت فيَّ خاصة، وهي لكم عامة.

رواه أحمد ٤/ ٢٤١، ٢٤٣، والبخاري في الحج وفي التفسير ٩/ ٢٥٢ وفي مواضع، ومسلم في الحج ٨/ ١١٨، ١٢١، والترمذي في التفسير ٢٧٨٣، وأبو داود ١٨٥٦ ــ ١٨٦١، والنسائي في المجتبى ٥/ ١٩٤، ١٩٥، وفي الكبرى ٦/ ٢٩٩، ٣٠٠، وابن ماجه ٣٠٧٩.

الحديث جاء مفسرًا للآية التي نزلت بسبب كعب، وذلك يدل على أن المحرم إذا احتاج إلى حلق رأسه أو كان به مرض أو حاجة فله أن يأتي ما منع منه، ثم عليه الفدية في ذلك إما صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة يتصدق بلحمها. والكلام في هذا مستوفًى في كتاب الحج.

(١٩٦) **قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾.**

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: نزلت آية المتعة في

كتاب الله تعالى، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات رسول الله ﷺ، قال رجل برأيه ما شاء.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥٢ وغيره، ومسلم في الحج، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٠.

المراد بالمتعة هنا متعة الحج وهي تقديم العمرة والتحلل منها ثم يحج من العام، وقد أخبر الله تعالى بها في هذه الآية تشريعًا لعباده، وأمر بها النبي ﷺ كل من لم يكن معه هدي من أصحابه وتمنى هو فعلها. وأحاديث مشروعيتها متواترة، ولتراجع خلاصة ذلك في كتاب إتمام المنة لكاتبه. ومن أحرم بالتمتع وجب عليه ما تيسر له من الهدي، فمن لم يتمكن منه لفقدانه أو فقدان ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام قبل عرفة، وسبعة إذا رجع لبلده. وقول عمران: قال رجل برأيه: يقصد به سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، فإنه كان له رأي واجتهاد في ذلك.

(١٩٧) قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٧)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لا يحرم بالحج إلاَّ في أشهر الحج، فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج.

رواه ابن خزيمة بسند صحيح، وقول الصحابة: من السنَّة كذا؛ في حكم المرفوع عند جمهور المحدثين.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلاَّ في أشهر الحج».

عزاه ابن كثير لابن مردويه، وقال: وإسناده لا بأس به. لكن روى الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل: أيهل

بالحج قبل أشهر الحج؟ فقال: لا. قال: وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع، ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوى بقول ابن عباس: من السنَّة أن لا يحرم بالحج إلَّا في أشهره. . .

اتفق جميع العلماء على أن أشهر الحج ومواقيته الزمانية هي شوال وذو القعدة وذو الحجة أي عشر منها. . . وكان ذلك معروفًا عند الجميع، ولذلك قال تعالى: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وحديث ابن عباس وجابر يدلان على أنه لا يصح الإحرام بالحج قبل وقته، وقد وقع خلاف في ذلك والصحيح عدم صحته لأنه مخالف للقرآن والسنَّة. . .

(١٩٧) **قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾.**

عن أبي العالية رحمه الله قال: كنت أمشي مع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو محرم وهو يرتجز بالإبل ويقول: «وهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسًا». فقلت: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما روجع به النساء.

رواه ابن جرير ٢/ ٢٦٣، والحاكم ٢/ ٢٧٦ وصححه، ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وفي رواية: رجع كيوم.

رواه البخاري ٤/ ١٢٥، ومسلم ٩/ ١١٩ وغيرهما.

الرفث في الآية والحديث هنا هو الجماع ومقدماته من: كلام، وغمز، وتقبيل، ومعانقة. . . وذلك محرَّم حالة الإحرام بالإجماع، والآية جاء فيها بلفظ النفي ومعناه النهي. أما الفسوق: فهو ارتكاب المعاصي ومنها السباب كما جاء في الصحيح عنه ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر». والجدال الخصام مع الرفاق وغيرهم. فقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ

ٱلْحَجِّ﴾، أي فمن أوجب بإحرامه حجًا فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل حالتئذٍ. . .

(١٩٧) قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، قال: كان ناس يحجون بغير زاد فنزلت: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟. . .﴾ الآية. وفي رواية: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟. . .﴾ الآية.

رواه البخاري في الحج ٤/١٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/٣٠٠، وابن جرير ٢/٢٧٩ وغيرهم.

المحققون على أن التوكل لا يكون مع السؤال، وأن التزود لا ينافي التوكل المطلق كسائر الأسباب، وهذا بالنسبة للزاد المادي، أما الزاد الأخروي فلا بد أيضًا منه وهو التقوى، ولذا قال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. وهو سبب لدخول الجنة، فالتوكل والاعتماد على الله في دخولها بلا عمل هو أمنية بل جهالة وسفاهة.

(١٩٨) قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا. . .﴾، في مواسم الحج.

رواه البخاري في الحج ٤/٣٤٢، ٣٤٤، وفي التفسير ٩/٢٥٢، وابن جرير ٢/٢٨٣، والحاكم ٢/٢٢٧ بنحوه، وعزاه ابن كثير إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

وعن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري فهل لنا حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعرف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم، فقلنا: بلى، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السَّلام بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ . . .﴾ إلخ، فقال النبي ﷺ: «أنتم حجاج».

رواه أحمد ٢/ ٢٥٥، وأبو داود في الحج ١٧٣٣، وابن جرير ٢/ ٢٨٢، والحاكم ١/ ٤٤٩، والبيهقي في الكبرى ٤/ ٣٣٣ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: عُكاظ بضم العين، سوق جاهلية كانت بين الطائف ونخلة. وقوله: مَجَنَّة بفتحات مع تشديد النون، سوق جاهلية ثانية أيضًا، وكان موقعها بمر الظهران، وقيل: بأسفل مكة. وقوله: ذو المجاز هي الأخرى سوق ثالثة لهم وكانت بناحية عرفة.

فكان أهل الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق أيام موسم الحج ويشربون الخمور ويفجرون ويتفاخرون، وقد يقضون فيها شهورًا قبل الموسم، فلما جاء الإسلام وعرفوا ما كانوا يصنعون بهذه الأسواق خافوا من الوقوع في الإثم إن اتجروا فيها أيام موسم الحج، فرفع الله عزَّ وجل عنهم الحرج، وأباح لهم طلب الربح والفضل بالتجارة ما داموا يؤدون مناسك الحج كاملة على وجهها الأتم. ولذلك قال ﷺ لذلك السائل الذي سأله عن الكري في الحج: «أنتم حجاج».

رواه أحمد وعبد الرزاق.

(١٩٨) قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾.

عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحج عرفة ــ ثلاثًا ــ فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك. . . »، الحديث سيأتي مطولاً.

رواه أحمد ٤/ ٣٠٩، ٣١٠، وأبو داود ١٩٤٩، والترمذي ٧٨٨، والنسائي ٥/ ٢١٤، وابن ماجه ٣٠١٦ بسند صحيح.

وعن عروة بن مُضَرِّس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حيث خرج إلى الصلاة، فقلت: يا رسول الله إني جئت من جبل طي، أكللت راحلتي وأتعبت نفسي، والله ما تركت من جبل إلاَّ وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال رسول الله ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه وقضى تفثه».

رواه أحمد ٤/ ١٥، وأبو داود ١٩٥٠، والترمذي ٧٨٩، والنسائي ٥/ ٢١٣، وابن ماجه ٣٠١٦، بسند صحيح.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «كل عرفات موقف، وارفعوا عن عرفات، وكل مزدلفة موقف، وارفعوا عن محسر، وكل فجاج مكة منحر».

رواه أحمد ٤/ ٨٢، ولا يضر ما قيل فيه من الانقطاع فإنه صحيح لشواهده.

وفي حديث جابر الطويل في صفة الحج عنه ﷺ أنه قال: ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف.

رواه مسلم في الحج ٨/ ١٩٥.

الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم للحج فمن فاته بطل حجه بالإجماع، ويصح الوقوف بها ليلاً ونهارًا كما في حديث عروة المذكور والسنَّة الجمع بين النهار وشيء من الليل كما فعل النبي ﷺ، فإنه بقي بها حتى غربت الشمس، ثم أفاض أي دفع منها حتى أتى مزدلفة ويقال لها جمع والمشعر

الحرام فصلى بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا بأذان وإقامتين، ثم رقد حتى طلع الفجر فصلى الصبح، ثم استقبل القبلة فلم يزل يدعو حتى أسفر جدًا فدفع قبل طلوع الشمس كما جاء في صفة حجه ﷺ عند مسلم ٨/ ١٨٩ . . .

وذكر الله عند المشعر الحرام يشمل صلاة العشاءين والصبح والدعاء بعده، واختلف السلف وغيرهم في المبيت بالمزدلفة، فقال قوم بأن ذلك ركن للحج، وقال آخرون: واجب ينجبر بالدم، وقال فريق ثالث: إنه سنة، وحط الرحال واجب، والذي نختاره القول الأول لقوة دليله، والله أعلم.

(١٩٩) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥٣، ومسلم ٨/ ١٩٧، وأبو داود ١٩١٠، والترمذي ٧٨٤، والنسائي في المجتبى، وابن حبان ١٧٣٠ بالموارد كلهم في الحج، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٠.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهل بالحج، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هدية من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك، أيَّ ذلك شاءَ، غير إن لم يتيسر له فعليه ثلاثةُ أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه، ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام، ثم ليدفعوا من عرفاتٍ إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعًا الذي يتبرّر فيه، ثم ليذكروا الله كثيرًا أو أكثروا التكبير والتهليل قبل أن

تصبحوا ثم أفيضوا، فإن الناس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ حتى ترموا الجمرة.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥٣ وهو من أفراده.

قوله: الحمس بضم الحاء وسكون الميم، سموا بذلك لتشددهم في دينهم كما كانوا يزعمون. ثم أفيضوا: الإفاضة الزحف والدفع بكثرة، والمراد هنا الدفع من عرفات إلى المزدلفة عشية يوم عرفة بعد الغروب.

والحديثان يدلان على أن الوقوف يكون بعرفة ثم الإفاضة منها إلى المزدلفة مع الناس كما كان عند العرب قبل الإسلام تبعًا لخليل الرحمن. وكان النبي ﷺ يقف معهم إلهامًا من الله، خلاف ما كانت عليه قريش ومن كان على دينهم حيث كانوا يقفون بالمزدلفة ولا يخرجون من الحرم، فلما جاء الإسلام خالفهم النبي ﷺ فوقف بعرفة وأفاض منها امتثالاً لأمر الله عزَّ وجل، ثم خالفهم ثانيًا بنزوله من المزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس من يوم النحر.

٢٠١ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾.

عن قتادة رحمه الله تعالى أنه سأل أنسًا رضي الله تعالى عنه أيّ دعوة كان أكثر يدعو بها النبي ﷺ؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

رواه أحمد ٣/ ١٠١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٧٧، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٥٤ وفي الدعوات، ومسلم في الذكر والدعاء ١٧/ ١٦ وغيرهما.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: فجمعت هذه الدعوة كل خير

في الدنيا وصرفت كل شر؛ فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك[1] دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والمحرمات.

٢٠٣ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

عن نُبَيْشة الهذلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله».

رواه أحمد ٥/ ٧٥، ومسلم في الصيام ٨/ ١٧ باب تحريم صوم أيام التشريق.

وتقدم حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، أيام منى ثلاث، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخَّر فلا إثم عليه، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج».

رواه أحمد والأربعة بسندٍ صحيح، وتقدم مختصرًا قبل آيتين.

أيام التشريق هي أيام منى وهي الأيام المعدودات المأمور بذكر الله تعالى فيها، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ ﴾، معناه أن من رمى الجمار يومين ثم انصرف وتعجل فلا حرج عليه ولا إثم، ومن أتم الثلاث فلا إثم عليه

(١) بل أعلى ذلك رضاء الله والنظر إلى وجهه المقدس.

أيضًا، وهي السنة الكاملة التي فعلها النبـي ﷺ في حجته.

(٢٠٤) قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ (٢٠٤) ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله، الألدُّ الخصم».

رواه أحمد ٦/ ٥٥، ٦٣، ٢٠٥، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٥٤ وفي المظالم وفي الأحكام، ومسلم في العلم ١٦/ ٢١٩، والترمذي في التفسير ٢٧٨٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠١، وفي المجتبـى...

الألد الخصم بفتح الخاء وكسر الصاد، وهو الكثير الخصام، والألد الشديد الخصومة. فهذا الصنف من الناس أبغض الناس إلى الله عزَّ وجل، والحديث يتجلى في المحامين وخاصةً المبطلين، وكذا بعض المنتسبين للعلم المغرمين بالجدال والخصام في المسائل الخلافية.

وقد قال ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجدل».

رواه أحمد ٥/ ٢٥٢، والترمذي في التفسير وصححه.

(٢١٣) قوله تعالى: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، فغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى».

رواه عبد الرزاق في التفسير ١/ ٨٢، ٨٣، وأحمد ٢/ ٢٧٤، والبخاري ٣/ ، ٤، ٦، ومسلم ٦/ ١٤٣، ١٤٤ وغيرهم في الجمعة، لكن بدون ذكر الآية، وهي عند ابن جرير ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٣٧٧ مع عبد الرزاق وسنده صحيح.

في الحديث فضل هذه الأمة حيث هداها الله تعالى لاختيار يوم الجمعة، وأضل عنها اليهود والنصارى. وقوله في الحديث: «نحن الآخرون»... إلخ، معناه نحن آخر الأمم في الدنيا علينا تقوم الساعة، والأولون يوم القيامة السابقون للقضاء بيننا والحساب ودخول الجنة. وقد جاء في صحيح مسلم حديث لحذيفة موضحًا لحديث الباب.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللَّـٰهمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

رواه أحمد ٦/ ١٥٦، ومسلم في صلاة الليل ٦/ ٥٦، ٥٧.

في الدعاء بعض اقتباس من الآية الكريمة. وهو من أدعية التوجه واستفتاح الصلاة، فينبغي للمسلم الدعاء به لما فيه من سؤال الهداية إلى الطريق القويم الذي طالما اختلف فيه العباد.

٢١٩ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: اللَّـٰهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ

وَٱلْمَيْسِرِ . . . ﴾ الآية، فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللَّـهمَّ بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللَّـهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ١٩]، قال عمر: انتهينا انتهينا.

رواه أبو داود ٣٦٧٠، والترمذي في تفسير سورة المائدة ٢٨٥٣، والنسائي في الأشربة، والحاكم ٢/ ٢٧٨، والبيهقي ٨/ ٢٨٥ وغيرهم، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في التفسير، ثم ابن حجر في الفتح أن علي بن المديني والترمذي صححا هذا الحديث، ولمعناه شاهدان في الجملة عن أبي هريرة عند أحمد وعن ابن عمر عند الطيالسي.

كان لتحريم الخمر ثلاثة أدوار كما بينه الحديث، وذلك نظرًا لما كان عليه الناس من تأثرهم بشربها، فاقتضت الحكمة الإلـهية تحريمها تدريجيًا وحتى يقفوا على مضارِّها عقليًا واجتماعيًّا ويشاهدوا ما يؤول إليه أمر شاربها، كما سيأتي بيان ذلك في المائدة إن شاء الله تعالى. وفي الآية الكريمة دليل على أن جانب المفسدة مقدم على جانب المصلحة وهي قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي، وأصل من أصول الدين الذي جاء به الإسلام، لأن الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد فأيها كان أرجح قُدم. ومنافع الخمر والميسر لا تقاوم مفاسدهما ولذلك قال تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾.

﴿٢١٩﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا».

رواه مسلم في الزكاة ٧/ ٨٣، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله.

وعن أبـي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى.

رواه مسلم في الزكاة، أيضًا ٧/ ١٢٦، ١٢٧، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

في الحديثين الشريفين بيان لما ينبغي أن ينفقه الإنسان مما سأل عنه الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وهو الفضل والعفو الذي يفضل عن الشخص من النفقات الواجبة عليه، وفي حديث أبـي أمامة بيان أن إمساك المال لغير حاجة شر للإنسان، وأنه لا لوم عليه ولا عتاب فيما يحتاجه من الرزق الضروري، وهو المسمى بالكفاف، أي الكافي بلا زيادة ولا نقصان.

٢٢٠ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجل:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ . . . ﴾ الآية. فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

رواه أبو داود في الوصايا ٢٨٦٣، والنسائي في الكبرى ٦٤٩٦، ٦٤٩٧، وابن جرير ٢/٣٦٩، ٣٧٠، وابن أبي حاتم ٢/ ٣٩٥، والحاكم ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩، وصححه ووافقه الذهبي ولا يضر عطاء بن السائب هنا لاتفاق المفسرين على ما في الحديث، وورود ذلك عن مفسري الصحابة والتابعين. . .

قوله تعالى: ﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾، العنت هو المشقة، أي لو شاء سبحانه لأدخل عليكم الحرج وشدد عليكم في أمور اليتامى، ولكنه تعالى يسر عليكم في مخالطتهم بأموالكم على وجه المصلحة، وفي الآية الكريمة دليل على أن القيام بشؤون أموال اليتامى يجب أن يكون بقصد مصلحتهم، ذلك أن الإساءة إلى اليتامى بأي طريق كانت تعتبر من كبار الجرائم، ولذلك رغب الإسلام في الإحسان إليهم ومراعاة جانبهم وجعل كافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة، وقال ﷺ: «خير بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه».

(٢٢٢) قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ . . . ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلاَّ النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلاَّ خالفنا فيه، فجاء أُسَيْد بن حُضَيْر، وعباد بن بشر رضي الله تعالى عنهما

فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول: كذا وكذا فلا نجامعهن، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبـي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما.

رواه أحمد ٣/ ١٣٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ومسلم ٣/ ٢١١، وأبو داود ٢٥٨، ٢١٦٥، والنسائي في المجتبى ١/ ١٥٣، وفي الكبرى ٦/ ٣٠١، والدارمي ١٠٥٨، وابن ماجه ٦٤٤ وغيرهم.

لم يؤاكلوها، أي لم يأكلوا معها على مائدة واحدة. ولم يجامعوهن في البيوت، أي لم يساكنوهن في البيوت ما دُمن متلبسات بالحيض.

والحديث يدل على وجوب مخالفة اليهود في شؤونهن التي يختصون بها، وقد ذكر العلماء أن مخالفة الكفار من أهم مقاصد البعثة النبوية، وفيه جواز التمتع بالزوجة ولو كانت حائضًا، وإنما الممنوع منها هو مواقعتها في محل الأذى أيام الحيضة، ولا خلاف بين المسلمين في تحريم إتيان الحائض أيام دورتها الشهرية.

ويلاحظ أن هذا السؤال الواقع في شأن الحيض هو أحد الأسئلة السبعة التي جاءت في هذه السورة الكريمة، وهي الآيات السابقة: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ [آية: ١٨٩]، و ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ [آيـــة: ٢١٥]، و ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [آيـــة: ٢١٩]، و ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [آيـــة: ٢١٩]، و ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [آية: ٢١٧]، و ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ [آية: ٢٢٠]، و ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ [آية: ٢٢٢].

وهذا من خصائص هذه السورة فلا يوجد في غيرها مثل هذه الأسئلة على هذه الوتيرة، فليضف إلى خصائصها.

(٢٢٣) قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته في قُبُلها من دبرها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥٧، ومسلم في النكاح ١٠/ ٦، ٧، والترمذي في التفسير ٢٧٨٧، وأبو داود ٢١٦٣، وابن ماجه ١٩٢٥، وغيرهم.

زاد مسلم عن الزهري: «إن شاء مُجَبِّيَةٌ، وإن شاء غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد».

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ يعني صمامًا واحدًا.

رواه أحمد ١/ ٣٠٥، ٣١٨، والترمذي ٢٧٨٨، بسند صحيح على شرط مسلم وحسَّنه الترمذي وصححه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عمر رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «وما أهلكك؟» قال: حوَّلت رحلي، قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ هذه الآية: « ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ... ﴾، أقبِل وأدبِر واتَّقِ الدبر والحيضة».

رواه أحمد ١/ ٢٩٧، والترمذي ٢٧٨٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٢، وابن حبان رقم ٤١٩٠، والبيهقي ٧/ ١٩٨ بسندٍ صحيحٍ.

وعنه قال: إن ابن عمر والله يغفر له أوهم، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون أن لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل

الكتاب أن لا يأتوا النساء إلاَّ على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا، ويتلذذون منهن مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلاَّ فاجتنبني، حتى شَرِي أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، أي مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد.

رواه أبو داود في النكاح ٢١٦٤، والحاكم ٢/ ٢٧٩، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

وعن نافع رحمه الله تعالى قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يومًا فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان، قال: تدري فيم أنزلت، قلت: لا، قال: أنزلت في كذا وكذا، ثم مضى. وفي رواية: قال: فقرأت ذات يوم هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾، قال: أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

رواه البخاري في التفسير بالرواية الأولى المبهمة ٩/ ٢٥٥، ورواه ابن جرير في تفسيره ٢/ ٣٩٤ بالرواية الثانية ونحوها مفسرًا من طرق صحيحة، وكذا رواه مفسرًا إسحاق بن راهويه في مسنده والإسماعيلي في مستخرجه، والطبراني في الأوسط، والدارقطني في غرائب مالك وغيرهم، كما أورده في الدر المنثور ١/ ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٨. وأورده الحافظ في الفتح ٩/ ٢٥٥ وقال: من طرق ثابتة، وقال ابن عبد البر: الرواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة عنه مشهورة.

قوله: أحول، يعني تكون عيناه مائلتين إحداهما لأنفه، والأخرى لصدغه. وقوله: مُجَبِّية، بضم الميم وفتح الجيم وكسر الباء المشددة، أي على وجهها باركة على ركبتيها. وقوله: في صمام واحد، يعني به الفرج.

وقوله: حولت رحلي، يريد أنه واقع زوجته من جهة ظهرها في قبلها، وكنى بالرحل عن الزوجة لأن المجامع يعلو ويركب المرأة مما يلي وجهها فحيث ركبها من جهة ظهرها فقد حوَّل رحله، وهذا أدب في التعبير من سيدنا عمر جميل. وقوله: على حرف، أي كانوا يجامعوهن منحرفات على جوانبهنَّ. وقوله: يشرحون، يعني يطؤونهن مستلقيات على القفا كالمعتاد الحالي. وقوله: شَرِي، بفتح الشين وكسر الراء، أي ارتفع وتفاقم شأنهما وما فعلاه.

وأحاديث الباب كلها تحوم حول قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾ الآية. فحديث جابر في قول اليهود، من جامع امرأته من دبرها... إلخ. وحديث ابن عباس في قصة سيدنا عمر في تحويل رحله... إلخ. وحديثه الثاني في عادة المهاجرين والأنصار في غشيان النساء... إلخ. هذه الثلاثة تدل على أن الآية الكريمة نزلت بهذه الأسباب ولا مانع من تعدد أسباب النزول كما هو معلوم.

وجميعها مع حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها تدل على أن قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، أي على أيّ هيئة أردتم منهن إذا كان في موضع الحرث والإنتاج وهو الفرج، فيكون معنى أنى شئتم، أي كيف شئتم، وعلى هذا مشى عامة العلماء والفقهاء من الصحابة فمن بعدهم، وأيدوا ذلك بأدلة وأحاديث كثيرة صحيحة تحرِّم إتيان المرأة في دبرها بإيلاج كما تؤتى في الفرج. غير أن حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما المذكور في الأخير يقتضي أن الآية نزلت في الرخصة في إتيان النساء في الأحشاء مع صحة الرواية في ذلك، ولهذا اختلف الناس في ذلك، فأخذ بظاهر هذا الحديث جماعة منهم محمد بن كعب القرظي، وسعيد بن يسار المدني، ومحمد بن المنكدر، وابن أبي مليكة وغيرهم، وصح ذلك عن الإمام مالك.

وقال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن: جوزته طائفة كثيرة، وقد

جمع ذلك ابن شعبان في كتاب «جماع النسوان وأحكام القرآن»، وأسند جوازه إلى زمرة كبيرة من الصحابة والتابعين وإلى مالك من روايات كثيرة ١/١٧٣، ١٧٤. وقال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن: المشهور عن مالك إباحته، وأصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها. . . إلخ. وقال الشافعي: ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في تحريمه ولا تحليله شيء والقياس أنه حلال، ثم رجع فقال بالتحريم، نقله عنه غير واحد من أتباعه.

والحق الذي لا ريب فيه أنه حرام، قال ابن كثير: بإجماع العلماء إلاَّ قولاً شاذًا لبعض السلف. وأقل ما يقال فيه أنه شبهة، والمؤمن وقاف عند الشبهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. . .

٢٢٤ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: أين المتألي على الله لا يفعل المعروف، قال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب.

رواه البخاري في أوائل الصلح ٩/٢٣٦، ومسلم في المساقاة، باب الوضع من الدين ١٠/٢١٩، ٢٢٠.

قوله يستوضع، أي يطلب منه أن يضع عنه بعض ما عليه من الدَّين ويطلب منه أن يرفق به. والمُتَأَلِّي: بضم الميم وفتح التاء والهمزة ثم لام مشددة مكسورة، هو الحالف.

والحديث موافق للآية الكريمة في المنع من الحلف بالله على ترك البر

والخير وأن يجعل الإنسان يمينه بالله مانعة له من المعروف وحائلة بينه وبين فعل الخير، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة النور: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النور: ٢٢] إلخ.

فالاستمرار على اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما جاء عن النبي ﷺ: «والله لأن يَلَجَّ أحدُكم بِيَمينه في أهله آثمُ له عند الله من أن يُعْطِي كفارته التي افترضها اللّـهُ عليه»، رواه الشيخان.

(٢٢٥) **قوله تعالى:** ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزل في قول الرجل: لا واللّـه، بلى والله.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٤٤، ٤٤٥، ورواه أبو داود في الأيمان والنذور ٣٢٥٤ مرفوعًا، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٦ موقوفًا. وهو من قبيل المرفوع.

لغو اليمين هو الذي لا يعتد به وليس فيه كفارة ولا إثم لأنه يكون عن غير قصد ولا عقد بالقلب، ولذلك عقب الله ذلك بقوله: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾، أي عقدتم بقلوبكم كما في آية المائدة: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ومن هذا القبيل ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إلـه إلاَّ الله». لأن القوم كانوا حديثي عهد بجاهلية قد أسلموا وألسنتهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد، فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد، لتكون هذه بهذه، قاله ابن كثير.

(٢٢٦) قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: آلى رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسعًا وعشرين، فقيل: يا رسول الله إنك آليت شهرًا، قال: «إن الشهر تسع وعشرون».

رواه البخاري في النكاح ١١/ ٢١١ وغيره، ونحوه عنده ٢١٣ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، وفي الصحيحين عن عمر مطولاً وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة التحريم.

يُؤْلون: الإيلاء هو الحلف في اللغة، وفي العرف الشرعي الحلف بالامتناع من وطء الزوجة، وفي حديث أنس وأم سلمة وغيرهما ما يدل على أن النبي ﷺ آلى من نسائه شهرًا لأسباب اقتضت له ذلك كما هو مبين في أحاديث أخرى، والآية الكريمة صرحت بأن من آلى من نسائه له أن يتربص ويبقى أربعة أشهر فإذا مضت كان بين أمرين إما أن يفي، ويرجع إلى معاشرة زوجته، وإما أن يطلق. هذا هو ظاهر الآية الكريمة وللفقهاء والأئمة مذاهب في ذلك.

(٢٢٨) قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ... ﴾ إلخ، وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثًا، فنسخ ذلك فقال: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾.

رواه أبو داود ٢١٩٥، والنسائي بنحوه ٦/ ٢١٢ كلاهما في الطلاق وسنده حسن.

وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثم قال: لا والله لا آويك إليَّ ولا تحلين أبدًا. فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾. فاستقبل الناس الطلاق جديدًا من ذلك من كان طلق أو لم يطلق.

رواه مالك في الموطأ رقم ١٢٨٢، وابن أبي حاتم ٢/ ٤١٨، وابن جرير ٢/ ٤٥٦ وغيرهم. هكذا مرسلاً وسنده صحيح، ورواه الترمذي في الطلاق ١٠٧٤ موصولاً ومرسلاً، وكلاهما صحيح. ورواه الحاكم ٢/ ٢٧٩، ٢٨٠ موصولاً وصححه ووافقه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾، أي ينتظرن، وقوله: ﴿قُرُوٓءٖۚ﴾ هو جمع قُرء بضم القاف، وهو من المشترك اللفظي جاء في اللغة بمعنى الطهر والحيض، وبالمعنى الأول أخذ المالكية والشافعية... وبالثاني قال الحنفية. وقوله في الحديث: شارفتْ، أي قاربت، وقوله: لا آويك، أي لا أُسكِنُكِ في منزلي كزوجة لي، وقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ...﴾ إلخ معناه أن الطلاق الذي تصح بعده المراجعة هو الطلاق الأول والثاني، فبعد ذلك إما أن يمسكها ويعاشرها بالمعروف، وإما أن يسرحها ويطلقها بإحسان، بلا إضرار. وبعدها تحرم عليه فلا تحل حتى تتزوج، فكانت الآية الكريمة إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من ظلم المرأة والإضرار بها، ثم إعطاءَها حقها وحل مشكلتها وبيان ما تعامل به من طرف زوجها بالعدل والإحسان.

(٢٢٨) **قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

رواه مسلم في الحج في صفة حجة النبي ﷺ ٨/١٨٣، مطولاً ونحوه عن أبي الأحوص. رواه الترمذي في التفسير وغيره.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا؟ قال: أن تطعمها إذا طَعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلاَّ في البيت.

رواه أحمد ٤/٤٤٧ و ٥/٣، وأبو داود ٢١٣٥، وابن ماجه ١٨٥٠ كلاهما في النكاح بسند صحيح.

قوله: بأمانة الله وكلمة الله، هي قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، أو كلمة التوحيد، أو قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، أو الإيجاب والقبول. وقوله: مُبَرِّح بضم الميم وفتح الباء وكسر الراء المشددة، هو الضرب الشديد الشاق. وقوله: ولا تقبِّح، أي لا تقل لها: قبَّحكِ الله.

وفي الحديثين بيان بعض حقوق كل من الزوجين على الآخر، والآية الكريمة صريحة في أن لكل منهما حقًا على الآخر بالمعروف، وحقوقهما مستوفاة في كتب السنة المشرفة والفقه الإسلامي من كتاب النكاح.

٢٢٩ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله ما أعتب على ثابت بن قيس في

دين ولا خُلُق ولكنني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بغضًا، فقال لها النبـي ﷺ: «أتردين إليه حديقته؟»، قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

رواه أحمد والبخاري ١١/٣١٦، ٣٢٠، والنسائي رقم ٣٢٤٠، ورواه النسائي ٣٢٣٩ عن حبيبة بنت سهل بسند صحيح.

قولها: ما أعتب على ثابت، في رواية: ما أعيب عليه، وقولها: لا أطيقه بغضًا، في رواية عند ابن ماجه: والله لولا مخافة الله إذا دخل علي بصقت في وجهه، وقولها: ولكني أكره الكفر في الإسلام، أي أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضي الكفر.

امرأة ثابت بن قيس المذكورة هي جميلة بنت أُبـي أخت عبد الله بن أُبَـيٍّ رأس المنافقين، وكانت ذات حسن وجمال، وكان ثابت بن قيس فيه دمامة، كان شديد السواد قصير القامة قبيح الوجه، مع صلاحه وفضله وبشارته بالجنة، فأبغضته أشد البغض، فشكت حالها إلى رسول الله ﷺ وأنها لا تطيق معاشرته والبقاء معه، فأشار إليها بالخلع وفداء نفسها بردها عليه ما أصدقها في مقابلة طلاقها.

وفي هذا الحديث مشروعية خلع المرأة نفسها من زوجها وإعطائها إياه شيئًا في مقابلة الطلاق إذا تعذرت العشرة الزوجية مع قيام حدود الله تعالى وكان الشقاق حاصلاً من قبل المرأة، كما في هذه القصة وهي مبينة للآية الكريمة، أما في غير ذلك فلا يحل له أخذ شيء منها كما يدل عليه أول الآية ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟...﴾ إلخ، وآية النساء: ٢٠، ٢١: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾. فما يفعله بعض

من لا دين له من الإضرار بالمرأة لتنخلع منه ضلال وإثم مبين، نعم، لا يجوز للمرأة الاختلاع بلا سبب، بل عدها النبي ﷺ منافقة.

وقد قال ﷺ: «المختلعات هن المنافقات»، وفي رواية: «المنتزعات والمختلعات هن المنافقات».

رواه الترمذي ١٠٦٨، ١٠٦٩، وابن ماجه ٢٠٥٥، وابن حبان ١٣٢٠، والحاكم ٢/ ٢٠٠ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي من حديث ثوبان. ورواه أحمد ٢/ ٤١٤، والنسائي ٦/ ٣٨، والبيهقي ٧/ ٣١٦، من حديث أبي هريرة بسند صحيح.

٢٣٠ قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ قال: لا، حتى يذوق عُسَيْلَتَها.

رواه البخاري ١١/ ٢٨٣، ومسلم ١١/ ٤ كلاهما في الطلاق.

وعنها قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبتَّ طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزّبير وأن ما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عُسيلتك».

رواه البخاري في النكاح ١١/ ٣٨٨، ٣٩١ وغيره، ومسلم فيه ١١/ ٢، ٣، ٤ وغيرهما.

قوله: حتى يذوق عسيلتك... إلخ، هو كناية عن حلاوة الجماع الذي يحصل بتغييب الحشفة في الفرج.

والحديثان يدلان كالآية على أن المطلقة ثلاثًا لا تحل لزوجها الأول حتى تتزوج رجلاً آخر ويدخل بها بإيلاج، وقد أجمع الأئمة والعلماء على ذلك إلاَّ سعيد بن المسيب فقال: تحل للأول بمجرد العقد الصحيح. وهو قول لم يوافقه أحد عليه.

ومن متعلقات الموضوع التزويج بقصد التحليل وهو حرام بالإجماع لقوله ﷺ: «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له».

رواه أحمد وأهل السنن عن علي، والترمذي عن ابن مسعود وجابر، والنسائي عن ابن مسعود. انظر: تهذيب سنن الترمذي لجامعه رقم ١٠٠٠، ١٠٠٣، وسماه ﷺ في رواية: بالتيس المستعار. . .

(٢٣١) **قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة».

رواه أبو داود ٢١٩٤، والترمذي ١٠٦٥، وابن ماجه ٢٠٣٩، والحاكم ٢/ ١٩٧، ١٩٨، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وهو حسن لشواهده.

جاءت الآية الكريمة عقب قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾. وقد تقدم حديث عروة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ بيان ما كان يفعله أهل الجاهلية بالمرأة في الطلاق، وهو تفسير لما هنا في الآية. فصرَّح هنا سبحانه وتعالى أن فاعل ذلك مستهزىء بآيات الله وأحكامه ولذلك نهى عنه بقوله: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾. وقد جاءت آثار في أن سبب نزول الآية هو اللعب في الطلاق ونحوه.

عن الحسن، قال: كان الرجل على عهد النبي ﷺ يقول: زوجتك ابْنتي ثم يقول: كنت لاعبًا، ويقول: قد أعتقت ويقول: كنت لاعبًا. فأنزل الله الآية.

أخرجه ابن جرير ٢/ ٤٨٢ وابن أبي شيبة رقم ١٨٤٠٦. وفي رواية عند ابن أبي حاتم: وكان الرجل يطلق.. ويقول: كنت لاعبًا... إلخ ٢/ ٤٢٥.

فمن الاستهزاء بآيات الله اللعب بالطلاق وما معه في الحديث، فلا يجوز العبث بذلك، فمن صدر منه الطلاق أو النكاح أو الرجعة هازلاً ولاعبًا كان قد اتخذ آية الله هزوًا ولزمه ما قال، نعوذ بالله من السخرية والاستهزاء بآيات الله وشرعه.

(٢٣٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: كانت لي أخت تُخْطَبُ فأَمْنَعُها، فخطبها ابن عم لي فزوجتها إياه، فاصطحبا ما شاء الله أن يصطحبا، ثم طلقها طلاقًا له عليها رجعة، فتركها حتى انقضت عدتها، وخطبها الخطاب، جاء فخطبها، فقلت: يا لكع خُطِبتْ أختي فمنعتُها الناسَ وآثرتُك بها طلقتَها فلما انقضت عدتها جئت تخطبها لا والله الذي لا إله إلاَّ هو لا أُزَوِّجُكَها، ففيَّ نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾ الآية. فقلت: سمعًا وطاعة، كفَّرت عن يميني وأنكحتها.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٥٨، ٢٥٩، وفي النكاح ١١/ ٩١، ٩٢، ٤٠٨، وأبو داود في الطلاق ٢٠٧٨، والترمذي: في التفسير ٢٧٩٠ وغيرهم، وعند الترمذي: فهويها وهويته.

الآية مع سبب نزولها نص في أن المرأة لا ولاية لها في النكاح لا لنفسها ولا لغيرها كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنَّة، وبه قال كل الأئمة إلاَّ بعض من شذ وخالف النصوص. وقال الإمام الترمذي في جامعه: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيبًا، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم

تحتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله تعالى في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ. . . ﴾ الآية، ففي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن، وقد جهل هذا أو تجاهله بعض من زاغ من أهل هذا العصر عن طريق الله القويم فتأثروا بأفكار العلمانيين والملحدين فأصبحوا ينادون بتحرير المرأة وجعلوا من تحررها أن تزوج نفسها، في أشياء أخرى مرقوا بسببها عن دين الإسلام.

(٢٣٤) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾.

عن ابن الزبير قلت لعثمان رضي الله تعالى عنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم . . . ﴾ الآية، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه.

رواه البخاري ٩/ ٢٥٩ والإسماعيلي كما في الفتح.

ما حصل بين ابن الزبير وعثمان رضي الله تعالى عنهم هو المتفق عليه بين العلماء بله كل الأمة. فآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾، هي منسوخة بآية الباب رغم أن الناسخة مقدمة في المصحف الكريم والمنسوخة مؤخرة، لأنها كذلك كتبت في زمن النبي ﷺ، ولذلك أبقاهما سيدنا عثمان على حالتيهما عند كتابته المصحف، وذلك يدل على أن ترتيب المصحف بآياته وسوره توقيفي لا دخل لأحد في اختيار ترتيبه، وقد نقل غير واحد الإجماع على هذا، وقالوا: إن ترتيب القرآن الموجود بين أظهرنا نزل كذلك من اللوح المحفوظ، ولهذا قال سيدنا عثمان لابن الزبير: يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه، فرضي الله تعالى عنه. فالأمة بأجمعها مدينة لعمله في القرآن

كأخويه السابقين أبـي بكر وعمر وجميع من شارك في جمعه وكتابته، فرضي الله تعالى عنهم وجزاهم عن خدمة القرآن وعنا خير الجزاء.

وعن زينب بنت كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنهما أن الفُرَيْعَةَ بنتَ مالك بن سنان وهي أخت أبـي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أخبرتها أنها جاءت رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خُدْرة، وأن زوجها خرج في طلب أعبُدٍ له أبَقُوا، حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي، فإن زوجي لم يترك لي مسكنًا يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: نعم، قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد ناداني رسول الله ﷺ أو أمر بـي فنوديت له فقال: كيف قلت؟ قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، قال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، فلمَّا كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

رواه أحمد ٦/ ٣٧٠، ٤٢٠، وأبو داود ٢٣٠٠، والترمذي ١٠٨٦، والنسائي في المجتبـى وفي الكبرى ٦/٣٠٣، وابن ماجه ٢٠٣١، والدارمي ٢٢٩٢، وابن حبان بالإحسان ٤٢٩٢، والحاكم ٢/٢٠٨ وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبـي.

قولها: أبَقُوا: أي فروا وهربوا من سيدهم، قوله: حتى يبلغ الكتاب... إلخ، أي حتى تتم عدتك.

والآية الكريمة مع حديث فريعة دالان على وجوب عدة الوفاة وأن المرأة تتربص وتنتظر أربعة أشهر وعشرًا، ولا خلاف في ذلك بين العلماء، غير أن هذا في غير الحامل، أما هي فعدتها وضع حملها قرُب الأجل أم بعُد للإجماع على ذلك، ولقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ

حَمْلَهُنَّ . . .﴾ [الطلاق: ٤]. وفي الحديث وجوب قضاء عدة الوفاة في البيت الذي توفي عنه الزوج ولو لم يكن ملكًا له وأنها لا تخرج منه، وبهذا قال جمهور العلماء؛ للنص النبوي: «امكثي في بيتك. . .» إلخ.

وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلاَّ على زوج أربعة أشهر وعشرًا، فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوبًا مصبوغًا، إلاَّ ثوب عصب، ولا تمس طيبًا إلاَّ إذا طهرت من محيضها نبذة من قسط أظفار».

رواه أحمد ٦/ ١٨٤، ١٨٥، والبخاري ١١/ ٤١٧، ومسلم ١٠/ ١١٨، وأهل السنن إلاَّ الترمذي. وفي الباب عن زينب بنت أم سلمة وعائشة وغيرهما وكلها في الصحيح.

قوله: أن تُحِد، بضم التاء وكسر الحاء، الإحداد هو حزن المرأة على زوجها ولبسها ملابس الحزن وتركها ما فيه زينة.

والحديث يدل على منعها أيام عدة الوفاة من لبس المعصفر من الثياب أو مصبوغًا أو الاكتحال أو استعمال الطيب أو التحلي بذهب أو فضة أو نحوهما كما جاء في أحاديث أخرى، غير أنه رخص لها إذا طهرت من حيضتها أن تتبخر بما فيه رائحة طيبة. . . وهذا خاص بالزوجة على زوجها، أما الغير فلا يجوز ذلك فوق ثلاثة أيام كما هو نص الأحاديث.

(٢٣٥) قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى: ﴿فِيمَا

﴿عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ هو أن يقول: إني أريد التزوج، وإن النساء لمن حاجتي، ولوددت إن تيسر لي امرأة صالحة.

رواه البخاري في النكاح ١١/ ٨٣، وابن جرير في التفسير ٢/ ٥١٧، ٥١٨، وابن أبـي شيبة وسعيد بن منصور وغيرهم.

قوله: عرَّضتم، التعريض هو أن يذكر المتكلم شيئًا يدل به على شيء آخر لم يذكره، وهو كما ذكر ابن عباس هنا، وهذا التفسير متفق عليه بين السلف وغيرهم، فلا يجوز التصريح للمرأة في عدتها بالخطبة ولكن تجوز بالتعريض كما ذكر، وكما جاء في حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها ألبتة، فقال لها النبـي ﷺ: فإذا حللتِ فآذنيني، وفي رواية: لا تفوتينا بنفسك، فهذا من باب التعريض. ويجب أن يعلم أن التعريض بالخطبة في العدة خاص بالمتوفى عنها زوجها أو كانت مطلقة ثلاثًا، أما في غير ذلك فلا يجوز بالاتفاق. وأجمع العلماء على تحريم هذه الخطبة صراحة والعقد في العدة، وبالغ المالكية فقالوا: تحرم عليه أبدًا إن عقد عليها في العدة.

٢٣٦ قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾.

عن سهل بن سعد وأبـي أسيد رضي الله تعالى عنهما قالا: تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازِقيَّين.

رواه البخاري في الطلاق ١١/ ٢٧٥، وفي رواية أنه ﷺ قال لها: هَبِـي نَفْسَكِ لي فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسُّوقَةِ، فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: قد عذت بمعاذ، فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقيين وألحقها بأهلها. ونحوه عن عائشة رواه البخاري أيضًا ١١/ ٢٧١.

الآية الكريمة تدل على جواز طلاق المرأة قبل المسيس، أي الدخول بها، وقبل فرضية الصداق، وأن على الزوج أن يمتعها بأن يعطيها شيئًا غير معين ثيابًا أو حليًا أو مالاً أو غير ذلك مما تنتفع به.

والحديث يدل على بعض ما في الآية أيضًا وهو الطلاق قبل الدخول والتمتيع، واختلف العلماء في التمتع للمرأة المطلقة هل هي واجبة على الزوج مطلقًا أم هي خاصة بغير المَدْخُول بها، فرض لها الصداق أم لا، على أقوال، والظاهر أنها واجبة لغير المفروض لها قبل الدخول بها... وفي غيرها مستحبة. وهذا في غير المتوفى عنها زوجها الذي لم يدخل بها، فهذه لها صداق مثلها والعدة والميراث كما يأتي في موضعه.

(٢٣٨) **قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨)﴾.**

عن علي عليه السَّلام قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا»، ثمَّ صلاَّها بين العشاءين، بين المغرب والعشاء.

رواه أحمد ١/ ٨١، ١١٣، ١٤٦، ١٥١، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٦١، ومسلم في المساجد ٥/ ١٢٨، وأبو داود ٤٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٣، ٣٠٤، والترمذي ٢٧٩٣، وابن ماجه ٦٨٤.

الحديث نص في تفسير الصلاة الوسطى وأنها صلاة العصر، وهو قول جمهور العلماء.

(٢٣٨) **قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨)﴾.**

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨)﴾، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

أخرجه أحمد ٤/٣٦٨، والبخاري ٩/٢٦٥، ومسلم ٥/٢٦، وأبو داود ٩٤٩، والترمذي ٢٧٩٥، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/ ٣٠٤ وغيرهم.

الحديث دل على أن الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، وأن معنى القنوت هنا السكوت، أي قوموا له ساكتين، وهذا أحد معاني القنوت، وله معانٍ أخرى تجاوز العشرة.

(٢٣٩) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)﴾.

عن نافع رحمه الله أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام، وطائفة من الناس فيصلي بهم الإمام ركعة وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلَّوا الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالاً قيامًا على أقدامهم أو ركبانًا مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، قال مالك: قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلاَّ عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري بهذا السياق في التفسير ٩/ ٢٦٧، ومسلم في صلاة الخوف ٦/ ١٢٤، ١٢٥، وغيرهما، زاد مسلم في رواية: فإذا كان خوف أكثر من ذلك فصلٍّ راكبًا أو قائمًا تومىء إيماءً.

صلاة الخوف وردت على هيئات وصفات، وأصولها ست، وما ذكر هنا واحدها، وقد صلاها النبي ﷺ في عدة غزوات.

والآية الكريمة دالة على الرخصة في صلاتها قيامًا وقعودًا رجالاً

وركبانًا، وهذا من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده عند اشتداد الخوف. ويأتي مزيد للموضوع في سورة النساء.

(٢٤٩) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلاَّ مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة.

رواه ابن أبي شيبة والبخاري في المغازي ٨/ ٢٩٣، ٢٩٤، وابن جرير ٢/ ٦٢١ وغيرهم.

الآية الكريمة جيء بها لبيان قصة طالوت في قتاله لجالوت، وكان الله تعالى اختبر جيشه الإسرائيليين بنهر من الماء، وقد عطشوا، فمن شرب منه، كان بريئًا منه ومن لم يشرب كان وليًا له مخلصًا لله تعالى، فجاوز النهر هو وثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ممن لم يشرب إلاَّ غرفة بيده، فلما رأوا جيش جالوت الجرار قالوا: لا طاقة لنا اليوم بهم، فطمأنهم أهل اليقين من علمائهم وصالحيهم الربانيين بأن النصر ليس بكثرة القوة والعدد، فكثيرًا ما غلبت الجماعة القليلة الجماعة والجيوش الكثيرة العرمرمة بإرادة الله وعونه وإذنه وإنما النصر من عند الله ينصر من يشاء. ولذلك لما اصطف الجيشان وتقاتلوا، قَتَلَ نبي الله داود عليه السَّلام الرئيس الطاغية جالوت، فانهزم جيشه وانتصر المسلمون. والقصة مبسوطة في القرآن وتفاسيره. والمقصود هو أن الله تعالى كما أكرم طالوت وجيشه بالنصر مع قلة العدد وكانوا أقل من عدوهم بكثير، كذلك تفضل على نبيه ﷺ حبيبنا محمد وأصحابه فأيدهم على كفار قريش

ونصرهم ببدر مع وفور جيش العدو وقلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وجعلهم كعدد من قاتل مع طالوت، فللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين.

(٢٥٥) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «إنه سيعود»، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. . . فوقع منه ذلك ثلاث ليال فقال له: وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ . . . ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ . . . ﴾ إلخ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب،

تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذلك شيطان».

رواه البخاري في الوكالة رقم ٢٣١١، وفي بدء الخلق وفي فضائل القرآن معلقًا مجزومًا به، وراوه النسائي في الكبرى ٦/ ٢٣٨ متصلاً، ونحوه عن أبي أيوب وغيره.

في الحديث أن قراءة هذه الآية حرز من الشيطان وأن لها ملائكة مكلفين من قبل الله عزَّ وجل بحفظ قارئها. وفيه دليل على جواز رؤية الجن. وما جاء في سورة الأعراف من نفي رؤيتهم فمحمول على رؤيتهم في خلقتهم الأصلية فلا تعارض، والقرآن لا يخالف الواقع أبدًا.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ و ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾ [آل عمران: ١، ٢] أن فيهما اسم الله الأعظم.

رواه أحمد ٦/ ٤٦١، وأبو داود ١٤٩١، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٩، وحسنه الترمذي وصححه، واللفظ لأحمد، وذكر الأخيران بدل آية الكرسي: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾.

فيه أن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو فيما ذكر من آية الكرسي وأوائل سورة آل عمران والآية الأخرى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾. وقد جاءت بتعيينه أحاديث أوردت أغلبها وأصحها في زاد المتقين. وانظر ما يأتي أوائل سورة آل عمران.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥، ومسلم في الإيمان ١٧٩، وابن ماجه ١٩٦/١٩، وابن حبان في صحيحه رقم ١٦٦ بالإحسان، وأبو يعلى ٧٢٢٦، والبغوي في شرح السنة رقم ٩١ وغيرهم.

قوله: لا ينام، النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط معه الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، فهو مستحيل في حقه جل وعلا. وقوله: يخفض القسط... إلخ، القسط بكسر القاف الميزان، وسُمي به لأن به يقع العدل. والمراد أن الله يرفع الميزان ويخفضه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة، وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله، وقيل: المراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره، ويرفعه فيوسعه، قاله النووي. وقوله: سُبُحات، بضم السين والباء، جمع سُبُحة، أي نور وجهه وجلاله وبهاؤه، والمراد بالحجاب هنا المانع من رؤيته تعالى، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات، لأن بصره تعالى محيط بجميع الكائنات.

والحديث من أحاديث الصفات يجب الإيمان به وتنزيه الله عما يوهم التشبيه بخلقه، فالواجب فيها إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه، ومذاهب الناس في مثل هذا الحديث مختلفة فلا ينبغي الاشتغال بها. والمقصود من إيراد الحديث هو قوله: إن الله لا ينام، فهو موافق للآية الكريمة: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.

فائدة: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر جمل كل جملة منها مستقلة بمعنى خاص وهي كالآتي:

أولاً: أنه لا إلـه إلاَّ هو.

ثانيًا: أنه الحي القيوم.

ثالثًا: أنه لا تأخذه سنة ولا نوم.

رابعًا: أن له ما في السموات وما في الأرض.

خامسًا: أنه لا يشفع أحد إلاَّ بإذنه.

سادسًا: أن علمه محيط بجميع الكائنات.

سابعًا: أنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلاَّ بما شاء.

ثامنًا: أن كرسيه وسع السموات والأرض.

تاسعًا: أنه تعالى لا يثقله ولا يؤوده حفظ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما.

عاشرًا: أنه العلي العظيم.

وللوقوف على أسرار هذه الآية وعظمتها وما احتوت عليه من التوحيد، يجب أن يرجع فيه إلى مطولات التفاسير.

(٢٥٦) **قوله تعالى**: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لئن كان لها ولد لتُهوِّدنَّه، فلما أسلمت الأنصار قالوا: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية. وفي رواية: لما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾.

رواه أبو داود ٢٦٨٢ في الجهاد، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٤، وابن حبان ١٧٢٥ موارد، والبيهقي في الكبرى ٩/ ١٨٦ بسند صحيح.

جمهور المفسرين على أن الآية الكريمة منسوخة، وأنها كانت قبل الأمر بقتال الكفار كافة بدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقوله عزَّ وجل: ﴿ وَقَٰتِلُواْ

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله جل وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، مع قوله ﷺ الذي تواتر عنه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلاّ الله. . .» الحديث. وقد ثبت أن النبـي ﷺ قاتل العرب على الإسلام، وهكذا كان شأن الخلفاء بعده.

وقال قوم إنها خاصة بأهل الكتاب، وأنهم إذا قبلوا أداء الجزية لا يكرهون على الدخول في الإسلام، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]. فأمر بقتالهم وجعل غايته إعطاءهم الجزية، وهذا واضح بحمد الله تعالى. وقد انحرف أقوام في معناها تبعًا لسادتهم الكفار المستشرقين.

وقوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾، أي قد بان ووضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

(٢٥٦) قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

عن قيس بن عُباد قال: قلت لعبد الله بن سلام: إنك لما دخلتَ قَبْلُ قال رجل كذا وكذا [يعني: هذا رجل من أهل الجنة]، قال: سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك، رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه، رأيتني في روضة ذكر سعتها وعُشبها وخُضْرتها، ووسط الروضة عمودٌ من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: اِرقه، فقلت: لا أستطيع، فجاءني منصف ـ قال ابن عون: والمنصف الخادم ـ فقال بثيابي من خلفي، ـ وصف أنه رفعه من خلفه بيده ـ، فرقيت حتى كنت في أعلى العمود

فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك، فلقد استيقظت وإنها لفي يدي فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت. وفي رواية: «يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى»، وفي رواية: «ولن تزال متمسكًا بها حتى تموت».

رواه البخاري ٨/ ١٣٠، ١٣١، ومسلم ١٦/ ٤٢، ٤٣، ٤٤ بالنووي واللفظ لمسلم.

العروة كل ما يستمسك به وهي من الكوز مقبضه. والوثقى: مؤنث أوثق وهو الأقوى. ومعناه أن من كفر بغير الله من الطواغيت والأنداد وآمن به عزَّ وجل فقد تمسك واعتصم بأقوى سبب وهو دين الإسلام. ورؤيا عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه تفسر العروة الوثقى وأنها دين الإسلام الذي تمسك به ومات عليه.

(٢٦٠) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٣٢٦، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٦٨، وفي بدء الخلق ٧/ ٢٢٢، ومسلم في الإيمان وفي الفضائل ١٥/ ١٢٣ وغيرهم.

ظاهر الحديث أن الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام شك في كيفية إحياء الموتى، والآية بخلاف ذلك، وقد وجه العلماء الحديث بأن إبراهيم لم يشك، ولو شك لكنا أولى بذلك منه، ولكنه لم يطرأ عليه شك، وكيف يعتري الأنبياء الشك في صفة من صفات الله عزَّ وجل، وهم سادات الموحدين صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

(٢٦١) قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾.

عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة».

رواه أحمد ٤/ ١٢١، ٢٧٤، ومسلم في الإمارة، والنسائي في الكبرى ٣/ ٣٣ واللفظ لمسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله...» الحديث.

رواه مسلم في الصوم وغيره مطولاً في فضل الصوم وفي الموضوع أحاديث عدة.

في الآية الكريمة والحديثين الشريفين فضل الصدقة والإنفاق وخاصة في سبيل الله، وأن ذلك سيضاعف لصاحبه يوم القيامة إلى سبعمائة ضعف، وقد ضرب الله عزَّ وجل لذلك مثلاً بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة...

(٢٦٤) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦٤) ﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، وفي رواية: «المنان الذي لا يعطي شيئًا إلاَّ مَنَّهُ».

رواه مسلم في الإيمان ٢/ ١١٤، وأحمد ٥/ ١٥٨، وأبو داود ٤٠٨٧ في اللباس، والترمذي ١٠٩٣ في البيوع وباقي الجماعة، غير البخاري.

في الحديث عظم هذه المعاصي وأن أصحابها هالكون مغضوب عليهم... إن لم يتوبوا. والمنان هو الذي لا يعطي لأحد شيئًا من مال أو غيره إلَّا امتن به عليه وتطاول بذلك، وفي ذلك من الإذاية ما لا يخفى، ولذلك جعله الله تعالى في هذه الآية من مبطلات الصدقة، وقال في آية قبلها: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى... ﴾ الآية.

(٢٦٧) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلَّته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاء أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية، قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلَّا على إغماض أو حياء، قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده.

رواه الترمذي ٢٧٩٦، وابن ماجه ١٨٢٢، وابن جرير ٣/ ٨٢، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٢٨، والحاكم ٢/ ٢٨٥ بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

القنو: بكسر القاف هو العذق يكون فيه الرطب والتمر. والشيص

بالكسر: التمر غير القوي الذي لا نوى له. والحشف: بفتحتين هو أردأ التمر وأقبحه، وقوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا...﴾ إلخ، أي لا تقصدوا.

وفي الآية الكريمة إرشاد العباد إلى الإنفاق من الكسب الطيب الجيد الذي يحبه المرء ويرضاه لا من الخبيث الرديء الذي يكرهه ولا يقبله إن أعطيه إلاَّ أذا تساهل وأغمض بصره.

(٢٦٩) قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلاَّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

رواه أحمد ١/ ٣٨٢، ٤٣٢، والبخاري في العلم ١/ ١٨٦، ومسلم في الصلاة رقم ٨١٦.

وفي رواية لابن عمر: «رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار».

رواه أحمد ٣/ ٩/ ٣٦، والشيخان وغيرهم.

وفي رواية لأبي هريرة: «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار».

رواه أحمد ٢/ ٤٧٩، والبخاري.

الحكمة تطلق على معان، والمراد بها هنا معرفة القرآن والسنة والعمل بهما. والحديث نص في أنها القرآن، ولا شك أن السنَّة تابعة له لأنها المبينة له بنص القرآن. والحسد في الحديث المراد به الغبطة وهو تمني ما يراه المسلم من خير عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه، وهو محمود وهو من

التنافس في الخير. والآية الكريمة نصٌّ في أن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه الخير الكثير جعلنا الله تعالى منهم.

(٢٧١) قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾.

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

رواه أحمد ٤/ ١٥١، ١٥٨، وأبو داود ١٣٣٣، والترمذي ٢٧٢٦، والنسائي ٥/ ٥٩ بسند صحيح.

دلَّت الآية الكريمة مع الحديث الشريف على أن الإسرار بالصدقة خير وأفضل من إظهارها، لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص والقبول، وأبعد من الرياء والعُجب، علمًا بأن إظهار ذلك مع الإخلاص هو عمل مبرور أيضًا من أسباب تكفير الذنوب.

وقد جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وهو في الصحيحين عن أبي هريرة.

(٢٧٢) قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسبائهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

رواه ابن جرير ٣/ ٩٤، ٩٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٥، وابن أبـي حاتم ٢/ ٥٣٧، ٥٣٩، والحاكم ٢/ ٢٨٥، و ٤/ ١٥٦، ١٥٧، والبيهقي في السنن ٤/ ١٩١ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبـي.

قوله: يرضخون، الرضخ هو العطاء القليل من الغنيمة والفيء. وقوله: لأنسبائهم، أي قراباتهم.

قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: يعني تعالى ذكره بذلك، ليس عليك يا محمد هدي المشركين إلى الإسلام فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة. والمراد بإعطاء المشركين هنا من الصدقة والفيء تأليفًا لهم ليدخلوا في الإسلام، وقد جعل الله عزَّ وجل لهم في الزكاة حصة خاصة بهم حيث قال: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠] إلخ.

(٢٧٣) قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرأوا إن شئتم يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

رواه أحمد ٢/ ٣٩٥، ٤٦٩ من طرق، والبخاري في الزكاة وفي التفسير ٩/ ٢٦٩، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٢٩، والنسائي في المجتبـى وفي الكبرى ٦/ ٣٠٦ وغيرهم.

قوله: ﴿إِلْحَافًا﴾، أي إلحاحًا، وفي الحديث بيان الفقير الوارد في القرآن الذي ينبغي أن يتصدق عليه وهو المسكين الذي يتعفف ولا يعرفه الناس، وليس ذلك الذي يتعرض للتسول مع الإلحاح.

(٢٧٥) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ

ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٧١.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله ﷺ قُبِضَ قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة.

رواه أحمد ١/ ٣٦، وابن ماجه ٢٢٧٦ وغيرهما بسند صحيح، وله شاهد عن أبي سعيد الخدري عند ابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا فقرأها رسول الله ﷺ على المنبر ثم حرم التجارة في الخمر.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٧٠، ٢٧١، وفي البيوع وفي المساقاة ١١/ ٥، وأبو داود ٣٤٩٠، ٣٤٩١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٦ وفي المجتبى.

وعن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر من الحجارة في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيته في النهر آكل الربا».

رواه البخاري في الجنائز وفي البيوع ٥/ ٢١٧ وفي التعبير مطولاً.

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لعن النبي ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه.

رواه أحمد ١/ ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ومسلم في المساقاة ١١/ ٢٦، وأبو داود ٣٣٣٣، والترمذي ١٠٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٦، وفي المجتبى وابن ماجه ٢٢٧٧، وابن حبان ١١١٢، ١١٥٤ موارد. وعن جابر مثله رواه أحمد ٣/ ٣٠٤، ومسلم ١١/ ٢٦، وابن الجارود ٦٦٦، وزاد فيه: هم سواء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا».

رواه أحمد ٢/ ٣٥٣، ٣٦٣، وابن ماجه ٢٢٢٣، ورجاله ثقات غير ابن جدعان، ففيه ضعف وحسن له بعضهم.

قوله تعالى: يتخبطه، التخبط هو الصرع والضرب الشديد في الأرض والسقوط كما يشاهد في الذي يصرع بالجن. وقوله: من المس، أي الجنون. وقوله: الربا، هو في الأصل الزيادة مطلقًا ثم استعمل عند العرب أيضًا في الزيادة على رأس المال، فجاء الإسلام فأبطلها وحرمها.

والربا في الشرع الإسلامي على ثلاثة أنواع:

أولاً: ربا النسيئة وهي الزيادة التي يأخذها رب الدَّين في مقابلة دَينه، وهذا النوع هو الذي كان سائدًا في الجاهلية وهو المعمول به اليوم عالميًا في سائر البنوك الربوية الدولية.

ثانيًا: ربا الفضل وهو يكون عند التبادل في الأصناف الستة التي جاء بها النص النبوي وهي: القمح، والشعير، والتمر، والزبيب، والملح، والذهب، والفضة. فالتفاضل في الجنس الواحد منها ربا.

ثالثًا: ربا التأخير، ويكون في تبادل هذه الأصناف مع الاختلاف

والتأخير، ومنه الصرف، فلا يجوز فيه تأخير أحد العملتين لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد.

والأحاديث المذكورة تدل على أمرين اثنين:

أولاً: أن آية الربا من آخر ما نزل كما هو صريح قول ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهم، غير أن هذا يعارض ما سيأتي في آخر سورة النساء عن البراء أن آخر سورة أنزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقد جمع بينهما الحافظ في الفتح وغيره وسيأتي ذلك في الآية المشار إليها.

أما قول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها لنا، يقصد بذلك تفصيل جزئيات الربا التي تفوق الحصر، كما قال أيضًا في رواية له: ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد إلينا فيهن عهدًا ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا. يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا مثل المزابنة، والمحاقلة، والمخابرة، والعينة وغير ذلك مما يكثر.

وقد جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «الربا ثلاثة وسبعون بابًا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم».

رواه الحاكم ٢/ ٣٧ عن ابن مسعود بسند صحيح، وابن ماجه ٢٢٧٤ عن أبي هريرة والطبراني عن البراء وغيرهم، فالمراد بالربا هنا ما هو أعم وهو الذي أراده أمير المؤمنين سيدنا عمر.

ثانيًا: فيها كالآية الكريمة الوعيد الشديد للمرابين وأنهم ملعونون الآخذ منهم والمعطي والكاتب والشاهد والآكل والموكل... كلهم سواء وأن المرابي يحشر يوم القيامة يتخبط ويصرع كالمجنون ويعذب في البرزخ في نهر من الدم بالرمي بالحجارة ثم يجازى مرة أخرى بتعذيبه بالأفاعي

تلدغه في بطنه عياذًا بالله تعالى. وكفى بهذا الوعيد زجرًا للمرابين ومساعديهم... إلاَّ من تاب وانتهى عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾، هو ظاهر في أن المرابين مخلدون في النار. وهذا محمول على من استحله وأباحه لأن المعصية وإن عظمت لا يكفر مرتكبها إن اعتقد تحريمها خلافًا للخوارج. وفي قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ... ﴾ إلخ، جهل منهم وسفاهة وقياس باطل يدل على غباوتهم. فإن الربا امتصاص أموال المضطرين بدون كبير تعب بخلاف البيع فإن فيه تبادلاً من الجانبين.

هذا وظهور الربا مع الزنا من أسباب هلاك الأمم كما جاء في حديث: «ما ظهر الربا والزنا في قوم إلاَّ أحلوا بأنفسهم عقاب الله».

رواه أحمد وغيره.

﴿٢٧٦﴾ **قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾.**

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُلٍّ». وفي رواية: «ما أحد أكثر من الربا إلاَّ كان عاقبة أمره إلى قُلٍّ».

رواه أحمد ١/ ٣٩٥، ٤٢٤، وابن ماجه ٢٢٧٩، والحاكم ٢/ ٣٧ من طريق أحمد وصححه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلاَّ الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلُوَّه، حتى يكون مثل الجبل.

رواه أحمد ٢/ ٣٣١، والبخاري في الزكاة ٤/ ٢٠، ٢١، وفي التوحيد، ومسلم في الزكاة ٧/ ٩٨، ٩٩.

الحديث الأول مفسر لقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا ﴾، والمَحْق نقصان الشيء حالاً بعد حال، فالربا مآله النقصان والإفلاس لصاحبه كما هو مشاهد.

أما الحديث الثاني فجاء تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي يكثرها وينميها، فلذلك جاء في الحديث بأن الله يأخذها بيده فيُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدُنا الفصيل من الإبل حتى تصبح في العظمة مثل الجبل. والله ذو فضل عظيم.

أما قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾، فقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل... والله لا يحب مثل هذا.

٢٧٨ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم
٢٧٩ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِيَ ﴾ إلى ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾. قال: فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلاَّ ضرب عنقه. وعنه قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب، قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

رواهما ابن جرير ٣/١٠٨، وابن أبـي حاتم ٢/ ٥٥٠ وكلاهما سنده صحيح إلاَّ ما قيل في عبد الله بن صالح وهو حسن الحديث.

وعن عمرو بن الأحوص رضي الله تعالى عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسـول الله ﷺ، فحمـد الله وأثنـى عليـه وذكَّـر ووعـظ ثـمَّ قـال: «أيُّ يـوم أحرمُ. . .» فذكر الحديث. وفيه: «ألا وأن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله» الحديث، يأتي في التوبة وغيرها.

رواه أبو داود في البيوع ٣٣٢٧، والترمذي في تفسير سورة التوبة ٢٨٨٨، والنسائي في الحج من الكبرى ٤١٠٠، وابن ماجه في المناسك ٢٦٦٩ بسند صحيح وحسنه ت وصححه. ورواه ابن أبـي حاتم ٢/ ٥٥١، وفيه: «وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله».

ذكر المفسرون أن قومًا من بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه اختلفوا في ذلك فأخبروا النبـي ﷺ بما حصل لهم، فنزلت الآية فكتب بها رسول الله ﷺ، فقالوا: نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا.

وفي الآية الكريمة تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار. ولذلك ذهب ابن عباس إلى قتل المرابـي إن لم يتب لأنه محارب لله عزَّ وجل لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ . . . ﴾ إلخ، أي فإن لم تتوبوا وتتركوا التعامل بالربا أو ما بقي لكم منه فأذنوا واعلموا وتيقنوا بحرب من الله ورسوله. وكفاهم بذلك خسارة. وحديث عمرو بن الأحوص يدل على وجوب وضع الربا مطلقًا ولا يؤخذ إلاَّ رؤوس الأموال كما في الآية الكريمة.

٢٨٠ **قوله تعالى:** ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾.

عن أبـي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله».

رواه أحمد ٣/ ٤٢٧، ومسلم آخر الزهد ٣٠٠٦، ومثله عن أبـي هريرة رواه أحمد والترمذي.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبـي ﷺ يقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة».

رواه أحمد ٥/ ٣٥١، ٣٦٠، وابن ماجه ٢٤١٨، والحاكم ٢/ ٢٩ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبـي.

كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدَّين: إما أن تقضي وإما أن تُرْبـي، أي تعطي الفائدة والزيادة فجاء الإسلام فأمر الله عزَّ وجل رب الدين أن يُنظر المُعْسِر ويؤخره إلى وقت اليُسْر ثم نَدَبَهم إلى الوضع عنهم مطلقًا وأن يتصدقوا عليهم بذلك المال الذي عليهم. وجاءت السنة الشريفة بالأجر الجزيل، والثواب العظيم على ذلك وأن من أنظر المعسر أو وضع عنه كان يوم القيامة تحت ظل الله حيث لا يكون إلاَّ ظله وأنه سيجازى على دَينه بكل يوم صدقة مثله قبل حلول وقت الأداء، فإذا حل فأنظره كان له بذلك مثلاه صدقة في كل يوم، وهذا شيء عظيم يعطاه رب الدَّين المنظِر لا يستهين به إلاَّ من لا خير فيه.

(٢٨١) قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ... ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٧، وابن جرير ٣/ ١١٤، ١١٥، والبيهقي في الدلائل ٧/ ١٣٧ بسندٍ صحيح.

هذا الأثر ظاهره يعارض ما تقدَّم عن ابن عباس نفسه في آية الربا وأنها آخر ما نزل وهو في صحيح البخاري ولا تعارض بينهما، لأن هذه الآية هي خاتمة آية الربا، فهما متفقان معنى، وكلا الأثرين يدلان على أنَّ الآية هي آخر ما نزل من القرآن، حتى قال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه: وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

رواه ابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٤، وابن مردويه، وهكذا رواه ابن جرير ٣/ ١١٥ عن ابن جريج قال: يقولون إن النبي ﷺ عاش بعدها تسع ليالٍ... إلخ.

ومعنى الآية الكريمة: احذروا ذلك اليوم العظيم الذي سترجعون فيه إلى الله تعالى وتوفى كل نفس حسابها وجزاءها بدون ظلم لا من نقص ولا زيادة، فاجعلوا بينكم وبينه وقاية من الإيمان الصادق والعمل الصالح الخالص، وترك الفواحش والموبقات. وقد أَسْنَدَ سبحانه هنا التقوى إلى اليوم، وأسندها في آيات كثيرة إلى نفسه المقدسة، كما أسندها في آي أخر إلى النار، والكل يرجع إلى معنى واحد، وهو التحفظ من غضب الله وعذابه، والله تعالى أعلم.

٢٨٢ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا

تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم».

رواه البخاري ٥/ ٣٣٥، ومسلم ١١/ ٤١، ٤٢، كلاهما في البيوع باب السَّلَم.

وعنه أنه قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله أحله وأذن فيه، ثم قرأ: «﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾» .

رواه ابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٤، والحاكم ٢/ ٢٨٦ وصححه على شرط الشيخين.

وعنه أنه قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم عليه السَّلام؛ أن الله لما خلق أدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار إلى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلاً يزهو فقال: أي رب من هذا؟ قال: هو ابنك داود قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عامًا، قال: رب زد في عمره، قال: لا إلاَّ أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف سنة فزاده أربعين عامًا فكتب عليه بذلك كتابًا وأشهد عليه الملائكة فلما احتُضر آدم وأتته الملائكة، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا، فقيل له: إنك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلت، فأبرز الله عليه الكتاب وأشهد عليه الملائكة فأتمها الله لداود مائة، وأتمها لآدم ألف سنة».

رواه أحمد ١/ ٢٥١، ٢٥٢، ٣٧١، والطيالسي رقم ١٩٣٥، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٥، وابن سعد في الطبقات ١/ ٩٨، والبيهقي ١٠/ ١٤٦، ورجاله ثقات وابن جدعان مختلف فيه. لكن الحديث صحيح فإن له شاهدًا عن أبي هريرة، رواه ابن أبي عاصم ١/ ٩٠، والحاكم ١/ ٦٤ من طرق وسنده صحيح وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الحديث الأول يدل كالآية على ضرب الأجل في الدين ولا خلاف في ذلك بين العلماء، بينما الحديث الثاني يوافق قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ وأن ذلك أقسط عند الله وأقوم وأقرب أن لا يشك في قدر الدين والأجل ولا سيما إذا طال الزمان كما وقع لأبينا آدم عليه السَّلام، فإنه أنكر ما وهبه لابنه داود عليه السَّلام لطول المدة، ولكنه كان قد كتب عليه بذلك وشهدت عليه الملائكة فلم يجد بدًّا من الاعتراف.

(٢٨٢) قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»، قالت: يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان عقلها، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين».

رواه أحمد ٢/ ٦٦، ٣٧٣، ومسلم في الإيمان ١/ ٦١، والترمذي في الإيمان رقم ٢٤٣٢، وهو في الصحيحين عن أبي سعيد، وفي مسلم وغيره عن ابن عمر وغير ذلك.

الشاهد من الحديث هو أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وذلك موافق للآية الكريمة، وفي الحديث فوائد ليس هذا محل إيرادها.

(٢٨٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها».

رواه أحمد ٤/ ١١٥، ١١٧ و ٥/ ١٩٢، ١٩٣، ومسلم ٢/ ١٧، وأبو داود ٣٥٩١، والترمذي في أول الشهادات ٢١٢، وابن ماجه في الأحكام ٢٣٦٤.

في الحديث فضل الإدلاء بالشهادة لمن كانت عنده، كما أن الآية الكريمة تنهى من كانت لديه شهادة الامتناع من أدائها إذا ما دعي إليها.

(٢٨٢) **قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.**

عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلاَّ بِعتُه، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: «أوليس قد ابتعتُه منك؟»، فقال الأعرابي: لا واللّه ما بعتُكه، فقال النبي ﷺ: «بلى، قد ابتعتُه مِنك»، فطفِق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيدًا، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد ابتعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة، فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

رواه أحمد ٥/ ٢١٦، وأبو داود في الأقضية رقم ٣٦٠٧، والنسائي في البيوع رقم ٤٣٣٢، وابن سعد ٤/ ٣٧٨، ٣٧٩، والحاكم ٢/ ١٧، ١٨، والبيهقي ٧/ ٦٦ و ١٠/ ١٤٦، والطحاوي في معاني الآثار ٤/ ١٤٦ بسندٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

في هذا الحديث مشروعية الإشهاد في البيع والشراء لإقراره ﷺ خزيمة بن ثابت على شهادته له ﷺ عندما طلب ذلك الأعرابي الشهيد.

والآية صريحة في الأمر بذلك، غير أنه غير واجب عند عامة العلماء، والله أعلم.

خلاصة آية المداينة:

قد قدمنا أول السورة أن آية المداينة هي أطول آية في القرآن إطلاقًا، وقد اشتملت على عدة أحكام:

أولاً: مشروعية المداينة إلى أجل.

ثانيًا: كتابة ذلك ليكون أوثق وأقوم.

ثالثًا: بيان ما يجب على الكاتب والمدين في ذلك.

رابعًا: بيان الشهود المعتبرين شرعًا.

خامسًا: عدم الامتناع من أداء الشهادة إذا احتيج إليها.

سادسًا: عدم السآمة من كتابة ما يحتاج إلى كتابته سواء كان صغيرًا أو كبيرًا.

سابعًا: الإشهاد عند البيع والشراء.

ثامنًا: لا يضرُّ صاحب الحق الكُتَّاب والشُّهودَ.

٢٨٣ **قوله تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقًا من شعير، رهنها قوتًا لأهله.

رواه البخاري في البيوع ٥/٢٠٦، وفي الرهن ٦/٦٥، ٦٦، والترمذي ١٠٩٧، والنسائي. ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، رواه البخاري في الرهن ٦/٦٧، ٧٠، وفي الجهاد ٦/٤٤٠، وفي آخر المغازي، ومسلم في الرهن ١١/٣٩، ٤٠، وعن ابن عباس عند ابن ماجه ٢٤٣٩ بسندٍ صحيح.

الرهن في الأصل: الاحتباس، وفي الشرع: جعل مال وثيقة على دَين، وهو مشروع بالإجماع. والسفر في الآية خرج مخرج الغالب، فإن السنَّة الصحيحة جاءت بمشروعيَّته في الحضر أيضًا، كما في حديثي الباب وأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرهما. وخالف بعضهم فخصه بالسفر كالظاهرية، والسنَّة ترد عليهم.

٢٨٣ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾، حتى إذا بلغ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها.

رواه البخاري في التاريخ الكبير، وابن ماجه في الأحكام ٢٣٦٥، وابن جرير ٣/ ١١٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٧٠ بسندٍ جيد كما قال ابن كثير والسيوطي.

ومعنى الآية الكريمة أنه إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا حرج في عدم الكتابة والإشهاد، لأن المقصود من ذلك هو الاستيثاق، فإذا حصل الأمان من الخيانة فلا حاجة حينئذٍ إلى شيء آخر، وبذلك يبدو ما قاله أبو سعيد من النسخ.

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

رواه أحمد ٥/ ٨، ١٣، وأبو داود ٣٥٦١، والترمذي ١١٤٤، وابن ماجه ٢٤٠٠، والدارمي ٢٥٩٩، والحاكم ٢/ ٤٧، وقال الترمذي: حسن صحيح.

في الحديث وجوب أداء ما أخذه الإنسان من أمانة وغيرها سواء كان دينًا أو عارية أو ما إلى ذلك، ومعناه موافق للآية الكريمة وسيأتي حديث: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك»، في سورة النساء إن شاء الله تعالى.

٢٨٤ قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ
تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
٢٨٥ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
٢٨٦ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ . . . ﴾ الآية. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفْنَا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا. . . إلخ، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾. فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ الحديث، وفيه عقب كل دعاء منها نعم، نعم، نعم.

رواه أحمد ٢/ ٤١٢، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٤٥، ١٤٦، وابن جرير ٣/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٧٣.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾، دخل قلوبهم منها شيء لم يدخله من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا»، قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ . . . ﴾ الآية، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ . . . ﴾ إلخ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾، قال: قد فعلت، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾، قال: قد

فعلت، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾، قال: قد فعلت.

رواه أحمد ١/ ٢٣٣، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٤٦، والترمذي ٢٨٠١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٧، وابن جرير ٣/ ١٤٣، والحاكم ٢/ ٢٨٦، كلهم في التفسير.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدثت بها أنفسها ما لم تكلم أو تعمل.

رواه أحمد ٢/ ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩١، والبخاري في العتق رقم ٢٥٢٨، وفي الطلاق ٥٢٦٩، وفي الأيمان والنذور ٦٦٦٤، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٤٦، ١٤٧، وأبو داود ٢٢٠٩، والترمذي كذلك ١٠٦٤، والنسائي في الكبرى ٣/ ٣٦٠، وابن ماجه ٢٠٤٠، ٢٠٤٤، أربعتهم في الطلاق.

أحاديث الباب تدل على أن قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ منسوخة بالآيتين بعدها أو مخصوصة كما قيل، وفي حديث أبي هريرة الأخير بيان ما تفضل الله تعالى به على هذه الأمة بعدم مؤاخذتهم على ما يحدثون به أنفسهم من الوساوس والخواطر القلبية ككفر وقتل وزنا وطلاق ونحو ذلك ما لم يقع عزم أو كلام أو عمل، وهذا من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده.

وفي حديثي أبي هريرة الأول وابن عباس بشارة عظيمة لأمة الإسلام حيث رفع عنها الحرج والإصر وتكليف ما لا نطيق إضافة إلى ما فيها من إجابة الله عزَّ وجل قارىء الآيتين بقوله: قد فعلت قد فعلت قد فعلت، ونعم نعم نعم، فيا لها من بشارة ويا له من خير وفضل جعلنا الله عزَّ وجل بمنه وكرمه من أهل ذلك، آمين.

من فضائل خواتيم هذه السورة

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي

به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات.

رواه مسلم في الإيمان ٣/ ٢، ٣.

«المُقْحِمَات» كبار الذنوب.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي».

رواه أحمد ٥/ ١٥١، ١٨٠، والحاكم ١/ ٥٦٢ بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرط البخاري.

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فإني أعطيتها من كنز تحت العرش».

رواه أحمد ٤/ ١٤٧ بسندٍ حسن.

وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بها سورة البقرة ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان.

رواه الترمذي في التفسير ٢٦٩١، والحاكم في ١/ ٥٦٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورواه أيضًا الدارمي ٣٣٩٠، وابن حبان ١٧٣٦، وأحمد ٤/ ٢٧٤.

قوله: من كنز تحت العرش... إلخ، هذا من عالم الغيب يجب أن نؤمن به وكفى فإنه لم يأتِ شيء يبين لنا كيفية هذا الكنز وصفته. وتحت العرش يشمل كل العالم، فإن العرش فوق السموات السبع وفوق الجنة، بل هو سقف الفردوس كما جاء في الصحيح.

وقوله: إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، هذا يعارض ما جاء في صحيح مسلم وغيره أن الله قدَّر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وجمع بينهما بجواز اختلاف أوقات الكتابة في اللوح المحفوظ، أو بجواز مغايرة الكتابين، أو بكونه أريد به مجرد الكثرة لا التحديد، والله أعلم.

وعلى أيٍّ، فهذه الأحاديث تدل على فضل هذه الخواتيم وأن لها لشأنًا عند الله عزَّ وجل.

ومن خصائصها أنها تكفي قارئها عن كل شيء، كما تقدَّم أول السورة، وأن الدار التي تقرأ فيه ثلاث ليالٍ لا يقربها شيطان، وما ذلك إلاَّ لما لها من الأسرار الإلـٰهية التي لا نعرفها.

وبهذا تم تفسير سورة البقرة بالحديث الصحيح، وكان الفراغ منه ضحوة الخامس والعشرين من صفر عام تسعة عشر وأربعمائة وألف ١٤١٩هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ باللَّـه العلي العظيم.

***

﴿ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مدنية، من السبع الطوال أيضًا، إذ فيها مائتا آية، وتعد ثاني الزهراوين، وتقدم فضلها مع البقرة.

وأهم أهدافها الكلام مع النصارى في شأن روح الله عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام، في أشياء أخرى لها تعلق بالعقيدة مع ذكر بعض الأحكام الشرعية، ومنها تعرضها لغزوتي بدر وأحد. . .

من خصائص هذه السورة

في السورة الكريمة خصائص لا توجد في غيرها، وهي كالآتي:

١ ــ بيان أن القرآن الكريم فيه آيات محكمات، وأخر متشابهات، آية ٧.

٢ ــ بيان موقف أهل الزيغ والراسخين في العلم في شأن المتشابه، آية ٧.

٣ ــ ذكر أنواع الشهوات التي زينت للناس، وبدأ بأعظمها وألذها وأشرها فتنة وهي النساء، آية ١٤.

٤ ــ قِران أهل العلم بالله وملائكته في الإقرار وبيان أنه لا إلـه إلَّا هو، آية ١٨.

٥ ــ بيان أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام خاتمة الأديان، آية ١٩ .

٦ ــ مشروعية التقية عند الخوف من الإذاية، آية ٢٨ .

٧ ــ علامة محبة الله تعالى تظهر في اتباع رسول الله ﷺ، آية ٣١ .

٨ ــ ذكر قصة امرأة عمران والدة مريم ونذرها ما في بطنها محررًا لله تعالى، آيات ٣٥ ــ ٣٧ .

٩ ــ ذكر أول موضع ذكرت فيه مريم وقصة ولادتها، آية ٣٦ .

١٠ ــ عناية الله بمريم وتفضله تعالى عليها بكرامات، آية ٣٧ .

١١ ــ وصفه تعالى نبيه يحيى عليه السَّلام بأنه حصور، آية ٣٩ .

١٢ ــ مخاطبة الملائكة مريم بأنها مصطفاة ومطهرة، آية ٤٢ .

١٣ ــ ذكر أصل القرعة متمثلة في كفالة زكرياء لمريم، آية ٤٤ .

١٤ ــ بيان أول آية ذكر فيها رفع عيسى عليه السَّلام إلى السماء، آية ٥٥ .

١٥ ــ تشبيه عيسى بآدم عليهما الصَّلاة والسَّلام، آية ٥٩ .

١٦ ــ ذكر آية دعوة النبي ﷺ النصارى للمباهلة، آية ٦١ .

١٧ ــ أولى الناس وأحقهم بالانتساب إلى إبراهيم الذين اتبعوه، آية ٦٨ .

١٨ ــ بيان خبث اليهود وزعمهم أن أموال العرب حلال لهم، آية ٧٥ .

١٩ ــ ما ينبغي لنبي أوتي الكتاب والحكم. . . أن يأمر الناس بعبادة غير الله، الآيتان ٧٩، ٨٠ .

٢٠ ــ أخذ الميثاق على الأنبياء. . . بأن يؤمنوا برسول الله. . . ، آية ٨١ .

٢١ ــ من طلب دينًا غير دين الإسلام كان من الخاسرين، آية ٨٥ .

٢٢ ــ لا ينال الإنسان البر حتى ينفق مما يحبه، آية ٩٢ .

٢٣ ــ بيان ما حرَّم إسرائيل على نفسه، آية ٩٣ .

٢٤ ــ أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله بيت الله الحرام، آية ٩٦ .

٢٥ ــ ذكر آية توجب الحج على من استطاع، آية ٩٧ .

٢٦ ــ الأمر بتقوى الله حق تقاته، آية ١٠٢ .

٢٧ ــ وجوب الاعتصام بحبل الله والنهي عن التفرق، آية ١٠٣ .

٢٨ ــ تذكير العرب بنعمة الإسلام والائتلاف بينهم، آية ١٠٣ .

٢٩ ــ وجوب تكوين طائفة للقيام بالأمر بالمعروف. . . ، آية ١٠٤ .

٣٠ ــ بيان أن الأمة المحمدية هي خير أمة أخرجت للناس، آية ١١٠ .

٣١ ــ ضرب الذلة والمسكنة على اليهود إلَّا بحبل من الله وحبل من الناس، آية ١١٢ .

٣٢ ــ ذكر غزوة أُحد مطولة وما حصل فيها وما ترمي إليه من عبر، بدايةً من آية ١٢١ إلى ١٧٥ .

٣٣ ــ ذكر ما نزل في غزوة بدر من ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف ملك، آية ١٢٥ .

٣٤ ــ كثير من الأنبياء وأتباعهم وأنصارهم قاتلوا وقتلوا وما ضعفوا، آية ١٤٦ .

٣٥ ــ الأمر الإلـٰهي لنبـي الله بمشاورة أصحابه ومعاشرته إياهم بالرفق، آية ١٥٩ .

٣٦ ــ ذكر آية ثانية لا ثالث لهما تخبر بحياة الشهداء، آية ١٦٩ .

٣٧ ــ بيان أن مانع الزكاة سيطوق في عنقه بأفعى تأخذ بلهزمتيه، آية ١٨٠ .

٣٨ ــ افتراء اليهود على الله بأنه فقير وهم أغنياء، آية ١٨١ .

٣٩ ــ بيان أن من أُبعد عن النار وأدخل الجنة كان فائزًا سعيدًا، آية ١٨٥ .

٤٠ ــ ذكر خاتمة السورة بصفات أولي الألباب ودعواتهم وابتهالاتهم، آيات ١٩٠ ــ ٢٠٠ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾.

عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾.

رواه أحمد ٦/ ٤٦١، وأبو داود في الصلاة ٤٩٦، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٩، وابن ماجه ٣٨٥٥، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٣. وحسّنه الترمذي وصحّحه، يعني لشاهده عن أبي أمامة، رواه ابن ماجه ٣٨٥٦، والحاكم ١/ ٥٠٥ بسندٍ حسنٍ فهو به حسن صحيح.

والحديث يدل على أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين، وهذا لا يعني أنه لا يكون في غيرهما، وذلك لمجيء أحاديث أخرى تدل على أنه جاء في أسماء أخرى، كـ: «لا إلـه إلاَّ أنت الأحد الصمد»، كما جاء في السنن من حديث بريدة. و «لا إلـه إلاَّ أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام»، كما في حديث لأنس رواه أحمد وابن ماجه والحاكم من طرق صحيحة، وانظر ما سبق في آية الكرسي.

(٧) قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ... ﴾ إلخ، فقال ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم».

رواه أحمد ٦/ ٢٥٦، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٧٧، ٢٧٨، ومسلم في العلم ١٦/ ٢١٧، وأبو داود في السنّة ٤٥٩٨، والترمذي في التفسير ٢٨٠٢ وغيرهم.

وفي الآية الكريمة ذمّ الزائغين المائلين عن الحق والمحكم من الكتاب المتبعين ما استأثر الله بعلمه أو ما هو غير واضح الدلالة فيؤولونه بتآويل باطلة منحرفة طلبًا للفتنة كما هو شأن أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والشيعة الروافض الذين يتركون المحكم الواضح ويتعلقون بالمتشابه، وهكذا أعمى الله بصائرهم. وفي الحديث إرشاد إلى وجوب الحذر منهم وعدم الاستماع إليهم أو قراءة كتبهم، واختلف العلماء والمفسرون رحمهم الله تعالى في المراد بالمحكم والمتشابه على أقوال كثيرة، فقال المتقدمون: المحكم ما عرف المراد منه إما بظهوره أو بتأويله، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه. واختار هذا القول أبو منصور البغدادي، وقال ابن السمعاني: إنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة. واختار المتأخرون أن المحكم ما وضح معناه والمتشابه ضده. وراجع أقوال المفسرين بإسهاب في تفسير المنار.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر ــ قالها ثلاثًا ــ ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله».

رواه أحمد ٢/ ٣٠٠، وابن جرير وأبو يعلى رقم ٥٩٩٠ وسنده صحيح وعزاه في المجمع ٧/ ١٥١ لأحمد، وقال بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه. ورواه أحمد ٤/ ١٧٠ عن أبي جهيم بنحوه أيضًا.

الحديث يدل على أن الجدال في القرآن إثمه عظيم وأنه قد يكون كفرًا، فالواجب على المسلم أن يعمل بما علم منه مما هو ظاهر الدلالة، وما جهل معناه والمراد منه فوض أمره إلى الله الذي أنزله وكفى، وفي الآية الكريمة كلام طويل ليس إيراده من شرطنا.

(١٢) قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ
(١٣) الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشًا يوم بَدْرٍ وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع فقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا»، قالوا: يا محمد لا يغرنَّك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) ﴾.

أخرجه أبو داود في الخراج ٣٠٠١، وابن جرير ٣/ ١٩٢، ورجاله ثقات غير محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان، لكن رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ٢/ ٦٠٤ وغيرهما من طريق آخر مرسلاً فيتأيد، ولذلك لم يذكر ابن جرير ولا ابن كثير في سبب نزول الآية غير ذلك.

وفي الآية معجزة ظاهرة للقرآن الكريم حيث أخبر الله تعالى عن اليهود أنهم سيكونون من المغلوبين المنهزمين، ثم يحشرون إلى أمهم جهنم، فوقع ذلك لهم كما أخبر تعالى ولم يعتبروا بما حصل لإخوانهم في الكفر ببدر رغم أنه قال لهم ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ـ أي عبرة ـ ﴿ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ وهما جماعة المسلمين وجماعة كفار قريش، ولذلك ختم الآيتين بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) ﴾، ولكنه أنى لليهود أن تكون لهم الأبصار حتى يعتبروا.

(١٤) قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة».

رواه أحمد ٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥، والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٨٠، والحاكم ٢/ ١٦٠ وغيرهم، بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذا رواه أبو يعلى رقم ٣٤٦٩، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ٢٢٩، ٣٣٠.

محبة الرجال للنساء والعكس هو شيء طبيعي في الإنسان غير أن محبة النبي ﷺ لهن تختلف عن محبة غيره. وقد نتج عن هذه المحبة فتنة عظيمة للرجال ليس بعدها فتنة أضر عليهم منها، ولذلك جاء عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

رواه أحمد ٥/ ٢٠٠، ٢١٠، والبخاري ١١/ ٤١، ومسلم ١١/ ٥٤ وغيرهم من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما.

قال الحافظ في الفتح: إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد لذلك قوله عزَّ وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ . . . ﴾ الآية، فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض».

رواه أحمد ٢/ ٣٦٣، وابن ماجه رقم ٣٦٦٠، وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

---

(١) وراجع «المرأة المتبرجة» لكاتبه تستفد.

في الحديث بيان مقدار القنطار الوارد في الآية، وهذا أصح ما ورد فيه رغم أنه جاءت فيه آثار مختلفة، ولذلك قال ابن جرير ٣/ ٢٠١، فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير.

٢٠ قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فمرض، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي ﷺ: «يا فلان قل لا إله إلاَّ الله»، فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنك رسول الله، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه بي من النار».

رواه أحمد ٣/ ١٧٥ والبخاري في الجنائز ٣/ ٤٦٤.

في الحديث مشروعية استخدام أطفال الكفار، وفيه جواز بل استحباب عيادة الكافر بقصد عرض الإسلام عليه، وفيه بركة خدمة الصالحين.

٣٦ قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلاَّ والشيطان يمسَّه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلاَّ مريم وابنها».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٤، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ٢٨٠، وفي التفسير ٩/ ٢٧٩ ومسلم في الفضائل ١٥/ ٢٢٠، وكذا الحميدي ١٠٤٣، وابن جرير ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩.

وفي الحديث بيان استجابة دعوة امرأة عمران في حفظ مريم وابنها من الشيطان، وفيه أنه لا ينجو أحد من مس الشيطان عند ولادته غير مريم وابنها فإن الله تعالى اختصهما بذلك، وذكر القاضي عياض أن هذا عام في كل الأنبياء، غير أنه لم يأتِ نص في ذلك عن الشارع، أما ما طعن به الزمخشري وغيره في هذا الحديث فهو مما لا يلتفت إليه، وانظر: رد الحافظ عليه في التفسير من فتح الباري.

(٤٢) **قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.**

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد».

رواه أحمد ١/ ٨٤، ١١٦، ١٣٢، والبخاري في بدء الخلق، وفي الفضائل ٨/ ١٣٤، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٩٨، وأبو يعلى ٥٢٢، ٦١٢، والحاكم ٣/ ١٨٤.

الاتفاق على أن مريم أفضل أهل زمانها، فقوله في الحديث: «خير نسائها»، أي نساء أمتها وعالمها، واختلفوا في أفضل نساء هذه الأمة فقال بعضهم: خديجة رضي الله تعالى عنها وهو ظاهر هذا الحديث، وقال آخرون عائشة رضي الله تعالى عنها للحديث الصحيح: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». والصحيح المختار أن أشرف نساء هذه الأمة وأفضلهن مولاتنا فاطمة عليها السلام ثم خديجة ثم عائشة رضي الله تعالى عنهن جميعًا. واستدل بهذه الآية وغيرها من قال بنبوة مريم عليها السلام، والخلاف فيها وفي غيرها من النساء مشهور، والجمهور على أنه لم تكن امرأة نبية.

(٤٦) **قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلَّا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج» فذكر الحديث، وفيه: الصبـي الذي ترك الثدي وقال: اللَّـهمَّ لا تجعلني مثله... وقال: اللَّـهمَّ اجعلني مثلها.

رواه البخاري أواخر الصلاة، وفي المظالم وفي أحاديث الأنبياء ٧/ ٢٨٧، ٢٩٢، ومسلم في البر ١٦/ ١٠٥، ١٠٨ روياه مطولاً.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان معجزة لروح الله عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام حيث أجرى الله الكلام على لسانه وهو لا يزال صغيرًا في مهده.

والحديث حصر المتكلمين في المهد في هؤلاء الثلاثة، والواقع أنهم أكثر كما وردت بذلك الأحاديث، فمنهم صاحب الأخدود، ففي صحيح مسلم ١٨/ ١٣٠، ١٣٣، والمسند ٦/ ١٦، ١٨، من حديث صهيب عنه ﷺ في حديث طويل وفيه المرأة التي جيء بها لتلقى في النار أو لتكفر ومعها صبـي يرضع فتقاعست فقال لها: يا أمَّة اصبري فإنك على الحق. ومنهم رضيع ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف، جاء بذلك حديث لابن عباس رواه أحمد ١/ ٣٠٩، ٣١٠، والحاكم في الأنبياء وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، فاجتمع من ذلك ستة ولم يصح سواها.

٥٢ **قوله تعالى:** ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبـي حواريًّا وحواريـي الزبير».

رواه البخاري في الجهاد والسير، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٨٨، وأهل السنن وغيرهم.

الحواري هو الناصر. وفي الحديث فضل للزبير رضي الله تعالى عنه وحق له ذلك، فإنه أحد العشرة وأحد السابقين والمهاجرين وصاحب

المشاهد، قتل شهيدًا يوم الجمل سنة ست وثلاثين. والحديث يدل على أن لكل نبـي حواريًا وليس ذلك خاصًا بعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام.

(٦١) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ (٦١)﴾.

عن سعد بن أبـي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ...﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا عليهم السَّلام فقال: «اللَّـهمَّ هؤلاء أهلي».

رواه أحمد ١/ ١٨٥، ومسلم ١٥/ ١٧٥، ١٧٦، والترمذي ٣٧٢٤، كلاهما في الفضائل، والنسائي في الكبرى رقم ٨١٤٩، وكذا الترمذي أيضًا في التفسير ٢٩٩٩ مطوّلاً ومختصرًا.

كان هذا الدعاء عندما أراد ﷺ مباهلة النصارى الذين جادلوه في شأن عيسى عليه السَّلام. وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ يعني رسول الله ﷺ والإمام عليًا، و ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين، و ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة عليهم السَّلام، قاله جابر. وفي الآية مع الحديث فضل ظاهر لهؤلاء السادات، وأنهم خاصة رسول الله ﷺ وآله الأقربون، وأن لهم من المزايا والخصائص ما ليس لغيرهم، وهذا مما لا ينبغي أن يجادل فيه مسلم يحترم مقام النبوة.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيًا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أمينًا ولا تبعث معنا إلاَّ أمينًا.

رواه البخاري ٨/ ٩٤، ٩٥، ومسلم ١٥/ ١٩٢، والترمذي ٣٥٢٨، كلهم في المناقب.

في الحديث بيان صدق نبينا ﷺ لمن أراد مباهلتهم وأنهما خشيا على أنفسهما الهلاك إذا باهلاه، ولذلك عدلا عنها إلى الصلح وأداء الجزية.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو جهل قبَّحه الله وأخزاه: إن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته، قال: فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أنَّ اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً.

رواه أحمد ١/٢٤٨، ٣٦٨، والإسماعيلي في صحيحه كما في الفتح وسنده صحيح، وأوله عند البخاري في تفسير العلق ١٠/٣٥٣، ٣٥٤، والترمذي ٣١٣٠، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٨، وابن جرير، كلهم في التفسير ويأتي في العلق.

المباهلة: التلاعن، بأن يتلاعن المتجادلان فيلعنا المبطل الكاذب، ويأتي أيضًا في الجمعة وفي العلق.

﴿٦٤﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى فيّ قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هِرَقْل قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. قال: فقال هرقل: هل هٰهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم. قال: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم

دعا بترجمانه فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذَبني فكذِّبوه. قال أبو سفيان: وأيم الله لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا. ثم قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان في آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان

حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم سجالاً ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله. وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وهذه صفة النبـي، قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقًّا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلُص إليه لتجشَّمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرىء فإذا فيه:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلِم تسلَم، وأسلِم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأرِيسِيِّين، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾».

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابـي حين خرجنا لقد أَمِر أَمْر ابن أبـي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

رواه أحمد ١/ ٢٦٣، والبخاري في بدء الخلق ١/ ٣٥، ٤٨، وفي الجهاد وفي التفسير ٩/ ٢٨١، ٢٩٠، ومسلم في الجهاد ١٢/ ١٠٣، ١١١ وغيرهم.

هذا حديث عظيم فيه فوائد هامة، وفيه مشروعية إرسال الرسائل إلى عظماء الكفار لدعوتهم إلى الله ودين الحق، وفيه العمل بخبر الواحد العدل في كل ميادين أمور الديانة ولذلك أدلة كثيرة، وفيه بيان ما كان يدعو إليه النبي ﷺ من مكارم الأخلاق وخصال الخير التي يحبها ويرضاها كل ذي عقل سليم فطري، وفيه بيان علامات الرسل وأن لهم صفات يعرفهم بها علماء الكتب الإلـهية، وفيه غير ذلك مما لا يتسع له المقام، وقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ. . .﴾ إلخ، الكلمة هنا هي لا إلـه إلاَّ الله، باتفاق.

(٦٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ. . .﴾ الآية».

رواه أحمد ١/ ٤٠١، والترمذي ٢٨٠٣، وابن جرير ٣/ ٣٠٢، والحاكم ٢/ ٢٩٢، ٥٩٣ كلهم في التفسير، وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي ولا عبرة بمن ضعفه بالانقطاع فإنه صح اتصاله من طريق ثقتين.

وقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى. . .﴾ إلخ، أي إن أحقهم باتباعه وولايته ونصرته هذا النبي وأتباعه.

(٧٧) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين صَبْرٍ ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه

غضبان»، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ . . . ﴾ الآية. قال: فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا، قال: فيَّ أنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ: «بيِّنتك أو يمينه»، فقلت: إذًا يحلف يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان».

رواه البخاري في المساقاة وفي الخصومات وفي الشهادات وفي التفسير ٩/ ٢٨٠، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٥٨، ١٥٩، وأبو داود في الأيمان والنذور ٣٢٤٣، والترمذي في التفسير ٢٨٠٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٠٩، وابن ماجه ٢٣٢٢ وغيرهم.

وقوله: فاجر، أي كاذب. وقوله: ليقتطع، أي يأخذ. وقوله تعالى: ﴿ لَا خَلَٰقَ ﴾، أي لا نصيب ولا خير لهم في الآخرة، وذلك إذا لم يتوبوا.

وفي الآية والحديث وعيد شديد للحالف الفاجر الذي يحاول أخذ مال أخيه المسلم بيمينه الكاذبة. وفي الحديث بيان القاعدة العامة في القضاء والشهادات وهي البينة على المدعي، واليمين على المنكر.

وعن ابن مسعود أيضًا قال: نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية، ثم لم ينسخها شيء، فمن اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه فهو من أهل هذه الآية.

رواه النسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٣٠٩ بسند صحيح.

وفي الباب عن عدي بن عميرة الكندي في قصة امرىء القيس مع الحضرمي بنحو حديث قصة الأشعث بن قيس.

رواه أحمد والنسائي في الكبرى رقم ٥٩٩٦، ٣/ ٤٨٦ وغيرهما وعن عمران بن حصين، رواه أبو داود وابن جرير والحاكم وغير ذلك.

(٨٥) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

عن الحسن هو البصري رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال، كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي». قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

رواه أحمد ٢/ ٣٦٢، وأبو يعلى ٦٢٣١ ورجال أحمد رجال الصحيح غير عباد بن راشد وثقه عبد الله بن أحمد وأبو حاتم وضعفه جماعة. وانظر: المجمع ١٠/ ٦٢٥ رقم ٨٣٦٧.

وفي هذا الحديث تصريح الحسن بسماعه من أبي هريرة، وجاء ذلك في غير ما حديث. والآية نص في أن الله لا يقبل دينًا غير دين الإسلام، والحديث يدل على أن الأعمال الصالحة ستشفع لصاحبها يوم القيامة وأن الإسلام هو أعظمها خيرًا وبركة، فبه يأخذ الله عزَّ وجل وبه يعطي، أماتنا الله على الإسلام والدين الحق.

(٨٦) قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ
(٨٧) ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ
(٨٨) عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
(٨٩) وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم، فأرسل إلى قومه سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانًا ندم وأنه قد أمرنا أن نسألك هل له من توبة، فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾. فأرسل إليه فأسلم.

رواه أحمد ١/ ٢٤٧، والنسائي في تحريم الدم من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى ٦/ ٣١١، والطبري ٣/ ٣٤٠، وابن حبان ١٧٢٨ بالموارد، والحاكم ٢/ ١٤٢، ٤/ ٣٦٦، والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٩٧ وسنده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في المصدرين.

والآية مع الحديث يدلان على قبول توبة المرتد إذا صح ندمه، وأنه يغفر له كفره وما صدر منه لقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا. . .﴾ الآية.

﴿٩٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ. . .﴾ الآية.

رواه البزار قال ابن كثير في التفسير: وسنده جيد.

ظاهر الآية الكريمة وسببها أن من كفر وازداد كفرًا بردة أو غيرها لا تقبل توبته وهو خلاف المعلوم المقطوع به أن الله عزَّ وجل يقبل توبة الكافر والعاصي مطلقًا قبل موته ما لم يغرغر، فيجب أن تحمل الآية على قوم خاصين أو من تاب بعد أن حضره الموت وشاهد مقامه وذلك عند الغرغرة، واختار ابن جرير أن الآية في اليهود الذين كفروا بنبينا ﷺ بعد إيمانهم به قبل بعثته ثم ازدادوا كفرًا بما أصابوا من الذنوب، في كفرهم ومقامهم على

ضلالهم فلن تقبل توبتهم من ذنوبهم حتى يتوبوا من كفرهم بنبينا محمد ﷺ، والله أعلم.

(٩١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك، أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلاَّ أن تشرك».

رواه أحمد ٣/ ١٢٧، ٢٩١، والبخاري في الرقاق ١٩٣، ١٩٥، ٢١٦، ومسلم في المنافقين ١٧/ ١٤٧، ١٤٨، ورواه ابن جرير ٣/ ٣٤٦، وقال في أخرى فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

وهذا وعيد بالغ متناهٍ عياذًا بالله من الكفر وأسبابه وطرقه وأهله.

(٩٢) قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٩٢)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أبا طلحة كان أكثر أنصاري مالاً بالمدينة بالنخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها فيأكل من ثمرها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت وإني أرى أن

تجعله في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة بين أقربائه وبني عمه.

رواه أحمد ٣/ ١٤١، ٢٥٦، والبخاري في الزكاة وفي الوكالة وفي الوقف وفي التفسير ٩/ ٢٩٠، ٢٩١، وفي مواضع، ومسلم في الزكاة ٧/ ٨٤، ٨٥، وأبو داود ١٦٨٩، والترمذي في التفسير ٢٨٠٥، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/ ٣١١، ٣١٢. وفي رواية لمسلم ٧/ ٨٥، والنسائي ٦/ ٣١٢، وأبي داود ١٦٨٩: قال أبو طلحة: أرى ربنا يسألنا أموالنا فأُشهِدُك يا رسول الله أني قد جعلت أرضي بيرحاء لله، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها في قرابتك»، قال: فجعلها في حسان بن ثابت وأبي بن كعب.

بيرُحاء: بكسر الباء بعدها ياء ثم راء مضمومة وحاء ممدودة، ويقال بفتح الباء، وهو اسم بستان كان لأبي طلحة قبالة المسجد لجهة الشام، وهو الآن ضمن التوسعة السعودية، وقوله: بخ بإسكان الخاء وتنوينها مع الكسر وفيها لغات، ومعناه تعظيم الأمر وتفخيمه. وفي الآية الكريمة إرشاد المسلم إلى التصدق بأحب الأموال إليه وأن ذلك من كمال البر، وفي الحديث فضل أبي طلحة رضي الله تعالى عنه وسخاؤه ومسارعته إلى التقرب إلى الله تعالى بأحب ما كان يملك، وفيه مشروعية الوقف والحبس، وأفضله أن يكون على الأقارب.

(٩٣) قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلاَّ نبي، قال: «سلوني عما شئتم» فذكر الحديث، وفيه: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه، وفيه: «أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضًا شديدًا وطال سقمه فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه

ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها. . . » الحديث.

رواه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى، وحسنه الترمذي وصححه، وتقدم بعضه في البقرة: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] الآية، ويأتي بعضه أيضًا في سورة الرعد.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بيان أن إسرائيل وهو يعقوب عليه السَّلام حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وكانوا قبل ذلك لهم أن يأكلوا جميع دواب الأرض مطلقًا، فلما حرم يعقوب ما حرم على نفسه اتبعه بنوه على ذلك، وهذا النذر الذي فعله يعقوب غير جائز في شرعنا فلا يحل لمسلم أن ينذر تحريم شيء مباح على نفسه.

(٩٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا: نُحَمِّمُهُمَا ونضربهما، فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم؟» فقالوا: لا نجد فيها شيئًا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُها الذي يدرسها منهم كَفَّه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحنأ عليها يقيها الحجارة.

رواه أحمد ٢/ ٥، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٩٢، وفي المحاربين وفي التوحيد، ومسلم في الحدود ١١/ ٢٠٨، ٢٠٩، وأبو داود ٤٤٤٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٢ وغيرهم.

وقوله: نحمِّمها بضم النون وفتح الحاء وكسر الميم الأولى المشددة،

أي نسود وجوههما بالحُمَم، بضم الحاء وفتح الميم، أي الفحم.

وفي الحديث مشروعية رجم الزناة والزواني إذا ثبت الإحصان، وأن هذا الحكم كان موجودًا في التوراة، وفيه إقامة الحدود على اليهود من حكام المسلمين ولا خلاف في ذلك.

(٩٦) قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه سأله عن أول مسجد وضع للناس؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون عام»، ثم قال: «حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض مسجد لك».

رواه أحمد ٥/ ١٥٠، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦، والحميدي ١٣٤، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ٢٧٣، ومسلم في المساجد ٥/ ٢/ ٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٢، ٣١٣، وفي المجتبى وابن ماجه ٧٥٣.

في الآية والحديث دليل على أن الكعبة المكرمة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عزَّ وجل، كما يدل الحديث على أن أول من بناه خليل الرحمن عليه السَّلام، أما المسجد الأقصى فالجمهور على أن أول من بناه يعقوب عليه السَّلام، وقيل إبراهيم، وكان بين المسجدين أربعون سنة، أما ما جاء من بناء سليمان عليه السَّلام للمسجد الأقصى فمعناه تجديده.

(٩٧) قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا

رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

رواه أحمد ٢/٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣ وفي مواضع، والبخاري في الاعتصام باب الاقتداء بسنَّة رسول الله ﷺ ١٧، ١٩، ٢١، ومسلم في الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٩/١٠٠، ١٠١، واللفظ لأحمد ومسلم، ورواه أيضًا الترمذي في العلم والنسائي في الحج.

في الآية والحديث وجوب الحج مرة في العمر على من استطاع إليه سبيلاً، ولا خلاف في ذلك للإجماع عليه.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة».

رواه الترمذي في الحج ٧١٩، وابن ماجه ٢٨٩٦، والدارقطني ٢/٢١٧، وحسنه الترمذي يعني لشواهده الكثيرة التي تجدها في نصب الراية ٣، ٧، ١٠، وهداية الرشد ٥/٢٧١، ٢٧٢، والتلخيص الحبير ٢/٢١٧، وقد صحح الحاكم ١/٤٤٢ بعض طرقه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي. وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور ٢/٢٧٣، ٢٧٤.

والحديث مبين للاستطاعة الواردة في الآية الكريمة، قال الترمذي في الجامع: والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملك زادًا وراحلة وجب عليه الحج. ويزاد على ذلك صحة الجسم وأمن الطريق ولا خلاف في ذلك.

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ . . . ﴾ ، لو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأفسدت على أهل الأرض معيشتهم ، فكيف من هو طعامه ، أو ليس له طعامٌ غيرُه» .

رواه أحمد ٣٠١/١ ، ٣٣٨ ، والترمذي في صفة جهنم ٢٤٠٤ ، والنسائي في الكبرى ٣١٣/٦ وابن ماجه ٤٣٢٥ ، وابن حبان ٢٦١١ ، والحاكم ٢٩٤/٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، وصححه الترمذي والحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي .

فسرت تقوى الله حق تقاته بأن يُطاع الله تعالى فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يكفر . غير أن الآية الكريمة خصت بقوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] . وفي الحديث الشريف زجر بالغ لمن نسي الآخرة وانساق مع الحياة وشهواتها معرضًا عن ذكر النار وأهوالها وعذاب أصحابها وما أعد لهم فيها من شر وعقاب ، نعوذ بالله تعالى منها ومن أهلها ومن الأعمال التي توصل إليها .

١٠٣ قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثًا ، قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» .

رواه أحمد ٣٦٧/٢ ، ومسلم في الأقضية ١٠/١٢ ، والبغوي في شرح السنة ٢٠٢/١ .

حبل الله : عبر به عن القرآن الكريم ، والاعتصام به هو التمسك بما فيه من الشرائع والعمل بمقتضاه ، وإنما نهى عن التفرق لأن ذلك يمزق شمل الأمة ويضعفها ، وفي الحديث فوائد لها محل آخر .

(١٠٤) قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

رواه أحمد ٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٤، ومسلم في الإيمان ٢/ ٢١، ٢٥، وأبو داود ٤٣٤٠، والترمذي رقم ٢٠٢ وفي الفتن، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٣٢، وابن ماجه ١٢٧٥، ٤٠١٣.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو ليُوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عذابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم».

رواه أحمد ٥/ ٣٨٨، ٣٨٩، والترمذي في الفتن ١٩٩٩ وحسنه، لشاهد له عن عائشة، رواه ابن ماجه ٤٠٤٣ في الفتن. . . ويأتي حديث الصديق في المائدة.

في الحديثين وجوب تغيير المنكر حسب الاستطاعة وأدناه الكراهة بالقلب وهو أضعف الإيمان. وهو من فروض الكفاية ولذلك قال تعالى هنا: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ . . . ﴾ إلخ، أي ولتقم منكم طائفة للدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه. . .

(١٠٥) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾.

عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلاَّ واحدة وهي الجماعة، وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلاَّ دخله. . .».

رواه أحمد ٤/ ١٠٢، والطيالسي ٢٧٥٤، وأبو داود في السنة ٤٥٩٧، والدارمي ٢٥٢١، والحاكم ١/ ١١٨ وغيرهم، وسنده صحيح وله شواهد عن جماعة أوردتهم في بداية الوصول.

قوله: تتجارى، أي يتواقعون في الأهواء ويتداعون فيها تشبيهًا بجري الفرس. وفي الحديث: تنبؤ بما وقع في هذه الأمة من التفرق في الدين وأن الفرق ستبلغ ثلاثًا وسبعين فرقة كلها خاسرة هالكة إلاَّ الجماعة التي على قدم الرسول ونهجه ﷺ وهي قليلة بالنسبة لغيرها من أهل البدع الضالة، وهذه الفرق مذكورة مفصلة مع عقائدها ونحلها في كتب الفرق والملل والنحل.

١٠٦ **قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾.**

عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوسًا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه ثم قرأ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ . . . ﴾ الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال: لو لم أسمعه إلاَّ مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا حتى عد سبعًا ما حدثتكموه.

رواه أحمد ٥/ ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، والترمذي في التفسير ٢٨٠٨، وابن ماجه ١٧٦. وسنده حسن.

أصحاب هذه الرؤوس كانوا خوارج، والحديث نص بأنهم سيمسخون في النار كلابًا، وأنهم شر قتلى، وأن من قتلوه كان خير قتلى، وفي ذلك إشارة إلى أن هؤلاء الخوارج من شر خلق الله لما لهم من عقائد منحرفة وتصرفات شائنة وأفعال مخالفة للقرآن والسنة والإجماع. وكان أولئك من الخوارج الذين كفَّروا أكابر الصحابة وخيارهم كالإمام علي وطلحة والزبير وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم. ولا يزال هذا الصنف موجودًا حتى عصرنا، وإذا كان هذا الوعيد جاء في هؤلاء فكيف بالشيعة الروافض الذين فاقوا هؤلاء بمراحل في تضليل كل الأمة سلفها وخلفها.

(١١٠) قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾. قال: إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله.

رواه أحمد ٥/ ٣، ٥، والترمذي ٢٨٠٩، والدارمي ٢٧٦٣، وابن ماجه ٤٢٨٨، والحاكم ٢/ ٢٩٤ وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم وهو كما قال الترمذي. وجاء في حديث للإمام علي عليه السَّلام قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء»، وفيه: «وجعلت أمتي خير الأمم». رواه أحمد ١/ ٩٨ وسنده حسن.

الخطاب في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ ﴾ للصحابة ومن كان على شاكلتهم.

وقال ابن عباس: هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣١٣، وأحمد ١/ ١٧٣، ٣١٩، والحاكم ٢/ ٢٩٤ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وفي الآية فضل هذه الأمة المحمدية التي هذه صفتها وهي كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. والحديث يدل على أن هذه الأمة هي خاتمة الأمم وأنه قد سبقها تسع وستون أمة، وأنها أكرم الأمم على الله عزَّ وجل وخيرها عنده، ولا شك أن هذه الفضيلة أسعدُ الناس بها الملتزمون بشرع الله، أما غيرهم من المنحرفين والمصرين على الآثام والفواحش فإنما تشملهم بالتبعية والتدخل بالشفاعات.

(١١٣) قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ
(١١٤) ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١١٣) وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إلى ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾.

رواه أحمد ١/ ٣٩٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٣، وابن جرير ٤/ ٥٣، وابن حبان ٢٧٤ بالموارد، زاد في الدر المنثور ١/ ٢٩٧ البزار وأبا يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٨ والطبراني. وسنده حسن.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلاَّ شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عزَّ وجل في ذلك من قوله: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٤)﴾.

رواه ابن جرير ٤/ ٥٢، ٥٣، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٧، وابن إسحاق وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر كما في الدر المنثور، قال نور الدين في المجمع ٦/ ٣٢٧: ورجاله ثقات.

وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بالسببين ولا مانع يمنع من ذلك غير أن سياق الآية يشهد للثاني، فقد ذكر الله عزَّ وجل من قبل الفريقين المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب حيث قال: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (١١٠) ﴾، ثم ذكر بعض صفة

فجرتهم، ثم قال في أعقاب ذلك: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾، أي ليس فريقا أهل الإيمان منهم والكفر متساوين ومتعادلين، بل هم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر، ثم بيَّن سبحانه صفة من آمن منهم فقال: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ . . . ﴾ إلخ.

(١١٨) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلاَّ كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله.

رواه أحمد ٣/ ٣٩، والبخاري في الأحكام ١٦/ ٣١٤، والنسائي في الكبرى ٤/ ٤٣٣، وأبو يعلى ١/ ٥١٨، ونحوه عن أبي أيوب، رواه النسائي بسند صحيح، وعن أبي هريرة عند أحمد ٢/ ١٣٧، ٢٨٩، والترمذي في الزهد وغيرهما وحسنه وصححه.

البطانة: الأصفياء والأصدقاء، والآية الكريمة جاءت تنهى المسلمين أن يتخذوا أولياء وأصفياء من غير أهل دينهم لأنهم لا يألونهم خبالاً ولا يقصرون في الإفساد.

وقد جاءت في ذلك آثار عن السلف. انظر: الدر المنثور ٢/ ٣٠٠. وقد أخرج ابن جرير ٤/ ٦١، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٤٣ وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ . . . ﴾ الآية، وسنده حسن لو صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وحديث أبي سعيد يدل على أن كل الأنبياء والخلفاء تكون لهم

بطانتان بطانة خير وبطانة شر، ويعني ببطانة الشر المنافقين، لأن الأنبياء ومن على نهجهم لا يتخذون بطانة يعلمون أنها من غير أهل دينهم.

(١٢٢) قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ...﴾ إلخ، قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلمة، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٩٣، وفي المغازي ٨/ ٣٦٠، ومسلم في الفضائل.

في الآية الكريمة فضل بني حارثة وبني سلمة حيث أخبر تعالى بأنه وليهما، والآية وإن كان في أولها نوع من الغض غير أن في آخرها شرفًا عظيمًا لهم.

(١٢٨) قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ (١٢٨)﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللَّهم ٱلعن أبا سفيان، اللَّهم ٱلعن الحارث بن هشام، اللَّهم ٱلعن سهيل بن عمرو، اللَّهم ٱلعن صفوان بن أمية»، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ...﴾ الآية، فَتِيبَ عليهم كلهم، وفي رواية: فهداهم الله للإسلام.

رواه أحمد رقم ٥٦٧٤، ٥٨١٢، ٥٩٩٧، والبخاري في المغازي وفي التفسير ٩/ ٣٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٤، والترمذي في التفسير ١/ ٢٨، وابن جرير ٤/ ٨٨، وابن أبـي حاتم ٣/ ٧٥٦، ٧٥٧.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ كسرت رَباعيته يوم أحد

وشج وجهه شجة في جبهته حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله»، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/٢٥٣، ٢٨٨، ومسلم في السير ١٣/١٤٩، والترمذي ٢٨١٠، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٤ كلاهما في التفسير، وابن جرير ٤/٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ٣/٧٥٦ وعلقه البخاري في المغازي.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللَّـهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللَّـهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللَّـهم ٱلعن فلانًا وفلانًا» لأحياء من أحياء العرب يجهر بذلك حتى أنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ. . . ﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/٢٩٣، ومسلم في الفضائل، وابن جرير ٤/٨٩، وابن أبي حاتم ٣/٧٥٧ وغيرهم.

في هذه الأحاديث دليل على أن الآية نزلت بسبب ما ذكر فيها، ومن المعروف في علوم القرآن وأسباب النزول أن الآية قد يكون نزولها بسبب واحد أو بسببين أو بأسباب، وهذه منها. وفي حديثي ابن عمر وأبي هريرة مشروعية الدعاء على الكفار باللعنة والدعاء مع المؤمنين ولو كان ذلك داخل الصلاة، وهو المعبر عنه بالقنوت، وهو مشروع للنوازل في قول الجمهور في سائر الصلوات الخمس بعد الرفع من الركعة الأخيرة.

وفي الآية الكريمة إرشاد إلى التسليم لله تعالى مع الصبر على ما يصاب به الإنسان وخاصة الدعاة إلى الله عزَّ وجل.

(١٣٣) قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾. فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟»، قال: حيث شاء الله، قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عزَّ وجل».

رواه البزار ٢١٩٦، والحاكم ١/ ٣٦، وابن حبان ١٠٤ بالموارد، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع رقم ١٠٩٠٢: ورجاله رجال الصحيح.

هذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ جواب مفحم مقنع، علمًا بأن كل ذلك من عالم الغيب لا ينبغي لنا الخوض فيه، فحسبنا الإيمان بما جاء في ذلك، نعم بالنسبة للنهار إذا جاء الليل يكون في جهة أخرى وكذا العكس كما هو معلوم في علم الهيئة والفلك.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال: عُمَيْرُ بنُ الحُمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، لا والله يا رسول الله لا بد أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تميرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

رواه أحمد ٣/ ١٣٦، ومسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ١٣/ ٤٥، والحاكم ٣/ ٤٢٦.

بخ بخ، بسكون الخاء وكسرها مع التنوين، ومعناها تفخيم الأمر

وتعظيمه في الخير. والحديث يدل على فضل الشهادة والترغيب فيها، وفيه كالآية أن الجنة كعرض السموات والأرض لو بسطت جميعها ثم ألصق بعضها إلى بعض فهي عرضهن.

(١٣٤) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء».

رواه أبو داود ٤٧٧٧، والترمذي في صفة القيامة ٢٣١٣، وابن ماجه ٤١٨٦ وحسنه الترمذي لطريقين له عند أحمد ٣/٤٣٨، ٤٤٠، ولمعنى الحديث شواهد يصح بها.

الغيظ هو شدة الغضب، وكظمه رده في الجوف وعدم إظهاره والعمل بمقتضاه، وهذا الحديث فيه أجر جزيل لمن كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه، والآية الكريمة مصرحة بأنه من صفات المتقين حققنا الله بذلك، آمين. وهذا هو الصُّرَعة الوارد به الحديث المخرج في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

(١٣٥) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ
(١٣٦) يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً أذنب ذنبًا فقال: رب إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي، فقال الله عزَّ وجل: عبدي

عمل ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال عزَّ وجل: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفره، فقال الله عزَّ وجل: عبدي علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء».

رواه أحمد ٢/ ٤٠٥، ٤٩٢، والبخاري في التوحيد باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ١٧/ ٢٤٨، ومسلم في التوبة ١٧/ ٧٥، ٧٦ وغيرهما.

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ثم يستغفر الله تبارك وتعالى إلاَّ غفر له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾ الآية. وفي رواية: فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله . . . إلخ.

رواه أحمد ١/ ٢، ٨، ٩، ١٠، والحميدي ٤٩، وأبو داود ١٥٢١، والترمذي في الصلاة ٣٦٣، وفي التفسير ٢٨١٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٤، وابن ماجه ١٣٩٥ بسند صحيح.

في الآية الكريمة والحديثين الشريفين بشارة عظيمة عامة للمذنبين التوابين المستغفرين غير المصرين على ما يأتون من فاحشة وذنب.

قال النووي في شرح مسلم على الحديث الأول: في الحديث أن

الذنوب ولو تكررت مائة مرة بل ألفًا وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته.

وقوله تعالى في الحديث: فليعمل ما شاء، معناه: ما دام يذنب ويتوب غفر له.

وللتوبة شروط أهمها الندم على ما فعل مع الإقلاع عن الذنب ونية عدم الرجوع إليه لئلا يكون من المصرين كما في الآية: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا . . .﴾ الآية، نعم التوبة والاستغفار يمنعان من الإصرار لحديث الصديق عنه ﷺ.

قال ﷺ: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة».

رواه أبو داود في الصلاة باب في الاستغفار رقم ١٥٠٩، والترمذي في الأدعية ٣٥٥٩، وأبو يعلى ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، وحسنه ابن كثير ويؤيده الحديث الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، الفاحشة كل ما فحش وعظم من الذنوب، وظلم النفس يشمل الصغائر وغيرها.

(١٤٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣)﴾.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.

رواه البخاري في الجهاد ٧/ ٣٨٥، وفي التمني ١٦/ ٣٥٢، ومسلم في الجهاد ١٢/ ٤٦، ورواه مسلم فيه والبخاري كذلك معلقًا عن أبي هريرة.

المراد بتمني الموت في الآية تمنيهم لقاء العدو ليحظوا بالشهادة، ولكنهم لما رأوا ما حصل من قتلِ من قُتِلَ انهزموا، وفي الآية عتاب

للمنهزمين يوم أحد، ولهذا جاء الحديث بالنهي عن تمني لقاء العدو، لأنه بلاء ولا يطيق الصبر عليه إلَّا الأكابر والأفضل سؤال الله العافية لأن فيها السلامة.

(١٥١) قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

رواه عنه جابر في الصحيحين، وأبو أمامة عند أحمد والترمذي وصححه، وعن أبي موسى رواه أحمد، وعن أبي هريرة رواه مسلم، وغير ذلك.

وهي كلها مطابقة للآية الكريمة، فقد ألقى الله عزَّ وجل الرعب والخوف في قلوب الكفار فكانوا يخافون النبي ﷺ حتى إن الروم لما هموا بحربه وجمعوا الجموع العرمرمة من الجيوش والشجعان خافوا جيش المسلمين لما سمعوا عنهم بأنهم بتبوك فانصرفوا منهزمين خائبين عليهم لعائن الله المتوالية.

(١٥٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر في يوم أحد، فقال ابن عتبة: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عزَّ وجل يقول في يوم أحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾. يقول ابن عباس: والحَسُّ القتل. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ عنى بهذا

الرماة، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»، فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعًا فدخلوا العسكر ينتهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم كذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار...

رواه مطولاً أحمد ١/٢٨٧، ٢٨٨، ٤٦٣، والحاكم ٢/٢٩٦، ٢٩٧، وصححه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة جاءت تتحدث عن غزوة أحد وكانت من أخطر الغزوات، فأخبر تعالى بأنه صدقهم ما وعدهم به من النصر حيث قتلوا الكفار قتلاً ذريعًا وهزموهم ولكنهم سرعان ما انقلبت عليهم الدائرة لفشلهم وتنازع رماة الجبل ومخالفتهم أمر النبي ﷺ، فحصل ما حصل بعدما أراهم ما يحبون ولكن الله بفضله وإنعامه عفا عنهم وسامحهم لأنها هفوة صدرت منهم في جنب حسنات لهم.

١٥٣ قوله تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد، ــ وكانوا خمسين رجلاً ــ عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم مكانًا وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، فإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى

أرسل إليكم»، قال: وسار رسول الله ﷺ ومن معه قال: فهزمهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن على الجبل بدت خلاخلهن وأَسْوُقُهُنَّ رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؛ فقالوا: إنا واللّهِ لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذاك حيث يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا، وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة (ثلاث مرات) قال: أفي القوم ابن الخطاب (ثلاث مرات)، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله إن الذي عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم سترون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أُعْلُ هُبَل، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلا وأجل»، قال: إنا لنا عُزَّى ولا عزى لكم، قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

رواه أحمد ٤/ ٢٩٣، ٢٩٤، والبخاري في الجهاد ٦/ ٥٠٣، وفي المغازي ٨/ ٣٦٧، وفي التفسير ٩/ ٢٩٥، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٥ وغيرهم.

الحديث الشريف جاء شارحًا لبعض مواقف غزوة أحد وما حصل فيها للصحابة بعد انتصارهم بادىء بدء، وأن ما وقع لهم من المحنة إنما كان من

جراء مخالفتهم للرسول الأعظم ﷺ، ففي ذلك عبرة أي عبرة ودرس بالغ لهم ولكل من جاء بعدهم من المسلمين.

(١٥٤) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾.

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه ويسقط فآخذه.

رواه أحمد ٤/ ٢٩، والبخاري في المغازي ٨/ ٣٦٧، وفي التفسير ٩/ ٢٩٦، والترمذي ٤/ ٢٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٦ وغيرهم ونحوه عن الزبير. انظر: المطالب العالية رقم ٤٣١٥.

هذه الآية أيضًا والحديث يشيران إلى ما وقع للصحابة يوم أحد من النعمة والرفق بهم حيث أخذهم النعاس والأمان بعد الغم، وإن ذلك أصاب طائفة خاصة منهم وهم المؤمنون الصادقون أهل الثبات والتوكل على الله عزَّ وجل.

(١٥٩) قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن».

رواه أبو داود ٥١٢٨، والترمذي في الأدب ٢٦٣٣، وابن ماجه ٣٧٤٥، والبخاري في الأدب المفرد ٢٥٦، والحاكم ٤/ ١٣١ وغيرهم مطولاً ومختصرًا بسند صحيح وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما، وللحديث شواهد كثيرة حتى عُدَّ في المتواتر.

الحديث كالآية يدلان على مشروعية الاستشارة في الأمور التي لا نص فيها من الشرع.

وقد كان من هدي نبينا ﷺ استشارته أصحابه امتثالاً لهذا الأمر الإلـهي. فقد شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقال له الأنصار: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى

برك الغماد لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون. وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل حتى أشار إليه المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم، وشاورهم في أحد في الخروج أو القعود في المدينة فأشار جمهورهم بالخروج فخرج. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك السعدان، سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال في قصة الإفك في شأن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: «أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبَنُوا [أي: عابوا] أهلي ورموهم، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء وأَبَنُوهم بمَنْ والله ما علمت عليه إلاَّ خيرًا».

وهكذا كان شأنه مع أصحابه ﷺ. وهذا خُلُقٌ عزيز قَلَّ من يقوم به على الوجه الأكمل.

(١٦١) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد

بلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك».

رواه البخاري في الجهاد ٦/ ٥٢٦، ومسلم في الإمارة ١٢/ ٢١٦، ٢١٧ وغيرهما.

وعن عدي بن عَمِيرَة الكندي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مِخْيَطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة».

رواه مسلم ١٢/ ٢٢٢، وكذا أحمد ٤/ ١٩٢ وأبو داود وغيرهم.

في الآية الكريمة كالحديثين تحريم الغلول، ويطلق على السرقة من المغنم قبل القسمة. وأَطلق في الحديث الثاني أيضًا على ما يأخذه جابي الصدقة من الهدايا. والغلول من الكبائر، وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذلك كلها تؤذن بالوعيد الشديد للغال ولو كان صحابيًّا، وأن رسول الله ﷺ لا يغني عنه من الله شيئًا. وفي الآية وحديث أبي هريرة دليل على أن الغال يأتي يوم القيامة حاملاً على رقبته ما غله أيًا كان: حيوانًا أم غيره، تشهيرًا به وفضيحة له أمام الخلائق.

١٦٩ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
١٧٠ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ
أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

عن مسروق رحمه الله قال: إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟... ﴾ إلخ، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة

فقال: هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

رواه مسلم في الإمارة ١٣/ ٣٠، ٣١.

فيه فضل الشهداء وأنهم يسرحون في الجنة حيث شاؤوا، وقد صرحت الآية الكريمة كآية البقرة بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(١٧٢) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ
(١٧٣) أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ
(١٧٤) فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
(١٧٥) وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما انصرف المشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، وبئس ما صنعتم، ارجعوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد وبئر أبي عتيبة، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ . . .﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا. فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فلم يجدوا بَعْدُ أحدًا وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ . . .﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣١٧، والطبراني في الكبير ١١٦٣٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٨١٦، وابن جرير ٤/ ١٨٠ بنحوه بسند صحيح، وقال

نـور الـديـن فـي المجمـع: ٦/ ١٢١، رجـالـه رجـال الصحيـح غيـر محمـد بـن منصـور الجواز وهو ثقة.

وعنه: قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السَّلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي رواية: كان آخر كلام إبراهيم عليه السَّلام حين ألقي في النار: حسبـي الله ونعم الوكيل، وقال نبيكم ﷺ مثلها...

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٩٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٦، وابن جرير ٤/ ١٨٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٨١٨.

لا زالت الآيات تتحدَّث عن غزوة أحد وما جاء في أعقابها من خروج النبـي ﷺ وراء جيش أبـي سفيان إلى أن وصل حمراء الأسد فلم يلق حربًا بل رجع سالمًا، ولما كان شعبان من السنة الرابعة خرج ﷺ إلى بدر لموعد أبـي سفيان فلم يجد به أحدًا فرجع بنعمة الله وفضله، وكان قبل خروجه من المدينة قدم عليه نعيم بن مسعود مرجفًا بما جمعه أبو سفيان، وقال للمسلمين: إن الناس قد جمعوا لكم الآية، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي إن الله كافينا شروركم، ونعم الوكيل سبحانه وتعالى.

وعن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى بجبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ»، قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣١٦ بسندٍ صحيح، وله شاهد عن أبـي سعيد، رواه أحمد والحميدي والترمذي، وعن ابن عباس رواه أحمد والحاكم، وسيأتي في النفخة. وانظر: تهذيب الجامع ٢٢٥٢، وابن كثير ٢/ ١٦٢.

في الحديث إرشاد إلى ذكر الحسبلة عند الأمور العظام وترقب نزول الدواهي لما في ذلك من التفويض إلى الله تعالى والتوكل والاعتماد عليه، فمن لجأ إلى ذلك وذكره كفاه الله ما أهمه وكان وكيله الأكبر الذي لا يضام ولا يقهر.

(١٨٠) قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته مُثِّل له مالُه شجاعًا أقرعَ له زَبِيبَتَان يُطَوَّقُه يوم القيامة يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ، يعني: شدقيه، يقول: أنا مالك، أنا كنزك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٨٩، والبخاري في التفسير ٩/ ٢٩٨ وغيرهما. ورواه أحمد ١/ ٣٧٧، والترمذي في التفسير ١٨١٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٧، وفي المجتبى، وابن ماجه ٧٨٤ وغيرهم من حديث ابن مسعود بنحوه وسنده صحيح.

قوله: شجاعًا أقرع، هو الذكر من الحيات الكثير السم الخبيث.

وفي الآية والحديث وعيد شديد لمانعي الزكاة، وأن ذلك المال سيمثل لصاحبه ثعبانًا عظيمًا يأخذ بلحييه ويطوق على عنقه ويناديه قائلاً له: أنا مالك الذي لم تؤدِّ حق الله فيّ، نعوذ بالله من ذلك.

(١٨٥) قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥) ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ. . . ﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير ١٨١٩، وابن أبـي شيبة وابن جرير ٤/ ٢٠٠، وابن أبـي حاتم ٣/ ٨٣٣، والحاكم ٢/ ٢٩٩ مختصرًا بسندٍ صحيحٍ، ورواه مطولاً الترمذي ٣٠٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٧، وصحَّحه الترمذي، وبعضه في الصحيحين كرواية الباب لكن بدون ذكر للآية.

وفي الآية والحديث بشارة للمؤمن المقضي له بالجنة والمبعد من النار حيث جعل من الفائزين، فيا لها من بشارة جعلنا الله تعالى من أهلها السابقين آمين.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه».

رواه الإمام أحمد ٢/ ١٩٢ بسندٍ صحيحٍ.

في الحديث أن الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان إلى الناس من موجبات الجنة والإبعاد من النار.

(١٨٦) قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن

أُبـي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبـي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله ابن أبـي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبـي ابن سلول: أيها المرء أنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبـي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبـي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبـي ﷺ: «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب ــ يريد عبد الله بن أُبـي ــ قال: كذا وكذا». قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحْرة على أن يتوَّجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبـى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ.

وكان النبـي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عزَّ وجل ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا . . . ﴾ الآية، وقال الله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ . . . ﴾ الآية. وكان النبـي ﷺ يتـأول العفـو مـا أمـره الله بـه حتـى أذن الله فيهـم، فلمـا غـزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أُبـي ابن سلول

ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمْرٌ قد تَوَجَّهَ، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٩٨ وغيره، ومسلم في السير ١٢/ ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، وورواه مسلم عن أنس بسياق آخر.

وفي الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من تحمل الأذى من المشركين والمنافقين في سبيل الدعوة إلى الله تعالى مع عفوه عن الجاهلين والسفهاء منهم وكان ذلك بمكة المكرمة أكثر منه بالمدينة، وفي الآية الكريمة إخبار منه بما سيصاب به المسلمون من طرف الكفار من أنواع الإذايات.

(١٨٨) قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟...﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٠١، ومسلم في صفات المنافقين ١٧/ ١٢٣.

وعن حُمَيد بن عبد الرحمن بن عوف رحمه الله تعالى أن مروان [قال لبوابه]: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية، إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ...﴾ الآية،

وتلا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٠١، ٣٠٢، ومسلم في صفات المنافقين ١٧/ ١٢٣، ١٢٤، وأحمد ١/ ٢٩٨، والترمذي ٢٨٢٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٨ كلاهما في التفسير.

ظاهر الحديثين أن الآية نزلت بالسببين معًا ولا مانع من ذلك كما سبق مرارًا، وفي الآية والحديثين ذم الفرح وحب المدح بما لم يفعله الإنسان كما كان شأن المنافقين واليهود مع رسول الله ﷺ وإن صانع ذلك والراضي به له وعيد شديد إن لم يرعوِ عما هو متصف به ويندم على ما فعل، ويدخل في ذلك كل من يفرح بمدح الناس له بما هو عار عنه من الفضائل فإن ذلك من علامة الإفلاس وصاحبه مغرور معجب بنفسه.

(١٩٠) **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
(١٩١) لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي
(١٩٢) خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ
(١٩٣) مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
(١٩٤) الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ
(١٩٥) الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم
مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ
(١٩٦) (١٩٧) عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ

﴿١٩٨﴾ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
﴿١٩٩﴾ ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه باتِ ليلة عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته [قال:] فاضطجعتُ في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنٍّ معلقة فتوضأ منها وضوءه ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع وذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بإذني يفتلها فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر فاضطجع حتى جاءه المؤذن، ثم قام فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح.

رواه البخاري في الصلاة وفي الطهارة وفي التفسير ٩/ ٣٠٣، ٣٠٥، ومسلم في صلاة الليل ٦/ ٤٤، ٤٦، ٥١، وأبو داود ١٣٦٤، ١٣٦٧، والترمذي في الشمائل ٢٦٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٨، ٣١٩، وفي المجتبى وابن ماجه ١٣٦٣ وغيرهم.

وعن عُبَيد بن عُمَير رحمه الله تعالى قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: أخبريني بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي»، قلت: والله إني لأحب قربك وأحب مباشرتك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي،

قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكِ، وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟! لقد نزلت عليَّ الليلةَ آيةٌ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

رواه عبد بن حُمَيد وابن حبان في صحيحه ٦٢٠ مع الإحسان وأبو الشيخ في أخلاق النبي ١٨٦، وابن أبي الدنيا في التفكر وابن المنذر كما في الدر المنثور ٢/ ٤٠٩ وسنده صحيح على شرط مسلم عند ابن حبان.

في الحديث الأول مشروعية قراءة هذه الآيات عند قيام الليل للتهجد، وهي آيات عظيمة، ففيها إرشاد المؤمنين للتفكر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب الكائنات كما فيها مدح فاعلي ذلك والداعين الله عزَّ وجل بأنواع الأدعية وابتهالهم إليه مع إخباره تعالى بأنه يستجيب لهم وأنه لا يضيع أجر عمل عامل منهم، أما الحديث الثاني ففيه ما كان عليه الحبيب الأعظم ﷺ من التعبد لربه وكثرة بكائه قيامًا يشكر الله تعالى على ما أتم عليه وأسبغ من النعم التي منها غفران ما تقدم له وما تأخر. وفيه ذم من قرأ هذه الآيات ولم يتفكر فيها وأنه يوشك أن يكون من الخاسرين الهالكين الغافلين، لقوله: «ويلٌ لما قرأها ولم يتفكر فيها»، جعلنا الله تعالى من أهل الذكر والفكرة والتيقظ، وحفظنا من أهل الغفلة والقسوة والملل والفتور.

(١٩٥) وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم. . .﴾ الآية.

رواه سعيد بن منصور وعبد الرزاق، والترمذي ٢٨٢٨، وابن جرير ٤/ ٢١٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٤، والحاكم ٢/ ٣٠٠، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

وفي الآية إخبار منه تعالى بأنه سيؤتي كل عامل بقسط عمله ذكرًا كان أم أنثى، وأن الجميع في ذلك سواء ولا فضل لهذا على ذاك إلاَّ بالتقوى والاستقامة، أما المفاضلة بين الرجال والنساء فذلك بالنسبة للجنس، أما الأفراد فقد يوجد نساء كثيرات أفضل وأشرف وأكرم على الله من كثير من الرجال، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١٩٩) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩٩)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «صلُّوا عليه»، قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ. . .﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣١٩، والبزار في مسنده ٨٣٢، والطبراني في الأوسط ٢٦٨٨، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٦ وغيرهم، وهو حديث حسن أو صحيح لطرقه، وقال: في المجمع ٣/ ٣٨: ورجال الطبراني ثقات.

نَعْيُ النبي ﷺ النجاشيَّ عند موته والصلاة عليه في الصحيحين. والحديث يدل على أن الآية نزلت بسبب نعي النجاشي.

وقد جاء في سبب نزولها حديث آخر، رواه الحاكم ٢/ ٣٠٠ من حديث ابن الزبير وصحّحه ووافقه الذهبي. وانظر: الدر المنثور ٢/ ٤١٦، وابن جرير ٤/ ٢١٨، ٢١٩.

واختار ابن جرير رحمه الله تعالى عموم الآية في جميع أهل الكتاب من النصارى واليهود، وهذا لا ينبغي فيه الخلاف فالعبرة بالعموم، وإنما كلامنا في سبب النزول، وفي الآية فضيلة للنجاشي بمدح الله تعالى له ولأمثاله بما ذكر فيها من الصفات الحميدة كالإيمان بالله والإيمان بالكتب الإلـٰهية مع الخشوع لله عزَّ وجل وعدم الكتمان لما في كتبهم من الحق وأخذ الرشا في مقابلة ذلك كما كان سائدًا بين أوساط أحبارهم الفجرة.

(٢٠٠) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

عن سلمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان.

رواه مسلم في الإمارة ١٣/ ٦١، والترمذي ١٥٢٧، والنسائي في المجتبى ٦/ ٣٣، والحاكم ٢/ ٨٠، والسياق لمسلم، وفي الباب عن جماعة يفوقون العشرة، وقد أوردها ابن كثير في تفسيره معزوة بألفاظها فانظره تستفد.

الرباط هو ملازمة الثغور الإسلامية للحراسة من الأعداء، وفي ذلك فضل عظيم، وحسب المرابط أن يحفظ من فتنة القبر ويجرى عليه رزقه وعمله. وقد أطلق الرباط على بعض الأعمال الصالحة كما جاء في الطهارة من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟»، قالوا: بلى يا رسول الله،

قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»، ويطلقه بعض المتصوفة على لزوم العبادة في الرباطات والزوايا، والله أعلم.

وبهذا تم تفسير سورة آل عمران، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وزوجه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ النِّسَاءِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مدنية كسابقتيها، وأهدافها كباقي السور المدنية من بيان الأحكام التشريعية، ولذلك فقد تحدثت هذه السورة على عدة أحكام لا توجد في غيرها وبالأخص ما يتعلق بالنساء والأسرة وحقوق الزوجية، وما يحرم من النساء في الأنكحة، وبيان أحكام اليتامى وتفصيل المواريث وفرائض التركات، وما يتبع ذلك من بيان بعض فضائل الأخلاق والمكارم إلى آخر ما فصل في السورة تفصيلاً.

غير أن طابعها الغالب عليها هو بيان أحكام النساء، ولذلك سميت باسمهن إخلادًا لذكرهن وإكرامًا لهن خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية من إهانتهن، وهناك سورة أخرى أطلق عليها سورة النساء القُصْرَى وهي سورة الطلاق، علمًا بأنه تعالى ذكر النساء وأحكامهن في عدة سور أخرى كما سبق في البقرة ويأتي في سورتين النور والأحزاب... اهتمامًا بهن كإنسان له حقوق، وهذه السورة تعتبر أيضًا من السبع الطوال، إذ فيها مائة وست وسبعون آية.

من خصائص هذه السورة

وفي هذه السورة أيضًا خصائص لا ذكر لها في غيرها وهي كالآتي:

١ ـ إباحة تعدد الزوجات لمن يعدل بينهن، آية ٣.

٢ ـ النهي عن إتيان الأموال للسفهاء، الذين لا يحسنون التصرف، آية ٥.

٣ ـ بيان أحكام اليتامى مفصلة، الآيات ٦ ـ ١٠.

٤ ـ ذكر أحكام المواريث وأصحابها مفصلة تفصيلاً، الآيتان ١١، ١٢.

٥ ـ بيان النساء اللاتي يحرم على الرجل التزوج بهن، الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

٦ ـ النهي عن أكل أموال الناس إلاَّ بطريق مشروع كتجارة، آية ٢٩.

٧ ـ النهي عن قتل الإنسان نفسه، الآيتان ٢٩، ٣٠.

٨ ـ بيان قوامة الرجال على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، آية ٣٤.

٩ ـ بيان المراتب التي تتخذ مع الناشز من النساء، الآيتان ٣٤، ٣٥.

١٠ ـ ذكر الحقوق العشرة، وهي تشمل حقوقًا لله تعالى وحقوقًا للانسان، آية ٣٦.

١١ ـ النهي عن قربان الصلاة مع الإسكار وقربان المسجد أو الصلاة حالة الجنابة، آية ٤٣.

١٢ ـ أول آية ذكر فيها غسل الجنابة والتيمم، آية ٤٣.

١٣ ـ أول آية تخبر بأن الشرك لا يغفره الله عزَّ وجل، آية ٤٨.

١٤ ـ ذكر الجبت والطاغوت، آية ٥١.

١٥ ـ بيان بعض أنواع عذاب أهل النار كتبديل الجلود كلما نضجت، آية ٥٦.

١٦ ـ الأمر بالحكم بالعدل بين الناس، آية ٥٨.

١٧ ـ إطاعة أولي الأمر تبعًا لطاعة الله ورسوله، آية ٥٩.

١٨ ـ وجوب الرجوع إلى الله وإلى الرسول عند التنازع، آية ٥٩.

١٩ ـ تحريم التحاكم إلى الطاغوت وهو ما سوى الله والرسول، آية ٦٠.

٢٠ ـ من جاء الرسولَ ﷺ ظالمًا لنفسه مستغفرًا من ذنبه غفر الله له، آية ٦٤.

٢١ ـ ذكر آية تنفي الإيمان عمن لم يحكِّم رسول الله ﷺ. . .، آية ٦٥.

٢٢ ـ بيان المنعم عليهم المذكورين في فاتحة الكتاب، آية ٦٩.

٢٣ ـ بيان أنه لا ينجو أحد من الموت أينما كان، آية ٧٨.

٢٤ ـ وجوب رد تحية الإسلام، آية ٨٦.

٢٥ ـ ذكر قتل الخطأ وأحكامه. . .، آية ٩٢.

٢٦ ـ بيان جزاء قتل العمد. . .، آية ٩٣.

٢٧ ـ مشروعية قصر الصلاة في السفر، آية ١٠١.

٢٨ ـ ذكر صلاة الخوف وصفتها، آية ١٠٢.

٢٩ ـ وجوب توقيت الصلاة، آية ١٠٣.

٣٠ ـ امتنان الله على نبيه بإنزاله عليه الكتاب والحكمة، آية ١١٣.

٣١ ـ بيان فضل الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، آية ١١٤.

٣٢ ـ ضلال من اتبع غير سبيل المؤمنين، آية ١١٥.

٣٣ ـ ذكر آية ثانية في عدم غفران الشرك بالله تعالى، آية ١١٦.

٣٤ ـ الاستفتاء في النساء. . .، آية ١٢٧.

٣٥ ـ مشروعية الصلح بين الزوجين عند النشوز ونحوه، آية ١٢٨.

٣٦ ـ بيان تعذر العدل بين الزوجين بإطلاق، آية ١٢٩.

٣٧ ـ الإذن في التفرقة بين الزوجين، آية ١٣٠.

٣٨ ــ وجوب قول الحق ولو على النفس أو الأهل، آية ١٣٥ .

٣٩ ــ لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، آية ١٤١ .

٤٠ ــ بيان صفات خاصة بالمنافقين، الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ .

٤١ ــ بيان أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، آية ١٤٥ .

٤٢ ــ بيان أنه لا حاجة لله في عذاب الناس إن آمنوا. . . ، آية ١٤٧ .

٤٣ ــ مشروعية جهر المظلوم بالسوء إن ظلم، آية ١٤٨ .

٤٤ ــ إبطال مزاعم النصارى. . . في صلب المسيح وقتله، آية ١٥٧ .

٤٥ ــ الاستفتاء في الكلالة وبيانها، آية ١٧٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

فضيلة خمس آيات منها

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن في النساء لخمس آيات ما يسرني بها الدنيا وما فيها، وقد علمتُ أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها. قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾.

رواه الحاكم ٢/ ٣٠٥ وصححه وأشار إلى الاختلاف في اتصاله وعزاه النور في المجمع رقم ١٠٩٥٤ للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

وعنه قال: إن في كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنبًا فقرأهما واستغفر

الله عزَّ وجل إلاَّ غفر له: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:].

أورده النور في المجمع ١٠٩٥٢ برواية الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

فيما ذكره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن هذه الآيات يحمل خيرًا كبيرًا وبشارة عظيمة لمن عقل وعمل بمقتضى ذلك، جعلنا الله تعالى من أهلها بمنه وكرمه، آمين.

﴿١﴾ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضِلَع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعتَ بها وبها عِوَجٌ، وإن ذهبت تُقِيمُها كسرْتَها، وكسرها طلاقها».

رواه مسلم في الرضاع ١٠/٥٧، والترمذي أخر النكاح رقم ١٠٧٠ وغيرهما ونحوه عن عائشة في خ م.

الحديث مبين للآية الكريمة وأن الزوجة خلقت من ضلع آدم عليه السّلام. وفي الحديث إرشاد لنا لملاطفة النساء والصبر على سوء أخلاقهن واعوجاجهن وتحمل إذايتهن، وذلك لضعف عقولهن، ولكونهن غير مستقيمات أصالة.

﴿٣﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ

مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾.

عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ . . .﴾ إلخ، فقالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشْرِكُه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك إلاَّ أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنَّتهن، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. . . قالت: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ . . .﴾ إلخ، قالت: وقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ . . .﴾ إلخ، رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا أن يَنكحوا ممن رغبوا في ماله وجماله من يتامى النساء إلاَّ بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

رواه البخاري في الشركة وفي التفسير ٩/ ٣٠٧، ٣٠٩، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٤، ١٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٩، والبيهقي ٧/ ١٧١، ١٤٢، وكذا ابن جرير ٤/ ٢٣١، ٢٣٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٥٧، ٨٥٨ وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ أي لا تعدلوا. وقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ أي ما أحل لكم. . .

وفي الآية وأثر السيدة دليل على وجوب العدل في المهر بين اليتيمة وغيرها وإن الأوصياء لا يجوز لهم غصب اليتيمات اللاتي تحت أيديهم بالنقص من مهورهن. . . كما أن الآية صريحة في إباحة تعدد الزوجات ونهاية ذلك أربع بالإجماع، والزيادة على ذلك من خصائص نبينا ﷺ.

وقد جاء في حديث غيلان الثقفي أنه أسلم وله عشر نسوة فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعًا.

رواه الترمذي في النكاح رقم ١٠١١، وابن ماجه ١٩٥٣، والحاكم ٢/ ١٩٢، ١٩٣، وصححه، والحديث صحيح صححه ابن حزم وابن كثير وابن القطان وآخرون.

(٦) **قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ . . . ﴾ الآية، قالت: أنزلت في ولي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجًا بقدر ما له بالمعروف. وفي رواية: إذا كان فقيرًا إنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

رواه البخاري في الوصايا ٦/ ٣٢٢، وفي التفسير ٩/ ٣٠٩، ٣١٠، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٦، ١٥٧.

الآية نص في وجوب استعفاف وصي اليتيم عن أخذ ماله إذا لم يكن محتاجًا، فإن احتاج فله أن يأخذ بقدر حاجته ولا يعتدي، فإن أخذ مال اليتيم عد من الكبائر الموبقات.

(٨) **قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨) ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن ناسًا يزعمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون الناس، هما واليان، والٍ يرث، وذاك الذي يرزق، ووالٍ لا يرث، فذاك الذي يقال له بالمعروف، يقول: لا أملك لك أن أعطيك. وفي رواية: هي محكمة وليست بمنسوخة.

رواه البخاري في الوصايا ٦/ ٣١٨، وفي التفسير ٩/ ٣١٠.

ما قاله ابن عباس من أن الآية محكمة غير منسوخة ظاهره يقتضي أنه عن توقيف من النبي ﷺ، لكن جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ذهبوا إلى أنها منسوخة بآية المواريث، نعم يستحب أن يعطى الأقارب الذين

لا يرثون من التركة إذا حضروا كما يعطى اليتامى والمساكين، ويقال لهم قول معروف، كأن يقال لهم مثلاً إن هذا المال مشترك بين الورثة وأنتم خارجون عنهم فسامحونا ولا تعتبوا علينا، فإن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فخذوا ما أعطيناكم هدية منا وانصرفوا سالمين.

(١٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله ما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

رواه البخاري في الوصايا رقم ٢٧٦٦، وفي الطب ٥٧٦٤، وفي الحدود ٦٨٥٧، ومسلم في الإيمان رقم ٨٩، وأبو عوانة ١/ ٥٥، وأبو داود والنسائي في الوصايا والنسائي أيضًا في الكبرى ٤/ ١١٤.

الموبقات: الذنوب الكبار التي توبق صاحبها في النار، وهي ليست محصورة في هذه السبع بل هي تناهز الأربعمائة كما ذكرها مفصلة ابن حجر الهيتمي في الزواجر، وحد الكبيرة هي كل ما جاء بها نص من كتاب أو سنة أو إجماع، أو لعن صاحبها، أو علق على مرتكبها حد، أو جاء فيها عقاب شديد، أو نحو ذلك. والمحصنات هن الحرائر العفيفات كن أبكارًا أم ثيبات بشرط الإسلام.

وفي الحديث عظم هذه الذنوب وأنها من كبائر السيئات ولا خلاف في ذلك، ومنها تناول مال اليتيم كما نصت على ذلك الآية الكريمة أيضًا وقرنته بذلك الوعيد الشديد وجعلت آكله كأنه الآن يأكل النار عياذًا بالله.

(١١) قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ

نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليَّ فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ ...﴾ الآية.

رواه البخاري في الطهارة وفي الفرائض وفي التفسير ٩/ ٣١١، وفي الاعتصام، ومسلم في الفرائض ١١/ ٥٥، والترمذي في التفسير ٢٨٢١، وأبو داود ٢٨٨٦، ٢٨٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٠ وفي مواضع... وابن أبي حاتم ٣/ ٨٨٠، وابن جرير ٤/ ٢٧٦.

هكذا جاء في هذه الرواية أن الآية المذكورة نزلت بهذا السبب وسيأتي ما يعارض هذا بعده وفي آخر السورة.

وفي الآية مشروعية أخذ الذكر من تركة أحد والديه مثل نصيب الأنثيين وهو إجماع لا خلاف فيه بين المسلمين لما في ذلك من الحكمة الظاهرة التي تتجلى في تصرفات الجنسين، فإن الذكر هو الذي يحتاج إلى تكوين الأسرة والإنفاق عليها بخلاف الأنثى فإنها مكفية من طرف زوجها أو ابنها أو أخيها... فكان من الحكمة الإلـهية أن يكون للذكر أكثر من الأنثى، فما يسعى فيه ملاحدة عصرنا من تشريك المرأة مع الذكر في تسوية قسم التركة.. هو إلحاد وردة ومحاربة لله ولرسوله محاربة سافرة...

(١١) قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ﴾.

عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلاَّ ولهما مال، قال: فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك.

رواه أحمد ٣/ ٣٥٢، وأبو داود ٢٨٩١، والترمذي ١٩٢٧، وابن ماجه ٢٧٢٠، والحاكم ٤/ ٣٤٢ كلهم في الفرائض، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٨١ وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث أن هذه القصة إحدى أسباب نزول آية المواريث، وانظر آخر السورة. وفي الحديث دليل على أن العم مع الزوجة والبنتين فأكثر عاصب يأخذ ما بقي بعد أخذ ذوي الفرائض أنصباءهم وهو إجماع أيضًا، وللحديث الصحيح: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».

١٢ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

رواه البخاري ٩/ ٣١٣، وابن جرير ٤/ ٢٧٥، وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الكبرى ٦/ ٢٢٦ وغيرهم.

في هذا الأثر بيان الأنصباء والفرائض التي قدرها الله عزَّ وجل للذين يرثون بالفرضية وهي ستة: السدس للأبوين إن كان للميت ولد، والثلث للأم

والثلثان للأب عند فقدان ولد للميت، والثمن للزوجة من زوجها إذا كان له ولد، أو الربع إن لم يكن له ولد، وله منها النصف إن لم يكن لها ولد، والربع إن كان لها ولد، وهنالك ورثة آخرون يرثون بالفرضية أو التعصيب مستوفون في كتب المواريث.

(١٢) **قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾.**

عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾، وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يرثون دون بني العلات، الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.

رواه أحمد ٥٩٥، ١٠٩١، ١٢٢١، والترمذي ١٩٢٩، وابن ماجه ٢٧٣٩، والحاكم ٤/٣٣٦، وسنده صحيح والحارث ثقة على القول الصحيح، ولا يضر هنا السبيعي فإنه وقع الإجماع على العمل بمقتضاه.

والحديث يدل على أن إخراج الديون من تركة الميت مقدم على تنفيذ الوصية. ويدل أيضًا على أن من مات وترك إخوة وأخوات أشقاء وآخرين لأب، كان الإرث خاصًا للأشقاء دون الإخوة للأب، وهذا أيضًا لا خلاف فيه. والمراد بأعيان بني الأم هم الأشقاء، وبنو العلات هم الإخوة للأب من أمهات شتى. . .

(١٢) **قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهم الموت فيضاران في الوصية فيجب لهما النار، ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾.

رواه أحمد ٢/٢٧٨، وأبو داود ٢٨٦٧، والترمذي ١٩٤٩، وابن ماجه ٢٧٠٤

بسند حسن رجاله ثقات، وشهر تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي في شرح مسلم والمهذب.

والحديث يدل على تحريم المضارة في الوصية، وللناس فنون في ذلك، والظاهر أن ذلك من كبائر الذنوب للتوعد عليها بالنار.

وورد عن ابن عباس أنه قال: الإضرار في الوصية من الكبائر.

رواه ابن جرير ٤/ ٢٨٨، ٢٨٩، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٨٩، وورد مرفوعًا، وصحح ابن جرير وغيره وقفه.

(١٥) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾.

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: نزل على رسول الله ﷺ ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ...﴾ إلخ، قال: ففعل ذلك بهن رسول الله ﷺ، فبينما رسول الله ﷺ جالس ونحن حوله وكان إذا نزل عليه الوحي أعرض عنا وأعرضنا عنه وتربد وجهه وكُرب لذلك، فلما رفع عنه الوحي قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة ثم الرجم».

رواه أحمد ٥/ ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٧، ٣١٨، ٣٢٠، ومسلم في الحدود ١١/ ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، وأبو داود ٤٤١٥، والترمذي ١٣٠٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٠، وابن ماجه ٢٥٥٠، وابن جرير ٤/ ٢٩٣، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٩٤ وغيرهم.

قوله: تربد وجهه، أي تغير حتى صار كلون الرماد، وقوله: كُرب بضم الكاف، أي أصابه كرب وشدة.

والحديث يدل على أن الآية منسوخة، فقد كان الحكم أولاً إذا زنت المرأة حبست في البيت حتى تموت، فلما جاء الأمر بالحد رفع ذلك فكان الواجب ما صرح به الحديث، وهو جلد الزاني والزانية الأعزبين مائة جلدة

لكل منهما مع تغريب عام، فإن كان قد سبق لهما أن تزوجا كان على كل منهما مائة جلدة ثم الرجم قتلاً بالحجارة إذا ثبت ذلك عليهما بالاعتراف أو أربعة شهود عادلين يشاهدون ذلك عيانًا كالمِيل في المكحلة. . .

(١٧) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصِي الله به فهو جهالة، عمدًا كان أو غيره.

رواه ابن جرير ٤/٢٩٨ من طريق عبد الرزاق في تفسيره ١/١٥١ بسند صحيح، ورواه من طريق آخر عن أبي العالية، وورد أيضًا عن مجاهد وابن عباس والضحاك وغيرهم، انظر ابن جرير ٤/٢٩٨، ٢٩٩، وابن أبي حاتم ٣/٨٩٧.

ما قاله هؤلاء يدل على أن كل عاص جاهل سواء كان عالمًا أم لا، وسواء أتى المعصية عن عمد أم غيره، فكل عاص يعتبر حالة عصيانه سفيهًا جاهلاً، حفظنا الله من مواقِع سخطه وغضبه وجنبنا الفتن والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ».

رواه أحمد رقم ٦١٦٠، والترمذي في الدعوات رقم ٣٣٠٤، وابن ماجه ٤٢٥٣، وابن حبان ٢٤٤٩ بالموارد، والحاكم في التوبة ٤/٢٥٧ بسند حسن، وصححه الحاكم والذهبي، وهو صحيح لشواهده عن أبي هريرة وعن أربعة من الصحابة وعن أبي ذر. . .

والآية تدل على أن من أذنب ثم تاب من قريب تاب الله تعالى عليه، والقرب بيَّنه الحديث وهو ما دام على قيد الحياة ولم تصل الروح إلى الحلقوم حيث تقع الغرغرة ويشاهد المحتضَر مقامه، فإذا بلغ إلى هذه الحالة لا يقبل الله توبته ولا إيمانه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾.

وقد جاء في رواية لابن عمر عند الطيالسي: من تاب قبل موته بعام تيب عليه، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه.

وهو عند ابن أبي حاتم ٣/٨٩٨، ٨٩٩ أيضًا، وهو وإن كان في سنده رجل مجهول فمعناه صحيح.

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن القرب في الآية ما كان قبل الموت. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ولطفه بهم، فإن رحمته قد سبقت غضبه.

(١٩) قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ... ﴾ الآية، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوَّجوها، وإن شاؤوا لم يزوِّجوها وهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية في ذلك.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣١٥ وفي الإكراه، وأبو داود في النكاح ٢٠٨٩، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٣٢١، وابن جرير ٤/ ٣٠٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٠٢.

وعن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف عن أبيه، قال: لما توفي أبو قيس بن الأسْلَت أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ ﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٢١، وابن جرير ٤/ ٣٠٥ بسند حسن.

هذا من مخازي الجاهلية وعاداتها الساقطة الهابطة، فقد كانت المرأة

عندهم تورث كما يورث المتاع حتى زوجة الأب يأخذها الابن، ويكون له الخيار في التزوج بها، أو تزويجها، أو منعها حتى تموت، فحرم الله ذلك وأعطى للمرأة حريتها تتزوج بمن تشاء بعد عدتها، ولها هي الأخرى حق في الإرث كالرجل ولا فارق. وفي ذلك إكرام من الله للمرأة بعد إهانتها وهضم حقوقها أجيالاً . . .

(١٩) قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

رواه أبو داود ٤٨٩٩، والترمذي ٣٦٦٠، والدارمي ٢٣٦٥، وابن حبان ١٣١٢ بسند صحيح وكذا حسنه الترمذي وصححه، وهو مع ذلك له شواهد عن أبي هريرة وابن عباس ومعاوية.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رَضِي منها آخر».

رواه أحمد ٢/ ٣٢٩، ومسلم في الرضاع رقم ١٤٦٩، وأبو يعلى ٥/ ٤٥٩.

الآية الكريمة ترشد الرجال إلى معاملة النساء بطيب القول والمعاملة الحسنة والأفعال الجميلة، وجاء الحديث الأول يؤيده ذلك ويبين بأن أفضل الناس وخيرهم خيرهم معاملة لذويهم وأهل بيوتهم، وأنهم ينبغي لهم أن يأتسوا به ﷺ، فإنه كان المثل الأسنى في ذلك كما هو معروف من سيرته وشمائله ﷺ. أما الحديث الثاني فيشير إلى ما عسى أن يصدر من الرجل في جانب زوجته من كراهته إياها، فأرشدنا ﷺ إلى الصبر وتحمل ما يصدر منها من سيء الأخلاق، فإن لها أخلاقًا كريمة وآثارًا حسنة في مقابلة ذلك، فليغض الطرف ولينتفع بصالح أخلاقها فعسى الله تعالى أن يجعل له في ذلك

خيرًا كثيرًا كما نطقت بذلك الآية الكريمة. وقوله في الحديث: لا يَفْرَكْ، من باب تَعِبَ، أي لا يبغض.

(٢١) قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٢١) ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه في خطبة حجة الوداع أن النبي ﷺ قال فيها: «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

رواه مسلم في الحج ٨/ ١٨٣، وقد تقدَّم في البقرة ص ١١٠.

الحديث جاء مفسرًا لقوله تعالى: ﴿ مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٢١) ﴾، أي أخذن منكم عهدًا وثيقًا مؤكدًا وهو عقد النكاح، وهو الوارد عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٢٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا (٢٢) ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ بي خالي أبو بردة ابن نيار ومعه لواءٌ، فقلت: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه.

رواه أحمد ٤/ ٢٩٢، وأبو داود ٤٤٥٧، والترمذي في الأحكام ١٢٣٣، والنسائي في مواضع من الكبرى في النكاح وفي الحدود، وابن ماجه ٢٦٠٧، وابن حبان ١٥١٦، والحاكم ٤/ ٣٥٦، ٣٥٧، والدارقطني ٣/ ١٩٦ وغيرهم، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم، وللحديث طرق منها ما رجاله رجال الصحيح ومنها سندها حسن كطريق عند أبي داود ٤٤٥٦.

إن نكاح أزواج الآباء محرم بالإجماع، وقد كان سائدًا بين أهل الجاهلية فحرمه الله تعالى وجعله فاحشة ومقتًا، أي شيئًا عظيم القبح، فهو أمر كبير في نفسه يؤدي إلى مقت الله وغضبه وبغضه، وجاء الحديث الشريف

يبين حكم من فعل ذلك في الإسلام وأنه يجب قتله وإعدامه أحصن أم لم يحصن.

(٢٣) قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»، وفي رواية: «من النسب».

رواه أحمد ٦/ ٤٤، ٥١، ٦٦، والبخاري ١١/ ٤٣، ومسلم ١٤٤٤، ج ١٠/ ١٩، ٢٠، وأبو داود ٢٠٤٨، والنسائي ٦/ ٨١، ٨٢، وابن ماجه ١٩٣٧ وغيرهم، ونحوه عن ابن عباس في صحيح مسلم وغيره.

لا خلاف في تحريم التزوج بالأم والأخت من الرضاعة كما هو صريح القرآن، وجاء هذا الحديث الشريف بالتسوية في التحريم بين ما حرم من النسب وبين مثله من الرضاعة، فالأمهات والأخوات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت من الرضاعة كلهن محرمات كمثلهن من النسب ولا فارق، وبسط ذلك في كتب الأحكام.

(٢٣) قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾.

عن فيروز الديلمي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان، فقال رسول الله ﷺ: «طلّق أيتهما شئت».

رواه أحمد ٤/ ٢٣٢، وأبو داود ٢٢٤٣، والترمذي ١٠١٢، وابن ماجه ١٩٥١، وابن حبان ١٢٧٦ وغيرهم، وهو حديث حسن.

وهذا أيضًا لا خلاف في تحريمه، والحديث جاء موافقًا للآية الكريمة.

(٢٤) قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾.

عن أبـي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أوطاس أصبنا نساء لهن أزواج في المشركين فكرِهَهُنَّ رجال منهم فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/ ٨٤، ومسلم في الرضاع ١٠/ ٣٥، وأبو داود ٢١٥، والترمذي في النكاح، وفي التفسير ٢٨٢٢ والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢١، وهو عند مسلم مطولاً مبسوطًا.

الآية الكريمة معطوفة على المحرمات من النساء المتقدمات بدايةً من قـولـه تعـالـى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ . . . ﴾ إلـخ، ومعنـاه أن المتزوجات من النساء يحرم التزوج بهن ما دمن تحت عصمة أزواجهن إلاَّ ما أخذت بملك اليمين من نساء الكفار، فللمسلم أن ينكحهن كإماء وجوارٍ إذا استبرئن بحيضة ولا عبرة بعصمة أزواجهن الكافرين. ويوم أوطاس كان بعد حنين في السنة الثامنة من الهجرة.

(٢٥) قـولـه تعـالـى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه أنه خطب فقال: يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديثة عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها فذكرت ذلك لنبـي الله ﷺ فقال: «أحْسَنْتَ». وفي رواية: «اتركها حتى تتماثل». وفي رواية: «فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين».

رواه أحمـد ١/ ١٥٦، ومسلـم فـي الحـدود ١٨/ ٢١٤، والـروايـة الأخيـرة عنـد عبد الله بن أحمد.

وعن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولـم تحصن قال: «إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن

زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير»، وفي رواية: «ولا يثرب عليها».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٩، ٤٩٤، ٤٢٢، ومسلم في الحدود ١٨/ ٢١١، ٢١٢.

الحديثان مبيِّنان للآية الكريمة، وأن الأمة إذا زنت وجب عليها الحد خمسين جلدة على النصف من الحرة، وبيَّن الحديثان أن إحصان الأمة المذكور في الآية لا مفهوم له، بل تحد مطلقًا سواء أحصنت أم لا. وفي الحديث الأول بيان على أن عصيان موالي النبي ﷺ بل وأقاربه لا يخدش في عصمته ﷺ.

(٢٩) قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم ... ﴾ إلخ، فكان الرجل يَحْرَجُ أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية، فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في النور فقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ من بيوتكم[1] ﴾ إلى قوله: ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ [النور: ٦١]، فكان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى الطعام فيقول: إني لأجنَّح أن آكل منه، والتجنح الحرج، ويقول: المسكين أحق به مني. فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وأحل طعام أهل الكتاب.

رواه أبو داود في الأطعمة ٣٧٥٣ بسندٍ حسنٍ.

قوله: يَحْرَج، بفتح الياء والراء، أي يرى ذلك إثمًا وجناحًا أن يأكله.

إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما سمعوا الله عزَّ وجل ينهى عن

---

(١) كذا ورد في الأثر، والآية هي في سورة النور، وهي: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ... ﴾ إلخ الآية ٦١.

أكل مال الغير بالباطل غير التجارة ظنوا أن كل ما عدا ذلك ممنوع فكانوا يتحرجون من الأكل عند الغير مطلقًا، فبيّن الله تعالى لهم في آية النور أن لا حرج ولا إثم في أن يأكل الرجل مما ذكر في الآية الكريمة وهم عشرة أصناف بدايةً من بيت الأب إلى بيت الصديق.

(٢٩) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثمَّ صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا.

رواه أحمد ٤/ ٢٠٣، ٣٠٤، وأبو داود ٣٣٤ والحاكم ١/ ١٧٧ بسندٍ صحيح وله طرق، وانظر ما ذكرته في إتمام المنة ص ١٢٥.

في الحديث دليل على أن كل ما يؤدي إلى قتل الإنسان نفسه من الوسائل هو محرم، فمن ظنَّ أو تيقَّن أنه إن اغتسل بالماء البارد مات بذلك كان منتحرًا، وهكذا من اقتحم نارًا أو خاض بحرًا أو نهرًا وهو لا يعرف السباحة فمات كان قاتلاً نفسه كالمتعمد، وإذا كان هذا آثمًا فكيف بمن يقدم على الانتحار عالمًا عامدًا، فلا شكَّ أن مآله العذاب الخالد كما جاءت بذلك السنة الصحيحة. وفي الآية والحديث مشروعية العمل بالعمومات الشرعية وأن إقرار النبي ﷺ عمروَ بن العاص على ما فعل وقال هو شرع ثابت لنا.

(٣١) قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في الكبائر قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقول الزور.

رواه أحمد ٣/ ١٣١، ١٣٤، والبخاري في الشهادات وغيرها، ومسلم في الإيمان، والترمذي في البيوع، وفي التفسير ٢٨٢٣ وغيرهم. ونحوه عن أبي بكرة عند خ م ت في التفسير ٢٨٢٤.

قد قدمنا بيان الكبيرة من الذنوب، وفي هذا الحديث التنصيص على بعضها التي منها: الشرك بالله والإساءة إلى الوالدين وقتل النفس بغير حق وقول الزور. والآية تدل على أن من اجتنب الكبائر غفر الله له ما عداها مما لا يخلو منه أحد من اللمم.

(٣٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت يا رسول الله، يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ إلخ، قال مجاهد وأنزل فيه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

رواه أحمد ٦/ ٣٢٢، والترمذي في التفسير ٢٨٢٧، وابن جرير ٥/ ٤٧، والحاكم ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحقَّق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى صحة سماع مجاهد من أم سلمة، وصحَّح الحديث لذلك.

في الآية الكريمة النهي عن تمني ما فضل الله به بعضنا على بعض وبالأخص ما جعله الله من الفرائض والتكاليف الشرعية وما خص به كلًّا من الرجال والنساء. وقد تطاول نساء عصرنا المستغربين على ما قضى الله به عزَّ وجل من تفضيل الرجال على النساء بما أعطاهم من القيومية والرياسة

السياسية والولايات وما فضلهم عليهن في الإرث وملك النكاح والطلاق وما إلى ذلك من خصائص الرجال، فقمن يعترضن على الله وينتقدن حكمه تعالى العادل. . . والناعقون من الملاحدة والعلمانيين وراءهن هنا وهناك، يمهدون لهن السبل ويسعين جادين في مساواتهن مع الرجال في كل شيء حفظ الله الإسلام والمسلمين من شرورهم وفتنهم آمين، وبالله المستعان وعليه التكلان.

(٣٢) قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل».

رواه الترمذي في الدعوات ٣٣٣٩، وهو حديث حسن لشاهد له عن ابن عباس رواه ابن مردويه، وآخر عن رجل رواه ابن جرير ٥/ ٤٩، والحديث حسّنه الحافظ وصحّحه السيوطي.

في الآية والحديث إرشاد لنا إلى سؤال الله تعالى من فضله وخيره ورحمته، فإنه ذو الفضل الواسع ويحب السائلين من عباده، وفي الآية إرشادٍ ثانٍ لعباد الله سواء منهم الذكور والإناث أن يقنعوا ويرضوا بما أعطى الله لكل منهم وأن لا يسيؤوا الأدب معه في تمنيهم ما ليس لهم.

(٣٣) قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾، قال: ورثة. ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾، كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى

النبي ﷺ بينهم فلما نزلت: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾، نسخت، ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له.

رواه البخاري في الكفالة، وفي الفرائض وفي التفسير ٩/ ٣١٦، ٣١٧، وأبو داود ٢٩٢٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٢، وابن جرير ٥/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٣٧.

وعنه قال: كان الرجل يعاقد الرجل فإذا مات ورثه الآخر فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٦]، يقول: إلاَّ أن توصوا لأوليائكم الذين عاقدتم.

أخرجه ابن جرير ٥/ ٥٢، وجاء هذا عنه من طرق أوردها ابن جرير أيضًا.

ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الواقع المتفق عليه.

فمعنى الآية الكريمة إذًا: ولكل إنسان من ذكر وأنثى جعلنا له موالي، أي عصبة وأقارب من أولاد وآباء وإخوة وأخوات وأعمام.. يرثون ماله مما تركه الوالدان والأقربون، والذين عاقدت إيمانكم أي الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث فأعطوهم شيئًا كالوصية لهم، وما إلى ذلك، أما الإرث فقد نسخ بينكم وبينهم. هذا ما اختاره ابن عباس ومن تبعه.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلاَّ شدَّة».

رواه أحمد ٤/ ٨٣، ومسلم ٢٥٣٠، والنسائي في الكبرى ٤/ ٩٠، وأبو داود ٢٩٢٥، وفي الباب عن جماعة كابن عباس وأم سلمة وقيس بن عاصم وأنس وغيرهم.

وعن عاصم الأحول رحمه الله تعالى قال: قيل لأنس بن مالك

رضي الله تعالى عنه: بلغك أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام»، فقال أنس: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داره بالمدينة.

رواه مسلم في الفضائل رقم ٢٥٢٩.

كان أهل الجاهلية يتحالفون بالأيمان المؤكدة ويتعاقدون فيما بينهم على التناصر والتوارث، فلما جاء الإسلام حالف النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فكانوا يتوارثون... ثم نسخ كل ذلك وبقي الحلف على التناصر والتعاون على الحق.

(٣٤) قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾.

عن الحسن رحمه الله تعالى قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ...﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص.

رواه ابن جرير ٥/٥٨، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٤٠ وغيرهما. وجاء نحوه أيضًا عن قتادة وعن السدي رواه عنهما ابن جرير ٥/ ٥٨، وهي مراسيل ثابتة. وجاء نحوها متصلاً عن الإمام علي، رواه ابن مردويه كما أورده ابن كثير.

فالآية الكريمة تنص على أفضلية الرجل على المرأة في الجملة وأن له القوامية عليها والإمارة والرئاسة، ولذلك كانت الخلافة والإمارة والولاية العامة والقضاء العام وشؤون المسلمين العامة خاصة بالرجل دون المرأة.

ولذا جاء عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: لما قتل كسرى سأل النبي ﷺ عمن ولوا بعده، فذكروا له أنهم ولوا بنته فقال ﷺ: «لَن يُفْلِح قومٌ وَلَّوا أمرَهم امرأة».

رواه أحمد ٥/ ٤٧، ٥١، والبخاري ٩/ ١٩١، ١٦/ ١٦٤، ١٦٦، والترمذي ٣/ ٢٤٦، والنسائي ٨/ ٢٠٠ وغيرهم، وانظر مذاهب الأئمة، وأقوالهم في كتابي المرأة

المتبرجة ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، فإن الموضوع يحتاج إلى بسط.

٣٤ **قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾.

رواه ابن جرير ٥/ ٦٠، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٤١، والطيالسي وأحمد ٢/ ٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨، والنسائي والحاكم ٢/ ١٦١، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وذكر الآية خاص بالأوَّلين.

الحديث مبيِّن للصالحات من النساء الحافظات للغيب، وأنهن اللاتي يحفظن مال أزواجهن ونفوسهن من الحرام عند غيابهم. قال ابن جرير: معناه صالحات في أديانهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في أنفسهن وأموالهم. وفي الحديث أيضًا بيان خير النساء.

وقد جاء في الحديث الآخر الصحيح: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة» أو كما قال ﷺ.

رواه مسلم.

٣٤ **قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.**

عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه سأله رجل: ما حق المرأة على زوجها؟ قال: «تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضربن الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلاَّ في البيت».

رواه أحمد ٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، وأبو داود في النكاح ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٤٤، والنسائي في التفسير ٦/ ٣٢٣، وفي عشرة النساء، وابن ماجه في النكاح ١٨٥٠، وابن

حبان ١٢٨٦ بالموارد، والحاكم ٢/ ١٨٧ ، ١٨٨ بسندٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم والذهبي.

في الحديث بيان بعض حقوق المرأة على الزوج وهو أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى، وإذا ضربها فليجتنب الوجه ولا يقول لها قبحك الله، وإذا أدى الحال إلى هجرانها فلا يهجرها إلاَّ في البيت، ولا يخفى ما في هذه الأحكام من آداب طيبة.

أما الآية الكريمة فمعناها أن النساء اللائي يتعالين على الأزواج ويتمردن عن طاعتهم فعليهم أن يسلكوا معهن ثلاث مراحل: الوعظ والتذكير، ثم الهجران في مضاجعهن، ثم في النهاية ضربهن ضربًا غير مبرح، والآية مع الحديث صريحان في الإذن بضربهن، لكنه ينبغي للزوج أن لا يكون ضرابًا ولا خشنًا شديدًا، وخير الهدي هدي حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ ولم يكن يضرب نساءه.

(٣٦) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾.

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري ما حق الله على العباد؟»، فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال: فتدري ما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم».

رواه أحمد ٥/ ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، والبخاري في الرقاق ١٤/ ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، وفي الجهاد وفي التوحيد وفي مواضع، ومسلم في الإيمان ١/ ٢٣٠، ٢٣٣، وأبو داود في الجهاد ٢٥٥٩، والترمذي في الإيمان ٢٤٥٩، وابن ماجه في الزهد ٤٢٩٦ مطولاً ومختصرًا.

في الحديث أن حق الله على عباده في هذه الحياة هو قيامهم بعبادته عقيدة وعملاً، وطاعته أمرًا ونهيًا، وأن لا يتخذوا معه أي شريك، فإذا فعلوا ذلك كان حقًّا عليه تفضلاً منه عليهم أن لا يعذبهم.

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.

رواه أحمد ٥/ ٣٣٣، والبخاري في الأدب ١٣/ ٤٣، وأبو داود في الأدب ٥١٥٠، والترمذي في البر والصلة ١٧٦٤، ورواه مسلم عن أبي هريرة في الزهد ١٨/ ١١٣.

في الحديث فضل الإحسان إلى اليتيم وأن كافله سيكون مع النبي ﷺ في الجنة، وهي بشارة لأوصياء اليتامى وما أعظمها من بشارة. واليتيم هو من فقد أباه قبل الاحتلام.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار».

رواه أحمد ٢/ ٣٦١، والبخاري في الأدب ١٣/ ٤٤، ومسلم ١٨/ ١١٢ في الزهد، والنسائي ٥/ ٦٥، والترمذي في البر والصلة ١٨١٤، وابن ماجه في التجارة ٢١٤٠.

في الحديث فضل عظيم للقائم بالأرملة التي توفي عنها زوجها أو طلِّقت وأصبحت بلا قيِّم عليها، وكذا المسكين الضعيف الحال المحتاج، فمن وفق للقيام بهما والسعي عليهما حسب المستطاع كان كالمجاهد الشاهر سلاحه في سبيل الله، وكالصائم النهار القائم الليل، وما أعظمه من فضل.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يُوصِيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُه».

رواه أحمد ٢/ ٨٥، ١٦٠، والبخاري في الأدب ١٣/ ٤٩، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٧٦، وأبو داود ٥١٥٢، والترمذي في البر والصلة ١٧٨٨ وغيرهم؛ ومثله عن عائشة في خ م.

فيه الحض الشديد على الإِحسان إلى الجار وإكرامه ورفع الإِذاية عنه، وأن حقه قريب من حق القريب الوارث، وقد جاء في الصحيح: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره...».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

رواه أحمد ٣/ ١١٧، والبخاري في الأدب المفرد ١٥٨، وأبو داود في الأدب ٥١٥٦ وابن ماجه في الوصايا ٢٦٩٧، ٢٦٩٨ من طريقين هو بهما صحيح، وله شاهد عن أم سلمة، رواه ابن ماجه في الجنائز ١٦٢٥ بسندٍ صحيح، قال البوصيري: على شرط الصحيحين.

فيه الوصايا بالأرقاء والإِحسان إليهم، وقد جاءت أحاديث في معاملتهم بالجميل ومعاونتهم والعفو عنهم، ربما يأتي بعضها في مناسبات.

والآية الكريمة تعتبر ذات الحقوق العشرة، وقد ذكرنا بعض ما جاء فيها من السنة النبوية، أما ما يتعلق بالوالدين فيأتي في سورة لقمان وغيرها، وكذا ما جاء في الأقارب يأتي في سورة الروم وغيرها.

٤٠ **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه في الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما

الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

رواه أحمد ٣/ ١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣، ومسلم في صفة القيامة ١٧/ ١٤٩، ١٥٠.

ومعنى الآية الكريمة أن الله تعالى لا يبخس وينقص أحدًا من عمله شيئًا ولو كان وزن ذرة وهي أقل شيء كالهباءة فما دونها، وإن كانت تلك الذرة حسنة ينميها تعالى ويجعلها أضعافًا كثيرة، ويعطي من عنده تفضلاً على ثواب العمل أجرًا عظيمًا وهي الجنة وما يتبعها من نعيم ورضوان.

والحديث يدل على أن المؤمن يجازى بعمله الصالح في الدنيا والآخرة، بينما الكافر يجازى به في الدنيا صحة في جسمه وسعة في رزقه ونصرًا على عدوه... ولكنه لا حظ له في الآخرة، وهذا من كمال عدل الله عزَّ وجل.

(٤١) قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان.

رواه أحمد ١/ ٣٨٠، والبخاري في التفسير ٩//٣١٩، وفي فضائل القرآن، ومسلم في فضائل القرآن أيضًا ٦/ ٨٦، ٨٧، وأبو داود في العلم ٣٦٦٨، والترمذي في التفسير ٢٨٢٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٣ وغيرهم.

في الحديث استحباب استماع القرآن من القراء الأفاضل والبكاء عنده، ومعنى الآية الكريمة: فكيف يكون حال الناس يوم القيامة عندما نأتي

من كل أمة بشهيد يشهد عليها، ونأتي بك شهيدًا على أمتك برها وفاجرها، فلا ريب أن الموقف سيكون شَديدًا، فيومئذٍ يتمنى الكافرون الجاحدون لشدة الهول أن لو انشقت لهم الأرض فابتلعتهم. ولِما في ذلك المشهد العظيم من المخاوف رق النبي ﷺ رحمةً بأمته فبكى لذلك، ويلاحظ أن قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ. . . ﴾ إلخ، هو استفهام توبيخي تقريعي لهؤلاء الذين لم يؤمنوا برسالته ﷺ.

(٤٣) **قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾.**

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: صنع لنا ابن عوف طعامًا فدعانا فأكلنا وسقانا خمرًا قبل أن تحرَّم فأخذتْ منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون). قال: فخلطت، فنزلت: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ . . . ﴾ إلخ. وفي رواية: أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف. وفيه: فأمَّهم علي في المغرب.

رواه الترمذي بالرواية الأولى ٢٨٣٠، وأبو داود بالثانية في الأشربة ٣٦٧١، وابن جرير ٥/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٥٨، والحاكم ٢/ ٣٠٧، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي، وعطاء بن السائب سمع منه الثوري قبل الاختلاط.

في الآية الكريمة نهي المسلم عن الصلاة حالة السكر، لأن السكران لا يدري كيف يقرأ كما حصل من الصحابة قبل تحريم شرب الخمر. فكانوا يصلون وهم سكارى. وقد تقدم حديث في أطوار تحريم الخمر في سورة البقرة وسيأتي بقية لذلك في المائدة إن شاء الله تعالى.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نعس

أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه».

رواه البخاري في الوضوء ١/ ٣٢٦ وغيره، ومسلم في صلاة الليل ٦/ ٧٤.

والحديث له تعلق بالآية والحديث السابق، فإن النائم كالسكران لا يدري ما يقول، ولذلك قال في الحديث: «لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»، ولذا أورد الحديث عند هذه الآية السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٥٤٦، وفي معنى هذا أيضًا ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول: فليضطجع»، ٦/ ٧٤، ٧٥.

(٤٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: هَلَكَتْ قِلادةٌ لأسماء فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً، فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء فأنزل الله تعالى يعني آية التيمم، فقال أُسَيْدُ بن حُضَيْر لعائشة: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلاَّ جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرًا.

وفي رواية عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ على

فخذي قد نام فقال: أحبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فما يمنعني من التحرك إلاَّ مكان رأس رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

رواه مختصرًا بالرواية الأولى: البخاري في التيمم ١/٤٥٦، ٤٥٧، وفي التفسير ٩/ ٣٢١ وفي النكاح وفي اللباس وفي الحدود، ومسلم في الحيض ٤/٥٩. ورواه مطولاً بالرواية الثانية: البخاري في أول التيمم ١/٤٤٨، ٤٥١، وفي الفضائل وفي تفسير سورة المائدة رقم ٤٦٠٧، ومسلم في التيمم ٤/٥٦، ٥٨، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٤ وفي التيمم من المجتبى مطولاً.

في الحديث بروايتيه أن الآية التي نزلت بهذا السبب هي آية النساء وهي آية التيمم، أما آية المائدة فيقال لها آية الوضوء، وسيأتي الكلام على معنى الآية في آية المائدة إن شاء الله تعالى.

(٤٨) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.**

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاَّ من مات مشركًا أو من قَتَلَ مؤمنًا متعمدًا».

رواه أبو داود في الفتن ٤٢٧٠، وابن حبان ٥٩٨٠، والحاكم ٤/ ٣٥١، والبيهقي في الكبرى ٨/ ٢١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد عن معاوية، رواه أحمد ٤/ ٩٩، والنسائي في الكبرى رقم ٣٤٤٦ وفي الدم من المجتبى، والحاكم ٤/ ٣٥١ وغيرهم.

الآية كالحديث، مصرحان بأن الشرك لا يغفره الله بحال، وأنه تعالى

يغفر ما عداه لمن شاء، والأحاديث بهذا المعنى متواترة. وقد جاء في الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى يقول: يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة».

رواه أحمد ٥/ ١٥٤، وأصله عند مسلم في البر والصلة ١٦/ ١٣٢ مطولاً.

ولذا كان يقول بعض الصالحين: اللّـهم إني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر والشرك بك، فاغفر لي ما بينهما.. والموضوع واسع جدًا. وقوله في الحديث: «أو من قتل مؤمنًا متعمدًا»، ظاهره أن القتل العمد لا يغفر، وهذا مؤول بالإجماع للآية الكريمة وغيرها.

٥٨ قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تَخُن من خانك».

رواه أبو داود ٣٥٣٥، والدارمي ١١٤٢، والحاكم ٢/ ٤٦ وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط مسلم وحسنه الحافظ ورد قول من ضعفه.

الأمانة كل حق لزمك أداؤه، والحديث كالآية يدلان على وجوب أداء الأمانة ولا خلاف في ذلك بل عدمها من خصال المنافقين للحديث: «وإذا ائتمن خان». والحديث يفيد أن الخائن لا يقابل بخيانته وهذا من باب الأفضلية لأدلة أخرى.

٥٩ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية. . .

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٢٢، ومسلم في الإمارة ١٢/ ٢٢٣، وأبو داود ٢٦٢٤، والترمذي ١٥٣٣ كلاهما في الجهاد، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٤، وفي البيعة من المجتبى، وأحمد ١/ ٣٣٧.

في الآية الكريمة وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، علمًا بأن طاعتهم إنما تجب في المعروف لا في معصية الله، لأن طاعة الله وطاعة رسوله مقدمة على طاعة كل مخلوق كائنًا من كان، فمن أمر بمعصية وبما يخالف الشرع فلا سمع ولا طاعة. فطاعة المخلوق تابعة لطاعة الله ورسوله ولذلك لم يكرر سبحانه الأمر بالطاعة في أولي الأمر كما كررها في طاعة رسوله ﷺ ليعلم أن طاعة الرسول مستقلة كطاعة الله، أما ما عداهما فطاعتهم تابعة لله ولرسوله ﷺ ولذا ختم الآية بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ. . .﴾ الآية، فالرجوع إليهما عند التنازع واجب إسلامي دون غيرهما من سائر البشر. ويلاحظ أن الحديث هنا ذكره ابن عباس مختصرًا.

وقد رواه أحمد ١/ ٨٢، والبخاري ومسلم ١٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ في الإمارة:

عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء؟ قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلُنها قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتُم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا

تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها قال: فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال لهم: «لو دخلتُموها ما خرجتُم منها أبدًا، إنما الطاعةُ في المعروف». فهذا مفسر لذاك. والأحاديث في وجوب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كثيرة فلا نطيل بها، ولعل بعضها يأتي في مناسبات.

(٦٥) قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه الزبير فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير وأرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «يا زبير اسق واحبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر»، فقال الزبير: لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. . .﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٢٣ وغيره، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٠٧، وأبو داود في الأقضية ٣٦٣٧، والترمذي في الأحكام ١٢٣٤، وفي التفسير ٢٨٣١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٤، وفي آداب القضاء من المجتبى وابن ماجه رقم ١٥ ورقم ٢٤٨٠.

شِراج بكسر الشين جمع شَرج بفتح أوله: مسيل الماء. والحرَّة موضع بالمدينة وهما حرَّتان شرقية وغربيَّة، والجَدْر بفتح الجيم وسكون الدال وقيل بضمتين جمع جدار، وهو هنا الحفر الذي تحفر في أصول النخل فتصير مثل الجدار. فالنبي ﷺ سلك معهما أولاً طريق الصلح، فلما قال الأنصاري ما قال حكم للزبير وأمره أن يأخذ حقه من الماء وافيًا كاملاً ثم يرسله لجاره.

والآية الكريمة يدل ظاهرها على نفي الإيمان عمن لم يحكِّم رسول الله ﷺ ولم يرضَ بحكمه. وفي الحديث أحكام ليس هذا محل بسطها.

(٦٩) قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلاَّ خُيِّر بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ...﴾ فقلت: إنه خُيِّر.

رواه البخاري في الوفاة النبوية وفي التفسير ٩/٣٢٣، ومسلم في الفضائل ١٥/٢٠٨، ٢٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٥، وابن ماجه في الجنائز ١٦٢٠ وغيرهم.

في الحديث إكرام الله تعالى لأنبيائه ورسله ومزيد اعتناء بهم حيث كان يخيرهم بين الدنيا والآخرة نظرًا لما يلاقونه كغيرهم من سكرات الموت، فكانوا يختارون الآخرة ورفقة المنعَم عليهم من النبيين...

(٧٥) قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه تلا:

﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾. قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله. وفي رواية: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

رواه البخاري في التفسير بالروايتين ٩/ ٣٢٤ وعزاه الحافظ في الفتح إلى الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما.

ومعنى الآية الكريمة : ما شأنكم وماذا حصل لكم أيها المؤمنون حيث لا تجاهدون في سبيل الله أعداء الله ولا تقاتلوهم لفك المؤمنين المستضعفين، يعني الذين كانوا بمكة يُؤذَوْن ويُمنعُون من الهجرة، وكانوا رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهم الجماعة الذين كانوا يدعون الله عزَّ وجل أن يخرجهم من مكة التي كان أهلها إذ ذاك كفرة ظلمة، وكان النبي ﷺ يقنت ويدعو معهم آخر كل صلاة بعد الركوع كما تقدم في آل عمران.

وفي الآية دليل على وجوب فك وخلاص الأسارى المسلمين وقتال الكفار لتحرير المسلمين وبلادهم من أيدي الاستعمار والمعتدين. ومع شديد الأسف فقد فرط المسلمون في هذا الجانب كباقي الجوانب الأخرى الكثيرة حتى عمت البلوى وتفاقم الأمر وأصبح المسلمون كالأرقاء بين الأمم الكافرة المتحضرة المتقدمة في الصناعات. . .

(٧٧) قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عبد الرحمن وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم»، فلما حوَّله الله إلى المدينة أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ . . . ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٥ وفي المجتبى، وابن جرير ٥/ ١٧٠، ١٧١، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٠٥، والحاكم ٢/ ٦٦، ٣٠٧، والبيهقي ٩/ ١١ وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

الأمر كما في الحديث فقد كان النبي ﷺ في مرحلته الأولى بمكة المكرمة مأمورًا بالعفو عن الكفار والصبر على أذاهم، حتى إن بعض الصحابة كلموه في ذلك فأخبرهم بأنه مأمور بذلك من قبل الله عزَّ وجل، ولكنه لما هاجر إلى المدينة ونزل فرضية الجهاد والإذن في قتال الكفار جبن بعض الناس وخافوا من الكفار وفزعوا من الموت كخوفهم من عذاب الله أو أشد.

(٨٠) **قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني».

رواه أحمد ٢/ ٩٣، ٢٤٤، ٢٧٠، ٤٧١، ٥١١ وفي مواضع، والبخاري في الجهاد رقم ٢٩٥٧، وفي الأحكام ٧١٣٧، ومسلم في الإمارة ١٨٣٥، والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٢٢، ٤/ ٤٣٢، ٤٦٢، وفي البيعة من المجتبى، والبيهقي ٨/ ١٥٥ وغيرهم.

في الآية والحديث فضل عظيم لنبيه ﷺ حيث جعل الله طاعته طاعة له وعصيانه عصيانًا له... كما في الحديث وجوب طاعة أمراء نبي الله ﷺ وخلفائه الذين هم على نهجه ونهج شريعته كما تقدم قريبًا.

(٨٣) **قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا (٨٣)﴾.**

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصا ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: لا، فقمت على باب المسجد فناديت

بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ. . . ﴾ الآية.

رواه عبد بن حميد ومسلم في الطلاق ١٠/ ٨٢، ٨٥ رقم ١٤٧٩، وابن أبي حاتم ١٠١٤، وهو عند مسلم مطولاً.

وفي الآية الكريمة إرشاد إلى التثبت في الأمور وعدم إفشائها قبل تحققها فقد لا يكون لها أثر من الصحة بل الواجب السكوت عنها والإمساك عن إذاعتها وردها إلى من يستنبطها من أهل العلم والدين كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في شأن إشاعة الناس طلاق رسول الله ﷺ نساءه، ولم يكن الأمر كذلك، حتى استنبط ذلك عمر وتحقق عدم صحته بإخبار من النبي ﷺ، وهنا يأتي حديث مسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع».

٨٥ قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة، قال: «اشفعوا تؤجروا»، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء.

رواه أحمد ٤/ ٤٠٩، ٤١٣، والحميدي ٧٧١، والبخاري في الزكاة ٤/ ٤٢ وفي الأدب، وفي التوحيد، ومسلم في البر ١٦/ ١٧٧، وأبو داود في الأدب ٥١٣١، والنسائي في المجتبى من كتاب الزكاة ٥/ ٤٨، والترمذي في العلم ٢٤٨٦ وغيرهم.

في الآية والحديث فضل الشفاعة والتوسط في الخير والسعي في قضاء حوائج المحتاجين وبالأخص عند الأمراء وذوي السلطة غير أنها لا تجوز في المتمردين والمفسدين أو في إعانة على ظلم وإثم وعدوان.

(٨٦) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾.

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: «عشر»، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: «عشرون»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: «ثلاثون».

رواه أحمد ٤/ ٤٣٩، ٤٤٠، وأبو داود ٥١٩٥ في الأدب، والترمذي في الاستئذان ٢٥٠٣ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٩١ بسند صحيح على شرط مسلم. وله شاهد بنحوه عن أبي هريرة عند ابن حبان ١٩٣١ بالموارد بسند صحيح وهو في الأدب المفرد أيضًا، وفي الباب أحاديث كثيرة تتعلق بالسلام فلتراجع في كتب الأدب.

كان لأهل الجاهلية كلمات يحيي بها بعضهم بعضًا كقولهم: أنعم صباحًا، أو أنعم مساءً ونحو ذلك، فجاء الإسلام بتحيته الخالدة. واتفق العلماء على أن إفشاء السلام من أخلاق الإسلام ومن حقوق المسلمين فيما بينهم، وأن بدايته سنة ورده فرض لقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

(٨٨) قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال في هذه الآية: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ...﴾ الآية، قال: رجع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أُحد فكان الناس فيهم فرقتين فريق منهم يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت الآية، وقال ﷺ: إنها تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة.

رواه البخاري آخر الحج ٤/ ٤٦٩، وفي التفسير ٩/ ٣٢٥، ومسلم في الحج في

صفات المنافقين ١٧/ ١٢٣، والترمذي ٢٨٣٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٥ كلاهما في التفسير.

قوله تعالى: ﴿أَرْكَسَهُم﴾ أي قلبهم وردهم إلى الكفر، والركس نكس الشيء مقلوبًا، لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد ـ وكانت من أخطر الغزوات على المسلمين ـ رجع رئيس المنافقين ابن أُبَيٍّ ابن سلول بمن معه من أصحابه ومن أطاعه أو اغتر به من ضعفاء الإيمان فاختلف المسلمون في شأنهم ماذا يفعل معهم حيث خذلوا النبي ﷺ في وقت كان في أشد الحاجة إلى من يؤازره ويقاتل معه فقال بعض الصحابة: اقتلهم يا رسول الله، وقال آخرون بالعكس، فأنزل الله تعالى الآية في شأنهم فقال لهم عزَّ وجل: ما شأنكم أيها المؤمنون أَصْبَحْتُم في شأن هؤلاء المنافقين فرقتين والحال أنهم منافقون، وقد نكسهم الله وردهم إلى كفرهم رأسًا على عقب، أتريدون هداية من خذله الله؟!!

٩٣ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ. . .﴾ إلخ [الفرقان: ٦٨]. قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا. . .﴾ الآية. وفي رواية قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فرحلت فيه إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير ٩/ ٣٢٦ وفي مواضع، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٨، ١٥٩، وأبو داود ٤٢٧٣، ٤٢٧٤، ٤٢٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٦، وفي تحريم الدم من المجتبى.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عمن قتل مؤمنًا متعمدًا ثم تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا ثم اهتدى فقال: فأنى له بالتوبة، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل تشخب أوداجه دمًا فيقول: أي رب سل هذا فيم قتلني؟»، ثم قال: والله لقد أنزلها الله تعالى ثم ما نسخها.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٣٣، والنسائي في تحريم الدم، وابن ماجه ٢٦٢١ بسند صحيح.

قوله: تشخب أي تسيل، وهي بفتح التاء وضم الخاء.

ظاهر الآية الكريمة مع قول ابن عباس أن القاتل العمد لا توبة له وأنه مخلد في النار، لكن جمهور السلف والخلف بل عامة العلماء ذهبوا إلى أن له توبة وأنه لا يخلد في النار إلاَّ الكافر، وأن الله عزَّ وجل يغفر الذنوب جميعًا إلاَّ الشرك به تعالى الشرك الأكبر، والأحاديث بهذا المعنى متواترة، والله تعالى يقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا . . .﴾ الآية [الفرقان: ٧٠]. وفي الصحيح عنه ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة». ويكفي ما سبق ويأتي من قول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وآية القتل العمد محمولة على من نزلت بسببه وهو مقيس بن صبابة الكناني الذي كان قد أسلم فقتل مسلمًا متعمدًا ثم كفر وفر إلى مكة ثم قُتِل يوم الفتح، كما أنها تحمل على من استحل قتل مسلم بدون تأويل فيكون بذلك كافرًا. . .

أما الحديث الذي رفعه ابن عباس في شأن القاتل والمقتول يوم القيامة لا يدل على ما ذهب إليه، وإنما يدل على عقاب الجاني إن لم يتب أو لم يقتص منه. وهذا مع العلم بأن القتل العمد من أكبر الجرائم وأعظم

الجنايات، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء». وما ذلك إلاَّ لعظم الجرم وحق الغير... كما جاء في حديث آخر: «لا يزال المؤمن في فُسْحَةٍ من دِينِه ما لم يُصِبْ دَمًا حرامًا».

(٩٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ...﴾ الآية، قال: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ـ تلك الغنيمة.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٢٧، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٦١، وأبو داود في الحروف ٣٩٧٤، والترمذي ٢٨٣٤، والنسائي ٦/ ٣٢٦ كلاهما في التفسير وغيرهم.

أُمِرَ المسلمون إذا سافروا وخرجوا للجهاد أن يتثبتوا ويتحققوا المسلم من الكافر، ولا يقدموا على قتل مسلم فإن ذلك عظيم، فمن أشهر إسلامه قبل منه ذلك ولو كان في نفس الوقت غير صادق، لكن هؤلاء الصحابة قتلوا هذا الرجل بعد أن سلم عليهم وكان قصدهم من ذلك أخذ غنيمته فنزلت الآية الكريمة تعاتبهم على ما صنعوا... وأنهم إذا كان هدفهم طلب عرض الحياة فقد أعد الله تعالى لهم في الآخرة ما هو أعظم وأجزل. وفي الباب أحاديث في تحريم قتل من قال لا إله إلاَّ الله أو كان يصلي.

(٩٥) قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر، والخارجون إلى بدر.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٣٠ هكذا مختصرًا، ورواه الترمذي ٢٨٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٧ مطوَّلاً.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ أملى عليه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله»، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن تُرض فخذي ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾.

رواه البخاري ٩/ ٣٢٨، والترمذي ٢٨٣٧ كلاهما في التفسير، وأبو داود وابن جرير ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٤٣ وغيرهم. ونحوه عن البراء بن عازب، رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

الآية الكريمة مع هذه الأحاديث تدل على أنه لا يستوي المجاهدون في سبيل الله مع من يتخلف من القاعدين، وهذا لا شك فيه، رغم أنهم مؤمنون وأنهم من أهل الجنة، غير أصحاب الضرر أهل الأعْذَار كالعُمي مثلاً والعَرْجَى والمَرْضَى والكبار والضِّعاف، فهؤلاء لهم أجر المجاهدين لنياتهم الصالحة.

(٩٧) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم يُرمَى فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ . . . ﴾ الآية، إلاَّ المستضعفين . . . إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٣١، ٣٣٢ وفي الفتن باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٧، وابن جرير ٤/ ٢٣٤، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٤٥ وغيرهم.

كان جماعة من المسلمين بمكة المكرمة يخفون إيمانهم ولم يهاجروا فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم فقال المسلمون: كان هؤلاء أصحابًا لنا مسلمين فأكرهوا على الخروج، فأنزل الله الآية توبخهم وتعدهم بالنار إذا كانوا مستطيعين لمفارقة دار الكفر ومهاجرتها ثم استثنى المستضعفين الذين لا طاقة لهم بالهجرة والخروج.

ويؤخذ من الآية الكريمة أن الإقامة بدار الحرب ومساكنة المحاربين وتكثير سوادهم لا تجوز لا سيما من تجنس منهم وكانت قوانينهم تطبق عليهم كلها إلاَّ من كان لاجئًا مضطهدًا أو كان داعية إلى الله تعالى أو تاجرًا...

(١٠٠) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرًا فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ــ حتى بلغ ــ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)﴾.

رواه أبو يعلى في مسنده ٢٦٧٩، والطبراني في الكبير ١١٧٠٩، قال الهيثمي في المجمع ١٠٧: ورجاله ثقات.

وفي الآية الكريمة الترغيب في الهجرة ومفارقة ديار الكفار المحاربين، وفي الهجرة جاء الحديث الصحيح المشهور: «فمن كانت

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. . .» إلخ، وإن الأعمال بالنيات، والموضوع طويل.

(١٠١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

عن يعلى بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ . . . ﴾ الآية، فقد آمن الناس فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

رواه أحمد ١/ ٢٥، ٣٦، ومسلم ٥/ ١٩٦، وأبو داود ١١٩٩، والترمذي في صلاة السفر، وفي التفسير ٢٨٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٨، وفي المجتبى ٣/ ٩٥، وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الجارود وابن خزيمة وغيرهم.

ظاهر الآية أن الخوف كان شرطًا في تقصير الصلاة الرباعية، وليس كذلك، وإنما المراد إدخال التخفيف في أدائها بترك بعض ركعاتها، أو الاكتفاء بالإيماء مثلاً إذا اشتد الخوف والقتال لقوله في آية أخرى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وحديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدل على أن تقصير الرباعية هو صدقة مَنَّ الله علينا يجب قبولها. . .

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

عن أبـي عياش الزرقي رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل عليه السَّلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ . . .﴾ إلخ. قال: فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح قال: فصففنا خلفه صفين، ثم قال: ثم ركع فركعنا جميعًا، ثم رفع فـرفعنـا جميعًـا ثـم سجـد النبـي ﷺ بـالصـف الـذي يليـه، والآخرون قيـام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد النبـي ﷺ والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، فصلاها رسول الله ﷺ مرتين بعسفان ومرة بأرض سُليم.

رواه أحمد ٤/ ٥٩، ٦٠، وأبو داود ١٢٣٦، والنسائي رقم ١٤٥٨ في المجتبـى، وابن حبان ٥٨٧، والحاكم ١/ ٣٣٧ وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبـي. . .

وفـي الحـديـث بيـان سبـب نـزول آيـة صـلاة الخـوف. وقـد صـلاهـا النبـي ﷺ في عدة مواطن، وعلى صفات وهيئات متعددة مختلفة. قال ابن حزم رحمه الله تعالى: صح فيها أربعة عشر وجهًا. وقال النووي رحمه الله تعالى: جاء فيها ستة عشر كلها مجزئة. . . إلخ، وموضع بسطها كتاب الصلاة من كتب الأحكام.

(١٠٥) قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار

يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظامًا في عنقه يوم القيامة»، فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه».

رواه أحمد ٦/ ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٠، والبخاري في الشهادات ٢٦٨٠، وفي الأحكام ٧١٦٩ وفي المظالم... ومسلم في الأقضية ١٧١٣، والترمذي في الأحكام والنسائي في آداب القضاة، وابن ماجه في الأحكام ٢٣١٧، وابن الجارود ٩٩٩، ١٠٠٠، وغيرهم، واللفظ لأحمد.

احتج بهذه الآية الكريمة من يقول باجتهاد الرسول ﷺ، والحديث يؤيد ذلك غير أنه لا يُقَرُّ على خلاف الصواب، والله تعالى أعلم.

(١١٠) قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلاَّ غفر له»، وقرأ هاتين الآيتين: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ ﴾ ... إلـخ، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ... ﴾ الآية.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم بسند صحيح، وقد تقدم في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾.

الحديث مع الآية فيهما بيان سعة فضل الله ورحمته ولطفه بعباده، وأنه عزَّ وجل يقبل توبة كل مذنب رجع إليه واستغفره، وفي الحديث أدب من آداب التائب وهو تقديم الوضوء وصلاة ركعتين ثم طلب المغفرة والعفو.

(١١٤) قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة».

رواه أحمد ٣/ ٣٤٤، ٣٦٠، والبخاري في الأدب رقم ٦٠٢١، وفي الأدب المفرد ٢٢٤، والترمذي في البر والصلة وغيرهم وفي الباب عن جماعة.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين»، قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة».

رواه أحمد ٦/ ٤٤٤، ٤٤٥، وأبو داود في الأدب ٤٩١٩، والترمذي في صفة الجنة وحسنه الترمذي وصححه، وكذا البخاري في الأدب المفرد ٣٩١، وابن حبان والبغوي في شرح السنة وغيرهم.

في الآية والحديثين فضل الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين المتنافرين وأن لفاعل ذلك الأجر الجزيل والثواب العظيم. وفي الآية الكريمة إرشاد إلى الإقلال من النجوى وأنه لا خير فيها إلاَّ لأصحاب ما ذكر.

(١٢٣) قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٨، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٣٠، والترمذي في التفسير ٢٨٤٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٨ وغيرهم.

قاربوا أي توسطوا واقتصدوا في العبادة ولا تغلوا وتجاوزوا الحد ولا تقصروا وتفرطوا في ترك الواجبات مع انتهاك المحرمات. وقوله: وسددوا، أي اقصدوا السداد وهو الصواب. وقوله: النكبة، وهي ما ينزل بالإنسان كالعثرة مثلاً أو الجرحة... وفي الحديث دليل كالآية على أن المسلم قد يجازى على سيئاته في الدنيا بما يصاب به من الأحداث التي تطرأ عليه في نفسه وأهله وماله ويساء بها، وأن كل ذلك من أسباب تكفير ما يأتيه من مخالفات، وهذا من رحمة الله بعبده المؤمن ولطفه به في هذه الحياة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، قال: إنا لنجزى بكل عملنا؟ هلكنا إذًا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «نعم يجزى به المؤمنون في الدنيا، في مصيبة في جسده، فيما يؤذيه».

رواه أحمد ٦/ ٦٦ بسند صحيح.

الحديث كسابقه في تكفير ذنوب المؤمن بكل ما يصيبه من أذى يؤلمه.

١٢٥ **قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾.**

عن جندب رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبـي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس: «قد كان لي منكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى كل خليل من

خلته، ولو كنت متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً، وإن ربي اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

رواه مسلم في المساجد ٥/ ١٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٨، وفي الموضوع عن جماعة عن ابن مسعود وعائشة في الصحيحين وغيرهما بنحو ما في الباب.

قوله: أبرأ، أي امتنع من هذا وأنكره. والخليل الصديق الخاص، والخلة الصداقة والمحبة التي تخللت القلب. وفي الحديث فضيلة هامة للنبي ﷺ حيث اتخذه الله خليلاً له كما اتخذ نبيه إبراهيم عليه السَّلام كذلك. وفي الحديث أيضًا فضل الصديق رضي الله تعالى عنه وأن له مكانة خاصة عند النبي ﷺ. كما أن في الحديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد وذلك يحتمل أن تتخذ مسجدًا يصلى عليها، ويحتمل أن يُبنى عليها مسجد بعد وجودها، فكلاهما يشملهما النهي، والكلام على هذا يطول فموضعه كتاب الأحكام.

(١٢٧) قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ الآية، قالت: أنزلت في اليتيمة تكون عند الرجل لعلها أن تكون شَرِكَتْه في ماله وهو وليها فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيَشركَه في ماله بما شركته فيُعضلها، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٣٤ وغيره، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٦، وأبو داود ٢٠٦٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣١٩ وفي المجتبى وغيرهم.

تقدم معناه في آية: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا... ﴿٣﴾ ﴾ إلخ.

١٢٨ قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا... ﴾ إلخ، أنزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد أن يطلقها ويتزوج غيرها فتقول: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حل من النفقة والقسمة لي، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٣٤، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٥٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٢٩.

النشوز يكون من الرجل ومن المرأة، وهو هنا من الرجل، يعني أنه يبغضها ويعرض عنها ولا يستكثر منها يعني في المحبة والمعاشرة، وهذا من طبيعة البشر أن المرأة إذا طعنت في السن يتباعد عنها الرجل ولا يكاد يبقى له إليها ميل ويتمنى البديل، غير أن المؤمن ينبغي له أن يكون وفيًا لزوجته، فلا يجرحها بالضرة والتزوج عليها فإن حسن العهد من الإيمان، ولا سيما إذا تشاركا في إنجاب الأولاد وطالت العشرة، فينبغي له أن يصبر حتى يفرق بينهما الموت.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلاَّ وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها، أراه قال: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾.

رواه أبو داود ٢١٣٥، والحاكم ٢/ ١٨٦، والبيهقي ٧/ ٧٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأصله في الصحيحين، ونحوه عن ابن عباس عند الطيالسي ٢٦٨٣، والترمذي ٢٨٤٤، والبيهقي ٧/ ٢٩٧ وحسنه الترمذي وصححه.

فيه أن الآية نزلت بسبب سودة رضي الله تعالى عنها، وفيه ما كان عليه ﷺ من حسن المعاشرة لأزواجه ومؤانسته إياهن وزيارتهن كل يوم، وهذا نهاية العدالة فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وزوجاته وصحبه وحزبه.

(١٢٩) قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»، يعني القلب.

رواه أحمد ٦/ ١٤٤، وأبو داود ٢١٣٤، والترمذي ١٠٢٢، والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٨١، وابن ماجه ١٩٧١، وابن حبان ١٣٠٥، والحاكم ٢/ ١٨٧ بسند صحيح على شرط مسلم، وهكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي ولا يضر إرسال من أرسله.

وقوله: لا تلمني فيما تملك ولا أملك، يعني به الحب والمودة، هكذا فسره العلماء وإن الميل القلبي إلى بعض الضرائر دون الباقي لا يضر ولا يستطيع أحد العدالة بين نسائه في ذلك ولو حرص، وهو معنى الآية الكريمة، فإن العدالة في كل شيء ليست في طوق الإنسان وإنما الواجب هو النفقة والكسوة والسكن والمبيت، أما المحبة والشهوة والجماع فلا بد وأن يكون هناك تفاوت وهو خارج عن المستطاع، ومن حمل الآية على ظاهرها مطلقًا فقد أخطأ وجهل.

(١٤٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تلك صلاة

المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلاَّ قليلاً».

رواه أحمد ٣/ ١٠٣، ١٤٩، ١٨٥، والطيالسي ٢٨٧، ومسلم ٥/ ١٢٣، وأبو داود ٤١٣، والترمذي ١٤٣، والنسائي في المجتبى ١/ ٢٠٣، وفي الكبرى ١/ ٤٦٧ وغيرهم.

جاءت الآية الكريمة تعدد بعض صفات المنافقين التي منها قلة ذكرهم الله تعالى وهو الذي بيَّنه الحديث الشريف حيث جعل تأخير العصر إلى قرب الغروب وصلاتها بسرعة مع قلة ذكر الله تعالى فيها من علامات المنافقين، فليحذر المؤمن الاتصاف بذلك.

(١٤٣) قوله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تدري أيهما تتبع».

رواه مسلم في صفات المنافقين رقم ٢٧٨٤.

قوله: العائرة... إلخ، المترددة بينهما لا تدري لأيهما تتبع.

وما في الحديث الشريف مثل ضربه النبي ﷺ للمنافق فهو كالشاة المذكورة حائرة لا تدري لأي الغنمين تتبع، فالمنافق لا هو مع المؤمنين، ولا هو مع الكافرين، وهو الوصف الذي ذكره الله تعالى للمنافقين في الآية.

(١٤٨) قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المستبَّان ما قالا فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم».

رواه أحمد ٢/ ٢٣٥، ٤٨٨، ٥١٧، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٤٠، ١٤١، . وأبو داود في الأدب ٤٨٩٤، والترمذي في البر والصلة ١٨٢٥، وابن حبان ١٩٧٦ موارد.

المستبان اللذان يتبادلان السباب، وفيه أن البادىء بالشتم كان حاملاً لوزر صاحبه إذا قابله بالشتم ما لم يتجاوز وإلاَّ أصبح المسؤول. وفيه إشارة إلى جواز مجاهرة المسبوب بالسب ومقابلة صاحبه بالسوء وهو مقتضى الآية الكريمة.

وعن الشَّريد بن سُوَيْد الثقفي رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ليُّ الواجِد ظُلمٌ، يُحلُّ عِرضَه وعُقوبَتَهُ».

رواه أحمد ٤/ ٢٢٢، ٣٨٨، ٣٨٩، وأبو داود في القضايا ٣٦٢٨، والنسائي في البيوع ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤، وابن ماجه في الأحكام ٣٦٢٧، والطحاوي في المشكل ١/ ٤١٣، ٤١٤، وابن حبان موارد ١١٦٤، والحاكم ٤/ ١٠٢، والبيهقي ٦/ ٥١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح وعلقه البخاري.

اللَّيُّ: المطل والتأخير، ومعناه أن من عليه حق للغير وماطل صاحب الحق وهو واجد كان ظالمًا، فلصاحب الحق أن يتكلم في عرضه ويجهر بمظلمته عند المفتي أو المحامي أو القاضي... ويستحق بذلك العقوبة أيضًا. والحديث داخل في الآية الكريمة كما لا يخفى كسابقه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾. (١٥٩)

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيرًا له من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾.

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ٣٠٢، ٣٠٣، ومسلم في نزول عيسى من الإيمان ٢/ ١٨٩، ١٩٠، والترمذي في الفتن ٢٠٦٢ وابن ماجه وغيرهم.

في الحديث دليل على نزول سيدنا عيسى عليه السَّلام آخر الزمان ليُحَكِّم شريعة الإسلام ويقضي على سائر الأديان الباطلة، ولا يبقى إلاَّ شريعتنا الغراء، وأنه سيرفع الجزية ولا يقبل إلاَّ الإسلام. والأحاديث بنزوله وصفته وصفة أيامه وقتله الدجال... كثيرة متواترة، وقد ألف فيها جماعة من علمائنا رحمهم الله تعالى. أما بالنسبة لرفعه عليه السَّلام فالقرآن نص فيه: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ معناه أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلاَّ آمن به، وبهذا جزم ابن عباس وهو قول أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وصححه ابن كثير، وقالوا: إن الضمير في قوله (به) وفي (موته) يعود على عيسى عليه السَّلام، وعلى هذا حمل الآية أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

(١٦٤) **قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال موسى لآدم: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟!!، فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليمًا، أتلومني أن أعمل عملاً كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فحج آدم موسى».

رواه أحمد والشيخان وغيرهما من طرق وألفاظ، وتقدم بلفظ آخر في أول البقرة.

أجمع المسلمون على أن الله عزَّ وجل كلَّم نبيه موسى عليه السَّلام في هذه الدنيا بكلام لا نعرف كيفية ذلك ولا صورته، وهو صريح القرآن في مواضع وبه جاءت الأحاديث الصحيحة، فمن أنكر ذلك فليس بمسلم.

(١٧١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (١٧١)﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله».

رواه أحمد ١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥، والبخاري في خلق آدم وذريته ٧/ ٣٠٠، عند ذكر عيسى وأمه مريم عليهما السَّلام، وفي كتاب المحاربين. ورواه ابن حبان ضمن حديث طويل رقم ٤١٣، ٤١٤.

الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والثناء، وفي الحديث النهي عن الغلو في مدح النبي ﷺ كما فعل النصارى في عيسى عليه السَّلام حيث تغالوا فيه حتى رفعوه إلى مقام الألوهية عياذًا بالله تعالى.

فالحديث جاء مؤيدًا للآية الكريمة... ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ...﴾ إلخ، ثم قال لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ...﴾ إلخ، فهو مخلوق وليس بإله، ولذا قال لنا النبي ﷺ: «كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»، ثم ختم لنا حديثه محذّرًا الناس اتخاذه شريكًا مع الله، فقال: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله...».

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من شهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل».

رواه أحمد ٥/ ٣١٣، ٣١٤، والبخاري في الأنبياء ٧/ ٢٨٥، ومسلم في الإيمان ١/ ٢٢٦، ٢٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣١.

في الحديث فضل عظيم والفوز والسعادة بدخول الجنة لمن اعترف بوحدانية الله عزَّ وجل، وصدق برسالة نبينا ﷺ واعتقد وجزم بأن عيسى عبد الله ورسوله وأنه ليس بإلـه ولا بثالث ثلاثة ولا بولد لله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأنه وجد من أمه مريم بكلمة من الله وروح من عنده بدون تلقيح ذَكَرٍ بل كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١]، ثم آمن بأن الجنة والنار كلاهما شيء ثابت حق خلقهما الله وأعدهما لمن شاء من عباده.

وقوله: أدخله الله الجنة. . . إلخ معناه أنه سيدخله الجنة وإن عمل في حياته ما عمل، فالإيمان بما ذكر سيمنعه مع فضل الله ورحمته من دخول النار أو من الخلود فيها إن كان هناك ما يوجب دخولها.

(١٧٦) **قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.**

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.

رواه أحمد ٤/ ٢٩٨، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٣٧، ومسلم ١١/ ٥٨، ٥٩، وأبو داود ٢٨٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣١ وفي المجتبى كلهم في الفرائض.

الآخرية في النزول مؤولة، فبالنسبة للسور الطوال سورة براءة، وبالنسبة لآيات المواريث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ. . .﴾ إلخ. وقد ثبت أن آخر سورة

نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ . . .﴾ إلخ، وآخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وكلاهما في الصحيح. وهذه الآية كانت بعد نزول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ . . .﴾ الآية النازلة في حجة الوداع.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يعوداني وهما يمشيان، فوجداني قد أغمي علي فتوضأ رسول الله ﷺ فصب وضوءه علي فأفقت قلت: يا رسول الله كيف أوصي في مالي ـ ثلاثًا ـ ، فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ . . .﴾ إلخ.

رواه مسلم ١١/ ٥٦، وأبو داود ٢٨٨٧، والترمذي ١٩٣٠ كلهم في الفرائض، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٢ وفي المجتبى، وابن ماجه ٢٧٢٨ كلهم بذكر نزول آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ . . .﴾ إلخ.

وقد تقدم في آية المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ . . .﴾ إلخ، هي التي نزلت بهذا السبب، وقد رجح ابن كثير وغيره السبب الأول، واختار آخرون أن كلا الآيتين نزلتا بهذا السبب من جابر رضي الله تعالى عنه.

والكلالة في الآية: المراد بها من مات ولا والد له ولا ولد، وإنما ترك أختًا فلها نصف ما ترك من التركة، فإن كانتا أختين فلهما منه ثلثا ما ترك، أما إن كان الهالك أنثى وتركت أخًا لها شقيقًا أو لأب استوعب كل التركة، فإن كان الإخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين. هذي هي القسمة الإلـٰهية العادلة فمن رفضها فقد كفر وضل، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾. وهناك صفة أخرى للكلالة وهي من مات ولم يترك إلاَّ أخًا أو أختًا أو أكثر كلهم إخوة للأم، فإن كان واحدًا ذكرًا كان أو أنثى كان حظه السدس فقط فإن تعددوا اشتركوا في الثلث

والباقي لبيت مال الدولة. وفي هذا يقول الله تعالى فيما سبق من الآية ١٢: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ... ﴾ إلخ. ثم ختم الآية بقوله: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾... ﴾ إلخ.

وبهذا تم تفسير سورة النساء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه، بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٤١٩هـ.

* * *

﴿ سُورَةُ المَائِدَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور المدنيّة الطوال أيضًا وهي الرابعة منها على التوالي، وفيها مائة وعشرون آية.

أكثرها تتحدَّث عن الأحكام الشرعية، كالعقود والصيد والذبائح ونكاح الكتابيات وحلِّية طعام أهل الكتاب وأحكام الوضوء والغسل والتيمم وحدّ السرقة والبغي والإفساد في الأرض وتحريم الخمر والميسر . . . وكفارة اليمين وقتل الصيد حالة الإحرام وجزاء ذلك والوصية عند الموت حالة السفر . . .

وإلى جانب ذلك تحدَّثت عن قصة قتل قابيل أخاه هابيل تلك القصة الغريبة، بالإضافة إلى ذكر بعض جوانب العقيدة مع مناقشة اليهود والنصارى في عقائدهم الباطلة، وتعرَّضت للمائدة التي سألها الحواريون من عيسى عليه السَّلام كآية له تنزل من السماء، والتي سمِّيت السورة باسمها، كما سمِّيت سورة العقود لافتتاحها بذلك.

من خصائص هذه السورة

لهذه السورة الكريمة خصائص أيضًا كسابقاتها، وهي كالآتي:

١ ــ إباحة الاصطياد بعد الإحلال من الإحرام، آية ٢.

٢ ــ وجوب التعاون على البرِّ والتقوى، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وهي قاعدة من أعظم وأشمل قواعد الدين، آية ٢.

٣ ــ بيان المحرَّمات العشر من الأطعمة في نسق واحد، آية ٣.

٤ ــ ذكر آية فيها امتنان الله عزَّ وجل علينا بإكمال الدين، وأنه رضي لنا الإسلام دينًا، وأتم علينا نعمته بذلك، آية ٣.

٥ ــ بيان أحكام الصيد بالكلاب، آية ٤.

٦ ــ إباحة طعام أهل الكتاب لنا، آية ٥.

٧ ــ إباحة التزوُّج بالكتابيات الحرائر، وهو المراد بالمحصنات، آية ٥.

٨ ــ ذكر آية الوضوء والغسل والتيمم، آية ٦.

٩ ــ ذكر قصة بعث نقباء بني إسرائيل، آية ١٢.

١٠ ــ الإخبار عن اليهود في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، آية ١٨.

١١ ــ قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السَّلام في شأن الجبارين، آيتان ٢٠، ٢٥.

١٢ ــ تيهان بني إسرائيل في الصحراء أربعين سنة، آية ٢٦.

١٣ ــ قصة ابني آدم عليه السَّلام، وقتل قابيل وهابيل، آيات ٢٧ ــ ٣١.

١٤ ــ ذكر آية الحرابة وما فيها من أحكام، آية ٣٣.

١٥ ــ حدّ السارق والسارقة، آية ٣٨.

١٦ ــ بيان أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر وظالم وفاسق، آيات ٤٤ ــ ٤٧.

١٧ ــ وجوب الحكم بين أهل الكتاب بحكم الإسلام، آيتان ٤٨، ٤٩.

١٨ ــ طعن اليهود في الله عزَّ وجل بأنَّ يده مغلولة، يعنون بخيلاً، آية ٦٤.

١٩ ــ من دأب اليهود سعيهم في الأرض فسادًا، آية ٦٤.

٢٠ ــ عصمة الله نبيه ﷺ من الناس، آية ٦٧.

٢١ ــ عرض التوبة على النصارى القائلين بالتثليث، آيتان ٧٣، ٧٤.

٢٢ ــ لعن بني إسرائيل على لسان داود وعيسى لعدم تناهيهم عن المنكر واعتدائهم وموالاتهم للكفار، آيات ٧٨ ــ ٨١.

٢٣ ــ اليهود والمشركون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، آية ٨٢.

٢٤ ــ النهي عن تحريم طيبات ما أحل الله، آيتان ٨٧، ٨٨.

٢٥ ــ بيان كفارة اليمين وأنواعها، آية ٨٩.

٢٦ ــ ذكر الآية الأخيرة في تحريم الخمر، آيتان ٩٠، ٩١.

٢٧ ــ النهي عن قتل الصيد حالة الإحرام وبيان جزائه، آيتان ٩٥، ٩٦.

٢٨ ــ بيان جزاء قتل الصيد، آية ٩٥.

٢٩ ــ حلِّية صيد البحر وطعامه، آية ٩٦.

٣٠ ــ جعل الله الكعبة قيامًا للناس يقيمون بها شؤون دينهم ودنياهم، آية ٩٧.

٣١ ــ بيان تحريم البحائر والسوائب، آية ١٠٣.

٣٢ ــ على الإنسان أن يصلح نفسه وأنه إذا اهتدى لا يضره من ضلّ، آية ١٠٥.

٣٣ ــ مشروعية الوصيَّة في السفر والإشهاد عليها ولو من الأجنبي غير المسلم، آيات ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

٣٤ ــ بيان ما طلبه الحواريون من نزول المائدة، آية ١١٢.

٣٥ ــ تبرُّؤ عيسى عليه السَّلام يوم القيامة من النصارى، آيتان ١١٦، ١١٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.

رواه أحمد ٢/ ١٧٦ وسنده حسن في الشواهد، ويؤيِّده الحديث التالي.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: إني لآخذة بزمام العضباء ــ ناقة رسول الله ﷺ ــ إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة.

رواه أحمد ٦/ ٤٥٥، سنده حسن في الشواهد، وهو صحيح بسابقه في الجملة.

في الحديثين بيان أن سورة المائدة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في سفر له راكبًا على راحلته العضباء، وفيها أن الوحي ثقيل لا يطاق حمله، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ [المزمل: ٥]، إذا حمل على ظاهره.

وعن جبير بن نفير رحمه الله تعالى قال: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرِّموه.

رواه أحمد ٦/ ١٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٣، والحاكم ٢/ ٣١١، والبيهقي ٧/ ١٧٢، وأبو عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور ٣/ ٣، وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وفي الباب عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح.

رواه أحمد والترمذي وحسَّنه الحاكم وصحَّحه.

جاءت الأحاديث عن الصحابة مختلفة متعارضة في آخر ما نزل، فهذا الحديث تخبر فيه مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها بأن المائدة آخر ما نزل وتقدَّم، ويأتي أن آخر ما نزل سورة براءة، ويأتي أن آخر ما نزل إذا جاء نصر الله، وتقدم أن آخر آية نزلت: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، كما تقدَّم أن آخر آية نزلت آية الربا. وذكر العلماء في الجمع بينها أن كل صحابي أخبر بما في علمه، أو كل منهم أراد آخرية مخصوصة، فآخر ما نزل من أحكام الدين وفرائضه المائدة، وآخر ما نزل من السور الطوال وأحكام الجهاد سورة براءة، وهكذا يقال في آية الربا والتقوى، أما سورة النصر فهي آخر سورة نزلت كاملة قصيرة مطلقًا، فهذا أحسن ما قيل في الموضوع، والله تعالى أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾.

عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم رحمه الله تعالى قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنَّة ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتابًا وعهدًا، وأمره فيه بأمره فكتب:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: هذا كتاب من الله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾، عهد من محمد رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله، في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

رواه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق، وسنده إلى أبي بكر حسن. ورواه ابن جرير ٥/٤٩ من طريق آخر عن محمد بن مسلم ـ يعني الزهري ـ. قال: قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران... إلخ. قال:

فكان الكتاب عند أبي بكر ابن حزم. . . إلخ. ورواه البيهقي في السنن مطوّلاً ١/ ٨٨، ٨/ ١٨٩، ١٠/ ١٢٨، وفي الدلائل ٥/ ٤١٣، ٤١٥.

كتاب عمرو هذا صحيح أشبه المتواتر، كما قال غير واحد من الأعلام، وفيه فرائض وأحكام، ومنها ذكر الآية الكريمة التي فيها الأمر بالوفاء بالعقود يعني العهود التي عهد الله تعالى بها لعباده وهي كل الأوامر والنواهي. . . وانظر ما يأتي في آخر سورة الواقعة.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل: يا رسول الله هذا نَنْصُرُهُ مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه».

رواه أحمد ٣/ ٩٩، ٢٠١، والبخاري في المظالم ٢٤٤٣، ٢٤٤٤ وفي الإكراه، والترمذي في الفتن ٢٠٨٣ وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند مسلم وغيره، وعن ابن عمر عند ابن حبان.

في الحديث نصر المظلوم وكف الظالم عن ظلمه، وذلك من باب التعاون على الخير والبر والتقوى، والآية الكريمة أوسع من هذا وأشمل وهي من أكبر وأعظم قواعد الدين الإسلامي فيدخل فيها جزئيات كثيرة.

(٣) قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُحِلَّتْ لنا

مَيْتَتَانِ ودَمان، فأما المَيْتَتَان فالْجَرَادُ والحُوتُ، وأما الدَّمانِ فالكَبِدُ والطحالُ».

رواه أحمد ٢/ ٩٧، وابن ماجه ٣٣١٤، والبيهقي ١/ ٢٥٤، ٩/ ٢٥٧، والدارقطني ٤/ ٢٧١، ٢٧٢ من طرق هو بها حسن. وأخرجه البيهقي ١/ ٢٥٤ موقوفًا بسندٍ صحيح، وقال: إنه في معنى المسند، وصحَّحه هو والنووي في شرح المهذب ٢/ ٥٦٦.

جاء الحديث النبوي مخصّصًا للآية الكريمة، فالميتة والدم كلاهما محرم إلاَّ ما في الحديث من مستثنيات، فالجراد والحيتان كلها حلال وإن لم تذكَّىٰ، كما أن الكبد والطحال مباحان وهما دم معقود.

٣ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله إنا ملاقوا العدو غدًا وليس معنى مدى أفنذبح بالقصب فقال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة.

رواه أحمد ٣/ ٤٦٣، والبخاري في الذبائح والمظالم، ومسلم في الأضاحي ١٣/ ١٢٢، وأبو داود ٢٨٢١، والترمذي في الصيد ١٣٥٩، والنسائي ٧/ ١٩٩، وابن ماجه ٣١٧٨ وغيرهم.

الحديث يدل على أن كل ما أراق الدم من البهيمة يعني من حلقِها مع ذكر اسم الله تعالى فهي ذكاة شرعية، غير أنه يستثنى من ذلك السن والظفر فلا يجوز التذكية بهما، وقد علل ذلك بما في الحديث. وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، هو استثناء متصل على قول الجمهور من قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ فما بعدها، يعني إلاَّ ما لحقتم من هذه على قيد الحياة فعملتم فيها الذكاة فإنها حلال.

٣ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾.

عن طارق بن شهاب رحمه الله تعالى قال: قالت اليهود لعمر رضي الله تعالى عنه: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة... ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية.

رواه البخاري في الإيمان وفي المغازي، وفي التفسير ٩/ ٣٣٩، وفي الاعتصام، ومسلم ١٨/ ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، والترمذي ٢٨٤٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٢، ثلاثتهم في التفسير. ورواه الأخير في الحج وفي الإيمان من المجتبى.

هذه آية عظيمة إذ فيها امتنان الله عزَّ وجل على كافة الأمة الإسلامية بإتمام هذا الدين، وإسباغه تعالى علينا النعمة ورضائه لنا الإسلام دينًا، وهذه من النعم التي لا توازيها نعمة بل ولا تقاربها، وهي من النعم الخمس العظيمة التي لا يد للإنسان فيها، بل هي مجرد فضل ورحمة من الله علينا، والآية الكريمة من أواخر ما نزل من القرآن والأحكام والحلال والحرام... فيحق للمسلمين أن يتخذوا يوم نزولها عيدًا وذكرى إخلادًا لتلك النعمة العظمى وشكرًا لما منَّ به علينا وأنعم، فسبحانه من إلـه عليم حكيم رؤوف رحيم، فلا إلـه إلاَّ هو رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

عن أبـي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بـأرض تصيبنـا بهـا المخمصـة فمتـى تحـل لنـا بهـا الميتـة؟ فقـال: «إذا لـم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بها بقلاً فشأنكم بها».

رواه أحمد ٥/ ٢١٨، وسنده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أيضًا ابن جرير ٥/ ٨٦، ٨٧ من طرق، والحاكم ٤/ ١٢٥.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً نزل الحرة ومعه أهله

وولده فقال رجل: إن ناقة لي ضلَّت فإن وجدتها فأمسكها. فوجدها، فلم يجدها صاحبها فمرضت فقالت امرأته: انحرها فأبى، فنفقت فقالت: اسلخها حتى نقدد شحمها ولحمها ونأكله، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، فأتاه فسأله فقال: «هل عندك غنى يغنيك؟» قال: لا، قال: «فكلوها»، قال: فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال: هلا كنت نحرتها؟ قال: استحييت منك.

رواه أبو داود في الأطعمة ٣٨١٦ بسندٍ حسن.

﴿ٱضْطُرَّ﴾، أي ألجىء، ﴿مَخْمَصَةٍ﴾، أي مجاعة، ﴿مُتَجَانِفٍ﴾، أي: مائل لإثم.

وقوله في الحديث: تصطبحوا، أي لا توقدوا سراجًا، وقوله: لم تغتبقوا، أي ليس لكم حليب تشربونه في الغبوق، أي العشي، وقوله: ولم تحتفئوا، أي لم تجدوا شيئًا من البقول في الأرض تقتلعونه وتأكلونه. والآية الكريمة تنص على أن الإنسان إذا اضطر، أي ألجأته الضرورة عند المجاعة إلى أكل المحرمات المتقدمة الذكر فلا حرج عليه، فالله غفور له رحيم به ما لم يكن في ذلك متعمدًا للأكل فوق الشبع ومنحرفًا إلى الاثم أو متعرضًا لمعصيته.

وجاء الحديث الأول يوضِّح حالة الاضطرار وهو أن لا يجد الإنسان ما يوقد به سراجًا ولا ما يشربه في مسائه ولا يجد بقلاً يطبخه ويسد به رمقه، ففي هذه الحالة له أن يتناول ما حرَّم الله عليه من المطاعم والمشارب. أما الحديث الثاني فجاء مبيحًا للميتة عند فقدان ما يستغني به الإنسان عنها وذلك واضح، ومن هنا يعلم بطلان ما يدعيه كثير من الناس من قولهم الضرورات تبيح المحظورات بإطلاق، وقد يكون عنده ما يسد به رمقه وتكون له أثاث وأشياء فضلة قد تغنيه عن المحرمات وتعاطيها.

(٤) قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾.

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله فقال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك»، قلت: وإن قتلن؟ قال: «وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسمِ على غيره»، قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، فقال: «إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ فلا تأكله».

وفي رواية: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدركته حيًّا فاذبحه، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإنّ أخْذَ الكلب ذكاتُه». وفي رواية: «فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه».

رواه أحمد ٤/ ٢٥٦، ٣٨٠، وفي مواضع، والبخاري في الوضوء، وفي الذبائح والصيد ١٢/ ٢٢، ٢٩ وفي التوحيد، ومسلم في الصيد ١٣/ ٧٣، ٧٨، وأبو داود ٢٧٤٧، والترمذي ١٣٣٣، ١٣٣٩، وباقي الجماعة ونحوه عندهم عن أبي ثعلبة الخشني.

من نعم الله تعالى علينا أن أباح لنا ما تأخذه لنا الكلاب المعلمة من الصيد بشرط أن يكون الكلب معلمًا ومدربًا عند صاحبه، وأن يذكر اسم الله تعالى عند إرساله، وأن لا يأكل من الصيد إذا أخذه لنفسه، وأن لا يشاركه كلب آخر في قتله.

وفي الحديث مع ما ذكرنا إباحة ما يقتل بالمعراض ونحوه إذا جرح الصيد وسمَّى الله تعالى عند الضرب، فإن ضرب ومات بلا جرح فهو ميت لا يؤكل.. وأحكام الصيد مبسوطة في مواضعها فلتراجع.

٦ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقدًا، فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة؟! فتمنيت الموت لمكان رسول الله ﷺ مني وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ...﴾ إلى آخر الآية. فقال أُسَيْد بن الحُضَيْر: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلاَّ بركة لهم.

رواه البخاري في التيمم ١/ ٤٤٨، ٤٥١، وفي سورة المائدة ٩/ ٢٤١، ٢٤٢.

هكذا روى البخاري هذا الحديث في التفسير بأن هذه الآية نزلت بسبب قلادة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وتقدم في النساء أن الآية النازلة بهذا السبب هي الآية الأخرى التي مرت، ولذلك جعل ابن العربي هذه المسألة من المعضلات التي لم يجد لها دواء، قال: لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، قال ابن بطال: هي آية النساء أو آية المائدة، وقال القرطبي: هي آية النساء ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر فيها للوضوء فيتجه تخصيصها بآية التيمم... إلخ، قال الحافظ: وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرَّح فيها بقوله فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ . . .﴾ إلخ. وما ذكره واضح، فإن هذه الرواية صريحة في المراد بنزول آية التيمم التي عنت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء فقرِّب إليه طعام فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ قال: «إنما أمرتُ بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة».

رواه أحمد ١٩٣٢، ٢٥٤٩، ٢٥٥٨، ٢٥٧١، وأبو داود ٣٧٦٠، والترمذي ١٦٩٣، والنسائي وهو في صحيح مسلم رقم ٣٧٤ بلفظ: «أريد أن أصلي فأتوضأ؟!»، وفي رواية: «ما أردت صلاة فأتوضأ».

وعن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرًا كان أو غير طاهر، فلما شقَّ ذلك أُمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلاَّ من حدث.

رواه أحمد ٥/ ٢٢٥، وأبو داود في السواك رقم ٤٨ بسندٍ حسنٍ، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلَّى الصلوات كلها بوضوء واحد ومسح على خفيه، فقال عمر: إنك فعلت شيئًا لم تكن تفعله، قال: عمدًا فعلته.

رواه أحمد ٥/ ٣٥٠، ٣٥٨، والطيالسي ١٨٧، ومسلم ٣/ ١٧٧، وأبو داود ١٧٢، والترمذي ٥٣، والنسائي وابن ماجه ٥١٠ وغيرهم.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، قيل له: فأنتم ما كنتم تصنعون؟ قال: كنا نصلِّي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم نحدث.

رواه البخاري ١/ ٣٢٨، والترمذي ٥١، والنسائي ١/ ٧٣، والدارمي ٧٢٦، وابن ماجه ٥٠٩.

أحاديث الباب تدل على أن الوضوء واجب للصلاة، وهذا لا خلاف فيه فهو شرط صحة لها بالإجماع، ولا يجب إلاَّ عند إرادتها بدليل ظاهر الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ . . .﴾ إلخ. وحديث ابن عباس والأحاديث الأخرى تدل على جواز الصلاة بوضوء واحد ما لم يطرأ حدث وناقض، لكن السنَّة تجديده لكل صلاة.

٦ وقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

الصحابة الذين رووا لنا عن النبي ﷺ بيان صفة الوضوء المذكور في هذه الآية كثيرون وأشهرهم أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو والمستورد بن شداد والمقدام بن معديكرب وأبو أمامة ولقيط بن صبرة والمغيرة بن شعبة والذين استوعبوا صفته هم الإمام علي وعثمان وابن عباس وعبد الله بن زيد والربيِّع بنت معوذ رضي الله تعالى عنهم، وسنقتصر على أجمعها وأوعبها وهي كالآتي:

عن عبد خير رحمه الله تعالى قال: أتانا عليّ رضي الله تعالى عنه وقد صلَّى فدعا بطهور فقلنا: ما يصنع بالطهور وقد صلَّى، ما يريد إلاَّ ليعلمنا، فأتى بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثًا، ثم تمضمض واستنثر ثلاثًا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يده اليمنى ثلاثًا، وغسل يده الشمال ثلاثًا، ثم جعل يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثًا، ورجله الشمال ثلاثًا، ثم قال: من سرَّه أن يعلم وضوء رسول الله ﷺ فهو هذا.

رواه أبو داود ١١١، ١١٢، ١١٣، والنسائي ١/٥٨، ٥٩ بسندٍ صحيحٍ، ورواه الترمذي ١/٥٣، ٥٤ بنحوه وحسَّنه وصحَّحه.

وعن حمدان بن أبان قال: رأيت عثمان رضي الله تعالى عنه توضَّأ

فأفرغ على يديه ثلاثًا فغسلهما ثم تمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثًا، وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم مسح رأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثًا، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضَّأ مثل وضوئي هذا. . .

رواه البخاري ١/ ٢٧٧، ومسلم ٣/ ١٠٥، ١٠٦، ١١٠.

وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه سئل هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال: نعم، فدعا بوضوء فأفرغ على يديه، فغسل يديه ثم تمضمض واستنثر ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

رواه البخاري ١/ ٣٠١، ٣٠٥، ومسلم ٣/ ١٢١، ١٢٥، وباقي الجماعة، فهذه الأحاديث الثلاثة من أجمع ما جاء في بيان آية الوضوء عن النبي ﷺ.

٦ **وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: «أسبغوا الوضوء ويلٌ للأعقاب من النار».

رواه البخاري ١/ ١٥٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ومسلم ٢٤١، وأهل السنن إلاَّ الترمذي. ورواه الشيخان والترمذي ٣٧ عن أبي هريرة. ورواه أحمد ٤/ ١٩١، والحاكم ١/ ١٦٢، عن عبد الله بن الحارث بلفظ: «ويلٌ للأعقاب وبطون الأقدام من النار»، وفي الباب عن عائشة وجابر وغيرهما.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ وقال: «ارجع فأحسن وضوءك».

رواه مسلم ٣/ ١٣٢.

وفي رواية عن بعض الصحابة أنه ﷺ رأى رجلاً يصلي، وفي ظفر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة.

رواه أبو داود ١٧٥ بسند قوي صحيح.

في هذه الأحاديث وعيد شديد لمن ترك بعض رجليه فلم يغسلها أو مسح عليهما مباشرةً بدون خفين، وهي بالتالي دالة على وجوب استيعابهما بالغسل وهو إجماع من أهل السنَّة؛ للآية الكريمة وللأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ فعلاً وقولاً، ومع ذلك خالفها الروافض من الشيعة فلم يقولوا بذلك وأوجبوا المسح فقط ولا مستند لهم في ذلك. وقراءة الكسر من أرجلكم هي قراءة صحيحة لكنها محمولة على المسح على الخفين جمعًا بين النصوص، وأحاديث المسح على الخفين متواترة كالتوقيت فيه، والكلام على هذا الموضوع في كتاب الطهارة.

٦ وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختان فقد وجب الغسل».

رواه مسلم ٤/ ٤٠، ٤٣.

وفي رواية: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل».

رواه البخاري ١/ ٤١٠، ومسلم ٤/ ٣٩، ٤٠ عن أبي هريرة.

وفي رواية: «إذا التقا الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل».

رواه ابن ماجه ٦١١ وغيره.

هذه الأحاديث فيها بيان الجنابة التي توجب التطهر والغسل وهي مغيب الحشفة في الفرج وإن لم يحصل إنزال وخروج مني، وهذا إجماع بعد خلاف فيه، فالجُنُب بضمتين هو من أصابته جنابة كالتقاء الختانين وكذا خروج مني...

أما صفة التطهر فبيّنه مستوعبًا حديثان وهما:

عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بهما أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيده، ثم يفيض على جلده كله. وفي رواية: كان إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الحلاب فأخذ بكفه بدءًا بشق رأسه الأيمن، ثم الأيسر، ثم أخذ بكفيه فقال بهما على رأسه.

رواه البخاري ١/ ٣٧٤ بالأولى، ومسلم ٣/ ٢٢٨ بالثانية.

وعن ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: صببت للنبي ﷺ غسلاً فأفرغ بيمينه على يساره فغسلهما ثم غسل فرجه، ثم قال بيده الأرض فمسحها بالتراب ثم غسلها ثم تمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ويديه، ثم أفاض على جسده، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه. وفي رواية: فغسل كفيه مرتين أو ثلاثًا، ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكًا شديدًا، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملء كفه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ثم أتيته بالمنديل فرده.

رواه البخاري ١/ ٣٨٣، ومسلم ٣/ ٢٣١.

هذه هي صفة الطهور الكاملة التي جاءت من حضرة النبي ﷺ تبيِّن الآية الكريمة.

٦ وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾.

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معتزلاً لم يصلِّ في القوم فقال: «يا فلان ما منعك أن تصلي في القوم؟»، فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء، قال: «عليك بالصعيد فإنه يكفيك».

رواه البخاري ١/ ٤٦٨، ٤٧٥ وترجم عليه: باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء. . .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسَّه جلدك فإن ذلك خير».

رواه عبد الرزاق ٩١٢، ٩١٣، وابن أبي شيبة ١٦٦١ في مصنفيهما، وأبو داود ٣٣٢، ٣٣٣، والترمذي ١٠٩، والنسائي ١/ ١٣٩، وابن حبان ١٩٦، ١٩٧ بالموارد، والحاكم ١/ ١٧٦، ١٧٧، والبيهقي ١/ ٧ وحسنه الترمذي وصححه.

في الحديثين دليل كالآية على أن الصعيد الطاهر يقوم مقام الماء عند فقدانه أو عند حدوث مرض ونحوه. والصعيد كما في القاموس التراب أو وجه الأرض، زاد في المصباح: ترابًا كان أو غيره. قال الزجاج: لا أعلم خلافًا بين أهل اللغة في ذلك، وقال ابن أبي زيد في رسالته المشهورة: والتيمم بالصعيد الطاهر وهو ما ظهر على وجه الأرض منها من تراب أو رمل أو حجارة أو سبخة. وقال القاضي عياض في المشارق: الصعيد وجه الأرض. وقال ابن حزم في المحلى: الصعيد وجه الأرض في اللغة التي نزل

بها القرآن. وقال البغوي في شرح السنة: الصعيد هو التراب والصعيد وجه الأرض والطيب الطاهر.

وعن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال: إني أجنبت فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه لعمر: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إنما يكفيك هكذا»، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه. وفي رواية: «يكفيك الوجه والكفان».

رواه البخاري ١/ ٤٥٩، ٤٦٢، ومسلم ٤/ ٦٢، وباقي الجماعة.

وفي رواية قال: سألت النبي ﷺ عن التيمم فأمرني ضربة واحدة للوجه والكفين.

رواه أبو داوود ٣٢٧، وسنده صحيح.

في الحديث بيان لصفة التيمم وأنه يمسح الوجه والكفان وأن ما أطلق في الآية من الأيدي مقيدة بالكفين فقط، كما أنه يكتفي بضربة واحدة للوجه والكفين معًا. وبما في هذا الحديث قال عامة المحدثين وجمهور الأئمة والعلماء كما قال النووي في شرح مسلم والحافظ في الفتح.

(١١) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ فأخذه فسله ثم أقبل على النبي ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله عزَّ وجل»، قال الأعرابي مرتين أو ثلاثًا: من يمنعك مني؟

والنبـي ﷺ يقول: «الله»، قال: فشام الأعرابـي السيف فدعا النبـي ﷺ أصحابه أخبرهم خبر الأعرابـي وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه. وقال معمر: كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قومًا من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فأرسلوا هذا الأعرابـي وتأول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾.

رواه ابن جرير ٦/ ١٤٦، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٣٧٤، زاد في الدر المنثور ٣/ ٣٥ عبد بن حميد وابن المنذر، وسنده صحيح رجاله رجال الصحيحين. ورواه أحمد ٣/ ٣١١، ٣٦٤، ٣٩٠، والبخاري في الجهاد وفي غزوة ذات الرقاع ٨/ ٤٣٠، ٤٣٢، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٤٤، ٤٥، والحاكم ٣/ ٢٩ بنحوه بدون ذكر الآية.

والأعرابـي هو غَوْرَثُ كما جاء مسمى في رواية.

وفي الآية الكريمة تذكير بنعمته تعالى على الصحابة... حيث كف عنهم أيدي الأعداء بعد أن هموا بالإيقاع بهم، والحديث ظاهر في أن سبب الآية هو ما ذكر فيه، ورجح ابن جرير قول من قال: إن السبب هو همُّ يهود بني النضير بقتل النبـي ﷺ بإلقاء الرحى عليه، واستدل لذلك بسياق الآية... والله تعالى أعلم. وفي الحديث معجزة ظاهرة للنبـي ﷺ وعصمته من كيد الكائدين.

(١٥) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ (١٥) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب، وذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا... ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٣، وابن جرير ٦/ ١٦١، وابن حبان ١٥١١

بالموارد، والحاكم في الحدود ٤/ ٣٥٩ وصححه ووافقه الذهبـي.

الآية مع الأثر يدلان على أن اليهود كانوا يكتمون كثيرًا من الأحكام التي كانت عندهم في التوراة، فجاء رسولنا العظيم يفضحهم ويبين ما أخفوه، وكان من ذلك آية الرجم، كما جاء في الحديث المخرج في الصحيحين وقد تقدم في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣].

١٨ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مر النبـي ﷺ في نفر من أصحابه وصبـي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال فخفضهم النبـي ﷺ فقال: «ولا الله يلقي حبيبه في النار».

رواه أحمد ٣/ ١٠٤، ٢٣٥، وأبو يعلى ٣٧٣٥، والحاكم، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبـي، وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٣ برواية أحمد والبزار وأبـي يعلى وقال: رجالهم رجال الصحيح.

في الحديث بشارة لمن يحب الله عزَّ وجل فإنه ما كان محبًا لله عزَّ وجل حتى سبقته محبة الله، وفيه إشارة مع الآية الكريمة إلى الرد على مزاعم اليهود والنصارى، فإن الأمر لو كان كما زعموا من أنهم أبناء الله وأحباؤه لما عذبهم لأن الحبيب لا يعذب حبيبه، وهم سيكونون أشد الناس عذابًا، فبطلت دعواهم وانهارت مزاعمهم.

ومن اللطائف ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره حيث قال: وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب

لا يعذب حبيبه، فلم يرد عليه، فتلا عليه الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾. وهذا الذي قاله حسن.

(١٩) قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «الأنبياء إخوة من عَلات، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، ليس بيننا نبي».

رواه أحمد ٢/٣١٩، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١، والبخاري في ذكر مريم من كتاب الأنبياء ٧/٢٩٨، ٢٩٩، ومسلم في الفضائل ١٥/١١٩، وأبو داود في كتاب السنة ٤٦٧٥.

قوله: إخوة عَلات، في رواية: أبناء علات، وفي أخرى: أولاد عَلات، والعَلات بفتح العين هنَّ الضرائر وأولادهن هم الإخوة من أب واحد وأمهاتهم شتى وهذا تمثيل لاختلاف شرائع الأنبياء، فأمهاتهم هي شرائعهم، وأصل التوحيد متفقون فيه فهو كالأب لهم.

والحديث يدل على أنه ليس بين نبينا وعيسى عليهما الصَّلاة والسَّلام نبي، فكانت بعثته ﷺ بعد فترة من الرسل كما في الآية الكريمة، وأصح ما قيل في المدة التي كانت بين عيسى ونبينا عليهما الصَّلاة والسَّلام ستمائة سنة، كما ذكره البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه... هذا وسيأتي مزيد لهذا عند قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

(٢٤) قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: جاء المقداد رضي الله تعالى عنه يوم بدر وهو على فرس له فقال: يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ . . .﴾ إلخ، ولكنه امضه ونحن معك، فكأنه سُرّي عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ٩/ ٣٤٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٣، والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سار إلى بدر فاستشار المسلمين فأشار عليه أبو بكر، ثم استشار رجلاً فأشار عليه عمر، ثم استشارهم، فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ، قال: إذًا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت كبدنا إلى بَرْك الغِماد لاتبعناك.

رواه أحمد ٣/ ١٠٥، ١٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٤، وأبو يعلى ٣٧٦٦، ٣٨٠٣، وابن حبان ٤٧٠١ مع الإحسان بسند صحيح.

وفي رواية عنه: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا. . . إلخ.

رواه مسلم ١٢/ ١٢٤ مطولاً في غزوة بدر من كتاب الجهاد.

برك بفتح الباء وسكون الراء، والغِماد بكسر الغين المعجمة وضمها موضع بطرف اليمن وقيل غير ذلك. وفي الحديثين فضل ظاهر لصحابة رسول الله ﷺ وبالأخص الأنصار هنا رضي الله تعالى عنهم جميعًا حيث كانوا طوع أمره ﷺ، وبذلك يعرف البون الشاسع والفرق الكبير بينهم وبين اليهود

أصحاب سيدنا موسى عليه الصَّلاة والسَّلام حيث إن الصحابة أطاعوا الرسول وقالوا له: لو خضت بنا البحر لخضنا معك ولو أمرتنا أن نذهب معك بعيدًا إلى برك الغماد لكنا طوع أمرك... وهكذا قاتلوا معه ودونه ونصروه وقدموا بين يديه أرواحهم حتى آخر رمق من حياته ﷺ، بينما اليهود لما أمرهم نبيهم بأمر الله أن يقاتلوا الجبارين قالوا له تلك القولة المقيتة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن القوم لم يكن معهم أدب ولا احترام ولا تعظيم لا لله ولا لرسوله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فهذه طبيعة اليهود وهذه أخلاقهم.

(٢٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلمًا إلَّا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل».

رواه أحمد ١/ ٣٨٣، ٤٣٠، والبخاري في الأنبياء ٧/ ١٧٩ وفي الديات وفي الاعتصام، ومسلم في القسامة ١١/ ١٦٦، والترمذي في العلم ٢٤٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٤ وفي المجتبى، وابن ماجه في الديات ٢٦١٦.

كفل بكسر الكاف أي نصيب. وفي الحديث وعيد شديد لابن آدم قابيل الذي قتل أخاه هابيل عدوانًا وظلمًا، وإن جميع ما يراق من الدماء بغير حق في هذه الأرض فعليه نصيب منها لأنه أول من سن هذه السنة الظالمة، وقد قصَّ الله عزَّ وجل علينا في القرآن قصته مع أخيه وما دار بينهما وكان الحامل له على قتله هو الحسد وهو أول شر وقع في الأرض... وارجع إلى الآية الكريمة لتحيط بالقصة علمًا.

(٢٨) قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال عند فتنة عثمان:

أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»، قال: أفرأيت إن دخل عليَّ بيتي فبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابني آدم». وتلا: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾.

رواه أحمد ١/ ١٨٥، وأبو داود في الفتن ٤٢٥٧، وفي رواية عنده: «كن كابن آدم»، والترمذي في الفتن أيضًا ٢٠٢٥ بسند صحيح على شرط مسلم.

ونحوه عن أبي موسى الأشعري وفيه: «فكسِّروا قسيكم وقطِّعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل ــ يعني على أحد منكم ــ فليكن كخير ابني آدم».

رواه أبو داود ٤٢٥٩، والترمذي رقم ٢٠٣٤، وابن ماجه ٣٩٦١، وابن حبان ١٨٦٩ بالموارد وسنده صحيح.

ما في الحديثين محمول على الفتنة والقتال بين المسلمين عند اشتباه الحق بالباطل، ففي هذه الحالة ينبغي للمؤمن الملتزم أن يكف عن الدخول في الفتنة وأن لا يقاتل أحدًا بل يسلم نفسه لمن يقتله كما وقع من هابيل حيث استسلم لأخيه قابيل وقال له ما ذكره الله تعالى في هذه الآية، أما عند ظهور جانب الحق فيجب قتال المبطلين من البغاة وغيرهم.

٢٩ قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟» قلت: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خار الله لي ورسوله، قال: «عليك بالصبر» أو قال «تصبر»، ثم قال لي: «يا أبا ذر»، قلت: لبيك وسعديك، قال: «كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «عليك بمن أنت منه»، قلت: يا رسول الله ألا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي؟ قال: «شاركت القوم إذن»، قلت: فما تأمرني؟ قال: «تلزم بيتك»،

قلت: فإن دخل عليَّ بيتي؟ قال: «فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فالق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه».

رواه أحمد ٥/ ١٦٣، وأبو داود ٤٢٦١، وابن ماجه ٣٩٥٨، وابن حبان ١٨٦٢، ١٨٦٣، والحاكم ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤، والبيهقي ٨/ ١٩١ وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: يا أبا عبد الله، ما تأمرنا إذا اقتتل المصلون؟ قال: آمرك أن تنظر أقصى بيت من دارك فتلج فيه، فإن دخل عليك فتقول: ها بُؤْ بإثمي وإثمك فتكون كابن آدم.

رواه الحاكم ٤/ ٤٤٤، ٤٤٥ وصححه على شرط الشيخين، وأورده ابن كثير عن ابن مردويه وذكره مرفوعًا وقال فيه: لئن اقتتلتم لأنظرن إلى أقصى بيت في داري فلألِجَنَّه، فلئن دخل علي فلان لأقولن ها بُؤ بإثمي وإثمك فأكون كخير ابني آدم.

فما ذكر في الحديثين هو تفسير لقوله تعالى حكاية عن هابيل في قوله لأخيه، ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾، أي: ترجع بإثم قتلي إن قتلتني وإثمك الذي كان منك قبل قتلي فتصير من أصحاب النار. والحديثان أيضًا محمولان كما قلنا على أيام الفتن والقتال بين المسلمين عند عدم ظهور الحق، فالورع عندئذ الاعتزال وعدم الدخول مع الناس في فتنتهم.

(٣٣) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن نفرًا من عُكْل قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قافَة فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم

يحسمهم وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ. . .﴾ الآية.

رواه البخاري في الطهارة وفي الجهاد وفي المغازي وفي الحدود وفي التفسير ٩/ ٣٤٣، ومسلم في القسامة ١١/ ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، وأبو داود في الحدود ٤٣٦٤، ٤٣٦٥، ٤٣٦٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٤ وفي المجتبى.

الآية الكريمة والحديث الشريف كلاهما يدلان على أن حكم المفسدين وقاطعي السبيل ومخيفي المسلمين. . . أن يخير فيهم الإمام والحاكم الإسلامي بين أن يقتلهم أو يصلبهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفيهم من الأرض إلى بلاد أخرى. وهذا الحكم يجري في كل من أفسد في الأرض بالقتل أو قطع الطريق أو نشر ما يفسد العقول كأرباب المخدرات ونحو ذلك. . .

وقوله في الحديث: فاجتووا المدينة أي لم يوافقهم هواؤها فمرضوا. وقوله: سمل أعينهم، أي فقأها. وفي رواية: سمر بالميم، أي كحلها بمسامير. وقوله: لم يحسمهم، أي لم يكو منهم موضع القطع بل تركهم كذلك حتى نزفوا فماتوا. . .

(٣٦) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ كان يقول: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟» فيقول: نعم، فيقال له: «قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

وفي رواية: «يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديًا بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، ألا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلاَّ

الشرك». وفي رواية: فيقال له: «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك».

رواه البخاري في الرقاق ١٩٣، ١٩٥ ومسلم في صفات المنافقين رقم ٢٨٠٥ وغيرهما.

ليس في القيامة بالنسبة للكافر فدية ولا شفاعة، فلو أراد أن يفدي نفسه من النار بكل ما في الأرض من متاع لو أعطيه لما قبل منه ذلك، فقد فات الأوان وليس له إلاَّ السعير والعذاب الذي لا يطاق، عياذًا بالله منه.

(٤١) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن
تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي
(٤٢) الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ
لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ
(٤٣) شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ
يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ
(٤٤) بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ
يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: «مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا

أنك نَشَدْتَني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللّٰهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر به فرجم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ ﴾. يقول: إيتوا محمدًا ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ في الكفار كلها».

رواه أحمد ٤/ ٢٨٦، ومسلم في الحدود رقم ١٧٠٠.

هـذه الآيـات كلها جـاءت فـي اليهـود ومخـازيهـم وبيـان افتـرائهـم وتحريفهم كلام الله تعالى المنزل عليهم وكذبهم على الرسول ﷺ في شأن الرجم... والحديث الشريف يدل على مشروعية إقامة الحدود على أهل الذمة إذا كانوا تحت ذمة دولة الإسلامية، وقد اختلف الأئمة في وجوب ذلك وعدمه، وظاهر قوله تعالى الآتي: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾ إلخ، الوجوب، فيكون فعله ﷺ في رجم ذلك اليهودي وغيره مؤيدًا لذلك لأن الأفعال النبوية إذا كانت بيانًا للقول القرآني أو النبوي كانت دالة على الوجوب كما هو معروف.

والآيات الأخيرة في كفر وظلم وفسق من لم يحكم بما أنزل الله وإن كانت نزلت في شأن اليهود فذيلها منجر علينا اتفاقًا، يبقى الأمر فيما يعتقده

الحاكم إن كان ينتمي للإسلام، فإن اعتقد حلِّية الحكم بغير شريعة الإسلام فهو كافر لا حظ له في دين الإسلام، وإن اعتقد الحرمة واعترف بظلمه. . . فهو عاص آثم له ما يستحقه الظلمة يوم القيامة من عذاب ونكال. . . **فإن تاب وأقلع عما هو عليه تاب الله تعالى عليه.**

(٤٢) **قوله تعالى:** ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم الدية كاملة.

رواه أحمد ١/ ٣٦٣، وأبو داود ٣٥٩١، والنسائي ٨/ ١٧ وهو حديث صحيح.

وبهذه العنصرية وأمثالها أهلكهم الله وأخزاهم، كما يفعل بنا اليوم!!!

(٤٥) **قوله تعالى:** ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر. . .» الحديث.

رواه أحمد ١/ ١٢٢، وأبو داود ٤٥٣٠، والنسائي والطحاوي والبيهقي ٨/ ٢٩، بسند صحيح، ولا يضر عنعنة قتادة ولا الحسن، فقد رواه أحمد ٢/ ١٩١، ١٩٢، ٢١١، وأبو داود ٢٧٥١، ٤٥٣١، وابن ماجه ٢٦٥٩، ٢٦٨٥ وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو وسنده حسن.

نقل غير واحد الإجماع على أن هذه الآية وإن كانت في اليهود

فحكمها عام فيهم وفينا، وكذلك جاءت النصوص النبوية التي منها الحديث المذكور، فدماء المسلمين كلها سواء لا فرق بين الشريف والوضيع، ولا بين الذكر والأنثى، وأحكام النبي ﷺ في ذلك كثيرة:

فمنها على سبيل المثال ما ورد في حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أن الرُّبيّع عمة أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا إلى القوم العفو فأبوا، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: القصاص، فقال أخوها أنس بن النضر: يا رسول الله تكسر ثنية فلانة؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أنس كتاب الله القصاص. . . الحديث.

رواه أحمد ٣/ ١٢٨، والبخاري في تفسير سورة البقرة وغيره، ومسلم في القسامة، وقد تقدم في البقرة مطولاً.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ قال: تقتل النفس بالنفس، وتفقأ العين بالعين، ويقطع الأنف بالأنف، وتنزع السن بالسن، وتقتص الجراح بالجراح.

رواه ابن جرير ٦/ ٢٥٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٤، ١١٤٥، وسنده لا بأس به غير أن فيه انقطاعًا.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً عض يد رجل فنزع يده فوقعت ثنيتاه فاختصما إلى النبي ﷺ فقال: «يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل؟ لا دية لك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

رواه الشيخان والترمذي ١٢٨٦، والنسائي وابن ماجه ٢٦٥٧، والدارمي ٢٣٨١ وغيرهم.

(٤٥) قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

عن أبي السفر قال: كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية، فقال معاوية: إنا سنرضيه، فألح الأنصاري، فقال

معاوية: شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به إلاَّ رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة»، فقال الأنصاري: أأنت سمعت هذا من رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ قال: نعم سمعَتْهُ أذناي ووعاه قلبي. يعني فعفا عنه.

رواه أحمد ٦/٤٤٨، والترمذي في الديات ١٢٦٢، وابن ماجه ٢٦٩٣ وسنده صحيح رجاله رجال الصحيح غير أن أبا السفر وهو سعيد بن يَحْمُدُ لم يسمع من أبي الدرداء لكن الحديث صحيح بلا قصة، فقد أخرج أحمد ٥/٣١٦ وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها إلاَّ كفَّر الله عنه مثل ما تصدق به»، وسنده صحيح وصححه السيوطي، وقال المنذري ثم الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد ثان عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، رواه أحمد ٥/ ٤١٢ ومُحَرَّر لم يوثقه غير ابن حبان. وعلى كل فالحديث صحيح خلافًا لمن ضعفه بإطلاق لا سيما والقرآن يؤيده نصًّا.

ففي الآية والحديث فضل العفو عن الجاني من المجني عليه وأن ذلك من موجبات تكفير خطاياه، وكفى بذلك فضلاً، فإن مغفرة الذنوب هي مُنى كل مؤمن.

٤٨ **قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.**

تقدَّم حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعَلاَّت، ديننا واحد».

وانظر ما سلف عند قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ...﴾ الآية ١٩. ومعناه: أن ديننا وهو أصول الدين من العقائد وما يتصل بها متفق عليه بين سائر الأنبياء، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وهذه هي دعوة الرسل

جميعًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أما الشرائع وفروعها من الأحكام والفرائض والحلال والحرام فهم مختلفون فيها، وهذا هو المراد بالآية هنا، فلكل رسول شريعة وطريق، فقد يكون الشيء محرمًا في شريعة مباحًا في أخرى، ويكون سهلاً خفيفًا عند قوم، وشديدًا شاقًا عند آخرين. واستدل بعض الأصوليين بهذه الآية على أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا، والموضوع فيه كلام، والصواب فيه التفصيل كما يعرف من كتب الأصول.

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبـي وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبـي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبـي نزلت الآيات في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

رواه ابن إسحاق ٢/ ١٢١، ومن طريقه ابن أبـي حاتم ٤/ ١١٥٥، وابن جرير ٦/ ٢٧٥ وهو مرسل حسن. وله عدة شواهد: عن عطية بن سعد والزهري رواهما ابن جرير أيضًا ٦/ ٢٧٥. وعن عاصم بن عمر بن قتادة، رواه ابن إسحاق ٢/ ١٢١ مع شرح الروض الأنف. وانظر: ابن سعد ٢/ ٣٦ وسيرة ابن هشام ٣/ ١١، وهي وإن كانت مراسيل فإنها تتأيد كما هو معروف في علوم الحديث.

والآية مع الحديث يدلان على وجوب البراءة من الكفار وتحريم موالاتهم واتخاذهم أنصارًا وحلفاء وأولياء وأصدقاء وقد جهل المسلمون اليوم هذه الحقيقة فوالوا الكفار على أوسع نطاق حتى ذابت شخصيتهم في شخصية الكفار ولم يبق لهم إلاَّ الأسامي وبعض الشعارات والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ . . .﴾ إلخ.

(٥٤) **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾.

عن عياض الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . .﴾ إلخ، قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا»، يعني أبا موسى الأشعري.

رواه الطبراني في الكبير ١٧/ ٣٧١، قال الهيثمي في المجمع رقم ١٠٧٦: ورجاله رجال الصحيح.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . .﴾ إلخ، قال: «هم هؤلاء قوم من اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من التجيب».

رواه ابن أبي حاتم ٤/ ١١٦٠، والطبراني في الأوسط ١٤١٤. قال الهيثمي ١٠٧٧: وإسناده حسن.

في الآية الكريمة والحديثين فضل ذلك الوفد اليمني الذي كان يرأسه أبو موسى رضي الله تعالى عنه وعنهم. وفي الآية شهادة من الله عزَّ وجل بأنه يحبهم ويحبونه ويا لها من بشارة وكرامة.

(٦٠) **قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قومًا أو قال: لم يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلاً ولا عقبًا، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك».

رواه مسلم في القدر ١٦/ ٢١٣، ٢١٤ وأحمد ١/ ٣٩٠، ٤١٣.

وفي رواية: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا، إن الله لم يلعن قومًا قط فمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم».

رواه أحمد ١/ ٤٢١، والطيالسي وابن أبي حاتم ٤/ ١١٦٥ وغيرهم.

الحديث كالآية يدلان على أن مِنَ اليهود فئة قد مسخوا قردة وخنازير بعد أن لعنهم الله وغضب عليهم، كما أن الحديث يدل على أن القردة والخنازير الموجودة هي من جملة ما خلق الله من الكائنات وليست من بقايا ممسوخي بني إسرائيل، فإن الحديث صريح في أن الممسوخ لا نسل له ولا عقب.

(٦٤) قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾.

رواه الطبراني في الكبير رقم ٢٤٩٧، وقال الهيثمي ١٠٩٧٩ : ورجاله ثقات.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يمين الله ملآى سحاء لا يغيضها الليل والنهار، قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع».

رواه أحمد ٢/ ٥٠٠، والبخاري في سورة هود ٩/ ٤٢١ وفي التوحيد، ومسلم في الزكاة ٧/ ٧٩، والترمذي في التفسير ٢٨٤٩، وابن ماجه وكذا أحمد وغيرهم.

قوله: سحاء بفتح السين والحاء المشددة الممدودة، أي دائمة الصب والعطاء، وقوله: لا يغيضها، أي لا ينقصها.

وفي الآية وحديث أبي هريرة رد على اليهود الملاعين الذين وصفوا الله عزَّ وجل بالبخل. فبين تعالى لهم ولغيرهم أنه عزَّ وجل جواد كريم وأن يمينه ملآنة دائمة العطاء لا ينقصها الليل والنهار. ولذا قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾. وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾. وما في حديث أبي هريرة من ذكر اليمين وما ذكر في الآية من اليد واليدين يجب الإيمان بها كما جاءت من غير أن تفسر أو يتوهم فيها تشبيه أو تكييف، قال أبو عيسى الترمذي عند هذه الآية وهذا الحديث: قال الأئمة: يؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قاله غير واحد من الأئمة، منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وابن المبارك، أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا يقال كيف...

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

عن زياد بن لبيد رضي الله تعالى عنه أنه قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا

فقال: وذاك حين ذهاب العلم قال: قلنا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة، فقال: «ثكلتك أمك يا ابن لبيد إني كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيها بشيء».

رواه أحمد ٤/ ١٦٠، ٢١٨، ٢١٩، والطيالسي ١٠٣، وابن ماجه ٤٠٤٨، والحاكم ١/ ١٠٠ وسنده صحيح. ولا يضر ما قيل في انقطاعه فإنه وارد عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت، رواه الترمذي ٢٤٦٨، والدارمي ٢٩٤، والحاكم ١/ ٩٩ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر عن عوف بن مالك، رواه أحمد ٦/ ٢٦، وابن حبان ١١٥، والحاكم ١/ ٩٨، ٩٩ وسنده صحيح. وانظر بداية الوصول لكاتبه رقم ٥٦.

الآية الكريمة جاءت تنعي على اليهود ما سلكوه مع كتبهم من التبديل والتغيير والإعراض عما فيها من هداية وأنهم لو كانوا عملوا بمقتضاها لأغدق الله تعالى عليهم النعم ولهداهم ذلك إلى الإيمان بخاتم الرسل ونبي الإسلام ﷺ. وجاء الحديث الشريف يبين أن وجود التوراة والإنجيل بين ظهراني اليهود والنصارى من غير عمل بما فيها لا يجدي شيئًا ولا ينتفعون بما احتوتا عليه من نور وهداية. وهكذا الحال فينا مع القرآن إذا نحن أهملنا العمل بما فيه وأعرضنا عما يدعونا إليه لا ينفعنا وجوده ولا قراءته كما هو حال أكثر المسلمين اليوم ولا سيما القائمين على الشعوب فإنهم تنكروا لشريعة الإسلام تنكرًا سافرًا.

(٦٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ثلاث من قال واحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، من زعم أنه يعلم ما في غد، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا

تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن زعم أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا من الوحي، والله تعالى يقول: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ. . .﴾ إلخ، ومن زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾، ويقول: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ. . .﴾ إلخ [الشورى: ٥١]، قيل: يا أم المؤمنين ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، فقالت: سألنا عن ذلك نبي الله ﷺ فقال: «رأيت جبريل عليه السَّلام ينزل من الأفق على خلقه وهيئته أو على خلقه وصورته سادًا ما بينها».

رواه أحمد ٦/ ٤٩، ٥٠، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٤٤ وفي بدء الخلق وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان، والترمذي ٢٨٧٠، ٣٠٦٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٥، ٣٣٦ كلاهما في التفسير ويأتي في سورة الأنعام وغيرها وهنالك سيشرح بإذن الله وتوفيقه ما تبقى منه.

والآية الكريمة صريحة في الأمر الإلـهي لنبيه الكريم ﷺ بتبليغ ما أمر بتبليغه، وقد بلغ ونصح وما كتم شيئًا من الوحي الإلـهي وحاشاه من ذلك، وكذلك كان يقول: «اللَّـهم هل بلغت، اللَّـهم فاشهد»، كما قال ذلك في حجة الوداع. . . ولذلك حكمت السيدة عائشة هنا بالفرية والكذب على من زعم أنه كتم شيئًا كما تزعمه الشيعة الروافض بأنه ﷺ كتم أشياء ادخرها للأئمة الأوصياء، في ترهات وأباطيل من افترائاتهم. . .

٦٧ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله».

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٥٠، والحاكم ٢/ ٣١٣، وابن جرير ٦/ ٣٠٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٧٣، ١١٧٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح.

في الآية الكريمة مع الحديث الشريف بيان فضل نبينا ﷺ واهتمام الله تعالى به وحفظه من أعدائه وأنه سيبقى سالمًا حتى يؤدي رسالة ربه.

(٧٨) قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ
(٧٩) وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ
(٨٠) عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ
يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي
(٨١) ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا
ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي فنهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئًا فقال: «لا، والذي نفسي بيده حتى تأطِرُوهم أطرًا».

وفي رواية: «إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه يقع على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رآه منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ الآية، وقرأ حتى بلغ: ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، وكان النبي ﷺ متكئًا فجلس فقال: «لا، حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطِرُوه على الحق أطرًا».

رواه أحمد ١/ ٣٩١، وأبو داود ٤٣٣٦، والترمذي ٢٨٥١، وابن ماجه ٤٠٠٦، وابن جرير ٦/ ٣١٨، ٣١٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٨١، وهو وإن كان في سنده ضعف، فإن له شاهدًا بنحوه عن أبي موسى الأشعري. رواه الطبراني في الكبير ٧٧٦٧، قال الهيثمي في المجمع رقم ١٢١٥٣: ورجاله رجال الصحيح.

قوله: تأطروهم بكسر الطاء، أي تمنعوهم.

وفي الآية مع الحديث تهديد شديد للعصاة المصرين وجلسائهم ولو كانوا من المنكرين عليهم، فإن الواجب يقتضي مجانبة مجالستهم والاستئناس بهم بعد الإنكار عليهم مع إصرارهم وعدم ارعوائهم وتوبتهم. فبهذا لعن الله بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم كما فصلت ذلك الآية وزادها الحديث بيانًا. وما حصل من بني إسرائيل هو واقع المسلمين من هذه الأمة إلاَّ من رحم الله، ولذلك ضرب الله قلوب الجميع وأنزل بنا بأسه ونقمته وسلط علينا الأشرار...

(٨٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ...﴾ إلخ.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٦، وابن جرير ٧/ ٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٨٥، وعزاه النور في المجمع ٩/ ٤١٩ للبزار، وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة.

فيه الثناء الجميل من الله عزَّ وجل على هؤلاء الكتابيين وحق لهم ذلك، فإن البكاء من خشية الله ومحبته... من أخلاق الصادقين وصفات الصالحين المخلصين، جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا معهم، آمين.

(٨٧) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت عليَّ اللحم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ .

رواه الترمذي ٢٨٥٢، وابن جرير ٧/ ١١، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٨٦ بسند حسن.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وفي رواية: فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

رواه البخاري بالرواية الثانية ١١/ ٤/ ٥، ومسلم ٩/ ١٧٥، ١٧٦ بالأولى، كلاهما في النكاح.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ

وليس معنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ. . . ﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٤٥ وفي النكاح، ومسلم في باب نكاح المتعة ٩/ ١٨٢.

في الآية الكريمة مع هذه الأحاديث النهي عن تحريم ما أحل الله عزَّ وجل لنا من الطيبات من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات، وأن من فعل ذلك كان من المعتدين والله لا يحب المعتدين وخير الأمور أوسطها، ولا هدي أفضل من هدي رسول الله ﷺ وقد كان يأكل اللحم أحيانًا ويشرب النبيذ ويلبس البرود اليمنية والمحبَّرة، وكان له العديد من النساء ومع ذلك فكان يصوم ويفطر ويقوم الليل وينام، هذا وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولذلك أنكر على أولئك الرهط الذين قالوا ما قالوا وقال لهم: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وكفى بهذا زجرًا لمن أعرض عن السنة واختار غيرها مما يستحسنه له عقله.

وفي حديث ابن مسعود منع قطع الشهوة الجنسية بالمرة لأن ذلك ينافي حكمة الله ونظامه في هذا الكون. أما التزوج إلى أجلٍ، المرخص فيه، فقد نسخ وأجمع المسلمون على تحريمه عدا الشيعة.

انظر: النووي على مسلم ٩/ ١٧٩ من كتاب النكاح باب نكاح المتعة.

(٩٠) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
(٩١) ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: نزلت في آيات من القرآن، فذكر الحديث، وفيه: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين

فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش ـ والحش البستان ـ قال: فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، فأكلت وشربت معهم قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله عزَّ وجل فِيَّ ـ يعني نفسه ـ شأنَ الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

رواه مسلم في الفضائل فضل سعد بن أبي وقاص ١٤/ ١٨٥، ١٨٦، وابن جرير ٧/ ٣٣، ٣٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٠٠.

في الحديث أن قصة سعد هذه هي سبب نزول الآية، وتقدَّم في سورة البقرة حديث عمر في ذلك وأنه بسببه نزلت. قال ابن جرير ما معناه: وجائز أن يكون نزولها بسبب دعاء عمر وبسبب ما نال سعدًا من الأنصاري... إلخ.

وتحريم الخمر لا خلاف فيه بين المسلمين في الجملة، وهو قطعي الدلالة والثبوت خلافًا للملاحدة المعاصرين الذين يزعمون أن القرآن ليس نصًّا في التحريم ويردون ما جاء في تحريمها من الأحاديث قائلين إنها أخبار آحاد أو لا تصح.

دلالة القرآن على تحريم الخمر:

القرآن يدل على تحريم الخمر من جهات:

أولاً: اقترانه بما هو كفر وهو الأنصاب والأزلام.

ثانيًا: تسميته رجسًا، وقد سمي به ما هو مجمع على تحريمه وهو الخنزير.

ثالثًا: كونه من عمل الشيطان وما كان من عمله حرم تناوله.

رابعًا: الأمر باجتنابه وهو في الأصل للوجوب، وما وجب اجتنابه حرم تناوله.

خامسًا: ترتب الفلاح على اجتنابه، والفلاح هو الفوز في الآخرة يجب علينا تحصيله بفعل الطاعات واجتناب الآثام.

سادسًا: كونه سببًا في العداوة والبغضاء بين المؤمنين وتعاطي ما يوقع ذلك حرام.

سابعًا: كونه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ثامنًا: ختام الآية بقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾، وهو استفهام معناه: ارتدعوا وانزجروا وانتهوا عن شرب الخمر.

فهذه أدلة ثمانية أخذها العلماء من الآية الكريمة كلها دالة بانفرادها على تحريم الخمر، وقد نقل الإجماع على تحريمه ابن حزم وصاحب البحر الزخار وغيرهما حتى قال ابن حزم: فمن استحلها ممن سمع النص في ذلك وعلم بالإجماع فهو كافر مرتد حلال الدم والمال... إلخ.

إيراد بعض ما جاء في الخمر
في السنَّة المطهرة الصحيحة الدالة على التحريم

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة».

رواه مسلم ١٣/ ١٧٢، ١٧٣، وأبو داود ٣٦٧٩، والترمذي ١٧٠٨، والنسائي ٨/ ٢٨٥، وابن ماجه ٣٣٨٧، ٣٣٩٠ وغيرهم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ سئل عن البِتْع فقال: «كل شراب أَسكر فهو حرام».

رواه البخاري ١٢/ ١٤٠، ومسلم ١٣/ ١٦٩، وأبو داود ٣٦٨٢، والترمذي ١٧١٠، والدارمي ٢١٠٣، وابن ماجه ٣٣٨٦ وغيرهم.

البِتْع بكسر الباء وسكون التاء: نبيذ العسل.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قدم من جَيْشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال النبي ﷺ: «أو مسكر هو؟»، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عزَّ وجل عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

رواه مسلم ١٣/ ١٧١، ورواه البخاري في الأدب والمغازي ٩/ ١٢٤ بنحوه عن أبي موسى.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

رواه أحمد ٣/ ١١٢، ٣٤٣، وأبو داود ٣٦٨١، والترمذي ١٧١٢، وابن ماجه ٣٣٩٣، وابن الجارود ٨٦٠ وسنده صحيح، ونحوه عن عائشة عند أحمد والترمذي وغيرهما، وعن أبي هريرة في المسند وغير ذلك.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الخمر وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها».

رواه أبو داود ٣٦٧٤، وابن ماجه ٣٣٨٠، والحاكم ٢/ ٣٢ بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ في بيتنا، إذ جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا، قال: فإن الخمر قد حرِّمت، فقال: يا أنس أرق هذه القلال، قال: فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبر الرجل.

رواه البخاري ١٢/ ١٣٤، ١٣٥، ومسلم ١٣/ ١٥٠.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة أشياء: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير. والخمر: ما خامر العقل.

رواه البخاري ١٢/ ١٣٤، ١٤٤، ومسلم وأبو داود ٣٦٩٩، والترمذي ١٧١٩ وغيرهم. ونحوه عن النعمان بن بشير رواه أبو داود ٣٦٧٦، والترمذي ١٧١٩ وغيرهما بسندٍ صحيح، وزاد أبو داود: والذرة.

والأحاديث في هذا كثيرة متواترة تواترًا معنويًا.

فهذه الأحاديث الشريفة تدل على أمور:

أولاً: إن الخمر يكون من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة.

ثانيًا: أن كل ما خامر وغطى العقل فهو خمر، حتى لو كان من غير الأصناف السابقة.

ثالثًا: التنصيص في الأحاديث على تحريمها لا يحتمل التأويل.

رابعًا: لعن عشرة فيها كما في حديث ابن عمر: لعن الله الخمر...، وهو من التأكيدات العظيمة لتحريمها.

خامسًا: كل شراب فيه مادة الإسكار يعتبر خمرًا، فلا يجوز شرب قليله ولا كثيره.

سادسًا: وعيد شاربها غير التائب وأنه يحرم شربها في الآخرة وأنه

سيسقى في جهنم من عصارة أهل النار، وكفى بذلك زجرًا عنها وعذابًا لأصحابها.

سابعًا: يجب إهراق الخمور ولا يجوز اقتناؤها ولا بيعها ولا التجارة فيها ولا أكل ثمنها...

ومع كل هذا وأضعاف أضعافه مما لم نذكره ينكر بعض من ينتمي إلى الإسلام زورًا تحريمها... وتباع وتشترى ويعطى الترخيص لذلك من طرف المسؤولين عن شؤون المسلمين، وتشرب جهارًا في المقاهي والحانات والفنادق ودور اللهو... ويعاقب من تعرض لتغيير ذلك، ومع هذا يزعمون أنهم دول إسلامية، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾.

(٩٠) **قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾.**

عن بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه».

رواه أحمد ٥/ ٣٥٢، ومسلم في كتاب الشعر ٢٢٦٠، وأبو داود ٤٩٣٩، وابن ماجه ٣٧٦٣.

ونحوه عن أبي موسى بلفظ: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٤، وأبو داود ٤٩٣٨، وابن ماجه ٣٧٦٢، والحاكم ١/ ٥٠ وغيرهم.

النَّرْدَشِيرُ: كلمة معرَّبة، وهي عبارة عن لعبة كانت عندهم معروفة.

وقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنها من الميسر، ولذا جاء فيها هذا الزجر الشديد عن النبي ﷺ، فاللاعب بها عاصٍ لله ولرسوله

وكفاه بلعبه بها قذارة وخبثًا أن يكون كملطخ يده في لحم خنزير ودمه. ولا يخفى أن جميع ألعاب القمار بأي نوع كانت هي داخلة في الحديثين الشريفين، وسمي القمار ميسرًا لأن صاحبه يأخذ أموال الناس بيسر وبدون أي تعب. وهو محرم أيضًا بالإجماع.

وقد جاء في حديث أبي هريرة عنه ﷺ: «ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق بشيء».

رواه الشيخان وأبو داود ٣٢٤٧، وابن ماجه ٢٠٩٦.

فإذا كان العزم على تعاطي الميسر والمقامرة يوجب التصدق بشيء من المال تكفيرًا لذلك، فكيف بالعمل واللعب به؟ قال النووي في شرح مسلم لهذا الحديث: قال العلماء: أمر بالصدقة تكفيرًا لخطيئته في كلامه بهذه المعصية.

(٩٣) قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: مات رجال من أصحاب النبي ﷺ قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٥٤، وابن حبان ١٧٤٠، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، ونحوه عن ابن عباس عند الترمذي أيضًا: ٢٨٥٥ وحسَّنه وصححه. وعن أنس نحوه أيضًا رواه البخاري في التفسير ٣٤٨/٩، وفي الأشربة، ومسلم فيه أيضًا، وقد تقدم في الخمر مختصرًا.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ إلخ، قال لي رسول الله ﷺ: «أنت منهم».

رواه مسلم في الفضائل ١٦/ ١٤، والترمذي ٢٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٧ كلاهما في التفسير.

في هذه الأحاديث بيان كالآية الكريمة أنه لا حرج ولا إثم على من كان يشرب الخمر قبل تحريمها، وهذا لا خلاف فيه بل لا مفهوم للخمر، فكل المعاصي والقاذورات شأنها كذلك، فإنه لا تكليف قبل الشرع. وهكذا الأمر فيمن شربها أو ارتكب أي معصية قبل معرفته بتحريمها فإنه لا حرج عليه إذا انتهى وأصلح.

٩٦ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرًا لقريش وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نَمُصُّهَا كما يَمصّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخَبَط، ثم نَبُلّه بالماء فنأكله.

قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رُسُل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا فذكر الحديث، وفيه: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟»، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

رواه البخاري في الشركة وفي المغازي ٩/ ١٤٠، ١٤٤، ومسلم في الصيد والذبائح ١٩٣٥ بألفاظ ١٣/ ٨٤، ٨٥، ٨٩.

في هذا الحديث الشريف دليل كالآية الكريمة على إباحة صيد البحر

وطعامه ولا خلاف في ذلك في الجملة، وقد جاء في السنن وغيرها من حديث أبـي هريرة عنه ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»، وفي الحديث فوائد لها محل آخر.

(٩٦) قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

عن أبـي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبـي ﷺ بالقاحة ومنا المحرم ومنا غير المحرم، فرأيت أصحابـي يتراءون شيئًا فنظرت فإذا هو حمار وحش، يعني وقع سوطه فقالوا: لا نعينك عليه بشيء إنا محرمون، فتناولته فأخذته ثم أتيت الحمار من وراء أكمة فعقرته فأتيت به أصحابـي.

وفي رواية أن النبـي ﷺ قال لهم: «هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء؟»، قال: قالوا: لا، قال: «فكلوا ما بقي من لحمها».

رواه البخاري ٤/ ٣٩٢، ٤٠١، ومسلم ٨/ ١٠٧، ١١١ مطولاً بألفاظ كلاهما في الحج.

الحديث يدل على تحريم الاصطياد على المحرم بأحد النسكين وأنه لا يجوز له حتى مساعدة المصطاد ولو بشيء بسيط، كما يدل على جواز أكله للمحرم إذا أهدي إليه من المحل إذا لم يصد لأجله.

وجاء في حديث الصعب بن جثامة أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نرده عليك إلاَّ أنا حرم».

رواه البخاري ٤/ ٤٠٣، ٤٠٤، ومسلم ٨/ ١٠٣، ١٠٤، كلاهما في الحج.

وعلى أيٍّ فالحديثان كالآية في الدلالة على منع المحرم من الاصطياد، ولا خلاف في ذلك.

(٩٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ

ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوَّلِهم وآخرهم»، فقلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ فقال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم».

رواه البخاري في بيع الخيار ٥/ ٢٤٢، ٢٤٣، وفي الحج ونحوه عند النسائي عن أبي هريرة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

رواه أحمد ٢/ ٢٢٠، والبخاري في الحج ٤/ ١٩٩، ٢٠٧، ومسلم في الفتن ١٨/ ٣٥، ٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٧ وفي المجتبى.

قوله: السويقتين، هو تصغير ساقين، وإنما صغَّرهما لأن سيقان الحبشة رقيقة غالبًا.

جعل الله عزَّ وجل الكعبة قيامًا للناس، أي يقيمون بها أمور دينهم من استقبالها في الصلاة، والطواف بها في الحج والعمرة... فإذا انقرض المسلمون وذهبت مهمتها جاءت الحبشة تغزوها وتهدمها حجرًا حجرًا، ويستخرجون كنزها ثم لا تعمر أبدًا، وهذا سيكون بعد نزول عيسى وموته بزمان.

أما قبل سيدنا عيسى حيث يكون المسلمون لا يزالون يحجون البيت فسيؤمه جيش ظالم ملحد فيخسف الله بهم الأرض جميعًا دفاعًا عن حرمه الشريف وانتقامًا ممن يريد الإلحاد به.

(١٠١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عرضت عليَّ الجنة والنار فلم أرَ كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»، قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، قال: غطوا رؤوسهم ولهم حنين فقام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد نبيًّا، فقام ذلك الرجل فقال: من أبـي؟ فقال: «أبوك فلان»، قال: فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ... ﴾ إلخ.

رواه أحمد ٣/ ١٦٢، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٤٩، ٣٥٠، وفي الرقاق وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل باب توقيره ﷺ ١٥/ ١١١، ١١٢، ١١٣، والترمذي ٢٨٥٨، والنسائي ٦/ ٣٣٨، كلاهما في التفسير وله ألفاظ.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبـي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ... ﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٥٢ وغيره.

في الحديثين مع الآية ذم كثرة السؤال، وخاصة إذا لم يكن للحاجة الملحة، أو كان بقصد الاستهزاء، أو تعنتًا، أو تعجيزًا، فإن ذلك كله حرام. وقد وردت لنزول الآية أسباب، وما ذكرناه أصح ما جاء.

(١٠٣) قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عَمْرَو بنَ عامر الخزاعي يَجُرُّ قُصْبَه في النار، كان أول من سيَّب السوائب».

رواه البخاري في التفسير ٩/٣٥٣، ومسلم في كتاب الجنة ١٧/١٨٨، ١٨٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٣٨.

ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وأوله: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، ورأيت عمرًا. . . » إلخ.

رواه البخاري أيضًا ٩/ ٣٥٤.

وعن مالك بن نضلة الجشمي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ فصعَّد فيَّ النظر وصوَّبه وقال: أربُّ إبل أو غنم؟ قلت: من كل قد آتاني الله فأكثر وأطاب. فقال: «ألست تُنْتِجُها وافية أعْيَانُها وآذانُها؟ فَتجْدَعُ هذه وتقول: بَحيرة، وتفقأُ هذه؟ ساعِدُ الله أشدُّ، ومُوسَاه أحَدُّ.

رواه أحمد ٣/ ٤٧٣، ٤٧٤، و ٤/ ١٣٦، ١٣٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٨، وابن حبان ١٠٧٣، والحاكم ٤/ ١٨١، وصحَّحه ووافقه الذهبي وسنده صحيح كما قالا.

وقوله: قُصْبه بضم القاف وسكون الصاد وهي المِعى ـ المصارين ـ. وقوله: «ساعدُ الله أشدُّ ومُوسَاه أحدُّ»، قال في النهاية: أي لو أراد الله تحريمها بشق آذانها لخلقها كذلك، فإنه يقول لها كوني فتكون. وكل من الساعد والموسى معلوم وهما محال في حق الله عزَّ وجل، لكن النبي ﷺ وهو أعلم الخلق بربه وبصفاته عبر بذلك عن كمال قدرة الله عزَّ وجل. . . وأنه ذو القوة المتين لا يتعاظمه شيء.

وفي الحديثين الأولين بيان أن أول من ابتدع السائبة في الأنعام عَمْرُو بن لُحي الخزاعي، وفي الحديث الثالث بيان أن البحيرة هي التي كانوا يجدعونها ويشقون أذنها.

انظر: صحيح مسلم ١٧/ ١٨٩.

وبيان هذه الأسماء المذكورة في الآية هي كالآتي: كانوا في الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقوا أذنها وحرموا ركوبها وهي البحيرة. وكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة فيسيبها ويخليها للطواغيت والأصنام فلا يقربها أحد. وإذا ولدت الشاة أنثى وذكرًا قالوا: وصلت أخاها وهي الوصيلة، وإذا أنتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فتركوه وهو الحام، فكانت كلها للأصنام ولا يتعرض لها أحد. فلمَّا جاء الإسلام أبطل الله ذلك وأخبر تعالى بأن ذلك كان من افترائهم على الله لأنهم كانوا ينسبون ذلك لله تعالى ولذلك قال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ . . .﴾ الآية.

(١٠٥) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾.

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ . . .﴾ الآية، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

رواه أحمد وهو أول حديث في المسند، وأبو داود في الملاحم ٤٣٣٨، والترمذي في الفتن ١٩٩٨، وفي التفسير ٢٨٥٩، وابن ماجه في الفتن ٤٠٠٤ وسنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

قوله: فلم يأخذوا. . .إلخ، أي لم يكفوه عن ظلمه بأمره ونهيه. . . وقوله: أوشك، أي قارب عندئذٍ أن يشملهم الله تعالى جميعًا بالعذاب.

وفي الحديث وعيد شديد وتهديد أكيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السكوت على ما يأتيه الظلمة من ظلم وعتو وطغيان، وأن ذلك من موجبات العقاب في الدنيا الشامل، نعم الآية الكريمة تدل على

الرخصة في لزوم الإنسان نفسه إذا اهتدى وعمل جهده وطاقته في الدعوة إلى الله تعالى، وأنه لا يضره ضلال من ضل بعد ذلك.

١٠٦ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعَدِيّ بن بَدَّاء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما مكة بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوَّصًا من ذهب فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي فقام رجلان من أوليائه فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ... ﴾ الآية.

رواه البخاري في الوصايا ٦/ ٣٣٩، وأبو داود في الأقضية ٣٦٠٦، والترمذي في التفسير ٢٨٦٢.

قوله جام هو إناء من فضة وقوله مُخَوَّصًا بضم الميم، ثم خاء مفتوحة فواو كذلك مشددة، أي منقوشًا بخطوط طوال دقاق كالخوص وهو ورق النخل.

والآية الكريمة استدل بها على جواز شهادة غير المسلمين في أرض ليس بها مسلم، ثم بعد يستحلف الشهود أنهم ما كذبوا وما بدلوا وهذا مذهب أحمد وجماعة من أهل العلم، وقالوا: إن ذلك جائز للضرورة وأن الآية محكمة، وذهب آخرون إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وأن الفاسق لا تجوز

شهادته لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، فالكافر أولى بعدم الجواز، وبسط هذا في كتب أحكام القرآن وغيرها.

(١١٦) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: يُلَقَّنُ عيسى حُجَّتَه فلقَّاه الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ...﴾ إلخ، قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «فلقَّاه الله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾».

رواه الترمذي ٢٨٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٠ كلاهما في التفسير وسنده حسن صحيح.

هذا الخطاب من الله عزَّ وجل لرسوله عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام سيكون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد كما قال ابن عباس وغيره، فيقول له: أنت دعوت الناس إلى اعتقاد ألوهيتك وألوهية أمك من دوني؟ فيجيب عيسى: سبحانك إني أنزهك عما لا يليق بك يا رب، فما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله، ولئن كنتُ قلتُه فإنك تعلم ما في نفسي وما يصدر مني إنك أنت علاَّم الغيوب، وقال بعضهم: إنَّ هذا النداء قاله الله لعيسى حينما رفع، وهذا بعيد كما لا يخفى.

(١١٧) قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً، ثم

قـــال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ... ﴾ الآية. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٥٥، وفي الرقاق، ومسلم في كتاب الجنة ١٧/ ١٩٣، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٣، وفي تفسير الأنبياء ٢٩٦٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٩.

في الحديث بيان أن هناك من ارتدَّ بعد أيام النبوة، وقد وقع ذلك أيام الصديق فارتدت بعض القبائل العربية ومن كان في إيمانه ضعف، وتظاهر المنافقون بكفرهم، وما صح قط أنه كفر وارتد أحد من الصحابة الصادقين، وخاصةً المهاجرين والأنصار ومن كان على شاكلتهم رضي الله تعالى عنهم. ومن قال إن الصحابة كلهم ارتدوا إلَّا بضعة عشر! هو كافر كما نص عليه غير واحد من الأئمة.

﴿١١٨﴾ قـولـه تعـالـى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾، وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾، فرفع يديه، وقال: أمتي، أمتي، ثم بكى، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

رواه مسلم في الإيمان من صحيحه ٣/ ٧٧، ٧٨، وابن جرير ١٣/ ٢٢٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٥٤، وابن حبان، والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم، ويأتي في سورة إبراهيم أيضًا.

في هذا الحديث بيان كمال شفقته ﷺ ورحمته بأمته واهتمامه بها، وفيه أن الله عزَّ وجل سيعطيه في أمته من أنواع الشفاعة حتى يرضى ولا يساء بها.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ... ﴾ الآية.

رواه أحمد ٥/ ١٥٦، ١٧٠، ١٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٠، وابن ماجه ١٣٥٠، والطحاوي في المعاني ١/ ٣٤٧، والحاكم ١/ ٢٤١، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وله شاهد عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، رواه الترمذي في الصلاة ٤٠١، ومن طريقه البغوي في شرح السنَّة ٩١٤، وسنده صحيح. وآخر عن أبي سعيد، رواه أحمد ٣/ ٦٢ وسنده صحيح أيضًا.

وفي الحديث مشروعية تكرار الآية الواحدة في صلاة الليل ولو في كل ركعة طوال الليل وخاصةً إن وجد المسلم فيها قلبه بما يحصل له من تجليات إلـهية تكون صقلاً لمرآته وعلاجًا لباطنه.

وبهذا تمَّ ما أردناه من تفسير سورة المائدة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الأَنْعَامِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور المكية الطوال كالأعراف الآتية بعدها وآياتها مائة وخمس وستون. ومن خصائصها أنها نزلت جملة واحدة، وتمتاز عن السور المدنية المتقدمة: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، كأخواتها المكيات بعدم تعرضها للأحكام، والحلال والحرام، والجهاد. . . وما إلى ذلك من تنظيم التشريع الإسلامي، بل أهدافها الكلام على الألوهية ودلائل التوحيد والرسالة وذكر الأنبياء وما جرى للخليل عليه الصَّلاة والسَّلام مع قومه ومحاجتهم إياه وما يتبع ذلك من بعض التسليات للنبي ﷺ.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها في الآتي:

١ ــ التنصيص على أن كل دابة أو حيوان أو طير. . . هم أمم أمثالنا، آية ٣٨.

٢ ــ الاستدراج يكون بالبسط في الحياة. . . مع سوء السلوك، آيتان ٤٤، ٤٥.

٣ ـ ذكر آية تهدد المنحرفين بأخذ أسماعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، آية ٤٦ .

٤ ـ النهي عن طرد المؤمنين بدل الكافرين. . . ، آية ٥٢ .

٥ ـ ذكر مفاتح الغيب الخاص علمها بالله تعالى، آية ٥٩ .

٦ ـ التهديد بإرسال العذاب علينا من فوق أو من تحت. . . ، آية ٦٥ .

٧ ـ النهي عن القعود مع القوم الظالمين، آية ٦٨ .

٨ ـ بيان الأطوار التي مرت على خليل الرحمن في النظر في الكواكب، آيات ٧٦ ـ ٧٩ .

٩ ـ ذكر جماعة من الأنبياء في نسق واحد وهم نحو ثمانية عشر نبيًا لم يذكروا كذلك إلاَّ في هذه السورة، آيات ٨٣ ـ ٨٦ .

١٠ ـ الأمر الإلـهي لنبيه ﷺ أن يقتدي بهدي الأنبياء قبله، آية ٩٠ .

١١ ـ من حِكم خلق النجوم الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، آية ٩٧ .

١٢ ـ الأمر بالنظر إلى الثمار والزروع والفواكه عند إثمارها ونضجها، آية ٩٩ .

١٣ ـ بيان أن مولانا العظيم لا تدركه الأبصار، آية ١٠٣ .

١٤ ـ ذكر آية فيها إشارة إلى قاعدة سد الذرائع، آية ١٠٨ .

١٥ ـ القلوب والأبصار بيد الله يقلبها كيف شاء، آية ١١٠ .

١٦ ـ بيان أن لكل نبـي عدوًا من شياطين الإنس والجن، آية ١١٢ .

١٧ ـ من أطاع أكثر أهل الأرض أضلوه عن سبيل الله، آية ١١٦ .

١٨ ـ إباحة الأكل مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، آية ١١٨ .

١٩ ـ النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه. . . ، آية ١٢١ .

٢٠ ـ بيان أنه لا توجد قرية إلاَّ وفيها أكابر مجرميها. . . ، آية ١٢٣ .

٢١ ـ ذكر آية تدل على وجود الغلاف الجوي وقد أسلم بسببها كافر، آية ١٢٥ .

٢٢ ــ ذكر ما ابتدعه العرب في الحرث والأنعام لأصنامهم، آيات ١٣٦ ــ ١٣٩ .

٢٣ ــ بيان أنواع الأنعام الثمانية مفصلة، آيتان ١٤٣، ١٤٤ .

٢٤ ــ ذكر الوصايا العشر، آيات ١٥١ ــ ١٥٣ .

٢٥ ــ بيان آية طلوع الشمس من مغربها، آية ١٥٨ .

٢٦ ــ براءة رسول الله ﷺ ممن فرقوا دينهم، آية ١٥٩ .

٢٧ ــ بيان أن حياة المسلم يجب أن تكون كلها لله تعالى، آية ١٦٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١٢) قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ .

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبـي ﷺ: «إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبـي» .

رواه أحمد ٢/ ٣١٣، ٢٥٨، ٣٥٨، ٤٦٦، والبخاري في بدء الخلق ٧/ ١٠١، وفي التوحيد ١٧/ ١٥٥، ومسلم في التوبة ١٧/ ٦٧، ٦٨، والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

يدل الحديث على أسبقية رحمة الله تعالى على غضبه ومعناه الكثرة والشمول فتعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث. والآية الكريمة مقتضاها أنه تعالى ألزم على نفسه الرحمة وذلك تفضُّلاً منه على عباده ولطفًا بهم.

(٣٣) قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ .

عن علي عليه السَّلام أن أبا جهل قال للنبـي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن

نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ . . . ﴾ الآية.

رواه الترمذي ٢٨٦٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٢، والحاكم ٢/ ٣١٥ وصححه على شرطهما، هكذا قال، وناجية لم يخرجا له كما قال الذهبي. وأخرجه ابن جرير ٧/ ١٨٢ مرسلاً لكن الواصل ثقة فالحكم له.

والآية الكريمة صريحة في تصديق الكفار للنبي ﷺ وأنهم لم يكونوا يتهمونه بالكذب كما صرح به هنا أبو جهل لكنهم كانوا يكذبون ما جاء به. وهذا تناقض سافر منهم يدل على غباوتهم وإغراقهم في الجحود والعناد وإصرارهم على ضلالهم.

(٤٤) قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) ﴾.

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج، ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ . . . ﴾ الآية إلى ﴿ مُّبْلِسُونَ (٤٤) ﴾.

رواه أحمد ٤/ ١٤٥، وابن جرير ٧/ ١٩٥، وابن أبي حاتم ١٢٩٠ وعزاه العراقي في المغني للطبراني، والبيهقي في الشعب أيضًا وحسنه، والحديث صحيح لطرقه.

الحديث مصرح كالآية بأن من فتحت عليهم الحياة ووسع لهم في العيش ورغده مع إقامتهم على ارتكاب ما حرم الله تعالى، فإنما ذلك علامة على أنهم مستدرجون، وأن الله سيأخذهم ويعاجلهم بعقوبته مفاجأة من غير شعورهم كما فعل ببني إسرائيل كما ذكر تعالى في هذه الآية. وقوله: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) ﴾، أي يائسون.

(٥٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم. . .﴾ الآية.

رواه مسلم في الفضائل ١٥/ ١٨٧، ١٨٨، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٣٤٠، وأبو يعلى ٨٢٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨، والحاكم ٣/ ٣١٩ وفي الباب غير ذلك.

في الآية الكريمة فضل ضعفاء المؤمنين الذين يعبدون الله تعالى ولا يريدون غيره من الكائنات. كما فيها النهي الإلٰهي لنبيه ﷺ أن يطرد الضعفاء عن مجلسه ليحل محلهم عظماء الكفار، وكان نزول الآية الكريمة بعد أن حدث نفسه بذلك طمعًا في إسلامهم. . . وقد جاء في سبب نزول الآية عدة روايات عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أوردها ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وستأتي في سورة الكهف بإذن الله تعالى.

٥٩ قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير».

رواه البخاري في تفسير سورة الأنعام ٩/ ٣٦٠، ولقمان، ويأتي هنالك تخريجه وشرحه.

٦٥ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قال: «أعوذ بوجهك»، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون ـ أو ـ هذا أيسر».

رواه أحمد ٣/ ٣٠٩، والحميدي ١٢٥٩، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٦١ وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٠، وابن خزيمة في التوحيد، وابن حبان ٧١٧٦ بالإحسان.

قوله: ﴿ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ أي يخلطكم فرقًا. وقد اختلف المفسرون القدامى في المراد بالعذاب من فوق ومن تحت الأرجل فقيل: الرجم والخسف، وقيل: أئمة السوء والخدم السوء، وقيل: حبس المطر ومنع الثمرات. والظاهر هو ما حصل اليوم بعد ظهور هذه الآلات الحربية المدمرة، فالعذاب من فوقنا هو قنابل الطائرات، والصواريخ، والمدافع التي ترسل على من يراد ضربهم. . . والعذاب من تحت الأرجل هي الألغام التي توضع في بطون الأرض فتنفجر فلا تبقي ولا تذر، ولشدة بأس هذه المدمرات وفتكها بمن تقع عليهم استعاذ النبي ﷺ بوجه الله تعالى. وهذه بخلاف تفرق الأمة وإذاقة بعضها بأس بعض، فإن هذه وإن كانت عظيمة وخطيرة فهي أهون من عذاب القنابل والصواريخ والألغام النارية الفتاكة.

وهذه الآية الكريمة تعتبر من معجزات القرآن، فقد أخبرت بشيء لم

يقع فوقع كما جاء، ولذلك جاء في حديث عنه ﷺ في هذه الآية: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها».

رواه الترمذي وأحمد ١/ ١٧١ من حديث سعد بن أبي وقاص وحسنه الترمذي.

والأحاديث الواردة في تشيع الأمة وتفرقها كثيرة تقدم بعضها وتأتي أخرى.

(٨٢) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ...﴾ الآية، قال أصحاب رسول الله ﷺ: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]. وفي رواية: شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه، فقال: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

رواه البخاري في الإيمان ١/ ٩٥، ٩٦، وفي التفسير ٩/ ٣٦٣ وفي أحاديث الأنبياء وفي مواضع، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٤٣، ١٤٤، والترمذي في التفسير ٢٨٦٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤١.

الظلم وضع الشيء في غير محله، ولذلك فهم الصحابة رضي الله تعالى عنه من الآية الكريمة عموم الظلم وهو مطلق المعاصي، فبيَّن لهم النبي ﷺ أن ذلك من العام الذي أريد به الخصوص، وأن المراد بالظلم هنا الشرك الأكبر المخرج من الملة والذي هو أعظم الظلم. وفي الآية مع الحديث بشارة للمؤمنين المخلصين الذين لا يشوبون إيمانهم بالشرك وأن لهم الأمن يوم القيامة وأنهم مهتدون. وهذا لا ينافي تعذيب المؤمن العاصي

الذي مات على عصيانه، لأن مآله الأمن وعدم الخلود في النار وأنه مهتد بإيمانه إلى طريق الجنة.

(٩٠) قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

عن مجاهد رحمه الله أنه قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنسجد في «ص» فقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ حتى أتى ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم.

رواه أحمد ١/ ٣٦٠، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٦٤ وفي أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٢١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٢، وابن خزيمة ٥٥٢، وابن حبان ٢٧٦٦ بالإحسان وسيأتي بسياق آخر في سورة ص إن شاء الله تعالى.

في الآية الكريمة مع الأثر دليل على أن النبـي ﷺ كان مأمورًا بالاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، وهذا لا خلاف فيه، بيد أنه مخصوص بغير ما نسخ من شرائعهم بشرعنا. ومن هنا اختلف الأصوليون في شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟ وفي ذلك تفصيل تجده مبسوطًا في كتب أصول الفقه.

(٩٤) قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي، وإن له من ماله ثلاثًا: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

رواه أحمد ٢/ ٣٦٨، ٤١٢، ومسلم في الزهد ١٨/ ٩٤.

وفي رواية عن ابن الشخير: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلَّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

هذه حياة الإنسان، وهذا حاله فيها يعيش مخدوعًا يدعي أن له ملكًا

ومالاً وليس له من ذلك إلاّ ما انتفع به في حياته ففني واضمحل ولم يبق له أثر أو ما قدمه لآخرته فسوف يجده أحوج ما يكون إليه. أما ما عدا ذلك مما جمعه وكدسه وخزنه وكنزه فلا يملك منه ذرة، فسوف يرتحل ويدعه وراء ظهره لورثته. ويقال له: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ . . . وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ وأعطيناكم من متاع ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ في الدنيا.

(١٠٣) قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾.

عن مسروق رحمه الله تعالى قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية على الله: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾، ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾. وكنت متكئًا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) ﴾ [النجم: ١٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) ﴾ [التكوير: ١٣]، قالت: أنا والله أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقال: إنما ذلك جبرائيل عليه السّلام ما رأيته في الصورة التي خلق فيها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض. ومن زعم أن محمدًا كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد أعظم الفرية على الله، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]. ومن زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفرية على الله، والله تعالى يقول: ﴿ لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

رواه البخاري ومسلم والترمذي ٢٨٧٠، ٣٠٦٢ وغيرهم، وتقدم في المائدة، ويأتي في لقمان وغيرها.

الفرية بكسر الفاء: الكذب، تقدَّم في المائدة شرح قسم التبليغ ونشير هنا بإذن الله تعالى إلى رؤية الله عزَّ وجل في الدنيا.

اختلف العلماء هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟ على قولين، منعها بعضهم ومنهم مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها وهو المشهور عن ابن مسعود في جماعة آخرين، وأجازها آخرون ونسبه النووي في شرح مسلم لأكثر العلماء مع اتفاقهم على عدم استحالتها لأن كل موجود يجوز أن يُرى. هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإجماع أهل السنة على وقوعها، وسيأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وانظر ما علقته على تهذيب الشفا في باب الإسراء.

(١١٠) قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء».

رواه أحمد ٣/ ١١٢، والترمذي في القدر، وابن ماجه ٣٨٣٤، والحاكم ١/ ٥٢٦ بسندٍ صحيحٍ على شرط مسلم وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

وعن عبد الله بن عمرو بلفظ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجل كقلب واحد يصرفه كيف يشاء»، ثم قال ﷺ: «اللَّـهمَّ مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك».

ورواه مسلم في القدر ١٦/ ٢٠٣، ٢٠٤.

وفي الباب عن جماعة ذكرتهم في تفريج الكربة.

تقليب القلوب هو تصريفها، أي تحويلها من حالة إلى حالة، من كفر إلى إيمان، ومن معصية إلى طاعة، ومن بغض إلى محبة أو عكس ذلك. وهذا من خصائص الرب تعالى فلا يقدر على ذلك أحد أيًا كان، فبيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، فلا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه، فينبغي للمؤمن أن يكثر من هذا الدعاء: يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب اصْرف قلوبنا إلى طاعتك، اقتداءً بالنبي ﷺ. وذكر الأصابع في الحديثين من أحاديث الصفات فلا تكييف فيها ولا تشبيه فتمر كما جاءت بلا تعطيل. . .

(١١٢) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت: لا، قال: «قم فصلِّ»، قال: فقمت فصلَّيت ثم جلست فقال: «يا أبا ذر تعوَّذ بالله من شرِّ شياطين الإنس والجن»، قال: قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»، الحديث بطوله.

رواه أحمد ٥/١٧٨، ٢٦٥، والنسائي في الكبرى ٤/٤٦١، وفي الاستعاذة من المجتبى، والبزار ١/٩٣، ٩٤، مع كشف الأستار، والطبراني في الأوسط، وابن جرير ٨/٤، ٥ وغيرهم مطولاً ومختصرًا، وسنده صحيح ولا يضر اختلاط المسعودي فإن للحديث طرقًا مجموعها يفيد قوته وصحته كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

الآية والحديث يدلان على أن للإنس شياطين كالجن وهم المتمردون المتجاوزون الحد في الشر، وأنهم إخوة في الإغواء والإضلال وعداوة الرسل وأتباعهم، فشياطين الإنس يتلقون زخرف القول الكاذب من شياطين الجن ويتعاونون على عداوة الدعاة إلى الله تعالى ومضادتهم ومحاربة دعوتهم. . .

(١٢٠) قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)﴾.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

رواه أحمد ٤/ ١٨٢، والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم في البر والصلة ٢٥٥٣، والترمذي في الزهد ٢٢٠٧ بتهذيبي.

البِرّ: بكسر الباء اسم جامع للخير. والإثم: الذنب والمعصية والسيئة. وقوله: حاك في صدرك، أي وقع فيه تردد ولم ينشرح له الصدر ولم يطمئن.

وفي هذا ميزان نبوي يعرف به الإثم من الطاعة، فكل شيء وقع في القلب ولم يطمئن له الصدر فالواجب تركه، غير أن هذا لا يكون إلاَّ للمؤمن المنور القلب.

وهذا في معناه شبيه بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن الحسن عليه السَّلام.

والآية الكريمة تطلب منا ترك كل الآثام الظاهرة منها والباطنة.

(١٢١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾، يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم فكلوا!!، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

رواه أبو داود ٢٨١٨، وابن ماجه ٣١٧٣، وابن جرير ٨/ ١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٠، والحاكم ٤/ ١١٣، ٢٣١، والبيهقي ٩/ ٢٤١، وسنده صحيح ولا يضرّ هنا رواية سماك عن عكرمة فإن للحديث طريقًا آخر رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٢ وفي الضحايا من المجتبى والحاكم ٤/ ٢٣٣ بسندٍ حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ومعنى الحديث أن المشركين كانوا جادلوا المسلمين بما تلقوه عن شياطينهم فقالوا لهم: كيف تأكلون ما قتلتم وذبحتم ولا تأكلون من ذبح الله إن مات بدون تذكية وهي الميتة، فجاءت الآية الكريمة تحرِّم أكلَ ما لم يذكر عليه اسم الله، وذلك يشمل الميتة وما ذبح لغير الله تعالى، وأن كل ذلك فسق ومعصية وخروج عن طاعة الله عزَّ وجل.

(١٢٥) قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذف به في القلب»، قالوا: يا رسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال: «نعم»، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت».

رواه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٤، وابن جرير ٨/ ٢٧، والحاكم ٤/ ٣١١ بنحوه، وروي من طرق أخرى كما أوردها ابن كثير وقال عقبها: فهذه الطرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا، وانظر: الدر المنثور ٣/ ٣٥٤، ٣٥٥.

التجافي التباعد. والحديث جاء مبينًا للانشراح الوارد في الآية الكريمة وهو نور يضعه الله عزَّ وجل في قلب من شاء هدايته، ولا شكَّ أن هذا النور ينمو شيئًا فشيئًا لمن أراد الله به خيرًا حتى يتم فيقبل صاحبه على الله استعدادًا للقائه، ويعرض عن هذه الحياة الصاحبة الغرارة.

(١٤١) قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين.

رواه أحمد ٣/ ٣٦٠، وأبو داود في الزكاة وسنده جيد قوي قاله ابن كثير.

الحديث بين المراد بحق الثمار والزروع الذي يعطىٰ يوم الحصاد وهو التصدق على المساكين من غير تقدير، وهو قول ابن عمر وعطاء وابن جبير ومجاهد والنخعي في آخرين، وكان هذا قبل الزكاة التي فرضت بالمدينة.

(١٤٥) قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة، قال: «فلم لا أخذتم مسكها»، قالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «إنما قال الله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ﴾، وإنكم لا تطعمونه، أن تدبغوه فتنتفعوا به»، فأرسلت فسلخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها.

رواه أحمد ١/ ٣٢٧، ٣٢٨، وأصله في الصحيح وهو عندهما أن الشاة كانت لميمونة.

مسكها، أي إهابها وجلدها. وفي الحديث تخصيص للميتة المذكورة في الآية، وأن المحرم منها هو أكلها والانتفاع بلحمها، أما إهابها فلا بأس بالانتفاع به إذا دبغ وهذا لا خلاف فيه في الجملة لأن الأحاديث بذلك متواترة.

وعن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى قال: قلت لجابر بن عبد الله: إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ، ولكن أبى ذلك البحر يعني ابن عباس، وقرأ: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ... ﴾ الآية.

رواه البخاري في الأطعمة ١٣/ ٧٦.

تحريم لحوم الحمر الأهلية ورد من طرق عن جماعة من الصحابة، عن علي وابن عمر وابن مسعود وجابر بن عبد الله وأبي ثعلبة وغيرهم، وكلها في الصحيح، وتحريمها زائد على الآية، كما زيدت أشياء أُخر جاء تحريمها في السنَّة.

فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نهى عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير.

رواه مسلم في صحيحه ١٣/ ٨٢ ـ ٨٤، وجاء عن جماعة وهي في الصحيح وغيره.

وابن عباس لم يوافق على ما ذُهِبَ إليه من الاقتصار على ما في الآية من الحصر وأن ما عدا ما فيها حلال، إلاَّ أن مالكًا لم يجزم بتحريم السباع وذوي المخالب. والآية مكية جاءت ردًّا على المشركين الذين كانوا يحرمون ما أباح الله من الأنعام افتراء على الله، ثم حرَّم الله أشياء بالمدينة فكانت زائدة على ما في الآية، والكل من عند الله عزَّ وجل.

١٤٦ قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ عام الفتح يقول: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنما يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام»، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود إن الله لمَّا حرَّم عليهم شحومها جمَّلوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٦٥، ومسلم في المساقاة رقم ١٥٨١، وأحمد ٣/ ٣٢٤، ٣٢٦، وأهل السنن.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمرًا فقال: قاتل الله سمرة، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود حرِّمت عليهم الشحوم فجمَّلوها فباعوها».

رواه مسلم ومثله عنده عن أبي هريرة. انظر: ١٥٨٢، ١٥٨٣.

كان الله تعالى حرَّم على اليهود شحوم البقر والغنم إلاَّ ما استثنى في الآية ولكنهم احتالوا فأذابوه وباعوه وأكلوا ثمنه. ولذلك لما ذكر الصحابة منافع شحوم الميتة للنبي ﷺ التماسًا منهم أن يرخص لهم فيها أجابهم بقوله: «لا هو حرام»، ثم ذكر لهم ما صدر من اليهود... وجاء في رواية: «إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه». وحديث ابن عباس الأول يدل على تحريم بيع ما ذكر فيه ولا خلاف في ذلك، غير أن الأصنام يحرم بيعها ما دامت كذلك، فإذا فصلت وأصبحت قطعًا لم يبق لها حكم الأصنام..

(١٥١) قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
(١٥٢) بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ

يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ
فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
(١٥٢) تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ... ﴾ إلخ.

رواه الترمذي ٢٨٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤ وغيرهما بسندٍ صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن في الأنعام آيات محكمات، هنَّ أم الكتاب، ثم قرأ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ... ﴾ الآية.

رواه الحاكم ٢/ ٣١٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وكذا رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يبايعني على هؤلاء الآيات، ثم قرأ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ... ﴾ الآيات الثلاث، فمن وفى فأجره على الله، ومن انتقص شيئًا فأدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخر إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٧، والحاكم ٢/ ٣١٨، وصححه ووافقه الذهبي.

المحكم هو ضد المنسوخ، ومعنى كلام ابن عباس وابن مسعود أن هذه الآيات كلها معمول بها لم ينسخ منها شيء وهي المعروفة بالوصايا العشر. وقوله: من يبايعني، أي من يعاهدني على الأخذ بما في هذه الآيات أمرًا ونهيًا.

وفيه أن العقوبات كفارات للجاني ومن أقيم عليه الحد، وأن من مات على جريمته بلا تقدم حدّ ولا توبة كان في مشيئة الله إن شاء غفر وإن شاء عاقب. . .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٦٥ وغيره، ومسلم في التوبة ١٧/ ٧٧، ٧٨، والترمذي في الدعوات ٣٢٩٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٢، ٣٤٣.

الغَيرة بفتح الغين، هي في حقنا معناها الأنفة والحمية، والغيور ضد الديوث، فالغيور يأنف أن يرى بعض محارمه مع رجل أجنبي على شيء ينكره الشرع، وأما في حق الله عزَّ وجل ففسرها هذا الحديث، فغيرته تعالى منعه وتحريمه الفواحش، والمراد بمحبته العذر، أي يحب اعتذار العباد إليه من تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم فيغفر لهم. والفواحش: جمع فاحشة، وهي كل ما عظم من المعاصي كالشرك بالله تعالى، والقتل بغير حق، والكذب، وترك الصلاة، والزنا، واللواط، والسرقة، وشرب الخمر، والسحر، وقذف المحصنات، والدياثة، والمكس، والتعامل بالربا، والنميمة، وأكل مال اليتيم وأمثال ذلك.

وفي الحديث بيان أن الله عزَّ وجل يحب من يمدحه ويثني عليه بالتحميد والتسبيح والتكبير. . . وكل ما يدل على الثناء عليه، مع غناه عن مدحنا وأن ذلك لا ينفعه ولا يزيد في ملكه شيئًا وإنما نفعه يرجع إلينا. وفيه أنه عزَّ وجل كريم رحيم حليم يقبل عذر من اعتذر إليه، والتجأ إلى بابه، معترفًا بذنبه أو بتقصيره، وذلك من فضله تعالى علينا ولطفه ورحمته بنا.

(١٥٣) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ يومًا خطًّا فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين الخط وعن شماله فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا. . .﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ٤٣٥، ٤٦٥، والطيالسي ٢٤٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٣، والدارمي ٢٠٨، وابن حبان ١٧٤١، ١٧٤٢ بالموارد، والحاكم ٢/ ٣١٨، وصحَّحه وسنده حسن صحيح.

في الحديث بيان طريق الله الواجب سلوكه وهو صراطه المستقيم الواضح، وفيه بيان الطرق التي يجب تجنُّبها وهي طرق الشيطان التي اختار سلوكها أهل الأهواء والبدع الذين يتركون المحكم من القرآن والسنَّة الصحيحة ويتعلقون بالمتشابه ويؤولون ظواهر الشرع ويحملونها على معتقداتهم الباطلة، ومن هؤلاء الخوارج، والشيعة الروافض، والمعتزلة، والجهمية المعطلة، والنواصب. . .

(١٥٨) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حيث لا ينفع نفسًا إيمانها»، ثم قرأ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٢٣١، ٣١٣ وفي مواضع، والبخاري في التفسير ٩/ ٣٦٦، ومسلم في الإيمان ٢/ ٢٩٤، وأبو داود في الملاحم ٤٣١٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٤، وابن ماجه في الفتن ٤٠٦٨ وغيرهم.

وعن أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا أيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها».

رواه أحمد ٢/ ٤٤٥، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٩٥، والترمذي في التفسير ٢٨٧٤ بتهذيبي.

وعن صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل بالمغرب بابًا مسيرة عَرْضه سبعون عامًا للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قِبَلِهِ، قال: وذلك قول الله عزَّ وجل: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ... ﴾ الآية.

رواه الترمذي في الزهد ٢٢٠٥، وفي الدعوات ٣٣٠٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٤، وفي مواضع من المجتبى، وابن ماجه ٤٧٨/ ٤٠٧٠، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه وذكره في الدعوات مطوَّلاً.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٥، ٣٩٥، ٤٩٥، ٥٠٧، ومسلم في الذكر والاستغفار ١٧/ ٢٤، ٢٥، وابن حبان ٦٢٩ بالإحسان.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠٤، ومسلم في التوبة ١٧/ ٧٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٤.

في هذه الأحاديث مع الآية الكريمة أمور:

أولاً: ثبوت طلوع الشمس من مغربها آخر الزمان علامة كبرى للساعة، وهذا لا ينكره إلَّا كافر أو علماني ملحد.

ثانيًا: قبول توبة من تاب إلى الله تعالى من العصاة وإن تكرر الذنب ما لم تطلع الشمس من مغربها التي ستكون آية عظمى للناس.

ثالثًا: إيمان الناس أجمعين عند مشاهدتهم طلوعها من المغرب.

رابعًا: إغلاق باب التوبة وعدم قبول أي عمل صالح لم يكن صاحبه مؤمنًا قبل طلوعها.

خامسًا: بيان أن هناك لجهة المغرب بابًا للتوبة لا يغلق إلاَّ عند طلوعها من جهة الغروب، ولا ندري أين هذا الباب لأن كل جهة في الأرض غرب لقوم، شرق لآخرين، فالواجب الإيمان بذلك وكفى.

وحديث أبـي ذر في سجود الشمس مع ذكر آية الباب سيذكر في سورة يس إن شاء الله تعالى.

١٦٠ **قوله تعالى**: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعَشر أمثالها، وإن همَّ بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها وربما قال: فإن لم يعمل فاكتبوها له حسنة، ثم قرأ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ...﴾» الآية.

رواه مسلم في الإيمان ٢/ ١٤٧، ١٤٨، والترمذي ٢٨٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٤، ٣٤٥، كلاهما في التفسير.

في الآية الكريمة والحديث الشريف فضل واسع وتكرُّم من الله عظيم على عباده المؤمنين، حيث جعل لهم مجرد الهم بالحسنة من غير عملها تكتب حسنة، فإن عملت كتبت بعشر أمثالها، بينما من همَّ بسيئة لم يكتب

عليه شيء، فإن فعلها لم تكتب عليه إلاَّ واحدة، فللّـه الحمد والشكر على الإيمان والتوفيق.

وبهذا تمَّت سورة الأنعام، وكان الفراغ منه صبيحة الاثنين ثامن عشر من رجب الفرد عام تسعة عشر وأربعمائة وألف. فالحمد لله على إفضاله وإحسانه وإنعامه وتوفيقه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللّـهمَّ وبحمدك أشهد أن لا إلـه إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

﴿ سُورَةُ الأَعْرَافِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة هي السادسة من السبع الطوال وهي مكية كسابقتها وأهدافها بيان أصول الدين، التوحيد، الرسالة، القصص. . .

من خصائص هذه السورة

وقد اختصت بأمور لم تذكر في غيرها نجملها في الآتي:

١ ــ إقسام إبليس بعزة الله عزَّ وجل على أنه سيغوي بني آدم وأنه سيأتيهم من جميع جهاتهم، إلَّا من فوق فلم يذكره، الآيتان ١٦، ١٧.

٢ ــ ما حصل لآدم وحواء عليهما السَّلام من ظهور سوآتهما عند الأكل من الشجرة، وفي ذلك عبرة لبنيهما في اقتراف الذنوب وإتيان المخالفات، الآيات ٢٠ ــ ٢٢.

٣ ــ ذكر ذلك الدعاء العظيم الخالد الذي لقنه الله لآدم وتلقاه عنه ودعاه به: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، آية ٢٣.

٤ ــ مِنَّة الله علينا بإنزال ما يواري سوآتنا ونتجمل به من الملابس، آية ٢٦.

٥ ـ ذكر النداءات الأربعة المتوالية بوصف البنوّة لآدم عليه السَّلام، وهي:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ . . . ﴾ ، آية ٢٦ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ . . . ﴾ ، آية ٢٧ .

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ . . . ﴾ ، آية ٣١ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي . . . ﴾ ، آية ٣٥ .

فهذه النداءات بهذا الأسلوب لا توجد في غير هذه السورة.

٦ ـ إخبار من الله عزَّ وجل بأن الشيطان يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، والآية مؤولة ولا بد بتأويل يتوافق والقواعد الأصولية، فإن السنة النبوية والواقع المشاهد يخالف ذلك، آية ٢٧ .

٧ ـ ذكر آية فيها الرد على من حرم زينة الله من الألبسة وغيرها والطيبات من المطاعم والمشارب، آية ٣٢ .

٨ ـ ذكر الأعراف وأصحابها وهم فرقة من فرق يوم القيامة الذين سيحبسون على الأعراف مدة ثم يفرج عنهم، آيات ٤٦ ـ ٤٨ .

٩ ـ بيان أن رحمة الله قريب من المحسنين، آية ٥٦ .

١٠ ـ هي أول سورة ذكرت قصص الأنبياء الستة وهم: نوح، آيات ٥٩ ـ ٦٤، وهود، آيات ٦٥ ـ ٧٢، وصالح، آيات ٧٣ ـ ٧٩، ولوط، آيات ٨٠ ـ ٨٤، وشعيب، آيات ٨٥ ـ ٩٣، وموسى، آيات ١٠٣ ـ ١٥٦، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء.

١١ ـ ذكر ما بعثه الله تعالى على فرعون وقومه وما عاقبهم به من السنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. . . ، آيات ١٣٠ ـ ١٣٣ .

١٢ ـ ذكر الأربعينية التي واعدها الله نبيه موسى عليه السَّلام بأن يكلمه بعدها، آية ١٤٢ .

١٣ ـ ذكر سؤال موسى ربه أن يريه النظر إليه تعالى وما حصل له من الصعق بعد تجليه تعالى للجبل، آية ١٤٣ .

١٤ ـ بيان أن رحمة الله وسعت كل شيء، وأنه سيكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله ويتبعون نبيه، آيتان ١٥٦ ، ١٥٧ .

١٥ ـ إن من آمن برسوله محمد نبيًا ﷺ وعظمه ووقره ونصره واتبع نوره كان من المفلحين، آية ١٥٧ .

١٦ ـ بيان قصة أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر فاعتدوا في السبت بالاصطياد فمسخهم الله تعالى، آية ١٦٣ .

١٧ ـ بيان سنة الله عزَّ وجل في نجاة منكري السوء وتعذيب الظالمين المعتدين الفاسقين، آية ١٦٥ .

١٨ ـ إعلام من الله عزَّ وجل أنه سيبعث على اليهود من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. وهو وعد من الله تعالى ولا يخلف وعده، وها نحن أولاء الآن نشاهد ما يلقاه اليهود من العرب، فلا أمن عندهم ولا اطمئنان ولا راحة ولا سلم، وما سيلقونه في المستقبل أدهى وأمر، آيات ١٦٧ ـ ١٦٩ .

١٩ ـ التذكير بما أخذه تعالى علينا من الميثاق على ربوبيته في عالم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ . . . ﴾ ، آية ١٧٢ .

٢٠ ـ ذكر قصة بلعام بن باعوراء إمام علماء السوء الذي أعطاه الله عزَّ وجل

آياته فانسلخ منها ومسخ وغوى وأخلد إلى الدنيا واتبع هواه فأصبح كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، آيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢٦) قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) ﴾ .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أُوَارِي بِهِ عَوْرتي وأتَجَمَّل به في حياتي، ثم عمَد إلى الثوب الذي أُخْلِق فتصدق به كان في كَنَفِ الله، وفي حفظ الله، وفي سِتر الله، حيًّا وميتًا».

رواه أحمد ١/ ٤٤، والترمذي في الدعوات ٣٣٢٨، وابن ماجه ٢/ ١٩٢، رقم ٣٥٥٧، والحاكم ٤/ ١٩٣ ورجاله لا بأس بهم غير أبـي العلاء الشامي فمجهول، لكن له شاهد عن علي رضي الله تعالى عنه رواه أحمد ١/ ١٥٧، وابن أبـي حاتم ٥/ ١٤٥٧، وهو وإن كان سنده ضعيفًا فإنه يتقوى به في الجملة وخاصة وأنه في الفضائل.

هذا امتنان من الله عزَّ وجل على بني آدم حيث أعطاهم من الثياب والألبسة ما يغطون به عوراتهم ويتجملون به من أنواع الزينة وهو الريش. وهذا خلاف ما كان عليه الجاهلية من الهمجية والوحشية من كشف عوراتهم عند الطواف، فإن ذلك لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله واختاره من سائر خلقه. . . والحديث يدل على أن من استجد ثوبًا ينبغي له أن يقول ما ذكر ثم يتصدق بالثوب الخَلِق، وقد صح عنه ﷺ في ذلك: «الحمد لله الذي ألبسني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»، وإن ذلك من موجبات غفران ما تقدم من الذنوب.

(٣٠) قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله.

رواه أحمد ٢/ ١٧٦، ١٩٧، والطيالسي رقم ٥٧، والترمذي في الإيمان ٢٤٥٨، وابن حبان ١٨١٢، والحاكم ١/ ٣٠ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وعبد الله الديلمي لم يخرجا له لكنه ثقة فالحديث صحيح.

كل من الهداية والإضلال بيد الله عزَّ وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولا يسأل عما يفعل، فمن سبقت له الهداية فبفضل منه تعالى، ومن سبق له الإضلال والانحراف فبعدله، وهذا الحديث الشريف يبين أهل الهداية والضلال وأن ذلك راجع إلى من أصابه نور الله ومن أخطأه. فنحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا على الإيمان والهداية، ونسأله عزَّ وجل أن يتكرم علينا بالثبات على ذلك حتى نلقاه طيبين، آمين. وسيأتي مزيد لهذا الموضوع في مواضع بإذن الله تعالى.

(٣١) **قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرنا تطوافًا تجعله على فرجها وتقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُه أو كُلُّه   ومـا بَـدَا مِنـه فَـلا أُحِلُّـهُ

رواه مسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٦٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٥، وفي الحج من المجتبى.

تطواف بكسر التاء: ثوب تلبسه المرأة تطوف به.

كان العرب في الجاهلية من غير سكان الحرم يطوفون عراة وعرايا،

إلاَّ من أعاره أحد ثوبًا من الحمس وهم أهل الحرم وسكانه، فجاء الإسلام فأبطل ذلك، وكان ممن نودي به في أيام الموسم من السنة التاسعة: ولا يطوف بالبيت عريان. ولذلك كان من آداب الإسلام بل الإنسانية وجوب ستر العورات والسوءات، وسواء كان ذلك داخل الصلاة أم خارجها، لكن الإنسانية اليوم مع تقدمها في أمور حياتها وبلوغها النهاية في الكمال المادي أصبحت متخلفة أخلاقيًا وأدبيًا حتى صرنا نشاهد الناس عراة وعرايا في الشوارع وليس في شواطىء البحار والمسابح والمراقص ودور الدعارة والفجور فقط، فنعوذ بالله من الفتن.

وقول تلك المرأة الجاهلة: اليوم يبدو بعضه... إلخ، تعني فرجها القذر النتن أو جسدها ككل.

(٣١) **قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾.**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة».

رواه أحمد ٢/ ١٨١، ١٨٢، والنسائي ٥/ ٥٩، وابن ماجه ٣٦٠٥، والحاكم ٤/ ١٣٥ بسند حسن، وعلقه البخاري في أول اللباس مجزومًا به ١٢/ ٣٦٥.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف ومخيلة.

ذكره البخاري أيضًا معلقًا وذكر الحافظ أن ابن أبي شيبة وغيره وصلوه.

الإسراف والسرف هو مجاوزة الحد في كل شيء، والمخيلة التكبر والتعاظم والمباهاة والإعجاب وكل ذلك محرم فالآية والحديث نصَّان في إباحة كل المآكل والمشارب المأذون فيها إذا لم يكن إسراف وتبذير وتجاوز في الحد وتكبر وتعاظم وتفاخر.

(٤٠) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر ــ مرتين أو ثلاثًا ثم قال ــ: إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء» فذكر الحديث بطوله في قبض روح المؤمن والصعود بها إلى السماء وثناء الملائكة عليها، وقبض روح الكافر والصعود بها إلى السماء أيضًا حتى قال: «ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلاَّ قالوا ما هذه الروح الخبيثة، فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾، فيقول الله عزَّ وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا. . . » الحديث بطوله.

رواه أحمد ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، والطيالسي ٧٤٣، وأبو داود ٣٢١٢، ٤٧٥٤، والحاكم ١/ ٣٧، ٤٠ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذا الحديث عظيم في قبض أرواح المؤمنين والكافرين وسؤالها في قبورها، وقد ذكرته بطوله في كتاب مشاهد الموت ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، فارجع إليه تذكر. وفيه كالآية أن السماء لا تفتح للكافرين كالمؤمنين الذين يحظون بالترحيب بهم والثناء عليهم وإكرامهم، جعلنا الله من أشرفهم عنده بمنه وفضله.

(٤٣) قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ...﴾ الآية، قال: «نُودوا أن صحّوا فلا تَسْقَمُوا، وانْعَمُوا فلا تبْأَسُوا، وشبُّوا فلا تَهْرَموا». وفي رواية: «ينادي مناد أن لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبدًا...» إلخ.

رواه أحمد ٣/ ٩٥، ومسلم في كتاب الجنة ١٧/ ١٧٥، والترمذي في تفسير الزمر ٣٠٣١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٠ وغيرهم. انظر: الدر المنثور ٣/ ٤٥٨.

قوله: فلا تسقموا، أي لا يصيبكم سقم ولا مرض. وقوله: فلا تبأسوا من البؤس وهو شدة الحال والفاقة، فهم في نعيم دائم. وقوله: وشبوا، أي دوموا على شبابكم فلا يعتريكم كبر ولا هرم ولا خرف ولا موت.

إنها لنعم البشارة للمؤمنين، فيا لها من كرامة ويا له من فوز وسعادة، ختم الله لنا بالحسنى والشهادة، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ لا يعارضه حديث الصحيحين عنه ﷺ: «واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». إن هذا محمول على من اعتمد على عمله ولم يعرج على رحمة الله وفضله، وإلاَّ فالجنة لا بد لدخولها من سبب وهو الإيمان والعمل الصالح، ثم الكل يرجع إلى فضل الله ورحمته.

(٤٤) قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾.

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة

وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوِيّ من أطواء بدر خبيث مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلاَّ لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيِّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟» قال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

رواه البخاري في المغازي رقم ٣٩٧٦، ومسلم في كتاب الجنة رقم ٢٨٧٥، وأخرج نحوه مسلم رقم ٢٨٧٤ عن أنس، وفيه: «ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»، ونحوه عن عمر أيضًا عنده ٢٨٧٣ وفيه: «غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا».

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟»، ثم قال: «إنهم الآن ليسمعون ما أقول. . .»، وفي رواية فقيل له: أتدعو أمواتًا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون».

رواه البخاري في الجنائز ١٣٧٠، وفي المغازي ٨/ ٣٠٥.

قوله: طوي بفتح الطاء وكسر الواو، البئر المبنية بالحجارة. وقوله: شفة الركي بفتح الراء وكسر الكاف: طرف البئر.

في هذه الأحاديث دليل لمن يقول بسماع الأموات كلام الأحياء، وهذا مع كونه يكاد أن يكون من اليقينيات هو قول عامة العلماء إلاَّ قولاً شاذًّا انفردت فيه مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها ومن قلدها، وأوَّلت ما جاء في ذلك. وقد ألف العلماء كتبًا خاصة في هذا الموضوع وأثبتوا بالأدلة

القطعية على أن الروح بعد مفارقتها الجسد موجودة وليست فانية وأنها تعلم وتسمع من يخاطبها ويسلم عليها وترد السلام كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة. وفي الآية الكريمة تقريع للكفار من طرف أهل الجنة يوم القيامة ونقمة وحسرة عليهم كما فعل النبي ﷺ مع قتلى بدر فقرعهم ووبخهم.

(٥٥) قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

عن أبي نعامة رحمه الله تعالى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللّٰهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوَّذ بالله من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء».

رواه أحمد ٥/ ٥٥، وأبو داود في الطهارة رقم ٩٦، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٦٤، والحاكم ١/ ١٦٢، وسنده صحيح، ونحوه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد ١/ ١٧٢، ١٨٣، وأبو داود ١٤٨٠، وأبو يعلى ٧١١ وفيه رجل مبهم، ومن هذا الطريق رواه ابن أبي حاتم في التفسير ٥/ ١٥٠٠.

قوله تعالى: ﴿ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾، قال ابن جرير: ﴿ تَضَرُّعٗا ﴾ تذللاً واستكانة لطاعته، ﴿ وَخُفۡيَةًۚ ﴾ يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته ـ وربوبيته ـ فيما بينكم وبينه لا جهارًا مراءاة...

وفي الآية الكريمة والحديث الشريف ذم الاعتداء في الدعاء ومنه الجهر به، أو الدعاء بما لا طائل تحته أو سؤال منازل الأنبياء مثلاً، ومنه الدعاء بالمستحيل أو بالمحرم ونحو ذلك، فكل ذلك لا يحبه الله، أما الاعتداء في الطهور فهو الزيادة على المشروع والإسراف في الماء...

(٧٧) قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحِجر قال: «لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح، فكانت ـ يعني الناقة ـ ترد من هذا

الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فعقروها فأخذتهم صيحة أخمد الله مَن تحت أديم السماء منهم إلاَّ رجلاً واحدًا كان في حرم الله»، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

رواه أحمد ٣/ ٢٩٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٦، والحاكم ٢/ ٣٢٠ وسنده صحيح على شرط مسلم.

في الحديث النهي عن طلب الآيات والخوارق فإن ذلك ينافي العبودية لله تعالى ويدل على رقة الدين أو ذهابه، وربما كان المآل التكذيب بها فيصيب المكذبين ما أصاب قوم صالح عليه السَّلام، فإنهم سألوه آية، فأخرج لهم ناقة عشراء من الصخرة وامتحنهم الله بتبادل الشراب بينها وبين البئر، ثم تآمروا عليها فقتلوها فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وسيأتي في سورة الحجر بعض شيء يتعلق بقوم صالح.

(٨٤) **قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

رواه أحمد رقم ٢٧٢٧، وأبو داود ٤٤٦٢، والترمذي ١٣٢٥، وابن ماجه ٢٥٦١، والحاكم ٤/ ٣٥٥، والبيهقي ٨/ ٢٣١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذه أول سورة ذكر فيها قوم لوط وما كانوا يأتونه من فاحشة لم يسبقهم أحد إليها، ولذلك كان عقابهم غريبًا من نوعه، فجعل تعالى ديارهم عاليها سافلها وأتبعها حجارة من سجيل. . . مطرًا عليهم. وكان حكم فاعل هذه الفاحشة في الإسلام ما جاء في هذا الحديث الشريف وهو الإعدام مطلقًا.

واختلف الأئمة في ذلك فذهب مالك والشافعي وأحمد وابن راهويه إلى رجمه بالحجارة أحصن أو لم يحصن، وذهب ابن أبي رباح والثوري وأبو حنيفة في آخرين إلى أن حده حد الزاني، كذا حكاه الترمذي في الجامع.

(١٣٨) قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبل حُنين فمررنا بسدرة فقلت: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلـهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتَرْكَبُن سُنَّة من كان قبلكم».

رواه أحمد ٥/ ٢١٨، والحميدي ٨٤٨، والترمذي في الفتن ٢٠١٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٩٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٣ وغيرهم وسنده صحيح.

ذات أنواط: اسم شجرة كان المشركون يعلقون بها أسلحتهم، وقوله: «الله أكبر». في رواية للترمذي وغيره: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى لموسى». وقوله: «لتركبن»، أي لتتبعن طريق من سبقكم من اليهود والنصارى وغيرهم.

وفي الحديث ذم اقتفاء أثر الكفار والتشبه بهم في شؤونهم، وأنه يجب على المسلمين التباعد عن تقليدهم، وهذا مما غرق فيه المسلمون اليوم حتى ذابت شخصيتهم في شخصية الكفار، وأصبحوا لا مظهر لهم يعرفون به عن غيرهم إلاّ من رحم الله.

(١٤٣) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾. قال حماد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقًا.

رواه أحمد ١٨/ ١٤٤ بترتيب الإمام البنا، والترمذي في التفسير ٢٨٧٦، وابن جرير ٩/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٠، والحاكم ٢/ ٣٢٠ وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: تجلى، أي ظهر بنوره فألقاه على الجبل. وقوله: دكًا، أي صار مدكوكًا ترابًا مستويًا بالأرض. وقوله: وأمسك بطرف إبهامه، جاء في رواية عند ابن جرير وغيره، قال هكذا بإصبعه: ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل.

وههنا يظهر جلال الله وعظمته وكبرياؤه... وأن رؤية شيء ضئيل من نوره لا تطاق، فكيف برؤية ذاته العلية التي ليس كمثلها شيء، فإذا كان مقدار طرف أنملة الخنصر ألقي من نور الله على الجبل العظيم فساخ واندك وتفتت وخر كليم الله عليه السَّلام مغشيًا عليه، فكيف يا ترى كان الأمر إن حصل أعظم من ذلك.

ولذلك جاء في حديث: «إن الله إذا تجلى لشيء يخشع له».

رواه أحمد وأبو داود والنسائي ٢/ ١١٧، والبيهقي ٣/ ٣٣٣ وغيرهم.

استدل بالآية وما قبلها على عدم رؤية الله في الدنيا، وهذا قول عامَّة العلماء مع اتفاقهم على عدم استحالتها. فسبحانه ما أعظم شأنه وأرفع مكانه.

(١٤٤) قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ
(١٤٥) ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لقي موسى آدم عليهما السَّلام فقال: أنت آدم أبو البشر الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله وكتب لك بيده التوراة، أتلومني على أمر قد قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وانظر تخريجه في أول سورة البقرة الآية ٣٤.

قوله: لقي آدم... إلخ، قيل: التقيا بأرواحهما بعد وفاتهما، وقيل: التقيا في حياة موسى، والبحث في هذا لا يأتي بكبير فائدة فحسبنا الإيمان بذلك. وقوله: وكتب لك بيده، هذا مما يجب الإيمان به ولا يتعرض للبحث فيه. وفي الحديث فضل كل من آدم وموسى عليهما السَّلام وأن الله اختص كلًّا منهما بخصيصة. وفيه عدم مشروعية لوم العاصي ومعاتبته بعد التوبة واجتبائه. وقوله: أنت آدم أبو البشر... إلخ، هو نص في أن آدم هو أبو الإنسانية وهو الذي جاء أيضًا في حديث الشفاعة الطويل، وذلك يرد على فكرة الداروييين القائلين بأن القرد أصل للإنسان ثم ترقى... وهي فكرة إلحادية مخالفة لصريح القرآن...

١٥٦ قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللَّهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال للأعرابي: «لقد تحجَّرت واسعًا».

رواه النسائي في الكبرى ٥٥٤، ٥٥٥، ١١٣٩، ١١٤٠، وفي السهو من المجتبى ٣/ ١٣، وأبو داود ٨٨٢ بسند صحيح، وأصله في الصحيح بسياق آخر في بول الأعرابي بالمسجد.

تحجرت: أي ضيقت ما وسعه الله من رحمته.

وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ، فلما صلَّى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها ثم ركبها ثم نادى: اللَّهم ارحمني ومحمدًا ولا تشرك في رحمتنا أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «أتقولون هذا أضل أم بعيره، ألم تسمعوا ما قال؟»، قالوا: بلى، قال: «لقد حظرت رحمة واسعة، إن الله عزَّ وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنها وإنسها وبهائمها وأخَّر عنده تسعًا وتسعين رحمة، أتقولون هو أضل أم بعيره؟».

رواه أحمد ٤/ ٣١٢، والحاكم في التوبة ٤/ ٢٤٨ وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حظرت أي منعت ما وسعه الله.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

رواه أحمد ٣/ ٥٥، ٥٦، والبخاري في الأدب ١٣/ ٣٨، ومسلم في التوبة ١٧/ ٦٨، ٦٩ واللفظ له، والترمذي في الدعوات ٣٣٠٨، ابن ماجه ٤٢٩٣ وغيرهم بألفاظ.

وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه بنحوه وفيه: «إن الله خلق

يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض. . . » إلخ.

أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٩، ومسلم ١٧/ ٦٩.

وفي رواية لأبي هريرة عنه ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

رواه البخاري ومسلم ١٧/ ٧٠، والترمذي في الدعوات ٣٣٠٩.

هذه الأحاديث كلها مؤيدة للآية الكريمة وأن رحمة الله تسع كل شيء، غير أن الأحاديث تدل على أن الرحمة رحمتان رحمة عامة تعم كل الخلائق في هذه الحياة إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم. . . ورحمة خاصة وهي التي اختصها بمن اتقاه وآمن به وأطاعه، فمنَّ عليه في هذه الدنيا بنعمة الإيمان والتقوى وشارك سائر الخلق في الرحمة التي قسمت بينهم في هذه الأرض ثم أتم عليه النعمة في الآخرة بباقي الرحمات ويا لها من سعادة.

(١٥٧) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾.

عن رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلمّا فرغت من بيعتي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل

الفتيان وأحسنها، فقال رسول الله ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟»، فقال برأسه هكذا أي لا، فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأشهد أنك رسول الله. فقال ﷺ: «أقيموا اليهودي عن أخيكم»، ثم تولى كفنه والصلاة عليه.

رواه أحمد ٥/ ٤١١ وسنده صحيح، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس. وذكر في المجمع ٨/ ٢٣٤ أن رجاله رجال الصحيح، وقال: إنه لم يعرف أبا صخر مع أن الشيخين وابن حبان جزموا بأن له صحبة. وما ذكر فيه من الاضطراب لا يضر فإن لمعناه شواهد صحيحة، وسيأتي لنا حديث عبد الله بن عمرو وغيره في الأحزاب.

في الحديث بيان أن اليهود كانوا يعرفون النبي ﷺ وصفته ومخرجه بما كان عندهم في التوراة، ولكنهم كتموا ذلك وكفروا به كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية ٨٩].

(١٥٨) **قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.**

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر رضي الله تعالى عنهما فانصرف عنه عمر مُغْضَبًا فاتَّبَعَه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: «أما صاحبكم هذا فقد غامر»، قال: وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»، إني قلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت».

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير ٩/ ٣٧٣.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر...»، فذكر الحديث، وفيه: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

رواه البخاري في التيمم وغيره، ومسلم في المساجد ٥/ ٣، ٤، وسيأتي بطوله في موضع آخر له. وجاء في المسند ٤/ ٤١٦ من حديث أبي موسى بلفظ: «أعطيت خمسًا: بعثت إلى الأحمر والأسود...» الحديث. وسنده صحيح وفيه أيضًا ١/ ٢٥٠، ٣٠١ من حديث ابن عباس بلفظ: «بعثت إلى كل أحمر وأسود فليس من أحمر ولا أسود يدخل في أمتي إلَّا كان منهم». وفي رواية: «بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود»، وسنده صحيح. ونحوه أيضًا عنده ٢/ ٢٢٢ من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد، وفيه: «أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه».

الآية الكريمة مع ما ذكرنا من الأحاديث تدل على عموم بعثته ﷺ إلى كل الأجناس والأجيال من أيامه إلى قيام الساعة، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، فمن خصص بعثته بالعرب أو بالأوائل أو قال بنبوَّة غيره أو سوَّى بين الأديان فهو كافر بالإجماع وبدون خلاف بين طوائف المسلمين.

وفي حديث أبي الدرداء فضل ظاهر للصدِّيق رضي الله تعالى عنه، حيث شهد له الرسول الأكرم ﷺ بالأسبقية إلى الإيمان به قبل الناس وتصديقه به بدون توقف. ويأتي حديث أبي موسى وأبي هريرة فيمن لم يؤمن به ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

(١٧٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢)﴾.

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . . .﴾ الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال ﷺ: «إن الله عزَّ وجل خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنَّة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار».

رواه أحمد ١/ ٤٤، ٤٥، وأبو داود ٤٧٠٣، ٤٧٠٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٤، وابن حبان ١٨٠٤ بالموارد، والحاكم ٢/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٥٤٤، ٥٤٥ وصححه. ورواه أيضًا أحمد ٤/ ١٨٦، وابن حبان ١٨٠٦، والحاكم ١/ ٣١ من رواية عبد الرحمن بن قتادة السلمي مختصرًا بسند صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة. . .» إلخ.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٧٨، ٣١٤٨، وابن حبان بالإحسان ٦١٦٧، والحاكم ١/ ٦٤، ٣٢٥، ٥٨٥، ٥٨٦ و٤/ ٢٦٣ من طرق، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم في المواضع الثلاثة ووافقه الذهبي، وسيأتي كاملاً في حزب ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥)﴾ [الصافات: ١٤٥] عند الكلام على داود عليه السَّلام.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ . . .﴾ الآية».

رواه أحمد ١/ ٢٧٢، ٢٥١، ٢٩٩، ٣٧١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٦، والحاكم ١/ ٢٧، و ٣/ ٥٤٤ وصححه ووافق الذهبي وسنده صحيح على شرط مسلم ونحوه عن أبي بن كعب. رواه عبد الله بن أحمد في الزوائد، كذا في المجمع ٧/ ٢٥.

قوله: فمسح ظهره. . . إلخ، هذا مما يجب الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تأويل ولا تشبيه، وقوله: ذرأها أي خلقها، وقوله: قُبلاً بضم القاف والباء، أي كلمهم مواجهة.

وفي هذه الأحاديث أمور:

أولاً: إن الآجال والسعادة والشقاوة كلها مقدرة لا تتبدل ولا تتغير.

ثانيًا: إن الله تعالى قد أخذ العهد على جميع أرواح بني آدم في عالم الذر بأن يوحِّدوه ويعترفوا بربوبيته.

ثالثًا: فيها أن آدم عليه السَّلام قد أطلعه الله عزَّ وجل على جميع نسم بنيه، وأنه عرَّفه إياهم وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا. . .﴾ الآية [البقرة: ٣١].

﴿١٧٥﴾ **قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٨، وابن جرير ٩/ ١٢١، وابن أبي حاتم

٥/ ١٦١٦ بسند صحيح، وأورده الهيثمي ٧/ ٢٠٢٥ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح، وعزاه البوصيري في الإتحاف ٤/ ٣٧٥ لمسدد، وكبرى النسائي وقال: رجاله ثقات.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الآية، قال: هو بلعم، وقال: نزلت في أمية. . .

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٨، وابن جرير ٩/ ١١٩، ١٢٠ وسنده صحيح.

الآية الكريمة تتحدث عن بلعام بن باعوراء كما هو قول عامة المفسرين وكان من أصحاب سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فأضله الله ومسخه بعد أن كان قد أوتي علمًا. . . ولكن ابن مسعود وابن عمر رضي الله تعالى عنهما يصرحان هنا بأن الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت، فكأنه لشبهه بابن باعوراء نزلت فيه الآية الكريمة، فإنه كان على علم من الشرائع القديمة وجاء في كلامه الكثير من التوحيد والكلام على الآخرة والبعث. . . ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه لما بعث النبي ﷺ وبلغته آياته ومعجزاته كفر في جملة من كفر، وكان علمه وبالاً عليه كابن باعوراء لعنهما الله معًا.

وفي قصة هذا اللعين عبرة لعلماء السوء الذين يخلدون إلى الدنيا وشهواتها ويبيعون دينهم لأهلها ويتملقون للأمراء الظلمة. . . والأغنياء وذوي الثراء السقطاء. . . فيَضِلُّون في أنفسهم ويُضِلُّون الغمر الجهلة الغوغاء من العوام عياذًا بالله منهم.

(١٧٩) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقالت: يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير

الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم».

رواه أحمد ٢٠٨/٦، ومسلم في القدر ٢١١/١٦، ٢١٢، وأبو داود ٤٧١٣، والنسائي ٤٦/٤، ٤٧، وابن ماجه ٨٢، وتقدم حديث عمر: «... خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلقت هؤلاء للنار...» الحديث، وفي حديث آخر: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي».

قوله: أو غير ذلك يا عائشة، هذا محمول على أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله تعالى بأن الأطفال في الجنة، وقد أجمع من يعتد به على أن أطفال المؤمنين في الجنة وأنهم فرَط لآبائهم.

والحديث كالآية يدلان على أن الله خلق كثيرًا من الجن والإنس لجهنم، وكذا خلق آخرين للجنة كل ذلك قد سبق به علمه وقدره، وهذا من القطعيات اليقينيات التي لا مجال للتشكك فيه فمن أنكره فليس بمؤمن.

(١٨٠) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلاّ واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر...».

رواه أحمد ٢٥٨/٢، ٤٩٩، والبخاري في الشروط ٢٨٣/٦، وفي الدعوات ٤٧١/١٣، ٤٨٦، وفي التوحيد ١٤٨/١٧، ومسلم في الذكر ٥/١٧، ٦، والترمذي في الدعوات ٣٢٧٧، ٣٢٧٨ وغيرهم.

من أحصاها، أي حفظها كما قال البخاري وغيره. وفيه فضل حفظ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وأن ذلك من موجبات الجنة.

وهذا العدد لا مفهوم له، فإن لله أسماء كثيرة غير هذه.

فعن ابن مسعود مرفوعًا: «ما أصاب أحدًا قط همّ ولا حزن فقال: اللّهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلاَّ أذهب الله حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرحًا...»، الحديث.

رواه أحمد ٣٧١٢، وابن حبان ٢٣٧٢، وهو حديث صحيح.

وفيه أن له تعالى أسماء استأثر بها لا نعلمها. نعم هذا العدد المذكور له خاصية ليست لغيره، يبقى السؤال مطروحًا فأين هذا العدد؟ والجواب هو موجود في الكتاب والسنة وقد تتبعه جماعة وجمعوه منهم الحافظ في الفتح، أما ما جاء من ذكره في سنن الترمذي فضعفه جماعة وقالوا إن ذكره مدرج من بعض الرواة.

وفي الآية الكريمة الحض على سؤاله تعالى ودعائه بأسمائه الحسنى، فإن فيها الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

١٩٩ **قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾.**

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ قال: ما أنزل الله هذه الآية إلاَّ في أخلاق الناس.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٨، وابن جرير ٩/ ١٥٤، وأخرجه أبو داود في الأدب ٤٧٨٧ وعلقه البخاري بلفظ: أمر النبي ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. ومثله عن ابن عمر رواه الطبراني في الأوسط ١٢٣٨، قال في المجمع ٧/ ٢٦: ورجاله ثقات.

ومعنى الآية الكريمة، خذ بالسهل اليسير في معاملة الناس، واعف عمن ظلمك منهم، وأمر بالمعروف والمستحسن من الأقوال والأفعال،

وأعرض عن السفهاء الجاهلين ولا تقابلهم بمثل سفههم. والآية وإن كانت خطابًا للنبي ﷺ فهو تأديب لجميع الأمة.

وبهذا تم الكلام على تفسير سورة الأعراف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه، آمين.

* * *

﴿ سُورَةُ الأَنفَالِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة هي سابعة السبع الطوال، وهي من السور المدنية جاءت بعد سورتين مكيَّتين الأنعام والأعراف، وآياتها خمس وسبعون، وأهدافها العناية بالتشريع الإسلامي، وخاصةً الأحكام السياسية والحربية والجهاد في سبيل الله، نزلت في أعقاب غزوة بدر.

من خصائص هذه السورة

وهي تختص عن غيرها أيضًا بأمور وهي كما يلي:

١ ــ بداية الكلام على الأنفال والمغانم وسؤال الصحابة عنها، وبها سميت السورة، آية ١.

٢ ــ ذكر صفات خاصة للمؤمنين لم تذكر كذلك إلَّا هنا، آيتان ٢، ٣.

٣ ــ تحدثها عن غزوة بدر بإسهاب، آية ٧، ١٤، ٤١ ــ ٤٩.

٤ ــ ذكرها لنداءات المؤمنين في ستة مواضع، آية ١٥، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٤٥.

٥ ــ ذكرها الوعيد الشديد للفار من الزحف وميدان القتال، آية ١٦ .
٦ ــ وجوب الاستجابة لله وللرسول، آية ٢٤ .
٧ ــ وجوب التحفظ من الفتنة العامة، آية ٢٥ .
٨ ــ ذكر مؤامرة الكفار ضد نبينا ﷺ وعزمهم على قتله، آية ٣٠ .
٩ ــ من فضل الله تعالى على الأمة أن لا يعذبهم ونبيهم بينهم أو وهم يستغفرون، آية ٣٣ .
١٠ ــ بيان ما كان يفعله الكفار عند البيت من المكاء والتصدية، آية ٣٥ .
١١ ــ ذكر آية فيها بشارة عظيمة لمن آمن من الكفار، آية ٣٨ .
١٢ ــ بيان مصاريف المغانم وبيان التخميس لها، آية ٤١ .
١٣ ــ شرالدواب عند الله هم الكفار، آية ٥٥ .
١٤ ــ الأمر بالاستعداد للكفار بالأسلحة وما يتبعها، آية ٦٠ .
١٥ ــ ذكر آية المصابرة والتخفيف في مواجهة الكفار، آية ٦٤، ٦٥، ٦٦ .
١٦ ــ ذكر العتاب على أخذ الفداء في أسارى بدر، آيتان ٦٧، ٧١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) ﴾ .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك»، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي. فجاءني الرسول ﷺ فقال: «إنك سألتني وليس لي، وأنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ . . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ١٧٨، ١٨٥، ١٨٦، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/ ٥٣، ٥٤،

وأبو داود ٢٧٤٠، والترمذي في التفسير ٢٨٨٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٨ وغيرهم.

قوله: يبلي، هو من الابتلاء، يقال: ابتليت بلاءً حسنًا، أي صنعت فعلاً اختبرت به وظهر به خيري وشري. والأنفال: الغنائم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدنا معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله عزَّ وجل العدوَّ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ . . .﴾ الآية، فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. وفي رواية عنه قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله تعالى من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين على فواق، يقول على السواء.

رواه أحمد ٥/ ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، قال نور الدين في مجمع الزوائد ٧/ ٩٨: ورجال الطريقين ثقات.

قوله: وأحدقت، أي أحاطت.

وقوله: على فواق، أي على السواء.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من

أتى مكان كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا، فله كذا وكذا، فأسرع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله لهم جاء الشباب يطلبون ما جعل لهم فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فإنما كنا ردءًا لكم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ... ﴾ الآية.

رواه أبو داود ٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩، بألفاظ أخرى، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٩، وابن حبان ١٧٤٣ بالموارد، والحاكم ٢/ ١٣١، ١٣٢، ٢٢١، ٣٢٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

وقوله: ردءًا، أي عونًا ونصرًا. وظاهر هذه الأحاديث أن ما فيها كلها أسباب لنزول هذه الآية، وليس فيها ما يستنكر فإن الجميع أخبر بما شاهد أو حصل له في هذه الغزوة، والأسباب قد تتعدد كما هو معلوم. والآية الكريمة تدل على أن أمر الغنائم حكمها لله ولرسوله ﷺ لا حاكمية لأحد فيها، وأن الواجب على المختلفين فيها وفي غيرها أن يسلموا الأمر لله ورسوله ﷺ، وأن يصلحوا ما وقع بينهم من النزاع.

(٧) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لمَّا فرغ رسول الله ﷺ من بدر، قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، قال: فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح لك ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «ولم؟» قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك، قال: «صدقت».

رواه أحمد ١/ ٢٢٩، ٣١٤، ٣٢٦، والترمذي في التفسير ٢٨٨٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٠، وغيرهم وسنده صحيح، وفيه رواية سماك عن عكرمة وفيها كلام ولا يضر هنا.

قوله العير، بكسر العين يقال للإبل الموقرة بالبضائع التجارية، وكان

هذا العير مكونًا من ألف بعير، شارك فيه جميع أهل مكة، فخرج النبي ﷺ إليه ففاته، وكان الله تعالى وعده إحدى الطائفتين ذات العير، أو المقاتلة ذات الشوكة، فكانت الثانية وكان العباس رضي الله تعالى عنه صادقًا فيما قال: رغم أنه كان مربوطًا في وثاقه، لأنه جاء مع الكفار فأسر فيمن أُسِر حتى فدى نفسه.

(٩) قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾.

عن عُمَر رضي الله تعالى عنه قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يده وجعل يهتف بربه: «اللَّـهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّـهمَّ إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف به مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ. . .﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ٣٠، ٣١، مطولاً والبخاري في المغازي ٨/ ٢٩٠، ٢٩١ مختصرًا، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/ ٨٤، ٨٥ مطولاً، والترمذي في التفسير ٢٨٨١، واللفظ له، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٢، ١٦٦٣ وغيرهم، وسيأتي كاملاً قريبًا إن شاء الله تعالى برقم ٤٣١.

قوله: يهتف، أي يصيح. ومناشدتك، أي سؤالك. والعصابة الجماعة. والاستغاثة طلب الغوث وهو بمعنى الخلق خاص بالله عزَّ وجل فلا يأتي بإيجاد الغوث سواه، وقد تأتي الاستغاثة بمعنى طلب الشفاعة أو التوسل.

وفي الحديث فوائد وأحكام ليس هذا محل بسطها. وفي الآية دليل على أن الله تعالى قد أمد المسلمين ببدر بالملائكة بألف ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة كما تقدم في آل عمران، وبذلك جاءت السنَّة الصحيحة المطهَّرة، ومع ذلك نرى بعض المفسرين المعاصرين أنكر ذلك وقانا الله الزلل والزيغ والخذلان.

(١١) قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾.

عن حارثة بن مُضرب عن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما كان فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلاَّ نائم إلاَّ رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح.

رواه أحمد ١/ ١٢٥، ١٣٨، والنسائي في الكبرى، وابن خزيمة ٨٩٩، وأبو يعلى ١/ ١٤٦، وسنده صحيح ووقع عند أبي يعلى «قائم» بدل «نائم» وهو تصحيف.

من رحمة الله تعالى ولطفه بالمسلمين يوم بدر أنه ألقى عليهم النوم والنعاس أمْنًا منه تعالى وطمأنينة لهم من شدة البأس، وهذه مع كونها نعمة ورحمة من الله هي معجزة لرسول الله ﷺ حيث غشي النوم جميعهم إلاَّ رسول الله في وقت البأس والخوف... وهذا كما حصل لهم مثله في غزوة أحد كما تقدَّم في آل عمران.

وعن علي أيضًا قال: أصابنا من الليل طش من المطر ـ يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللَّـهمَّ إن تهلك هذه الفئة لا تعبد...».

رواه أحمد ١/ ١١٧، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٥ بسندٍ صحيحٍ، ونحوه عن ابن عباس عند الحاكم ٣/ ١٨٧، ١٨٨.

هذا أيضًا من تمام نعمته تعالى على أهل بدر حيث أنزل عليهم الغيث ليطهروا به ويثبت به أقدامهم في تلك الرمال.

(١٥) قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ
(١٦) ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾.

عن أبـي سعيد رضي الله تعالى عنه: ومن يولهم يومئذٍ دبره قال: نزلت في أهل بدر.

رواه أبو داود ٢٦٤٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٠، وابن جرير ٩/ ٢٠١، وابن أبـي حاتم ٥/ ١٦٧٠، والحاكم ٢/ ٣٢٧، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبـي.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سئل فقيل له: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ولا ندري من الفئة؟ فقال: الفئة رسول الله ﷺ، فقيل له: إن الله يقول في كتابه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية، قال: إنما أنزلت هذه لأهل بدر لا لقبلها ولا لبعدها.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٢٤٩ بسندٍ حسن، ورواه ابن جرير ٩/ ٢٠٢ موقوفًا على نافع مولى ابن عمر.

الآية الكريمة نزلت في أهل بدر، وحكمها عام ومحكمة فلا يحل للمسلمين الفرار من المعركة إلَّا إذا كان القصد بذلك التحرف للقتال حيلة أو التحيز إلى فئة أخرى من المؤمنين، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين والعلماء، وقد جاء في حديث الصحيحين: «اجتنبوا السبع الموبقات»، فذكر منها التولي يوم الزحف، والمراد به التداني والتقارب مع العدو للقتال، أما قول ابن عمر: الفئة رسول الله ﷺ، فذلك لا ينافي عمومها لكل المسلمين.

(١٧) **قوله تعالى:** ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًّا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها وقال: شاهت الوجوه فانهزمنا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ...﴾ الآية.

عزاه في المجمع ٦/ ٨٥ للطبراني وحسَّنه، ونحوه عن ابن عباس عنده برجال الصحيح.

والآية تدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

(١٩) **قوله تعالى:** ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير رضي الله تعالى عنه قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم، اللَّهمَّ أينا كان أقطع للرحم وآتى لما لا نعرف فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٥/ ٤٣١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٠، وابن جرير ٩/ ٢٠٧، ٢٠٨، والحاكم ٢/ ٣٢٨، وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ومعنى الآية الكريمة: إن تطلبوا الفتح والنصر لأحد الحزبين حزب الله وحزب الشيطان فقد جاءكم الفتح والنصر، فَفُتِح على المؤمنين وقُضِيَ لهم بالظفر، وهُزِمَ المشركون وفُتِحَ لهم بالقتل والأسر والذل والخزي.

(٢٢) **قوله تعالى:** ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ . . . ﴾ الآية، قال: هم نَفَرٌ من عبد الدار.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٣٧٧، وابن جرير ٩/ ٢١٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٧، وزاد ابن جرير: «لا يتبعون الحق».

والمراد بالآية الكريمة أن شر الخلق فمن يمشي على الأرض ويدب عليها الصم والطرش الذين سمعوا القرآن بآذانهم الحساسة، ولكنهم لم ينتفعوا به، لأنهم لم يسمعوه سماع تدبر واتعاظ وقبول، فكانوا كأنهم صم قد فقدوا حاسة أسماعهم. وكذا هم البكم أي الخرس الذين لا ينطقون بالحق، ومنه شهادة الإسلام، وكانوا كذلك لأنهم لا يعقلون، فهم فاقدوا العقول التي يميز بها الحق من الباطل. وفي الآية الكريمة ذم بليغ لهم ولأمثالهم من الكفار، فهم شر من الكلاب والخنازير والحمير والقردة والثعابين والتماسيح . . .

(٢٤) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾.

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله تعالى عنه قال: كنت أصلي فمرَّ بي رسول الله ﷺ فدعاني فلم آته حتى صلَّيت ثم أتيته فقال: «ما منعك أن تأتي، ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . . . ﴾ ـ الآية، ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له، فقال: « ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه».

رواه أحمد ٣/ ٤٥٠، ٤/ ٢١١، والبخاري ٩/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٥٣، وأبو داود

١٤٥٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٨٣، وفي الصلاة من المجتبى، وابن ماجه ٣٧٨٥ وغيرهم.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ . . .﴾ إلخ، أي أجيبوا دعاءه إذا دعاكم للإيمان الذي تحيا به الأرواح الحياة الأبدية. وقوله في الحديث: هي السبع المثاني، أي هي السبع الآيات التي تثنى في كل ركعة من الصلاة.

في الآية والحديث وجوب الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ، وللعلماء كلام فقهي يتعلق بالموضوع.

وفي الحديث فضل سورة الفاتحة وأنها أعظم سور القرآن.

٢٥ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً . . .﴾ الآية، قال: ونحن يومئذٍ متوافرون، قال: فجعلت أتعجب من هذه الآية، أي فتنة تصيبنا؟ ما هذه الفتنة؟ حتى رأيناها.

رواه أحمد ١/ ١٦٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥١، وابن جرير ٩/ ٢١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٣. وفي رواية: قرأت هذه الآية زمانًا وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون. وسنده صحيح وعزاه في المجمع ٧/ ٢٧ لأحمد، وقال: بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وذكر ابن جرير عن الحسن البصري: أنها نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير رضي الله تعالى عنهم.

ومعنى الآية الكريمة: احذروا انتقام الله تعالى إن عصيتموه أو أقررتم على المنكر فلم تغيروه، واحذروا فتنةً وامتحانًا إن نزلت بكم لا تشمل الظالم وحده، بل تعم الصالح والطالح، الطالح لظلمه وعصيانه وإصراره،

وغيره لسكوته وعدم أخذه على يد الظالم والمصر على العصيان. والآية عامة تجر ذيلها على كل الأجيال المنحرفة.

(٣٠) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٣٠)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ...﴾ الآية، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات علي رضي الله تعالى عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليًا يحسبونه ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليًا رد الله تعالى مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليالٍ.

رواه أحمد ١/٣٤٨، وفي سنده عثمان الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٧/ ٢٧، ولهذه القصة طرق وشواهد عند ابن إسحاق وغيره.

ما ذكره ابن عباس بيانًا للآية الكريمة هو ما أورده كل أهل المغازي والسير، وهذه المؤامرة التي عقدها كفار قريش ضد النبي ﷺ كانت السبب الأخير للهجرة النبوية الخالدة، فقد تآمروا عليه فأدلى كل بما أوحاه إليه شيطانه فاقترح بعضهم عليهم أن يوثقوه ويربطوه ويحبسوه حتى يموت، وقال ثانٍ بل اقتلوه، وقال ثالث: نخرجه من بلادنا وننفِه. ثم اتفق رأيهم

أخيرًا على قتله، فأتاه الأمين جبريل عليه السَّلام من عند الله يخبره بمؤامرتهم وما عزموا عليه ويأمره بالهجرة وأن لا ينام ليلته على فراشه. فجاءت هذه الآية الكريمة المدنية تذكره ﷺ بنعمته تعالى عليه حيث أبطل مكر أولئك الكفرة وفضح أمرهم وخيَّب سعيهم ونجَّى نبيه ثم نصره عليهم وظفره بهم.

٣٢ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ
٣٣ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴾ الآية، فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ... ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٩/٣٧٨، ٣٧٩، ومسلم.

هذا من فرط جهل أولئك الكفار وشدة كفرهم وعنادهم وتهكمهم واستهزائهم، فبدل أن يسألوا الله الهداية استعجلوا العذاب، ولكن الله تعالى مع استحقاقهم للعذاب قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ... ﴾، وذلك إكرامًا له ﷺ، وقد جرت سنة الله في خلقه أن لا يعذب أمة ويستأصلها ونبيها بين ظهرانيهم، كما أنه لا يعذبهم وفيهم من يستغفر الله تعالى من المؤمنين، نعم عندما غادرهم وهاجر بلادهم ﷺ ولم يبقَ بينهم من يستغفر الله عزَّ وجل عذبهم، ولذا قال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ... ﴾. فهم لم يستحقوا نزول العذاب حتى أخرجوا نبي الله ﷺ، وتبعه من كان بها من المؤمنين المستغفرين، فعندئذٍ حلَّ بهم عقابه فجاءت غزوة بدر، ثم كانت النهاية فتح مكة المكرَّمة. والآية الكريمة جيء بها أيضًا تذكرةً للنبي ﷺ وللمؤمنين بما كان قد صدر من الكفار قبل الهجرة.

(٣٤) **قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾.**

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول جهارًا غير سر: «ألا إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

رواه البخاري في الأدب ١٣/ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ومسلم في الإيمان ٣/ ٨٧.

وعن رفاعة بن رافع رضي الله تعالى عنه قال: جمع رسول الله ﷺ قريشًا فقال: «هل فيكم من غيركم؟»، فقالوا: فينا ابن أختنا، وفينا حليفنا، وفينا مولانا، فقال: «حليفنا منا، وابن أختنا منا، ومولانا منا، إن أوليائي منكم المتقون».

رواه الحاكم ٢/ ٣٢٨، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

أولياء الله هم الذين والوا الله بطاعته... فوالاهم بألطافه وكراماته وهم المتقون. وفي الحديثين إرشاد للمؤمنين بأن يقطعوا علاقة ولايتهم وصداقتهم عن المخالفين في الدين، وأن يعلنوا البراءة من موادتهم وأن يخلصوا الولاية لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين الصالحين.

(٣٨) **قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.**

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما علمت يا عَمْرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله».

رواه مسلم في الإيمان ٢/ ١٣٧ مطولاً في قصة موت عمرو بن العاص.

في الآية والحديث بشارة عظيمة لمن أسلم من الكفار وترغيب أكيد في اعتناق الإسلام، حيث إنه تعالى يكفر عنهم كل ما سلف لهم من ذنوب

وأعظمها وأفحشها كفرهم، كما فيه فضل الحج والهجرة وأنهما يكفران ما سبق من آثام وفواحش، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٤١) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

عن رجل رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو بوادي القرى وهو يعرض فرسًا، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «لله خمسها، وأربعة أخماسها للجيش»، قلت: فما أحد أولى به من أحد؟ قال: «لا، ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم».

رواه البيهقي في الكبرى ٦/ ٣٢٤ بسند صحيح.

وعن عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ إلى بعير من المغنم، فلمَّا سلَّم أخذ وَبَرَة من جنب البعير ثم قال: «ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلاَّ الخمس، والخمس مردود فيكم».

رواه أبو داود ٢٧٥٥، والحاكم ٣/ ٦١٦، والبيهقي ٦/ ٣٣٩ بسند صحيح، وللحديث شواهد حسان سيأتي بعضها في سورة الحشر إن شاء الله تعالى.

لا خلاف بين المسلمين أن حكم الغنيمة التي تؤخذ من الكفار على أيدي المسلمين أنها تجعل خمسة أخماس، أربعة منها تقسم بين المقاتلين، والخمس الباقي يوزع بين المذكورين في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ . . .﴾ الآية. وقال بعض مفسري السلف: إن خمس الله ورسوله واحد يصنع فيه رسول الله ﷺ ما شاء وكذا خلفاؤه. وقد صح عنه ﷺ أنه كان يأخذ من الغنيمة الصفي أمة أو ما شاء يصطفيه لنفسه زيادة على سهمه من الخمس فيكون ذلك أبيح له بعد أن قال: ولا يحل لي من

غنائمكم مثل هذا إلاَّ الخمس. وسيأتي زيادة لهذا في سورة الحشر بحول الله تعالى وقوته إن شاء الله تعالى.

(٤٥) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾.

عن عبد الله بن أبـي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف...» الحديث، وسيأتي في سورة الأحزاب.

رواه البخاري في مواضع من الجهاد منها في باب لا تتمنوا لقاء العدو ٦/ ٤٩٧، ٤٩٨، ومسلم في الجهاد أيضًا رقم ١٧٤٢ وغيرهما.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله، فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت».

رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن أبـي حاتم ٥/ ١٧١١ وغيرهم، وأصله في الصحيح.

الآية الكريمة والحديثان تدل على وجوب الثبات والصبر عند التحام القتال مع ذكر الله عزَّ وجل والالتجاء إليه وسؤاله النصر والظفر بالعدو، وفي الحديثين النهي عن تمني لقاء العدو، فإن الامتحان صعب وطلب العافية أفضل من ذلك.

(٤٨) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مُدْلِج في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما اصطفَّ الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السَّلام إلى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده فولى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جار؟ قال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب. وذلك حين رأى الملائكة.

رواه ابن جرير ١٠/١٨، وابن أبي حاتم ٥/١٧١٥، والبيهقي في الدلائل ٣/٧٨، ٧٩ وغيرهم، وسنده حسن في الشواهد. والقصة وردت من طرق ومراسيل بعضها صحيحة. انظر: سيرة ابن هشام ١/٦١٢، وابن جرير ١٠/١٩، ٢٠، وابن أبي حاتم ٥/١٧١٦، والدر المنثور ٤/٧٨، ٧٩، وغيرهم.

هكذا يغر الشيطان أولياءه ثم يخذلهم أحوج ما يكونون إلى من ينصرهم، فهو من شأنه أن يعد أصحابه ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاَّ غرورًا، فها هو قد أتى كفار قريش في جيش له قد واعدهم أنه جار لهم يدافع عنهم ويقاتل هو وأصحابه دونهم، لكنه عندما شاهد ما لا طاقة له به من عظيم بطش الله فر هاربًا مع جنده وخذل أولياءه وتركهم ما بين صريع ومهزوم وأسير، وهكذا سيفعل يوم القيامة مع من أطاعه فيتبرأ منهم على رؤوس الأشهاد ويقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٦٠ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ .

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: « ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي ــ ثلاثًا ــ ».

رواه أحمد ٤/ ١٥٧، ومسلم في الإمارة ١٣/ ٦٤، وأبو داود ٢٥١٤، والترمذي في التفسير ٢٨٨٤، وابن ماجه ٢٨٨٣، والحاكم ٢/ ٣٢٨ وغيرهم، وزاد مسلم والترمذي: «ألا إن الله سيفتح لكم الأرض وستكفون المؤونة فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه»، غير أن مسلمًا أفردها حديثًا مستقلاً.

في الآية الكريمة والحديث الحض على اتخاذ القوة والاستعداد لقتال الكفار والتدرب على الأسلحة والرماية، وإن أعظم القوة هي الرمي.

وفي الحديث إشارة إلى الرمي بهذه القنابل والصواريخ الحالية، وأنها القوة الحقيقية لا غيرها من كثرة الجنود والأسلحة الخفيفة، فإن الرمي بهذه القنابل والصواريخ يكون بواسطة الطائرات، والدبابات البرية، والبواخر الحربية البحرية وغيرها مما لا تبقي ولا تذر، ويتولى شخص واحد أو اثنان. . . قتل الألوف من البشر وتدمير مدن بأتمها، فيجب على الدول الإسلامية إن وُجدتْ أن ينافسوا الكفار في اتخاذ هذه الأسلحة المتطورة المدمرة ويصنعوها بأيديهم ولا يكونوا عالة على غيرهم وذلك ليرهبوا بها أعداء الإسلام والذين من سائر الأمم والشعوب والأجناس، وأن يتدربوا على جميع الأسلحة الخفيفة والثقيلة وكل وسائل الحرب والجهاد.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ورجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل

ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر. . . » الحديث، وسيأتي بقيته في الزلزلة إن شاء الله تعالى.

رواه البخاري ١٠/ ٣٥٦ في الجهاد وغيره، ومسلم، وكذا أحمد، وغيرهم.

في الحديث فضل اتخاذ الخيل للجهاد في سبيل الله، وأن من أعدها لذلك كانت كل تصرفاتها أجور لصاحبها، كما فيه استحباب اتخاذها سترًا وتعففًا عن الناس، أما من اقتناها رياء وفخرًا فهي وبال عليه. وفي معنى الخيل المركوبات الحالية فإنما الأعمال بالنيات.

(٦٣) قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لمَّا أنزلت هذه الآية: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . . . ﴾ إلخ، قال: هم المتحابون في الله، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٢، وابن جرير ١٠/ ٣٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٧، والحاكم ٢/ ٣٢٩ وصححه ووافقه الذهبي. وعزاه النور ٧/ ٢٧، ٢٨ للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح غير جنادة بن سلم وهو ثقة، والصواب سلم بن جنادة كما عند البزار.

في الآية الكريمة امتنان من الله عزَّ وجل على نبيه ﷺ بما أيده

به من المهاجرين والأنصار حيث جمع قلوبهم على الإيمان وآخى بينهم وحببهم إلى بعضهم وألف بين قلوبهم بعدما كانوا متعادين متخاذلين متقاتلين.

(٦٥) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾. فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين!! ثم نزلت: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ... ﴾ الآية، فكتب أن لا يفر مائة من مائتين وزاد سفيان نزلت: ﴿ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ... ﴾ إلخ.

وفي رواية: لما نزلت ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾، شق ذلك على المسلمين حيث فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾، قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

رواه البخاري ٩/ ٣٨١، وابن جرير ١٠/ ٣٩ بالروايتين، ورواه أبو داود في الجهاد ٢٦٤٦ بالرواية الثانية.

والآية واضحة في وقوع النسخ، وكان ذلك هنا من الشدة إلى التخفيف رحمة بالعباد، فإن مقاومة رجل واحد لعشرة، وعشرين لمائتين، ومائة لألف شاق وصعب جدًّا وخاصة في وقت كان الحرب بالسيوف والحراب والنبال، ولذلك لما علم تعالى ضعفهم في ذلك خفف عنهم فجعل المائة بالمائتين والألف بالألفين.

(٦٧) قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
(٦٨) تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ
لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذ هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللَّهم أين ما وعدتني، اللَّهم أنجز ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا». قال: فما زال يستغيث ربَّه عزَّ وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله عزَّ وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾. فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عزَّ وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًا وعمر فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدًا. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريبًا لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عَقِيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله تعالى أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت: فأخذ منهم الفداء. فلمَّا كان من الغد، قال عمر: غدوتُ إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان، فقلت:

يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال: فقال النبي ﷺ: الذي عرض على أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة ــ لشجرة قريبة ــ وأنزل الله عزَّ وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم. فلمَّا كان يوم أُحُد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهُشِمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

رواه أحمد ١/ ٣٠، ٣١، ومسلم في السير ١٢/ ٨٤، ٨٥ مطولاً، وتقدم مختصرًا في صفحة ٣٧٠.

وفي الآية الكريمة نوع من العتاب للنبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء، وأنه لولا ما سبق من حكم الله في أزله بإحلال الغنائم لهم وأخذ الأسارى لأصابهم عذاب عظيم فيما أخذوا من الفداء والأسارى، هذا معنى ما جاء عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، وهو الذي اختاره ابن جرير، والأحاديث الثابتة تؤيد ذلك.

وفي الحديث فضيلة لعمر رضي الله تعالى عنه حيث نزل القرآن بما أشار إليه من عدم أخذ الفداء، وإن رأيه كان صائبًا. وفي الحديث مشروعية الاستشارة مع أكابر أهل العلم والصلاح. وفيه دليل على أن النبي ﷺ كان يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم يأتي الوحي بالموافقة أو غيرها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لم تحل

الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ ــ الآية».

رواه أحمد ٢/ ٢٥٢، والترمذي ٢٨٨٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٢، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الكبرى ٦/ ٢٩٠ بسند صحيح على شرط مسلم وحسنه الترمذي وصححه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها وتخفيفًا، وخفف عنا لما علم من ضعفنا».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٢، وابن حبان ٧/ ١٤٩ بالإحسان بسند صحيح وأصله في الصحيحين. وفيه: «غزا نبي من الأنبياء»، فذكر الحديث وفي آخره: «فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا».

في الحديثين بيان لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، وأن الله عزَّ وجل أباح لنا الغنائم رحمة بنا وتخفيفًا علينا لما علم من عجزنا وضعفنا. وهذه من جملة الخصائص التي خص بها نبينا ﷺ وأمته المشرفة المرحومة.

﴿٧٠﴾ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال العباس: والله نزلت ــ يعني الآية ــ حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبدًا كلهم تاجر بمال في يده، مع ما أرجو من مغفرة الله جل ذكره.

أورده في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨، وعزاه لأوسط الطبراني وكبيره باختصار قال: ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

الآية الكريمة تشير إلى ما كان في نوايا العباس رضي الله تعالى عنه، فإنه كان من جملة الأسارى في بدر، ويقال: إنه كان مسلمًا وخرج إليها مكرهًا من طرف الكفار.

(٧٢) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾.

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة».

رواه أحمد ٤/ ٣٦٣، والطبراني في الكبير ٢/ ٣١٤، ٣١٦، والحاكم ٤/ ٨٠، ٨١، وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال، وعزاه النور ١٠/ ١٥ لأحمد والطبراني، قال: بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى رقم ٥٠١١، والطبراني في الكبير ١١/ ٢٣٠، والبزار من حديث ابن مسعود، قال النور في المجمع ١٠/ ١٥: وفيه عاصم بن بهدلة وفيه خلاف وبقية رجال البزار رجال الصحيح.

في الآية الكريمة بيان أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض، وقد كانوا كذلك رضي الله تعالى عنهم أيام النبوة وحياة الصديق والفاروق وطرفًا من أيام عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى جاءت الفتنة... وهكذا كان الحال في بقية الصحابة من مسلمة الفتح وهم الطلقاء والعتقاء من ثقيف... فالكل كانوا بعضهم أولياء بعض شأن كل المؤمنين.

(٧٣) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافرًا، ولا كافر مسلمًا ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

رواه الحاكم ٢/ ٢٤٠ وصححه ووافقه الذهبي وهو في الصحيحين بلفظ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»، وأوله عند أهل السنن من حديث ابن عمرو وحسنه الترمذي وصححه.

في الآية والحديث وجوب قطع علاقة الولاية والإرث بين المسلم والكافر، وأن الكافرين بعضهم أولياء بعض كالمؤمنين مع بعضهم بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ، معناه: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وقعت فتنة في المجتمع واختلاط المؤمنين بالكافرين وينشأ عن ذلك فساد عريض.

وهذه الآية الكريمة من معجزات القرآن، فإن المسلمين لما والوا الكفار واختلطوا بهم وتشبهوا بمظاهرهم وأخلاقهم حصلت فتنة عظيمة في الدين وانتشر الفساد بما لم يتقدم له مثيل، وتميَّع الناس وأخلدوا إلى الشهوات المحرمة وانخلعوا من كل خلق كريم وأصبحوا كالبهائم، وصاروا لا يفرق بين من ينتمي للإسلام وبين الكافر الأصلي، فذابت شخصية المسلم في شخصية الكافر سواء منهم الذكر أو الأنثى.

٧٥ قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فجعلوا يتوارثون بذلك حتى نزلت: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ...﴾ إلخ، فتوارثوا بالنسب.

رواه الطبراني في الكبير ١/ ١١٧٤، قال في المجمع ٧/ ٢٨: ورجاله رجال الصحيح.

لما هاجر النبي ﷺ وأصحابه آخى بينهم وبين الأنصار وكانوا يتوارثون فيما بينهم حتى نزلت الآية، فنسخ ذلك وخص الإرث بالنسب أو ما يتبعه من المصاهرة وولاية الرق، وهذا مما لا خلاف فيه.

وهذا آخر تفسير سورة الأنفال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّوْبَةِ ﴾

«براءة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور المدنية، وهي آخر ما نزل من السور الطوال، نزلت في السنة التاسعة، مرجع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وقد يجعلها بعضهم سورة واحدة مع ما قبلها ويستدلون بالحديث الذي سنورده عن سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه فيما يأتي. وآياتها مائة وتسع وعشرون آية.

وأهدافها التشريع الإسلامي وخاصةً الشؤون السياسية، والجهاد في سبيل الله والحض عليه، والاستنفار لقتال أعداء الدين، وبعض أحكام السياسة الخارجية، ثم التحدث عن المنافقين وكشف عوراتهم وما فعلوه وقاموا به من أدوار ومكر وكذب... في غزوة تبوك، والكلام عليهم أخذ معظم السورة.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص ليست بالقليلة وتتجلى في الآتي:

١ ــ قطع العلاقات والعهود مع المشركين والبراءة منهم إلَّا من استثني، آيات ١ ــ ١٥.

٢ ـ الأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر بالبراء من المشركين، آية ٣.

٣ ـ ثبوت أُخوَّة الدين لمن آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة، آية ١١.

٤ ـ قتل وإعدام كل من طعن في دين الإسلام، آية ١٢.

٥ ـ ذكر بعض صفات من يعمر مساجد الله، آية ١٨.

٦ ـ ذكر سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ومقارنتهما بالإيمان، آية ١٩.

٧ ـ وجوب تقديم محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله على الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارات والمساكن، آية ٢٤.

٨ ـ امتنان الله عزَّ وجل على الصحابة بنصره إياهم في مواطن وغزوات ومنها يوم حنين، آية ٢٦.

٩ ـ وجوب منع المشركين من دخول المسجد الحرام، آية ٢٨.

١٠ ـ وجوب قتال أهل الكتاب حتى يؤدوا الجزية، آية ٢٩.

١١ ـ بيان ما سلكه أهل الكتاب من اتخاذهم أحبارهم. . . أربابًا من دون الله، آية ٣١.

١٢ ـ وعيد مانعي الزكاة وأن أموالهم ستنقلب صفائح يُكْوَوْن بها، آيتان ٣٤، ٣٥.

١٣ ـ بيان عدد شهور العام الشرعي والحُرم منها، آية ٣٦.

١٤ ـ بيان النسيء الذي كان يفعله أهل الجاهلية في الشهور، آية ٣٧.

١٥ ـ ذكر آية الهجرة النبوية الخالدة وما وقع فيها من معجزات، آية ٤٠.

١٦ ـ ذكر المنافقين والكلام عليهم وكشف عوراتهم وفضحهم، من آية ٤٢ إلى ١١٠.

١٧ ـ عتاب الله نبيه ﷺ على إذنه لمن استأذنه من المنافقين، آية ٤٣ .

١٨ ـ بيان مصاريف الزكوات والصدقات، آية ٦٠ .

١٩ ـ بيان أن الخوض واللعب في القرآن وفي الألوهية وفي الرسول كفر وإن كان عبثًا، آيتان ٦٥، ٦٦ .

٢٠ ـ من صفات المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وخلف الوعد، آيات ٧٤ ـ ٧٧ .

٢١ ـ النهي عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا، آية ٨٤

٢٢ ـ اعتذار المنافقين عن تخلفهم عن تبوك بالكذب، آيات ٩٤ ـ ٩٦ .

٢٣ ـ الثناء العاطر من الله تعالى على المهاجرين والأنصار، آية ١٠٠ .

٢٤ ـ ذكر مسجد الضرار الذي بناه المنافقون تفريقًا بين المسلمين، آيتان ١٠٧ ـ ١١٠ .

٢٥ ـ بيان المسجد الذي أسس على التقوى والثناء على أهل قباء، آية ١٠٨ .

٢٦ ـ شراء الله عزَّ وجل من المؤمنين بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالجنة وأنه وعد منه تعالى في التوراة والإنجيل والقرآن، آية ١١١ .

٢٧ ـ منْع المؤمنين من الاستغفار للمشركين، آية ١١٣ .

٢٨ ـ ذكر قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، آية ١١٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
(٢) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾
(٣) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ
فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

تقدم في النساء ص ٢٦٠ حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وهو عند الشيخين كما تقدَّم. وهذه الآخرية قيل فيها: إن المراد بعض السورة ومعظمها، لأن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ، ولا خلاف أن أولها نزل سنة تسع عام حج الصدِّيق رضي الله تعالى عنه كما يأتي.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وخشيت أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم اللّٰه الرَّحمن الرَّحيم ووضعتها في السبع الطوال.

رواه أحمد رقم ٣٩٩، ٤٩٩، وأبو داود والترمذي ٢٨٨٧، وابن حبان والحاكم ٢/ ٢٢١، ٣٣٠، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٤٢، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث بين لنا وجه عدم وجود البسملة في أول هذه السورة مع الإجماع على وجودها ووضعها في أول كل سورة، والله تعالى أعلم فإن في الحديث كلامًا لبعض العلماء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك

الحجة في مؤذنين يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبـي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان إلاّ الذين عاهدتم من المشركين.

وفي رواية: ويوم الحج الأكبر يوم النحر، والحج الأكبر الحج. وفي رواية: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله وأمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله.

رواه البخـاري ٩/ ٣٨٧، ٣٩٠ وغيـره، ومسلـم فـي الحـج ٩/ ١١٥، ١١٦، وأبو داود ١٩٤٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٣، والرواية الثانية لأبـي داود، والثالثة للنسائي وسندهما صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث النبـي ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه عليًا، فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء، فخرج أبو بكر فزعًا فظنَّ أنه رسول الله ﷺ فإذا علي، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر عليًا أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فانطلقا فحجا فقام علي أيام التشريق فنادى ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفنَّ بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلاّ مؤمن، وكان علي ينادي فإذا عيـي قام أبو بكر فنادى.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٩١ بسندٍ صحيح.

وعـن أنـس رضـي الله تعـالـى عنـه قـال: بعـث النبـي ﷺ ببـراءة مـع أبـي بكر ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلاّ رجل من أهلي، فدعا عليًا فأعطاه إيّاه.

رواه الترمذي ٢٨٩٠ بسندٍ صحيح على شرط مسلم.

وعن زيد بن يُثَيْع قال: سألنا عليًا بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلاَّ نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا.

رواه أحمد ١/ ٣، وعبد الله في الزوائد ١/ ١٥٠، ١٥١، والترمذي ٢٨٩٢ من طرق صحيحة.

في هذه الأحاديث أمور نجملها في الآتي:

أولاً: فيها بيان أن السنة التاسعة من الهجرة كانت الفاصل بين المشركين وبين دخول الحرم المكي الشريف، والمنع البات من الطواف بالبيت مع العري كما كان الحال أيام الجاهلية.

ثانيًا: قطع العلاقة بين الله ورسوله وبين المشركين.

ثالثًا: بيان أن الذين تولوا الإعلام بهذه البراءة... هم الإمام عليّ والصديق وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم.

رابعًا: فيها بيان المدة المضروبة للمعاهدين وغيرهم، بيد أنه تعارض في ذلك حديث أبي هريرة في رواية النسائي مع حديث الإمام علي الذي رواه الترمذي، فإن الأول ينصّ على أن الأربعة الأشهر هي مدة لمن كان لهم عهد، بينما حديث الإمام يخبر بأنها أمد وأجل لمن لم يكن لهم عهد، ولذلك اختلف العلماء في ذلك فرجح كل فريق قولاً ظهر له أنه الحق، لكن المحققين رجحوا حديث علي وحكموا على حديث أبي هريرة بوهم قد حصل فيه، وممن قال بهذا ورجحه ابن جرير وتبعه ابن كثير وغيره، وإن كان ظاهر سياق الآية الكريمة يقتضي القول الآخر، والله تعالى أعلم.

خامسًا: فيها بيان يوم الحج الأكبر وأنه يوم النحر وقد جاء بذلك

حديث لعلي عن الترمذي، وجاء في حديث أبي الأحوص في خطبته ﷺ يوم النحر، وسمي ذلك اليوم بالحج الأكبر لأن أغلب المناسك تؤدى فيه، كرمي جمرة العقبة، ونحر الهدايا، والحلق، وطواف الإفاضة.

(٥) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلاَّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

رواه أحمد ٣/ ١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، والبخاري في استقبال القبلة ٢/ ٤٢، ٤٣، وأبو داود ٢٦٤١، والترمذي ٢٤٢٧ في الإيمان، والنسائي فيه ٨/ ٩٦، وفي تحريم الدم ٧/ ٧٠ وغيرهم بألفاظ.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله».

رواه البخاري في الإيمان ١/ ٨٢ وغيره، ومسلم فيه أيضًا ١/ ٣١٢ وغيرهما. والحديث متواتر وارد عن جماعة من الصحابة وقد أفرد بالتأليف.

الحديثان موافقان للآية الكريمة، والمراد بالناس في الحديثين غير أهل الكتاب، فالواجب بعد دعوتهم إلى الإسلام إما دخولهم فيه وإما أن يقاتلوا، فإن اختاروا الإسلام وجب تخليتهم وكانوا وقته إخوة لنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وأصبحت دماؤهم وأموالهم محرمة ومحقونة إلاَّ بحق لا إلـه إلاَّ الله فيقاتلون كمن ترك الصلاة مثلاً أو امتنع من أداء الزكاة أو أتى حدًا يوجب قتله...

(١٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلاَّ ثلاثة، ولا من المنافقين إلاَّ أربعة، فقال أعرابي إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقُرون بيوتًا ويسرقون أعلاقنا، قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلاَّ أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده.

رواه البخاري في التفسير ٩/٣٩٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣٥٤، والسياق للأول.

أئمة الكفر: رؤساؤه سواء كانوا كفارًا خلصًا أم منافقين. وقوله: لا أيمان لهم أي لا عهد لهم، فهم كلما عاهدوا خانوا، وقوله: يبقُرون بضم القاف أي ينقبون. وقوله: أعلاقنا، أي نفائس أموالنا.

وقول حذيفة في الآية من قبيل المرفوع لأنه لولا ما كان عنده من علم عن النبي ﷺ بتعيين المنافقين لما تجاسر على نبز الأبرياء برأيه وحدسه، وقد كان رضي الله تعالى عنه ممن اختصَّ بعلم المنافقين كما هو معروف عنه. وأخذ العلماء رحمهم الله تعالى من الآية الكريمة وجوب قتل الطاعنين في الدين وشعائره ومقدساته، فإن كان مسلمًا اعتبر مرتدًّا، وإن كان معاهدًا اعتبر ناقضًا للعهد.

(١٨) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ... ﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/ ٧٦، والترمذي في الإيمان ٢٤٣٦، وفي التفسير ٢٨٩٣، وابن ماجه ٨٠٢، والحاكم ١/ ٢١٢، ٢١٣ وغيرهم، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم وهو وإن كان فيه أبو السمح عن أبي الهيثم، وروايته عنه ضعيفة، فإن لمعناه شواهد تقويه؛ فعن أنس رواه عبد بن حميد والبزار بلفظ: «إنما عمَّار المساجد هم أهل الله». وعن معاذ بن جبل رواه أحمد. وعن أبي الدرداء أنه كتب لسلمان: يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقي»، رواه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، والبزار وغيرهم، وانظر الدر المنثور ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.

الآية مع الحديث وشواهد ما في معناه تدل على أن من اعتاد المسجد للصلاة فيه والذكر والعلم كان مؤمنًا تقيًّا مهتديًا، وهذا مما لا شكَّ فيه، وقد جاء في حديث الصحيحين في السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه: ورجل قلبه معلق بالمساجد، ففي كلٍّ بشارة لرواد المساجد جعلنا الله تعالى بمنِّه وكرمه من أشرفهم وأفضلهم آمين.

١٩ قوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلَّا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلَّا أن أعْمُر المسجد الحرام، وقال آخر: والجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ـ وهو يوم الجمعة ـ، ولكن إذا صلَّيت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما

اختلفتم فيه، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ. . . ﴾ الآية.

رواه مسلم في الإمارة باب فضل الشهادة. . . إلخ ١٣/ ٢٥، ٢٦، وأبو داود وابن جرير.

الحديث يدل على أن الذين سووا بين سقي الحاج، وعمارة البيت، والجهاد، كانوا مسلمين، بينما ظاهر الآية يقتضي أنهم كانوا مشركين، ولذلك وبَّخهم وأنكر عليهم تسويتهم ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، ولذا لما نفى المساواة بين المؤمنين والمشركين ختم الآية بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ . . . ﴾ الآية، والله تعالى أعلم.

ومعنى الآية الكريمة: أجعلتم القيام بسقي الحجيج، وسدانة البيت ورعاية شؤونه، كإيمان من آمن بالله وما جاء به رسوله وجاهد في سبيل الله، فلا يستوي المشركون والمؤمنون، ولا أعمال الكافرين بأعمال الأبرار من المسلمين.

﴿٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

رواه أحمد ٣/ ١٠٣، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٨٨، والبخاري ١/ ٦٦، ٦٩، ومسلم ٢/ ١٣، والترمذي والنسائي كلهم في الإيمان.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»، وفي رواية: «أحب إليه من ماله وأهله».

رواه أحمد ٣/ ١٧٧، ٢٧٥، ٢٧٨، والبخاري ١/ ٦٥، ومسلم ٢/ ١٥ وغيرهم، ونحوه عن أبـي هريرة عند البخاري وعن عمر عنده أيضًا.

المراد بالحب في الحديثين الحب الإيماني وهو اتباع المحبوب لا الحب الطبيعي، فيقدم الله ورسوله على كل المحبوبات الطبيعية وهي المذكورات في الآية. وقوله: وأهله، هذه أعم وأشمل لأنه يدخل فيها الأم والإخوة والأخوات والخالات والعمات والأعمام والأخوال. والمال كل ما يتمولـه الإنسـان وأحبـه إلـى النـاس يختلـف بـاختـلاف الأزمـان والشعـوب والأقاليم. . .

وما في الحديثين ميزان شرعي يعرف به الإنسان مقدار إيمانه وحلاوته فـي قلبـه، فمـن فقـد ذلـك فليجـاهـد نفسـه وليحملهـا علـى التخلـق بـذلـك لكـي يـدرك هـذه المنزلـة العـزيـزة التـي تـدل علـى كمـال الإيمـان. وفـي الآية الكريمة تهديد شديد لمن قدم الدنيا على الله ورسوله ﷺ وآثر محبة السوى عليهما أي سوى الله ورسوله، لقوله آخر الآية: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ. . .﴾ الآية

(٢٥) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
(٢٦) بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قيل له: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إن هوازن كانوا قومًا رماة، فلما

لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يومئذٍ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام البغلة، ورسول الله ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

رواه البخاري في الجهاد ٦/ ٤١٥، وفي المغازي ٩/ ٩٢، ٩٣، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/ ١١٧، ١١٨ وغيرهما.

وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال: أخذ النبي ﷺ يوم حنين حصيات ثم رمى بها في وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد، فوالله ما هو إلاَّ أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبِرًا.

رواه مسلم في الجهاد ١٢/ ١١٣، ١١٧، والنسائي في الكبرى ٥/ ١٩٥، وأبو عوانة وغيرهم.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما غشوا رسول الله ﷺ يوم حنين نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانًا إلاَّ ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين.

رواه مسلم في الجهاد ١٢/ ١٢٢ مطولاً كسابقه.

قوله: حدهم كليلاً، أي قوتهم ضعيفة وكَلَّ السيف إذا ضعف حده ولم يقطع، فهو كليل. وقوله: شاهت الوجوه، أي قبحت الوجوه، والشوهاء من النساء القبيحة. . .

وجاءت الآية الكريمة يُذَكِّر بها الله عزَّ وجل الصحابة نعمه الكثيرة وفضله عليهم وأنه أيدهم ونصرهم وهزم أعداءهم في مواطن وغزوات كثيرة كبدر والخندق وقريظة والنضير وخيبر والفتح الأعظم. . وغيرها، وكذا يوم حنين حيث أعجبوا بكثرتهم ورغم ذلك لم تغن عنهم شيئًا حيث ولوا مدبرين

ثم نصرهم تعالى بتأييده وعونه لا بكثرة عددهم وعدتهم. وجاءت الأحاديث تبين بعض ما وقع لهم في هذه الغزوة وما صدر من حضرة النبي ﷺ من تلك المعجزة العظيمة حيث رماهم بالتراب فانهزموا وضعفوا وأبان فيها ﷺ عن شجاعة فاق بها الأبطال.

(٣١) قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾.

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه».

رواه الترمذي ٢٨٩٥، وابن جرير ١٠/ ١١٤، والبيهقي ١٠/ ١١٦ وغيرهم، وهو وإن كان فيه غُضَيْفٌ بن أعين وهو ضعيف فإن له شاهدًا عن حذيفة رواه ابن جرير ١٠/ ١١٤، وابن عبد البر في العلم ٢/ ١٠٩، والبيهقي ١٠/ ١١٦ بسندٍ صحيحٍ، فهو به حسن صحيح.

الوثن هو ما يعبد من دون الله تعالى، والمراد به هنا الصليب. والأحبار جمع حبر بفتح الحاء وكسرها، هو العالم. وقوله: الرهبان، جمع راهب وهو العابد المنقطع إلى الله تعالى.

وفي الآية الكريمة مع الحديث ذم تقليد العلماء والعباد في آرائهم من التحليل والتحريم بدون حجة من الله تعالى، وأن ذلك يعتبر نوعًا من الشرك، وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) ﴾

[يوسف: ٥٩]، وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ. . . ﴾ [النحل: ١١٦].

٣٣ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عزَّ وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ. . . ﴾ الآية، أن ذلك تام، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عزَّ وجل، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

رواه مسلم في الإيمان، وفي الفتن ١٨/ ٣٣.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها. . .» الحديث.

رواه مسلم في الفتن ١٨/ ١٣، ١٤.

زوى لي الأرض، أي جمعها لي. والهدى بضم الهاء وفتح الدال وألف مقصورة هو ما جاء به رسول الله ﷺ من الأخبار الصادقة والعلم النافع والإيمان الصحيح. ودين الحق هو توحيد الله عزَّ وجل، والأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة.

والآية صريحة في أن الله تعالى سيظهر دينه على سائر الأديان الأخرى الباطلة، وزاد ذلك إيضاحًا ما أخبر به ﷺ بأن ذلك سيكون ما شاء الله وأنه سيبقى ظاهرًا حتى يبعث الله الريح الطيبة التي ستقبض معها كل روح طيبة،

وذلك سيكون بعد موت عيسى عليه السَّلام، فعند ذلك يرجع الناس إلى دين الجاهلية. وقد صدق الواقع الآية وما في الحديثين، فانتشر الإسلام في المشارق وظهر على سائر الأديان، وها نحن أولاء الآن آخر الزمان رغم ضعف المسلمين ماديًا وروحيًا فالإسلام ظاهر منتشر في سائر المعمور، وسائر الأمم الكافرة ومن معها تخافه ويعملون جادين لمحاربته ومحاربة معتنقيه والداعين إليه وإلى تحكيمه، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد جاءت هذه الآية مكررة في ثلاث سور من القرآن: هنا في التوبة، وفي سورة الفتح، وفي آخر سورة الصف.

(٣٤) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعًا أقرع يفر منه صاحبه، ويطلبه أنا كنزك، فلا يزال به حتى يلقمه أصبعه».

رواه البخاري في الزكاة وفي التفسير ٩/ ٣٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٤، وكذا أحمد ٢/ ٢٧٩، ٣٥٥، وابن حبان رقم ٣٢٥٨ بالإحسان، والبيهقي ٤/ ٨١.

فسروا الكنز بكل مال لا تؤدَّى زكاته، ورد ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر وأبي هريرة مرفوعًا وموقوفًا. والشجاع الأقرع أخبث الأفاعي.

وفي هذا وعيد شديد لمن لا يزكي ماله، وأنه سيمثل له أفعى تطلبه وهو يفر ويتعوذ منها حتى تأخذه، وقد تقدم في سورة آل عمران بأنه سيطوق في عنقه شجاعًا فيأخذ بلحييه.

وعن زيد بن وهب رحمه الله تعالى قال: مررت على أبي ذر بالربذة،

فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾، قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلاَّ في أهل الكتاب، قال: قلت: إنها فينا وفي أهل الكتاب، إلى أن كان قول وتنازع، وكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إليَّ عثمان أن أقدم، فقدمت المدينة فكثر ورائي الناس كأنهم لم يروني قط، فدخلت على عثمان فشكوت إليه ذلك فقال: تنح وكن قريبًا فنزلت هذا المنزل، والله لو أُمِّر عليَّ حبشي ما عصيته، ولا أرجع عن قولي.

رواه البخاري في الزكاة ٤/ ١٦، ١٧، وفي التفسير ٩/ ٣٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٤، ٣٥٥.

في الحديث أن الآية الكريمة وإن كان سياقها في أحبار أهل الكتاب ورهبانهم فإنها شاملة لنا أيضًا بالأولى، وأن الحق في محاورة أبي ذر ومعاوية كان مع أبي ذر، وفيه وجوب طاعة الخليفة والانقياد لأوامره ما لم تكن معصية ومخالفة للحق.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ...﴾ إلخ، كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أفرج عنكم، فانطلق فقال: يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلاَّ ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم»، فكبَّر عمر، ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

رواه أبو داود في الزكاة ١٦٦٤، والحاكم ٤/ ٣٣٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وسنده حسن عند أبي داود.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ

ﭐلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ . . .﴾ الآية، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: نزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أيّ المال خير فنتخذه. فقال: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه».

رواه أحمد ٥/ ٢٧٨، ٢٨٢، والترمذي ٢٨٩٤، وقال: حسن صحيح وذلك لشواهده.

في الحديث الأول بيان أن الزكاة شرعت تطهيرًا وتطييبًا للأموال، وبالتالي تطهيرًا لأصحابها كما جاء في القرآن الكريم: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا . . .﴾ الآية، وفيها أن أفضل ما يملكه الإنسان في هذه الدار هو الإكثار من الذكر والشكر لله عزَّ وجل مع الزوجة المؤمنة الصالحة التي تساعده على دينه، وصفاتها: أن يُسَرَّ إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسها وماله وعياله إذا غاب عنها.

٣٥ قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلاَّ إذا كانت يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

رواه أحمد ٢/ ٢٦٢، ومسلم في الزكاة ٧/ ٦٤، ٦٨، وأبو داود ١٦٥٨، ١٦٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٨، وفي المجتبى وابن خزيمة ٢٢٥٢، وابن حبان رقم ٣٢٥٤ وغيرهم مطولاً.

وعن الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملإٍ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلَّم ثم قال: بشِّر الكانزين

برضف يحمى عليهم في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثَدْي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلَمة ثديه يتزلزل. ثم ولَّى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له: لا أُرى القوم إلاَّ قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئًا. وفي رواية: فقمت إليه فقلت: ما شيء سمعتك تقوله؟ قال: ما قلت إلاَّ شيئًا سمعته من نبيهم ﷺ. . . الحديث.

رواه البخاري ٤/ ١٧، ١٨، ومسلم ٧/ ٧٧، ٧٨، كلاهما في الزكاة، والرواية الثانية عند مسلم وهو عندهما مطولاً.

الرضف الحجارة المحماة. وقوله: نُغْض بضم فسكون: هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف، وقيل: هو أعلى الكتف.

وفي الآية والحديثين وعيد عظيم لمانعي الزكاة، وأنهم سيعذبون بأموالهم على كيفيات يعلمها الله تعالى. والذي كان يذهب إليه أبو ذر رضي الله تعالى عنه لم يوافق عليه، فإنه كان يحمل هذا الوعيد على العموم فكان يرى إمساك المال الفاضل ـ وإن زكي ـ مآل صاحبه العذاب، وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنَّة والإجماع.

(٣٦) **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».

رواه أحمد ٥/ ٣٧، ٧٣، والبخاري في بدء الخلق وفي التفسير ٩/ ٣٩٤، ومسلم ١١/ ١٦٧.

يخبر تعالى بأن عدد الشهور المعتد بها عنده في شرعه وحكمه هي اثنا عشر شهرًا هلالية على منازل القمر، وعليها تدور الأحكام الشرعية من صيام وحج وعدد النساء وغير ذلك، وقد كتب الله ذلك في الكتاب الإمام اللوح المحفوظ يوم خلق الله هذا العالم العلوي والسفلي، فكانت منها أربعة أشهر محرمة معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات ويحرم فيها القتال وهتك الحرمات وارتكاب ما حرم الله من الآثام، فذلك المذكور والمكتوب هو الدين المستقيم.

وقوله ﷺ: إن الزمان، أي السَّنَة. استدار: استدارة مثل حالته الأولى، أي وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل عندما يستوي الليل والنهار في فصل الربيع.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: كانوا ـ يعني الجاهلية ـ يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم، والتقديم والتأخير، لأسباب تعرض لهم، منها استعمال الحرب، فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهرًا غيره، فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل، فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله، فاتفق وقوع حجة النبي ﷺ عند ذلك.

٣٨ قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾.

عن المستورد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلاّ كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليَمّ فلينظر بما ترجع».

رواه أحمد ٤/٢٢٨، ٢٢٩، ومسلم في الجنة والنار ١٧/١٩١، والترمذي ٢١٤٣، وابن ماجه ٤١٠٨ كلاهما في الزهد.

قوله: ما الدنيا... إلخ، أي ما مثلها في الحقارة والتفاهة والقلة

بالنسبة للآخرة إلاَّ مثل ما يعلق في الأصبع من الماء إذا أدخلت البحر. ففي الآية والحديث التزهيد في هذه الحياة الزائفة.

(٤٠) قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾.

عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

رواه أحمد ١/ ٤، والبخاري في المناقب ٨/ ١١، وفي التفسير ٩/ ٣٩٥، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٤٩، والترمذي ٢٨٩٦، وابن جرير ١٠/ ١٣٦، وابن حبان ٦٢٧٨ وغيرهم.

وعن سالم بن عُبَيْد أن رسول الله ﷺ لما قبض قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: من له مثل هذه الثلاث: ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ من هما؟ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ من هو؟ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ من هما؟ ثم بسط يده وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٥، والترمذي في الشمائل رقم ٣٧٨، وابن خزيمة ١٥٤١، ١٦٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٠ وسنده صحيح عند بعضهم.

المراد بالصاحب هنا في الآية هو أبو بكر الصديق بالإجماع، وحديث سالم يصرح فيه عمر بأنه الصديق مما يدل على أنه كان عندهم معروفًا لا يختلفون في أنه المراد في الآية مع رسول الله ﷺ.

إنها لمنقبة عظيمة للصديق رضي الله تعالى عنه تتضاءل دونها كل

المناقب، ومرتبة تنحدر عن عُليا سمائها المراتب. قال النووي في قوله: ما ظنك... إلخ، معناه: الله ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد... إلخ. وقد ذكرت فضائله مستوفاة في فضائل الصحابة وهو مطبوع والحمد لله على توفيقه.

(٥٨) قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل. وفي رواية: اتق الله. وفي رواية: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فقال ﷺ: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحاباً». وفي رواية: «إن من ضئضىء هذا، أو: في عقب هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم...» الحديث.

ضئضىء هذا: أي أصله.

رواه أحمد ٣/ ٥٦، ٥٧، والبخاري في دلائل النبوة ٧/ ٤٣٠، وفي الأنبياء ٧/ ١٨٧، وفي المغازي ٩/ ١٣٠، ١٣١ وفي مواضع، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٦١، ١٦٧ وغيرهما.

هذا الحديث من أحاديث الخوارج المتواترة، وذو الخويصرة صاحب هذه المقالة الجائرة المقيتة كان منافقًا ورئيسًا للخوارج الذين قاتلهم الإمام علي رضي الله تعالى عنه. وهو هنا يعيب على النبي ﷺ ويلمزه في القسمة وينسبه إلى الجور والظلم. وقد ذكرت فوائد هذا الحديث مع أحاديث الخوارج في كتاب: «الأنوار الباهرة في فضائل الذرية الطاهرة».

(٦٠) قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾.

هذه الآية الكريمة جاءت مفصلة لمصاريف الصدقات، وقد جاءت في تفسيرها أحاديث:

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني إلاَّ لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لغارم، أو رجل اشتراها بماله، أو رجل له جار مسكين فَتُصُدِّق على المسكين فأهْدَى المسكين للغني، أو لعامل عليها».

رواه أحمد ٣/ ٣١، وأبو داود ١٦٣٦، وابن ماجه ١٨٤١، بسند صحيح، ورواه أبو يعلى أيضًا ١/ ٥٠٧.

وعن صفوان بن أمية، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وأنه أبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ.

رواه مسلم في فضائل النبي ١٥/ ٧٣، والترمذي في الزكاة ٥٨٩ بتهذيبي.

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن عليًا بعث إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير، وقال: «أتألفهم...».

رواه الشيخان وغيرهما، وهو رواية للحديث السابق في الخوارج.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال: «أعتق النسمة، وفك الرقبة»، فقال: يا رسول الله أوليستا واحدًا؟ قال:

«لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها» .

رواه أحمد ٤/ ٢٩٩، والطيالسي ٧٣٩، وابن حبان ٢/ ٣٧٤، والبيهقي ١٠/ ٢٧٢، ٢٧٣ وغيرهم، والحديث صحيح.

وعن قبيصة بن مخارق رضي الله تعالى عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»، قال: ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل لأحد إلاَّ لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. . .» الحديث.

رواه مسلم ٧/ ١٣٤، في الزكاة، وأحمد ٥/ ٦٠، ٣/ ٤٧٧، وأبو داود ١٦٤٠ وغيرهم.

وعن أبي سعيد قال: أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال النبي ﷺ: «تصدَّقوا عليه»، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال النبي ﷺ لغرمائه: «خذوا ما وجدتم وليس لكم إلاَّ ذلك».

رواه أحمد ٣/ ٣٦، ٥٨، ومسلم في البيوع ١٥٥٦، وأبو داود ٣٤٦٩، والترمذي في الزكاة ٥٧٩، والنسائي في البيوع وابن ماجه في الأحكام ٢٣٥٦، وابن حبان ٥٠٣٣.

الغارم هو من عليه دين، أو من تحمَّل عن غيره حقًّا. والعامل عليها هو الساعي والجابي للصدقة. والمؤلفة قلوبهم من هم حديثو عهدهم بالإسلام. وفك الرقبة هو المساعدة على تحريرها. وقوله في الحديث الآخر: «رجل تحمَّل حمالة»، معناه أن يتحمل شخص عن غيره حقًّا فلا يجد ما يؤدي به.

ففي هذه الأحاديث بيان للآية الكريمة، وإن ما فيها هم الذين يعطون من الزكوات وأنواع الصدقة، وما سواهم لا حظ لهم فيها، وإنما يأخذونه سحتًا محرمًا. وقد تركنا أحاديث هنا اختصارًا.

(٦٥) قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ
(٦٦) وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ
عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزئون...».

رواه ابن جرير ١٠/ ١٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٩، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور ٤/ ٢٣٠، وسنده صحيح، رجاله رجال الصحيح عند ابن أبي حاتم.

الآية الكريمة استدل بها العلماء على كفر من طعن في القرآن أو في الله أو في الرسول ولو كان عبثًا ولعبًا كما يفعله كثير من الناس اليوم فيسب الله والقرآن والرسول، ويكفر بذلك لعبًا ويظن في نفسه أنه لا زال من المسلمين وهو كافر من حيث لا يشعر، أعاذنا الله من ذلك.

(٧٢) قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين

القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» .

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٤٨، وفي التوحيد، ومسلم في الجنة رقم ٢٨٣٨ ويأتي في الرحمن إن شاء الله تعالى وهنالك بيانه .

في الآية والحديث بشارة للمؤمنين جعلنا الله تعالى من أفضلهم وأشرفهم .

(٧٤) قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) ﴾ .

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين وما قال رسول الله ﷺ، قال الجلاس: والله لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن أشر من الحمير قال: فسمعها عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليَّ أحسنهم عندي أثرًا أو أعزهم علي أن يدخل عليه شيء يكرهه، ولقد قلتَ مقالة لئن ذكرتُها لتفضحنَّك، ولئن سكتّ عنها لتهلكَنِّي، ولأحدهما أشرُّ علي من الأخرى، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مقال الجلاس، فحلف بالله ما قال، ولقد كذب علي، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ .

رواه ابن إسحاق ومن طريقه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣، وسنده حسن. وهو صحيح لشاهدين: عن زيد بن أرقم رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وعن ابن عباس رواه ابن جرير ١٠/ ١٨٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور ٤/ ٢٤١ وورد غير ذلك.

هذا من بقايا قول المنافقين، فهم وإن آمنوا ظاهرًا فكانوا من حين لآخر ينقضون ما زعموا من الإيمان ثم يزيدون كفرًا على كفرهم، فيحلفون

للرسول ﷺ إنهم ما قالوا شيئًا فيكفرون جهارًا، ثم يكذبون على الله وعلى رسوله ﷺ، ثم يؤكدون كذبهم بالحلف بالله فيحرزون بتصرفاتهم على سلسلة من الكفريات نعوذ بالله منهم، آمين. والكلام على المنافقين واسع وسيأتي بقية عنهم في سورة (المنافقون).

(٧٩) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

عن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ... ﴾ الآية.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ إذ أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف.

رواه البخاري ٤/ ٢٥، ومسلم ٧/ ١٠٥ كلاهما في الزكاة، ورواه البخاري في التفسير ٩/ ٤٠٠، ٤٠٢.

نحامل: أي نتكلف الحمل بالأجرة، وقوله: آية الصدقة، يعني قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً... ﴾ الآية.

وفي الآية والحديث ما كان عليه الصحابة من المسارعة إلى العمل بمقتضى الشريعة والإنفاق من أموالهم كل على حسبه من السعة والقلة. كما يدلان على سوء معاملة المنافقين لأهل الإيمان، وأن عادتهم الطعن واللمز وسوء الظن بالناس وأنه لا يسلم من شرهم مسلم...

(٨٠) قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً ﴾.

(٨٤) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما مات عبد الله بن أبـي ابن سلول دُعـي لـه رسـول الله ﷺ ليصلي عليه، فلمـا قـام رسـول الله ﷺ وثبـتُ إليـه وقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبـي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ اعدد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «أخِّر عني يا عمر»، فلما أكثرت عليه قال: «أما إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلاَّ يسيرًا حتى نزلت الآية من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾، قال: فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم.

رواه البخاري ٩/ ٤٠٦، والترمذي ٢٨٩٧ كلاهما في التفسير.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عبد الله بن عبد الله بن أُبـي إلى رسول الله ﷺ حين مات أبوه فقال: أعطني قميصك أكفنه، وصلِّ عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه، وقال: «إذا فرغتم فآذنوني»، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر، وقال: أليس قد نهى الله أن نصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين الخيرتين: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ »، فصلّى عليه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾، فترك الصلاة عليهم.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٨، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٦٧، والترمذي في التفسير ٢٨٩٨.

في الآيتين المنع من الاستغفار للمنافقين والصلاة عليهم وذلك لكفرهم بالله ورسوله وموتهم على ذلك فهم ليسوا بأهل للاستغفار

والاستشفاع لهم، وهكذا كل من كان كافرًا ومات عليه والعكس بالعكس، فمن عرفنا إسلامه ومات عليه صلينا عليه واستغفرنا له وإن كان أفسق الفاسقين.

وفي الحديثين فضل عمر رضي الله تعالى عنه وأنه كان ملهمًا موفقًا حتى نزل القرآن موافقًا لما صدر منه، وهذه إحدى موافقاته وهي كثيرة، وقد ذكرت بعض ما صح منها في فضائل الصحابة.

(٩١) قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ
(٩٢) وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا، ولا سرتم سيرًا إلَّا وهم معكم، حبسهم العذر».

رواه البخاري في الجهاد ٦/ ٣٨٧، وفي المغازي ٩/ ١٩٠، ومسلم في الإمارة باب من حبسه العذر عن الغزو ١٣/ ٥٧. عن جابر وفيه: «حبسهم المرض».

وقوله: إلَّا وهم معكم، يعني بأرواحهم ونياتهم، وليس معناه هم معكم بأجسامهم.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من الأشعريين أستحمله فقال: «والله لا أحملكم، ما عندي ما أحملكم»، ثم لبثنا ما شاء الله فأتي بإبل فأمر لنا بثلاث ذود، فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض: لا يبارك الله لنا، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف لا يحملنا فحملنا، فقال أبو موسى: فأتينا النبي ﷺ فذكرنا ذلك له فقال:

«ما أنا حملتكم بل الله حملكم، إنني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلاّ كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير».

رواه أحمد ٤/٣٩٨، ٤٠٤، والبخاري ١٤/ ٤١٦، ٤١٧، ومسلم ١١/ ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، وأبو داود والنسائي كلهم في الأيمان والنذور، ورواه البخاري أيضًا في المغازي ٩/ ١٧٥.

في الآيتين والحديثين بيان أن صاحب العذر من مرض ونحوه لا حرج عليه ولا إثم في تخلفه عن الجهاد ونحوه من التكاليف الشرعية إذا كانت نيته صادقة، وأنه يكون مشاركًا في الأجر لمن خرج وعمل. وفي الحديث الثاني مشروعية التكفير على اليمين لمن حلف على شيء فرأى غير ما حلف عليه خير منه فحنث، وهذا ما لا خلاف فيه.

(٩٥) قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾
(٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: والله ما أنعم الله عليَّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الوحي: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ٩/ ٤١٠ وغيره، ومسلم وغيره ويأتي قريبًا مطولاً.

الآية الكريمة نزلت في المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وجاءت تخبر بكذبهم على رسول الله ﷺ وتأكيده بحلفهم الغموس، وتسجل عليهم

الشقاء الأبدي والعذاب الخالد لأنهم قوم رجس فاسقون مغضوب عليهم.

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

عن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم رؤيا» فيقص من شاء أن يقص، وأنه قال لنا ذات يوم: «إنه أتاني آتيان الليلة وإنهما ابتعثاني فقالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما فانتهينا إلى مدينة مبنية بلَبِن ذهب وفضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلنا فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، فقال لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا هو معرض يجري، كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، وصاروا كأحسن صورة، فقالا لي: هذه جنة عدن، وذلك منزلك، فبينما بصري صَعُدًا فإذا قصر، قالا لي: هذا منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني أدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله، فقال القوم الذين كان شطرًا منهم حسن، وشطرًا منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فتجاوز الله عنهم».

رواه البخاري في مواضع مطولاً ومختصرًا في التفسير ٩/ ٤١١، وفي التعبير ١٦/ ٩٩، ١٠٦، ومسلم فيه ١٥/ ٣٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٨، والترمذي في الرؤيا، وغيرهم.

في الحديث الشريف تفسير للآية الكريمة، وأن المراد بالقوم الذين كانوا نصفهم قبيحًا أسود والنصف الآخر حسنًا أبيض هم الذين كانوا في الدنيا مخلطين وكانت أعمالهم مزيجًا من الحسنات والسيئات. وفي ذلك بيان فضل الله ورحمته وشمول مغفرته، وإن من خلط عمله الصالح بالعمل السيِّـىء ومات على ذلك بدون توبة فسوف يعفو الله عزَّ وجل عنه وخاصة إذا كانت حسناته أكثر من سيئاته.

(١٠٣) **قوله تعالى:** ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أُتي بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللّٰهم صلِّ على آل أبي أوفى».

رواه أحمد ٤/ ٣٨٢، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٨٤ وهو من آخر الزكاة.

في الآية والحديث مشروعية الدعاء لمؤدي الزكاة، واستدل بالحديث من أجاز الصلاة استقلالاً على غير الأنبياء، وفي ذلك خلاف وتفصيل للعلماء.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾، أي رحمة لهم، كذا قال ابن عباس.

(١٠٤) **قوله تعالى:** ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيُرَبّيها لأحدكم كما يُرَبّي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصديق ذلك في كتاب الله عزَّ وجل: ﴿ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ . . . ﴾ إلخ، و ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]».

رواه الترمذي في الزكاة ٥٨٧ بتهذيبي وهو في الصحيحين بمعناه وبدون ذكر الآيتين، وانظر ما سبق في تفسير ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والمهر هو الفصيل الصغير من الإبل، وفي الحديث فضل الصدقة وأن الله عزَّ وجل ينميها لصاحبها حتى تصير أضعاف أضعاف ما تصدق به، وقوله: ويأخذه بيمينه، هذا من أحاديث الصفات والواجب فيه وفي أمثاله عدم التعرض له بالتأويل مع نفي التشبيه.

(١٠٨) قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا».

رواه أحمد ٣/ ٨/ ٢٣، ٢٤، ٩١، ومسلم آخر الحج ٩/ ١٦٨، ١٦٩، والترمذي ٢٩٠، ٢٨٩٩، والنسائي ٦/ ٣٥٩ وغيرهم، زاد الترمذي وفي ذلك خير كثير.

والحديث نص في أن المسجد المؤسس على التقوى هو المسجد النبوي الشريف، ولا شك أنه كذلك بالأولى والأحرى من غيره.

غير أن سياق الآية الكريمة إنما هو في معرض مسجد قباء، ولهذا قال بعده: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا...﴾ الآية، وهؤلاء هم سكان قباء.

فعن أبي أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم أن هذه الآية لما نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم؟»، قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء، قال: «فهو ذاك فعليكموه».

رواه ابن ماجه ٣٥٥، والحاكم ١/ ٥٥، ٢٤/ ٣٣٤، والبيهقي ١/ ١٠٥. قال الحاكم: هذا حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة ووافقه الذهبي وحسنه الزيلعي في نصب الراية ١/ ٢١٩. والحديث صحيح لشواهده عن جماعة، منهم عُوَيْم بن ساعدة، رواه أحمد ٣/ ٤٢٢، والحاكم ١/ ١٥٥ صححه الحاكم والذهبي، وعن أبي هريرة رواه أبو داود ٤٤، والترمذي في التفسير ٢٩٠٠، وابن ماجه ٣٥٧، وهو حسن في الشواهد، وعن ابن عباس رواه الحاكم ١/ ١٨٧ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه النور في المجمع ١/ ٢١٢، وفي الباب غير ذلك. فالحديث صحيح خلافًا لمن ضعفه بإطلاق.

وفي الآية والحديث فضل الاستنجاء بالماء وأن الله يحب المتطهرين، وإنما خص الله تعالى أهل قباء بذلك لأن عادة العرب في الجاهلية وفي الإسلام كانوا يكتفون بالاستنجاء بالحجارة، بينما هؤلاء الأنصار كانوا يستعملون الماء أو يجمعون بينهما كما هو الأفضل، فنوَّه الله عزَّ وجل بهم وأثنى عليهم.

(١١٣) قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) ﴾.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبـي أمية، فقال النبـي ﷺ: «أي عم قل لا إله إلاَّ الله أُحَاجُّ لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبـي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبـي ﷺ: «لأستغفرن لك الله ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ إلخ.

رواه البخاري في الجنائز وفي الأيمان والنذور وفي التفسير ٩/ ٤١١، وفي المناقب، ومسلم في الإيمان ١/ ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٥٩ وفي المجتبـى وغيـرهـم. وزادوا فـي روايـة: ونـزلـت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]. وستأتي في القصص إن شاء الله تعالى.

والحديث نص في أن أبا طالب لم ينطق بكلمتي الشهادة، وقد جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث العباس وغيره: «أنه في ضحضاح من النار». وفي رواية: «له نعلان يغلي منهما دماغه». وفي كل ذلك رد على الشيعة الروافض الذين يزعمون أنه مات مؤمنًا. وكم كنا نتمنى أن يكون كذلك ولكن الله عزَّ وجل يفعل ما يشاء وله في ذلك الحكمة البالغة. وفي الآية والحديث المنع من الاستغفار للكفار وأهل الشرك ولا خلاف في تحريم ذلك، وإنما يجوز الدعاء لهم بالهداية والتوفيق أيام حياتهم.

﴿١١٧﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ
﴿١١٨﴾ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
﴿١١٩﴾ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه حدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال: فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخًا أوفى على أعلى جبل بأعلى صوت: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج، وأذَّن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشرونا، وذهب قبل صاحبَيَّ مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا وسعى ساع من أسلم فأوفى على جبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته بشرني نزعت ثوبي فكسوته إياهما بشارة، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة يقولون: لِتهْنِئْك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالسًا حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، ووالله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور قال: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، فقلت: من عندك يا رسول الله أو من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلمَّا جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي

صدقة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قلت: يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلاَّ صدقًا ما بقيت، فوالله ما أحد من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾. فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام بأعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الله الوحي بِشَرٍّ ما قال لأحد: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾. قال كعب: وكنا خُلِّفْنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فلذلك قال الله عزَّ وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾، وليس الذي ذكر الله تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

رواه البخاري في أكثر من ستة مواضع في الجهاد، وفي الوصايا، وفي الأيمان والنذور، وفي الأحكام، وفي التفسير ٩/ ٤١٢، ٤١٣، ومسلم في التوبة ١٧/ ٨٧، ٩٧، وأبو داود ٢٣١٧، والترمذي ٢٩٠٢، والنسائي ٦/ ٣٦٠ كلاهما في التفسير وغيرهم مطولاً ومختصرًا.

هذا حديث عظيم، وقد جاء مطولاً في بعض روايات الصحيح وفيه فوائد وأحكام وآداب، وجاء مبينًا لأول الآيات المذكورة وما حصل لكعب راويه وصاحبيه من تخلفهم عن غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة، ومقاطعة النبي ﷺ وأصحابه إياهم حتى نزلت توبتهم.

أما معاني الآيات فقال المفسرون: تاب الله على النبي من إذنه للمنافقين في التخلف، وتاب على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في غزوة تبوك، حيث تباطأ بعضهم وتثاقل عن الجهاد آخرون. قالوا: والغرض هو التوبة على من تخلفوا من المؤمنين عن هذه الغزوة ثم تابوا وأنابوا وعلم الله صدقهم في توبتهم فقبلها منهم، وصدرها بتوبته على رسوله وكبار صحابته جبرًا لقلوبهم، وتنويهًا لشأنهم، وبعثًا للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلاّ وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار.

وغزوة تبوك كانت آخر غزوات النبي ﷺ، وجاءت في أيام الشدة مع طول المسافة والزمان وكثرة العدو، وغاب النبي ﷺ مع أصحابه فيها قرابة شهرين، وحصل فيها من الأحداث والوقائع الشيء الكثير، وكان معه فيها جماعة من المنافقين كانت لهم اليد السوداء في الخبال والسعي بالإفساد، والفتك بالنبي ﷺ حتى إنهم تآمروا على رميه من جبل، ولذلك كانت هذه السورة الكريمة ــ وهي من أواخر ما نزل ــ أكثرها تحدثًا عن المنافقين وأحوالهم وعجرهم وبجرهم، وما صدر منهم في هذه الغزوة بالذات.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة التوبة، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه.

* * *

﴿ سُورَةُ يُونُسَ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من جملة السور المكية وهي بداية السور المكية الأربع عشرة المتوالية من هنا إلى نهاية سورة (المؤمنون)، وهي تهتم بجانب العقيدة والكلام على الألوهية وصفات الله ودلائل توحيده وما يتبع ذلك من الكلام على الرسالة والكتب السماوية . . . وآياتها تسع ومائة.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائصها ما يلي :

١ ــ ذكر آية تدل على وجوب الفرح بفضل الله ورحمته دون ما سوى ذلك من الدنيا، آية ٥٨ .

٢ ــ فيها آية عظيمة تعلم المسلم مراقبة الله عزَّ وجل : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ . . . ﴾ إلخ، آية ٦١ .

٣ ــ ذكر آية الأولياء وصفاتهم وفضلهم، ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ . . . ﴾ إلخ، آيات ٦٢ ــ ٦٤ .

٤ ــ ذكر دعوة موسى على فرعون وقومه واستجابة الله تعالى له ولأخيه هارون وأمره تعالى لهما بالاستقامة . . . ، ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ . . . ﴾ إلخ، آيتان ٨٨، ٨٩ .

٥ ـ ذكر قوم يونس وما خصّهما الله تعالى به من رفع العذاب عنهم بعد أن كاد يعاجلهم به، آية ٩٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١١) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ .

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيه عطاء فيستجاب لكم» .

رواه مسلم في الزهد ١٨/ ١٣٩، وأبو داود في أبواب الوتر رقم ٥٣٢، وابن حبان ٢٤١١ بالموارد واللفظ لأبي داود.

في الحديث الشريف النهي عن دعاء الإنسان على نفسه أو أهله أو ماله؛ فربما وافق الاستجابة فينزل به ما يسوءه وهذا هو مضمون الآية الكريمة، فإن الله عزَّ وجل بلطفه بعباده لا يستجيب لهم في الشر كاستجابته لهم في الخير، ولو فعل ذلك في الأمرين معًا لأهلكهم، وفي ضمن ذلك ذم الدعاء بالشر، ولذلك قال مجاهد وغيره في الآية: هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه: اللّٰهم لا تبارك فيه والعنه . . .

(١٤) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء» .

رواه أحمد ٣/ ١٩، ٢٢، ٦١، ٨٤، ومسلم ١٧/ ٥٤، ٥٥، وابن ماجه ٤٠٠٠، والبيهقي ٧/ ٩١ .

حلوة بضم الحاء، وخضرة بفتح ثم كسر، ومعناه أن النفوس تستحليها وتحبها كما تحب الخضرة وغيرها من مظاهر الجمال. وقوله مستخلفكم: معناه سيجعلكم خلفاء فيها عمن سبقكم لينظر هل تقومون بحقها أم تغترون بها وتنساقوا وراءها.

فالآية والحديثان يدلان على أن الإنسان ابتلي بالاستخلاف في هذه الأرض عمن سبقه لينظر ماذا سيفعل، هل سيستقيم أم ينحرف ويعوج. ولذلك حذرنا النبي ﷺ من الدنيا والنساء وأمرنا بالتحفظ من فتنتهما ــ وهي عظيمة وعظيمة ــ وأخبر بأن أول فتنة بني إسرائيل جاءت من قبل النساء. وانظر لهذا الموضوع: «المرأة المتبرجة» لكاتبه.

(٢٥) قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جَنبَتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جَميعًا ولا تَعْوَجُّوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد أحدكم أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تلجه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على باب الصراط كتاب الله عزَّ وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». وفي رواية: وداع يدعو من فوقه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾.

رواه أحمد ٤/ ١٨٢، ١٨٤، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٠ وحسنه، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦١ والحاكم وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ضَرَب الله: أي بيَّن. والمثل تصوير شيء خفي بأمر جلي والغائب بالشاهد. واعظ الله: هو ما يسمى بلمَّة الملك. والحديث يدل على أن طريق الله عزَّ وجل واضح لا لبس فيه ولا غموض، وأن الله عزَّ وجل هو الذي يوفق من يشاء من عباده فيهديه إليه. وهذا المثل من الأمثال العجيبة الرائقة.

(٢٦) قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، قال: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ، وأهلُ النار النارَ، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويُجِرْنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم».

رواه أحمد ٤/ ٣٣٢ و ٦/ ١٥، ومسلم في الإيمان ٣/ ١٧، وأبو عوانة في صحيحه ٤١١، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٢٩، وفي التفسير ٢٩٠٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦١، ٣٦٢، وابن ماجه ١٨٧ في المقدمة.

قوله: فيكشف الحجاب، أي عن أهل الجنة. والحديث صريح في تفسير الزيادة بأنها النظر إلى الله عزَّ وجل، أما الحسنى فهي هنا الجنة، كما أنه صريح في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة والأحاديث بذلك متواترة عن رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك أهل السنة، وأنكرها المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والشيعة وسيحرمون منها... أما نحن فنرجو الله عزَّ وجل بمنه وكرمه وإفضاله أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه المقدس.

(٦٢) قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سُئِل رسول الله ﷺ: مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٢، وابن المبارك في الزهد ٢١٧، والطبراني في الكبير ١٢٣٢٥، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ٢٣١ وسنده حسن ولا يعل بمن أرسله.

وللحديث شواهد، منها عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنهما أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عزَّ وجل، ألا أخبركم بشراركم»، قالوا: بلى، قال: «فشراركم المفسدون بين الأحبة المشاؤون بالنميمة، الباغون البرآءَ الْعَنَتَ».

رواه أحمد ٦/ ٤٥٩، وابن ماجه ٤١١٩، وعبد بن حميد في المنتخب ١٥٨٠، قال البوصيري في المصباح: هذا إسناد حسن، شهر وسويد مختلف فيهما وباقي رجاله ثقات. ومنها عن عمرو بن الجموح عند أحمد ١/ ٤٣٠، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٦، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء رقم ١٩. ومنها عن عبد الرحمن بن غنم عند أحمد ٤/ ٢٢٧، فالحديث لذلك صحيح خلافًا لمن طعن فيه وضعفه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العباد عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور يعني على منابر من نور، لا يخافون إن خاف الناس، ولا يحزنون إن حزن الناس»، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ. . .﴾ إلخ.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٢، وأبو يعلى ٦١١٠، وابن حبان ٥٧٣ بالإحسان، وابن جرير ١١/ ١٣٢، وسنده صحيح. وله شاهد عن عمر رضي الله تعالى عنه رواه أبو داود ٣٥٢٧، والطبراني في التفسير ١١/ ١٣٢، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥، وجوده ابن كثير لكنه منقطع ولا يضر. وله شاهد ثان عن أبي مالك الأشعري رواه أحمد ٥/ ٣٤١، ٣٤٣، وابن المبارك في الزهد ٧١٤، وأبو يعلى ٦٨٤٢ وسنده حسن.

في هذه الأحاديث بيان لما في الآية الكريمة بأن أولياء الله عزَّ وجل هم الذين إذا رآهم الناس ذكروا الله لما يغشاهم من جلال الله، وما يلقى عليهم

من الهيبة والصبغة الإلـهية. . . وأنهم لعلو منازلهم يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والشهداء، ولا شك أن هؤلاء صنف من كبار الأتقياء الذين ذكرهم الله عزَّ وجل في الآية ومن صفات بعضهم أنهم تحابوا في الله من غير أنساب ولا أموال تجمعهم.

(٦٤) قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فقال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له».

رواه أحمد ٦/ ٤٤٧، والترمذي في الرؤيا وفي التفسير ٢٩٠٦، وابن جرير ١١/ ١٣٣، ١٣٧، والحاكم ٤/ ٣٩١ من طرق بعضها صحيحة. وله شاهد عن عبادة بن الصامت رواه أحمد ٥/ ٣١٥، والترمذي في الرؤيا ٢١٠٣، وابن ماجه ٣٨٩٨، والحاكم ٤/ ٣٩١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وجاء معناه في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره وفيه: «فالرؤيا الصالحة بشرى من الله» خ ١٦/ ٢٧، م ١٥/ ٣٠، ٣١، وفي صحيح البخاري ١٦/ ٢٩ وغيره عنه ﷺ: «لم يبق من النبوة إلاَّ المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». وفي صحيح مسلم ٤/ ١٩٦ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلاَّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»، وأخرج ١٥/ ٢٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا المسلم يراها أو ترى له».

فالأحاديث كلها تدل على أن البشرى للمؤمن الصالح في الدنيا المذكورة في الآية هي الرؤيا الصالحة الحسنة يراها بنفسه أو يراها له غيره، وتكون مؤذنة له بأنه من جملة أولياء الله الذين ذكرهم الله هنا، جعلنا الله تعالى من أفضلهم، آمين.

(٩٠) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا
وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠
(٩١) مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟»، فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم»، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه.

رواه البخاري ٥/ ١٥٠، ١٥١، ومسلم ٨/ ٩، ١٠ كلاهما في الصيام. ورواه البخاري في التفسير ٩/ ٤١٨.

في الحديث بيان أن النبي ﷺ كان من هديه الاقتداء بالأنبياء قبله، وبذلك جاء القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] وأضرابها. وفيه مشروعية الشكر على دفع البلاء وإهلاك الأعداء واتخاذ ذلك عادة كلما حل ذلك الوقت، ومن هذا ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال: «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الله تعالى فرعون قال: آمنت أنه لا إلـه إلاَّ الذي آمنت به بنو إسرائيل. قال جبريل عليه السَّلام: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة». وفي رواية: «إن جبريل جعل يدس في فِيِّ فرعون الطين خشية أن يقول: لا إلـه إلاَّ الله. فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه الله».

رواه أحمد رقم ٢٢٠٣، ٢١٤٤، ٢٨٢١، ٣١٥٤، والترمذي ٢٩٠٧ بالروايتين،

والنسائي في الكبرى ٦/٣٦٣، وابن جرير ١١/١٦٣، وابن أبـي حاتم ٦/١٩٨٢ وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح.

في الحديث ـ زيادة على تصريحه بإغراق فرعون وأنه آمن عندئذ حيث لم ينفعه إيمانه ـ أن جبريل عليه السَّلام جعل يدس الطين في فمه غضبًا لله عزَّ وجل عليه وذلك لأمرين: أما أولاً: فلأن فرعون كان كفره عنادًا، وأما ثانيًا: فإن إيمان مشاهد الموت والعذاب لا ينفعه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، والذي فعله جبريل عليه السَّلام كان بلا شك بإذن من الله عزَّ وجل. وقد سبق في علم الله أن فرعون كافر، وأنه سيموت على كفره، وما اعترض به على هذا الحديث هو اعتراض مزيف. وانظر الخازن فقد أجاد في الجواب عمن استشكل الحديث كالرازي وغيره.

وفي الحديثين بيان واضح للآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾، وإن الله عزَّ وجل أغرقه وقومه بالفعل، وأن ذلك لا يحتمل تأويلاً.

وبهذا تم الكلام على سورة يونس، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ هُودٍ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مكية، وآياتها ثلاث وعشرون ومائة، ومقاصدها الكلام على التوحيد ودلائله والوحي والرسالة والبعث والجزاء، وذكر قصص بعض الأنبياء وخاصة القدماء منهم: كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ثم رئيس أنبياء بني إسرائيل وصاحب كتابهم العظيم التوراة كليم الله سيدنا موسى وأخيه ووزيره سيدنا هارون، على نبينا وعليهم جميعًا الصلاة والسلام.

من خصائص هذه السورة

١ ـ هي إحدى السور الخمس التي قال فيها النبي ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»، ويأتي تخريجه في سور المفصل إن شاء الله تعالى.

٢ ـ ذكر آية: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، فلا توجد في غير هذه السورة، آية ٧.

٣ ـ ذكر قصة سيدنا نوح عليه السَّلام بإسهاب وتفصيل، وتعرضها لإغراق ولده كنعان بعد أن ناداه: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ . . . ﴾ الآية، وما نادى به رَبَّهُ في شأنه: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾، وكيف أجابه ربه بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ. . . ﴾ الآية، آيات ٢٥ ــ ٤٨.

٤ ــ ذكر آية خلال قصة نوح بلغت نهاية أسرار الإعجاز، وجمعت من المحاسن اللفظية والمعنوية ما يضيق عنه نطاق البيان وهي قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ . . . ﴾ الآية، وقد تكلم علماء البلاغة على ما فيها من أسرار ولطائف. وقد ذكر غير واحد عن ابن المقفع وكان من أفصح أهل زمانه كما هو معروف أنه أراد معارضة القرآن، فنظم كلامًا وجعله سورًا في زعمه، فمر يومًا على صبي وهو يقرأ هذه الآية، فرجع إلى بيته ومحى ما كان وضعه وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبدًا، وما هو من كلام البشر.

٥ ــ وجود تلك الآية العظيمة التي سيقت للتحذير من الركون إلى الظلمة بدءًا من الكفار إلى أصغر ظالم من المسلمين: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾، فهي تشمل الميل إلى كل ظالم حتى من ظلم نفسه بالإصرار على كبار الذنوب. . . ، آية ١١٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿٥﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: أناس كانوا يستخفون أن يتخلّوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

رواه البخاري ٩/ ٤٢٠، وابن جرير ١١/ ١٨٥ كلاهما في التفسير.

ومعنى الحديث أن الناس كانوا لجهلهم بالإحاطة العلمية الإلـٰهية إذا أتوا نساءهم أو قضاء حاجتهم من بول أو غائط تغشوا بثيابهم كراهية أن يفضوا بفروجهم إلى السماء فيراهم الله عزَّ وجل في زعمهم، فأخبرهم تعالى بأن كل ذلك لا يخفى عليه شيء منه. هذا ما جاء في الصحيح عن ابن عباس في الآية الكريمة. وهناك تأويل آخر في الآية ذكره ابن جرير، ثم قال: فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال: أنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تَنَاجَوْه بينهم. وعلى كل، فالآية الكريمة تفيد أن علم الله عزَّ وجل محيط بجميع شؤون عباده فلا تخفى عليه خافية منهم دقت أو عظمت، أخفوها أم أعلنوها.

وقوله تعالى: ﴿يَثْنُونَ﴾ بسكون الثاء من الثني، وهو إما عبارة عن إعراضهم، لأن المعرض عن الشيء ينثني عنه وينحرف، أو المراد ثني صدورهم عما فيها من العداوة والبغضاء لله ولرسوله ﷺ. وقوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾، أي ليطلبوا الخفاء عن الله فلا يراهم، وقوله: ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾ أي حينما يتغطون ويتلففون بثيابهم ليلاً ينظر الله إليهم ويعلمهم...

٧ **قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.**

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية: «غيره»، وفي أُخرى: «معه»، «وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كُلَّ شيء، وخلق السموات والأرض».

رواه أحمد ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣، والبخاري في بدء الخلق ٧/ ٩٨، وفي المغازي، والترمذي آخر المناقب ٣٦١٢ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٣ بنحوه، وهو عند بعضهم مطولاً.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء».

رواه أحمد ٢/١٦٩، ومسلم ١٦/٢٠٣، والترمذي ٢١٥٦ كلاهما في القدر. وتقدم حديث ابن عباس في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾ الآية [المائدة: ٦٤].

كلا الحديثين يوافقان الآية الكريمة في أن العرش كان على الماء قبل خلق هذه الأجرام، وقبل أن يقدر الله المقادير ويكتبها في الذكر، وهذا قول الجمهور، وأن العرش خلق قبل الكائنات بما فيها اللوح المحفوظ والقلم، وفيهما مع الآية أن العرش كان على الماء ولا ندري ما وراء ذلك فهو من عالم غيب الله عزَّ وجل، فلنمسك عن الخوض في ذلك.

وفي حديث عمران بيان واضح أن الله تعالى كان ولم يكن شيء سواه، ولا أحد معه، ولا أحد قبله، بل هو الأول قبل كل شيء بلا بداية، وآخر كل شيء بلا نهاية، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. ومن قال غير هذا فهو مشرك كافر...

١٧ **قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار».

رواه أحمد ٢/ ٣١٧، ٣٥٠، ومسلم في الإيمان ٣/ ١٨٦. ونحوه عن أبي موسى رواه أحمد ٤/ ٣٩٦، ٣٩٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٤ وغيرهما بسند صحيح. وعن ابن عباس رواه الحاكم ٢/ ٣٤٢ وصححه وأقره الذهبي.

الحديث جاء مبينًا للآية الكريمة ومفصلاً لمعناها، وأن كل من بلغه

القرآن ورسالة نبينا ﷺ من جميع أهل الملل ولم يؤمنوا به وبما جاء به كانوا من أهل النار مخلدين فيها. وهذا لا خلاف فيه، فإن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع قبلها ورسولنا خاتم الرسل والرسالة فلا يقبل الله دينًا غير دين الإسلام كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وانظر ما سبق في الأعراف: ١٥٨.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

عن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما أنه بينا هو يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُدْنى المؤمنُ من ربه حتى يضع عليه كَنَفَه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف ــ مرتين ــ، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم يُعطَى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.

رواه أحمد ٢/ ١٠٥، والبخاري في المظالم وفي التفسير ٩/ ٤٢٤، وفي الأدب ١٣/ ٩٩، ١٠٠، وفي التوحيد، ومسلم في التوبة ١٧/ ٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٤، وابن ماجه ١٨٣.

النجوى هي ما يتكلم به المرء يُسْمِعُ نفسَه، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه يوم القيامة مع المؤمنين. وقوله كنفه بفتحات، أي سِتْرَهُ وعفوه.

والحديث تتجلى فيه رحمة الله تعالى بعبده المؤمن يوم القيامة حيث سيضع الله عليه ستره ويقرره بما سلف له من ذنوبه، حتى إذا ما اعترف بها

عفى عنه وغفر له فضلاً منه ورحمة به، بينما الكافر والمنافق وأشباههما من الظَلَمة المفترين سيعرضون على الله تعالى ويقول الأشهاد من الأنبياء والملائكة هؤلاء المفترون الذين كذبوا على ربهم في زعمهم أن له تعالى شريكًا معه فيقال لهم: ألا لعنة الله وخزيه على الظالمين الأفاكين. وفي الحديث رد على المعتزلة القائلين بوجوب تعذيب العاصي، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

(٤٦) **قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم عليه السَّلام فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا عند ربك، فيقول: لست هناكم ـ ويذكر لهم ويشكو إليهم ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ذلك ـ، ولكن إيتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فينادونه فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم ويستحي من ذلك»، الحديث سيأتي بطوله في موضعه حيث تذكر الشفاعة إن شاء الله تعالى.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٢٦، ومسلم في الإيمان في ذكر الشفاعة، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٤، وابن ماجه في الزهد ٤٣١٢، وانظر الآية الثانية مما ذكرناه من سورة البقرة.

لما أغرق الله قوم نوح عليه السَّلام بالطوفان كان من جملتهم ولده كنعان، فنادى ربه إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي الذين وعدتك بنجاتهم، لأنه كافر، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، أي لا تطلب مني أمرًا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وحقيقته.

(٦٥) **قوله تعالى**: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة ففعل فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يصيبون من غِبها، ثم تصدر من هذا الفج فعقروها، فأجلهم الله ثلاثة أيام، وكان وعد الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم بين السماء والأرض إلاَّ رجلاً كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال».

رواه أحمد ٣/٢٩٦، والطبراني في الأوسط ٩٠٦٥، والبزار بسند صحيح. قال الهيثمي في المجمع ٧/٣٨: ورجال أحمد رجال الصحيح. وقال البوصيري في الإتحاف ٦٤٥٠: رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر بسند صحيح.

قوله: غبها بكسر الغين، أي وردها، والغب أن ترد الإبل الماء يومًا وتدعه يومًا، ومنه الحديث: «زر غبًا تزدد حبًا»، أي قلل من الزيارة من غير إكثار.

والحديث جاء في قصة نبي الله صالح عليه السّلام وقصته مع قومه مبسوطة في كثير من سور القرآن الكريم، غير أن الحديث سيق للتحذير من سؤال الآيات والمعجزات، فإنه ربما كان وجودها امتحانًا بل ونقمة كما حصل لقوم صالح، فإنهم سألوا آية فكانت الناقة العشراء فعقروها فأهلكهم الله تعالى.

(٨٠) **قوله تعالى**: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قول لوط: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾، قال النبي ﷺ: «كان يأوي إلى

ركن شديد إلى ربه عزَّ وجل، قال: فما بعث بعده نبيًّا إلاَّ في ثروة من قومه»، وفي رواية: «ولكنه عنَّى عشيرته فما بعث الله عزَّ وجل بعده نبيًّا إلاَّ بعثه في ذروة من قومه»، وفي رواية: «إلاَّ في منعة من قومه».

رواه أحمد والشيخان وغيرهم، ويأتي كاملاً مع تخريجه في سورة يوسف.

فقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، أي لو قويت بنفسي على دفعكم، أو آوي والتجيء إلى ركن شديد: أي قوي، أتمنَّع به منكم.

والحديث جاء مبينًا بأن لوطًا عليه السَّلام رغم أنه قال لقومه هذه المقالة فإنه كان يأوي ويلتجيء إلى أعظم ركن وهو الله عزَّ وجل، فإنه لا يضام ولا يقهر ولا يغلب من احتمى به والتجأ إليه وتوكل عليه.

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ... ﴾ الآية».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٤٢٥، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٣٧، والترمذي في التفسير ٢٩٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٥، وابن ماجه في الفتن ٤٠١٨.

قوله: يملي بضم الياء، أي يمهل ويؤخر ويطيل له المدة، وقوله: لم يفلته بضم الياء، أي لم يطلقه ولم يتخلص وينفلت منه.

وفي الآية مع الحديث تهديد أكيد للعتاة الظالمين المتجبرين وأن الله عزَّ وجل يمهلهم في هذه الحياة ويمد لهم فيها ويعطيهم من كل أنواع المتاع ويوسع لهم في الملك وقد ينصرهم على من ناوأهم ويمنحهم قوة ونفوذ أو يطيل أعمارهم ويملأ قصورهم بالخدم والجواري الحسان فيطمئنوا لذلك

فيستدرجهم من حيث لا يعلمون فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر فيصبحوا لا ترى إلاَّ مساكنهم عياذًا بالله تعالى منهم.

(١٠٥) قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)﴾، سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله فِعْلُ ما نعمل على شيء قد فُرِغ منه أو على شيء لم يُفرَغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩١٠، وابن أبي عاصم في السنة ١٧٠، وهو حسن صحيح لطرقه. وانظر كتاب تهذيب الجامع لكاتبه ١٩٦٧ من القدر.

والحديث يدل على أن الله تعالى قد فرغ من كل شيء، وأن جميع ما يصدر في هذه الكائنات من خير أو شر، هدى وضلالة، قد كتب في الذكر وسبق به علم الله وتعلقت به قدرته وإرادته، وأن كل إنسان مهيأ لما خلق له، فمن سبقت له السعادة هيِّىء للعمل لها، ومن سبقت له الشقاوة هيِّىء لها كذلك وعمل لمقتضاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله تعالى على ذلك.

وفي حديث ابن مسعود المخرج في الصحيحين المشهور: «... ثم يبعث الله ملكًا فيكتب أربعًا: أجله وعمله ورزقه وشقيًا أم سعيدًا»، ويأتي في موضعه في القدر.

(١١٣) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾.

عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة: خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: «اسمعوا وأطيعوا، هل سمعتم؟ إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل

عليهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد علي الحوض».

رواه أحمد ٤/٢٤٣، والترمذي في الصلاة آخرها ٥٤٧، وفي الفتن ٢٠٨٧ بتهذيبي، والنسائي في البيعة ٧/١٤٣، وابن حبان ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣ وحسنه الترمذي وصححه، وللحديث شواهد عن جابر وخباب بن الأرت وعن النعمان بن بشير وأبي سعيد الخدري وابن عمر، وهي مخرجة في تهذيب الجامع رقم ٥٤٧.

هذا الحديث الشريف من أخطر ما جاء في ذم موالاة الظلمة والدخول عليهم والركون إليهم ومعاونتهم ومساعدتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم ولو كان بالسكوت، وحسْب مُوَالِيهم شرًّا أن رسول الله ﷺ بريء منه وأنه سيحرم الشرب من حوضه ﷺ. وفي مقابلة هذا الوعيد بشارة مَن يجانبهم ولا يدخل عليهم بالفضل العظيم، حيث إنه من رسول الله ورسول الله منه، وسيرد الحوض إن شاء الله تعالى.

(١١٤) قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ (١١٤) ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ (١١٤) ﴾. فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ فقال: بل للناس كافة. وفي رواية: «إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت عليه:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ . . . ﴾ الآية، قال الرجل: إليَّ هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أُمتي».

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ٩/ ٤٢٦، ٤٢٧، ومسلم في التوبة ١٧/ ٧٩، ٨٠، ٨١، والترمذي ٢٩١١، والنسائي ٦/ ٢٦٦، كلاهما في التفسير وابن ماجه في الصلاة ١٣٩٨، وفي الزهد ٤٢٥٤ واللفظ الأول لمسلم والترمذي، والثاني للشيخين والنسائي.

وعن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا، فقلت: إن في البيت تمرًا أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا، فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا، فلم أصبر، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي: «أَخَلَفْتَ غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟»، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلاَّ تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار، قال: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ . . . ﴾ الآية.

قال أبو اليسر: فأتيت رسول الله ﷺ فقرأها علي، فقال أصحابه: يا رسول الله، ألهذا خاصةً أم للناس عامةً؟ قال: «بل للناس عامة».

رواه الترمذي ٢٩١٣، والنسائي ٦/ ٣٦٦، وابن جرير ١١/ ١٣٧ كلهم في التفسير، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. ونحوه عن معاذ عند الترمذي وعن أبي أمامة ورجل من الأنصار عند ابن جرير.

قوله: عالجت، أي تناولتها واستمتعت بها بالمعانقة والقبلة. . . إلاَّ الجماع. والظاهر أن هذه القصة كانت واحدة وقعت لرجل واحد هو أبو اليسر بن عَمْرو الأنصاري تصرف الرواة والناقلون في ألفاظها. . .

وفي الآية الكريمة مع الحديثين فضل واسع، ورحمة شاملة للمذنبين وخاصة التوابين، فإن الله تعالى بفضله وإحسانه يكفر سيئاتهم بما يأتون من حسنات، وأعظم الحسنات وأشرفها المحافظة على الصلوات الخمس.

وفي الحديثين أنه ينبغي لمن أتى ذنبًا في خفاء أن يستر على نفسه ويتوب إلى الله تعالى منه، ولا يذكره لأحد. وفيهما ما جبل عليه الإنسان من الميل إلى النساء والافتتان بهن، كما فيهما إشارة إلى أنه لا تجوز الخلوة بالأجنبية كما وردت بذلك أحاديث أُخر، فإن ذلك يفضي بهما معًا إلى ارتكاب الفاحشة، لأن مِلك النفس عن شهوتها في مثل ذلك يصعب ولا ينجو منه إلاَّ من حفَّته عناية الله تعالى، ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية بالاحتياطات الكثيرة في هذا الميدان الخطير. وفي حديث أبي اليسر دليل على جواز شراء المرأة من الرجل ما تحتاجه من طعام وغيره إذا كان ذلك مع حشمة ومروءة وعفاف وفي غير خلوة...

وبهذا تم الكلام على سورة هود، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ يُوسُفَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور المكية الطوال كالأنعام ونحوها، علمًا بأن أكثر السور المكية قصار بالنسبة للسور المدنية. وآيات هذه السورة إحدى عشرة ومائة.

تناولت السورة بإسهابٍ قصة نبـي الله يوسف عليه السَّلام وما ناله من بلايا ومحن، وما تعرض له من نكبات وشدائد. فلقد أصيب بعدة محن: محنة حسد إخوته وكيدهم به. ومحنة إلقائه في الجُب. ومحنة بيعه بثمن بخس حتى أصبح عبدًا أو غلامًا لعزيز مصر. ومحنة تعلق قلب امرأة العزيز به وعشقها له. ثم محنة مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتن والإغراء. ثم محنة اعتقاله وسجنه، فلقي كل ذلك بالثبات والصبر حتى جاءه الفرج والأنس والطمأنينة.

وجاءت قصة هذا الكريم تسلية للنبـي ﷺ مما نزل به من النكبات وخاصةً عندما فقد أعز الناس وأحبهم إليه زوجته مولاتنا خديجة الطاهرة

رضي الله تعالى عنها، وعمه أبا طالب الذي كان له خير نصير وخير معين، حتى سمي عامه ذلك عام الحزن، ففي هذه الظروف العصيبة نزلت هذه السورة تعزية له وتثبيتًا واطمئنانًا لقلبه، وليعلم أنه هناك من إخوانه الأنبياء من أصيب بأكثر مما ناله ونزل به، ولذلك جاء في خاتمة السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. . .﴾ الآية.

خصائص هذه السورة ومجمل ما وقع فيها

لهذه السورة خصائص تتعلق بيوسف وأبويه وإخوته. . . نجملها في الآتي:

١ ـ ذكر القصة بإسهاب فريد من نوعه، وبيان أنها أحسن القصص على الإطلاق، وأنها قصة عجيبة غريبة فيها من المعجزات والآيات والأحكام والآداب والأخلاق والأسرار. . . ما لا يوجد في غيرها كما سيتضح فيما يأتي.

٢ ـ إن هذه القصة لم تتكرر في غير هذه السورة، وهذا بخلاف قصص الأنبياء الآخرين الذين تتكرر قصصهم عدة مرات في شتى السور.

٣ ـ إنها أحسن القصص وأحلاها وأروعها، وذلك لانفرادها عن سائرها بما فيها من ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة، والشياطين، والجن، والإنس، والأنعام، والطير، وسير الملوك، والممالك، والتجار والعلماء والرجال، والنساء وكيدهن ومكرهن، مع ما فيها من ذكر التوحيد، والفقه، والسير، والسياسة، وحسن الملكة، والعفو عند المقدرة، وحسن المعاشرة، والحيل، وتدبير المعاش، والمعاد، وحسن العاقبة في العفة، والجهاد، والخلاص من المرهوب إلى المرغوب، وذكر الحبيب والمحبوب، ومرأى

السنين، وتعبير الرؤيا، والعجائب التي تصلح للدين والدنيا[1].

٤ ــ رؤيا يوسف الكواكب والشمس والقمر ساجدين له، آية ٤ .

ملخص سلسلةٍ من محن يوسف عليه السلام

٥ ــ حسد إخوته له وكيدهم به وإلقاؤهم إياه في الجب، آيات ٧، ١٠، ١٨ .

٦ ــ بيع يوسف وشراؤه وإبعاده عن أبيه واستعباده عند ملك مصر، آية ٢٠ .

٧ ــ مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسه حتى همَّ بها، آيتان ٢٣، ٢٤ .

٨ ــ كيد امرأة العزيز بيوسف وكذبها عليه وشهادة شاهد على ما فعلت، آيتان ٢٥، ٧٧.

٩ ــ ما صدر من النساء في جانب امرأة العزيز وقصتها معهن في شأن يوسف، آيتان ٣٠، ٣٢.

١٠ ــ اختيار يوسف السجن على ما أرادته منه امرأة العزيز، آية ٣٣.

١١ ــ دخوله السجن ودخول فتيان معه، آيتان ٣٥، ٣٦.

١٢ ــ يوسف داعية في السجن ومعبِّر للرؤيا، آيات ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١ .

١٣ ــ رؤيا الملك البقرات والسنابل السبع وتعبير يوسف لها، آيات ٤٣ إلى ٤٩ .

١٤ ــ امتناع يوسف عن الخروج من السجن حتى تبرأ ذمته عن التهمة، آية ٥٠ .

١٥ ــ اعتراف امرأة العزيز والنسوة ببراءة يوسف أمام الملك، آية ٥١ .

١٦ ــ ذكر النفس الأمارة بالسوء، آية ٥٣ .

---

(١) ذكر هذه الفوائد أبو حيان في المحيط.

١٧ ــ طلب يوسف الوظيفة من العزيز ومدحه نفسه، آية ٥٥ .

١٨ ــ مجيء إخوة يوسف إلى مصر ودخولهم على يوسف وتعرفه عليهم، آية ٥٨ .

١٩ ــ إكرام يوسف لإخوته وإعطاؤه إياهم الميرة بدون مقابل، آية ٦٢ .

٢٠ ــ يوسف يطلب من إخوته أن يأتوه بأخيهم الصغير بنيامين وطلبهم ذلك من أبيهم وأخذه عليهم المواثيق على حفظه، آيتان ٥٩ ، ٦٦ .

٢١ ــ أمر يعقوب أولاده بالتفرق عند دخولهم مصر، آية ٦٧ .

٢٢ ــ أمر يوسف فتيته بإخفاء الصواع، ووضعه في رحل بنيامين ليأخذه ويبقيه عنده، وما وقع في ذلك من الكيد الذي رضيه الله تعالى، آيات ٧٠، ٧١، ٧٢.

٢٣ ــ حكم إخوة يوسف على من وجد في رحله الصواع، آيتان ٧٤، ٧٥.

٢٤ ــ بيان حكم فقهي أخذ من القصة وهو الجعل والضمان، آية ٧٢.

٢٥ ــ طعن إخوة يوسف فيه وفي أخيه بنيامين بالسرقة، آية ٧٧.

٢٦ ــ يعقوب عليه السَّلام يفقد بنيامين ويبكي على يوسف حتى ابيضت عيناه، آية ٨٤.

٢٧ ــ إخبار يوسف إخوته به وتعريفهم به، آيتان ٨٩، ٩٠ .

٢٨ ــ اعترافهم بفضل يوسف عليهم وإقرارهم بخطيئتهم وعفو يوسف عنهم عليه السَّلام، آيتان ٩١ ، ٩٢ .

٢٩ ــ يعقوب يشم رائحة قميص يوسف من مسافة بعيدة ويخبر أولاده بذلك، فأُتي به فألقاه على وجهه فردَّ إليه بصره، وما في ذلك من المعجزات والخوارق وعناية الله تعالى بعباده الصالحين، آيتان ٩٤ ، ٩٦ .

٣٠ ــ إخوة يوسف يعتذرون لأبيهم ويعترفون بما فعلوا ويطلبون من والدهم أن يستغفر لهم فيعدهم بذلك، آية ٩٨ .

٣١ ــ هجرة يعقوب وأهله وبنيه من فلسطين إلى مصر، واستيطانهم بها في أمن وأمان، آية ٩٩.

٣٢ ــ سجود يعقوب وزوجته وإخوته ليوسف تصديقًا للرؤيا التي كان قد رآها والتي بنيت كل القصة عليها، آية ١٠٠.

٣٣ ــ يوسف عليه السَّلام يعترف لله بما أنعم عليه من الملك وعلم التعبير، ويسأل الله عزَّ وجل أن يلحقه بالصالحين، آية ١٠١.

هذا بعض ما ظهر لنا مما في القصة من خصائص، وفيها لمن أمعن فيها غير ذلك.

لـطـيـفـة:

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾، أي لقد كان في قصة يوسف وإخوته لأبيه أنواع من الدلائل على أنواع من قدرة الله وحكمته، وتوفيق أقداره ولطفه بمن اصطفى من عباده وتربيته لهم، وحسن عنايته بهم، للسائلين عنها من الراغبين في معرفة الحقائق والاعتبار بها لأنهم هم الذين يعقلون الآيات ويستفيدون منها، ومن فاته العلم بشيء أو بحكمته أو بوجه العبرة فيه سأل عنه من هو أعلم به منه، فإن للظواهر غايات لا تعلم حقائقها إلَّا منها.

فإخوة يوسف:

لو لم يحسدوه: لما ألقوه في غيابة الجب.

ولو لم يلقوه: لما وصل إلى عزيز مصر.

ولو لم يعتقد العزيز بفراستِهِ أمانتَه وصدقَه: لما أمَّنه على بيته ورزقه وأهله.

ولو لم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ويستعصم: لما ظهرت نزاهته وعرف أمرها.

ولو لم تخب في كيدها وكيد صواحبها من النسوة: لما ألقي في السجن لإخفاء هذا الأمر.

ولو لم يسجن: لما عرفه ساقي ملك مصر وعرف ببراعته وصدقه في تعبير الرؤيا.

ولو لم يعلم الساقي منه هذا: لما عرفه ملك مصر وآمن به وله وجعله على خزائن الأرض.

ولو لم يتبوأ هذا المنصب: لما أمكنه أن ينقذ أبويه وإخوته وأهليهم أجمعين من المخمصة ويأتي بهم إلى مصر فيشاركون في رياسته ومجده، بل لما تمَّ قول أبيه له: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.

فما من حلقة من هذه السلسلة إلاَّ وكان ظاهرها محرقًا وباطنها مشرقًا، وبدايتها شرًّا وخسرًا وعاقبتها خيرًا وفوزًا، وصدق قول الله عزَّ وجل: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ . . .﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ذكر الأعلام وغيرهم ممن بُنيت عليهم القصة

لقد ذكر الله تعالى في هذه القصة الرائعة أعلامًا كثيرة جاءت كأصول للقصة، أو بالتبعية لها، وإتمامًا للفائدة نجملها في الآتي:

من أعلام الإنس: يعقوب، زوجته، يوسف، إخوته الأحد عشر، السائلون، بعض السيارة، صاحب الدلو، العزيز ملك مصر، زوجته، شاهد يوسف، نسوة المدينة، فتَيا السجن، فتية يوسف، المؤذن بفقدان الصواع.

من أعلام الحيوان والطير: الذئب، البعير، البقرات، الطير.

باقي الكائنات: الشيطان، الشمس، القمر، الكواكب الأحد عشر، العير، البضاعة، البيع والشراء، السقاية، السنبلات، السنين، السرقة، الجعل، الضمان، القرية، السجن، البدو، السجود، الرؤيا، الأربابُ، السقي، الخمر، وفيها غير ذلك.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٣) قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾، قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) ﴾ إلى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴾ الآية، فتلاها رسول الله ﷺ زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، كل ذلك يؤمرون بالقرآن، قالوا: يا رسول الله لو ذكَّرتنا فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية [الحديد: ١٦].

رواه إسحاق بن راهويه، والبزار ٣٢١٨، وأبو يعلى ٧٤٠، وابن جرير ١٢/ ١٥٠، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٠٩٩، وابن حبان ٦٢٠٩، والحاكم ٢/ ٣٤٥ وصحَّحه، وقال الحافظ في المطالب: حديث حسن، بل هو أعلى من ذلك كما يعلم من طرقه.

في الحديث ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من رغبتهم في الخير وحرصهم على طلب العلم والموعظة ونزول القرآن بسبب أسئلتهم.

والآية الكريمة خاطب الله عزَّ وجل بها نبيَّه ﷺ قائلاً: نحن نحدثك

ونروي لك أخبار الأمم السالفة بأصدق كلام وأحسن بيان، بإيحائنا إليك هذا القرآن المعجز، وإن الشأن أنك كنت من قبل أن نوحي إليك هذا القرآن لمن الغافلين عن هذه القصة العجيبة التي لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب.

(٦) قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

رواه أحمد ٢/ ٩٦، والبخاري في التفسير ٩/ ٤٣٢.

في الحديث بيان الآية الكريمة وفضيلة خاصة لنبي الله يوسف عليه السَّلام وهو أنه الكريم ابن الكرام، نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي.

والآية تدل على أن الله اجتباه وخصه بتعبير الرؤيا وإتمام النعمة عليه بالنبوة كما أتمها على آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم، وجعل في ذريتهم النبوءة والكتاب، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا وعلى آلهم.

(٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب

تسألوني؟»، قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ١٩٨، ٢٢٥، ٢٢٨، وفي المناقب ٧/ ٣٣٩، ٣٤٠، وفي التفسير ٩/ ٤٣٢، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٣٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٧ وغيرهم.

أصل الكرم كثرة الخير، ولمّا سئل رسول الله ﷺ عنه أجاب بأعم الكرم وأكمله فقال: أتقاهم، ولا شك أن المتقي كثير الخير والفائدة في الدنيا، وصاحب الدرجات العلى في الآخرة، فلما قالوا له: ليس سؤالنا عن ذلك أخبرهم عمن جمع الله له خيرات الدنيا والآخرة على الكمال والتمام، فاتصف بمكارم الأخلاق مع شرف النبوة، وشرف النسب، وكونه نبيًّا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أعلاهم خليل الله وأبو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا. فلما ذكروا أنهم لم يسألوا عن ذلك، أشار إلى معادن العرب، وقوله: معادن العرب، أي أصولها. فذكر أن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية هم خيار الناس في الإسلام إذا فقهوا في الدين.

وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبينه إنما هو الدين والتقوى والنبوة والإعراق فيها والإسلام مع الفقه.

ومعنى الآية الكريمة: لقد كان في خبر يوسف وإخوته الأحد عشر عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم، فمن قرأ قصتهم أخذ منها عبرًا أيَّ عبر، ووجد فيها ما لا يجده في غيرها، وحق لها ذلك.

(٥٠) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال له: أوَلم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبـي».

رواه أحمد ٢/ ٣٢٦، والبخاري في الأنبياء، وفي بدء الخلق، وفي التفسير ٩/ ٢٦٨، ٤٣٧، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٢٣ وغيرهما.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءَني الرسول أجبت»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، قال: «ورحمة الله على لوط أن كان ليأوي إلى ركن شديد، فما بعث الله من بعده نبيًّا إلاَّ في ذروة من قومه»، وفي رواية: «إلاَّ في ثروة من قومه».

رواه أحمد ٢/ ٢٣٢، ٣٤٦، ٣٨٩، والترمذي ٢٩١٤، والنسائي ٦/ ٣٦٩، كلاهما في التفسير، والحاكم ٢/ ٣٤٦، ٥٦١، ٥٧٠، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبـي وهو في الصحيح مفرقًا.

الذروة: بضم الذال وكسرها، أعلى الشيء، والثروة: الغنى والسَّعة. وقوله: ولو لبثت في السجن. . .إلخ، هو من تواضعه ﷺ، وإلاَّ فهو قد حوصر في الشعب سنوات مع من حوصر معه حتى كادوا يموتون جوعًا وهو صابر ثابت مستسلم لله عزَّ وجل، وذلك قد يكون أعظم من سجن يوسف عليه السَّلام.

أما الآية الكريمة فخلاصتها أنه لما رأى الملك تلك الرؤيا العجيبة ودلَّ على يوسف فعبَّرها، أرسل الملك إليه رسولاً ليسمع منه تفسيرها مباشرةً فقال له: إيتوني به، فلما أتاه الرسول امتنع من الخروج، وقال له:

ارجع إلى سيدك الملك وسله عن شأن النساء وقصتهن في قطع أيديهن هل له علم بذلك أم لا، وهل يدري لماذا حبست وسجنت ظلمًا؟ فامتنع من إجابة الملك والخروج من الاعتقال حتى تبرأ ساحته من تلك التهمة الشنعاء. فجمع الملك النسوة ودعا امرأة العزيز فسألهنَّ عنه، وقال لهنَّ: ما شأنكنَّ عندما راودتنَّ يوسف ودعوتهنَّ إلى الفاحشة؟ فأجبنه: معاذ الله أن يكون يوسف أراد السوء. وزادت امرأة العزيز بتبرئته، فأفصحت بقولها: الآن حصحص الحق، أي اتضح وتبين، فأنا الذي كنت راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.

وبهذا تمَّ تفسير سورة يوسف، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ الرَّعْدِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مكية كسابقتها، وأهدافها التحدُّث عن الوحدانية ودلائلها والرسالة والبعث. . .إلخ، ودفع شبه المشركين، وآياتها ثلاث وأربعون.

من خصائص هذه السورة

وقد خُصَّت السورة الكريمة بالآتي:

١ ـ التذكير بنعمة الزروع والثمار والفواكه التي تسقى بماء واحد وتختلف وتتفاضل في الأكل والمذاق، فسبحان الصانع البديع، آية ٤.

٢ ـ ذكر الملائكة الذين يتعاقبون علينا ليل نهار يحفظوننا من أمر الله تعالى، فلا ذكر لهذا النوع إلاَّ في هذه السورة، وهؤلاء غير الكتبة، آية ١١.

٣ ـ ذكر الرعد الذي هو ملك من ملائكة الله الموكل بالسحاب فلا ذكر له في غير هذه السورة التي سميت باسمه، آية ١٣.

٤ ـ بشارة المؤمن الصالح بأن الله عزَّ وجل سيكرمه في الجنة بالكينونة في الجنة مع من صلح من أمه وأبيه وزوجته وبنيه، آية ٢٣.

٥ ــ ذكر سنة الله عزَّ وجل في الاتصال الجنسي بالزواج والإنجاب حتى من أفضل خلق الله تعالى وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، آية ٣٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ...﴾ الآية، قال: الدَّقَل، والفارسيّ، والحلو، والحامض.

رواه الترمذي ٢٩١٦، وابن جرير ١٣/ ١٠٣، كلاهما في التفسير وهو صحيح، فقد أخرجه ابن جرير ١٣/ ١٠٣، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢١ عن ابن عباس موقوفًا بسندٍ صحيح.

ومعنى الآية الكريمة: أن الجنات من الأعناب والزروع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد يأتي به الله من السماء حلوًا عذبًا، ويخالف بين طعوم ذلك فيجعل بعضها مفضلاً على غيرها في الطعم والمذاق، هذا حلو وهذا حامض، وثالث وسط، ورابع مر وهكذا...

إن في مخالفة الله عزَّ وجل بين تلك القطع الأرضية المتجاورة وثمار جناتها وزروعها لدليلاً واضحًا على خالقها وعبرة للذين يعقلون فيصلون إلى الحقيقة فيعرفون أن الذي خالف بينها على هذا النحو هو الإلـٰه العظيم الواحد الذي خالف أيضًا بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال، وتوفيق وخذلان، ولو شاء تعالى لسوَّى بين جميعهم، كما لو شاء لسوَّى بين جميع أُكُل الثمار التي تشرب شربًا واحدًا، وهي متفاضلة في الأُكُل والذوق والطعم.

(٨) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاَّ الله، لا يعلم ما في غد إلاَّ الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلاَّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلاَّ الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلاَّ الله عزَّ وجل».

رواه أحمد ٢/ ٢٤، ٥٢، ٥٨، ٨٥، والبخاري في تفسير الأنعام والرعد ٩/ ٤٤٦، ويأتي في سورة لقمان إن شاء الله، وسيأتي أيضًا من حديث أبي هريرة هنالك أن شاء الله تعالى.

الكلام على الحديث يأتي في سورة لقمان. ومعنى الآية الكريمة أن علم الله عزَّ وجل محيط بكل شيء حتى ما تحمل به كل أنثى من جميع الأحياء، وما تغيض الأرحام، أي تنقص بإلقاء الجنين قبل تمامه، وما تزداد على التسعة الأشهر، وكل ذلك عنده تعالى بقدر محدود لا يتجاوزه. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾ [١١]، وقوله عزَّ وجل في فصِّلت: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ ﴾ [٤٧].

(١١) قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

رواه أحمد ٢/ ٤٨٦، والبخاري في المواقيت ٢/ ١٧٣، ١٧٦ وغيرها، ومسلم في المساجد ٥/ ١٣٣ وغيرهما.

التعاقب، هو أن يأتي البعض عقب بعض ويتناوبون، كالحرس في الدوائر الحكومية، وهؤلاء الملائكة هم الحفظة لنا من الطوارىء والأحداث، فإذا جاء قدر الله وأراد تعالى إنفاذ قضائه تخلوا عنا. وفي هذا تكرمة وشرف لنا حيث جعل اجتماع هؤلاء الملائكة ومفارقتهم لنا في أوقات عبادتنا واجتماعنا على طاعة الله عزَّ وجل، فينبغي لنا أن نفرح بذلك حيث يقدم علينا رسل ربنا مع سؤاله تعالى عنَّا، كما ينبغي لنا أن نستشعر ما هو مراد منا وما يدار حولنا من حرسنا وضبط أحوالنا.

(١٣) قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره، قالوا: صدقت.

رواه أحمد ١/ ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، والترمذي ٢٩١٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٦، كلاهما في التفسير وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

الحديث صريح بأن الرعد المذكور في القرآن الذي يسبح بحمد الله تعالى هو ملك خاص موكل بسوق السحاب حيث أراد الله، وأن ما نسمعه من الصوت وما ينشأ من الصواعق المحرقة عندئذٍ هو أثر زجره السحاب بمخاريق وآلات له عليه السَّلام.

والحديث يرد على الطبائعيين وعلماء الجغرافيا الذين لا يقولون بذلك ويذهبون إلى ما فهموه من نظريتهم العفنة الفرنجية فقط.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بعث النبي ﷺ مرةً رجلاً إلى رجل

من فراعنة العرب أن ادعه لي، قال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك، قال: اذهب إليه فادعه، قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك، قال: أرسول الله! وما الله أَمِنْ ذهبٍ هو أم من فضة هو؟ أم من نحاس هو؟ فرجع إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، وأخبر النبي ﷺ بما قال، قال: فارجع إليه فادعه، فرجع فأعاد عليه المقالة الأولى، فرد عليه مثل الجواب، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه، فرجع إليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما إذ بعث الله سحابةً حيال رأسه فرعدت ووقعت منها صاعقةٌ فذهبت بقحف رأسه، وأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٠، وأبو يعلى ٣٤٥٥، ٣٣٢٨، والبزار ٢٢٢١، وابن أبي عاصم في السنة ٦٩٢، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٢٨٣، وأورده النور في المجمع ٧/ ٢٤٢ برواية البزار وأبي يعلى والطبراني وقال: رجال البزار رجال الصحيح غير دليم بن غزوان وهو ثقة.

الصاعقة: نار تسقط مع صوت الرعد. والمحال بكسر الميم القوة. وقوله: بقحف رأسه، بكسر القاف، هو العظم الذي فوق الدماغ.

والآية الكريمة مع الحديث الشريف يدلان على أن الله تعالى قد يعذب من يشاء من العتاة وغيرهم بإرسال الصواعق عليهم من السماء. وقد شاهدنا وسمعنا في حياتنا كثيرًا ممن قتلوا أو أصيبوا بصواعق الرعد، حفظنا الله من غضبه وعذابه.

وبهذا تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ إبراهِيمَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة مكية باتفاقٍ، وآياتها اثنان وخمسون، وأهدافها لا تعدو أهداف سائر السور المكيَّة من الكلام على العقيدة التي جاءت بها كل الرسل، فإن دعوتهم في ذلك واحدة، وإن اختلفوا في الشرائع والفروع.

وسميت سورة إبراهيم تخليدًا لمآثر أبي الأنبياء وإمام الحنفاء، الذي حمل راية التوحيد وجاء بالحنيفية السمحة التي بعث بها خاتم المرسلين حبيبنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والآل والأصحاب.

من خصائص هذه السورة

وقد خُصَّت السورة الكريمة بالتالي:

١ ــ ما فيها من إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليبينوا لهم رسالات الله.

٢ ــ ضرب مثلين للكلمتين: الطيبة، والخبيثة.

٣ ــ بيان ما يفعل الله عزَّ وجل بالمؤمن من تثبيته بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.

٤ ـ دعاء خليل الرحمن مع بنيه من سكان الحرم بأن يجعل الله عزَّ وجل قلوب الناس تهوي إليهم وأن يرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله نبيًّا إلاَّ بلغة قومه».

رواه أحمد ٥/١٥٨ بسندٍ صحيح، غير أن مجالدًا لم يسمع من أبي ذر ولا يضرّ هنا.

فالآية والحديث نصان في أن الرسل كانت تبعث بلغات أممها لأن المقصود من الرسالة هو تبليغ دين الله وشرعه للعباد، ولا يستقيم ذلك إلاَّ بما يفهمون، ولذلك كان لزامًا على الداعية أن يخاطب المدعوين بلغتهم، فمن الخطإ الفاحش، والجمود والسخف ما يشترطه بعض أتباع مالك رحمه الله تعالى في خطبة الجمعة بأن تكون باللغة العربية، فهذا جمود وظاهرية باردة سخيفة.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

عن ابن عباس عن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنهم عن رسول الله ﷺ قال: «قام موسى يومًا في قومه فذكرهم بأيام الله، وأيام الله نَعْماؤه».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٧١، وعبد بن حميد بسندٍ صحيح، ويأتي مطولاً من الصحيحين في سورة الكهف إن شاء الله تعالى.

في الحديث بيان أيام الله وأنها نعمه على عباده، وفي الآية والحديث مشروعية تذكير الناس بآلائه وأياديه ونعمه عليهم، فإن في ذلك حملاً لهم على المزيد من محبته تعالى وطاعته وشكره.

(٢٤) قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المؤمن، فحدثوني ما هي؟»، قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، فقالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

رواه البخاري في العلم وفي التفسير ٩/ ٤٤٩، ومسلم في صفة القيامة ١٧/ ١٥٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧١، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٧ بتهذيبي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بقناع من بسر فقرأ: « (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة)، قال: وهي النخلة، (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)، قال: هي الحنظلة».

رواه الترمذي ٢٩١٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧١، كلاهما في التفسير، وأبو يعلى وغيرهم، وابن حبان ١٧٤٨، والحاكم ٢/ ٣٥٢، وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: بقناع، أي طبق، والبسر نوع من التمر.

والحديثان يدلان على أن المؤمن مثله كمثل النخلة في كون كلمة الإيمان ثابتة في قلبه، وعمله الصالح يصعد إلى السماء وتناله بركته وثوابه في كل وقت كالنخلة التي هي راسخة في الأرض وأغصانها ممتدة نحو السماء وتعطي ثمرها كل وقت بتكوين الخالق وإذنه تعالى. والكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص لا إلـه إلاّ الله، أما الكلمة الخبيثة فهي كلمة الإشراك

التي لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة كشجرة الحنظل المر الخبيث التي استؤصلت من جذورها، وليس لها ثبات في الأرض ولا استقرار.

(٢٧) قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧) ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ . . . ﴾، الآية». وفي رواية: «إذا قيل له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيِّك؟» وفي رواية: «نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمد ﷺ، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ . . . ﴾ الآية».

رواه البخاري في الجنائز ٣/ ٣٧٥، وفي التفسير ٩/ ٤٥٠، ومسلم في الجنة ١٧/ ٢٠٤، ٢٠٥، والترمذي ٢٩١٨، والنسائي ٦/ ٣٧٢ في الكبرى، وفي الجنائز من المجتبى، وابن ماجه ٤٢٦٩.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ . . . ﴾ الآية، قال: المخاطبة في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة مثل ذلك.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٢، والطبراني في الكبير ١١/ ٤٣٧ بسندٍ صحيح، وله شاهدان عن ابن مسعود وعن أبي هريرة، رواهما الطبراني في الكبير.

الحديثان يفسران الآية الكريمة، فالمؤمن إذا مات ودُفن، أُجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبته الله عزَّ وجل فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ، فيقال له: صدقت، على هذا عشت، وعليه مت، وعليه تبعث. والجمهور من المفسرين ومنهم شيخهم

ابن جرير على أن التثبيت في الدنيا يكون على كلمة التوحيد: لا إلـه إلَّا الله، وعلى الإيمان. . . فلا يزيغون ولا يفتنون، وفي الآخرة عند سؤال الملكين في القبر، والله تعالى أعلم.

(٢٨) قوله تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية، قال: هم أهل مكة، قال سفيان: يعني كفارهم. وفي رواية: هم والله كفار قريش ومحمد نعمة الله، وأحلوا قومهم دار البوار، قال: النار، يوم بدر.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٤٥٠، وفي المغازي والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٢، وابن جرير وابن أبي حاتم ونحوه عن الإمام عليّ عليه السَّلام عند النسائي ٦/ ٣٧٢، وابن جرير، وابن أبي حاتم والحاكم بسندٍ صحيح.

قال المفسرون: إن كفار مكة أسكنهم الله حرمه الآمن، وجعل عيشهم في السعة، وبعث فيهم أشرف الرسل ﷺ، فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ولم يشكروها بل بدلوها كفرًا وتكذيبًا، فأنزلوا قومهم دار الهلاك، وهي البوار، بسبب طغيانهم وكفرهم، وجعل قرارهم جهنم يصلونها وبئست مستقرًّا.

(٣٦) قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن النبـي ﷺ تلا قوله تعالى في إبراهيم: «﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى . . .﴾ الآية، وقال في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]، فرفع يديه فقال: اللّـهمَّ أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد ﷺ وربك أعلم فاسأله ما يبكيه، فأتاه جبريل

فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله عزَّ وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

رواه مسلم في الإيمان ٣/ ٧٧، ٧٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٣، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم. وانظر ما سبق آخر سورة المائدة.

والحديث الشريف يتجلى فيه بوضوح موقف النبي ﷺ من أمته وشفقته عليهم حتى بكى... وقد تقدَّم بعض هذا فيما ذكرنا آخر المائدة.

(٤٥) **قوله تعالى:** ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاَّ أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، وتقنَّع بردائه وهو على الرحل.

رواه أحمد ٢/ ٦٦، ٩٦، ٥٨، ٧٢، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ١٩٠، وفي المغازي ٩/ ١٨٩، ومسلم في الزهد ١٨/ ١١١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٣.

الحِجْر بكسر الحاء وسكون الجيم ديار قوم ثمود، وكان مروره ﷺ على ديارهم في غزوة تبوك، وقوله: ﴿أَن يُصِيبَكُمْ﴾ [التوبة: ٥٢]، أي خشية أو كراهية أن يصيبكم ما أصابهم.

والحديث يدل على أن المسلم يجب عليه أن لا يمكث في ديار المغضوب عليهم بل يسرع في المشي إذا مرَّ بها، ولذلك جاءت الآية موبخة للكفار الذين سكنوا مساكن الظالمين بعد أن أهلكهم الله ولم يعتبروا بذلك. وأخذ العلماء رحمهم الله تعالى من الآية والحديث منع الإقامة في ديار الملعونين والمغضوب عليهم، بل وحرَّموا الدخول إليها إلاَّ لضرورة ملجئة، ومثلوا لذلك بديار الظلمة فضلاً عن ديار الكفرة، وكذا مواضع المعاصي ومحاربة دين الله تعالى والمحاكم التي تُحكِّم غير دين الله، ومنها المدارس

التي يكفر فيها بالله ودور الشباب والأندية السياسية والاجتماعية المختلطة، وقاعات الأفلام السافلة العفنة الفاضحة، وأمثال ذلك مما فيه مجاهرة الله بالمعاصي علنًا وجماعيًا، ومن مر ببعض ما ذكرنا أو دخلها فليكن باكيًا أو متباكيًا.

(٤٨) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ . . . ﴾ الآية، قالت: قلت: أين الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «على الصراط»، وفي رواية: «على متن جهنم».

رواه أحمد ٦/ ١٣٤، ومسلم في البعث والنشور من الجنة ١٧/ ١٣٤، والترمذي في التفسير ٢٩١٩، وابن ماجه في الزهد ٤٢٧٩.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ رضي الله تعالى عنه قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. . . فذكر الحديث، وفيه: فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «سل»، فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلة دون الجسر».

رواه مسلم في كتاب الحيض من صحيحه مطولاً ٣/ ٢٢٦، ٢٢٨.

الآية صريحة في أن الله تعالى سيبدل هذه الأرض بأرض أخرى، والسموات بسموات غيرهن، أما الأرض فقد جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها عَلَم لأحد»، أي ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر.

وقوله: عفراء، أي بيضاء إلى الحمرة، والنقي هو الدقيق المغربل، والمراد بها أرض جيدة.

والحديثان يدلان على أن تبديل هذه الأجرام سيكون يوم القيامة بعد البعث، وأن الناس سيكونون عندئذٍ على ظهر الصراط فوق جهنم على الحديث الأول، وفي الظلمة دون الجسر على الحديث الثاني.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: يحتمل ما في الحديثين الصراط المعلوم الذي سيضرب على نار جهنم، ويحتمل أنه اسم لموضع سواه ستستقر عليه الخلائق وقتئذٍ، غير أن الحديث الأول صريح في أنه الصراط المعلوم، لكن حديث سهل بن سعد فيه إشكال أيضًا وهو أن ظاهره يقتضي أن حشر الناس سيكون على أرض أخرى غير هذه، بينما الصراط لا يضرب إلاّ بعد الحساب، فالله أعلم بمراد الله ورسوله ﷺ، فإن كل ذلك من عالم الغيب الذي يجب أن نؤمن به كما جاء لأن أمور الآخرة فوق مستوى عقولنا.

وبهذا تمت سورة إبراهيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿سُورَةُ الحِجْر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة كسابقتها نزولاً ومقاصدًا وموضوعًا، وآياتها تسع وتسعون.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص وهي الآتية:

١ ـ تمنِّي الكفار يوم القيامة أن لو كانوا مسلمين ليحفظوا من النار، آية ٢.

٢ ـ حفظه لكتابه الكريم والذكر العظيم بنفسه المقدسة، آية ٩.

٣ ـ ذكره لجهنم سبعة أبواب، آية ٤٤.

٤ ـ امتنانه على نبيه ﷺ بإيتائه السبع المثاني، آية ٨٧.

٥ ـ أمره تعالى نبيه ﷺ بالصدع بما أمر به، آية ٩٤.

٦ ـ كفايته سبحانه وتعالى نبيه المستهزئين به، آيتان ٩٥، ٩٦.

٧ ـ أمره عزَّ وجل نبيه بالدوام على عبادته حتى الموت، آية ٩٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢) قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٢) ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال ـ وقد ذكر الخوارج ـ: قال رسول الله ﷺ: إن ناسًا من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيِّرهم أهل الشرك فيقولون لهم: ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم لما يريد الله تعالى أن يُرِي أهل الشرك من الحسرة فما يبقى موحد إلاَّ أخرجه الله تعالى، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٢) ﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٣، والطبراني في الأوسط ٥١٣٢ بسندٍ حسن، وهو صحيح لشواهده عن أبي موسى رواه ابن أبي عاصم في السنَّة ٨٤٣، وابن جرير ١٤/ ٣، والحاكم ٢/ ٢٤٢، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وعن أنس رواه ابن أبي عاصم ٨٤٤، وابن جرير ١٤/ ٣، وعن ابن عباس رواه ابن جرير ١٤/ ٣، ٥، والحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي، وعن أبي سعيد الخدري رواه الطبراني وغيره.

والحديث بشواهده مبين للآية الكريمة وأن هذا التمني من الكفار سيكون عندما يُخرِجُ الله تعالى العصاةَ الموحدين من النار، فيود الكفار حينئذٍ أن لو كانوا في الدنيا مسلمين. وهيهات هيهات.

(١٦) (١٧) (١٨) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في نفر من أصحابه فرمي بنجم فاستنار فقال ﷺ: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟»، قالوا: كنا نقول: يولد

عظيم أو يموت عظيم. . .، الحديث، ويأتي في سورة سبأ.

رواه أحمد ١/٢١٨، ومسلم في السلام باب تحريم الكهانة ١٤/٢٢٥، ٢٢٦ وغيرهما.

لقد خلق الله عزَّ وجل بقدرته في هذه السماء الدنيا بروجًا ومنازل تسير فيها الأفلاك والكواكب السيارة وزينها بالنجوم ليسر الناظر إليها، وتولى سبحانه حفظها من كل متمرد لعين من الشياطين إلاَّ من اختلس شيئًا من أخبار السماء التي تتكلم بها الملائكة فيضرب بشهاب ثاقب من النار فيحرقه.

(٢٤) **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت امرأة تصلي خلف النبي ﷺ حسناء من أجمل الناس، فكان ناس يصلون في آخر صفوف الرجال فينظرون إليها، فكان أحدهم ينظر إليها من تحت إبطه إذا ركع، وكان أحدهم يتقدَّم إلى الصف الأول حتى لا يراها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

رواه أحمد ١/٣٠٥، والترمذي ٢٩٢٠، والنسائي في الكبرى ٦/٣٧٤، وفي المجتبى، وابن ماجه ١٠٤٦، وابن خزيمة ١٦٩٦، وابن حبان ١٧٤٩ بالموارد والحاكم ٢/٣٥٣، والبيهقي في الكبرى ٣/٩٨ بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وليس لمن طعن في سنده أو معناه حجة معتبرة، فإن الحديث صحيح، وقد صحَّحه جمع من المحدثين.

هذا هو سبب الآية الكريمة ومع ذلك فلا تقصر على ما نزلت فيه بل تحمل على عمومها، ولذلك قال ابن جرير ١٤/٢٦، وتبعه الألوسي وغيره: وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء، والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عزَّ وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جلَّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما

كانوا يعملون، ومن هو حي منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك، ونحن نحشرهم جميعهم فنجازي كلاً بأعماله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، فيكون ذلك تهديدًا ووعيدًا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعد لمن تقدَّم في الصفوف لسبب النساء وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.

وفي الحديث بيان ما جبل عليه الإنسان من الميل إلى النساء وخاصةً ذوات الجمال، فإن فتنتهنَّ عظيمة حفظنا الله تعالى من شرورهنَّ آمين.

(٧٢) قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلق الله تعالى وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

رواه ابن جرير ١٤/ ٤٤ من طريقين أحدهما سنده صحيح، ورواه أبو يعلى في مسنده ٢٧٥٤، وأبو نعيم ١٢/ ١٣، والبيهقي كلاهما في الدلائل وجوَّده الهيثمي في المجمع ٧/ ٤٦.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة حبيبنا محمد ﷺ ومعناه: وبقائك يا محمدًا وعيشك وحياتك، وكذا نقل هذا الإجماع القاضي أبو بكر ابن العربي والقرطبي، ولم يذكر ابن جرير غيره، ومعنى الآية: وحياتك يا محمد أن قومك من قريش لفي شركهم وضلالتهم وجهلهم يعمهون، أي يترددون تحيُّرًا. والعمه للقلب مثل العمى للبصر. وقيل: الضمائر في الآية لقوم لوط. والأول الأصح.

(٧٥) **قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

رواه البخاري في التاريخ ٤/ ١/ ٣٥٤، ٧/ ٣٥٤، والترمذي ٢٩٢٤ بتهذيبي، وابن جرير ١٤/ ٤٦، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٨١، ٢٨٢، والخطيب في التاريخ ٣/ ١٩١، ٧/ ٢٤٢ وغيرهم، وهو وإن كان فيه عطية العوفي وقد ضعفوه فإن الترمذي حسن له عدة أحاديث، وقال ابن سعد وأبو حاتم: يكتب حديثه فمثله لا يترك. وللحديث شاهد مثله أو أمثل منه رواه أبو نعيم ٦/ ١١٨، والخطيب ٥/ ٩٩، وابن عبد البر في جامع العلم ١/ ١٩٦ من حديث أبي أمامة وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث مختلف فيه، فالحديث لذلك حسن، وقد حسَّنه الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٦٨، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة، وقال في موضع آخر: حسن صحيح.

قوله الفراسة: هي بكسر الفاء نوعان: **الأول**: ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه المتقين من العلوم والمعارف والحقائق، **والثاني**: ما يعرف بالتجربة والخلْقِ والأخلاق، والمراد به هنا الأول لمقولة: فإنه ينظر بنور الله، والمتوسمون هم المتأملون بعين البصر والبصيرة.

(٨٠) **قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.**

في حديث عبد الله بن عمر المتقدم في سورة إبراهيم أن رسول الله ﷺ قال في أصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلَّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

رواه البخاري وغيره.

أصحاب الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم هم قوم ثمود الذين بعث فيهم نبي الله صالح عليه السَّلام فكذبوه وعقروا ناقته فأهلكهم الله تعالى

وأبادهم ولم تبق إلاَّ آثارهم حتى يومنا هذا، وقد مرَّ النبـي ﷺ على ديارهم في غزوة تبوك فأسرع في سيره في ديارهم وأمر الصحابة بذلك ونهاهم أن يشربوا من آبار ثمود. . .

(٨٧) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني».

رواه البخـاري ٩/ ٤٥٣، والتـرمـذي ٢٩٢٢ كـلاهمـا فـي التفسيـر، وأبـو داود وغيرهم، واللفظ للترمذي.

وعن أُبَـيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل».

رواه الترمذي ٢٩٢٣، وابن حبان ١٧١٤، والحاكم ٢/ ٢٥٨، وسنده صحيح على شرط مسلم، ولذلك صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي، وحديث أبـي سعيد ابن المعلى تقدم في الأنفال.

الحديثان يدلاَّن على أن المراد بالسبع المثاني هي سورة الفاتحة، وسميت بذلك لأنها سبع آيات وتثنى وتكرر في الصلاة.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن السبع المثاني هي السبـع الطـوال: البقـرة، وآل عمـران، والنسـاء، والمـائـدة، والأنعـام، والأعراف، والأنفال.

رواه النسائي في الصلاة من المجتبـى، وفي التفسير من الكبرى ٦/ ٣٧٥، والحاكم ٢/ ٣٥٥ بسندٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبـي غير أن الحاكم ذكر السابعة سورة الكهف.

قـال ابـن كثيـر رحمـه الله تعـالـى: لا ينـافـي وصـف غيـرهـا ــ يعنـي

الفاتحة ــ من السبع الطوال بذلك لما فيها من هذه الصفات، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن أيضًا، كما أنه عليه الصَّلاة والسَّلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة.

(٨٩) **قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٩﴾.**

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومن عصاني وكذب ما جئت به من الحق».

رواه البخاري في الرقاق، وفي الاعتصام ١٧/ ١٦، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٤٨، ٤٩ وغيرها.

النذير في الأصل المبلغ المخوف. والعريان بضم العين من التعري، والأصل فيه أن الرجل كان إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه عنه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، فأخبر النبـي ﷺ الناس بأنه مثل ذلك المنذر العريان، غير أن منذر الدنيا إنما ينذر من عدو طارىء وذاهب، بخلافه ﷺ فإنه النذير بالبلاء والعذاب الدائم لمن عصاه وخالفه ولم يؤمن به وبما جاء به ولم يتبعه.

(٩١) **قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ ـ قال: هم أهل الكتاب جزَّأوه أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وفي رواية: «كما أنزلنا على المقتسمين، قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى».

رواه البخاري ٩/ ٤٥٥، وابن جرير ١٤/ ٦١، ٦٢، ٦٤ وغيرهما.

على ما قال ابن عباس ذهب جمع من المفسرين، وقال آخرون: المراد بهؤلاء كفار قريش تقسَّمت أقوالهم وجعلوها في القرآن عضين، أي فرقًا، قالوا: فيه سحر، شعر، كهانة، أساطير الأولين. واختار ابن جرير العموم، فالآية تشمل أهل الكتاب وكفار قريش.

٩٩ **قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خير معاش الناس لهم رجل مُمْسِكٌ بعِنَانِ فرسه في سبيل الله يطير على مَتْنِه كلما سمع هَيْعَة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجل في غنيمة في رأس شعَفَة من هذه الشعف أو بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلاَّ في خير».

رواه مسلم في الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط رقم ١٨٨٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٥، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٧.

عِنان بكسر العين: اللجام. وقوله: على متنه، أي ظهره. وقوله: هيعة، أي صوت لِعدُوٍّ. وقوله شعفة بفتحات: رأس الجبل. وفي رواية: شعب، بكسر الشين وسكون العين وآخره باء: بطن الوادي.

والحديث يفسر اليقين في الآية الكريمة بأنه الموت لأنه متيقن، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر: ٤٧]، وفي حديث البخاري

قوله ﷺ عند موت عثمان بن مظعون: «أما هو فقد جاءه اليقين»، وبه فسَّره مجاهد وقتادة وسالم بن أبـي الجعد، فقوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾، أي دم على عبادة ربك، والتذلل والخضوع له، حتى يأتيك الموت المتيقن. وفي الحديث فضل الجهاد في سبيل الله بقصد الاستشهاد، كما فيه فضل اعتزال الناس في الجبال ونحوها للتفرغ لعبادة الله عزَّ وجل وفرارًا من الفتن والشرور التي يعيش فيها الناس ويبقى على حالته حتى يأتيه الموت من غير أن يكون آذى أحدًا . . .

وبهذا تم الكلام على سورة الحجر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه إلى أبد الآبدين، آمين.

* * *

﴿ سُورَةُ النَّحلِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هـذه السـورة أيضًـا مـن السـور المكيـة التـي تتحـدث عـن العقيـدة . . الوحدانية، ودلائلها في السموات والأرض، والبحار، والجبال، والسهول، والسحاب، والمطر، والنبات، والفُلك الماخرة في البحار والمحيطات، والنجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إلى آخر ما ذكر فيها من هذه الدلائل الدالة على عظم القدرة الإلـٰهية. وإلى جانب ذلك تحدثت عن الوحي والبعث والنشر، والنعم التي أنعم الله بها على عباده بداية من إيجادهم حتى موتهم. . . وآياتها ثمان وعشرون ومائة.

من خصائص هذه السورة

وقد اختصت السورة الكريمة بخصائص نجملها في الآتي:

١ ــ ذكر الأنعام وبيان منافعها كاملة، من شرب ألبانها، وأكل لحومها، والتمتع بأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، والركوب على بعضها، وحمل الأثقال عليها، آيات ٥ ــ ٧.

٢ ــ ذكر تلك المعجزة العلمية العظيمة في المركوبات: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ

﴿وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾، آية ٨. فقد خلق لنا عزَّ وجل ما كنا نجهله ولا نعلمه من هذه المركوبات المخترعة الحالية التي هدى سبحانه الإنسان إلى صنعها، فها نحن أولاء نستخدمها في حياتنا ونتمتع بها ونركبها ونترفه بها، فللّه الحمد حمدًا كثيرًا على ما أولانا.

٣ ـ التنصيص في السورة على أن النبي ﷺ هو المبين للقرآن بأقواله وأفعاله، آية ٤٤.

٤ ـ ذكر آية كانت تدل على حلِّية الخمر ثم نسخت، آية ٦٧.

٥ ـ ذكر النحل وما خصَّه الله تعالى به من الإلهام، وما يخرج منه من شراب فيه شفاء للناس، آيتان ٦٨، ٦٩.

٦ ـ امتنانه تعالى على عباده بالأزواج والبنين والحفدة، آية ٧٢.

٧ ـ امتنانه علينا بنعمة الإيجاد، وأنه أخرجنا من أرحام أمهاتنا جاهلين لا نعلم شيئًا فجعل لنا السمع والبصر والفؤاد، وهذه وسائل العلم وطرقه، آية ٧٨.

٨ ـ امتنانه علينا بجعله لنا البيوت، والظلال، والملابس التي تقينا الحر والبرد والبأس، آيتان ٨٠، ٨١.

٩ ـ ذكر آية هي أجمع آية في القرآن تأمر بمكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، آية ٩٠.

١٠ ـ الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن، آية ٩٨.

١١ ـ التجاوز عن المكره وعدم مؤاخذته إذا أتى أو ترك ما كلف به، آية ١٠٦.

١٢ ـ النهي عن التحليل أو التحريم بغير إذن من الله عزَّ وجل، آية ١١٦.

١٣ ـ الأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، آية ١٢٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٣٠) قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

وفي رواية: إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته.

رواه أحمد ٣/ ١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣، ومسلم في صفة القيامة ١٧/ ١٤٩، ١٥٠.

في الحديث وعد من الله عزَّ وجل للمؤمن كالآية بأنه تعالى يجازيه على حسناته في الدنيا والآخرة. وفي السورة آية أخرى توافق هذه الآية في معناها وهي قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾، ومن الحياة الطيبة الرزق الحلال الحسن مع القناعة والراحة والانشراح، وهي سعادة معجلة للمؤمن.

ولذا جاء في حديث ابن عمرو عنه ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه».

رواه أحمد ٢/ ١٦٨، ١٧٣، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٤٥، ونحوه عن فضالة بن عبيد، رواه الترمذي ٢١٧٠ والنسائي وغيرها.

والكَفَافُ هي الكفاية. فالحديث دال على أن من أوتي هذه الخصال

في هذه الحياة كان سعيدًا إن كان مؤمنًا، أما بالنسبة للكافر فجزاؤه لا يعدو هذه الحياة، أما الآخرة فلا حظ له فيها.

(٤٨) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلهن من صلاة السحر»، قال رسول الله ﷺ: «وليس من شيء إلاَّ وهو يسبح الله تلك الساعة»، ثم قرأ: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ...﴾ إلخ.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٢٦ واستغربه. ويشهد له مرسل أبـي صالح السمان، رواه ابن أبـي شيبة في المصنف رقم ٥٩٤٠، وله شواهد أخرى في الجملة بعضها صحيحة.

قوله: ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ أي يميل. والآية تدل على أن كل الكائنات تسجد لله عزَّ وجل بظلالها خاضعة متذللة لله تعالى مسبحة له.

(٦٨) قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا
(٦٩) يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾.

عن أبـي رزين العُقَيلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلاَّ طيبًا، ولا تضع إلاَّ طيبًا».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٦، وابن حبان ٣٠ بالموارد، والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ١/ ٢٤٨، والطبراني في الكبير ٤٥٩، ٤٦٠. وهو وإن كان في سنده ضعف، فإن له شاهدًا عن ابن عمرو، رواه أحمد ٢/ ١٩٩، والحاكم ١/ ٧٥، ٧٦، ٤/ ٥١٣ وصححه ووافقه الذهبـي، وعزاه في المجمع ١٠/ ٢٩٥ لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبـي سبرة، قد وثقه ابن حبان. وله طريق آخر عند البزار، قال في المجمع

٧/ ٢٢٧: فيه عبد الرحمن بن مغراء وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح. فالحديث صحيح.

المؤمن الكامل من شأنه أن يحتاط في كسبه، فلا يأكل إلاَّ الحلال الطيب، ولا يخرج من فمه إلاَّ القول الحسن، كالنحلة تلك الحشرة الضعيفة التي لا ترعى إلاَّ من الأشجار الطيبة، وتتنزه عن الأقذار ومواضع النجاسات والعفونات، ولا تضع إلاَّ العسل والشراب الطيب الحلو النافع الشافي.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي...».

رواه أحمد ١/ ٢٤٦، والبخاري في أول الطب ١٢/ ٢٤٤.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن».

رواه ابن ماجه في الطب ٣٤٥٢، قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلاَّ استطلاقًا، قال: «اذهب فاسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاءه فقال: يا رسول الله ما زاده إلاَّ استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً فبرىء.

رواه البخاري ١٢/ ٢٤٧، ومسلم ١٤/ ٢٠٢، ٢٠٣، كلاهما في الطب.

هذه الأحاديث كلها تؤكد الآية الكريمة: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، فالعسل شفاء للأمراض المادية بنص القرآن والسنة النبوية الصحيحة، غير أن الأطباء قالوا حسب فهمهم وتجربتهم: إنه شفاء للأمراض الناشئة عن البرودة لأنه

حار، والشيء يداوى بضده، والله تعالى قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، منكرًا، ولو قال: فيه الشفاء معرّفًا، لكان شفاء لكل الأمراض. أما الرجل الذي سقي العسل وزاده استطلاقًا فكان عنده فضلات، فلما سقي تحللت فأسرعت في الاندفاع فازداد إسهالاً ثم زاده فازداد التحليل، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة التي كانت في أمعائه وأحشائه استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته ﷺ. وعلى كل فالأعمال بالنيات فمن شربه معتقدًا الشفاء به تصديقًا لعموم كتاب الله تعالى شفاه الله بلا ريب وهو القادر على كل شيء، وبيده الأمر كله.

(٧٠) قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٤٥٩، وفي الدعوات ١٣/ ٤٣٠، ٤٣١، وأبو داود ١٥٤٠ وغيرهما، وهو وارد عن جماعة من الصحابة في الصحيح وغيره.

أرذل العمر: أي العمر الأرذل والأردأ، وهو أيام الخرف والضعف في كل شيء نعوذ بالله منه، فالإنسان قد يقطع أشواطًا من حياته، ثم قد يموت طفلاً، أو شابًا، أو كهلاً، أو شيخًا، وقد تطول به الحياة فيعمر حتى يضعف بالمرة ويصبح في عمر رديء قد ذهب منه كل شيء، فلذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من هذا العمر. اللّٰهم إنا نعوذ بك من الهرم، والخرف، والعمر الأرذل، اقتداء بنبيك ﷺ، ونسألك كما سألك نبيك عليه الصَّلاة والسَّلام: أن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا.

(٨٨) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله: ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ قال: زيدوا عقارب، أنيابها كالنخل الطوال.

رواه الطبراني في الكبير ٩١٠٣، وأبو يعلى ٢٦٥٩، وأورده النور في المجمع ٧/ ٢٠٤٨ برواية الطبراني وقال: بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.

لعذاب الكفار في جهنم أنواع وأشكال لا تدركه عقولنا نعوذ بالله من غضبه وعقابه، وتفسير ابن مسعود هذا من قبيل المرفوع لأنه في عالم الآخرة ولا مجال فيه للعقل والاجتهاد.

(٩٠) قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ألا تجلس؟ قال: بلى، قال: فجلس رسول الله ﷺ مستقبله، وبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضع بصره عن يمينه في الأرض فأخذ يُنْغِض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره حتى توارى في السماء فأقبل على عثمان بجلسته الأولى فقال له: يا محمد فيما كنتُ أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة قال: «وما فعلت؟» قال: رأيتك شخصت ببصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته عن يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئًا يقال لك: قال: «وفطنت لذلك؟» قال عثمان: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أتاني رسول ربي عليه السَّلام آنفًا وأنت جالس»، قال: رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فما قال لك؟ قال: ﴿ ۞ إِنَّ

ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم ٢٩٢٢، والطبراني في الكبير ٨٣٢٢ وسنده حسن صحيح، وشهر تكلموا فيه بلا حجة، والحديث حسنه ابن كثير في التفسير وجوده فقال: إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل.

وعن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا إذ شخص بصره، فقال: أتاني جبريل عليه السَّلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾. . . الآية.

رواه أحمد ٢١٨/٤ وحسنه الهيثمي في المجمع ٤٩/٧، وقال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

فِناء البيت بكسر الفاء: ما امتد من جوانبه. كشر إليه: أي فتح فاه ضاحكًا حتى بدت أسنانه. شخص بصره، أي جعل ينظر بعينيه لا يطرف. ينغض بضم الياء وسكون النون ثم غين معجمة مكسورة، أي يحرك رأسه.

والحديث الأول مبين لسبب نزول الآية وأن ذلك كان بمكة لأن عثمان بن مظعون مات بالمدينة عقب هجرته إليها، وكون ابن عباس لم يحضر القصة لا يدل على انقطاع السند لأن مرسل الصحابي حجة كما هو معروف عند الجمهور. والحديث الثاني يدل على أن ترتيب السور القرآنية وآياته توقيفي، وأن القرآن الموجود عند المسلمين هكذا أنزل من اللوح المحفوظ.

والآية الكريمة هي أجمع آية في القرآن، حلال وحرام، وأمر ونهي، كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ورواه عنه الطبراني في الكبير ٨٦٦١ بسند حسن. ففي الآية الكريمة الأمر بمكارم الأخلاق ومنها العدل بين الناس، والإحسان إلى جميع الخلق، ومواساة الأقارب بدءًا من

الوالدين. . . والنهي عن كل ما تناهى قبحه كالشرك، والقتل، والزنا، واللواط، والسحر، والربا، والظلم والاعتداء على الغير، وكل ما تنكره الشريعة، والفطرة السليمة.

(١٠٦) قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

عن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، ما تُرِكْتُ حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد».

رواه ابن جرير ١٤/ ١٨٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٠٤، والحاكم ٢/ ٣٥٧ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي لكنه مرسل، وله طرق أخرى مرسلة أوردها ابن جرير وغيره فيتقوى بها الحديث. والآية نزلت في عمار بن ياسر باتفاق المفسرين وأهل السير جاء ذلك عن ابن عباس، والشعبي، وقتادة، وغيرهم.

والآية تدل على أن من نطق بالكفر أو فعل فعلاً يكفر به عن إكراه مع مخالفة قلبه لما نطق به. . . فلا حرج عليه ولا إثم، وهذا متفق عليه بين العلماء لا خلاف فيه بينهم، وإن كان الأفضل الثبات(١) والصمود والصبر ولو أدى إلى القتل.

(١٢٦) قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

---

(١) وقد ذكر ابن كثير في تفسيره هنا قصة عجيبة لعبد الله بن حذافة السهمي رضي الله تعالى عنه نقلاً عن تاريخ ابن عساكر ينبغي الوقوف عليها لأهميتها.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لَنُرْبِيَنَّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ...﴾ الآية. فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «كفوا عن القوم إلاَّ أربعة».

رواه أحمد ٥/١٣٥، والترمذي ٢٩٢٧، والنسائي ٦/٣٧٦ كلاهما في التفسير وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: مثلوا بهم، أي قطعوا أطرافهم وجدعوا آذانهم وأنوفهم وبقروا بطونهم...

والآية الكريمة نزلت تعلم المسلمين كيف يتعاملون مع من أساء إليهم، وأن لهم الحق في المقابلة بالمثل، ولكن الأولى والأفضل الصبر والعفو.

وبهذا تم الكلام على سورة النحل، والحمد لله الذي بنعمته الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ الإِسْرَاءِ ﴾

«بنو إسرائيل»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مكية، وآياتها إحدى عشرة ومائة، ومقاصدها الكلام على أصول الدين والآداب والأخلاق. . .

من خصائص هذه السورة

ولهذه السورة خصائص، وهي كالآتي:

١ ــ ذكر معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، آية ١.

٢ ــ الإخبار عن بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين. . . إلخ، آية ٤.

٣ ــ ما من إنسان إلَّا وسيكون طائره في عنقه، آية ١٣.

٤ ــ إذا أراد الله إهلاك قرية أمر مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرها تدميرًا، آية ١٦.

٥ ــ حكمها في المبذرين وأنهم إخوان الشياطين. . . إلخ، آية ٢٧.

٦ ــ لا يجوز للإنسان أن يقفو ما لا علم له به، آية ٣٦.

٧ ــ ما من قرية كافرة إلاَّ وسيهلكها الله قبل يوم القيامة أو يعذبها. . . إلخ، آية ٥٩.

٨ ــ التنصيص على تكريم بني آدم دون سائر الخلق، آية ٧٠.

٩ ــ ذكر المقام المحمود الذي يقومه النبي ﷺ، آية ٧٩.

١٠ ــ سؤال الكفار نبي الله عليه الصَّلاة والسَّلام عن الروح وأنه من أمر الله، آية ٨٥.

١١ ــ الإخبار عن أهل العلم وصفتهم عند سماع القرآن وأنهم يخرون للأذقان ساجدين باكين خاشعين، آيات ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه: «أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أسري به ملجمًا مسرجًا فاستصعب عليه، فقال له جبريل عليه السَّلام: بمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفضَّ عرقًا». وفي رواية: «فوالله ما ركبك أحد. . .» إلخ.

رواه أحمد ٣/ ١٦٤، والترمذي في التفسير ٢٩٢٩، وابن حبان ٤٦ بالإحسان، وابن جرير ١٥/٦، ١٥، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣ بسندٍ صحيحٍ على شرط الشيخين.

البُراق، بضم الباء: يأتي تفسيره في الحديث الثالث. وقوله: ملجمًا، أي له لجام. وقوله: مسرجًا، أي عليه سرج. وقوله: فاستصعب، أي نفر وتظاهر بالصعوبة. وقوله: فارفضَّ، أي سال عرقه خجلاً.

وفي الحديث أنه ﷺ ذهب من مكة إلى بيت المقدس راكبًا على متن البراق طائرًا به صُحبة جبريل عليه السَّلام.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بـي انتهيت إلى بيت المقدس فخرق جبريل عليه السَّلام الصخرة بإصبعه وشدَّ بها البراق».

رواه الترمذي ٢٩٣٠، وابن حبان ٤٧، والحاكم ٢/ ٣٦٠، وصحَّحه ووافقه الذهبـي.

في الحديث سلوك طريق الأسباب حيث ربط جبريل البراق بالصخرة مع أنه مسخر من الله لنبيه ﷺ في هذه الرحلة ولا يتصور منه الفرار. وهذه الصخرة المذكورة عليها بنيت القبة المعروفة المشهورة وقد زرناها، والحمد لله مرارًا قبل الاحتلال الصهيوني.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوتيت بالبراق، وهي دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصلَّيت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السَّلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم ﷺ فرحَّب بـي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلَّى الله عليهم وسلم، فرحَّبا بـي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلَّى الله عليه وعلى نبيِّنا وآله وسلَّم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بـي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى

السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السَّلام فرحَّب بـي ودعا لي بخير، قال الله عزَّ وجل: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٧]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون عليه السَّلام فرحَّب بـي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة وذكر مثله، فإذا أنا بموسى عليه السَّلام فرحَّب بـي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم عليه السَّلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بـي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشَّى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت، إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربـي فقلت: يا رب خفف عن أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربـي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربـي حتى استحييت منه».

رواه أحمد ١٤٨/٣، ومسلم في الإيمان ٢٠٩/٢، ٢٢٥، ورواه البخاري في التوحيد وغيره من طريق شريك بن أبـي نمر، لكن روايته هذه مطعون فيها.

أحاديث الإسراء جاءت من طرق كثيرة، وسياقات مختلفة عن جم غفير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وفيها عبر وعظات ومعجزات وحكم وأحكام، والمحققون والجمهور من أهل العلم أن الإسراء كان مرةً واحدةً يقظة، بجسمه وروحه ﷺ.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لَمَّا كذبتني قريش قمت في الحجر فَجَلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

رواه أحمد ٣/ ٣٧٧، ٣٧٨، والبخاري في التفسير ١٠/ ٦، وفي المناقب، ومسلم في الإيمان ٢/ ٢٢٧، والترمذي في التفسير ٢٩٣١ وغيرهم، ونحوه عن أبي هريرة عند مسلم.

فجلى، بفتح اللام المشددة وتخفف، أي أظهر. فطفقت، أي جعلت.

وفي هذا آية عظيمة له ﷺ حيث كشف الله له عن بيت المقدس وهو ينظر إليه من مكة المكرمة، وأين التلفاز الحالي من هذه الآية التي ليست لها أجهزة ولا أقمار اصطناعية. . . ولا يد فيها للبشرية.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن لا نصدق محمدًا فارتدوا كفارًا، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل.

رواه أحمد ١/ ٣٧٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٧، وأبو يعلى ٢٧٢٠ بسندٍ حسن.

فيه أنه ﷺ شاهد عير الكفار ليلة إسرائه وأخبرهم به ومع ذلك عاندوا وكفروا قبحهم الله وأخزاهم.

وهـذه الأحـاديـث وأمثـالهـا كلهـا تفسيـر لآيـة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ . . .﴾ الآية، والمسجد الحرام جاء إطلاقه في القرآن على منطقة الحرم، وعلى مكة، وعلى المسجد، وعلى نفس الكعبة. والمراد به هنا مكة المكرمة، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، وسمي أقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. ومعجزة الإسراء والمعراج من أبهر المعجزات، وأعظمها، وأعجبها، وهو من الأحداث الغريبة في تاريخ الإسلام، وسيأتي مزيد لهذا في سورة النجم إن شاء الله تعالى.

٣ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي ويَنْفُذُهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السَّلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربـي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه تعالى نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك. . .»، الحديث بطوله في الشفاعة.

رواه أحمد ٢/ ٤٣٥، والبخاري ١٠/ ١٠، ١١، ومسلم في الإيمان ٣/ ٦٥، ٧٠، والترمذي في الزهد ٢٢٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٨ وغيرهم.

فقوله: وقد سماك الله عبدًا شكورًا موافق للآية الكريمة.

ومعنى الآية: يا ذرية ويا أبناء المؤمنين الذين كانوا مع نوح في السفينة لقد نجينا آباءكم من الغرق فاشكروا الله على إنعامه، إن نوحًا كان كثير الشكر يحمد الله تعالى على كل حال فاقتدوا به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾. ﴿١٥﴾

عن الأسود بن سريع رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ قال: «أربعة يوم القيامة يُدْلون بحجة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليُطيعُنَّهُ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا».

رواه أحمد ٤/ ٢٤، وابن حبان ١٦/ ٣٥٦، ٣٥٧، والطبراني في الكبير ٨٤١ بسندٍ صحيح، ورواه أحمد ٤/ ٢٤، وابن جرير ١٥/ ٥٤، عن أبي هريرة بنحوه وسنده صحيح أيضًا، وفي آخره قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾. وورد عن أنس وأبي سعيد ومعاذ بن جبل وغيرهم، أوردها ابن كثير في تفسيره وما ذكرناه هو أصحها.

وفي الحديث بيان امتحان الله تعالى لهؤلاء يوم القيامة باقتحامهم النار، فمن أطاع كان ذلك دليلاً على سعادته، ومن عصاه كان شقيًا طريدًا، وما اعترض به ابن عبد البر على هذه الأحاديث قد أجاب عنه ابن كثير فانظره.

(٢٦) قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل وولد وحاضرة، فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الزكاة من مالك إن كان، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل، والجار، والمسكين»، فقال: يا رسول الله أقلل لي، قال: «فآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذِّر تبذيرًا»، فقال: حسبي يا رسول الله إذا أدَّيت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها، وإثمها على من بدلها».

رواه أحمد ٣/ ١٣٦، والطبراني في الأوسط ٨٧٩٧ بسندٍ صحيحٍ، وقال النور ٣/ ٦٦: رجاله رجال الصحيح.

في الآية مع الحديث أمر من الله ورسوله ﷺ بإعطاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم مما يستحقونه من الصلة والمساعدة، والإحسان مع النهي عن تبذير المال وإنفاقه في غير حقه، فإن أصحاب ذلك من إخوان الشياطين.

(٣٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

عن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه أن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبًا، فقال: اجلس، فجلس، فقال: أفتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا

الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ فقال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللَّـهمَّ اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وأحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

رواه أحمد ٥/ ٢٥٧، والطبراني في الكبير ٨/ ١٩٠، ٢١٥، وسنده صحيح على شرط مسلم، وقال النور ١/ ١٢٩: رجاله رجال الصحيح.

الزنا من كبار الفواحش والذنوب العظام، وهو محرم في جميع الشرائع، فلا يحل بحال إلاَّ من أكره عليه، وقد ضرب النبي ﷺ لذلك الفتى مثلاً رائعًا بنساء من خواص الأقارب: الأم، البنت، الأخت، العمة، الخالة، يتحاشى المؤمن ويغار أن تفعل فاحشة الزنا بإحداهن، فكما أنه لا يسمح لأحد أن يقرب هؤلاء الحرم بما يخدش أعراضهنَّ كذلك كل الناس لا يسمحون لأي شخص أن يتعاطى مع محارمه تلك الفاحشة الشنعاء، وكفى بذلك عبرةً وذكرى.

(٥٥) قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن يفرغ».

رواه أحمد ٢/ ٣١٤، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/ ٢٦٥، وفي التفسير ١٠/ ١١، ١٢ وفي غيرهما.

المراد بقوله القرآن، أي القراءة، يعني قراءة كتابه الزبور، وقيل: التوراة. وفيه معجزة ظاهرة له عليه السَّلام، فإن قراءته للزبور أو غيره في

مثل هذا الوقت أمر خارق وبركة واضحة، وقد يجعل مثل ذلك لبعض الصالحين كرامةً لهم من الله تعالى كما حكي عن بعضهم أنه كان يختم ثمان ختمات من القرآن بين اليوم والليلة.

(٥٧) قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كان نفر من الإنس يعبدون الجن فأسلم الجن وثبت الإنس على عبادتهم لهم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ... ﴾ الآية.

رواه البخاري ١٠/ ١٢، ومسلم ١٨/ ١٦٤، كلاهما في التفسير.

يبتغون: أي يطلبون، والوسيلة ما يتقرب به إلى الله، والحديث بين أن الآية نزلت بسبب قوم من العرب كانوا مشركين يعبدون طائفة من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم إياهم ولم يشعروا أن الجن أسلموا.

ومعنى الآية الكريمة: أولئك الآلهة من الجن الذين كانوا يعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يطلبون القرب إلى الله تعالى ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف تعبدونهم من دون الله تعالى وهم لا يستطيعون دفع البلاء عنكم، ولا تحويله إلى غيركم.

(٥٩) قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، قال الله عز وجل: إن شئت آتيناهم ما سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، وإن شئت نستأني بهم لعلنا ننتج منهم، فقال: لا بل أستأني

بهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ. . .﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ٢٥٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٠، والحاكم ٢/ ٣٦٢، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٧١ بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع ٧/ ٥٠: ورجال الروايتين رجال الصحيح.

قوله: نستأني، من التأني، أي ننتظر ونتربص. وقوله: ننتج منهم، أي نخرج من أصلابهم من يؤمن بي.

والحديث يدل على ما دلت عليه الآية الكريمة، في أن المانع من إرسال الآيات والخوارق كما اقترح هؤلاء الكفار إلَّا تكذيب من سبقهم من الأمم حيث اقترحوا ثم كذبوا فأهلكهم الله ودمرهم، وهكذا هؤلاء فإنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا ثم كذبوا لاستأصلهم الله وأبادهم، لأن تلك سنَّة الله عز وجل في خلقه.

٦٠ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ. . .﴾ الآية، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن قال: هي شجرة الزقوم.

رواه أحمد ١٩١٦، والبخاري ١٠/ ١٣، والترمذي ٢٩٣٢، والنسائي ٦/ ٣٨١ كلهم في التفسير.

قوله: رؤيا عين، أي مشاهدة في اليقظة، وهي ما شاهده في تلك الليلة من الآيات وعجائب الأرض والسماء، وكان ذلك امتحانًا وفتنة لأهل مكة حيث كذب بذلك جماعة منهم وارتدَّ آخرون حيث أن عقولهم لم تتحمل ذلك.

أما الشجرة الملعونة فقد فسِّرت بشجرة الزقوم، وهي شجرة خبيثة مُرَّة جعلت طعامًا للكفار في جهنم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الواقعة]. وكان ذكرها للكفار فتنة أيضًا حتى قال أبو جهل قولته المشهورة: هاتوا لنا تمرًا وزبدًا، وجعل يأكل ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا.

٧٨ قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زاغت الشمس ثم تلا: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ... ﴾ إلخ.

رواه ابن جرير ١٥/ ١٣٥ بسند صحيح وأصله في الصحيحين بغير ذكر الآية.

الحديث يدل على أن الدلوك في الآية هو زوال الشمس عند الظهر، وبهذا قال الجمهور، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وغسق الليل هو سواده وظلامه، وقال جماعة من السلف: إن الدلوك والغسق هما غروب الشمس. وبهذا كان يقول ابن مسعود وغيره، والصحيح القول الأول.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح». يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ١٠/ ١٤. وفي رواية: «يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»، رواه أحمد ٢/ ٤٧٤، والترمذي ٢٩٣٣، والنسائي ٦/ ٣٨١، وابن

ماجه ٦٧٠، والحاكم ١/ ٢١١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي صلاة الفجر، ومعناه أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى اشتداد ظلمة الليل، ثم صلِّ صلاة الفجر وهي الصبح فإن صلاتها مشهودة تشهدها الملائكة الذين يتعاقبون على الإنسان طوال حياته في وقتي العصر والصبح.

٧٩ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾. وسئل عنها فقال: هي الشفاعة.

رواه أحمد ٢/ ٤٤١، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨، والترمذي ٢٩٣٥، وابن جرير ١٥/ ١٤٥، ١٤٦، وابن خزيمة في التوحيد ١٩٨، والطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٤٤٩. وفي رواية: «هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه»، وحسنه الترمذي.

وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول: فذاك المقام المحمود».

رواه أحمد ٣/ ٣٥٦، وابن حبان ٦٤٤٥ بالإحسان، والحاكم ٢/ ٣٦٣ بسند صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وهو أيضًا عند ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٤٢.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، فذكر الحديث في الاستشفاع بالأنبياء وفيه: «فأخِرُّ ساجدًا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفَّع، وقل يُسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾».

رواه أحمد ٣/ ٢، والترمذي ٢٩٤٥، وابن ماجه ٤٣٠٨ وحسنه الترمذي وهو صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًى كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

رواه البخاري ١٠/ ١٤، والنسائي ٦/ ٣٨٨، كلاهما في التفسير. وحكمه الرفع.

التل بفتح التاء قطعة من الأرض مرتفعة عما حولها. وقوله: جثى، أي جماعة، والجاثي الجالس على ركبتيه.

وفي هذه الأحاديث بيان أن المقام المحمود هي شفاعة النبي ﷺ العظمى التي خصه الله بها لإراحة الخلائق من الموقف، وقد تواترت بها الأحاديث، واتفق عليها كل الطوائف، حتى المعتزلة الذين ينكرون غيرها من الشفاعات. وسمي هذا المقام مقامًا محمودًا لأن كل الخلائق حتى أكابر الأنبياء يحمدونه ﷺ في ذلك الموقف.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلّت له شفاعتي يوم القيامة».

رواه أحمد ٣/ ٣٣٧، والبخاري في الآذان، وفي التفسير ١٠/ ١٥، وأبو داود ٥٢٩، والنسائي في المجتبى ٢/ ٢٢، والترمذي ١٨٩، وابن ماجه ٧٢٢.

فالمقام المحمود الذي وعده الله هو المذكور في الآية. وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لمن سأل له ﷺ الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود عقب الآذان، جعلنا الله تعالى من أهل ذلك.

(٨٠) قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ. . .﴾ الآية.

رواه أحمد ١/ ٢٢٣، والترمذي ٢٩٣٧، وابن جرير ١٥/ ١٤٨، وحسنه الترمذي وصححه. وقابوس بن أبي ظبيان حجة عند الترمذي صحح له وحسن غير ما حديث، وقال فيه ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وضعفه غيرهما.

ومدخل صدق: هو دخوله عليه الصَّلاة والسَّلام المدينة، ومخرج صدق: خروجه من مكة المكرمة.

(٨١) قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبًا، فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده وربما قال بعود. ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، و ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩].

رواه البخاري في المظالم وفي المغازي وفي التفسير ١٠/ ١٥، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/ ١٣٣، والترمذي ٢٩٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٢ وغيرهم. ونحوه عن أبي هريرة في فتح مكة مطولاً، وفيه طعنه ﷺ للأصنام وقراءته للآية، رواه مسلم ١٢/ ١٣٠ وغيره.

نُصُب بضم النون والصاد جمع أنصاب، وهي ما عبدت من دون الله من الأصنام والتماثيل. وقوله: يطعنها بضم العين، وفعل ذلك بها حينما جعل يطوف بالبيت كما جاء مبينًا في صحيح مسلم.

ومعنى الآية التي تلاها النبي ﷺ عند طعنه للأصنام: جاء الحق وسطع نوره وبَدَا ضياؤه وهو الإسلام، وزهق واضمحل الباطل وهو الكفر وعبادة الأصنام، فلا شرك ولا وثنية بعد إشراق نور الإيمان، إن الباطل كان مضمحلاً متلاشيًا لا بقاء له ولا ثبات ولا إعادة له أصلاً.

(٨٥) قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر به نفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فإنه يسمعكم ما تكرهون فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام النبي ﷺ ساعة ورفع رأسه إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى. . .﴾ الآية.

رواه البخاري في العلم وفي التفسير ١٠/ ١٥، ١٨، وفي الاعتصام وفي التوحيد ومسلم آخر الكتاب، والترمذي ٢٩٣٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٣.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت قريش ليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾. قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

رواه أحمد ١/ ٢٥٥، والترمذي ٢٩٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٢، والحاكم ٢/ ٥٣١ وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

العسيب هو عود من أعواد النخل. وظاهر الحديثين يقتضي أن الآية نزلت بمكة وبالمدينة ولا مانع من ذلك، فيكون كل من كفار قريش واليهود سألوه عن ذلك.

والآية الكريمة نص في أن الروح من أمر الله عزَّ وجل وأنه من الأسرار الخفية التي لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله عزَّ وجل، فالبحث فيها بعد هذا يعد بحثًا ضائعًا وفضولاً وتقدمًا بين يدي الله عزَّ وجل. وقد أفاض الناس قديمًا وحديثًا في الكلام على الروح، وألفوا فيه كتبًا ورسائل.

وانظر بعض ما يتعلق به في الفتح ١٠/ ١٧، وراجع كتاب الروح لابن القيم وكتاب عجائب القلب من الأحياء لأبي حامد الغزالي رحم الله الجميع.

(٨٦) قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لينزعن هذا القرآن من بين أظهركم قيل: يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسرى على القرآن ليلاً فلا يبقى في قلب عبد ولا في مصحفه منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ. . . ﴾ الآية.

رواه الطبراني في الكبير ٨٦٩٨. قال في مجمع الزوائد ٧/ ٥١/ ٥٢ ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة. والحديث له حكم الرفع لأنه لا مجال فيه للنظر.

ويؤيد رفع القرآن ـ وذلك آخر الزمان بعد ذهاب عيسى وموت المؤمنين ـ ما جاء عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسري على كتاب الله عزَّ وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية. . . » الحديث.

أخرجه ابن ماجه ٤٠٤٩، والحاكم ٤/ ٥٤٥ كلاهما في الفتن وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذا صححه البوصيري.

وقوله: يدرس بفتح الياء، أي: يصير عتيقًا. ووشي الثوب: نقشه.

فالحديث مؤيد لأثر ابن مسعود في رفع القرآن الكريم من القلوب والمصاحف، وقوله تعالى في الآية: ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾، أي لو أردنا لمحونا هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، فإن ذلك تحت قدرتنا، ثم إذا ذهبنا به لا تجد من يتوكل علينا باسترداده، وقوله: إلا رحمة من ربك معناه لكن رحمة من ربك تركناه محفوظًا في الصدور والمصاحف حتى يأتي وقت رفعه حيث لا تبقى له مهمة، ولا يبقى في الأرض من يعمل به.

(٩٧) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفًا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم»، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوكة».

رواه الترمذي ٢٩٤٠، وابن جرير في سورة الفرقان ١٨/ ١٢، ١٣ وغيرهما، وسنده حسن، وله حديث آخر في الصحيحين ببعض هذا.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم محشورون رجالاً وركبانًا وتجرون على وجوهكم».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٤١، وفي صفة القيامة ٢٢٤٤ وسنده حسن. وقال الحافظ في الفتح ١٤/ ١٦٨: سنده قوي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

رواه البخاري في تفسير الفرقان ١٠/ ١٠٩، وفي الرقاق ١٤/ ١٧١، ومسلم في صفة جهنم ٢٨٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٠، وابن جرير ١٨/ ١٢ وغيرهم.

الحدب بفتحتين: الغليظ والمرتفع من الأرض. والحشر: الجمع.

وهذه الأحاديث ظاهرة في أن ما فيها سيكون يوم القيامة بعد البعث من حشر الناس إلى الموقف ركبانًا وراجلين، وماشين على وجوههم مجرورين. واختلف العلماء في هذا الحشر لاختلاف الأحاديث فيه، فقال بعضهم: الحشر حشران، حشر قبل يوم القيامة يحشر فيه الناس إلى الشام وهو الذي ورد فيه الركوب، وحشر بعد البعث وهو الذي جاء فيه: «يحشرون حفاة عراة مشاة...» إلخ.

وانظر تفصيل ذلك في الرقاق من فتح الباري ١٤/ ١٦٧، ١٦٨، وشرح السنة للبغوي ١٥/ ١٢٥.

وفي هذه الأحاديث بيان أن أمور الآخرة على خلاف شؤون الدنيا، وأن ما يكون مستحيلاً عقلاً أو عادة في هذه الدار يكون عاديًا في الآخرة، فالواجب الإيمان بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ما هو فوق مستوى عقولنا.

(١١٠) **قوله تعالى**: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا . . .﴾ إلخ، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً . . .

رواه أحمد رقم ١٨٥٣، والبخاري في التفسير ١٠/ ١٩، ٢٠ وفي التوحيد، ومسلم في الصلاة ٤/ ١٦٤، والترمذي ٢٩٤٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٤ وفي الصلاة من المجتبى وغيرهم.

وعنه قال: كانوا يجهرون بالدعاء: اللّٰهم ارحمني. فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يخافتوا ولا يجهروا.

رواه ابن جرير ١٥/ ١٨٣. وأورده الحافظ في المطالب والحافظ البوصيري في الإتحاف ٦٤٧٤ وعزياه لابن منيع بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزلت في الدعاء.

رواه البخاري ١٠/ ٢٠، في التفسير، ومسلم في الصلاة ٤/ ١٦٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٤، وابن جرير ١٥/ ١٨٣.

ظاهر حديث ابن عباس الأول أن الآية نزلت في القرآن في الصلاة بينما حديثه الثاني مع حديث عائشة يدلان على أنها نزلت في الدعاء. واختار ابن جرير كما يظهر من قوله القولين معًا لأنهما لا تنافي بينهما، فقال: فتأويل الكلام: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلاً، ولكن

التمس بين الجهر والمخافتة طريقًا إلى أن تسمع أصحابك ولا يسمعه المشركون فيؤذوك . .

وبهذا تم الكلام على سورة الإسراء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه إلى يوم الدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الكَهْفِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مكية كسابقتها، وهي مائة وعشر آيات، وسميت باسم الكهف إخلادًا لذكر أولئك الفتية المؤمنين الغرباء أصحاب الكهف.

وأهداف السورة الإرشاد إلى تدعيم العقيدة الإسلامية وتثبيتها والدعوة إليها بشتى الوسائل، كذكر القصص العجيبة، وما فيها من عبر وعظات، ودلائل توحيد الباري جلَّ علاه. . . وما إلى ذلك مما يتجلَّى في السورة الكريمة.

من خصائص هذه السورة

ولهذه السورة خصائص أيضًا امتازت بها دون سائر السور، وهي كالآتي:

١ ـ ما خصت به من فضل وأن: «من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين». رواه الحاكم وغيره، وهو حديث حسن صحيح.
وفي صحيح مسلم أنَّ: «من قرأ العشر الأواخر منها عُصِم من فتنة الدجَّال»، وفي رواية له: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف

عُصِم من الدجال»، وفي رواية: «من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف. . . »، رواه الترمذي وحسَّنه وصحَّحه.

٢ ـ هي إحدى السور الخمس التي بُدِئت بلفظ الحمد لله، وباقيها الفاتحة، والأنعام، وسبأ، وفاطر.

٣ ـ ذكر فيها ثلاث قصص من أروع قصص القرآن الكريم لا وجود لها في غير هذه السورة، وهي:

* قصة أصحاب الكهف الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل عقيدتهم والحفاظ على دينهم. . . فجعلهم الله عزَّ وجلّ آية وعبرة لأهل عصرهم وللأجيال اللاحقة بعدهم. . . آيات ٩ إلى ٢٦.

* ثم قصَّة سيِّدنا موسى مع سيِّدنا الخضر عليهما السلام، والتي يتجلَّى فيها التواضع العلمي والعلم اللدني، وعجائب الآيات وعلوم المغيبات. آيات ٥٩ إلى ٨١.

* ثم قصَّة ذي القرنين رضي الله تعالى عنه، ذلك الملك العظيم الصالح الذي طوف في رحلاته المشارق والمغارب وسائر المعمور، والذي مكَّن الله له في الأرض، واختصَّ ببناء ذلك السدّ التاريخي العظيم الذي قصَّه الله تعالى علينا في كتابه الكريم، والذي جعله حاجزًا بين الناس وبين ذلك الجنس المتوحش العاثي المفسد يأجوج ومأجوج. آيات ٨٢ إلى ٩٤.

٤ ـ ذكر ذلك المثل الرائع العجيب الذي ضربه تعالى لصاحبي الجنتين: الغني المزهو بماله وثروته وكثرة نفره، الكافر بالله وبنعمته، المتكبِّر المتعاظم على أخيه؛ والفقير المسلم المتواضع المذعن لربه، المتعبد له، القانع بقسمته؛ وبيان عاقبتهما، وما في ذلك من العبرة والعظة. آيات ٣٢ إلى ٤٢.

٥ ـ إخباره تعالى بأنَّ كل ما على الأرض من حيوان وأحياء وجبال وأشجار ونبات وبحار وأنهار هي زينة لها.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢٣) (٢٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، فتأتي كل امرأة برجل يضرب بالسيف، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فجاءت واحدة بنصف ولد، ولو قال سليمان إن شاء الله لكان كما قال».

رواه أحمد ٢/ ٢٢٩، والبخاري في الجهاد ٦/ ٣٧٤، ٣٧٥، وفي الأنبياء ٧/ ٢٧٠ وغيرهما، ومسلم في الأيمان والنذور ١١/ ١١٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٥، وفي المجتبي وغيرهم بألفاظ.

الحديث قد تكلّمت على ألفاظه وفوائده وعبره في كتابي الفوائد والعبر من عجائب الأقدمين، والشاهد منه هنا هو أنه عليه السلام لو قال: إن شاء الله، لجاءت كل امرأة بولد فارس يقاتلون معه في سبيل الله تعالى، ولذلك نهى الله تعالى نبينا ﷺ أن لا يقول لشيء عزم عليه أن يفعله غدًا... إلاَّ أن يقرنه بالمشيئة الإلـٰهية...

(٢٨) قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾.

عن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه في قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام:

٥٢]، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعُيَيْنَة بن حِصن الفزَاري، فوجدوا النبـي ﷺ قاعدًا مع بلال، وصُهيب، وخَبَّاب، وناس من الضُّعَفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإنَّ وجوه العرب تَرِدُ عليك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأَعْبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنّا، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليًّا رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾، فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: تجالس الأشراف، ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ قال: عُيَيْنَةَ والأقرعَ ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ قال: هلاكًا، ثم ضرب لهم مثلاً رجلين كمثل الحياة الدنيا قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه وإلاَّ صبر أبدًا حتى نقوم.

رواه ابن أبـي شيبة في الفضائل من المصنف رقم ٣٢٥١٨ بالآية الأولى، وأبو يعلى كاملاً كما قال البوصيري في الإتحاف رقم ٦٤٧٦، وسنده صحيح بَيْدَ أنني لم أجده في مسند خباب من مسند أبـي يعلى.

في الحديث فضل فقراء الصحابة وأنهم بالمكان الأعلى عند الله

عزّ وجلّ، حتى إنَّ الله عزَّ وجلّ أمر نبيّه ﷺ أن يحبس نفسه معهم فيجالسهم ويرشدهم ويؤانسهم غدوة وعشيًّا لأنهم لا يريدون غير الله والدار الآخرة، وهذا بخلاف الكفار الأنانيين الذين أعرضوا عن الله وغفلوا عن ذكره واتبعوا أهواءهم، ولذلك نهاه تعالى عن إطاعتهم فيما دعوه إليه.

وعن عبد الرحمن بن سهل بن حُنَيْف رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾، خرج يلتمس فوجد قومًا يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وحافِ الجِلْدِ، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمّتي مَن أَمَرَني أن أَصْبِرَ نفسي معهم».

رواه ابن جرير ١٥/ ٢٣٥، والطبراني. قال النور في المجمع ٧/ ٢١، ورجاله رجال الصحيح، ونحوه عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في الأوسط ٨٨٦١، وأبي يعلى وغيرهما مطوّلاً، وفيه: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم...» إلخ.

الحديث جاء مفسِّرًا للآية الكريمة وفيه كسابقه فضل ذوي الفاقة والحاجة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكذا غيرهم ممن يسير على دربهم.

(٣٩) قوله تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا موسى، أو يا عبدَ الله، ألا أدلُّك على كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجنة؟»، قلت: بلى، قال: «لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله».

رواه أحمد ٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٧، والبخاري في الدعوات ٦٤٠٩، وفي التوحيد ٧٣٨٦، ومسلم في الذكر ٢٧٠٤ وغيرهم، ومثله عن معاذ عند أحمد والنسائي، وعن

سعد بن عبادة عند أحمد والنسائي والترمذي وصحَّحه، وعن أبي ذرّ رواه أحمد ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٥، وابن ماجه ٣٨٢٥ بسند صحيح.

إنما كانت هذه الكلمة كنزًا من كنوز الجنة؛ لأنَّها اشتملت على تبرّي العبد من حوله وقوته للباري جلَّ عُلاه وتفويض كل أموره إليه تعالى واعترافه بالعجز والضعف، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وهذا هو لب التوحيد وأساسه، وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن إذا كان له مال فأعجب به أن يقرأ هذه الآية: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾. وقد وردت آثار عن السلف في ذكر هذه الآية عند تجدُّد نعمة أو دخول البيت ونحو ذلك.

٤٧ **قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُحشَرون يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً»، قالت عائشة: قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال رسول الله ﷺ: «الأمر أشد من أن يهُمَّهم».

رواه البخاري في الرقاق ٦٥٢٧، ومسلم في الجنة ٢٨٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٥، وفي الجنائز من المجتبى، وابن ماجه في الزهد ٤٢٧٦ وغيرهم، ويأتي حديث ابن عباس في الأنبياء.

حفاة: بلا أحذية ولا نعال. عراة: بلا ملابس. غرلاً جمع أغرل: وهو الذي لم يختتن. والحشر: هو الجمع. ونغادر: نترك.

ومعنى الآية والحديث أنَّ الله عزَّ وجلّ سيجمع كل الخلائق ويحشرهم مجرَّدين كما ولدوا ولا يترك أحدًا منهم مهما كان حاله ومقامه ثم يعرضون على الله تعالى صفًّا صفًّا.

٥٤ **قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.**

عن علي رضي الله تعالى عنه أنَّ النبي ﷺ طرقه وفاطمة رضي الله

تعالى عنها فقال: «ألا تُصلُّون؟» قلت: يا رسول الله، إنَّما أنفُسُنا بِيَدِ الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف رسول الله ﷺ وهو مدبرٌ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.

رواه البخاري في التهجُّد، وفي التفسير ١٠/ ٢٢، وفي الاعتصام، وفي التوحيد، ومسلم فيمن نام الليل أجمع من كتاب الصلاة رقم ٧٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٦، وفي المجتبى وغيرهم.

طرقه: أي أتاه ليلاً. وفي الحديث إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن ينسب تقصيره إلى الله تعالى وإن كانت كل أموره بالله عزَّ وجلّ وبإذنه ومشيئته فإن الأدب يأبى ذلك. ولذلك كره النبي ﷺ ما أجابه به الإمام علي رضي الله تعالى عنه، واستشهد ﷺ بالآية الكريمة على أن الإنسان من شأنه كثرة الجدل. وفي الحديث الحض على قيام الليل للصلاة والتهجُّد والتلاوة والذكر.

٦٠ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ
٦١ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ
٦٢ ٦٣ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ
إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى
٦٤ ٦٥ ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ
٦٦ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
٦٧ ٦٨ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ
٦٩ ٧٠ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا
٧١ تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ
٧٢ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾
٧٣ ٧٤ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ

﴿٧٥﴾ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
﴿٧٦﴾ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
﴿٧٧﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
﴿٧٨﴾ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
﴿٧٩﴾ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
﴿٨٠﴾ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
﴿٨١﴾ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
﴿٨٢﴾ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا
فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنَّ نوفًا البكالي يزعم أنَّ موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أُبَيُّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ موسى عليه السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئِل أيُّ الناس أعلم؟ فقال: «أنا»، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مِكْتَل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. فأخذ الحوت فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المِكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سَرَبًا، وأمسك الله عن الحوت جِرية الماء فصار عليه مثل الطاقِ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن

سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾، قال: ولم يجد موسى النَّصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾. قال: فكان للحوت سَرَبًا ولموسى ولفتاه عجبًا، فقال له موسى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾، قال: رجعا يقصَّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجًّى ثوبًا فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما عُلِّمتَ رُشدًا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا يا موسى، إني على علم من الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله عَلَّمَكَهُ لا أعلمه، فقال موسى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾، فقال له الخضر: ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرَّت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نَول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ ».

قال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسيانًا. قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلاَّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾»، قال: وهذا أشدُّ من الأولى. ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، قال: مائل، فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يضيّفونا!! ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾...﴾ إلى قوله: ﴿... ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾».

فقال رسول الله ﷺ: «ودِدْنا أنَّ موسى كان صَبَر حتى يقص الله علينا من خبرهِما»، قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصْبًا﴾، وكان يقرأ: ﴿وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين﴾.

رواه أحمد ٥/١١٨، ١٢٠، ١٢٢، والبخاري في العلم ١/ ٢٢٢، ٢٢٨، وفي الأنبياء ٧/ ٢٤٢، وفي تفسير سورة الكهف ١٠/ ٢٣، ٣٩، وفي مواضع نحو العشرة، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٣٦، وأبو داود في السُّنَّة، والترمذي ٢٩٤٦، والنسائي ٦/ ٣٨٦، ٣٩١، كلاهما في التفسير وغيرهم مطولاً ومختصرًا.

هذا حديث عظيم جاء مفسّرًا لهذه الآيات الواردة في قصة هذين النبيين العظيمين، وقد ذكرته مشروحًا مبينًا فوائده في الفوائد والعبر من عجائب الأقدمين، وبينت فيه أنَّ الصحيح من قولي العلماء أنَّ الخضر كان نبيًّا وأنه لا يزال حيًّا... فليراجع الكتاب المشار إليه فإن فيه فوائد وعبرًا، والله وليّ التوفيق.

وعن أُبَـيِّ بنَ كعب رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا». وفي رواية: «ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا».

رواه أحمد ٥/ ١٢١، ومسلم في الفضائل وفي القدر ١٦/ ٢١١، وأبو داود في السُّنَّة ٤٧٠٥، والترمذي في التفسير ٢٩٤٧ بتهذيبه وغيرهم.

هذا من تتمة تفسير قصة الخضر في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ. . .﴾، وأنَّ هذا الغلام ختم على قلبه في بطن أمه، وأنه سبق علم الله وقدره بكفره قبل كونه، وقوله: «ولو عاش لأرهق»، أي لحملهما على الكفر والطغيان وألحقهما به.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمِّي الخضر لأنه جلس على فروةٍ بيضاء فاهتزَّت تحته خضرًا».

رواه أحمد ٢/ ٣١٢، والبخاري في ذكر موسى والخضر من أحاديث الأنبياء ٧/ ٢٤٦، والترمذي في التفسير ٢٩٤٨، وغيرهم.

فَروة بفتح الفاء وسكون الراء هي هنا قطعة يابسة من حشيش. وقوله: فاهتزَّت أي تحركت. وفي الحديث بيان سبب تسمية الخضر بهذا اللقب، وقالوا في سبب اهتزاز الفروة تحته خضراء بجلوسه عليها: لكونه شرب من عين الحياة.

٩٤ قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
٩٥ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: انتبه رسول الله ﷺ من نومه محمرًّا وجهه وهو يقول: «لا إلـٰه إلاَّ الله (ثلاث مرات)، ويل للعرب من شرٍّ قد اقتربَ، فُتِح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد تسعين أو مائة»، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم إذا كثر الخبث»، وفي رواية: وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

رواه أحمد ٦/ ٤٢٨، ٤٢٩، والبخاري في الأنبياء ٧/ ١٩٥، وفي علامات النبوة، وفي الفتن، ومسلم ١٨/ ٢/ ٣، والترمذي ٢٠١٧، وابن ماجه ٣٩٥٣، ثلاثتهم في الفتن، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٢، وغيرهم.

يأجوج ومأجوج قبيلتان من ذرية يافث بن نوح عليه السلام، كانوا مفسدين بالقتل وقطع الطريق والسلب والنهب وسائر وجوه الشر، فبنى ذو القرنين السد بينهم وبين غيرهم من بني آدم، والجمهور على أنَّ هذا السد في غرب شمال آسيا، فالله تعالى أعلم، فالقرآن مصرح بوجودهم وبناء السد بينهم وبين غيرهم، والحديث نص في أنهم يعالجون فتح السد، وأنه كان أيام النبوَّة قد فتح من ردمه مقدار حلقة ما بين السبابة والإبهام، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ صريح بأنه سيتصدع عند قرب الساعة فيخرج هؤلاء المفسدون على العالم فيعيثوا فيه فسادًا حتى يهلكهم الله أيام سيدنا عيسى عليه السلام كما جاء في حديث النواس بن سمعان في الفتن من صحيح مسلم، وسيأتي لنا كلام على قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ . . . إلخ.

وقوله في الحديث: «نعم إذا كثر الخبث»، الخبث بفتحتين، هو هنا الفسوق والفجور وأولاد الزنا. والهلاك بالخبث يتجلّى واضحًا في واقعنا، فما أصاب المسلمين اليوم من أنواع البلايا والهزائم والخزي والإذلال. . . أمام الأمم الأخرى إلاَّ بما فشا فيهم من الزنا وأولاده. . .

﴿٩٩﴾ **قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّور؟ قال: «قرن ينفخ فيه».

رواه أحمد ٢/ ٢٦٢، ٢٩٢، وأبو داود في السنة ٤٧٤٢، والترمذي في القيامة ٢٢٥١، وفي تفسير الزمر ٣٠٢٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٢، والدارمي ٢٨٠١، وابن حبان ٢٥٧٠، والحاكم ٢/ ٤٣٦ و ٤/ ٥٦٠، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي.

الحديث مفسر لمعنى الصور في الآية الكريمة، وأنه قرن ينفخ فيه

الملَك المكلف به إسرافيل عليه السلام كما يأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) ﴾ وغيرها.

(١٠٣) (١٠٤) قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾.

عن مصعب بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: سألت أبي: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ... ﴾ إلخ، هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسمِّيهم الفاسقين. وفي رواية: ولكن الحرورية الذين قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٢٧) ﴾.

رواه البخاري ١٠/ ٤٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٩٢، كلهم في التفسير.

الحرورية من الخوارج كانوا يسكنون حروراء، بنواحي الكوفة، كانوا خرجوا على الإمام علي عليه السلام وقاتلهم ثم استفحل أمرهم حتى أصبح لهم مذهب خاص ثم تفرَّقوا مذاهب، ولا زال لحدِّ الساعة بعض عناصرهم مفرَّقين في بلاد الإسلام. وتفسير الآية باليهود والنصارى هنا قد يكون من قبيل المرفوع، ولا شك في خسران هؤلاء وبطلان أعمالهم وشقاوتهم وخلودهم في نار جهنم.

(١٠٥) قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي

الرجل العظيم السَّمين يوم القيامة لا يَزِن عند الله جناح بعوضة»، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٤١، ومسلم في صفة القيامة ١٧/ ١٢٩ وغيرهما.

ومعنى الآية الكريمة والحديث الشريف أنَّ الكافر وغيره من الأشقياء لا قيمة لهم يوم القيامة، ولا وزن ولا منزلة، وأنَّ المنعَّم منهم في الدنيا السمين اللحيم لا يزن مقدار جناح بعوضة يومئذ لبطلان عمله، وخسران صفقته. . .

١١٠ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشُّركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». وفي رواية: «فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك».

رواه أحمد ٢/ ٣٠١، ٤٣٥، ومسلم ١٨/ ١١٥، وابن ماجه ٤٢٠٢، كلاهما في الزهد، وابن أبـي حاتم ٢٣٩٥ وغيرهم.

وعن أبـي سعيد بن أبـي فضالة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: مَن كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإنَّ الله أغنى الشركاء عن الشرك».

رواه أحمد ٣/ ٤٦٦، ٤/ ٢١٥، والترمذي في التفسير ٢٩٥٠ بتهذيبـي، وابن ماجه في الزهد ٤٢٠٣، وابن حبان رقم ٢٤٩٩، وهو حسن لشواهده الكثيرة، وانظر: الدر المنثور ٥/ ٤٧٠.

الآية الكريمة مصرحة بأنَّ من كان يؤمن بالله ويأمل لقاءه ويرجوا ثوابه

ويخاف عقابه فيجب عليه أن يخلص أعماله لله عزَّ وجلّ، ولا يرائي بها أحدًا ولا يبتغي بذلك غير وجه الله، فإنَّ الله تعالى لا يقبل إلَّا ما كان خالصًا له.

وجاء الحديثان لتأكيد ما في الآية ويبيّنان أنَّ الله عزَّ وجلّ غنيّ عن الشريك، فمن أشرك معه غيره في العمل... كان متروكًا ومنبوذًا مع شريكه فليطلب ثواب ما عمل من ذلك الشريك.

والشرك في الآية والحديثين المراد به الشرك الأصغر، وهو الرياء والتظاهر للناس بالأعمال والأقوال الصالحة ليعرفوا منزلته... فهذا شرك خفي. نسأل الله عزَّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا الصدق والإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وجميع حركاتنا وسكناتنا بمنّه وكرمه آمين.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الكهف. والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

انتهى الجزء الأول بتوفيق الله وإذنه والحمد لله

بتاريخ ٢٣ رجب عام ١٤٢١هـ بطنجة ــ المغرب

ويليه الجزء الثاني مفتتحًا بسورة مريم

الجواهر واللآلئ المصنوعة

في

تفسير القرآن العظيم

بالأحاديث الصحيحة المرفوعة

تأليف

الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي

حفظه الله تعالى

الجزء الثاني

دار البشائر الإسلامية

﴿ سُورَةُ مَرْيَمَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من السور المكية وآياتها ثمان وتسعون، وأهدافها تقرير عقيدة التوحيد من بيان الإيمان بالله وحده وتنزيهه عن الشريك والزوجة والولد ودعم ذلك بإيراد قصة القانتة الصديقة مريم وابنها عيسى عليهما السَّلام، ثم ذكر بعض أكابر الأنبياء الذين أنعم الله تعالى عليهم بالنبوة والرسالة والقيام بحقوق العبودية الكاملة لله عزَّ وجلّ.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكره تعالى أنه آتى نبيه يحيى عليه السَّلام الحكم صبيًّا، آية ١١.

٢ ــ ذكر قصة مريم البتول مع ولدها عيسى عليهما السَّلام بسياقات وأشياء لم تذكر في آل عمران ولا في غيرها، اقرأ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ... ﴾ إلخ، آيات ١٦ ــ ٣٣.

٣ ــ تكلم سيدنا عيسى عليه السلام في مهده وذكر مقالته: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ إلخ، آية ٣٠.

٤ ــ ذكر جماعة من الأنبياء المنعَم عليهم، وذكر بعض صفاتهم ككونهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّدًا وبكيًّا، آيات ٤٠ ــ ٥٨.

٥ ــ ذكر ورود الناس كلهم النار يوم القيامة وإن ذلك شيء مبرم وقضاء محتم لا بد وأن يقع ولا يتخلف، آيتان ٧١، ٧٢.

٦ ـ تفضله تعالى على المؤمنين الصالحين بإلقاء محبتهم في القلوب المؤمنة، آية ٩٧ .

٧ ـ تنصيصه تعالى على رفعه إدريس عليه السَّلام مكانًا عليًّا علمًا بأن كل الأنبياء مرفوعون كذلك، وإنما نص عليه لشيء خصَّ به، آية ٥٧ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢٨) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: كنت بأرض نَجْران فسألوني: أرأيتم شيئًا تقرأونه: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾، وبين موسى وعيسى ما قد علمتم من السنين؟! قال: فلم أدْرِ ما أُجيبهم به، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمَّون بأنبيائهم والصالحين».

رواه أحمد ٤/ ٢٥٢، ومسلم في الأدب ١٤/ ١١٦، والترمذي ٢٩٥٢، والنسائي ٦/ ٣٩٣، كلاهما في التفسير. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ خاطبوا مريم بذلك لأنها كانت لكثرة تعبدها تُشَبَّه برجل صالح في عصرها يسمى هارون، والحديث مصرح بأن بني إسرائيل كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم، وقد اتفق جمهور العلماء من هذه الأمة على جواز التسمي بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، بل نقل بعضهم الإجماع على جواز ذلك.

(٣٩) قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل النار النار، ودخل أهل الجنة الجنة، يجاء بالموت كأنه كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه فيقولون: نعم هذا الموت، ثم ينادي مناد: يا أهل النار تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكلهم قد رأوه فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤخذ فيذبح ثم ينادى:

يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾. قال: أهل الدنيا في غفلة.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٤٣، ومسلم في الجنة ١٧/ ١٨٤، ١٨٥، والترمذي ٢٩٥٣، ٢٣٧٥، والنسائي ٦/ ٣٩٣ كلاهما في التفسير، ونحوه عن أبي هريرة عند أحمد ٢/ ٢٦١ والشيخين.

الأملح من الأنعام ما فيه بياض وسواد. يشرئبون أي يشرفون وينظرون. والحديث يدل على أن أهل الجنة والنار مخلدون فيهما وأن لا موت يلحقهم وهذا إجماع لم يخالف فيه إلاَّ بعض أهل الشذوذ، كما أن الحديث صريح في موت الموت ذبحاً في صفة كبش ليزداد أهل الجنة فرحًا وسرورًا، ويزداد أهل النار ندامة وحزنًا وتحسرًا، ولذلك جاء الحديث مفسرًا ليوم الحسرة الذي هو وقت ذبح الموت حيث يتحسر الكفار.

٥٢ قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾.

عن جندب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لقي آدم موسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ونفخ فيك من روحه، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته، وآتاك التوراة، وكلَّمك وقربك نجيًا، فأنا أقدم أم الذكر؟ قال النبي ﷺ: فحج آدمُ موسى فحج آدمُ موسى».

رواه أحمد ٢/ ٤٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٤، وأبو يعلى ١٥٢١، ١٥٢٨ وغيرهم بسند صحيح، وقد تقدم بألفاظ عن أبي هريرة وغيره وهو في الصحيحين عنه وفي الباب عن عمر وأبي سعيد وأبي موسى وغيرهم.

الحديث قدمنا بعض ما يتعلق به وبمعناه والشاهد منه هنا قوله: وقربك نجيًا فهو مبين للآية ومؤكد لها وأن الله عزَّ وجل ناجاه بالطور وقربه إليه قربًا يعلمه الله بلا مسافة ولا مكان... فهو تعالى منزه عن صفات خلقه.

(٥٧) **قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾.**

عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: «لما عُرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة».

رواه مسلم مطولاً في الإيمان ضمن حديث الإسراء ٢/ ٢٠٩، ٢١٣، والترمذي في التفسير ٢٩٥٤ وغيرهما. وفيه عند مسلم: قال الله عزَّ وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾.

حديث الإسراء تقدم الكلام على ما فيه في أول سورة بني إسرائيل والشاهد منه هنا: رأيت إدريس في السماء الرابعة، وهو المكان العلي الذي رفعه الله إليه. وتخصيص إدريس عليه السَّلام بالتنصيص على رفعه لا نعلم سره، فإن الأنبياء الذين مر عليهم رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في السموات كلهم مرفوعون عنده تعالى في الأمكنة العلياء، فالله تعالى أعلم بحقيقة كلامه وكلام رسوله ﷺ، علمًا بأن ما ورد في الإسرائيليات في قصته كلها شبه لا شيء.

(٦٤) **قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السَّلام: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، قال: فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

رواه أحمد رقم ٢٣٦٥، والبخاري في التفسير ١٠/ ٤٣، ٤٤ وفي بدء الخلق وفي التوحيد، والترمذي ٢٩٥٥، والنسائي ٦/ ٣٩٤ كلاهما في التفسير.

قيل: إن جبريل عليه السَّلام كان قد أبطأ وتأخر مدة عن النبي ﷺ، فلما جاءه قال له ما ذكر في الحديث فنزلت الآية. وبينت أن مجيئه متوقف على الإذن من الله عزَّ وجل. وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾ إلخ، يريد أن له عزَّ وجل ما بين أيدينا من أمر الدنيا وما خلفنا من أمر الآخرة وما بين ذلك، أي: ما بين النفختين، وقيل غير هذا.

(٦٤) **قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.**

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله تعالى لم يكن لينسى شيئًا، ـ ثم تلا هذه الآية ـ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾».

رواه البزار ٢٢٣١، والحاكم ٢/ ٣٧٥، ومن طريقه البيهقي في الكبرى ١٠/ ١٢ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع ٧/ ٥٥ برواية البزار وقال: رجاله ثقات، وللحديث شواهد أوردها البيهقي ١٠/ ١٢. وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٤٢.

في الحديث رد بليغ على من يتزمت ويشدد على العباد بتحريم ما سكت الله تعالى عنه وجعله من المعفوات، فإنه تعالى منزه عن النسيان كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]. فما حرمه الله فهو الحرام الذي لا خير فيه ولا مصلحة... وما أباحه لنا فهو الحلال الذي فيه منفعة العباد ومصلحتهم، وما عدا ذلك فمسكوت عنه إلاّ ما التحق بأحد النوعين بالشروط المقررة، ففي ذلك مجال لاجتهاد العلماء، وليتق الله عزَّ وجل أولئك المتعالمون الذين يتطاولون على اجتهاد العلماء وينتقدونهم بلا أدب ولا احترام.

(٧١) **قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار»، وفي رواية: «فيلج النار إلاّ تحلة القسم».

رواه أحمد ٢/ ٢٣٩، والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ١٦٠٣، كلهم في الجنائز.

تحلة القسم أي ما ينحل به القسم واليمين وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ كما قال جمهور العلماء. ومعنى الحديث أن من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث لا يدخل النار ولا تصيبه، لكن سيدخلها مجتازًا فوق الصراط بقدر ما يحل قسم الله تعالى الذي أقسم في الآية به، لأنها مصرحة بورود كل أحد عليها ثم ينجي المتقين منها ويترك الظالمين فيها جثيًّا.

وعن السدي رحمه الله تعالى قال: سألتُ مُرَّة الهمداني عن قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يَصْدُرُون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه.

رواه أحمد رقم ٤١٢٢، ٤١٤١، والترمذي ٢٩٥٦، والحاكم ٢/ ٢٧٥ مرفوعًا وموقوفًا وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي من ثلاثة طرق وكلها حسنة، ولا يعل الحديث بالوقف فإن الحكم لمن رفع. . .

قوله: يرد الناس، الورد هنا كما قال النووي وغيره: الصحيح أنه المرور على الصراط كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة. وقوله: ثم يصدرون، أي ينصرفون. وقوله: حُضر بضم الحاء وسكون الضاد، أي عدو الفرس.

وفي الحديث بيان بأن الناس سيمرون على الصراط حسب أعمالهم، ونوّعهم في الحديث إلى ستة أنواع جعلنا الله تعالى من الأولين بمنه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾. ﴿٧٢﴾

عن أم مبشِّر رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله تعالى عنها: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت حفصة: «وإن منكم إلاّ واردها». قال النبي ﷺ: فقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

رواه أحمد ٦/ ٤٢٠، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٥٧، ٥٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٥، وابن جرير ١٦/ ١١٢ وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند البخاري في المغازي ٨/ ٣٢٥.

معنى الآية واضح. وقوله: ﴿جِثِيًّا ۝٧٢﴾، أي جاثين على ركبهم. وفيها والحديث بشارة للمؤمنين المتقين بأن الله سينجيهم من عذابه عند الورود والمرور على الصراط كما في الحديث فضل أهل بيعة الرضوان وأنهم من أهل الجنة قطعًا لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ . . . ﴾ إلخ [الفتح: ١٨]. ومن رضي الله تعالى عنهم لا يسخط عليهم أبدًا، وقد ذكرت فضائلهم في: «المبشرون بالجنة»، و «فضائل الصحابة».

۝٧٧ ۝٧٨ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ
۝٧٩ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ
۝٨٠ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾.

عن خباب رضي الله تعالى عنه قال: كنت قينًا بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفًا فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد. وفي رواية: وإني لميت ثم مبعوث؟! قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولدًا فأعطيك. وفي أخرى: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالاً وولدًا فأقضيك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿. . . وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾.

رواه أحمد ٥/ ١١١، والبخاري في البيوع وفي الإجارة وفي الخصومات وفي التفسير ١٠/ ٤٥، ٤٦، ومسلم في صفة القيامة ١٦/ ١٣٨، والترمذي ٢٩٥٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٥ كلاهما في التفسير.

القين: الحداد. أتقاضاه: أي أطلب منه قضاء حقي.

وفي الحديث بيان ما كان عليه ذلك العدو العاص بن وائل من الطغيان والعتو والأنانية، ولذلك نزلت فيه هذه الآيات تهدده وتنذره بمآله وما سيكون عليه أمره بعد موته.

ومعنى الآيات: أي أخبرني بقصد هذا الكافر الذي كفر بآياتنا وكتبنا وقال: إذا مت وبعثت لأُعطى هناك مالاً وولدًا. هل اطلع على الغيب فنظر في اللوح المحفوظ؟ أم اتخذ عند الله عهدًا وميثاقًا أنه سيعطى ما يقول؟ كلا، أي ليرتدع ولينزجر فليس الأمر كما يقول ويفهم فسنحفظ عليه ما يقول ونجازيه به في الآخرة ونزيده عذابًا فوق عذاب بدل ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد، ثم نميته ونرث ماله وولده ويأتينا يوم القيامة مفردًا بلا أهل ولا عشيرة ولا مال.

(٩٢) قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾.

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أصبرُ على أذى يَسمعُه مِن الله، إنه يُشركُ به ويُجْعَلُ له نِدٌّ وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠٥، والبخاري في الأدب رقم ٦٠٩٩، وفي التوحيد ومسلم في صفات المنافقين ٢٨٠٤، ١٧/ ١٤٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٩٥.

إن الله عزَّ وجل حليم كريم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، ولا يقطع عنه مدده ورفده، بل يرزق من كفر به وعبد غيره ويعافيه ويدفع عنه البلايا بل ينصره على عدوه ويمهد له أسباب الحياة ويسهلها عليه رغم أنه يشرك معه سواه ويتخذ دونه آلهة ويؤذيه بأقواله وأفعاله ليل نهار طوال حياته فلا أحد سواه يتحمل ذلك ويصبر عليه فسبحانه من إله.

(٩٦) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ

الله عبدًا نادى جبريل إني قد أحببتُ فلانًا فأحبَّه، قال: فينادِي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾. وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل إني قد أبغضت فلانًا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض». وفي رواية في الأول: «ثم يوضع له القبول في الأرض».

رواه أحمد ٢/ ٣٤١، ٥١٤، والبخاري في الأدب ١٣/ ٧١، وفي بدء الخلق ٧/ ١١٥، ١١٦، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٨٣، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٢٩٥٧ وغيرهم.

في الآية الكريمة مع الحديث المبين لها بشارة للمؤمن الصالح الذي يحبه الله وتحبه الملائكة ويجعل له القبول في الأرض ويحبه المؤمنون ويثنون عليه بالخير، ويصدق ذلك ولو من بعضهم، ومن أبغضه فإنما يبغضه لعارض. . . أما من أبغضه الله تعالى فبعكس ذلك فتبغضه الملائكة ويمقته المؤمنون ويثنون عليه بالشر. أما من أحبه منهم فإنما يحبه لمصالح شخصية.

وبهذا تم الكلام على سورة مريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ طه ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية، وهي تعنى بالعقيدة وأصول الدين كأخواتها المكيات.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر قصة موسى عليه السَّلام مع فرعون الطاغية مفصلة ومطولة مع ذكر ما لم يذكر في غيرها من التوحيد والأخلاق والآداب والإرشادات والنصائح، وقد أخذت من السورة نحوًا من تسعين آية، وهي أكثر من نصف السورة، آيات ٨ ــ ٩٦.

٢ ــ ذكر السامري الدجال المقيت الذي صنع العجل من حلي بني إسرائيل حتى عبدوه، وذكر ما صار إليه أمره، آيات ٩٢ ــ ٩٤.

٣ ــ ذكر عصيان سيدنا آدم عليه السَّلام مع تقييد ذلك بالنسيان وعدم العزم، آية ١١١.

٤ ــ بيان أن من أعرض عن الله تعالى وعن دينه كانت عيشته ضنكًا، أي في حرج وضيق صدر، آية ١٢١.

٥ ـ بيان أن من نسي آيات الله تعالى في الدنيا فلم يؤمن بها أو لم يراعها ويعمل بمقتضاها نسيه الله في الآخرة وأهمله في جهنم كأنه منسي، آيتان ١٢٣، ١٢٤.

٦ ـ أمره نبيه ﷺ على الخصوص أن يأمر أهله بالصلاة وأن يصبر عليها، آية ١٢٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿١٤﴾ **قوله تعالى:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «من نسي صلاةً أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها»، وفي رواية: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾».

رواه البخاري ٢/ ٢١١، ومسلم ٥/ ١٩٣، كلاهما في قضاء الفوائت واللفظ للأخير، وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره مطولاً ومختصرًا.

قوله لذكري فيه معنيان للعلماء: أحدهما وهو قول الجمهور، أي متى ذكرت أن عليك صلاة فأقمها، سواء كانت في وقتها أو خارجه، والثاني أقم الصلاة لتذكرني فيها، فإن من صلَّى ذكر الله عزَّ وجل، واستدل بالآية الكريمة على أن شرع من قبلنا شرع لنا، لأن الآية خوطب بها كليم الله موسى عليه السَّلام، والجمهور على أنه شرع لنا ما لم يأتِ في شرعنا ما يخالفه، والموضوع محله أصول الفقه.

﴿٤٧﴾ **قوله تعالى:** ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب النبي ﷺ الذي أرسله

مع دحية الكلبي إلى هرقل فإذا فيه: «بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. . . »إلخ.

رواه البخاري في أوّل صحيحه وغيره مطولاً.

في الآية الكريمة والحديث الشريف دليل على أن الكافر لا يسلم عليه بتحية الإسلام ــ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ــ وإنما يقال: السلام على من اتبع الهدى، كما فعل النبي ﷺ، فمن اتبع الهدى كان داخلاً في سلام الله تعالى ومن لا فلا، وهذا إذا كان الخطاب خاصًّا بالكفار، أما إذا كان عامًّا لهم وللمسلمين فالسنَّة إلقاء السلام الإسلامي عليهم.

(٧٤) قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأنَّ رسول الله ﷺ كان بالبادية».

رواه أحمد ٣/ ٥، ١١، ومسلم في الإيمان ٣/ ٣٧، ٣٨، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ٤٣٠٩ وغيرهم، وفي بعض طرقه ذكر الصراط وصفته.

حميل السيل بالحاء المهملة، أي محمول السيل وهو الغثاء الذي يحتمله سيل الماء. وقوله: ضبائر، أي جماعات متفرقة.

والآية الكريمة مع الحديث المبيِّن لها يدلان على أن الكفار مخلدون

في النار لا يموتون فيستريحون، ولا يحيون حياة تنعم كأهل الجنة، بل هم في عذاب دائم، أما عصاة المسلمين فسيموتون في النار إماتةً بعد عذاب يعلم الله أمده حتى يصيروا فحمًا لا يحسون بآلام العذاب ثم يخرجون منها فيلقون في أنهار الجنة فيحيون وينبتون كما تنبت الحبة المحمولة في السيل. . . ثم يصيرون إلى منازلهم من الجنة بفضل الله ورحمته.

(١١٤) **قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعالج من التنزيل شدةً، وكان مما يحرك شفتيه. . فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦)﴾، الحديث.

رواه البخاري في بدء الوحي ١/ ٣٢، ٣٣، وفي التفسير ومسلم وغيرهما ويأتي مطولاً مع الكلام عليه في سورة القيامة إن شاء الله تعالى.

ومعنى الآية الكريمة: إذا أقرأك جبريل القرآن فلا تعجل بالقراءة معه، بل استمع إليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته.

(١١٧) **قوله تعالى**: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «حاج آدم موسى فقال له: يا آدم أنت الذي أخرجت الناس من الجنة وأشقيتهم؛ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه؟ أتلومني على أمر كتبه الله عليّ أو قدَّره عليَّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٥٠، ومسلم في القدر وغيرهما، وقد تقدم بسياق آخر.

قوله: أشقيتهم، أي تسببت في شقائهم بنزولك لهذه الدنيا فعانوا من

متاعبها ومشاقها ما هو معروف، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا. وقوله: فحج آدم موسى، أي غلبه بالحجة.

والآية الكريمة جاءت ضمن قصة سيدنا آدم عليه السَّلام فخاطبه الله عزَّ وجل وزوجته محذرًا لهما من الشيطان أن لا يطيعاه فيكون ذلك سببًا لإخراجهما من الجنة فيشقيا. . .

١٢١ **قوله تعالى:** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾.

فيه حديث أبي هريرة السابق الذكر بألفاظه المتقدمة غيرما مرة.

وهذا العصيان من سيدنا آدم عليه السَّلام لم يكن عن تعمد المخالفة لله ولا بقصد اقتراف الذنب كأمثالنا، كلا، بل فعل ذلك ناسيًا، كما ذكر قبل الآية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥﴾، وليس في الآية دليل للمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن يجوز صدور الذنب من الأنبياء قبل النبوة، وقد أجاب عن هذا وغيره بما لا مزيد عليه القاضي عياض رحمه الله تعالى وجزاه خيرًا في الشفا فانظره.

١٢٤ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، قال: «عذاب القبر».

رواه ابن جرير ١٦/ ٢٢٨، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٣٩ والبزار، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيِّد، وأورده النور في المجمع ٧/ ٦٧ برواية الطبراني وقال: فيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات وهو عند ابن جرير خالٍ من المسعودي. وأخرج ابن جرير ١٦/ ٢٢٧، ٢٢٨، وابن أبي حاتم في تفسيريهما آثارًا عن أبي سعيد وابن مسعود وجماعة من السلف بما جاء في الحديث من تفسيره بعذاب القبر.

فالحديث بيَّن أن معيشة الضنك التي وردت في الآية هي عذاب القبر، ومع ذلك فهو لا ينافي شموله للشقاء والتعاسة وضيق الصدر والحرج في الدنيا، فالكافر والمعرض عن الله لا طمأنينة له ولا انشراح لصدره وإن تنعَّم ظاهره ولبس ما شاء وأكل وشرب ما طاب له وسكن حيث شاء، فهو لا يزال في حيرة وقلق، ولذلك ترى الكفار ومن لا دين لهم يفزعون إلى أنواع الملاهي والمسليات.

(١٣٠) **قوله تعالى**: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تُضَارُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾».

رواه البخاري في المواقيت من الصلاة، وفي التفسير في سورة ق ١٠/ ٢٢٠، وفي التوحيد، ومسلم في فضل صلاتي الصبح والعصر ٥/ ١٣٤، وأبو داود في السنَّة ٤٧٢٩، والترمذي في رؤية الله من صفة الجنة، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٠٧، وابن ماجه ١٧٧، ويأتي في القيامة.

الجمهور على أن الآية الكريمة جاءت في الصلوات الخمس، فقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، أي صلِّ وأنت حامد لربك ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾، صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ صلاة العصر، ﴿ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾، أي وصلِّ لربك في ساعات الليل، وفي أول النهار وآخره، فآناء الليل صلاة العشاء، وأطراف النهار صلاة المغرب والظهر، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، والمغرب آخر طرف النهار الأخير.

وفي الحديث إثبات رؤية الله يوم القيامة، وقد تواترت بذلك الأحاديث كما فيه الحض على المحافظة على صلاتي العصر والصبح، وقد جاء في الصحيح: «مَن صلَّى البَردين دخل الجنة»، والبردان: الصبح والعصر.

(١٣٢) قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾.

عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا... ﴾ الآية.

رواه الطبراني في الأوسط ٨٩٠، قال النور ٧/ ٦٧: ورجاله ثقات.

في الحديث الشريف مشروعية الفزع إلى الصلاة عند نزول البلايا والشدائد وضيق المعيشة، ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف لأن الصلاة صلة وثيقة بالله عزَّ وجل، ولها من البركة وشمول الرحمة ما ليست لغيرها من سائر القرب.

وعن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلَّى.

رواه في المسند ٥/ ٣٨٨، وسنن أبي داود ١٣١٩. وسنده حسن، فهو شاهد قوي لحديث ابن سلام رضي الله تعالى عنه.

حَزَبه بفتحتين، أي أصابه، وقد ورد بالباء والنون.

وبهذا تمت سورة طه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الأَنبِيَاءِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية، وموضوعها علاج العقيدة من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء وذكر الساعة والقيامة، وذكر الأهوال والشدائد التي ستصيب الناس يومئذٍ.

من خصائص هذه السورة

١ ـ بيان أن الله عزَّ وجلّ لو أراد أن يتخذ ما يلتهي به من ولد وزوجة لاتَّخذه من عنده من الحور أو الملائكة، لكن ذلك ينافي مقام الألوهية لأنَّه غني عن كل ذلك ومنزه عن الصاحبة والولد والشريك، آية ١٧.

٢ ـ بيان أنه لو كان في هذا الوجود آلهة سوى الله عزَّ وجل لفسد نظام هذا الكون لما يترتب على التعدد من الاختلاف والتنافس على الملك، آية ٢٢.

٣ ـ بيان أن الله تعالى هو الخالق المدبر لشؤون عباده، المتصرف فيهم، يفعل فيهم وبهم ما يشاء، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويعزّ من

يشاء ويذلّ من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء، فلا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ولهذا قال في السورة: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، آية ٢٣.

٤ ــ بيان حقيقة علمية وصل إليها اليوم العلم الحديث، وهي أنَّ هذا العالم كان متَّصلاً ببعضه، فكانت الأرض والسماء ملتصقتين ففصلهما الله عزَّ وجلّ عن بعضهما. . . ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾، آية ٣٠.

٥ ــ بيان أن الله تعالى جعل الماء أصل كل الأحياء وسببًا للحياة، فلا حياة بدونه للإنسان، أو حيوان أو طير أو نبات. . . ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾، آية ٣٠.

٦ ــ بيان قصة خليل الرحمن عليه السلام مع الأصنام وتحطيمها وما أجاب به عبدتها عنها وما دار بينه وبينهم من حوار، آيات ٥١ إلى ٦٩.

٧ ــ خطاب الله تعالى للنار التي ألقي فيها خليله وأمره إياها بأن تكون عليه بردًا وسلامًا ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾، آية ٦٩.

٨ ــ ذكر دعاء نبي الله ذي النون عليه السلام ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، آية ٨٧.

٩ ــ بيان أنَّ كل الأصنام والآلهة وعابديها سيكونون حطب جهنم إلاَّ من سبق لهم من الله الحسنى، آيات ٩٧ إلى ١٠٢.

١٠ ــ بيان أنَّ الله عزَّ وجلّ أرسل نبينا ﷺ رحمةً للعالمين، آية ١٠٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١ **قوله تعالى:** ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: ﴿ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾، قال: «في الدنيا».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٠٧ بسند صحيح. وأخرجه ابن جرير ١٧/ ١، ٢، من حديث أبـي هريرة وسنده صحيح أيضًا.

ومعنى الآية الكريمة أنه قد دنا وقرب وقت حساب الناس على أعمالهم وهم مع ذلك غافلون عن ذلك اليوم مستغرقون في الشهوات لا يعملون للآخرة ولا يتأهبون لها.

(٤٧) قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رجلاً قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ لي مملوكين يكْذِبُونني، ويَخُونونني، ويعصونني وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: يُحسب ما خانوك وعصوك وكذَبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوقَ ذنوبهم اقْتُصَّ لهم منك الفضل، قال: فتنحَّى الرجلُ فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾»، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم.

رواه أحمد ٦/ ٢٨٠، والترمذي في التفسير ٢٩٦٠، وسنده صحيح.

قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ . . .﴾ إلخ، أي: ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال في يوم القيامة ولا ينقص محسن من إحسانه، ولا يزاد مسيء على إساءته، بل لو كان عمل الإنسان مقدار زنة حبة خردل أتي بها وأحضرت للميزان. والحديث جاء ببعض تفصيل للآية الكريمة وأنه تعالى سيفصل بين عباده بحكمه العادل ولا يترك لهم من أعمالهم فذَّة ولا شاذة إلاَّ أحضرها واقتص من بعضهم بعضًا أيًا كان، إلاَّ أن يتجاوز ويعفو عمن شاء منهم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله سَيُخَلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاًّ، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفَلَك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرَجُ بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجِلاَّت؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثَقُلَت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء».

رواه الترمذي في الإيمان ٢٤٥٥ بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد ٤٣٠٠، وابن حبان ٢٥٢٤ بالموارد، والحاكم ٦/١، وكذا أحمد، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

سَيُخَلِّص، بفتح السين وضم الياء وتشديد اللام المكسورة، أي: يميِّز ويختار. سجلاًّ، بكسر السين والجيم: الكتاب الكبير. فطاشت: خفت.

وفي الحديث فضل كلمة التوحيد وكيف لا وهي مفتاح الجنة وعليها مدار الأحكام كلها. وفيه دليل على أنَّ في القيامة ميزانًا وأنَّ له كفَّتين: كفَّة للحسنات، وكفَّة للسيِّئات. وبهذا قال جمهور العلماء لظواهر القرآن والسُّنَّة.

(٦٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام في شيء قط إلاَّ في ثلاث كذبات:

قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ ولم يكن سقيمًا، وقوله لسارة «أختي»، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٦٢ هكذا مختصرًا وحسَّنه وصحَّحه، ورواه البخاري في الأنبياء ٧/ ٢٠١، ٢٠٤، وفي النكاح وفي البيوع وفي مواضع، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٢٣ مطوّلاً، وقد ذكرته كذلك في موضع آخر وهو مفصَّل مشروح في العبر لكاتبه.

الكذب: الإخبار بخلاف الواقع، وإطلاق الكذب هنا من باب المعاريض، وهو القول الذي يحتمل معنيين، معنى يعتقده السامع حقًّا وصدقًا ويكون كذبًا، ومعنى هو عند المتكلم.

وقد جاء في الحديث: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

رواه البخاري في الأدب المفرد.

وإذا رجعنا إلى الحديث وجدنا كل ما قاله الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا حقًّا وصدقًا، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾، أي: مريض من جهتهم، وقوله في سارة: «أختي»، أي في الدين، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، يعني صنمهم الأكبر هو الذي حطَّم الأصنام الصغيرة وقال لهم ذلك على وجه التهكُّم والتبكيت لأنهم يعلمون أنه جماد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يكسر الأصنام. ولذلك قال لهم زيادة في إقامة الحجَّة عليهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۝٦٤ ...﴾ الآية.

٧٩ **قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتُها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود

عليهما السلام فأخبرتاه فقال: إيتوني بالسِّكِّين أشقّه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى».

رواه أحمد ٢/ ٣٤٠، والبخاري في الأنبياء ٧/ ٢٧٥، وفي الفرائض، ومسلم ١٢/ ١٨، والنسائي في الكبرى ٣/ ٤٧٢، ٤٧٣، كلاهما في الأقضية.

ما جاء في هذا الحديث هو داخل في الآية الكريمة لأنَّ الله تعالى فهَّم الحكم والقضاء سليمان في هذه الحادثة.

أما ما جاء في صريح الآية الأخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾، فلم يأت في تفسيرها شيء عن النبي ﷺ علمًا بأنه قد وقعت حادثة أيام سليمان وداود عليهما السلام تتعلق بالحرث والماشية، وأن غنم قوم رعت زرع قوم آخرين، ففهَّم الله الحكم فيها سليمان عليه السَّلام. هذا هو معنى ظاهر الآية الكريمة. وقد جاء تفسير الآية عن ابن عباس وابن مسعود وشريح ومجاهد وقتادة في آخرين مبسوطًا: وذلك أنَّ داود عليه السلام قضى بالغنم لصاحب الحرث بأن يأخذها مقابل ما رعت، بينما قضى سليمان عليه السلام بأن يدفع الزرع إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب منها وينتفع بها حتى إذا كان الزرع كما كان دفعت الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه. هذا معنى ما قالوا في الآية، ولا يصح شيء فيها مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

وانظر: ابن جرير ١٧/ ٥١، ٥٣، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٥٧.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى

كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، فإنه لم يَدْعُ بها رجلٌ مسلم في شيء قط إلاَّ استجاب الله له».

رواه أحمد رقم ١٤٦٢، والترمذي في الدعوات ٣٢٧٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٦٨، والحاكم ١/ ٥٠٥ بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث أنَّ سؤال الله عزَّ وجلّ بهذه الآية الكريمة مما ترجى معه الاستجابة، فمن دعا الله تعالى بذلك وكانت شروط الاستجابة متوفرة استجيب له أو دفع الله تعالى عنه ما هو أعظم، أو ادَّخر له في الآخرة ما هو خير له وأفضل، فالداعي لا يخيب أبدًا على كل الأحوال، والآية الكريمة قد اشتملت على الاعتراف لله عزَّ وجلّ بالوحدانية مع تقديسه وتنزيهه تعالى عما لا يليق به ثم الاعتراف له بالذنب وظلم النفس، وفي كل ذلك استمطار لرحمة الله ومغفرته.

﴿٩٦﴾ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجَّال ذات غداةٍ فذكر الحديث في صفته ولبثه في الأرض وفتنته ثم نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجَّال، ثم قال: «فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عزَّ وجلّ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام إنِّي قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدانِ لك بقتالِهم فحرِّز عبادي إلى الطور، فيبعث الله عزَّ وجلّ يأجوج ومأجوج كما قال تعالى: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ... ﴾»، الحديث بطوله.

رواه أحمد ٤/ ١٨١، ١٨٢، ومسلم ١٨/ ٦٣، ٧٠، والترمذي ٢٠٦٨، وابن ماجه ٤٠٧٥، ثلاثتهم في الفتن.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في السد قال: «يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا فيعيده الله كأمثلِ ما كان، حتى إذا بلغ مدَّتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله واستثنى قال: فيرجعون فيجدونه كهيأته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفرُّ الناس منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع مُخْضبةً بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء، قسوةً وعُلُوًّا، فيبعث الله تعالى عليهم نغفًا في أقفائهم فيهلكون، قال: فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكرًا من لحومهم».

رواه أحمد ٢/ ٥١٠، ٥١١، والترمذي في التفسير ٢٩٤٩، وابن ماجه ٤٨٠، والحاكم، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وقال البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال ابن كثير: إسناده جيِّد قوي.

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ».

رواه أحمد ٣/ ٧٧ بسند حسن ولا تضرّ هنا عنعنة ابن إسحاق، فالأحاديث بخروج هؤلاء المفسدين مستفيضة.

الحدب، بفتحتين: ما ارتفع من الأرض، وقوله: ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، أي: يسرعون.

والآية الكريمة وما ذكر تحتها من الأحاديث تدل على خروج هذا الجنس من بني آدم على الناس، وأن خروجهم من علامات الساعة، وسيكون ذلك أيام سيِّدنا عيسى عليه السلام. وهذا الجنس لا ندري من هم

وأين هم وكيف سيكون خروجهم وحربهم لغيرهم، فلنؤمن بالقرآن وما جاء في ذلك عن سيِّد الأكوان ﷺ، ولنمسك عما وراء ذلك مما لا نعلم تفصيله وحقيقته. وقد تضاربت آراء العلماء في هؤلاء المفسدين قديمًا وحديثًا، فمن قائل إنهم الروس، ومن قائل إنهم الصينيون، ومن... ومن... فالله تعالى أعلم بهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾، قال عبد الله بن الزبعرى: أنا أخصم لكم محمدًا، فقال: يا محمد، أليس فيما أنزل إليك: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؟، قال: «نعم»، قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيرًا، وهذه بنو تميم تعبد الملائكة، فهؤلاء في النار، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

رواه الطبراني في الكبير ١٢٧٣٩ بسند حسن، وفي رواية: نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾، ثم نسختها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ رواه البزار ٢٢٣٤ ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد لم يوثقه غير ابن حبان.

معنى الآية واضح وأنَّ الكفار ومعبوداتهم سيكونون حطب جهنم، إلاَّ من سبقت لهم من الله الحسنى، كالأنبياء والملائكة والصالحين فإنهم عنها مبعدون...

(١٠٤) قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قام رسول الله ﷺ بالموعظة، فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إليه تعالى حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، قال: أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وأنه سيؤتى برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾. فيقال: هؤلاء لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٥٣ وفي الرقاق، ومسلم في الجنة والنار ١٧/ ١٩٣، ١٩٤، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٣، وفي التفسير ٢٩٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٠٨ وغيرهم.

الآية والحديث يفيدان أنَّ العباد سيُحشرون من قبورهم على الحالة التي ولدوا عليها وأنه تعالى وعد ذلك وعدًا لا يتخلف. وفي تخصيص الخليل عليه السلام بأول من يكسى فضيلة له خص بها. وما جاء في الحديث من طرد بعضِ مَنْ صاحب النبي ﷺ عن الحوض والأخذ بهم عن طريق أهل الشمال هؤلاء هم الأعراب الذين ارتدوا آخر حياة النبي ﷺ وأيام الصديق رضي الله تعالى عنه، ولا يوجد أحد من الصحابة المخلصين كالمهاجرين والأنصار ارتد أحد منهم أبدًا كما يفتريه الشيعة الروافض في قولهم بأنَّ الصحابة كلهم ارتدوا إلاَّ نفرًا منهم.

(١٠٧) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على

المشركين، قال: «إني لم أبعث لعَّانًا، وإنما بعثت رحمة».

رواه مسلم في الأدب ١٦/ ١٥٠.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

رواه الحاكم ١/ ٣٥ وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات ١/ ١٩٢، والدارمي ١٥ عن أبي صالح ذكوان السمان مرسلاً وسنده صحيح، وأورده النور في المجمع ٨/ ٢٥٧ برواية البزار والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

كانت حياته ﷺ رحمة وموته رحمة، ورحمته عامَّة للكافر والمؤمن، فمن آمن به كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم من الاستئصال، فهو ﷺ رحمة أهداها إلينا، فمن قبلها سُعد في الدارين، ومن ردها خسر وشقي شقاءً لا يسعد بعده أبدًا.

وبهذا تمَّت سورة الأنبياء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الحَجّ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من السور المدنية جاءت بعد ثنتي عشرة سورة مكيات متواليات، وهي ست وسبعون آية، وأهدافها ذكر التشريع الإسلامي كذكر بعض أحكام الحج والهدايا والأمر بالجهاد، ونحو ذلك مما لا يذكر في السور المكية.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها في الآتي:

١ ـ ذكر زلزال القيامة حيث تذهل المرضعات عن أطفالهن، وتسقط الحوامل ما في أرحامهن، ويُرى الناس لشدة الهول كأنهم سكارى وليسوا بسكارى، آيات ١ إلى ٢.

٢ ـ ذكر صنف من الناس كانوا ولا يزالون يعبدون الله على حرف، فإن رأوا خيرًا وعيشًا رغدًا اطمأنّوا لذلك وثبتوا، وإن أصيبوا بفاقة ونقص في الحياة انقلبوا مرتدين، آية ١١.

٣ ـ بيان الخصمين الذين اختصموا في ربهم، آية ١٩.

٤ ــ بيان أن الله تعالى جعل المسجد الحرام عامًّا للقاطن فيه والآفاقي، آية ٢٣.

٥ ــ ذكر خصيصة من خصائص الحرم، وهو أنَّ مريد الإلحاد فيه معرض لعذاب الله، آية ٢٣.

٦ ــ ذكر أمر الله عزَّ وجلّ لخليله عليه السلام بالأذان بالحج في الناس، آية ٢٥.

٧ ــ ذكر طواف الإفاضة بالبيت العتيق، آية ٢٧.

٨ ــ بيان أنَّ تعظيم حرمات الله خير للإنسان عند الله عزَّ وجلّ، آية ٢٨.

٩ ــ بيان أنَّ تعظيم شعائر الله تعالى من تقوى القلوب، آية ٣٠.

١٠ ــ بيان صفات المُخْبِتينَ، آيتان ٣٢ و ٣٣.

١١ ــ جعل الله البُدن ــ الهدايا للحرم ــ من شعائر الله عزَّ وجلّ، آية ٣٤.

١٢ ــ وعد الله تعالى بدفاعه عن المؤمنين، آية ٣٦.

١٣ ــ ذكر أول آية نزلت في الإذن بالجهاد وقتال الكفار، آية ٣٧.

١٤ ــ الإشارة إلى ما ألقاه الشيطان في قراءة النبي ﷺ وما نسخه الله من ذلك وما أحكمه، آية ٥٠.

١٥ ــ ذكر مثل رائع ضُرِب للأصنام في عجزها عن خلق أخسّ الحشرات وأصغرها وأضعفها ــ الذباب ــ وأنه إن سلبها شيئًا لا تستطيع استنقاذه منه لضعفها، آية ٧١.

١٦ ــ بيان أنَّ الله تعالى سمَّانا المسلمين في الكتب القديمة، وفي هذا القرآن، آية ٧٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ (٢)

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عزَّ وجلّ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لَبَّيك ربَّنا وسعدَيك، فيُنادَى بصوت: إنَّ الله يأمرُك أن تُخرِج من ذرِّيَّتك بعثًا إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ ـ أُراه قال: ـ تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيبُ الولد ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾»، فاشتد ذلك عليهم قالوا: يا رسول الله، أيُّنا ذلك الرجل؟ فقال: «أبشروا فإنَّ من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلٌ»، قال: ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربعَ أهل الجنة»، فحمِدْنا الله وكبَّرنا، ثمَّ قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة»، فحمِدْنا الله وكبَّرنا، ثمَّ قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطرَ أهل الجنة، إنَّ مَثَلَكُم في الأمم كمثل الشَّعرة البيضاء في جلد الثَّور الأسود، أو كالرَّقْمة في ذراع الحمار»، وفي رواية: «أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير ١٠/ ٥٧، وفي الرقاق، ومسلم آخر الإيمان ٣/ ٩٧، ٩٨، وأحمد ٣/ ٣٢ وغيرهم.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾، إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾، قال: أنزلت عليه الآية وهو في سفر، قال: «أتدرون أي يوم ذلك؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام: ابعث بعث النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعون في النار وواحد في

الجنة»، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قاربُوا وسَدِّدوا فإنها لم تكن نبوَّة قط إلَّا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمَّت وإلا كُمِّلت من المنافقين، وما مثلكم في الأمم إلَّا كمثل الرَّقمة في ذراع الدابة أو كالشَّامة في جنب البعير»، ثم قال: «إنني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبَّروا، ثم قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبَّروا، ثم قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبَّروا، قال: لا أدري قال الثلثين أم لا. وفي رواية: «فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلَّا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس» قال: فأسري عنهم».

رواه أحمد ٤/ ٤٣٥، والترمذي ٢٩٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٠، والحاكم ١/ ٢٨، ٢/ ٢٢٣، ٣٨٥، ٤/ ٥٦٧، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي، ولا يضرّ ابن جدعان في الرواية الأولى. وفي الباب عن أنس رواه ابن حبان ١٧٥٢ بالموارد، والحاكم ١/ ٢٩، ٤/ ٥٦٦، ٥٦٧ وصحَّحه، وعن ابن عباس عند الحاكم أيضًا ٤/ ٥٦٨، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

قوله: الشامة، هي: الخال في الجسد تخالف لونه. وقوله: الرقمة، أي التي تكون في ذراع الدابة، وهما رقمتان في ذراعيها.

وفي حديثي الباب وما معهما هول عظيم سيكون يوم القيامة حيث لا يدخل الجنة إلَّا واحد من ألف، ولا يدري أحدنا من أي القسمين سيكون، نسأل الله تعالى العفو، كما فيهما بشارة للأمة المحمدية حيث إنهم سيحتلون النصف من سكان الجنة، وأن ذلك الواحد من الألف سيكون منهم... والخاسرين الهالكين الباقين سيكونون من يأجوج ومأجوج وغيرهم من الكافرين وبني إبليس،

جعلنا الله تعالى من أشرف سكان الجنَّة وأكرمهم لديه.

٥ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٥ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحدكم يُجْمَع خلقُه في بطن أمّه أربعين يومًا نُطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك، فينفُخ فيه الروح ويؤمَر بأربع كلماتٍ، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فوالله الذي لا إله غيرُه إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

رواه أحمد ١/ ٣٨٢، ٤٣٠، والبخاري في بدء الخلق وفي القدر ١٤/ ٢٧٧، ٢٨٨، ومسلم ١٦/ ١٩٠، ١٩٢، والترمذي ١٩٦٩، وأبو داود ٤٧٠٨، وابن ماجه ١٩، كلهم في القدر.

العلقة: دم جامد مثل علقة الماء. والمضغة، بضم الميم: القطعة اليسيرة من اللحم بقدر ما يمضغ. وفي الآية والحديث بيان للأطوار التي يمر عليها الإنسان في نشأته في رحم أمه، وأنه يكتب عليه في بطن أمه رزقه

وأجله وعمله وحالته من سعادة أو شقاوة، وهذه الكتابة كالتأكيد للكتاب الأول وإعلام للملائكة. . .

وفي الحديث دليل على أنَّ كل شيء بقدر، وأن العبرة بما سبق في علم الله وما كتبه في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك تكون الخاتمة، والأعمال الظاهرة لا تدل على السعادة أو الشقاوة على إطلاقها، غير أنَّ الغالب على ما يظهر من الأعمال، وقد تتخلف فتنقلب الأعمال كما في الحديث: وقد قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسَّر لما خُلِق له»، وانظر على هذا الحديث: شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٩٢، فإنَّ له فيه كلامًا نفيسًا.

أما الآية الكريمة، فقد جاءت تثبت وقوع البعث والنشور وتبيِّن للمنكرين عظمة القدرة الإلـٰهية في الخلق والإيجاد، وبالأخصّ في هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى أوّلاً من تراب جامد ثم جعل تناسله من نطفة منيّ فعلقة فمضغة. . . فالذي خلقه على هذه الأطوار حتى كان إنسانًا سويًّا حيًّا عاقلاً. . . أوَلَيس سبحانه بقادر على أن يحييه ويبعثه من جديد؟ بلى وربي، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

(١١) **قوله تعالى:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾، قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٥٨. ورواه ابن جرير ٢٧/ ٢٢، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧٦، ٢٤٧٧ والسياق له، ولفظه: كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إنَّ ديننا هذا لصالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام

قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله على نبيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾.

قال ابن جرير: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ ــ على شك ــ ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾، وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾، يقول: استقر بالإسلام وثبت عليه، ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾، وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ يقول: ارتدَّ فانقلب على وجهه، الذي كان عليه من الكفر بالله تعالى. وهذا الصنف من الناس يوجد في كل العصور والأجيال.

قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾. ﴿١٩﴾

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»، قال قيس بن عبَّاد: وفيهم نزلت: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

رواه البخاري في المغازي ٨/ ٢٩٨، وفي التفسير ١٠/ ٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٠١، ومثله عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري في المصدرين، ومسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٦٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٠١، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٣٥.

المراد بالخصمين: الفريقان، فريق أهل الإيمان، وهم: علي وصاحباه؛ وفريق أهل الكفر، وهم: شيبة وأخوه وابن أخيه، وخصامهم هو معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه، وقول الإمام علي: «أنا أول من يجثو للخصومة»، أي: يقعد على ركبتيه مخاصمًا. قال العلماء: والمراد بهذه الأولية تقييدها بالمجاهدين من هذه الأمة، لأنَّ المبارزة المذكورة هي أول مبارزة وقعت في الإسلام.

(١٩) (٢٠) **قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الحميم لَيُصَبُّ على رؤوسِهم فينفُذ الجمجمة حتى يخلُص إلى جوفه، فيسلُت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهَر، ثمَّ يُعاد كما كان».

رواه الترمذي في صفة جهنم ٢٣٩٩، وابن جرير ١٧/ ١٣٣، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٨١، وسنده صحيح، وصحَّحه الترمذي.

الحميم: هو الماء البالغ النهاية في الحرارة. وقوله: فينفذ، أي: يدخل. ويخلص، بضم اللام، أي: يصل. فيسلت، أي: يمسح ويقطع. والصهر بفتح الصاد المشددة ثم هاء مفتوحة: هو الإذابة.

ومعنى الآية والحديث أنَّ الكفار يُصَبّ من فوق رؤوسهم الماء الحار فيدخل في جمجمة رؤوسهم حتى يصل إلى أجوافهم فيذوب ما في بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم من ذلك فتتساقط، عياذًا بالله تعالى.

(٢٣) **قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغُ الحِلْيةُ مِنَ المؤمنِ حيثُ يبلُغُ الوضوء».

رواه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم في الطهارة ٣/ ١٤٠، والنسائي في الكبرى ١/ ٩٥، وأبو يعلى الموصلي ٥/ ٣٨٢، وغيرهم.

الحلية بكسر الحاء: ما يُتَحَلَّى به من الذهب والفضة. والحديث مبين للمواضع التي يحلى فيها المؤمن من أعضائه في الجنة، وهي ما يغسل من

الأعضاء كاليدين إلى المرفقين أو أعلى، والرجلين إلى ما فوق الكعبين، فتكون له أساور ودمالج من معصمه إلى نهاية ما كان يغسله من يديه ويلبس أيضًا خلاخل في رجليه كذلك.

وعن سيِّدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبسه ـ يعني الحرير ـ في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

رواه البخاري ١٢/ ٤٠١، ومسلم ١٤/ ٤٤ كلاهما في اللباس، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١١، وفي الزينة من المجتبى.

فيه أنَّ لباس أهل الجنة حرير وليس صوفًا ولا كتَّانًا ولا وبرًا ولا قطنًا... ولا غيرها من لباس الدنيا. كما فيه أنَّ من آثر لبسه في هذه الحياة وتمتع به حرم لبسه في الآخرة، وفي ذلك حرمان عظيم لأنه يدل بمضمونه على أنَّه لا يدخل الجنة.

٢٥ **قوله تعالى**: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ قال: لو أنَّ رجلًا أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بِعَدَن أبين لأذاقه الله العذاب الأليم.

رواه أحمد رقم ٤٠٧١، وابن جرير ١٧/ ١٤١ بسند صحيح على شرط مسلم وحكمه الرفع... وأورده النور في المجمع ٧/ ٧٠ برواية أحمد، وأبي يعلى ٥٣٨٤، والبزار ٢٢٣٦، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

أصل الإلحاد: الميل، وفي الشرع الإسلامي: الميل عن الدين، وهو في الآية والأثر: الهم بالسوء والمعصية في الحرم المكي، وهذا من خصائص الحرم، فإنَّ مثل هذا لم يرد في غيره، ولذلك كان كثير من الصالحين يتوقَّون سكنى مكة المكرمة، طلبًا للسَّلامة وخوفًا من هذا الوعيد،

ومع هذا فالتوبة معروضة، وفضل الله واسع، ورحمته وسعت كل شيء، ولا يقنط من رحمة ربه إلاَّ الخاسرون.

(٢٩) قوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّي البيتُ العتيقُ لأنه لم يظهر عليه جبَّارٌ».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٦٥ موصولاً ومرسلاً. وروى الموصول الحاكم ٢/ ٣٨٩ وصحَّحه على شرط البخاري.

ومعنى الحديث أنَّ الله عزَّ وجلّ حفظ هذا البيت من الجبابرة فلم يسلطوا عليه حتى يُهَدِّموه مثلاً ويقطعوا أثره؛ حتى يأتي وقت انقضاء مهمته، وذلك بعد انقراض المؤمنين الذين كانوا يستقبلونه ويحجونه فيأتي ذو السُّوَيْقَتَيْنِ الحَبَشِي فيهدمه حجرًا حجرًا كما جاء في الصحيح. والمراد بالطواف المأمور به هنا في الآية: طواف الإفاضة بالاتفاق.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير ما رُكبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق».

رواه أحمد ٣/ ٣٥٠، ٣٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١١، وأبو يعلى ٢٢٦٦ بسند صحيح، وأورده النور ٤/ ٣٠٣ برواية أحمد، وكبير الطبراني وقال: إسناده حسن.

وفي الحديث بيان أنَّ البيت العتيق هو الكعبة المكرَّمة، وأنه مع المسجد النبوي أشرف وأفضل ما شُدَّت إليهما الرحال للصلاة فيهما وزيارتهما.

(٣٦) قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾.

عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم

عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتَّسع ذوو الطول على من لا طَول له، فكلوا ما بدا لكم، وأطعموا وادَّخروا».

رواه مسلم في الجنائز وفي الأضاحي ١٣/ ١٣٥، وفي الأشربة، وأبو داود فيه ٣٦٩٨، والترمذي ١٣٧٩، والنسائي في المجتبى ٧/ ٢٠٦، ٢٠٧، وابن ماجه ٣٤٠٥، كلهم في الأضاحي. ورواه البخاري في الأضاحي ١٢/ ١٢١ عن سلمة بن الأكوع، وفيه: «كلوا وأطعموا وادخروا»، وفي مسلم ١٣/ ١٣٠، ١٣١ عن عائشة، وفيه: «فكلوا وادخروا وتصدَّقوا»، ورواه أيضًا عن جابر وأبي سعيد وغيرهما.

القانع: المستغني بما أعطي وهو في بيته متعفف. والمعتر: السائل، الذي يتعرَّض لمن يعطيه. والآية مع الحديث يدلَّان على مشروعية الأكل من الهدايا والأضاحي، والتصدُّق ببعضها، ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلاف في الوجوب وعدمه.

٣٩ **قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لمَّا أُخْرِج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم! ليَهلِكُنّ!! فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾، فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال.

رواه أحمد ١٨٦٥، والترمذي ٩٦٦، والنسائي ٦/ ٤١١، والحاكم ٢/ ٣٩٠، ثلاثتهم في التفسير، وسنده صحيح عند أحمد والنسائي، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن

﴿يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾، ثم أذن بالقتال في آي كثيرة من القرآن.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤١١ بسند صحيح.

الجمهور على أن هذه الآية هي أول آية نزلت بالإذن في قتال الكفار وهو ظاهر الحديثين. ومعنى الآية الكريمة: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار في القتال بسبب أنهم ظلموا من طرفهم حيث كانوا بمكة يؤذونهم ويضربونهم، وربما قتلوا بعضهم، فكان النبي ﷺ يأمرهم بالصبر، وكان القرآن ينزل بالصفح عنهم وترك قتالهم، فلما هاجروا إلى المدينة نزلت الآية الكريمة تأذن لهم في القتال.

۝٤٧ **قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم». وفي رواية: «وهو خمسمائة».

رواه أحمد ٢/ ٥١٣، والترمذي في الزهد ٢١٧٤، وابن ماجه ٤١٢٢، وابن حبان ٢٥٦٧ بالموارد، وسنده صحيح، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه. ورواه ابن جرير ١٧/ ١٨٣ موقوفًا، وفيه: قيل له: وما مقدار نصف يوم؟ قال: «أَوَمَا تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾.

الحديث مبيِّن لليوم في الآية، وأن يوم الآخرة ألف عام، وهذا إنَّما هو تقريب لعقولنا فقط وإلَّا فالآخرة ليس فيها أيام كأيَّامنا في هذه الدنيا، لأنَّها هنا تنشأ عن سير الشمس، والآخرة ليس فيها شمس ولا قمر، فالواجب الإيمان بما قال الله ورسوله ﷺ مما لا تحتمله عقولنا أو ما نراه مخالفًا لواقعنا، لأنَّ ذلك من عالم الغيب الذي لا نعلمه، والقيامة فيها مشاهد.

۝٧٣ **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبّة». وفي رواية: «فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبّة أو ليخلقوا شعيرة».

رواه أحمد ٢/ ٣٩١، ٤٥١، ٥٢٧، والبخاري في اللباس وفي التوحيد ١٧/ ٣٢٠، ومسلم في اللباس ١٤/ ٩٣/ ٩٤، وغيرهم.

ومن أظلم، أي: لا أحد أظلم ممن... إلخ. وفي الحديث تحريم التصوير، لأنَّ ذلك مشاركة لله عزَّ وجلّ في إيجاد خَلْقٍ لا يقدر على خلقه إلَّا الله، فالإنسان وغير الإنسان من أي خلق كان لا يستطيع خلق أصغر شيء مما في هذا الكون لا ذرة ولا حبة ولا شعيرة ولا أي شيء، فالكل خلق الله وعبيده... ولذلك نفى الله تعالى عن الأصنام إيجاد ولو ذبابة حتى ولو اجتمعوا كلهم على ذلك، فإنه إذا كان الأحياء عاجزين عن ذلك فكيف بالجمادات.

(٧٨) قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾.

عن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثَى جهنَّم»، قال: يا رسول الله، وإن صام وصلَّى؟ قال: «نعم، وإن صام وصلَّى، فادعوا بدعوى الله التي سمَّاكم الله بها المسلمين المؤمنين عباد الله».

رواه أحمد ٤/ ١٣٠، ٢٠٢، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٤، والنسائي في الكبرى ٩/ ٤١٢، وابن خزيمة ١٨٩٥، وابن حبان ١٢٢٢، ١٥٥٠ بالموارد، وأبو يعلى ١٥٧١، والحاكم ١/ ١٧٧، ١١٨، ٤٢١، ٤٢٢، مطوّلاً ومختصرًا، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه كما صحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

قوله: من جُثَى جهنَّم، أي: من جماعات أهل جهنم، وهو جمع جُثْوة بضم الجيم، وهو الشيء المجموع.

والحديث مبيِّن للآية الكريمة. وأما وأن قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الضمير يعود على الله عزَّ وجلّ، فهو الذي سمَّانا مسلمين مؤمنين عباد الله في الكتب القديمة وفي هذا القرآن، وهذا القول هو الصحيح الراجح، وبه فسَّره ابن عباس وغيره من السلف، وعليه مشى ابن جرير رحمه الله تعالى.

وبهذا نجز الكلام على سورة الحج، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من السور المكية جاءت بين سورتين مدنيتين: الحج قبلها، والنور بعدها. وأهدافها نفس أهداف السور المكية، غير أنَّ محورها الذي تدور عليه هو إقامة البراهين على البعث والنشور، وذكر الآيات الكونية الدالة على ذلك، وبيان آثار قدرة العلي القدير في الإنسان والحيوان والنبات والنخيل والأعناب والزيتون والرمان والفواكه، وغير ذلك مما يشاهده الإنسان في هذا الكون الفسيح.

من خصائص هذه السورة

١ ـ أمر الله رسله عليهم الصلاة والسلام بالأكل من الطيِّبات وأن يعملوا صالحًا، آية ٥١.

٢ ـ ذكر الله تعالى فيها آيات تحتوي على صفات خاصة، وصف بها فرقة من أصناف المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ . . . ﴾، آيات ٥٧ ـ ٦١.

٣ ـ الإخبار بأن الأنساب ستنقطع يوم القيامة بين الكفار، آية ١٠١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١ ٢ ٣ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ
٤ ٥ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
٦ ٧ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
٨ ٩ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: يا أم المؤمنين كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلقُه القرآن، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، حتى انتهت إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في الأدب المفرد ٣٠٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٢، والحاكم ٢/ ٣٩٢، وصححه ووافقه الذهبي، وشطره الأول في صحيح مسلم كما يأتي في سورة القلم.

والحديث يدل على أن النبي ﷺ كان متخلِّقًا بأخلاق القرآن أمرًا ونهيًا... فكانت أخلاق القرآن متمثِّلة في أخلاقه ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: لما خلق اللّه جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾.

وفي رواية: «خلق الله جنة عدن بيده ودلَّى فيها ثمارها، وشقَّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل».

رواه الطبراني في الكبير ١٢٧٢٣، وفي الأوسط ٥٦٤٨، قال المنذري بعد أن عزاه

إليهما: بإسنادين أحدهما جيد. وقال النور في المجمع رقم ١٨٦٣٩: وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد. وللحديث شاهدان: عن أبـي سعيد الخدري، رواه البزار. وعن أنس، رواه ابن أبـي الدنيا كما في تفسير ابن كثير، فالحديث أقلّ أحواله أن يكون حسنًا.

في الحديث دلالة على سعادة المؤمنين وفلاحهم وأن الجنة قد هيِّئت لهم فهي في انتظارهم، وفيه ذم البخيل وأنه بعيد من الجنة، كما جاء في حديث عند الترمذي.

﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

رواه البخاري في الجهاد ٧/ ٣٥٢، وفي التوحيد ١٧/ ١٨٦.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن الرُّبَيِّع بنت النضر رضي الله تعالى عنها أتت النبـي ﷺ، وكان ابنها حارثة بن سراقة كان أصيب يوم بدر، أصابه سهم غَرْب، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: أخبرني عن حارثة، لئن كان أصاب خيرًا احتسبتُ وصبرْتُ، وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء، فقال نبـي الله ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان في جنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس رَبْوَة الجنة وأوسطُها وأفضلها».

رواه أحمد ٣/ ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥، ٢٦٠، وفي مواضع، والبخاري في الجهاد ٧/ ٣٦٦، ٣٦٧، والترمذي في التفسير ٢٦٩٨، وغيرهم.

سهم غرب، بسكون الراء، أي لا يعرف مصدره. والربوة هي كل موضع مرتفع.

وقوله في حديث أبـي هريرة مائة درجة، ظاهره أن هذا العدد هو نهاية درج الجنة، غير أنه قيّد هنا بأنها أعدت للمجاهدين فتكون هنالك درجات أخر غيرها أعدت لغيرهم أيضًا، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وصححه أنه «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». ولا شك أن عدد آي القرآن أكثر من ستة آلاف وكلّها منازل يقطعها حامل القرآن إن شاء الله تعالى، وعلى كلٍّ فهذه أمور غيبية حسبنا الإيمان بها.

وفي الحديثين أن جنة الفردوس هي أوسط الجنة وأعلاها وأفضلها، وقد أخبر تعالى في هذه الآيات أنه جعلها إرثًا لهؤلاء المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المذكورة وهي الإيمان، والخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، ومراعاة الأمانات والعهد، والمحافظة على الصلوات، فمن أحرز هذه الصفات وتخلق بها كانت الفردوس إرثًا له.

(١٢) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسودُ وبيْن ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك».

رواه أحمد ٤/٤٠٦، وأبو داود ٤٦٩٣، والترمذي ٢٧٦٣، وحسَّنه وصحَّحه، وقد تقدَّم في أول البقرة، والسلالة هي الخلاصة والصفوة استُلَّت من الطين، وسُمِّيت سلالة لأنه سل من كل تربة الأرض.

(٢٠) قـولـه تعـالـى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركةٍ».

رواه الترمذي في الأطعمة ١٦٩٦، وفي الشمائل ١٥٩، وابن ماجه ٣٣١٩، والحاكم ٤/ ١٩٥، وصحَّحه على شرطهما وأقره الذهبـي.

وللحديث شواهد أحسنها حديث أبـي أسيد، رواه أحمد والترمذي ١٦٩٧، وفي الشمائل ١٥٩، والحاكم ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨، وصححه ووافقه الذهبـي، فالحديث حسن أو صحيح.

والحديث مبين للشجرة المذكورة وأنها شجرة الزيتون وكانت مباركة، ذلك لما فيها من المنافع وأعمها وأعظمها منفعة الزيتون وزيته، فإنهما من أعظم نعم الله عزَّ وجل علينا، وفي الزيت منافع طبيَّة وصحيَّة إضافة إلى أنه إدام، ولذلك أرشدنا النبـي ﷺ إلى أكله والادِّهان به.

وقوله تعالى في الآية: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ أي الزيت، ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾، أي وإدام للآكلين. وسُمِّي الزيت صبغًا، لأنه يلون الخبز إذا غمس فيه.

(٥١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيِّب، لا يقبل إلاَّ طيِّبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمُدُّ يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك».

رواه أحمد ٢/ ٣٢٨، ومسلم في الزكاة ٧/ ١٠٠، والترمذي في التفسير ٢٧٩٨، والدارمي في الرقاق وغيرهم.

هـذا الحديـث يعـد مـن قواعـد الإسلام. وفيـه أن الله تعـالى لا يقبل مـن الأقـوال والأعمـال إلاَّ الطيـب الخـالـص لـه تعـالـى، وأن الـرسـل وأتباعـهم كلهم في الأحكام سواء، وفيه أن من كان كسبه خبيثًا لا يستجاب له دعـاؤه، بـل ولا يقبـل منـه أي عمـل ولـو بلـغ مـا بلغ في التقشف وإطالة السفر في تعاطي القربات، والتظاهر بالتواضع والتذلل؛ فإن الأصـل ضائـع وهو طِيبُ اللقمة.

(٥٧) (٥٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
(٥٩) (٦٠) يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ
(٦١) رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

عـن عـائشـة رضـي الله تعـالـى عنهـا زوج النبـي ﷺ قـالـت: سـألـت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ...﴾ الآية، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويُصلُّون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾».

وفي رواية: أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟

رواه أحمـد ٦/ ١٥٩، ٢٠٥، والترمـذي رقـم ٢٩٦٩، بتهـذيبـي، وابـن مـاجـه ٤١٩٨، وابن جرير ١٨/ ٣٤، والحاكم ٢/ ٣٩٣، ٣٩٤، وصحّحه ووافقه الذهبي، والانقطاع وصله ابن جرير.

معنى الآية والحديث المفسِّر لها في الجملة: إن الذين هم من جلال الله وعظمته خائفون، ومن خوف عذاب الله حذرون، والذين هم بآيات الله التشريعية والكونية يؤمنون ولا يشركون مع الله أحدًا، بل يخلصون العبادة له وحده، والذين يعطون العطاء من زكاة وصدقة، ويتقربون بأنواع القربات، وأفعال البر والخير، ومع ذلك هم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم، فهم

دائمًا خائفون وجلون. . . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا.

قال بعض الأكابر: إن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، فالصفة الأولى دلَّت على حصول الخوف الشديد، والثانية دلَّت على التصديق بوحدانية الله تعالى، والثالثة دلت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة دلَّت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقام الصديقين، رزقنا الله تعالى التحقق بها والوصول إليها آمين.

٦٧ **قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إنما كره السَّمَر حين نزلت هذه الآية: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾، قال: مستكبرين بالبيت، يقولون: نحن أهله، سامرًا قال: كانوا يتكبَّرون ويسمرون فيه فلا يعمرونه ويهجرونه.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤١٢، والحاكم ٢/ ٣٩٤ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

هذا بعض ما قيل في تفسير الآية، وهو أنَّ كفار قريش كانوا يفتخرون بالبيت ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا به، وكانوا يسمرون فيه ويهجرونه ولا يعمرونه، وكانوا يسمرون فيه بالهُجر من الكلام.

٧٦ **قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلْنا العِلْهِزَ، يعني الوبر والدم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ. . . ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤١٣، وابن حبان ١٧٥٣، بالموارد بسندٍ حسنٍ، وله طرق يصحح بها، وأصله في الصحيحين كما يأتي في سورة الدخان إن شاء الله تعالى.

العلهز، بكسر الهاء وسكون اللام ثم هاء مكسورة آخره زاي، هو: خلط الدم بوبر الإبل ثم يشوى فيؤكل.

ومعنى الآية الكريمة: ولقد ابتليناهم بأنواع من المصائب والشدائد والقحط والجوع، ومع ذلك فلم يتَّعظوا وما خضعوا لله ولا تواضعوا لجلاله وما دعوا ربهم وتضرعوا إليه لكشف ما بهم من بلاء، بل تمادوا واستمروا على عتوهم وعنادهم.

(٩٧) (٩٨) قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع: «بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

فكان عبد الله يعلِّمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه.

رواه أحمد ٢/ ١٨١، وأبو داود ٣٨٩٣، والترمذي في الدعوات ٣٢٩٣، وحسَّنه وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند رقم ٦٦٩٦، والحديث حسن كما قال أبو عيسى: كما بينت ذلك في تهذيب الجامع. وللمرفوع منه شاهد عن الوليد بن الوليد. رواه أحمد ٤/ ٥٧، و ٦/ ٦.

همزات جمع همزة، وهمزات الشيطان: كيده ووساوسه ونزغاته، أو صرعه.

وفي الآية الكريمة الأمر لنبيه ﷺ ولأمته بالتبعية له، بالاعتصام بالله

والاحتماء به من وساوس الشيطان ومغرياته على المعاصي والباطل، والالتجاء إليه تعالى من حضوره عنده، عياذًا بالله منه.

أما الحديث فيدل على مشروعية ذكر هذه الاستعاذة عند النوم لمن يفزع أو يخشى ذلك، وفِعْلُ ابن عمرو رضي الله تعالى عنه يدل على جواز تعليق ما فيه قرآن أو ذكر لله أو استعاذة به دفعًا للآفات، وبه قال جمهور الأئمة والعلماء على سائر المذاهب ونصوصهم في ذلك كثيرة، وليس هذا من التمائم المنهي عنها كما يوهمه قول البعض.

(١٠١) قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه سمع عمر رضي الله تعالى عنه يقول للناس حين تزوج ابنة علي رضي الله تعالى عنهما: ألا تُهَنُّوني؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلاَّ سببي ونسبي».

رواه الطبراني في الكبير ٢٦٣٣، ٢٦٣٤، والحاكم ٣/ ١٤٢، والبيهقي ٧/ ١١٤، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ١٩٩ وغيرهم. قال النور في المجمع ٤/ ٢٧١، ٢٧٢، و ٩/ ١٧٣: رجاله ــ يعني الطبراني ــ رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وللحديث مع ذلك شواهد عن ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، والمسور بن مخرمة وغيرهم.

الآية الكريمة تدل على أن كل الأنساب تنقطع يوم القيامة، فلكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه، يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا.. لكن الحديث الشريف خصَّ الآية الكريمة بأن نسب النبي ﷺ لا ينقطع، وأنه موصول في الدنيا والآخرة، وهذا ما دعا سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه إلى مصاهرة علي رضي الله عنه بزواجه من حفيدة النبي ﷺ أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عنهما لتكون له صلة

بالنبـي ﷺ يوم القيامة، وهذا من خصائصه ﷺ وفضل آل بيته والانتساب إليهم بأي صلة.

(١٠٤) قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾.

عن أبـي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾، قال: تَشْوِيه النارُ فتقْلُصُ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفتُه السفلى حتى تبلغ سرته.

رواه أحمد ٣/٨٨، والترمذي ٢٩٧٠، والحاكم ٢/٣٩٥، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبـي، وذلك لشاهد له عن ابن مسعود، أورده النور ٧/ ٧٣ برواية الطبراني في الكبير ٩١٢١، وقال: رجاله ثقات إلاَّ أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

قوله: كالحون، أي عابسون قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم، أي انزوت وارتفعت. وفي الآية والحديث بيان بعض مشاهد أنواع عذاب الكفار في جهنم.

(١٠٨) قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتحت خيبر أُهْدِيَتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود»، فجُمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني فيه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: فلان، قال رسول الله ﷺ: «كذبتم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت وبررت، قال: «هل أنتم صادقوني عن شيء إذا سألتكم عنه؟» قالوا: نعم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا...» الحديث.

رواه أحمد ٢/ ٤٥١، والبخاري في الجزية، وفي المغازي رقم ٤٣٤٩، وفي الطب ٥٧٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٣..

قوله: اخسأوا فيها... الخاسىء: المبعد المطرود والصاغر الذليل، فكل طوائف الكفار مطرودون من رحمة الله مبعدون عن دار الكرامة خاسئون في جهنم، فإذا قالوا: «ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون»، أجابهم الله عزَّ وجل بقوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة المؤمنون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النُّورِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة العظيمة من السور المدنية، وهي أربع وستُّون آية، وقد اختصَّت بالحديث عن أحكام الأُسرة، وعلاج شؤون النساء وذوات البيوت، وأفاضت في ذلك نوعًا ما، وذكرت لهن من الأحكام ما لم يذكر في غيرها، وهذا بالإضافة إلى ما فيها من أحكام تشريعية أخرى.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر حد الزنا بالنسبة لمن لم يحصن من الذكور والإناث، آية ٢.

٢ ـ بيان أنَّ الزاني لا يرغب في التزوُّج إلَّا من زانية أو مشركة، وكذا العكس، آية ٣.

٣ ـ ذكر حد القذف والطعن في أعراض الأبرياء، آية ٤.

٤ ـ بيان حكم اللعان بين الزوجين إذا وقع قذف من الزوج ولم يتوفر على بيِّنة عادلة كاملة، ولم يقع اعتراف من الزوجة. . . آيات ٦ ـ ٩.

٥ ـ ذكر حادث الإفك، وقذف السيِّدة الطاهرة مولاتنا عائشة رضي الله

تعالى عنها، وبيان ما أنزل الله في براءتها من القرآن وما جاء في ذلك، آيات ١١ إلى ٢٦.

٦ ــ بيان حكم الاستئذان عند إرادة دخول بيوت الآخرين، آية ٢٧.

٧ ــ الأمر بغض الأبصار من الجنسين الذكر والأنثى، آية ٣٠.

٨ ــ نهي النساء عن إبداء زينتهن، وبيان من يباح لهم الاطِّلاع عليهن، آية ٣١.

٩ ــ أمر المسلمين بتزويج الأيامى الذين لا أزواج لهم، آية ٣٢.

١٠ ــ مشروعية مكاتبة العبيد، آية ٣٣.

١١ ــ النهي عن إكراه الإماء على الزنا على ما كان من عادات الجاهلية، آية ٣٣.

١٢ ــ ذكر نور الله وبيان مثله في قلب المؤمن، آية ٣٥.

١٣ ــ ذكر الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله... آية ٣٧.

١٤ ــ بيان تنوُّع مشي المخلوقات، فمنهم من يمشي على بطنه... آية ٤٥.

١٥ ــ موقف المنافقين والمؤمنين من حكم الله تعالى عليهم، آيات ٤٧ إلى ٥٢.

١٦ ــ وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم... آية ٥٥.

١٧ ــ بيان الاستئذان في العورات الثلاث، آية ٥٨.

١٨ ــ حكم القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا، آية ٦٠.

١٩ ــ رفع الحرج عمَّن يأكل من بيوت خواص أهله... آية ٦١.

٢٠ ــ نفي الحرج عن الاجتماع أو التفرُّق عند الأكل... آية ٦١.

٢١ ــ بيان وجوب استئذان الصحابة الرسول في الانصراف... آية ٦٢.

٢٢ ــ وجوب احترام الرسول وتعظيمه عند ندائه، آية ٦٣.
٢٣ ــ بيان أنَّ مخالفة الرسول توجب الفتنة أو العذاب الأليم، آية ٦٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢) قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾.

عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قالا: إنَّ رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أَنْشُدُك إلاَّ قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه: نعم، واقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله ﷺ: «قل»، فقال: إنَّ ابني كان عسيفًا على هذا فزنى بامرأته، وإني أُخبِرتُ أنَّ على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبوليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنَّ على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأنَّ على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقْضِيَنَّ بينكما بكتاب الله، الوليد والغنمُ رَدٌّ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، اغْدُ يا أُنيسُ إلى امرأةِ هذا فارجُمْهَا، فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها فرُجِمَت. . .

رواه أحمد ٤/ ١١٦، والبخاري رقم ٦٨٢٧، ٦٨٢٨، ٦٨٣١، ومسلم ١٦٩٧، ١٦٩٨، وأبو داود ٤٤٤٥، والترمذي ١٤٣٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٤، وفي المجتبى وابن ماجه ٢٥٤٩، كلهم في الحدود. ورواه البخاري في الوكالة وفي الشهادات وفي الشروط وفي الأحكام وفي أخبار الآحاد ٧٢٥٨، ٧٢٥٩. . .

العسيف: هو الأجير. والوليدة: الأمة.

وفي الآية نصٌّ صريح في جلد الزاني والزانية مائة جلدة، وقيدتها السُّنَّة بالبكر وزادت تغريب عام، فمن أنكر الحكم فليس من المسلمين في شيء، ومن اعترف به واستبدله بغيره من قوانين البشر كان كافرًا ظالمًا فاسقًا

كما نطق الله تعالى بذلك في سورة المائدة، ويبقى بعد ذلك هل هو كافر خارج عن الملة أم هو كفر دون كفر كما يقول الجمهور. وفي الحديث العمل بخبر الواحد، وأنَّ الاعتراف والإقرار معمول به في إقامة الحدود، وأنَّ المرأة المحصنة ترجم إذا زنت، ولا خلاف في ذلك إلاَّ ما أنكره الخوارج.

(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقال له مِرْثد بن أبـي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأَسْرَى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأة بَغِيّ بمكة يقال لها: عَنَاق. وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أُسَارى مكة يحتمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط، فلما انتهت إليَّ عرفتْ، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحبًا وأهلاً، هلمّ فبت عندنا الليلة، قلت: يا عناق، حرَّم الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحتمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت إلى غار أو كهف، فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظلَّ بولُهم على رأسي وعَماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككتُ عنه أَكْبُلَه، فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عَنَاقًا ــ مرتين ــ، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئًا حتى نزلت: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾، فقال رسول الله ﷺ: «يا مِرثد، الزاني لا ينكح إلاَّ زانية أو مشركة... فلا تنكحها».

رواه أبو داود ٢٠٥١، والترمذي ٢٩٧١ في التفسير، والنسائي ٣٢٢٨، وابن

أبي حاتم ١/٢٥٢٦، والحاكم ٢/١٦٦، والبيهقي ٧/٥٣، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي. وله طريق آخر باختصار، وسُمِّيت المرأة أم مهزول، رواه أحمد ٢/١٥٩، ٢٢٥، والنسائي في الكبرى ٦/٤١٥، وابن أبي حاتم ٨/٢٥٢٥، والحاكم ٢/١٥٩، ٢٢٥، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

قوله: أَكْبُلَه، بضم الباء وفتح اللام: جمع كبل، وهو القيد.

وفي الآية الكريمة دليل على أنَّ الزاني لا يرغب في التزوُّج إلَّا بزانية مثله أو بمشركة، ولا يرغب في العفيفة ذات الحشمة، وهكذا الزانية، وكل ذلك محرَّم كما هو أصح أقوال العلماء لظاهر الآية الكريمة، ولقوله ﷺ لمرثد: «لا تنكحها».

(٦) **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشَرِيك بن سَحْمَاءَ، فقال رسول الله ﷺ: «البينة وإلَّا حدٌّ في ظهرك»، قال: فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحدُنا رجلاً على امرأته أيلتمس البينة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «البيِّنة وإلَّا حد في ظهرك»، قال: فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنِّي لصادق، ولينزلن في أمري ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾، فقرأ إلى أن بلغ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾.

قال: فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاءا، فقام هلال بن أمية فشهد والنبي ﷺ يقول: «إنَّ الله يعلم أنَّ أحدَهُما كاذب، فهل منكما تائبٌ؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾، قالوا لها: إنها موجبة، فقال ابن عباس: فَتَلَكَّأَتْ ونكست حتى ظننا أن سترجع، فقالت: لا أَفْضَحُ قومي سائر اليوم، فقال النبي ﷺ: «أبصِرُوها فإن جاءت به أكحلَ العينين، سابغَ الأليتين، خَدَلَّجَ السَّاقين، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لنا ولها شأن».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٦٥، ٦٦ وفي اللعان، وأبو داود ٢٢٥٤، ٢٢٥٦، والترمذي في التفسير ٢٩٧٣، وابن ماجه ٢٠٦٧ وغيرهم.

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، أنَّ عُوَيْمِرًا ــ العجلاني ــ جاء فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتُلُه فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك»، فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمَّى الله في كتابه فتلاعنا، فقال: يا رسول الله، إنَّ حبستها فقد ظلمتها فطلقها فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «انظروا، فإن جاءت به أَسْحَمَ أَدْعَجَ العينين، عظيمَ الأليتين، خَدَلَّجَ السَّاقين، فلا أحسب عويمرًا إلاَّ قد صدق عليها، وإن جاءت به أُحَيْمِرَ كأنه وَحَرَةٌ فلا أحسب عويمرًا إلاَّ قد كذب عليها، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٦٤، وفي اللعان ١١/ ٣٧٣، وفي مواضع، ومسلم في اللعان رقم ١٤٩٢، وأبو داود ٢٢٤٥، والنسائي ٦/ ١٧٠، ١٧١ في بدء اللعان. وفي الباب عن ابن مسعود في صحيح مسلم، وعن ابن عمر عند أحمد والترمذي والنسائي...

قوله: فتلكأت بفتحات مع تشديد الكاف، أي: توقَّفت وتباطأت أن تلاعن. وقوله: أسحم، أي: أسود. وقوله: خدلَّج، بفتحات مع تشديد

اللام، أي: عظيم الساقين. وقوله: أحيمر... إلخ: هو تصغير أحمر. والوَحَرة، بفتحات، هي: دويبة تلزق بالأرض.

وظاهر الحديثين أنَّ آية اللعان نزلت بسبب هلال بن أمية وعويمر العجلاني معًا، وقد اختلف في ذلك، فقالت طائفة: إنها نزلت في شأن عويمر، ورجَّحت طائفة أخرى أنها نزلت في شأن هلال، ورجح آخرون أنها نزلت فيهما معًا وتكرَّر نزولها، والله أعلم.

وعلى كلٍّ ففي الحديثين بيان حكم اللعان الوارد في القرآن، وهو أن يتلاعنا ــ كل من الزوجين ــ إذا قذف الزوج زوجته بالزنا ولم يكن له شهداء يشهدون له بذلك، فيحضران عند الحاكم الإسلامي فيحلفان بداية من الزوج فيقول: بالله الذي لا إلـه إلاَّ هو أني لصادق وهي كاذبة، يقولها أربع مرَّات، وفي الخامسة يقول: وإن كنت كاذبًا فعليَّ لعنة الله، فإن صدَّقته قتلت رجمًا بالحجارة، وإن كذَّبته حلفت هي الأخرى أربع مرات وتقول: إني لصادقة وهو كاذب، وتقول في الخامسة: وإن كنت كاذبة فعليَّ غضب الله، ثم يفرق بينهما ولا يلتقيان بزواج أبدًا، ويلحق الولد بأمه.

وقاذف زوجته يكون بين أمور ثلاثة: إما أن يدلي ببيِّنة، وإما أن يلاعن، وإما أن يسلم نفسه للحدّ ثمانين جلدة.

(١١) **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَل في

هَوْدَجي وأنزل فيه، فَسِرْنَا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقَفَل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى إذا جاوزتُ الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحْلِي فإذا عِقدٌ لي من جَزْع أَظْفارِ قد انقطع، فالتمستُ عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرَّهْطُ الذين كانوا يُرَحِّلون لي فاحتملوا هَوْدَجي فرحَّلوه على بعيري الذي كنت ركبتُ وهم يحسبون أنِّي فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم، إنما يأكلنَ العَلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ.

فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المُعَطَّل السُّلمي ثمَّ الذَّكْواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمَّرتُ وجهي بجلبابـي، والله ما كلَّمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطِىء على يديها فركبتها فانطلق يقود بـي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغِرين في نحْر الظهيرة فهلك من هلك. وكان الذي تولى الإِفك عبد الله بن أُبَـيّ ابن سلول.

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون في قول أصحاب الإِفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكُم؟ ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت مع أم مسطَح قِبَل المناصِـع وهو مُتَبَرَّزُنَا، وكنا لا نخرج إلاَّ ليلاً إلى ليل، وذلك

قبل أن تتَّخذ الكُنُف قريبًا من بيوتنا، وأمْرُنا أمْرُ العرب الأُوَل في التَّبَرُّز قِبَل الغائِطِ، فكنَّا نتأذَّى بالكنف أن نَتَّخِذَها عند بيوتِنا. فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبـي رُهْم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبـي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأمُّ مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثَرَتْ أمُّ مسطح في مِرْطِها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبِّين رجلاً شَهِدَ بدرًا؟ قالت: أي هَنَتَاهُ، أَوَلَم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددتُ مرضًا على مرضي.

قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله ﷺ ـ تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ ـ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوَي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أسْتَيْقِن الخبر من قِبَلِهِمَا، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدَّث الناس؟ قالت: يا بنيَّة، هوِّني عليك، فوالله لقلَّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلاَّ أكثرنَ عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أَوَلَقَد تحدَّث الناس بهذا؟! قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يَرْقأ لي دَمعٌ، ولا أكتحلُ بنوم حتى أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبـي طالب وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم حين اسْتَلْبثَ الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلاَّ خيرًا. وأما عليّ بن أبـي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تَصْدُقْكَ. قال: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟»، قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرًا أغْمِصُه عليها أكثر من أنَّها جارية حديثة السن تنام عن

عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أُبَـيّ ابن سلول.

قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهلِ بيتي؟! فوالله ما علمت على أهلي إلاَّ خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاَّ خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلاَّ معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أَعْذِرُك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيِّد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّة، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تَقْتُلُه ولا تقدِرُ على قتله. فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْر وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنَقْتُلَنَّهُ، فإنَّك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيَّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يَقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يَرْقأ لي دمع ولا أكتحلُ بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنَّان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأننا، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبـي إليه فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحسُّ منه قطرة، فقلتُ لأبـي: أجـب رسـول الله ﷺ فيمـا قـال. قـال: والله مـا أدري مـا أقـول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبـي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن، إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إنِّي بريئة والله يعلم أنِّي منه بريئة لا تصدِّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصَدِّقُنَّنِي، والله ما أجد لكم مثلاً إلاَّ قول أبـي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨]، قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أنِّي بريئة، وأنَّ الله مبرِّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أنَّ الله منزل في شأني وحيًا يُتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء حتى إنه يتحدَّر مثل الجُمَان من العرق وهو في يوم شات من ثِقَلِ القول الذي ينزل عليه، قالت: فلمَّا سُرِّي عـن رسـول الله ﷺ سُـرِّيَ عنـه وهـو يضحـك، فكـان أول كلمـة تكلـم بهـا: «يا عائشة، أما الله عزَّ وجلّ فقد برأكِ»، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلاَّ الله عزَّ وجلّ، وأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ...﴾ العشر الآيات كلها.

فلمَّا أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه

وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ماذا علمتِ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلاَّ خيرًا، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وصفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

رواه أحمد ٦/ ١٩٤، ١٩٨، والبخاري في التفسير ١٠/ ٦٨، ٩٥، وفي الشهادات وفي الجهاد رقم ٢٨٧٩، وفي المغازي ٤١٤١، وفي التوحيد ٧٥٠٠ وفي مواضع، ومسلم في التوبة ١٧/ ١٠٢، ١١٤، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/ ٣٦٧، ٤١٥، ٤١٨، وغيرهم.

حادث الإفك من أعظم الأحداث وأخطرها التي حصلت أيام النبوَّة، والذي أثاره قائد المنافقين اللعين عبد الله بن أُبَـيّ بن سلول في جانب السيِّدة الطاهرة العفيفة النزيهة مولاتنا عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وزوجه في الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنها. فقذفها بصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه وأذاع ذلك بين الناس، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين صفوف الصحابة حتى كادوا يقتتلون لولا حكمة الرسول الأعظم وسياسته الرشيدة ﷺ. وتأخّر نزول الوحي، ثم جاءت البشارة العظيمة بتبرئة السيِّدة ممَّا رُمِيت به من عند الله عزَّ وجلّ، فأنزل في طهارتها عشر آيات.

وقد وقع اختلاف في عدد الآيات النازلة في قصَّة الإِفك حسب الروايات، فهذه الرواية فيها عشر آيات وآخرها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾، وفي رواية آخرها: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾، وعددها إلى هذه الآية ثلاث عشرة آية، وفي رواية ثالثة آخرها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]. ولا اختلاف في ذلك، فالكل حدَّث بما بلغه، وظاهر سياق القرآن في القصة يقتضي نهايتها في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾؛ لأنَّ الإِشارة جاءت للطيِّبين والطيِّبات وهم رسول الله ﷺ وزوجه عائشة وأبوها الصدِّيق وصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنهم، وهم الذين أصابهم الطعن في أعراضهم فأخبر الله تعالى عنهم بأنَّهم مبرأون مما قيل فيهم. . .

وعن ابن أبـي مُلَيْكَة قال: استأذن ابن عباس على عائشة رضي الله تعالى عنهم قبل موتها وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتَ، قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عُذْرُكِ من السَّماء. ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وودت أنِّي كنت نسيًا منسيًّا.

وفي رواية: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء به الروح الأمين فليس في الأرض مسجد إلاَّ وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار.

رواه أحمد والبخاري في التفسير ١٠/ ١٠٠، وفي فضل عائشة من المناقب.

---

(١) وعددها من أول القصة إلى هنا خمس عشرة آية.

وعن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله تعالى عنهما فشبب وقال:

حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُـزَنُّ بـريبـةٍ وتُصبحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ

قالت عائشة: لست كذلك. قلتُ: تَدَعِين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ . . . ﴾ إلخ، فقالت: وأيّ عذاب أشد من العمى؟ وقالت: وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ. وفي رواية: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ١٠/ ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

قوله في الحديث الأول: وهي مغلوبة، يعني: كانت في سياق موتها. وقول مسروق: فشبب، باءين مع فتحها وتشديد الأولى، يقال: شبب الشاعر بفلانة إذا عَرَّض بحبها وذكر حسنها، وهو التَّغَزُّل والمراد ترقيق الشِّعر بذكر النِّساء، وقد يطلق على إنشاد الشعر وإنشائه، وإن لم يكن تغزل.

وقول حسان: حصان، بفتح الحاء من الحصن والتحصين: يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها. ورزان: من الرزانة، يعني: قلَّة الحركة. وما تُزن، بضم التاء وفتح الزاي وتشديد النون، أي: ما تُرمَى بريبة. وقوله: غرثى على وزن قتلى، أي: خميصة البطن، وهي كناية عن عدم اغتيابها لأحد. والغوافل: جمع غافلة، وهي العفيفة الغافلة عن الشر.

وفي الحديثين فضل لهذه الطاهرة زوجة سيِّد الطاهرين ﷺ.

وعـن عـائشـة رضـي الله تعـالـى عنهـا قـالـت: لمـا نـزل عـذري قـام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلمَّا نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم.

رواه أبو داود ٤٤٧٤، ٤٤٧٥، والترمذي ٢٩٧٥، والنسائي وابن ماجه ٢٥٦٧،

وسنده حسن، وابن إسحاق إذا حدث عن المعروفين كان حديثه مقبولاً وإن روى بالعنعنة.

كان ﷺ قد نفَّذ حدّ القذف في حادث الإفك في ثلاثة من الصحابة الصادقين كانوا انساقوا مع المنافقين، واغترّوا بكلامهم ولم يتروَّوا، فتكلَّموا في الحبيبة الطاهرة، وهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت زينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهم.

خاتمة: في حكم قذف السيدة عائشة رضي الله عنها بعد براءتها

قال العلماء رحمهم الله تعالى: من قذف السيِّدة عائشة بعد نزول براءتها كان كافرًا مرتدًّا، وكذا من قال من الشيعة الروافض: إنها كافرة مخلَّدة في النَّار... هو كافر.

وقال جار الله الزمخشري في الكشاف في هذا الموضع: ولو فلَّيت القرآن كله، وفتَّشت عمَّا أوعد به من العصاة، لم تر الله تعالى قد غلَّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلاَّ هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القَذَفَة ملعونين في الدَّارين جميعًا، وتوعّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله قال: فأوجز في ذلك وأشبع، وفصَّل وأجمل، وأكَّد وكرَّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عَبَدَة الأوثان إلاَّ ما هو دونه في الفظاعة، وما ذلك إلاَّ لأمر... إلى آخر ما قال، فانظره فإنه مهم.

دلائل على فضل السيدة عائشة رضي الله عنها

وممَّا يدل على فضل هذه السيِّدة وعلوِّ شأنها ورفيع مقامها رضي الله تعالى عنها ما يلي :

أوَّلاً : نزول جبريل عليه السلام بصورتها في سَرَقَة من حرير، حيث رآها ﷺ كذلك في منامه مرَّتين، ويقال: هذه امرأتك.. ثم تزوَّجها.

ثانيًا : لم يتزوَّج ﷺ بكرًا غيرها.

ثالثًا : أنها ابنة خليفة وخليل رسول الله ﷺ.

رابعًا : أن كان لينزل الوحي عليه ﷺ وهو في لحافها.

خامسًا : تُوُفِّي رسول الله ﷺ في بيتها ورأسه في حجرها.

سادسًا : دُفِنَ وأُقْبِر في منزلها.

سابعًا : كانت الملائكة تزوره دائمًا في بيتها.

ثامنًا : إخباره ﷺ بأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وهو في الصحيح.

تاسعًا : كان له ﷺ منها محبَّة خاصة دون سائر نسائه، وكنَّ كباقي الصحابة يعرفْنَ ذلك منه.

عاشرًا : نزول عذرها وتبرئتها من السماء وجعل قرآنًا يُتلى إلى الأبد في جميع مساجد أهل الإسلام وكتاتيبهم وبيوتهم ليلاً نهارًا.

حادي عشر : وصفها الله تعالى بأنها مؤمنة محصنة غافلة عن كل سوء، وأنها طيبة تحت طيِّب، وأنها مبرَّأة مما يقول المنافقون، وأنها مغفور لها، وأنَّ لها الرزق الكريم وهي الجنة، وأنَّ ما قيل فيها ليس شرًّا لها بل هو خير لها، وهذا كله نطق به القرآن الكريم، فاقرأ الآيات وتأمَّلها بإمعان وتدبُّر.

فيا ويل للذين يُبغضون هذه السيِّدة أو ينالون منها ويختمون حالها بأنَّها كافرة مخلَّدة في النار، كما تجد ذلك مسطَّرًا في كتبهم. . . ويتفوَّه ويصرِّح به مَن يسلك طريقهم في التقية من الغلاة، كذلك الخبيث السماوي التيجاني وأسد حيدر وأمثالهما من المعاصرين، علمائهم وجهَّالهم، فيا خيبتهم.

(٢٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السَّبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحْف، وقذف المُحْصَنات المُؤمنات».

رواه البخاري في الحدود ٦٨٥٧، وفي الوصايا وفي الطب ٥٧٦٤، ومسلم في الإيمان ٨٩، وأبو داود ٢٨٧٤، والنسائي ٣٦٧١ كلاهما في الوصايا، ورواه النسائي أيضًا في الكبرى ٦/ ٤١٨.

الموبقات، أي: التي توبق وتدخل أصحابها النار. والتولِّي يوم الزحف: أي الفرار من ميدان القتال. وقذفُ المحصنات، أي: رمي النساء العفيفات الغافلات من السوء بجريمة الزنا، والآية والحديث يدلاَّن على أنَّ قذف المؤمنة المحصنة من كبار الذنوب، ولا خلاف في ذلك، وكذا باقي ما ذكر في الحديث فإنها من الكبائر والفواحش العظام أعاذنا الله تعالى منها.

(٢٤) قـولـه تعـالـى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبـي ﷺ فَضَحِكَ حتى بَدَت نَوَاجِذه، ثم قال: «أَتَدْرون مِمَّ أَضحَكَ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم،

قال: «مِن مُجادلةِ العبدِ ربَّه يقول: يا رب، ألم تُجرني من الظُّلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيز عليَّ شاهدًا إلاَّ مِن نفسي، فيقول: كفى بنفسِك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرامِ عليك شهيدًا، فيُخْتَم على فِيه، ويُقال لأركانه: انطقي؛ فتنطِق بعملِه، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لكُنَّ وسُحْقًا فعنكن كنتُ أناضِل».

رواه مسلم في الزهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٨.

الحديث موافق للآية الكريمة، ومفصل لها، وأنَّ الإنسان ستشهد عليه جوارحه بما عمل في هذه الحياة يوم القيامة إقامةً للحجَّة عليه، ولا شكَّ أنَّ الذي سيجادل الله في ذلك على ما قدم من سيِّئات لا يكون إلاَّ شقيًّا، نسأل الله تعالى السلامة، واللطف والعفو.

(٢٧) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ
(٢٨) تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ
أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، أنَّه استأذن على عمر ثلاثًا فسلَّم، فلم يؤذن له، ثم انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذنوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلمَّا جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: «إني استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدُكم ثلاثًا فلم يؤذن له فلينصرف. . .» الحديث.

رواه البخاري في الاستئذان ١٣/ ٢٦٤، ٢٦٥، ومسلم في الأدب ١٤/ ١٣٠، ١٣١، وغيرها.

وعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما قال: زارنا

رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردَّ سعد ردًّا خفيًّا، قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: دعه يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردَّ سعد ردًّا خفيًّا، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، ثم رجع رسول الله ﷺ واتَّبعه سعد، فقال: يا رسول الله، إنِّي كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردًّا خفيًّا لتكثر علينا من السلام، قال: فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثمَّ ناوله خميصة مصبوغة بِزَعْفران أو وَرْس فاغتسل بها، ثمَّ رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «اللَّهُمَّ اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عُبادة»، ثمَّ أصاب رسول الله ﷺ من الطعام، فلمَّا أراد الانصراف قرب إليه سعد حمارًا قد وطىء عليه بقطيفة فركب رسول الله ﷺ، قال قيس: فقال رسول الله ﷺ: «اركَبْ»، فأَبَيْتُ، فقال: «إمَّا أن تركبَ وإمَّا أن تَنْصَرِف»، قال: فانصرفتُ.

رواه أبو داود في الاستئذان ١٥٤٣، والنسائي في الكبرى رقم ١٠١٥٦، ١٠١٥٧. قال ابن كثير: هو حديث جيد قوي.

في الآية الكريمة وما أوردناه من الحديثين أدب من آداب الاستئذان، أي طلب الإذن في الدخول لبيوت الآخرين من الأجانب، وأنه لا يجوز الدخول بحال إلَّا بعد الاستئذان والسلام على أهل البيوت، وأنَّ ذلك يشرع ثلاثًا، فإن لم يوجد فيها أحد ولم يؤذن له فلينصرف. وهناك آداب أُخَر تتعلَّق بالموضوع لها موضع آخر. وفي الحديث الثاني جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة عليهم، ويؤيِّده الحديث الآخر: «اللَّهُمَّ صلِّ على آل أبي أوفى...»، وهو في الصحيح. وفي المسألة نقاش.

٣٠ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

عن أبـي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «إيَّاكم والجلوس على الطُّرقات»، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بُدٌّ مِن مجالِسِنَا نَتَحَدَّث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَبَيْتُم إلاَّ الجلوسَ فأعْطوا الطريقَ حقَّه»، قالوا: وما حَقُّه؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردّ السَّلام، والأمْرُ بالمعروف، والنَّهي عن المُنْكَر».

رواه أحمد ٣/ ٣٦، ٦١، والبخاري في الاستئذان ١٣/ ٢٤٦، ٢٤٧، ومسلم في السلام رقم ٢١٢١، وغيرهم، ونحوه عند مسلم، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤١٨ عن أبـي طلحة الأنصاري.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبـي ﷺ عن نظرةِ الفَجْأة فأمرني أن أصْرِفَ بَصَرِي.

رواه مسلم ١٤/ ١٣٨، ١٣٩، وأبو داود ٢١٤٨، والترمذي ٢٥٨٦ في الأدب.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه رفعه قال: «يا عليّ، لا تُتْبِـعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإنَّ لكَ الأُولى وَلَيْسَتْ لكَ الآخرةَ.

رواه أبو داود ٢١٤٩، والترمذي ٢٥٨٧، والحاكم ٣/ ١٩٤، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبـي.

قوله: ما لنا بد، بضم الباء وتشديد الدال، أي: ليس لنا مفرّ منها. والفجاءة، بضم الفاء وفتحها وفتح الجيم وسكونها، هي: المباغتة.

وفي الآية وهذه الأحاديث تحريم النظر إلى النساء اللاتي يشتهين، وكان ذلك عن قصد مع توالي النظرات لما في ذلك من حصول الفتنة وإثارة الشهوة الجنسية والإغراء على فاحشة الزنا، فكل المصائب تأتي من النظرة، وقد ابتلي الإنسان بهذا الجنس الضعيف الخطير فليست هنالك فتنة أضرّ على الرجل من المرأة حفظنا الله عزَّ وجلّ من فتنتهن وحفظ علينا جوارحنا من

مواقع سخطه وغضبه، وغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا وما أسررنا وما أعلنَّا بفضله ورحمته آمين.

(٣١) **قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ. . .﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ. . .﴾، شققن مروطهن فاختمرن بها. وفي رواية: أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

رواه البخاري في تفسير سورة النور ١٠/١٠٦، و (٤٠٩٩).

قال الحافظ على قولها (فاختمرن): أي: غطَّين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنُّع. والمروط، جمع مرط، بكسر الميم: هي أكسية من صوف أو خز كان نساء العرب يتلفَّعن بها.

(٣٣) **قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.**

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كان عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغي شيئًا، قال: فأنزل الله تعالى عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)﴾.

وفي رواية: إنَّ جارية لعبد الله بن أُبَيّ يُقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة كان يريدهما على الزنا، فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا. . .﴾ الآية.

رواه مسلم آخر الكتاب رقم ٣٠٢٩، وأبو داود في الطلاق ٢٣١١، والنسائي في الكبرى ٦/٤١٩، والحاكم ٢/٣٩٧، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

البغاء: هو الزنا، وكان أهل الجاهلية يُكرهون فتياتهم وإماءهم على الزنا طلبًا لما يعطونه من أجور، فأنزل الله تحريم ذلك وخبثه، وأخبر تعالى بأنه غفور لمن أُكْرِهَت على ذلك.

(٣٥) قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٣٥) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلِّي قال: «اللَّـهُمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السَّمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولكَ الحمدُ أنتَ قَيَّامُ السَّمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمد أنتَ الحقّ، ووعْدُك الحقّ، وقولك الحقّ، ولقاؤك حقٌّ، والجنَّة حقّ، والنار حقّ، والنبيُّون حقّ، ومحمد ﷺ حقّ، والساعة حقّ، اللَّـهُمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلْت، وإليك أَنَبْت، وبكَ خاصَمْتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أَخَّرْت، وما أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْت، أنتَ المُقدِّمُ وأَنْتَ المُؤخِّر، لا إلـٰهَ إلاَّ أنتَ».

رواه البخاري في التهجُّد ٣/ ٢٤٥، ٢٤٦، وفي الدعوات ١٣/ ٣٦٦، ومسلم في صلاة النبي بالليل ٦/ ٥٤، ٥٥، وأبو داود ٧٧١، والترمذي والنسائي ٦/ ٤١٩، وغيرهم.

هذا حديث عظيم اشتمل على مهمات التوحيد والإيمان والاستسلام للَّه عزَّ وجلّ والإنابة إليه والحمد له، والتحاكم إلى ما شرعه ثم الاستغفار من جميع الذنوب، والاعتراف بأنه المقدِّم المؤخِّر لا ربَّ غيره ولا إلـٰه سواه.

وقوله تعالى: ﴿ ۞اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ . . . ﴾ إلخ، وقوله ﷺ: «أنت نور السموات . . . » إلخ، الجمهور على أنَّ معناه منوّر السموات والأرض ومن فيهن، أي: أنار السموات بالكواكب والأرض بالشمس والقمر وبالشرائع والأحكام وبعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. قال العلماء: سمَّى نفسه نورًا، وجعل كتابه نورًا، ورسوله نورًا، واحتجب عن خلقه بالنور. قالوا: ويجوز أن يقال: الله نور على جهة المدح، لأنَّ جميع الأشياء منه ابتداؤها، وعنه صدورها.

وجاء في دعائه ﷺ حينما آذاه أهل الطائف: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . . . » إلخ.

رواه الطبراني، قال: النور في المجمع ٦/ ٣٥، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلِّس، وبقيَّة رجاله ثقات، وهو من حديث عبد الله بن جعفر. وأورده ابن هشام في السِّيرة ١/ ٢٦٠، ٢٦٢ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

والأسلم في ذلك كله أن يقال: إنَّها صفة لله نؤمن بها ونمرها كما نطق بها القرآن من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، ونكل معناها إليه عزَّ وجلّ.

(٣٥) قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّـهَ خَلَقَ خَلقَه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصابَ مِن نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأ ضلَّ، فلذلك أقول: جفَّ القلم على عِلْمِ اللَّـه عزَّ وجلّ».

رواه أحمد ٢/ ١٧٦، ١٧٧، ١٩٧، والطيالسي ٥٧، والترمذي آخر الإيمان ٢٤٥٨، وابن حبَّان ١٨١٢، والحاكم ١/ ٣٠، بسند صحيح، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

في الحديث أن هداية الخلق منوطة بنور الله عزَّ وجلّ، فمن أصابه

نور الله في عالم الأرواح هداه الله تعالى واستنار قلبه وأضاء بنور الإيمان الذي هو من نور الله، فيصير يتقلَّب في الأنوار كما قال أُبَـيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، فهو يعني المؤمن يتقلَّب في خمسة من النور: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة.

(٥٥) **قوله تعالى**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥)﴾.

عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا»، ثمَّ تكلَّم النبي ﷺ بكلمة خَفِيت عنِّي، فسألتُ أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش». وفي رواية: «يكون من بعدي اثنا عشر أميرًا. . .». وفي رواية ثالثة: «لا يزال هذا الدين عزيزًا إلى اثني عشر خليفة»، فكبَّر الناس وضجوا. وفي رواية رابعة: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». وفي رواية خامسة: «لا يزال الدِّين قائمًا حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

رواه أحمد ٥/ ٩٠، ٩٢، ٩٤، ١٠٨، والبخاري في الأحكام ١٦/ ٣٣٨، ٣٣٩، ومسلم في الإمارة ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، وأبو داود في المهدي ٤٢٧٩، ٤٢٨٠، والترمذي في الفتن ٢٠٥٣، وابن حبان ١٥/ ٤٣، ٤٤، ٤٥، وأبو يعلى ٦/ ٢٨٢، وغيرهم من طرق وألفاظ، واللفظ الأول للبخاري ومسلم وابن حبان، والثاني لأبي داود، والباقي لمسلم. . .

هذه الروايات تدل بجملتها على أمرين اثنين:

الأول: أنَّ دين الإسلام لا يزال قائمًا حتى يأتي أمر الله، وهو

اضمحلال الإسلام برفع القرآن وموت المؤمنين بعد موت عيسى عليه السَّلام، وسيبقى كذلك متمثّلاً في طائفة منصورة لا يضرّهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم، وهذه الطائفة مفرقة في الأمة لا تختصّ بناحية دون أخرى ولا بقوم دون آخرين.

الثاني: أنه لا بدَّ وأن يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة يلون أمر الناس ويقومون بشؤونهم العامة حكامًا وأمراء عليهم كلهم من قريش، وبهم وفي أيامهم يكون أمر الدين عزيزًا منيعًا، هذا ظاهر الحديث برواياته، وقد تكلم الناس في هؤلاء الخلفاء بعد إجماع أهل السُّنَّة والحق على أنهم خلفاء وأمراء في الحكم والسلطة خلافًا لما يزعمه الشيعة الإمامية من أنَّ المراد بهم أئمَّتهم المعصومون، فإنَّ هذا يخالف ظاهر نص الحديث ويخالف الواقع، فإنَّ أئمة أهل البيت لم يل منهم الخلافة إلاَّ الإمام علي والسبط الحسن عليهما السلام، فأين دليل الباقين؟، نعم كانت لهم الإمامة في الدين والتأسي بهم.

ثم اختلف علماء أهل السُّنَّة في هؤلاء الخلفاء على قولين، فقال فريق: إنَّ هؤلاء الخلفاء تقدَّم جميعهم في القرن الأول، وجعلوا نهايتهم الوليد بن يزيد حيث ثار عليه الناس وانتشرت الفتن، وقال فريق ثان: إنَّهم مفرَّقون في الأمة، وكان منهم الخلفاء الأربعة ثم سيِّدنا الحسن، وسيِّدنا عمر بن العزيز رضي الله تعالى عنهم، والستَّة الباقون مفرّقون في الأمة آخرهم المهدي، وهذا القول هو الصحيح المختار، والله أعلم.

وعن سفينة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا عضوضًا»، ثم قال سفينة: أمسك خلافة أبي بكر، ثمَّ قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثمَّ قال: أمسك خلافة علي، فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إنَّ بني أمية يزعمون أنَّ الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء، هم ملوك من شر الملوك.

رواه أحمد ٥/ ٢٢٠، وأبو داود ٤٦٤٦، ٤٦٤٧، والترمذي ٢٠٥٥، في الفتن، وسنده حسن.

في الحديث أنَّ الخلافة التي كانت على منهج النبوّة متوالية هي خلافة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وفي عصر هؤلاء انتشر الإسلام، وفتحت الأقاليم والأمصار وكسرت شوكة العملاقين وقتئذ كسرى وقيصر، وفي ذلك العصر مكن الله للمسلمين دينهم الذي ارتضاه لهم، وصدقهم وعده كما في الآية الكريمة، وانظر ما قاله هنا ابن كثير رحمه الله تعالى في الموضوع ٥/ ١١٩.

وعن أُبَـيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فنزلت: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

أورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٨٣ برواية أوسط الطبراني قال: ورجاله ثقات.

قوله: رمتهم العرب... إلخ، هو كناية عن مناصبتهم العداوة إياهم، وشن الحرب عليهم. وفي الآية إشارة إلى تسليتهم بذلك وتثبيتهم، وبأنه عزَّ وجلّ لا بدَّ وأن ينصرهم ويجعلهم مستخلفين في الأرض ممكنًا لهم دينهم آمنين...

(٦١) **قوله تعالى**: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنه قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير

مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم، ويقولون لهم قد أَحْلَلْنَا لكم أن تأكلوا ممَّا أحببتم، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب نفس، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾.

رواه البزار ٢٢٤١، قال النور ٧/ ٨٤: ورجاله رجال الصحيح.

في الآية الكريمة الإذن من الله عزَّ وجلّ في تناول ما أراده المسلم من المأكل من بيوت أقاربه كالأب والأم، والأخ والأخت، والعم والعمة، والخال والخالة، والخادم والصديق، وأنه لا حرج فيما يحتاجه من الأكل من بيوتهم.

واختلف المفسِّرون في المراد برفع الحرج عن العُمْي والعُرْج والمرضى هنا، فقيل في التخلُّف عن الجهاد، وقيل: في مؤاكلتهم، حيث إنَّ الناس كانوا يتقزَّزون ويتحرَّجون من الأكل معهم. . .

والأكل من بيوت ما ذكر في الآية لا حرج فيه إذا كان يعلم منهم أنهم لا يكرهون ذلك، كما كان ذلك سائدًا أيام الصحابة وما يقاربها، وإلاَّ فلا يحلّ لمسلم مال امرىء مسلم إلاَّ عن طيب نفس منه، نعم يُستثنى المضطر المحتاج، والله تعالى أعلم.

وبه تمَّ تفسير سورة النور، والحمد للّٰه الَّذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الفُرْقَانِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من السور المكيّة التي تعالج موضوع العقيدة، وحقيقة القرآن، وصدق رسالة نبينا ﷺ، والبعث والجزاء، وذكر قصص بعض الأنبياء تثبيتًا للنبي ﷺ وتسليةً له مما كان يلاقيه من كفار قومه، وختمت السورة بالإشادة بصفات عباد الرحمن وما أولاهم الله وحباهم من مكارم الأخلاق التي استحقوا بها فضلاً منه تعالى غرف الجنة ونعيمها. وآياتها سبع وسبعون.

وسميت سورة الفرقان لابتدائها بذكر الكلام على القرآن الكريم المنزَّل على عبده سيدنا محمد ﷺ والذي فرق به بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والنور والظلام.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص لا توجد في غيرها وهي:

١ ـ ذكر ما استبعده الكفار وتعجبوا منه، وهو كون الرسول مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فرد الله تعالى عليهم قولتهم المقيتة وبيَّن أنه ما من رسول بعث في سالف الأجيال إلاَّ كان بشرًا يأكل الطعام ويمشي مع الناس، آية ٢٠.

٢ ـ ذكر تعنت الكفار وعنادهم في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، آية ٢١.

٣ ـ ذكر ذلك الشقي اللعين الذي سيعض على يديه يوم القيامة تحسرًا وندامة على ما صدر منه في الدنيا في جانب النبي ﷺ وهو عقبة بن أبي معيط، أو غيره، آيات ٢٧ ـ ٢٩.

٤ ـ لفت الأنظار إلى تلك الآية الإلـٰهية العظيمة العجيبة، وهي مد الظل، ولو أراد الله تعالى لأبقاه كذلك دائمًا لا يزول، ولكنه تعالى يذهبه ويقبضه شيئًا فشيئًا بطلوع الشمس حتى لا يبقى ظل إلَّا تحت سقف أو شجرة أو صخرة، آيتان ٤٥، ٤٦.

٥ ـ التنصيص على أنه خلق البشر من الماء ـ المني ـ، ثم صيَّره نسبًا وصهرًا، أي يولد نسيبًا لأبيه، ثم يتزوج فيصير له أصهار وقرابات، آية ٥٤.

٦ ـ ذكر بعض حِكم تعاقب الليل والنهار وأسرار ذلك، وهو توقيتهما لعبادة عباده فمن فاته عمل الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل النهار عمله في الليل، وذلك لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورًا، آية ٦٢.

٧ ـ ذكر صفات عباد الرحمن وما حلَّاهم الله به من نعوت وأخلاق كريمة، آيات ٦٣ ـ ٧٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٣٣ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أُنزل القرآن جملة إلى السماء في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٢١، والحاكم ٢/ ٢٢٢ بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

لا خلاف أن نزول القرآن جملةً كان في ليلة القدر ثم نزوله منجَّمًا في ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة وعشر بالمدينة، وقول ابن عباس هنا في عشرين سنة مؤول؛ للاتفاق على ما ذكرنا، وسيأتي نحو من هذا في سورة القدر. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ...﴾ الآية، أي: ولا يأتيك هؤلاء المعاندون بحجة أو شبهة للقدح فيك أو في القرآن إلَّا أتيناك بالحق الواضح، والنور الساطع، لندمغ به باطلهم، وآتيناك أحسن بيانًا وتفصيلاً.

(٣٤) **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٠٩، وفي الرقاق ١٤/ ١٧١، ومسلم في صفة جهنم رقم ٢٨٠٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٠، وانظر ما سبق في الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وفي الآية والحديث أن الله تعالى قادر على كل شيء أراده، وأنه لا يعجزه شيء مما تستبعده عقولنا الضعيفة، ويستحيل في عاداتنا المتعارَفة، وأن أمور الآخرة هي على خلاف حياتنا هذه.

(٦٢) **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده

بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠٤، ومسلم في التوبة رقم ٢٧٥٩.

الآية الكريمة تدل على أنه تعالى جعل كلاًّ من الليل والنهار خلفًا من الآخر. ويحتمل ذلك معنيين: الأول: بأن ما فات في أحدهما من عملِ خيرٍ يُعمل فيه لله عزَّ وجل أدرك قضاؤه في الآخر. والثاني: جعل ذلك ليعلم بهما الساعات والأوقات والأيام. والمعنى الأول يناسبه حديث أبي موسى، والسر في ذلك ظاهر من قوله عزَّ وجل: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾، أي لمن أراد أن يذكر أمر الله فيرجع ويتوب إلى الله أو أراد شكر نعمة الله تعالى التي أنعم بها عليه في هذا الاختلاف والتعاقب.

٦٨ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خَلَقَك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، قال عبد الله: فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ...﴾ الآية.

رواه البخاري ١٠/ ١٠٩، ١١١، ١١٢، في التفسير، ومسلم في الإيمان ٢/ ٨٠، والترمذي ٢٩٧٦ وغيرهم.

وعن سلمة بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا إنما هي أربع»، فما أنا بأشح عليهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ: «ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا».

رواه أحمد ٤/ ٣٣٩، ٣٤٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢١، ٤٢٢، والحاكم ٤/ ٤٥١ بسندٍ صحيح.

وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأورده النور ١/ ١٠٤ برواية كبير الطبراني ٧/ ٣٨، ٣٩، وقال: رجاله ثقات.

النِّد: بكسر النون، هو الشريك والمثيل. والحليلة: الزوجة.

والآية ـ والحديثان ـ دالة على أن هذه المعاصي أعظم الذنوب عند الله تعالى ولا خلاف في ذلك، غير أن أكبرها وأفحشها إطلاقًا اتخاذ شريك مع الله، ثم الباقي على الترتيب المذكور: قتل النفس، ثم الزنا، ثم السرقة. ويلاحظ أن ترك صلاة واحدة عن تعمُّد حتى يخرج وقتها تلي في الجرم الشرك بالله كما قال العلماء رحمهم الله تعالى، نسأل الله عزَّ وجل وهو البر الرحيم أن يحفظنا من مواقع سخطه وغضبه، آمين.

(٧٧) قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: خمس قد مضين: الدخان، والروم، والبطشة، واللزام، فسوف يكون لزامًا.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١١٣، ومسلم آخر الكتاب رقم ٢٧٩٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٢، وسيأتي في الدخان أيضًا.

وبه تم الكلام على سورة الفرقان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي مكيَّة كسابقتها الفرقان، ومنها إلى سورة الأحزاب، كلها من السور المكيَّة وهي ثمان سور متواليات، وآيات هذه السورة سبع وعشرون ومائتان. وأهدافها بيان أصول الدين وعقيدة الإسلام، وذكر قصص بعض الأنبياء المشاهير كإبراهيم، وموسى، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم الصلاة والسلام إلى غير ذلك مما يمت بالعقائد، ويهذب النفوس، ويشفي القلوب من أدران الشرك والوثنيات والطغيان.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر الآية العظيمة التي أمر الله تعالى فيها نبيه ﷺ أول أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، آية ٢١٤.

٢ ــ ذكره تعالى إخوان الشياطين وأصدقاءهم الذين تتنزل عليهم وتأتيهم بالأخبار الكاذبة المفتراة، آيات ٢٢١ ــ ٢٢٣.

٣ ــ ذكر الشعراء وبعض خصائص صفاتهم الشائنة الساقطة واستثناء بعضهم، آيات ٢٢٤ ــ ٢٢٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٨٧) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قَتَرة وغَبَرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخٍ مُلْتَطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

رواه البخاري في الأنبياء رقم ٣٣٥٠، وفي التفسير ١٠/ ١١٦، ١١٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٢.

قوله: ذيخ، بكسر الذال المعجمة، ثم ياء بعدها خاء معجمة، وهو ذكر الضبع.

اختلف المفسرون وغيرهم في آزر، هل هو أبو إبراهيم أم عمه؛ لما ورد في لغة العرب من إطلاق الأب على العم كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وإسماعيل لم يكن أبًا ليعقوب وإنما هو عمه.

وفي الآية الكريمة إخبار من الله عزَّ وجل بأنه لا يخزي خليله إبراهيم عليه السَّلام يوم القيامة والحديث جاء مقيدًا للآية بما ذكر فيه، والله أعلم.

(٢١٤) قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن

يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلاَّ صدقًا، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١ ــ ٢].

رواه البخاري في تفسير المسد رقم ٤٩٧١، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٨، ويأتي إن شاء الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾، قال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكَ من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمةُ بنت محمد ﷺ سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا»، وفي رواية: «غير أن لكم رحمًا سأبُلُّها بِبلالها».

رواه البخاري في الوصايا ٢٧٥٣، وفي المناقب ٣٥٢٧، وفي التفسير ١٠/ ١٢٠، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٤، ٢٠٦، والترمذي في التفسير ٢٩٧٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٣، وغيرهم. وفي الباب عن عائشة عند مسلم والترمذي والنسائي، وعن قبيصة بن مخارق عند مسلم والنسائي، وعن أبي موسى عند الترمذي.

قوله: سأبلها ببلالها، هي بكسر الباء من البلال وهو الماء، ومعناه أن لكم رحمًا معي سأصلها، يعني بالشفاعة.

وفيه دليل على أن لأقاربه وذوي رحمه شفاعات خاصة يوم القيامة، وهو يخصص قوله: لا أغني عنكم من الله شيئًا، لأن هذا محمول على أنه لا يغني عنهم شيئًا بذاته، بل بإذن الله وقدرته وإرادته، كما أنه من مات منهم

كافرًا لا يغني عنه شيئًا . . وفي الحديث دليل على أنه ﷺ بادر لامتثال أمر الله عزَّ وجل بتبليغ الدعوة لعشيرته الأقربين وأنه لم يتوان في ذلك، غير أن ذكر فاطمة هنا فيه نظر لأنها في هذا الوقت كانت بنت سنة أو نحوها فكيف يخاطبها بما ذكر؟

(٢٢١) (٢٢٢) قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدَّث في العَنان ــ والعنان الغمام ــ بالأمر في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرُّها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة.

رواه البخاري في بدء الخلق ٧/ ١١٦، وفي الطب، وستأتي أحاديث أخرى في سورة سبأ.

قوله: فتقرها، بضم التاء وفتحها، أي فتلقيها في أذنه بصوت يسمعه كما يسمع الصوت في القارورة عند إلقاء شيء فيها، والقر ترديد الكلام في أذن المخاطب كما في النهاية.

والآية الكريمة مع الحديث الشريف يدلان على أن الشياطين عندما تسترق السمع تأتي بما سمعت إلى الكَذَبَة الأفَّاكين وهم الكهنة، فتنزل عليهم وتلقي إليهم ما سمعته من حق وتزيد على ذلك مائة كذبة. والآية جاءت ردًّا على الكفار الذين كانوا يلمزون النبي ﷺ بأن معه رِئيًا من الجن وأنهم الذين يأتونه بما يقول: فكذبهم الله وأبطل ما قالوا وأخبر بأن الشياطين لا تتنزل إلَّا على الأفاكين الآثمين، ورسول الله ﷺ بخلاف ذلك فإنه الصادق الأمين، وقد كانوا يعلمون صدقه، وما جربوا عليه كذبًا.

(٢٢٤) (٢٢٥) قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ .

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله عزَّ وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْح النَّبل».

رواه أحمد ٣/ ٤٥٦، ٦/ ٣٨٧، من طريقين، وكلاهما سنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلىء جوف رجل قيحًا خير له من أن يمتلىء شعرًا».

رواه أحمد ٣/ ٨، ٤١، بسندٍ صحيح.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ لحسان: «اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك».

رواه البخاري في بدء الخلق ٧/ ١١٧ وغيره، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٤٦ وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّـهمَّ أيده بروح القدس»، قال: اللَّـهمَّ نعم.

رواه البخاري في المساجد وفي بدء الخلق ٧/ ١١٧ وفي الأدب، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٤٥.

جاء في الشعر أحاديث كثيرة ذمًّا ومدحًا، والحق أن الشعر كلام،

فحسنه حسن، وقبيحه قبيح، وما ورد في ذمه محمول على ما فيه الكذب والباطل والافتراء ووصف النساء والمردان والخمر.. وإلاَّ ففي الشعر حكم كما قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمًا». والحديث الأول يدل على أن هجاء الكفار بالشعر يعتبر جهادًا، ويؤيده حديثا أبـي هريرة والبراء حيث أمر الله تعالى حسان بهجاء الكفارِ وأخبر بأن جبريل كان معه يؤيده، وفي حديث أبـي سعيد دليل على أن الشعر السافل من كلام الشيطان وأنه يقال لمنشده شيطان، ولما كان في أكثر الشعر من الباطل والخنا والسفاهة حذَّر كثير من العلماء من الاشتغال به والإقبال عليه في غالب أحواله لما يلاحظ في الشعراء من الانحلال والميوعة ورقة الدين تأثرًا بما يشتغلون به...

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾، معناه أن الشعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبـي ﷺ كان يتبعهم السفهاء الضالون، ويروون هجاءهم وينشرونها. وقوله: ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾، أي في كل وادٍ من أودية الشعر يذهبون على وجوههم حائرين يقولون ما لا يفعلون.

ولما ذم تعالى الشعراء الأفاكين الثرثارين استثنى الصالحين المؤمنين الذين ينتصرون بهجائهم من أولئك الكافرين الظالمين.

وبهذا تم الكلام على سورة الشعراء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ النَّمْلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة من السور الثلاث التي نزلت بالتوالي، ووضعت في المصحف الكريم كذلك، وهي: الشعراء والنمل والقصص، وآيات هذه السورة ثلاث وتسعون آية.

من خصائص هذه السورة

وقد امتازت هذه السورة بخصائص لا توجد في غيرها، أو وجدت محصورة، وهي كالآتي:

١ ــ ذكر فيها الآية الثالثة التي خصها الله عزَّ وجل لموسى عليه السَّلام، وهي خطابه عزَّ وجل لكليمه عليه السَّلام بالوادي المقدس طوى مرجعه من بلاد مدين. والآية الثانية تقدمت في طـه، والثالثة ستأتي في القصص بإذن الله تعالى، وهي من الآيات العظيمة التي حارت فيها العقول، ايات: ٨ ــ ١٢.

٢ ــ ذكر قصة النملة مع سليمان عليه السَّلام، وتكلمها مع زميلاتها، وفهم سليمان كلامها، وتبسمه من ذلك ضاحكًا، آيتان ١٨، ١٩.

٣ ـ ذكر الهدهد، ذلك الطائر العجيب الشكل، وقصته مع سليمان عليه السَّلام في تغيبه، ومجيئه بخبر ملكة سبأ، وما يتبع ذلك، آيات ٢٠ ـ ٢٨.

٤ ـ ذكر قصة بلقيس مع سليمان عليه السَّلام، والتي أسلمت معه بعد عبادتها الشمس، آيات ٢٩ ـ ٤٤.

٥ ـ ذكر تلك الآية الباهرة والكرامة العظيمة التي أجراها الله عزَّ وجل على يد صاحب الكتاب الذي أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل طرفة عين، آية ٤٠.

٦ ـ ذكر دابة الأرض التي جعل الله عزَّ وجل خروجها على الناس آخر الزمان من أشراط الساعة الكبرى، آية ٨٢.

٧ ـ ذكر نفخة الفزع التي ستكون قبل نفخة الصعق والقيام لرب العالمين، آية ٨٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٨) قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، كل شيء أدركه بصره»، ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾.

رواه أحمد ٤/ ٤٠٠، ٤٠١، والطيالسي ٤٩١، وابن ماجه رقم ١٩٥، ومسلم في الإيمان بنحوه ١٧٩، والمسعودي تفرد بذكر الآية.

وقوله: سَبَحات، أي نوره وجلاله. وقوله: يخفض القسط... معناه أنه يرفع الميزان أو يضعه بما يوزن من أعمال عباده المرفوعة إليه تعالى،

والقسط العدل، وسُمِّي الميزان القسط، لأن العدل في القسمة يقع به، ومعنى قوله: لو كشفه لأحرقت. . . إلخ، كما قال العلماء: أنه لو أطلع خلقه على كنه عظمته لانخلعت أفئدتهم وزهقت أنفسهم واحترقوا، ولو سلط نوره على الأرض والجبال لاحترقت وغابت، وأنه عزَّ وجل لم يطلع الخلق من جلال عظمته إلاَّ على مقدار ما تطيفه عقولهم وقلوبهم.

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ . . . ﴾ إلخ، فاختلف المفسرون في معناه، مع أن معناه واضح وظاهر، وهو أن موسى عليه السَّلام عندما جاء إلى النار التي رآها وجدها في شجرة عند شاطىء الوادي في البقعة المباركة، فنودي موسى من قبل الشجرة ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ . . . ﴾ إلخ، أي بورك من هو في النار وهو نور الله عزَّ وجل وتقدَّس جلَّ علاه، وبورك من حول النار وهم الملائكة، وبما أن الله تعالى منزه عن سمات المحدثات ومخالف لخلقه وأنه ليس كمثله شيء عقب ما تقدَّم بقوله: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ . . . ﴾ إلخ، أي تنزَّه وتقدَّس رب العزَّة العلي الشأن الذي لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

(٦٢) **قوله تعالى:** ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

عن رجل من بلهجيم قال: قلت يا رسول الله إلامَ تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده الذي إذا مسَّك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك. . .» الحديث.

رواه أحمد ٥/ ٦٤، ٣٧٧، ٤/ ٦٥، من طريقين أحدهما سنده صحيح.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بيان فضل الله تعالى على عباده ولطفه بهم حيث يستجيب دعوة من التجأ إليه حالة الاضطرار ويغيثه بما يستحق أن يغاث.

﴿٨٢﴾ **قوله تعالى:** ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السَّلام، والدجال، وثلاثة خسوف، خسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بجزيرة العرب، ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا».

رواه مسلم ٢٩٠١، وأبو داود ٤٣١١، والترمذي ٢٠١٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٤، وابن ماجه ٤٠٤١ في الفتن إلاَّ النسائي ففي التفسير.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعدُ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أوَّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا»،

رواه أحمد ٢/ ٢٠١، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٤١.

في الحديث الأول زيادة على ما فيه من ذكر الدابة كالحديث الثاني فيه بيان أشراط الساعة الكبرى التي إذا ظهرت كانت الساعة على أثرها، عياذًا بالله من الفتن.

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ... ﴾ الآية، أي وجب العذاب أو غضب الله عليهم، وهذه الدابة الخارجة لا تعرف صفتها ولا من أي مكان ستخرج، وإن ورد في ذلك آثار فلا يصح منها شيء يعتمد عليه في ذلك.

(٨٧) **قوله تعالى:** ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) ﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سأل أعرابي النبي ﷺ عن الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه.

تقدَّم تخريجه والكلام عليه في سورة الكهف: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾ [الكهف: ٩٩].

(٩١) **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩١) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شوكه، ولا ينفَّر صيدُه، ولا يُلتقط لُقطته إلاَّ من عرَّفها، ولا يُختلى خلاها. . .» الحديث.

رواه البخاري في الجزية وفي الحج، ومسلم في الحج أيضًا، والأحاديث بهذا كثيرة.

البلدة هي مكة المكرمة وهي حرم الله عزَّ وجلّ كسائر منطقة الحرم، فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره ولا نباته. . . ولا يحل فيه القتال فهو حرام إلى يوم القيامة. وهذا من أعظم فضائل هذه البلدة المقدَّسة ولكن الناس لا يراعون حرمتها لا من ساكنيها ولا من الزوار والطارئين عليها.

وبهذا تمت سورة النمل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ القَصَصِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة كما سبق مكية، وهي ثمان وثمانون آية، وأهدافها نفس أهداف أخواتها، وقد امتازت بقصة قارون الطاغية الذي خسف الله به الأرض.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائصها ما يلي:

١ ــ إلهام الله أم موسى عليه السَّلام عندما ولدته وخافت عليه من فرعون أن تلقيه في البحر، بحر النيل، وأوحى إليها تعالى بتلك الآية التي جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ. . . ﴾، آية ٧.

٢ ــ ذكر بداية ولادة موسى وإلقائه في اليم، ثم التقاطه ورضاعه وتربيته في دار فرعون، ثم ذكر قصته مفصَّلة مرتَّبةً، وذكر قتله القبطي وخروجه من مصر مهاجرًا إلى مدين ومكثه مع الشيخ عشر سنين راعيًا معه وتزوجه بنته ثم رجوعه إلى مصر، كل هذا لم يذكر في غير هذه السورة، آيات ٣ ــ ٣٧.

٣ ــ ادعاء فرعون الألوهية بدون حياء ولا مبالاة، آيتان ٣٨، ٣٩.

٤ ــ ذكر أهل الكتاب الذين يؤتون أجرهم مرتين. . . آيات ٥٢ ــ ٥٥.

٥ ــ ذكر قارون الطاغية المعجب بماله وعلمه وقصته المبسوطة وخسف الأرض به. . . آيات ٧٦ ــ ٨٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٢٨) **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل عليه السَّلام أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمَّهما وأكملهُما.

رواه ابن جرير ٢٠/٦٨، وجاء من طرق مرسلة أوردها ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وابن جرير، وقال: فهذه طرق متعاضدة. . . ويشهد لها ما رواه البخاري في الشهادات من صحيحه رقم ٢٦٨٤، أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس: أي الأجلين قضى موسى عليه السَّلام؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما. وكذا رواه ابن جرير ٢٠/٦٨. وانظر: المجمع ٧/ ٨٧.

لما نزل موسى عليه السَّلام بمدين على ذلك الشيخ وطلب منه التزوج ببنته شرط عليه الصداق أن يكون رعاية غنمه ثمان سنين أو عشرًا فقال له موسى عليه السَّلام: أيّ الأجلين الثمان أو العشر قضيتها فلا حرج عليَّ ولا عدوان، فقضى له أتم الأجلين وهو عشر سنين فصلَّى الله وسلَّم على نبيه موسى أنه آجر نفسه على رعاية الغنم عشرة أعوام في مقابل التزوج بالبنت.

(٤٦) **قوله تعالى:** ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ

نَادَيْنَا . . .﴾ الآية، قال: «نودي: أن يا أمة محمد أعطيتُكُم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٤، وابن جرير ٢٠/ ٨١، والحاكم ٢/ ٤٠٨، وصحَّحه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

الخطاب في الآية للنبي ﷺ، أي: لم تكن بجانب الطور الأيمن عندما نادينا يا أمة محمد أعطيتكم. . . إلخ، وهذا كما جاء في الإسرائيليات أن موسى عليه السَّلام قال: يا رب أرني محمدًا وأمته قال: إنك لن تصل إلى ذلك ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمَّة محمد إلى آخر ما في الحديث.

والأثر من قبيل المرفوع ويحتمل أن يكون من الإسرائيليات. . .

(٥٤) قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتَون أجرهم مرتين: عبد أدَّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، فذلك يؤتى أجره مرتين، ورجل كانت عنده جاريةٌ وضيئة فأدَّبها فأحسن أدبها ثم أعتقها ثم تزوجها، يبتغي بذلك وجه الله، فذلك يؤتى أجره مرتين، ورجلٌ آمن بالكتاب الأول ثم جاء الكتاب الآخر فآمن به، فذلك يؤتى أجره مرتين».

رواه أحمد ٤/ ٤٠٢، ٤١٤، والبخاري في العلم ٩٧، وفي العتق ٢٥٤٤، وفي الجهاد ٣٠١١، وفي أحاديث الأنبياء ٣٤٤٦، وفي النكاح ٥٠٨٣، ومسلم في الإيمان ١/ ١٥٤، والنسائي في النكاح وفي الكبرى ٣/ ٣١٢، والترمذي رقم ٩٩٧ بتهذيبي، وابن ماجه ١٩٥٦.

فيه فضل هؤلاء الثلاثة وأنهم يعطون أجرهم مضاعفًا مرَّتين، ومنهم من ذكر في الآية الكريمة من الكتابيين الذين آمنوا بكتابهم ثم بكتابنا، ولا شك أن الأمة المحمَّدية ممن لهم السبق في ذلك لإيمانهم بجميع الكتب والرسل بدون تفرقة بين ذلك.

(٥٦) **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمِّه: «قل لا إلـه إلاَّ الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: لولا أن تعيِّرني بها قريش: إنَّما يحمله عليه الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾.

رواه مسلم في الإيمان رقم ٢٥، ١/ ٢١٦، والترمذي في التفسير ٢٩٨١.

وعن المسيب بن حزن رضي الله تعالى عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أميَّة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل: لا إلـه إلاَّ الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزلْ رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إلـه إلاَّ الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ الآية.

رواه البخاري في الجنائز، وفي التفسير ١٠/ ١٢٤، ومسلم في الإيمان ١/ ٢١٤.

الحديثان يبيِّنان معنى الآية التي نزلت بسبب عدم إيمان أبي طالب، وفي ذلك دليل على أنه لم ينطق بالشهادة علمًا بأنه مصدق بقلبه بصحة رسالة ابن أخيه حبيبنا ﷺ، وكم كنا نودّ أن يُشهر إسلامه ولكن الله حكيم عليم. وفي الحديثين مع الآية رد على الشيعة الزاعمين موت أبي طالب على الإيمان، ويخالفون صريح القرآن وصريح السنَّة الصحيحة، وقد جاءت

أحاديث أخرى تبين مآل أبـي طالب ومقرّه من النار في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة.

(٥٧) **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

فيـه حـديـث ابـن عبـاس المتقـدم آخـر النمـل: «إن هـذا البلـد حـرّمـه الله...»[1].

(٨٥) **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، قال: إلى مكة.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٥، وابن جرير ٢٠/ ١٢٥، وانظر: المجمع ٧/ ٨٨.

هذا أصح ما جاء في تفسير الرد إلى المعاد، وانظر الأقوال الأخرى عند ابن جرير، وقوله تعالى: ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾، أي أنزل عليك القرآن.

(٨٨) **قوله تعالى:** ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمـة قـالهـا الشـاعـر: «ألا كـلُّ شـيء مـا خـلا الله بـاطـل، وكـاد أميَّة ابـن أبـي الصَّلت أن يُسلم».

رواه أحمـد ٢/ ٢٤٨، ٤٧٠، والبخـاري فـي الأدب ١٣/ ١٥٩، وفـي الـرقـاق وغيرهما، ومسلم في الشعر ١٥/ ١٢، ١٣ وغيرهم.

---

(١) انظر: ص٦١٦.

الحديث موافق للآية الكريمة في معناها الواسع، ولذلك صدَّق النبي ﷺ لبيدًا في بيته هذا الذي لم تتكلم العرب بمثله، فكل شيء مما سوى الله هو باطل.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾، أي ميِّت، ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، أي ذاته، كما قال في آية أخرى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧]، وذكر البخاري في تفسيره للآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، إلَّا ملكه، ويقال: إلَّا ما أريد به وجه الله. وانظر: ابن جرير ٢٠/ ١٢٧، والفتح ١٠/ ١٢٢، ١٢٣.

وبهذا تم الكلام على سورة القصص، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ العَنكَبُوتِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة مكية، وآياتها تسع وستون، وموضوعها كسائر أخواتها المكيَّات في الكلام على الوحدانية والرسالة وقصص الأنبياء والجزاء، وفيها بالذات الكلام على ابتلاء المسلم لأجل دينه، وتلك سنَّة إلـٰهيَّة لا تتخلف عبر العصور والأمم.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائص هذه السورة الكريمة ما يلي:

١ ــ ذكر آية كريمة فيها أعظم بشارة للمؤمنين الصالحين المحبين لله عزَّ وجل المشتاقين إلى لقائه: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ. . . ﴾ آية ٥.

٢ ــ ذكر المدة التي مكثها سيدنا نوح عليه السَّلام في قومه يدعوهم إلى الله عزَّ وجل وهي تسعمائة وخمسون سنة، وهذا لم يقع لغيره من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ومع ذلك فما آمن معه إلاَّ قليل، آية ١٤.

٣ ـ ذكر العنكبوت وضرب المثل للأصنام ببيتها الذي هو أوهن البيوت، آيات ٤١ ـ ٤٣.

٤ ـ بيان خاصية للصلاة، وهي من شأنها أن تهذب صاحبها وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، آية ٤٥.

٥ ـ إخباره تعالى عن نبيه حبيبنا محمد ﷺ بأنه ما كان قبل نبوته يقرأ ولا يكتب، وتلك معجزته العظمى التي لا يستطيع العدو المعاند أن يبطلها ولو كان معه الإنس والجن ظهيرًا، ولقد ضللوا الباجي فيما قال هنا عن كتابته ﷺ، آية ٤٨.

٦ ـ من جاهد في الله نفسه وأعوانها هداه الله عزَّ وجل لطرق الخير وكان الله تعالى معه معية خاصةً، آية ٦٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٨ **قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾.**

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت فيَّ أربع آيات... فذكر قصة، وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يُطعموها شجروا فاها، فنزلت: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ... ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم ١٥٦٧، ١٦١٤، ومسلم ١٥/ ١٨٥، والترمذي ٢٩٨٢، كلاهما في الفضائل وأبو داود والنسائي.

شجروا: أي فتحوا فمها، وفي الآية الكريمة والحديث الشريف وجوب الإحسان إلى الوالدين والبرور بهما وإن كانا كافرين غير أنهما لا يطاعان في غير طاعة الله تعالى، وفي الحديث فضل سعد رضي الله تعالى عنه وقوة إيمانه وثباته عليه رغم ما كان يعانيه من البلايا وقت هده القصة مع والدته.

(٢٩) **قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾.**

عن أم هانىء رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...﴾ الآية، قال: كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم.

رواه أحمد ٦/٣٤١، ٣٢٤، والترمذي ٢٩٨٣، والحاكم ٢/٤٠٦، وصحّحه ووافقه الذهبي.

يخذفون، من الخذف وهو الرمي بالحصاة أو النواة.

والحديث يبين بعض ما كان قوم لوط يأتونه في مجالسهم من الفواحش، قال ابن كثير في الآية الكريمة: أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملأ، ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون، ومن قائل: كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك. وكل ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شرًّا من ذلك. انتهى ببعض حذف.

(٤٥) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ فلانًا يُصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: «سينهاه ما تقول».

رواه أحمد ٣/٤٤٧، وابن حبان رقم ٢٥٦٠ بالإحسان، والبزار ٧٢٠، وسنده صحيح.

وقال الهيثمي في المجمع ٢/٢٥٨، ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن جابر بمثله رواه البزار ٧٢١، ٧٢٢، قال الهيثمي ٢/٢٥٨: ورجاله ثقات.

الآية مع الحديث يدلان على أن الصلاة من شأنها أن تنهى صاحبها عن

المعاصي والمناكير، وهذا لا شكَّ فيه لأنه نص القرآن والحديث النبوي، وإذا وجد من يصلي ولا ينتهي عن الفواحش، فإنما ذلك لعدم توفر شروط صحة صلاته، وأنها غير معتبرة ولا مقبولة، والله تعالى الموفق الهادي.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد من الله إلاَّ بعدًا.

رواه الطبراني في الكبير ٨٥٤٣، قال في المجمع ٢/٢٥٨، ورجاله رجال الصحيح. وهذا لا يقال من قبل الرأي، ولذا فقد جاء مرفوعًا من حديث ابن عباس بلفظ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاَّ بُعدًا». رواه الطبراني أيضًا ١١٠٢٥، ورجاله ثقات غير أن ليث ابن أبـي سليم كان قد اختلط.

والحديث يدل على أن صلاة الفاسق غير مقبولة لعدم إتقانها وإلاَّ فلو كانت صحيحة لنهت صاحبها عما يأتيه، والله تعالى أعلم.

(٤٦) قوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، ولكن قولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾».

رواه البخاري في التفسير وفي الاعتصام، وفي التوحيد ٧٥٤٢، والحديث تقدم في البقرة.

وبهذا تم الكلام على سورة العنكبوت، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الرُّومِ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة من السُّور المكية، وآياتها ستون، وموضوعها تأسيس العقيدة في الكلام على الوحدانية والرسالة والبعث. . .

من خصائص هذه السورة

ولها خصائص تمتاز بها عن غيرها، وهي:

١ ـ ذكر تلك المعجزة الباهرة الخالدة، وهي الإخبار بتغلُّب الروم على فارس بعد انهزام الأولين، ووقوع ذلك كما أخبر، فانهزم الفرس أخيرًا وانتصر عليهم الروم، آيات ٢ ـ ٦.

٢ ـ إخباره تعالى بأنَّ الكفار لا يعلمون إلاَّ ظاهر هذه الحياة وهم عن سواها غافلون، آية ٧.

٣ ـ الأمر بتسبيح الله عزَّ وجلّ عند الصباح والمساء والظهر والعشيّ، آيتان ١٧، ١٨.

٤ ـ ذكره تعالى الآية العظيمة في خلقه النساء للرجال، وجعله عزَّ وجلّ بين الزوج وزوجه مودَّة ورحمة، آية ٢١.

٥ ــ ذكر الآية في اختلاف الألسن والألوان، آية ٢٢.

٦ ــ ذكره تعالى أن له المثل الأعلى، أي الوصف الأعلى، آية ٢٧.

٧ ــ ذكره تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها من معرفته والإقرار له بالربوبية، آية ٣٠.

٨ ــ ذكره أن ظهور الفساد بالبر والبحر بما كسبت أيدي الناس، آية ٤١.

٩ ــ إخباره عزَّ وجلّ بأنه حق عليه نصر المؤمنين، آية ٤٧.

١٠ ــ ذكره تعالى مراحل حياة الإنسان ضعفًا وقوَّة وشيبة، آية ٥٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١)(٢)(٣) **قوله تعالى**: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال: غُلِبَت وغَلَبَت، قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإيَّاهم أهل الأوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، فذكروه لأبـي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «أما إنهم سيغلبون»، فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكروا ذلك للنبـي ﷺ فقال: «ألا جعلته إلى دون»، قال: أُراه العشر، قال: قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ

ﵟٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ﵞ، قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر.

رواه أحمد ١/ ٢٧٦، ٣٠٣، والترمذي ٢٩٨٥، والنسائي ٦/ ٤٢٦ في الكبرى، كلاهما في التفسير، والحاكم ٢/ ٤١٠، وصحَّحه الترمذي والحاكم وقال: هذا على شرط البخاري، وأقرَّه الذهبي. وفي الباب عن نيار بن مكرم مطوّلاً بنحوه. رواه الترمذي ٢٩٨٧ وصحَّحه.

وفي الحديث بيان لقصَّة الروم مع فارس حيث إنهما كانا يتقاتلان فانتصرت فارس على الروم، ودخلت الشام وغيرها، حتى ألجأت قيصر إلى استنبول وحاصرتها مدة، فأخبر الله عزَّ وجلّ بأنَّ الروم ستغلب فارس وتهزمها، فكان الأمر كذلك، فبعد بضع سنين نشبت بينهما حرب من جديد، فانتصرت الروم وانهزمت فارس، وكان ذلك في وقعة بدر عند انتصار المسلمين على المشركين، ففرح المؤمنون بالنَّصْرَيْنِ.

وفي الآية معجزة غيبية عظيمة دالَّة دلالة قطعية على حقية القرآن، وأنه كلام الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأنَّ النبي ﷺ نبيٌّ صادق لا يبقى مع ذلك أدنى أدنى شك ولا ريب لمن فتح الله بصيرته.

عن مسروق قال: بينما رجل يحدِّث فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا، فأتيت ابن مسعود، وكان متكئًا، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل: ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنَّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإنَّ الله قال لنبيّه ﷺ: ﵟقُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ﵞ، وأنَّ قريشًا أبطؤوا على الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللَّـهُمَّ أَعِنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الجيفة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان،

فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وإنَّ قومك قد هلكوا، فادع الله، فقرأ: « ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ ﴾، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة، إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم؟» فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾، يوم بدر، ولزامًا يوم بدر. . . ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ ﴾.

رواه البخاري في مواضع من التفسير، وانظر ما سبق في الفرقان عند قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ۝٧٧ ﴾، وسيأتي في الدخان.

۝٢٠ **قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾.**

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض».

رواه أحمد ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦، وأبو داود في القدر ٤٦٩٣، والترمذي في تفسير البقرة، وابن خزيمة في التوحيد ٦٤، والحاكم ٢/ ٢٦١، ٢٦٢، وابن حبان ١٤/ ٢٩، وصحَّحه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وتقدَّم في أول البقرة وغيرها.

۝٢٧ **قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيَّايَ فقوله: لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾، وأنا

الأحد الصمد الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

رواه أحمد ٢/ ٣١٧، ٣٩٣، ٣٩٤، والبخاري في التفسير رقم ٤٩٧٥، ٤٩٧٤، وفي بدء الخلق ٧/ ١٠٠، ورقم ٣١٩٣، والنسائي في الكبرى ٤/ ٣٩٥، وابن حبان ١/ ٥٠٠ بالإحسان.

الشتم: هو الوصف بالتنقيص. والحديث من الإلـٰهيات، وفيه حِلم الله عزَّ وجلّ؛ حيث إنَّ بني آدم كلهم خلق الله تعالى وملك له، مقهورون تحت أمره، يتصرَّف فيهم كيف يشاء، وَيُمِدُّهُم ويعافيهم، ويحفظهم. وهم مع ذلك يكذبونه ويشتمونه، فيكذبون بالبعث وهو هين عليه تعالى من بدايتهم، ويصفونه بالنقص فَيَنْسُبُونَ إليه الولد وهو المتفرِّد بالوحدانية ونفي المثيل والكفؤ، والشبيه والنظير.

۝٣٠ قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جَمْعَاء، هل تُحِسُّون فيها من جدْعاء؟ ثم يقول: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٣١، ومسلم في القدر ١٦/ ١٠٧، ٢٠٩.

وعن عياض بن حِمَار أنَّ رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «إنَّ ربي عزَّ وجلّ أَمَرَني أن أُعَلِّمَكُم ما جهلتم مِمَّا علَّمني في يومي هذا: كل ما نحلتُ عبادي حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلَّتهم عن دينهم وحَرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمَرَتهم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنزِل به سلطانًا. . .» الحديث.

رواه مسلم في صفة أهل الجنة ١٧/ ١٩٧، ١٩٩، وأحمد ٤/ ٢٦٦، ١٦٢، والطيالسي ١٠٧٩، وابن حبان ٦٥٣.

الفطرة: اختلفوا في المراد بها هنا في الآية والحديث، فقيل: هي ما أخذ الله عليهم في أصلاب آبائهم، وأنَّ الولادة تقع طبق ذلك حتى يقع التغيير بالأبوين، وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله، والإقرار به.

ويؤيده الحديث الثاني، فإنه جاء فيه: «خلقت عبادي حنفاء»، أي مسلمين أو مستعدين لقَبول الهداية. قال النووي رحمه الله تعالى: والأصح أنَّ معناه: أنَّ كل مولود يولد متهيّئًا للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلمًا استمرَّ على الإسلام... إلخ.

وقوله في الحديث الأول: بهيمة جمعاء، أي: مجمعة للأعضاء، سالمة لا توجد فيها جدعاء، أي مقطوعة الأذن، ومعناه: كما أنَّ البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث الجدع والنقص فيها فيما بعد، كذلك الأولاد يولدون سالمين من الكفر ومبادئه حتى يكفرهم مُرَبُّوهم من الآباء وغيرهم بواسطة الشياطين.

(٥٢) **قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا»، ثمَّ قال: «إنَّهم الآن يسمعون ما أقول لهم»، فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنَّهم الآن ليعلمون أنَّ الذي كنت أقول لهم هو الحق»، ثم قرأت: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

رواه البخاري في غزوة بدر من المغازي ٨/ ٣٠٥ مطوّلاً ومختصرًا.

وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه، أنَّ نبي الله ﷺ أمر يوم بدر

بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذِفُوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر خَبِيث مُخْبِث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلمَّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فَشُدَّ عليها رحْلُها ثم مشى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلاَّ لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟»، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلِّم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

رواه أحمد ٣/ ١٤٥، و ٤/ ٢٩، والبخاري في المغازي ٨/ ٣٠٣، ٣٠٤، ومسلم في الجنة ١٧/ ٢٠٧، ورواه مسلم أيضًا عن أنس عن عمر بنحوه.

الركي، بفتح الراء المشددة، هي البئر. وظاهر الحديثين أن الموتى يسمعون كلام الأحياء ولو كانوا كفَّارًا. وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه، وما قالته السيِّدة عائشة رضي الله تعالى عنها هو فهم رأته، ذلك أن سماع الأموات لكلام الأحياء وشعورهم بكل ما يقع معلوم، وهو قول عامة العلماء. وفي الحديث الصحيح: «إنَّ العبد إذا وُضِع في قبره وتولَّى عنه أصحابُه ليسمعُ قَرْعَ نِعالهم...»، وهو في مسلم ١٧/ ٢٠٣.

وقال ابن كثير في التفسير: والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميت يعرف بزيارة الحي ويستبشر. ثم ذكر آثارًا كثيرة عن السلف وغيرهم في ذلك، ثم قال: والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطَب ويعقل ويَرُدُّ وإن لم يسمع المُسَلِّم الرّدَّ.

وقال قبل ذلك: والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من الشواهد على صحَّتها من وجوه كثيرة، من أشهرها ما رواه ابن عبد البرّ

مصحّحًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاَّ ردَّ الله عليه روحه حتى يردّ السلام». وثبت عنه ﷺ أنه قال لأمته إذا سلَّموا على القبور أن يسلِّموا سلام من يخاطبونه فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، وهذا خطاب من يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد... إلخ.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾، فالمراد بهم موتى القلوب من الكفار.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الروم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ لُقْمَانَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من المكيَّات، وآياتها أربع وثلاثون، وموضوعها ما عند أخواتها.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر ذم من يشتري لهو الحديث كالمغنيات ونحوهن ليضل الناس، آية ٦.

٢ ـ ذكر قصة لقمان الحكيم وما فيها من وصايا خالدة لولده، آيات ١٣ ـ ١٩.

٣ ـ امتنانه تعالى علينا بإسباغ النعم ظاهرًا وباطنًا علينا، آية ٢٠.

٤ ـ بيان أن خلق الناس وبعثهم عنده تعالى كنفس واحدة، آية ٢٨.

٥ ـ بيان مفاتح الغيب مفصلة، آية ٣٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٦) قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

عن أبـي أمامة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القَيْنات، ولا تشتروهن، ولا تعلِّموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ. . . ﴾ الآية».

رواه أحمد ٥/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٨، والترمذي في التفسير ٢٩٨٨، وابن ماجه ٢١٦٨، وكذا الحميدي ٩١٠، والطيالسي ١١٣٤، والطبراني في الكبير ٨/ ٢١٢، وابن جرير ٢١/ ٦٠، ٦١، والبيهقي في السنن ٦/ ١٤، وهو حديث حسن لطرقه. ومن شواهده ما أخرجه ابن أبـي شيبة ٦/ ٣٠٩، وابن جرير ٢١/ ٦١، والحاكم ٢/ ٤١١، والبيهقي ١٠/ ٢٢٣، عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية، فقال: هو الغناء، والذي لا إلـه إلاَّ هو ـ يرددها ثلاث مرات ـ، وسنده صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي. ومنها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٢٦٥، وابن جرير ٢١/ ٦١، والبيهقي ١٠/ ٢٢١ عن ابن عباس، في الآية قال: نزلت في الغناء وأشباهه. وسنده صحيح، ولا يضرّ هنا عطاء بن السائب.

القينات جمع قَيْنة بفتح القاف وسكون الياء، هي المغنية، والحديث يدل على أن الآية الكريمة نزلت في الغناء، وأنه لا يجوز بيع الجواري المغنيات ولا شراؤهنَّ، وهذا على فرض وجود الإماء، وملك اليمين، وفي ضمنه تحريم تأجير المغنيات مطلقًا كما يفعله الناس اليوم كما يدل على تحريم سماع أغاني النساء لما في ذلك من إثارة الشهوة الجنسية وفساد القلب وفتنته، والغناء رقية الزنا كما يقال، وقد زاغ وافترى وضلَّ من أباح سماع أغاني النساء على الإطلاق.

١٢ **قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبـي ﷺ قال: «إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله عزَّ وجل إذا استُودع شيئًا حفظه».

رواه أحمد ٢/ ٨٧، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وبيَّن ما فيه، فليراجع

برقم ٥٦٠٥ . والحديث جاء من قول النبي ﷺ بدون ذكر لقمان. رواه ابن حبان ٢٣٧٦ بسندٍ صحيح.

كان لقمان رجلاً صالحًا وليس نبيًا كما يقال، أعطاه الله الحكمة وهداه لطاعته وعبادته، ووصاياه التي ذكرها الله تعالى هنا من أحسن الوصايا وأجمعها وأوعبها، وهي حَرِيَّة بأن يوصي بها الآباء الأبناء في كل الأجيال، لاشتمالها على أصول الدين وأمهاته ومهامه، وفقنا الله للعمل بما فيها وجعلنا ممن اصطفاه لخدمته كلقمان رضي الله تعالى عنه.

(١٣) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ . . . ﴾ الآية، شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لَمْ يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٣١، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٤٣، ١٤٤، وغيرهما، وقد تقدَّم في سورة الأنعام وهنالك تخريجه ومعناه.

(١٤) قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

تقدم حديث سعد بن أبي وقاص في سبب نزول الآية، انظر ما سبق في أول العنكبوت، وقوله تعالى في الآية: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ . . . ﴾ الآية، فيه بيان لما تعانيه الأم من متاعب الوحام، والحمل، والوضع، والرضاع، والتربية وكل ذلك مما يحمل الأولاد على البرور بالوالدين، والإحسان إليهم. والوهن، بسكون الهاء: الضعف، فالحمل ضعف، والوضع ضعف، والطلق ضعف. . . فالضعف يكون على الأم متواليًا،

ولذلك كان حقها أعظم، والبرور بها أوجب من الأب، فاللَّـهُمَّ ارحم والِدَيْنا وجازهما عنّا الجنَّة، واجمع بيننا وبينهم مع نبينا ﷺ في دار كرامته آمين.

(١٩) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الدِّيَكَة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملَكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا».

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٣٠٣، ومسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٧٢٩، وأبو داود في الأدب ٥١٠٢، والترمذي في الدعوات ٣٢٣٣، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/ ٤٢٧.

الحديث يدل على أن حضور الملائكة من مظان استجابة الدعاء، وقد جاء في الذاكرين الله: «هم القوم لا يشقى جليسهم»، وفيه إشارة إلى مدح الديكة واستحباب اتخاذهم وتربيتهم، كما أن اتخاذ الحمير مذموم لشؤمهم ونهيقهم عند رؤيتهم الشياطين، وحضور الشياطين شر محض، ولذلك أمرنا بالاستعاذة بالله منهم عند أصوات الحمير.

وفي الآية الكريمة ذم أصوات الحمير، وأنها أقبح الأصوات وأسمجها، وفيها إشارة إلى وجوب الابتعاد عن التشبه بالحمير في رفع الصوت، لأن ذلك ينافي الآداب الإسلامية.

(٣٤) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيحُ الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلاّ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٢٤، ٥٢، ٥٨، ١٢٢، والبخاري في الاستسقاء وفي التفسير ٩/ ٣٠٠، ١٠/ ١٣٢، وهو من أفراده عن مسلم، وتقدم في سورة الأنعام وأحلت إلى هنا.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ فذكر الحديث في بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة فقال: «وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلاَّ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٤٢٦، والبخاري ١/ ١٢٣، ١٣٣، ومسلم ١/ ١٦١، ١٦٥، والنسائي في المجتبى ٨/ ٩٠، ٩١، ثلاثتهم في الإيمان. ورواه البخاري في تفسير سورة لقمان أيضًا: ١٠/ ١٣١، وأبو داود في السنة ٤٦٩٨، وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة.

مفاتيح، جمع مفتاح: وهو آلة الفتح، قال العلماء: هو على الاستعارة؛ حيث شبه الغيب بالأشياء المستوثق منها بالأقفال، وأثبت له المفاتيح تخييلاً، فالأمور الغيبية كأنها مخازن خزنت فيها المغيبات، فاستعير المفاتيح لها، والله أعلم.

فقوله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس. . .» إلخ، هو تفسير لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ. . . ﴾ الآية، وهذه الآية وما في الباب من أحاديث تقتضي أن خزائن المغيبات الخفية لا يعلمها ولا يحيط بها أحد بذاته إلاَّ الله تعالى فهو المنفرد بعلمها جملةً وتفصيلا، وله أن يُطلع عليها أو على بعضها من شاء من رسله وملائكته ومن أراد من عباده الصالحين بوحي للأولين وإلهام ومكاشفة للآخرين، فالعلم المنفي هنا وفي الأنعام، وفي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، إنما هو العلم بالذات، أما بواسطة تعليم الله عزَّ وجل فغير

مراد قطعًا، لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، وقوله عزَّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وإذا ثبت أن الرسل قد يطلعهم الله على غيبه، وكذا بعض ملائكته كما ثبت في الأحاديث الكثيرة، كذلك قد يطلع على ذلك بعض من شاء من عباده الصالحين كرامة لهم كما تواتر عنهم وثبت الآن في الطب الحديث الاطلاع على ما في رحم المرأة من جنين ذكر وأنثى كما ثبت بواسطة علم الرصد والسحاب معرفة نزول المطر ومجيء الريح، ونحو ذلك. وبهذا نعلم قطعًا أن نفي علم الخمس ونحوها إنما هو لمن يدعيها بنفسه، أما ما كان بإعلام الله عزَّ وجل على أي وجه كان فلا مانع من ذلك، فاعرف هذا ليذهب عنك كثير من الإشكالات.

وما قلناه ليس ببدع منا، بل قد قاله العلماء قبلنا، ومنهم الإمام أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: فقد قال في تفسير سورة لقمان عند هذه الآية ما نصه: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلَّا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلَّا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن أذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو شقيًا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون ومن شاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها، وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من بلاد الله.

وللحافظ في الفتح كلام جيد في هذا الموضوع، فقد قال بعد كلام: فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن

رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧]، فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولي التابع للرسول، عن الرسول يأخذ وبه يُكْرَم، والفرق بينهما أن الرسول يطَّلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يطَّلع على ذلك إلاَّ بمنام أو إلهام، والله تعالى أعلم.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة لقمان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ السَّجْدَة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور الثمان المكّيّات المتواليات كما قدمنا في أول سورة الشعراء، وهي ثلاثون آية.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر ملك الموت الذي يقبض الأرواح ويباشرها، آية ١١.

٢ ـ بيان ما أعدَّ الله للمتهجدين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وأن أيّ نفس لا تعلم ما أخفي لهم من قرَّة أعين، آيات ١٥ ـ ١٧.

٣ ـ جعله أئمة من بني إسرائيل يدعون إلى الله عزَّ وجلّ لما صبروا، آية ٢٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾. (١) (٢)

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في

الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

رواه البخاري ٣/ ٢٨، ومسلم ٦/ ١٦٨ كلاهما في الجمعة، ورواه البخاري في مواضع، ومثله عن ابن عباس رواه مسلم ٦/ ١٦٨، وغيره.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾.

رواه أحمد ٣/ ٣٤٠، والترمذي في فضائل القرآن ٣٧٠٠، وفي الدعوات ٣١٨٤ بتهذيبي، والحاكم ٢/ ٤١٢، بسند صحيح.

في الحديثين مزية اختصاص لهذه السورة المذكورة، ففيها سنية تعاهدها بأن تقرأ سورتا السجدة والملك كل ليلة، والسجدة والإنسان في صلاة الصبح من كل جمعة، وفقَّنا الله للمداومة على العمل بذلك، آمين.

١٦ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا
١٧ رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾.

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فأصبحت قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبيَّ الله، أخبرني بعمل يُدْخِلُني الجنَّة ويُبْعِدْني عَنِ النَّار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه لَيَسيرٌ على من يسَّره الله عليه، تُقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجُّ البيتَ»، ثمَّ قال: «ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّةٌ، والصدقة تُطْفىء الخطيئة كما يُطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾».

ثمَّ قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى

يا رسول الله، قال: «رأسُ الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: «كُفَّ عليك هذا». قلتُ: يا رسول الله، وإنا لَمُؤَاخَذُونَ بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم ــ أو قال: على مناخِرِهم ــ إلاَّ حصائدُ ألسنتهم».

رواه أحمد ٥/ ١٣١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، والترمذي في الإيمان ٢٤٣٥، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٨، والحاكم ٢/ ٧٦، ٤١٢، من طرق، وسنده صحيح، وصحَّحه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: جُنَّة، بضم الجيم، أي: وقاية. وقوله: تتجافى، أي: تتباعد عن مواضع الاضطجاع والنوم. وذروة سنامه، أي: أعلاه، والسنام هو المرتفع من كل شيء. وقوله: ثكلتك، أي: فقدتك أمك.

هذا حديث عظيم فيه كل مقاصد الشريعة وأمهات الدين، وهو من الوصايا النبوية العظيمة، وفيه أنَّ من تحقق بما فيه كان من أهل الجنة، فيا فوز من كان متخلّقًا بهذه الأخلاق، ويا فلاحه وسعداه، حققنا الله تعالى بما فيه آمين.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾، وفي رواية: «اقرأوا إن شئتم».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٣٤، وغيره، ومسلم في الجنة رقم ٢٨٢٤، والترمذي في التفسير ٢٩٩٠، ٣٠٧٥ بتهذيبي.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: قال: «سأل موسى عليه السلام ربه عزَّ وجلّ: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال:

هو رجل يجيء بعدما أُدْخِل أهل الجنةِ الجنةَ فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب. كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أَتَرْضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومِثلُه ومِثلُه ومِثلُه ومِثلُه، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما اشْتَهَتْ نفسُك ولذَّت عينُك، فيقول: رضيت ربي، فقال: ربي فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه من كتاب الله عزَّ وجلّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ».

رواه مسلم في إثبات الشفاعة من كتاب الإيمان ٣/ ٤٤، ٤٦، والترمذي في التفسير ٢٩٩١.

في الحديثين بشارة للمتهجِّدين في ظلام الليالي، وأنَّ الله عزَّ وجلّ أعدَّ لهم ما لم تسمعه قط أذن، ولا رأته عين، ولا خطر على قلب بشر من أنواع النعيم، بل ذلك فوق مستوى عقولنا الحالية. أما الحديث الثاني فيتجلّى فيه فضل الله ورحمته بعباده يوم القيامة، فإنه إذا كان أدنى أهل الجنة سيعطى مقدار ما كان يملك ملك من ملوك الدنيا أضعافًا مضاعفة مما لا يعلمه إلاَّ الله، فكيف بغيره؟! إنها لبشارة ما بعدها بشارة، ختم الله لنا بالسعادة آمين.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٨٩، وأبو داود ١٣٢١، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

نزول الآية بسبب انتظار صلاة العشاء لا ينافي تناولها للمتهجِّدين؛ لما تقدَّم في حديث معاذ الذي صدرنا به وما ذكرناه بعده.

﴿٢١﴾ **قوله تعالى:** ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

عن أُبَـيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ الآيـة، قـال: مصائب الدنيا: الروم، والبطشة، أو الدخان.

رواه مسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٩٩.

فيه أن للكافرين عذابًا أدنى في الدنيا هو بلايا الحياة وما يشبهها. أما العذاب الأكبر فهو المعدّ لهم في جهنم عياذًا بالله منها.

وبهذا تمّ الكلام على سورة السّجدة، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصّالحات. وصلّى اللّٰه وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الأَحْزَابِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة مدنية، وقد جاءت مفردة خلال العديد من السور المكية، فقد جاءت قبلها ثمان سور مكيات على التوالي، كما جاء بعدها ثلاث عشرة سورة على التتابع، كلها مكِّيَّات بدءًا من سورة فاطر إلى نهاية سورة الأحقاف.

وأهداف هذه السورة هي أهداف السور المدنية من ذكر التشريع الإسلامي، وبيان الأحكام والفرائض.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص هامة لم تذكر في غيرها، وهي:

١ ـ إبطال التبني وإلحاق الأولاد بغير آبائهم، وأنَّ ذلك كان من بقايا الجاهلية، آيتان ٤ و ٥.

٢ ـ بيان أنَّ أزواج النبي ﷺ هن أمهات للمؤمنين في الاحترام والتعظيم، وتحريم التزوُّج بهن، ولسن الأمَّهات في كل الأحكام، آية ٦.

٣ ــ ذكر غزوتي الخندق ــ الأحزاب ــ ، وقريظة، والإشارة إلى بعض ما حصل فيهما، آيات ٩ إلى ٢٧.

٤ ــ بيان الأصل العظيم في كون الرسول ﷺ هو الأُسوة الحسنة لكل مؤمن، آية ٢١.

٥ ــ ذكر الرجال الذين صَدَقُوا ما عاهدوا الله عليه، آية ٢٣.

٦ ــ تخيير الرسول الكريم ﷺ نساءه الطاهرات بين الله ورسوله والدار الآخرة وبين الدنيا وزينتها، آيتان ٢٨ و ٢٩.

٧ ــ شرف نساء النبي ﷺ وبيان فضلهن، آيات ٣٠ إلى ٣٢.

٨ ــ ذكر آية تطهير أهل البيت من نساء النبي وبناته وذرِّيَّته، آية ٣٣.

٩ ــ بيان أنه لا خيرة لأحد مع قضاء الله ورسوله، آية ٣٦.

١٠ ــ ذكر قصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنه وتزوُّج النبي ﷺ بها بعد أن طلقها زيد، آية ٣٧.

١١ ــ بيان أنَّ رسولنا المصطفى ﷺ هو خاتم النبيين، آية ٤٠.

١٢ ــ بيان أن من طلقت قبل المسيس لا عدَّة عليها، آية ٤٩.

١٣ ــ إباحة نكاح الموهوبة للنبي ﷺ دون غيره، آية ٥٠.

١٤ ــ الأمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، آية ٥٦.

١٥ ــ مؤذي الله ورسوله ﷺ ملعون في الدنيا والآخرة، آية ٥٧.

١٦ ــ الأمر بالحجاب لنساء النبي وبناته ونساء المؤمنات، آية ٥٩.

١٧ ــ ذكر الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال . . . إلخ، آية ٧٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٤ **قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: أرأيت قول الله

عزَّ وجلّ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام نبي الله ﷺ يومًا يصلِّي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين، قلبًا معكم، وقلبًا معهم... فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾.

رواه أحمد رقم ٢٤١٠، والترمذي ٢٩٩٢، وابن جرير ٢١/ ١١٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣١١٢، والحاكم ٢/ ٤١٥، وحسنه الترمذي وصحَّحه الحاكم، وكذا أحمد شاكر في شرح المسند. وفيه قابوس بن أبي ظبيان مختلفٌ فيه، وباقي رجاله رجال الصحيح.

جاءت الآية الكريمة ردًّا على ما رمى به المنافقون النبي ﷺ من أنَّ له قلبين، ونفت أن يكون للإنسان في جوفه قلبان.

٥ **قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلاَّ زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

رواه البخاري ١٠/ ١٣٦، ومسلم في الفضائل رقم ٣٢٠٧، والترمذي في التفسير ٣٠٠١.

في الآية والحديث إبطال ما كان سائدًا في الجاهلية من إلحاق الأولاد بغير آبائهم، وأنَّ الواجب أن ينسبوا إلى آبائهم، فإن لم يُعلم لهم آباء فهم إخوان لنا في الدِّين وموال لنا، ويلاحظ أنَّ التبنِّي على الطريقة الحالية اليوم من إدخالهم في الحالة المدنية وجعلهم كأولاد لنصلب محرم أشد التحريم، ومنكر من أشد المناكير لا يجوز الإقدام عليه ولا إقراره لمن عرفه.

٦ **قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ ﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلاَّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، فإن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني فأنا مولاه».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٣٥، وفي الفرائض ١٥/ ١٠، وفي الكفالة وفي الاستقراض، ومسلم في الفرائض ١٦١٩.

قوله: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: أنه ﷺ أحقّ بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور دينهم ودنياهم، وأنه أرأف بهم، وأعطف عليهم، ولذلك كان حكمه أنفذ، وطاعته أوجب.

والحديث يدل على أنه ﷺ كان يتكفَّل بديون المدينين والقيام بالضائعين الذين لا مال لهم ولا ممول. والمراد بالعصبة في الحديث: الورثة المنصوص عليهم سواء كانوا يرثون بالفرضية أو بالتعصيب.

وقد تقدَّم حديث ابن عباس والكلام عليه في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

رواه البخاري في مواضع، وأبو داود، والنسائي وغيرهم، وقد تقدَّم الكلام في الموضوع.

﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إلـه إلاَّ الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده».

رواه البخاري في المغازي رقم ٤١١٤، ومسلم في الذكر رقم ٢٧٢٤.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكتاب سريع الحساب، اهزِمِ الأحزابَ وزَلْزِلْهُم».

رواه البخاري في المغازي ٨/ ٤١٠، وفي الجهاد، وفي التوحيد، ومسلم في الجهاد ١٧٤٢، والترمذي فيه ١٥٣٩، والنسائي في الكبرى ٥/ ١٨٨، ٦/ ١٥٤، وأبو داود ٢٦٣١، وابن ماجه ٢٧٩٦.

الأحزاب: هم الكفار الذي تحزَّبوا على النبي ﷺ وأصحابه وهاجموه وحاربوه. وفي الحديث الثاني مشروعية الدعاء على الكفار بالانهزام وزلزلة قلوبهم، ولذلك كان النبي ﷺ يوحِّد الله على نصره وإعزازه جنده وهزمه الأحزاب وحده، فإنه تعالى استجاب دعاء نبيّه فزلزل قلوب الكفَّار، وبعث عليهم ريحًا عاصفة وجنودًا من الملائكة، فانصرفوا هاربين منهزمين ملعونين.

١٠ قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآية، قالت: يوم الخندق.

رواه البخاري في المغازي رقم ٤١٠٣، ومسلم آخر الصحيح ٣٠٢١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٩، ٤٣٠.

الآية الكريمة تخبر عن حالة المسلمين عندما هاجمهم كفار قريش ومن كان معهم وحاصروهم نحوًا من شهر وأحاطوا بهم من جهة الشرق والغرب، فقد جاءتهم قريش وكنانة وأوباش العرب من أسفل الوادي، وجاءهم أسد وغطفان من أعلى المدينة، واشتدَّ على المسلمين الأمر حتى مالت أبصارهم عن سننها ومستوى نظرها شخوصًا لشدَّة الهول والرعب، وزالت القلوب عن

أماكنها حتى كادت تبلغ الحناجر، وحركوا تحريكًا عنيفًا حتى لكأنَّ الأرض تتحرَّك بهم وما في الآية تمثيل لشدَّة الخوف والفزع. وكانت هذه الغزوة من أخطر الغزوات على المسلمين، لكنَّ الله عزَّ وجلّ وعد بنصر رسله والمؤمنين بهم، فما أن اشتدَّ بهم الأمر حتى جاءهم النصر المبين وكفى الله المؤمنين القتال.

(١٣) **قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى، يقولون: يَثْرِب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبثَ الحديد».

رواه البخاري رقم ١٨٧١، ومسلم ١٣٨٢، كلاهما آخر الحج في فضل المدينة.

كان اسم المدينة المنوَّرة في الجاهلية يثرب، فغيَّر النبي ﷺ اسمها فسمَّاها المدينة وطابة كما جاء في حديث آخر، وكره هذا الاسم لأنه من التثريب، وفيه شؤم، وقد عرف من هديه ﷺ كراهية الأسماء غير الحسنة التي قد يتشاءم بها الناس. وقوله في هذا الحديث: بقرية تأكل القرى، معناه: أن منها سيتوجَّه الفاتحون للبلاد والقرى، فكأنَّ المدينة تأكلها. وقوله: تَنْفِي الناس، يعني: الخُبَثَاء الَّذين لا يليقون بمجاورة الحبيب ﷺ، وهذا قد يكون خاصًّا بعصره وحياته؛ لأنَّه قد وجد بها بعد موته عبر الأجيال من هم خبثاء لا دين لهم...

(٢٣) **قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: عَمِّي أنس بن النضر سُمِّيت به، لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فكبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده

رسول الله ﷺ غبتُ عنه، أما والله لئن أراني اللّـه مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرينَّ اللّـهُ ما أصنعُ، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد من العام القابل، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا أبا عمْرو، أين؟ قال: وَاهًا لريح الجنَّة، أجدها دون أحد، فقاتل حتى قُتِل، فوُجِد في جسدِه بضعٌ وثمانون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ ورمية، قالت عمتي الرُّبيِّعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلاَّ ببَنانِه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

وفي رواية: «وانكشف المسلمون، قال: اللّـهُمَّ إنِّي أعتذر إليك مما صنع هـؤلاء، يعني الصحـابـة، وأبـرأ إليـك ممـا جـاء بـه هـؤلاء ـ يعني المشركين ـ فلقيه سعد. . . » إلخ.

رواه الترمذي باللفظ الأول ٢٩٩٣، والبخاري في التفسير ١٠/ ١٣٦، ومسلم في الإمارة ١٩٠٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٣٠، ورواه ابن جرير ٢١/ ١٤٦، ١٤٧ بالروايتين.

وعـن طلحـة رضـي الله تعـالـى عنـه أنَّ أصحـاب رسـول الله ﷺ قـالـوا لأعرابـي جاهل: سله عمَّن قضى نحبه من هو؟ كانوا لا يجترئون على مسألته؛ يُوَقِّرونه ويَهَابونَهُ فسأله أعرابـي، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنِّي اطَّلعتُ من باب المسجد وعليَّ ثيابٌ خضرٌ، فلمَّا رآني النبـي ﷺ قال: «أين السائلُ عمَّن قضى نحبَه؟»، قال الأعرابـي: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا مِمَّن قضى نحبه».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٩٥، وفي الفضائل ٣٥١٣، وابن ماجه ١٢٦، ١٢٧، وابن جرير ٢١/ ١٤٧، وغيرهم، وسنده حسن صحيح.

في الحديث الأول فضل أنس بن النضر حيث إنه ممَّن صدق ما

عاهد الله عليه حتى قتل في سبيل الله شهيدًا، وأنَّ الآية نزلت بسببه. أما الحديث الثاني ففيه فضل طلحة بن عبيد الله أيضًا، وأنَّه ممَّن تشمله الآية.

واختلفوا في هذه الكلمة ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾، فقيل: فمنهم من وفى بنذره وعهده حتى استشهد كأنس بن النضر المتقدم وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما رضي الله تعالى عنهم، وقيل: من قضى نحبه، أي الموت على ما عاهد الله عليه صادقًا وافيًا، وطلحة من هؤلاء الذين كانوا ينتظرون الموت ولم يبدلوا، حتى وافاه أجله في وقعة الجمل بضربة في ركبته ضربه بها مروان بن الحكم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٨﴾
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٢٩﴾
وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما أُمِرَ رسول الله ﷺ بتَخْيير أزواجه بدأ بـي، فقال: «يا عائشة، إنِّي ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: وقد علم أنَّ أبواي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إنَّ الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾»، قلت: في أيِّ هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبـي ﷺ مثل ما فعلتُ.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، وغيره، ومسلم في النكاح ١٠/٧٨، والترمذي في التفسير ٢٩٩٦.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن

لأبـي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبـي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا قال: فقال: لأَقُولن شيئًا أُضْحِكُ به النبـيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنتَ خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فَوَجَأْتُ عُنُقها، فَضَحِكَ رسول الله ﷺ وقال: هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأ عُنُقَها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألْنَ رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فقلنَ: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا، أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إنِّي أريد أن أعرض عليك أمرًا أُحِبُّ أن لا تَعْجَلي فيه حتى تستشيري أبويك»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وسألتُه أن لا تخبر امرأةً من نسائك بالَّذي قلتُ، قال: لا تسألُني امرأة منهن إلاَّ أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، لكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا».

رواه مسلم في النكاح ١٠/ ٨٠، ٨١، وجاءت القصة مطولة عن عمر أيضًا عند مسلم وغيره.

قوله: واجمًا، أي: ساكتًا كئيبًا حزينًا. وقوله: فوجأت، بفتح الواو والجيم، أي: طعنت. وقوله: تستأمري، أي: تستشيري وتطلبـي أمرهما. وقوله: معنتًا. . . إلخ، معناه: لم يبعثني الله إليكم معسرًا ومشددًا عليكم وجالبًا لما يشق على الناس.

وفي الحديثين بيان ما شَرَّفَ الله تعالى به نبيّه ﷺ وأكرمَه به حيث انتصر

له وأنزل عليه قرآنًا يطلب منه تخيير الأزواج بين هذه الحياة وبين الله ورسوله والدار الآخرة. وفيهما فضل نساء النبـي ﷺ وبالأخص عائشة رضي الله تعالى عنها وعنهن، حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على متاع هذه الحياة الزائفة، فكن بذلك أزواجًا له ﷺ في الدنيا، ومعه في أعلى درجات الجنة في الآخرة، لا يصل إلى مقامهن أحد إلاَّ بناته ومن شاء الله من عباده. ولذلك أكرمهن الله عزَّ وجلّ بعدم تزوُّجه ﷺ عليهن بعد هذا التخيير، حيث قال له: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾، وسيأتي مزيد لهذا قريبًا.

٣٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾.

عن عمر بن أبـي سلمة رضي الله تعالى عنهما ربيب النبـي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبـي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحَسَنًا وحُسَيْنًا، فجلَّلَهم بكساء وعَلِيٌّ خَلْفَ ظهرِه فجلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثم قال: «اللَّـهُمَّ هؤلاء أهلُ بيتي فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطَهِّرهُم تَطْهيرًا»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبـي الله، قال: «أنتِ على مكانكِ، وأنتِ على خير».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٩٧، وفي المناقب واستغربه وهو صحيح؛ لشواهده: عن أم سلمة رواه الحاكم ٤١٦/٢ بسند صحيح وصحَّحه على شرط البخاري، وعن واثلة رواه الحاكم أيضًا ٤١٦/٢، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبـي.

جللهم، أي: غطَّاهم بالكساء، وقوله: «اللَّـهُمَّ هؤلاء أهل بيتي» لا شكَّ في هذا وأنهم أخصّ أهله رضي الله تعالى عنهم، وأنهم داخلون في الآية الكريمة، وأنَّ إذهاب الرجس عنهم مع التطهير يشملهم، وإن كانت الآية الكريمة نزلت في شأن نساء النبـي ﷺ كما يدل عليه سياق الآية

الكريمة، ولكن هؤلاء المُجَلِّين عليهم السلام يدخلون فيها بالأولى. وفي الموضوع أحاديث ذكرت أهمها في الأنوار الباهرة.

(٣٥) **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

عن أم عمارة الأنصارية رضي الله تعالى عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلاّ للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ الآية.

رواه الترمذي ٣٠٠٢، وابن جرير ٢٢/ ٨، والطبراني في الكبير ٢٥/ ٣١/ ٣٢، ورجاله ثقات، وشريك لا يضرّ هنا، فإنَّ للحديث شواهد أقواها حديث أم سلمة بنحوه رواه أحمد ٦/ ٣٠١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٣١، وابن جرير ٢٢/ ٨، والطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٦٣ ولفظه: يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يُذْكَرُونَ في القرآن والنساء لا يُذْكَرْنَ، فأنزل الله عزَّ وجلّ... إلخ. وورد عن ابن عباس وغيره، فالحديث صحيح.

في الحديث دليل على فضل الرجال على النساء، وأنهم الأصل في كل شيء، والنساء إنما هنَّ لهم بالتبعية، ولذلك خصَّ الرجال بأمور كثيرة اجتماعية أعفى منها النساء، وقد شعر بذلك نساء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فأنزل الله هذه الآية تخبرهن بأنّهن في التشريع والأحكام والأخلاق كالرجال وإن كنَّ دونهم في الفضل في الجملة، ولكن النساء أَبَين إلاّ أن يزاحمن الرجال في شؤونهم ويتطلّعن إلى ما خصّهم الله به ويردن أن يكنّ مترجّلات ملعونات كما هو حالهن اليوم. والآية الكريمة تدلّ على الأجر

العظيم لمن اتَّصف بهذه الأخلاق المذكورة فيها، وهي عشر صفات حقَّقنا الله وأحبتنا بها آمين.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَن استَيْقَظَ مِن الليل وأيقظَ امرأتَه فَصَلَّيَا ركعتين جميعًا كُتِبا ليلَتَهُمَا مِنَ الذَّاكِرِينَ الله كثيرًا والذَّاكرات».

رواه أبو داود ١٣٠٩، ١٤٥١، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ١٣٣٥، وأبو يعلى ١١١٣، وابن حبان ٦٤٥ بالموارد، والحاكم ٣/ ٤١٦، والبيهقي ٢/ ٥٠١ وسنده صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

في الحديث فضل عظيم وبشارة هامة للمتهجّدين، وفيه استحباب حمل الأهل على العبادة وقيام الليل لما في ذلك من الثواب الجزيل...

ملحوظة: مَن حافظ على الأذكار النبوية الواردة في المناسبات كأذكار الصباح والمساء وأذكار التخلِّي والوضوء والصلاة والأكل والشرب واللباس والركوب والنوم والاستيقاظ، وغير ذلك، كان من الذَّاكرين الله كثيرًا والذَّاكرات. وفَّقَنا الله لذلك والمحافظة عليها آمين.

٣٦ **قوله تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينبَ وهي بنتُ عَمَّتِهِ وهو يُريدُها لزيد، فظنَّتْ أنَّهُ يُريدُها لنفسه، فلما عَلِمَتْ أنه يريدها لزيد أَبَتْ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

رواه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٥، وابن جرير ٢٢/ ١١. قال النور ٧/ ٩٢: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبي ﷺ على جُلَيْبيب امرأةً من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمَّها، فقال النبي ﷺ: «فنعم إذًا»، قال: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، فقالت: لاَهَا الله إذًا، ما وجد رسول الله ﷺ إلاَّ جُلَيْبِيبًا، وقد منعناها مِن فُلان وفلان قال: والجارية في سِتْرِها تسمع قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردُّوا على رسول الله ﷺ أمره، إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه، قال: فكأنَّها جلت مِن أبويها، وقالا: صَدَقْت، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رَضِيتَه فقد رضيناه، قال ﷺ: «فإنِّي قد رَضِيته»، قال: فَزَوَّجْها، ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيبُ، فوجدوه قد قُتِل وحوله ناسٌ من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة.

رواه أحمد ٣/ ١٣٦ بسند صحيح على شرطهما، ورواه أيضًا مطوّلاً بسياق آخر.

قصة قتل جليبيب رضي الله تعالى عنه في الفضائل من صحيح مسلم ١٦/ ٢٦، في حديث مطوّل، وفيه: أنَّ النبي ﷺ قال: «هل تَفْقِدُون مِن أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكني أفقد جليبيبًا فاطلبوه»، فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبيُّ ﷺ فوقف عليه فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا منِّي وأنا منه، هذا منِّي وأنا منه»، فوضعه على ساعديه ليس له إلاَّ ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلاً. وحديث قصَّته مع الحديث الأول يدلاَّن على وجوب الانقياد لما حكم به الله ورسوله ﷺ، وأنه لا خيرة لأحد بعد قضاء الله عزَّ وجلّ، فمن رفض ذلك ولم يستسلم فقد زاغ وضلَّ ضلالاً مبينًا.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لو كان النبي ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٦/ ١٤١، والترمذي ٣٠٠٠، والنسائي ٦/ ٤٣٢، كلاهما في التفسير وسنده صحيح وأصله في التوحيد من صحيح البخاري ١٨/ ١٨٣.

ما قالته السيدة رضي الله تعالى عنها ظاهر لأن الإنسان جُبل على الدفاع عن نفسه كل ما يشينه ويلصق به عيبًا، وكان ﷺ بخلاف ذلك فالآية وإن كانت صريحة في إبداء الله ما أخفاه عليه الصَّلاة والسَّلام، ومع ذلك فلم يكتم ذلك، بل بلغه للناس امتثالاً لأمره تعالى بتبليغ رسالته.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ...﴾ الآية، نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٤٢، وفي التوحيد بسياق آخر، والترمذي ٣٠٠٥، والنسائي ٦/ ٤٣٢، كلاهما في التفسير، وفي رواية الترمذي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ في شأن زينب بنت جحش، جاء زيد يشكو، فهَمَّ بطلاقها، فاستأذن النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. رواه أحمد والحاكم ٢/ ٤١٧ بنحوه وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي... وانظر ابن جرير ٢٢/ ١٣، والمجمع ٧/ ٩١.

قصة زواج زيد بزينب رضي الله تعالى عنهما وهمّه بطلاقها، وقول النبي ﷺ له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾ الآية، وقع فيها خبط وخطأ فاحش من بعض من لا يحترم مقام النبوة، رغم أن الأمر فيها واضح لا خفاء فيه، فهو أَمَرَهُ في الظاهر بإمساكه زوجته، وأخفى في نفسه ما سيبديه الله مما كان قد أوحى به إليه من أنها ستكون زوجته إذا طلقها زيد، وليس في ذلك ما يخدش عصمته ﷺ. وما زعمه بعض قليلي الدين من أنه ﷺ رآها فأعجبته وأخفى في نفسه التزوج بها إلى آخر ذلك الهراء، هو كلام باطل ساقط لا يليق بمقام النبوة...

(٣٧) **قوله تعالى:** ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا . . . ﴾ الآية، قال: فكانت تفتخر على نساء النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلوكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

رواه البخاري في التوحيد ٨٨/ ١٨٣، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٠٣، وحسَّنه وصحَّحه.

في الحديث فضل هذه السيدة على سائر أمهات المؤمنين بهذه الخصلة التي اختصت بها حيث تولّى الله تعالى تزويجه بها ﷺ بلا ولي ولا شهود ولا مهر، وزينب هذه كانت من الصالحات الورعات المتصدقات المحسنات رضي الله تعالى عنها وعن باقي أمهات المؤمنين.

(٣٩) **قوله تعالى:** ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقر أحدكم نفسه»، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمرًا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عزَّ وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى».

رواه أحمد ٣/ ٣٠، ٤٧، ٧٣، ٩١، وابن ماجه في الفتن ٤٠٠٨، وسنده صحيح. قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

في الحديث وجوب قول كلمة الحق وتغيير ما يراه المسلم من المناكير، ويجب عليه أن لا يخشى أحدًا غير الله كما أخبرت بذلك الآية

الكريمة عن جميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا مقيد بما إذا أمن الإنسان على نفسه من الأذى الذي لا يطيقه مع شروط في ذلك لأدلة أخرى.

٤٠ **قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.**

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلاَّ موضع لبِنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلاَّ موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة ختم بـي الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام».

رواه أحمد ٣/ ٩، والبخاري في أسماء رسول الله ﷺ في الفضائل ١٥/ ٥٢، ونحوه عن أبـي هريرة عند البخاري في المناقب ٣٥٣٥، ومسلم في الفضائل ٢٢٨٦، ١٥/ ٥٢.

الأحاديث بكونه خاتم النبيين متواترة وكلها تدل على ما دلَّت عليه الآية الكريمة من كون نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبـي بعده، فكل من ادعاها بعده فهو دجال كذاب كافر حلال الدم والمال.

٤٥ **قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.**

عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فقلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبـيُّ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيِّم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا: لا إلـه إلاَّ الله، فيفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا.

رواه أحمد ٢/ ١٧٤، والبخاري في البيوع ٥/ ٢٤٦، وفي تفسير سورة الفتح ١٠/ ٢٠٧، ٢٠٨، وكذا رواه في الأدب المفرد رقم ٢٤٦.

حرزًا للأميين، أي حصنًا للعرب، وقوله: صخَّاب، ويقال بالسين هو الرافع صوته، وقوله: الملة العوجاء هي دين إبراهيم عليه السَّلام الذي غيَّره العرب وعوَجوه، فبعث هذا الرسول العظيم ليقيمه ويرجعه إلى أصله الخالص. وفي الحديث بيان موافقة التوراة للقرآن الكريم في بعض صفات نبينا ﷺ ككونه رسولاً وشاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، فيا ويل من عرفه وكفر به من اليهود وغيرهم.

(٥٠) **قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾.**

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: أنا في القوم إذ قالت امرأة: إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله فَرَ فيَّ رأيك يا رسول الله. فقام رجل فقال: زوجنيها، قال: فاذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد، فذهب فلم يجئ بشيء ولا بخاتم من حديد، فقال رسول الله ﷺ: «معك من سور القرآن شيء؟» قال: نعم، قال: فزوجه بما معه من سور القرآن.

رواه البخاري ٥١٤٩، ومسلم ١٤٢٥، والنسائي في المجتبى ٣٢٠٠، كلُّهم في النكاح، ورواه النسائي في الكبرى أيضًا ٦/ ٤٣٣، وللحديث ألفاظ.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ تعرض نفسها فقال: «ليس لي في النساء حاجة»، فقالت ابنة لأنس: ما كان أصْلَبَ وجْهَهَا؟ فقال: إنها كانت خيرًا منك، رغبت في رسول الله ﷺ فعرضت نفسها عليه.

رواه البخاري في النكاح ٥١٢٠، وفي الأدب ٦١٢٣، والنسائي في المجتبى ٣٢٤٩، ٣٢٥٠، وفي الكبرى ٦/ ٤٣٤، وابن ماجه ٢٠٠١.

في الحديثين كالآية جواز عرض المرأة نفسها على الرجل للتزوج بها، وأنه لا غضاضة عليها في ذلك، لا سيما إذا كان الرجل صالحًا وكان قصدها

الاستعفاف عن الحرام، أما هبتها نفسها للرجل بدون صداق فهذا لا يجوز لأحد بعد نبينا ﷺ فذلك من خصائصه، لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ . . .﴾ الآية. وفي الحديث الأول مشروعية تزوج المرأة على أي شيء فيه منفعة لها سواء كان عملة، أو عقارًا أو ثيابًا أو حليًا أو كان قرآنًا إذا رضيت بذلك، فكل ما تنتفع به في دينها أو دنياها يصح أن يكون لها مهرًا وصداقًا. . . وللأئمة في ذلك مذاهب.

(٥١) **قوله تعالى:** ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ﴾.

قال عروة رحمه الله تعالى: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يسارع في هواك، وفي رواية: قالت: كنت أغارُ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وفي أخرى قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ﴾، فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٤٤، ١٤٥، وفي النكاح، ومسلم في الرضاع ١٤٦٤، وأبو داود ٢١٣٩، والنسائي ٣١٩٩ كلاهما في النكاح.

في هذه الآية الكريمة خصيصة من خصائص نبينا ﷺ، حيث أباح الله له أن يعامل زوجاته كيف شاء، يمسك منهن من يشاء، ويطلق من يشاء، ولذلك شعرت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها بذلك، فقالت له: ما أرى ربك إلاَّ يسارع في هواك، وكيف لا وهو الحبيب المصطفى الذي ما خلق الله

خلقًا أكرم عليه منه، فإنه تعالى يمنح مطلق أحبابه الصالحين ما يتمنونه قبل سؤالهم، فكيف بحبيب الأحباب.

وقد اختلف في تفسير هذه الآية فقيل: ترجىء، أي تؤخر من تشاء منهن، أي الزوجات بغير قسم، وتؤوي إليك من تشاء منهنَّ، وهذا قول الجمهور. وقيل: إنه كان هم بطلاق بعضهن فقلن له: لا تطلقنا، واقسم لنا ما شئت، فكان يقسم لبعضهن قسمًا مستويًا وهن اللائي آواهن، ويقسم للباقي ما شاء وهن اللائي أرجأهنَّ..

قال الحافظ في الفتح: فحاصل ما نقل في تأويل «ترجىء» أقوال: أحدها تطلق وتمسك، ثانيًا: تعتزل من شئت منهنَّ بغير طلاق وتقسم لغيرها، ثالثها: تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت، قال: وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة قال: وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يُرج أحدًا منهن بمعنى أنه لم يعتزل، وهو قول الزهري: ما أعلم أنه أرجأ أحدًا من نسائه.

واختار ابن كثير رحمه الله تعالى أن الآية في الواهبات أنفسهن إليه ﷺ، فقال عقب الحديث: فدلَّ هذا على أن المراد بقوله ترجي أي تؤخر من تشاء منهن من الواهبات، وتؤوي إليك من تشاء، أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها، ومن رددتها فأنت فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فآويتها، ولهذا قال: ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾. قال: وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ...﴾ الآية، أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهنَّ، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت وتترك من شئت، وهكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

واختار شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى أن الآية عامة في الواهبات، وفي النساء اللائي عنده أنه مخير فيهن، إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم، قال ابن كثير: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث. . . إلخ.

(٥٢) قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نُهي رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلاَّ ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ . . .﴾ الآية، وأحل الله فتياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، وحرم كل ذات دين غير دين الإسلام، ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٠٦ بسندٍ صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له النساء، وفي رواية: حتى أحلَّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء.

رواه أحمد ٦/ ١٨٠، ٢٠١، ٤١، والترمذي ٣٠٠٧، بتهذيبي، والنسائي في المجتبى ٣٢٠٥، وابن حبان ٢١٢٦ بالموارد، والحاكم ٢/ ٤٣٧، بسندٍ صحيح وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

خلاصة ما ذكره المفسرون وشراح الحديث في هذا الموضوع أن هذه

الآية: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ . . . ﴾ الآية، نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ، حيث أحسنَّ في اختيار الله ورسوله والدار الآخرة فحرم عليه تعالى أن يتزوج بغيرهن أو يتبدل بهنَّ أزواجًا سواهن إلَّا ما كان من الإماء، ثم رفع تعالى عنه هذا الحرج والحذر وأباح له التزوج كما صرحت بذلك السيدة المبرأة، ولكنه ﷺ لم يقع منه بعد ذلك زواج.

٥٣ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه الآيةِ الحجابِ لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعامًا ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ﴾، فضرب الحجاب وقام القوم.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٤٨، وفي التوحيد ٧٤٢١، ومسلم في النكاح ١٤٢٨، والنسائي في التفسير ٦/٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦ بألفاظ بعضها مطولاً وبعضها مختصرًا.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله عزَّ وجل آية الحجاب.

رواه البخاري في التفسير ٩/ ٢٣٥، ١٠/ ١٤٦، ٢٨٦، وأحمد، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٣٥، وانظر تفسير البقرة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حيسًا من قعب، فمر عمر رضي الله تعالى عنه فدعاه فأكل فأصاب أصبعه أصبعي فقال: حَسِّ أو أَوَّه، لو أُطاعُ فيكن ما رأتكن عين، فنزل الحجاب.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٣٥، والطبراني في الأوسط، قال النور في المجمع ٧/ ٩٣، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

قعب: بفتح القاف وسكون العين، قدح ضخم. وقول عمر: حس، كلمة تقال عند العرب إذا أصيب الإنسان بضربة أو حرق جرّة عن غفلة. وقوله: أوّه، كلمة تقال عند التوجع والشكاية.

الحديث الأول يدل على أن آية حجاب نساء النبي نزلت بسبب زينب رضي الله تعالى عنها، بينما حديثه الثاني مع حديث السيدة المطهرة يدلان عل أن سببه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وقد جمع بين ذلك بتعدد النزول أو يكون نزل بأحد السببين ثم صادف الثاني النزول فأخبر كل بما علم.

والآية الكريمة جاءت كتأديب للصحابة في معاملتهم مع النبي ﷺ عند دخولهم بيوته، وفيها آداب سامية تتعلق بالطفيليين الثقلاء الذين يطيلون الجلوس بعد الأكل في الولائم... ولا يراعون أحوال أهل الدار كما فعل بعض الصحابة في وليمة زينب حيث أكلوا وجلسوا يتحدثون والنبي ﷺ محتاج إلى خلو البيت، فجعل يدخل ويخرج فوجد عليهم في قلبه واستحيى أن يأمرهم بالانصراف حتى أنزل الله تعالى فيهم القرآن، ولذلك كان بعض السلف يقول: إن هذه الآية تسمَّى آية الثقلاء، وقال بعض المفسرين: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

(٥٦) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللَّـهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّـهمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٥٢، ومسلم في الصلاة ٤/ ١٢٦، ١٢٧، وباقي الجماعة. ونحوه عن أبي مسعود الأنصاري، رواه مسلم في الصلاة ٤٠٥، ٤/ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، وأبو داود ٩٨٠، ٩٨١، والترمذي ٣٠٠٩، والنسائي وغيرهم. وعن أبي سعيد رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٥٣، والنسائي وابن ماجه وغيرهم. وفي الباب أحاديث كثيرة تراجع في القول البديع وغيره.

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن العباد دعاء، وصلاة الله تعالى على نبيه ﷺ هو ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين بما يليق بقدره ومنزلته عنده. ثم الصلاة عليه ﷺ من الواجبات الإسلامية على المؤمنين في كل صلواتهم، ومن الرغائب العظيمة في كل الأحيان، وخاصةً ليلة الجمعة ويومها، ولها فضائل جمة لا يستهان بها، فالسعيد من وفِّق للإكثار منها عليه ﷺ.

(٥٧) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزَّ وجل: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر أقلِّب ليله ونهاره».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٢، والبخاري في التفسير وغيره، ومسلم في كتاب الألفاظ من

الأدب ٢/١٥، ٣. وفي رواية: «يقول: يا خيبة الدهر»، ويأتي في سورة الجاثية في آية الدهريين.

قوله: أنا الدهر، أي أنا رب الدهر وخالقه والمدبِّر له، وكان أهل الجاهلية ينسبون الأحداث والنوازل للدهر والزمان فيسبونه ويقولون: يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا، فيسندون الأفعال إليه وهو شرك في الربوبية، فإن الفاعل ومدبر الأمور والمتصرف فيها بالذات هو الله تعالى وحده، والدهر وكل المخلوقات والكائنات مربوبون مقهورون تحت سطوة الله وقدرته وعظمته لا حول لأحد منهم ولا قوة، فمن نسب شيئًا إلى غير الله تعالى من خلق أو تأثير فقد آذى الله عزَّ وجل ومؤذيه ملعون له عذاب عظيم.

(٥٩) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ . . .﴾ الآية، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكيسة. وفي رواية لبعضهم: من أكسية سود يلبسنها.

رواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق ١٠/ ٣١٥٤، وأبو داود في اللباس ٤٠٩٨ بسندٍ صحيح. وعزاه في الدر المنثور أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ٦/ ٦٥٩.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت سودة رضي الله تعالى عنها بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا سودة إنك والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشَّى، وفي يده عِرْقٌ فدخلت وقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا. فأوحي إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٥٠، ومسلم في السلام ١٤/ ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ وغيرهما.

الجلابيب جمع جلباب وهو الملاءة التي تلبسها المرأة فوق الثياب وتلتحف بها عند خروجها من منزلها، ولا يكون ذلك إلَّا مع الأجانب غير ذوي المحرم، والجلباب يشبه ما يستعمله نساء الحجاز والعراق وإيران ونحوهن.

وحجاب المرأة واجب إسلامي فمن أنكره فقد أنكر القرآن وكذب الله تعالى فيما قال وحكم، فهذا القرآن يأمر فيه الله نبيه ﷺ إبلاغ نسائه وبناته ونساء المؤمنين بأن يسترن محاسنهن بالجلابيب، غير أن أمهات المؤمنين يختصصْن بحجاب جميع أجسادهن بل وأشخاصهن، قال القاضي عياض: فرض الحجاب مما اختص به أزواج النبي ﷺ فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهنَّ كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا يجوز لهن إظهار شخوصهن وإن كنَّ مستترات إلَّا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز. . . إلخ، وهو عند النووي في شرح مسلم ١٤/ ١٥١.

أما غيرهن من سائر النساء فلا يجب عليهن إلَّا تغطية محاسنهن وزينتهن بما يعد ساترًا شرعًا بأن يكون الثوب واسعًا غير شفافٍ رقيقٍ، سابغًا غير قصير ولا زينة في نفسه ولا مطيبًا. . . وقد ألَّف الناس في شروط خروج المرأة المسلمة. . . وقد أخرج ابن جرير ٢٢/ ٤٦، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٥٤ وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة. وانظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية الكريمة.

وحديث عائشة في قصة سودة يدل على الإذن للنساء في الخروج

لحوائجهن، أما ما صدر من عمر في سودة رضي الله تعالى عنهما كان غيرة منه على نساء النبي ﷺ أن لا تظهر أشخاصهن مطلقًا إكرامًا لهنَّ، فنزل الأمر بحجبهنَّ على الخصوص.

(٦٩) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «إن موسى عليه السَّلام كان رجلاً حييًّا ستيرًا، ما يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل.. فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاَّ أنه آدر، قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعدُ حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربًا»، قال أبو هريرة: والله إنه بالحجر لندب ستة أو سبعة، ضرب موسى عليه السَّلام بالحجر. وفي رواية ذكر في آخره: فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٣١٥، والبخاري في الغسل ١/ ٤٠١، وفي الأنبياء ٧/ ٢٤٧، ٢٤٨، وفي التفسير وغيرها، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٢٦، ١٢٧، وفي الحيض ٤/ ٣٢، ٣٣ وغيرهم.

قوله: حييًّا: أي متصفًا بالحياء. قوله: آدر: الأدرة انتفاخ الخصيتين. قوله: فجمع موسى بأثره: أي ذهب مسرعًا خلفه. وقوله: فطفق: أي جعل يضرب الحجر ضربًا. وقوله: لندب: بفتحات، أي أثر الضرب.

ما في هذا الحديث الشريف بعض مخازي بني إسرائيل وعدوانهم، حيث إنهم اتهموا رسولهم بالنقص في جسده، ورموه بالطعن في خلقته،

فنزهه الله تعالى عما قالوا، وبرَّأه بتلك المعجزة العجيبة وهو فرار الحجر الجامد بثوبه وهو يطلبه حتى مر على بني إسرائيل فرأوا جسمه، وما به من آفة أو عاهة.

وفيه أيضًا فوائد وعبر ذكرتها في عجائب الأقدمين فتنظر هناك.

والآية فيها نهي الله تعالى المؤمنين من هذه الأمة أن يتشبهوا باليهود فيؤذوا نبيهم ﷺ.

وبهذا نكون قد أنهينا الكلام على سورة الأحزاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ سَبَإٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة مكيّة، وهي كأخواتها في طابعها وأهدافها، وآياتها أربع وخمسون.

من خصائص هذه السورة

١ ــ هي إحدى السور الخمس التي ابتدئت بالحمد لله عزَّ وجل، آية ١.

٢ ــ فيها ذكر القَسَمُ الثاني الذي أمر النبي ﷺ أن يقسم به للكفار تأكيدًا لوقوع القيامة والبعث: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، آية ٣، والأول: في يونس: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾، آية ٥٣، والثالث: في التغابن: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾، آية ٧.

٣ ــ إخباره تعالى بما خصَّ به نبيه داود عليه السَّلام بإلانة الحديد وصنعه الدروع، آية ١٠.

٤ ــ إخباره عن نبيه سليمان عليه السَّلام وما أعطاه له من تسخير الريح له مسافة شهر غدوًّا ورواحًا، كما سخر له الجن يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان، آيتان ١٢، ١٣.

٥ ــ ذكر قصة موته عليه السَّلام وعدم شعور الجن بذلك مدة مديدة حتى سقط، آية ١٤.

٦ ــ ذكر قصة أهل سبأ وما كانوا عليه من رغد العيش والخصب... وما صاروا إليه من الخراب والدمار والتشريد في البلاد بسبب كفرهم وطغيانهم، آيات ١٦ ــ ١٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١٥) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)﴾.

عن فروة بن مُسَيْك المرادي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغُطَيْفي فأخبر أني قد سرت، قال: فأرسل في أثري فردني، فأتيته وهو في نفر من أصحابه فقال: ادع القوم، فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك، قال: وأنزل في سبإ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وَلَدَ عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسَّان، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد، والأشعريون، وحِمْيَر، وكندة، ومَذْحِج، وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله ما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجلة.

رواه أبو داود في الحروف ٣٩٧٨، والترمذي في التفسير ٣٠١١، والحاكم ٢/ ٤٢٤، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وهو وإن كان فيه أبو سبرة وهو مقبول فالحديث صحيح لشواهده، وقد حسَّنه بعض المحدثين، كما صحَّحه آخرون، وانظر: المسند ٢٩٠٠، والمجمع ٧/ ٩٤.

قال المؤرخون: كان سبأ ملوك اليمن، وكان تُبَّع وبلقيس صاحبة سليمان عليه السَّلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل فآمنوا بهم وأطاعوهم ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد فأصبحوا شذر مذر.

وقوله: ولكنه رجل وَلَدَ عشرة من العرب. يقال: إن سبأ كان يسمى عبد شمس وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتناسل منه عشرة رجال، هم أم القبائل العربية... فلما نزل بهم سيل العرم تفرقوا في البلاد فسكن الشام لخم وجذام وغسان وعاملة، فكانوا رؤوس القبائل العربية هنالك، وسكن اليمن الباقي وهم الأزد ومن عطف عليهم.

ولَخْم بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة، وجُذام بضم الجيم، وغسان بفتح الغين والسين المشددة، وعاملة بكسر الميم، وحِمْيَر كمنبر، وكِنْدة بكسر الكاف وسكون النون، ومَذْحِج بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء، والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي.

واختلف النسَّابون هل كان قحطان من العرب العاربة الذين كانوا قبل سيدنا إبراهيم عليه السَّلام أم هو من سلالة إبراهيم؟ الصحيح أنه من ولد إبراهيم، ويؤيده ما في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ مرَّ بنفر من أسلم ينتضلون فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا». وأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار بأوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن السبئيين الذين نزلوا يثرب ـ المدينة ـ بعد سيل العرم، والله تعالى أعلم.

﴿١٩﴾ **قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.**

عن صُهَيْب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «عجبًا لأمر

المؤمن إنَّ أمره كلَّه له خيرٌ، إن أصابته سرَّاء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء فصبر كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن».

رواه أحمد ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، و ٦/ ١٥، ١٦، ومسلم في الزهد ١٨/ ١٢٥، والدارمي وغيرهم. وله شاهد عن أنس في المسند ٥/ ٢٤ بسندٍ رجاله ثقات، وشاهد ثانٍ عن سعد بن أبي وقاص في المسند أيضًا ١/ ١٧٣، ١٧٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾، أي لعبرًا وعظات، ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الضراء والمحن والبلايا وفتن الحياة، ﴿شَكُورٍ﴾ أي كثير الشكر لنعم الله عزَّ وجل. وهذا شأن المؤمن الموفق كما شرحه وفصله الحديث الشريف، فإن المؤمن بخير على كل الحالات، حتى المعصية قد تكون أحيانًا خيرًا له ولدينه فيجدد بها التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجل، وينكسر قلبه بسببها، ويذل بها نفسه، لأن دوام الطاعة والمثابرة على تعاطي القربات قد تؤدي بالإنسان أحيانًا إلى الإعجاب، والتعاظم والتفاخر والارتفاع على الغير، كالمال والثراء ورغد العيش، والصحة والعافية، والسلطة والرياسة والنفوذ، فلكل ذلك طغيان وتمرد وانحراف، فمن أراد الله به خيرًا عالجه بأضدادها ولله الحكمة البالغة.

﴿٢٣﴾ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا ـ للذي قال ـ: الحقَّ وهو العلي الكبير».

رواه البخاري ١٠/ ١٥٧، والترمذي ٣٠١٢ كلاهما في التفسير.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في نفر من أصحابه فرُمي بنجم فاستنار فقال ﷺ: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يُولد عظيم، أو يموت عظيم. . .

رواه أحمد رقم ١٨٨٢، ١٨٨٣، ومسلم ١٤/ ٢٢٥، ٢٢٧، والترمذي في التفسير ٣٠١٣، وغيرهم.

قوله: إذا قضى الله الأمر: في رواية للنواس بن سمعان عند الطبراني: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي». وقوله: خضعانًا، أي خاضعين. وقوله: سلسلة على صفوان، أي كصوت السلسلة على حجر أملس، وقوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم، أي رفع عن قلوبهم الفزع. والحديث مبين للآية الكريمة.

(٢٨) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء، نصرت بالرعب. . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً، وبعثت إلى الناس عامةً».

رواه البخاري في التيمم ١/ ٤٥٣، ٤٥٥، ومسلم في المساجد ٥/ ٣، ٤ مطولاً.

لا شكَّ أنَّه ﷺ بعث إلى الثقلين الإنس والجن من كل الأجناس، وهذه خصيصة له ﷺ، وقد تقدَّم نحو هذا في سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٣٩) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من

يوم يُصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللَّـهمَّ أعط منفقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللَّـهمَّ أعطِ ممسكا تلفًا».

رواه البخاري ٤/ ٤٧، ومسلم ٧/ ٩٥ كلاهما في الزكاة.

هذه النفقة تشمل النفقة على الزوجة والأولاد والوالدين والضيوف، الواجبة والمندوبة سواء في ذلك، فكلها يخلفها الله تعالى بأضعاف أضعافها، وهذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه. أما تلف الممسك فالظاهر أنه يكون في الإمساك عن الواجبات، نعم قد يشمل البخيل، والله أعلم.

٤٩ **قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾.**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، و﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩].

رواه الشيخان وغيرهما، وقد تقدَّم في الإسراء، فارجع إليه، آية ٨١.

٥٠ **قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.**

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأشرف الناس على وادٍ فجهروا بالتكبير والتهليل: الله أكبر الله أكبر، لا إلـه إلاَّ الله، ورفع عاصم صوته فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس اربَعوا على أنفسكم إن الذين تدعون ليس بأصمَّ، إنه سميعٌ قريب إنه معكم»، أعادها ثلاث مرات.

رواه البخاري في الجهاد ٢٩٩٢، وفي المغازي، وفي الدعوات ٦٢٨٤ وفي القدر، ومسلم في الذكر ٢٧٠٤، وأبو داود في الصلاة، والترمذي في الدعوات وغيرهم.

اربعوا بكسر الهمزة وفتح الباء، أي ارفقوا.

وفي الآية والحديث بيان أن الله عزَّ وجل متصف بالسمع والقرب، وهما صفتان لله عزَّ وجل يليقان بألوهيته وعظمته وجلاله فليس كمثله شيء، فتفسيرهما إمرارهما كما جاءتا كباقي آيات وأحاديث الصفات، فهو تعالى حاضر شاهد قريب سميع بصير، وكل هذه الصفات هي خلاف صفاتنا.

وبهذا تم الكلام على سورة سبأ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *

﴿سُورَةُ فَاطِرٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي كسابقتها مكية، وهي خمس وأربعون آية، وموضوعها الاهتمام بأصول الدِّين والعقيدة. . .

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذُكر في بدايتها أنه تعالى جعل للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع، آية ١.

٢ ـ ذكر أربع آيات ضرب فيها أربعة أمثال للكافر والمؤمن: الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، آيات ١٩ إلى ٢٢.

٣ ـ ذكر آيتين في اختلاف أنواع الثمار والفواكه والمخلوقات كالجبال والناس والدواب والأنعام، آيتان ٢٧ و ٢٨.

٤ ـ ذكر فضل العلماءِ باللّٰهِ وبأمرِهِ، وأنهم الذين يخشونه حق خشيته، آية ٢٨.

٥ ـ فضل هذه الأمة بإرثها القرآن الكريم الذي هو أقدس وأجمع كتاب منزَّل من عند الله عزَّ وجلّ، ثم انقسام هذه الأمة إلى أقسام ثلاثة:

ظالم، ومقتصد، وسابق. وأنَّ جميعهم سيدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته، آيات ٣٢ إلى ٣٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى:** ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدرّ والياقوت ما الله به عليم».

رواه أحمد ١/ ٣٩٥، ٤١٢، ٤٦٠، من طرق بعضها صحيحة.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ: «لما فتر عنه الوحي كان يجاور بحراء، فلما هبط سمع صوتًا فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض قد سدَّ الأفق بأجنحته».

رواه أحمد ٣/ ٣٢٥، ٣٧٧، والبخاري في بدء الوحي أول الكتاب وفي بدء الخلق ٧/١٢٦. وفي الباب عن عائشة عند البخاري في بدء الخلق، وفي تفسير المائدة، ومسلم في الإيمان ٣/٨/١١ مطوّلاً، وغيرها.

في الآية والحديثين دليل على أنَّ للملائكة أجنحة مختلفة العدد، وأنَّ جبريل عليه السلام أكثرهم ذلك، وهو يدل على عظيم خلقته عليه السلام، ولذلك لما رآه النبي ﷺ على صورته التي خلق عليها أرعب ممَّا رأى.

وقوله: التهاويل، أي: الأشياء المختلفة الألوان المتزيِّن بها.

(١١) **قوله تعالى:** ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن سَرَّه أن يُبْسَط عليه رزقُه، أو يُنسَأ في أَثَره فليصل رحمه».

رواه البخاري في البيوع ٢٠٦٧، وفي الأدب، ومسلم في البرّ والصِّلة ٢٥٥٧ وغيرهما.

قوله: ينسأ، أي: يؤخر. والآية الكريمة تقتضي أنَّ زيادة العمر أو نقصانه كلاهما مكتوب في الذكر مفروغ منهما، وهذا من اليقينيات، وإنما اختلف العلماء في توجيه الحديث المذكور الذي يخبر بأنَّ صلة الرحم توجب البسط في الرزق والزيادة في الأجل، فقيل: المراد بذلك البركة في الرزق والأعمال، أو يكون مقيدًا في الكتاب، وأنه سيصل رحمه فيبسط له في رزقه ويعمَّر طويلاً، وقيل غير ذلك، فالله أعلم بمراد نبيّه ﷺ، فإن هذا الباب وعرٌ ضيق.

(٣٢) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...﴾ الآية، فأمَّا الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأُولئك يُحَاسَبُون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحْبَسُون في طول المحشر، ثم هم الذي تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾».

رواه أحمد ٥/ ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، من طريقين أحدهما سنده صحيح على شرط مسلم، وهو عند ابن جرير ٢٢/ ١٣٧، وابن أبي حاتم بنحوه. ثم إنَّ للحديث شواهد: عن أبي سعيد عند أحمد ٣/ ٧٨، والترمذي ٣٠١٤ وحسَّنه، ورواه ابن جرير ٢٢/ ١٣٧، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٨١. وعن ابن عباس وأسامة بن زيد عند الطبراني. وعن عوف بن مالك رواه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٨١، ٣١٨٢، وغيرهم. وفي بعضها:

«هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة»، وهي رواية أبي سعيد، وفي بعضها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»، رواه ابن أبي حاتم ١٠/٣١٨١، وغيره. وفي الباب آثار كثيرة في معنى ما ذكرناه، انظرها عند ابن جرير وابن كثير والدر المنثور.

وفي الآية الكريمة مع ما ذكر من الأحاديث النبوية فضل عظيم لهذه الأمة المحمدية. قال الإمام أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ثمَّ جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم هذه الأمة. ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو المُفرِّط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرَّمات، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدِّي للواجبات التارك للمحرَّمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبَّات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.. والله أعلم.

(٣٦) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

تقدَّم حديث مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحييون». انظر سورة طه: الآية ٧٤.

في الآية والحديث وعيد ما بعده وعيد، وهو يأس الكفار من الاستراحة ورفع العذاب عنهم لا بالتخفيف عنهم ولا بالموت، ولا بالخروج منها، فهم في عذاب مستمر خالد، وتقدَّم لنا كلام في الموضوع عند الآية المذكورة.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أعذرَ اللّـه عزَّ وجلّ إلى امرئٍ أخَّر عمره حتَّى بلغ سِتِّين سنة». وفي رواية: «العمر الذي أعذر اللّـهُ تعالى فيه إلى ابن آدم ستُّون سنة» يعني: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾. وفي رواية: «لقد أعذر اللّـهُ إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر اللّـهُ إليه».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٥، ٣٢٠، ٤١٧، والبخاري في الرقاق ١٤/ ١٤، والرواية الثانية رواها البزار، أما الأخيرة فهي عند أحمد ٢/ ٢٧٥، والحاكم ٢/ ٤٢٧، ٤٢٨.

أعذر، أي: بالغ له في العذر حتى لم يبق له عذر، فإنَّ إطالة العمر إلى الستِّين... هو وقت يتاح للعبد فيه الرجوع إلى الله تعالى والإنابة إليه والانكفاف عن مواقع سخطه وغضبه، فبعد هذا العقد لم يبق له عذر يعتذر به، فما بقي بعده إلَّا ترقُّب الموت ولقاء الله تعالى، ألهمنا الله رشدنا وجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآية، معناه: أولست قد فسحتُ لكم في الأجل وأطلتُ أعمارَكم حتَّى وصلتُ بكم إلى سِنٍّ يتذكَّرُ فيها من يريدُ أن يتذكَّر ويتفكَّر. فماذا صنعتم في هذه المدَّة التي عشتموها. هذا يقال للكفار وأشباههم يوم القيامة تبكيتًا لهم.

وبهذا تمَّ تفسير سورة فاطر، وبه تمَّ الربع الثالث من القرآن الكريم، والحمد للّـه الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ يسٓ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة مكية اتِّفاقًا، وهي ثلاث وثمانون آية، وأهم أهدافها الكلام على البعث والنشور، وإقامة الأدلَّة والبراهين على ذلك، مع بيان آيات القدرة والتوحيد، وقصَّة أهل القرية. . .

مـن فضائلها

لا يصحّ شيء في فضلها إلاَّ الحديث التالي، وهو:

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ يس في ليلةٍ أصبحَ مغفورًا له، ومن قرأ حـٰمٓ التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفورًا له».

رواه الطيالسي رقم ١٩٧٠ مع المنحة، والدارمي ٣٤٢٠، وأبو يعلى ٦١٩٦، والطبراني في الصغير ٤١٧، والسياق لأبـي يعلى، غير أنه قال: «في ليلة جمعة»، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيِّد. قلت: بل سنده صحيح، عند الدارمي رجاله رجال الصحيح مع اختلاف في سماع الحسن من أبـي هريرة. وللشطر الأول شاهد عن جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة

ابتغاء وجه الله عزَّ وجلّ غُفِر له». رواه ابن حبَّان في صحيحه ٢٥٧٤ وسنده صحيح، وعنعنة الحسن لا تضر هنا.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر قصَّة أصحاب القرية ــ يقال: أنطاكية ــ وحالتهم مع الجماعة الذين أرسلوا إليهم لإرشادهم ودعوتهم إلى الله تعالى، ثم مجيء الرجل إليهم ــ يقال إنه حبيب النجار ــ داعيًا إيَّاهم ن يجيبوا الرسل، وما قص الله تعالى عنه في شأن القوم، آيات ١٣ إلى ٢٩.

٢ ــ التنصيص على جري الشمس في فلكها لمستقر لها، فمن قال إنها واقفة كان كافرًا بالآية الكريمة مكذِّبًا بها، آية ٣٨.

٣ ــ ذكر ختم الله تعالى على أفواه الكفار يوم القيامة فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، آية ٦٥.

٤ ــ تنزيه نبيِّنا ﷺ عن الشعر وإنشائِه وتعاطيه؛ لأنه لا يليق به، آية ٦٩.

٥ ــ ذكر آية تدل على أنَّ الله عزَّ وجلّ جعل النار من الشجر الأخضر... آية ٨٠.

٦ ــ لا تقرأ عند أمر عسير إلاَّ يسَّرَه الله تعالى؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره بعد أن أورد ما جاء في السورة.

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تُقرأ عند أمر عسير إلاَّ يسَّره الله تعالى، قال: وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح. وقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن صفوان بن عمرو[1] قال: كان

(١) صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي ثقة من رجال مسلم. يروي عن جبير بن نفير، وعن عكرمة. يروي عنه عبد الله بن المبارك وغيره.

المشيخة يقولون: إذا قُرِئت ــ يعني: يسٓ ــ عند الميت خفَّف الله عنه بها.

وقد جُرِّبَتْ قراءتها إحدى وأربعين مرَّة لتفريج الكروب ونيل المقاصد. وإنَّما الأعمال بالنيَّات، والله على كل شيء قدير.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١٢ **قوله تعالى: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سَلِمَة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنَّه بَلَغَني أنَّكُم تُرِيدون أَنْ تَنْتَقِلوا قُرْبَ المسجِدِ»، قالوا: نعم يا رسول الله، قد أَرَدْنَا ذلك، فقال: «يَا بني سلمة، دِيَارَكُم تُكْتَب آثَارُكم، دِيَارَكُم تُكْتَب آثَارُكم».

رواه مسلم في المساجد رقم ٦٥٥، وأحمد ٣/ ٣٣٣.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَا بني سلمة، ألا تحتسبون آثاركم».

رواه أحمد ٣/ ١٠٦، ٢٦٣، والبخاري في الأذان ٢/ ٢٨٠ مختصرًا، وفي الحج مطوَّلاً.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النُّقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ آثاركم تكتب»، فلم ينتقلوا.

رواه الترمذي ٣٠١٥ في التفسير وحسَّنه، والحاكم ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩، وصحَّحه ووافقه الذهبي. ويشهد له حديث ابن عبَّاس بنحوه، رواه ابن جرير ٢٢/ ١٥٤. قال الحافظ في الفتح ٢/ ٢٨١: أخرجه ابن ماجه، وإسناده قوي.

ظاهر حديثي أبي سعيد وابن عبَّاس أنَّ الآية نزلت بسبب بني سلمة، غير أنَّ الآية مكية وقصَّة بني سلمة كانت بالمدينة بعد الهجرة، ويجاب باحتمال نزولها مرَّتين. وفي البخاري معلقًا عن مجاهد: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ قال: خطاهم. وهذا أحد التفسيرين للآية، وأنَّ آثارهم هي خطواتهم للصَّلاة. والتفسير الثاني آثارهم التي آثروها من بعدهم فسنّوا للنَّاس سننًا إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، والله أعلم. وموقع ديار بني سلمة هو موضع مسجد القبلتين المعروف الآن.

٣٨ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾.

عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذرّ، أتدري أين تذهب هذه الشمس»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «تذهب تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يُقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، فيُقالُ لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلع من مغربها»، فذلك قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾.

وفي رواية: «تدرون متى ذاكُم، ذاكَ حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كَسَبَت في إيمانها خيرًا».

رواه أحمد ٥/ ١٧٧، ١٥٢، والبخاري في التفسير ١٠/ ١٦١ وفي بدء الخلق وفي

التوحيد، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٩٥، ١٩٦، وأبو داود في الحروف ٤٠٠٢، والترمذي في الفتن ٢٠١٦ وفي التفسير ٣٠١٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٣٩.

الكلام على الآية والحديث فيه بحثان، أوّلاً: في سجود الشمس، ثانيًا: في مستقرّها.

أما سجودها تحت العرش بين يدي الرب فتضاربت فيه الأقوال، والظاهر أنها دائمة السجود وليس لها وقت خاص بالسجود لا تسجد في غيره، فإنها إذا غربت على قوم طلعت على قوم آخرين، فسجودها مستمر، وهي مع سائر هذا العالم تحت العرش، لأنه سقف العالم أجمع بأرضه وسماواته، وجنَّته وناره، وهذا وأمثاله يجب الإيمان به على ما أراده الله ورسوله ﷺ.

أما مستقرها فلها استقرار مكاني وهو تحت العرش على ما سلف، واستقرار زماني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها. . .

وفي الآية والحديث دليل قاطع على أنَّ الشمس تمشي وتجري في فلكها كباقي الكواكب السَّيَّارة كما قال في آية أخرى في هذه السورة: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾. فالفكرة التي كانت تقول بوقوفها، هي فكرة خاطئة منحرفة، ومعتقدها كافر.

٦٥ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ: «أتدرونَ مِمَّ أضحك؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «مِن مُجادَلَةِ العبدِ ربَّه يوم القيامة يقول: رَبِّ أَلم تُجِرْني مِنَ

الظُّلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيزُ عليَّ إلاَّ شاهدًا مِن نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطِقي، فَتَنْطِقُ بعمله، ثُمَّ يُخَلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْدًا لكُنَّ وسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كنتُ أُناضِلُ».

رواه مسلم في الزهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٨، وتقدَّم في سورة النور، ويأتي في الانفطار أيضًا.

(٦٩) **قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: هل كان النبيُّ ﷺ يَتمثَّل بشيءٍ مِنَ الشِّعْرِ؟ قالت: كان يتمثَّل بشعر ابن رَوَاحة ويقول:

* ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ *

رواه البخاري في الأدب المفرد ٨٦٧، والترمذي في الاستئذان ٢٦٥٧، وفي الشَّمائل ٢٤١ وحسَّنه وصحَّحه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِىء جوفُ أحدِكُم قَيْحًا حتى يَرِيه خيرٌ له مِن أن يَمتلىء شِعرًا».

رواه البخاري في الأدب ١٣/ ١٦٧، ومسلم في الشعر ١٥/ ١٤، ١٥، وأبو داود ٥٠٠٩، والترمذي في الاستئذان ٢٦٦١، وابن ماجه ٣٧٥٩، وغيرهم.

قوله: تزود، بضم التاء وكسر الواو المشدَّدة، من التزويد، أي: قد يأتيك بالأخبار من لم تعطه زادًا بل يأتيك بها بالمجان. وقوله: يريه، بضم الياء الأولى وتفتح، أي: حتى يُفسده أو يهلكه، وقيل: حتى يصيب رئتيه.

والآية دالة على أنَّ النبي ﷺ لم يكن يعلم قرض الشعر، وأنَّه منزَّه عن ذلك؛ لأنَّ أغلبه كذب وخيال، ولذلك يقولون: أحلاه أكذبه، كما أنَّ أكثره في وصف الخمر والنساء وخدودهن وعيونهن ونهودهن وقدودهن... وكل

ذلك لا يليق بمطلق المؤمنين الملتزمين فكيف بمقام النبوَّة، وإنما كان يتمثَّل ببعض الأشعار المشهورة ممَّا فيها حكم، ولذا قال ﷺ: «إنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكَمًا».

٧٧ ٧٨ ٧٩ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾.

عن بشر بن جَحَّاش رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفه فوضع عليها أصبعه، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابنَ آدم، أنَّى تُعْجِزني وقد خلقتُك مِن مثلِ هذه، حتى إذا سَوَّيْتُك وعَدَلْتُكَ مشيتَ بينَ بُرْدَيكَ وللأرض مِنك وَئِيدٌ، فجمعتَ ومنعتَ، حتَّى إذا بَلَغَتِ التراقي، قلت: أتَصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدَقَة؟!».

رواه أحمد ٤/ ٢١٠ وسنده حسن على مذهب ابن رجب وابن كثير والعراقي.
وروى ابن جرير ٢٣/ ٣٠، ٣١، عن سعيد بن جبير برجال ثقات، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٠٢، عن ابن عباس أنَّ العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء، ففتَّه بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يُميتُكَ الله ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُك جهَنَّم»، ثم نزلت الآيات.

الإنسان من طبعه الأنانية والكبرياء، فرغم أنه ضعيف خُلِق من نطفة ثم علقة ثم مضغة... إلى آخر أطواره العجيبة، يتعاظم على الله خالقه ويعترِض عليه وينسبه للعجز، ويحكِّم عقله ويكذب ما جاءت به رسل الله تعالى من عنده.

٨٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يقول: يا عبادي، كُلُّكم مُذْنِبٌ إلاَّ مَن عافَيْتُ فاستغفروني أغفر لكم،

وكلكم فقير إلاَّ من أغنيتُ، إني جَوَّادٌ ماجدٌ واجدٌ، أفعلُ ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردتُ شيئًا فإنَّما أقول لَهُ كُن فيكون». . .

رواه أحمد ٥/ ١٧٧ بسند حسن وبعضه في صحيح مسلم.

الآية والحديث يدلاَّن على عظمة الله وقدرته، وأنه يتصرَّف في ملكه كيف يشاء لا يعجزه شيء أراده، وأنه إذا تعلقت قدرته وإرادته بإيجاد شيء أن يقول له كن فيكون بإذنه بدون مباشرة عمل، وهذا أمر فوق مستوى عقولنا فلا ندرك كنه ذلك، فسبحانه من إلـه عليم حكيم قدير، فله الملك كله وله الخلق كله وله الأمر كله، وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وبهذا تمَّت سورة يسٓ، فالحمد للّـه الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلَّى الله وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الصَّافَّاتِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي كسابقتها في النزول والأهداف مع ذكر بعض قصص مشاهير الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام كساداتنا نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإلياس ولوط ويونس، وآياتها اثنتان وثمانون.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها فيما يلي:

١ ــ إقسام الله عزَّ وجل بالملائكة الصافات، والزاجرات، والتاليات، بأنه تعالى إلٰه واحد، آيات ١ ــ ٤.

٢ ــ حشر الله تعالى يوم القيامة كل ذي شكل مع نظيره، الكافر مع الكافر، والمبتدع مع شكله، والسفاك مع قرينه، والظالم مع أعوانه ومؤيديه، والزاني مع شبيهه، والمرابي مع صاحبه وهكذا، آيتان ٢٢، ٢٣.

٣ ــ أمر الله تعالى ملائكته يوم القيامة بتوقيف الكفار وأشياعهم للسؤال، آية ٢٤.

٤ ــ ذكر قصة الصَّديقين المؤمن والكافر في الدنيا وما آل أمرهما في الآخرة، ومخاطبة المؤمن من الجنة الكافر وهو في النار، وقوله له: ﴿ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾، آيات ٥١ ــ ٥٧.

٥ ــ وصفه تعالى ثمر شجرة الزقوم وطلعها في النار برؤوس الشياطين، آيات ٦٢ ــ ٦٥.

٦ ــ بيان أن الباقين الآن من بني آدم إنما هم من سلالة نوح عليه السَّلام، آية ٧٧.

٧ ــ أن سيدنا إبراهيم كان من شيعة سيدنا نوح وأنصاره وأتباعه عليه الصَّلاة والسَّلام، آية ٨٣.

٨ ــ قولة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام للكفّار: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، آية ٨٩.

٩ ــ ذكر قصة خليل الرحمن ورؤياه في ذبح إسماعيل ولده عليهما الصلاة والسلام، وما وقع في ذلك من الابتلاء وتصديق الرؤيا والفداء بالذبح العظيم، آيات ١٠٢ ــ ١٠٧.

١٠ ــ ذكر قصة إلياس عليه الصَّلاة والسَّلام وإرساله لأهل بعلبكّ، آيات ١٢٣ ــ ١٣٢.

١١ ــ ذكر قصة نبي الله يونس عليه الصَّلاة والسَّلام ونبذه بالعراء وإنبات شجرة اليقطين عليه، آيات ١٣٩ ــ ١٤٨.

١٢ ــ بيان أن جند الله هم الغالبون، آية ١٧٣.

١٣ ــ اختتام السورة الكريمة بالتسبيح والتحميد بذكر صيغة لم تذكر في غيرها، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾، آيات ١٨٠ ــ ١٨٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿٧٧﴾ **قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾.**

عن سمُرة عن النبي ﷺ قال: «سامٌ أبو العرب، وحامٌ أبو الحبش، ويافث أبو الروم».

رواه أحمد ٥/٩، ١٠، ١١، والترمذي في التفسير ٣٠٢٠، والطبراني في الكبير

رقم ٦٨٧١، و١٨/ ١٤٥، ١٤٦، والحاكم ٢/ ٥٤٦، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة مع الحديث الشريف دالان على أن ما يوجد من البشر هم من ذرية نبي الله نوح عليه الصَّلاة والسَّلام الذين تناسلوا من أولاده الثلاثة المذكورين، وكان له ولد رابع كنعان غرق كافرًا مع من غرق في الطوفان.

٨٨ ٨٩ قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يكذب إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام غير ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله تعالى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هي أختي»...

الحديث في الصحاح والسنن مطولاً وقد سبق أن ذكرناه مع شرحه في الأنبياء، وقد ذكرته مع فوائده وعبره في عجائب الأقدمين.

وقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾، أي أراهم أنه ينظر في النجوم وأوهمهم أن النجوم تدل على أنه سيسقم غدًا وكان ذلك منه من المعاريض الجائزة، وليس من الكذب.

١٦٥ ١٦٦ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربِّهم»؟ قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يُتِمُّون الصف المقدَّم، ويتراصون في الصف».

رواه مسلم في الصلاة ٤٣٠، وأبو داود ٦٦١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤١، وفي المجتبى وابن ماجه ٩٩٢.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلنا

على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعل لنا ترابها طهورًا إذا لم نجد الماء، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي، ولا يعطى منه أحد بعدي».

رواه أحمد ٥/ ٣٨٣، ومسلم في المساجد ٥/ ٤، رقم ٥٢٢، وابن خزيمة ٢٦٤، وابن حبان ١٦٩٥، ٦٤٠٠ بالإحسان.

في الآية والحديث دليل على أنَّ الملائكة يصلون مصطفين، وأنهم يسوون صفوفهم ويتمُّونها وأننا ينبغي لنا أن نقتدي بهم في ذلك في صلاتنا وأن نتشبه بهم. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ هو من كلام الملائكة، أي نحن الواقفون في العبادة صفوفًا، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾، أي المنزهون الله عزَّ وجل عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه، نسبح الله في كل وقت وحين، قال المفسرون: في هذا الكلام رد على من قال: إن الملائكة بنات الله أو شركاء له، فها هم يعترفون على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له جلَّ علاه.

﴿١٧٧﴾ **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر فصلَّى عندها الغداة، فركب رسول الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى رسول الله ﷺ في زقاق بخيبر فانكشف فخذه حتى أني لأنظر إلى بياض فخذه فأتى خيبر فقال: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

رواه البخاري في الصلاة ٣٧١ وغيرها، ومسلم في غزوة خيبر من كتاب الجهاد والسير ١٢/ ١٦٣، ١٦٤.

زقاق: بضم الزاي طريق ضيق، ومعنى الآية الكريمة: فإذا نزل

العذاب بساحة، أي فناء المكذبين فبئس هذا الصباح صباحهم. والنبي ﷺ أشار بقوله هذا إلى الآية الكريمة، وأنه سينتصر على اليهود وأن العذاب سيحيق بهم.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات.

رواه أحمد ٢/٢٦، ٤٠، والنسائي في الكبرى، وفي المجتبى ٨٢٦، وابن خزيمة ١٦٠٦، وابن حبان ٤٧٠ بالموارد وسنده صحيح.

الحديث يدل على أن التخفيف المأمور به في السنَّة هو تخفيف نسبي، فالسور فيها ما هو طويل وأطول ووسط وقصير، فمن قرأ بالبقرة مثلاً فقد أطال، لكن من قرأ بِـ ق، أو بالصفات، فقد خفف بالنسبة للبقرة، وهكذا من قرأ بوسط القصار كسبِّح والشمس وضحاها، فالنبي ﷺ كانت أحواله في صلاته تختلف، فتارةً يقرأ بالطوال، ومرة بالوسط، وتارةً بالقصار كالمعوذتين، كل ذلك كان يفعله تشريعًا لأمته التي تختلف أفرادها قوة وضعفًا

وبهذا تمت سورة الصافات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ صٓ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي كسابقتها وآياتها ثمان وثمانون.

من خصائص هذه السورة

١ ـ تعجب الكفار من كونه ﷺ منذرًا لهم من البشر وأنه جعل الآلهة إلـٰهًا واحدًا، آيتا ٤، ٥.

٢ ـ قصة داود عليه الصَّلاة والسَّلام وشأن الخصمين الذين تسوَّرا عليه المحراب وتحاكما إليه وما حصل له في ذلك، آيات ٢١ ـ ٢٥.

٣ ـ قصة سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام وعرض الخيل الصَّافنات الجياد عليه وما وقع له معها من مسح سوقها وأعناقها، آيات ٣١ ـ ٣٣.

٤ ـ فتنته عليه الصَّلاة والسَّلام وإلقاء الجسد على كرسيه، آية ٣٤.

٥ ـ سؤاله اللّـٰهَ مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، آية ٣٥.

٦ ـ قصة أيوب عليه الصَّلاة والسَّلام وشفاؤه بالغسل والشرب من العين النابعة، آيتا ٤١، ٤٢.

٧ ـ حلفه على ضرب زوجته، وأمر الله إياه بالوفاء بيمينه وأن يضربها بضغثٍ ضربةً واحدة وأن لا يحنث، آية ٤٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرض أبو طالب فجاءته قريشٌ وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه قال: وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمةً تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة، فقال: «يا عم قولوا لا إله إلاَّ الله»، فقالوا: إلـهًا واحدًا! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلاَّ اختلاق، قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾.

رواه أحمد ١/ ٢٢٧، والترمذي في التفسير ٣٠٢١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٢، أبو يعلى ٢٥٨٦، وابن حبان ١٧٥٧، والحاكم ٢/ ٤٣٢، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صححه الحاكم والذهبي.

تعجُّب الكفار مما قال لهم رسول الإسلام عليه الصَّلاة والسَّلام هو من أعجب العجاب، فلَو كانت لهم عقول يهتدون بها لما تعجبوا من وحدة الألوهيَّة، ولما تأخروا عن إجابته إلى ما دعاهم إليه؛ ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

(٢٤) **قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها.

رواه البخاري في سجود القرآن وفي الأنبياء والترمذي في سجود القرآن ٥١٥، والدارمي ١٤٧٥، وأبو داود ١٤٠٩، والنسائي وغيرهم.

وعنه قال: إن النبي ﷺ سجد في ص وقال: «سجدها داود عليه الصَّلاة والسَّلام توبةً ونسجدها شُكرًا».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٢، والبيهقي ٢/ ٣١٩، ورجاله ثقات.

وعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه سئل عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ. . . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٨٤ ــ ٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدِيَ به، فسجدها داود عليه الصَّلاة والسَّلام فسجدها رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٦٤.

في هذه الأحاديث الشريفة بيان للآية الكريمة وأن السجود فيها مشروع في ديننا تبعًا لسجود نبي الله داود عليه السَّلام الذي سجدها توبة لله عزَّ وجل، ونسجدها شكرًا، وليست من العزائم كباقي السجدات التي شرعها لنا رسول الله ﷺ ووردت العزيمة على فعله.

(٣١) **قوله تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبَّت ريحٌ فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رُقاع فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس، قال: «وما هذا

الذي عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرسٌ له جناحان؟» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى بدت نواجذه.

رواه أبو داود ٤٨٩٤ في الأدب، والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٠٦، ٣٠٧ في عشرة النساء، وابن حبان ٥٨٦٤، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ٢١٩ بسندٍ صحيح.

في الحديث جواز اتخاذ البنات من صور الحيوانات للتدريب على التربية وأن ذلك مرخص فيه للفتيات الصغار... وأنها مستثنيات من تحريم اتخاذ الصور. وفي الحديث فطنة مولاتنا عائشة وفقهها رضي الله تعالى عنها. وفيه موافقة الزوجة على لعبها وعدم الإنكار عليها، وجواز الضحك بالقهقهة لمن لا يتَّخذ ذلك عادةً له.

٣٣ **قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾.**

عن أبـي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾، قال: «قطع سوقها وأعناقها».

رواه الطبراني في الأوسط ٦٩٩٣، قال النور في المجمع ٧/ ٩٩، وفيه سعيد بن بَشِير وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات. فالحديث حسن.

الحديث موافق لقول جمهور المفسرين من أن سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام جعل يمسح سوق الخيل وأعناقها بالسيف، وردَّ هذا التفسير بعضهم، منهم: ابن جرير فاختار المسح الحقيقي واستنكر القطع بالسيف، ولكنه يخالف الحديث وقول الجمهور، والله تعالى أعلم.

٣٥ **قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبـي ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع عليَّ الصلاة،

فأمكنني الله تعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فردَّه خاسئًا.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٦٧، وفي أول الصلاة، وفي بدء الخلق، وفي الأنبياء، ومسلم في المساجد رقم ٥٤١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٣.

ونحوه عن أبـي الدرداء عند مسلم ٥٤٢، وعن عائشة عند النسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٢ بسندٍ صحيح.

في الحديث بيان عظمة رسول الله ﷺ وقوته الجسمية والروحية حيث ألقي القبض على العفريت من الجن وأراد ربطه ثم أطلق سراحه. وفيه تأدبه ﷺ مع نبـي الله سليمان عليه السَّلام وأنه لولا سؤال سليمان ربه أن لا يكون بعده من يتحكم في العفاريت مثله لأخذه وأوثقه في إحدى سواري المسجد حتى يصبح فينظر الناس إليه موثقًا ويلعب به صبيان المدينة كما جاء في رواية، ولله في خلقه شؤون.

(٥٠) **قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾.**

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبر على وجهه في جنات عدن».

رواه البخاري في التفسير ٤٨٧٩، وفي التوحيد ١٧/ ٢٠٦، رقم ٧٤٤٤، ومسلم في الإيمان رقم ١٨٠، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٤٥، وابن ماجه ١٨٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٣.

رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وغيرها ثابتة بطريق التواتر عن النبـي ﷺ، ونص عليه القرآن الكريم وأجمع عليها أهل السنة، وأنكر ذلك المعتزلة والجهمية والإمامية الروافض وغيرهم من أهل البدع.

وقوله: إلَّا رداء الكبر على وجهه، هو من أحاديث الصفات، ومذهب السلف إجراؤه على ظاهره كما جاء من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. وقال بعضهم: المراد برداء الكبر الحجاب الذي جاء في صحيح مسلم: «فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم منه».

رواه مسلم في الإيمان عقب حديث الباب، وانظر كتاب التوحيد من فتح الباري ١٧/٢٠٦.

(٥٨) (٥٩) **قوله تعالى:** ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في جسدٍ طيب، اخرجي حميدة وأبشري برَوْحٍ وريحان وربٍّ غير غضبان، يقولون ذلك حتى تخرج، ثم يصعد بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ وربٍّ غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة.

وإذا كان الرجل السوء قيل: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغسَّاق وآخر من شكله أزواج، فيقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة فلن تُفتح لكِ أبواب السماء.

رواه أحمد ٢/٣٦٤، ٣٦٥، ٦/١٤٠، والنسائي في الكبرى ٦/٤٤٣، ٤٤٤، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٢، وغيرهم وسنده صحيح، وله شاهد عن البراء مطولاً ذكرته بتمامه في مشاهد الموت، وتقدم أيضًا في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

الشاهد من الحديث قوله: وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله، والحميم هو الماء الحار الذي بلغ النهاية في الغليان، والغساق ما يسيل من صديد أهل النار ودمائهم، ثم عذاب آخر من مثل هذا العذاب وشكله أزواج كالسَّموم والزمهرير وأصناف العذاب وأنواعه عياذًا بالله تعالى منه.

(٦٩) **قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ـ قال: أحسبه قال في المنام ـ، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال، فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدت بردها بيني ثديي أو قال: في نحري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات المكث في المسجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد! إذا صلَّيت فقل: اللَّـهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبَّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

رواه أحمد رقم ٣٤٨٤، والترمذي في سورة ص ٣٠٢٢ وسنده صحيح. وله شاهد عن معاذ بن جبل بنحوه رواه أحمد ٥/ ٢٤٣، والترمذي ٣٠٢٣، والحاكم ١/ ٥٢١، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه وفيه. . . «فتجلى لي كل شيء وعرفت». وقال في الدعاء: «اللَّـهمَّ إني أسألك فعل الخيرات. . . ـ بعد «حب المساكين» ـ وأن تغفر لي وترحمني. . .» إلخ. وله شاهد ثان. رواه أحمد ٤/ ٦٦، ٥/ ٣٧٨، والحاكم ١/ ٥٢٠، ٥٢١، من حديث عبد الرحمن بن عائشة، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

حديثا ابن عباس ومعاذ عظيمان؛ فيهما فوائد جمَّة نقتصر منها على ما فيه الحاجة:

أولاً: رؤية الله في المنام جائزة عند الجمهور.

ثانيًا: قوله: «فوضع يده...»إلخ، هو من أحاديث الصفات، فالله لا يوصف بجارحة، والرؤيا المنامية هي مجرَّد تمثيل.

ثالثًا: قوله: «فعلمت ما في السموات وما في الأرض»، وفي الرواية الثانية: «فتجلى لي كل شيء وعرفت».. فيستدل بذلك على أن الله أطلع نبيه ﷺ على كل شيء أراد اطلاعه عليه مما في السموات وما في الأرض، ومنه ما في اللوح المحفوظ.

رابعًا: أن إسباغ الوضوء والمشي إلى الجماعات وانتظار الصلاة من أفضل القربات، وأن ذلك من مكفرات الذنوب.

خامسًا: أن إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل من الدرجات، وحق لهذه الخصال أن يكون أصحابها من أهل الدرجات.

سادسًا: أن ما ذكر في الحديث من هذه الخصال هي من الأمور التي يتحدث بها ملائكة الله في السموات العلى، غير أن الاختصام الوارد في الآية هو اختصامهم في شأن خلق آدم عليه السَّلام، وهو المفسر في الآية بعد هذا وهو: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾...﴾ الآيات.

وبهذا تمت سورة ص، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الزُّمَرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي كسابقتها في نزولها وأهدافها، وهي خمس وسبعون آية.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر قولة الكفار المشهورة في شأن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، آية ٣.

٢ ــ بيان أنَّ الله تعالى يخلق الإنسان في بطن أمه في ثلاث ظلمات، آية ٦.

٣ ــ أنَّ الله عزَّ وجلّ لا يرضى لعباده الكفر ويرضى لهم الشكر من الإيمان وطاعته، آية ٧.

٤ ــ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، آية ٩.

٥ ــ تبشير المؤمنين الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، آية ١٨.

٦ ــ إنزال الله الماء من السماء فيسلكه في تخوم الأرض ينابيع ومسالك وعيونًا، آية ٢١.

٧ ــ الويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، وإنهم في ضلال مبين، آية ٢٢.

٨ ــ القرآن كتاب متشابه مثاني تقشعِرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم... إلخ، آية ٢٣.

٩ ــ الإخبار عن رسول الله بأنه سيموت كما يموت الآخرون، آية ٣١.

١٠ ــ ذكر الوفاتين: الكبرى: الموت، والصغرى: النوم، آية ٤٢.

١١ ــ بيان أنَّ قلوب المشركين تنفر وتنقبض عند ذكر الله تعالى وحده، وإذا ذكر غيره ــ من الأوثان وغيرها ــ استبشروا، آية ٤٥.

١٢ ــ ذكر آية الرجاء العظيمة: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾، آية ٥٣.

١٣ ــ بيان أنَّ من أشرك بالله حبط عمله وكان من الخاسرين، آية ٦٥.

١٤ ــ أنَّ الأرض قبضة الله يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، آية ٦٧.

١٥ ــ بيان نفخة الصعق ثم نفخة القيامة، آية ٦٨.

١٦ ــ إشراق الأرض يوم القيامة بنور ربها ووضع الكتاب ومجيء النبيِّين والشُّهداء، آية ٦٩.

١٧ ــ سَوق الكفار والمتَّقين يوم القيامة زمرًا زمرًا، أي: جماعات، آيات ٧١ إلى ٧٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿٩﴾ **قوله تعالى:** ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل يعوده فوافقه وهو في الموت، فسلَّم عليه وقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، فقال: بخير يا رسول الله، أرجو الله عزَّ وجلّ وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لن يجتمعا في قلبِ رجلٍ عند هذا الموطِن إلاّ أعطاه اللّـهُ ما رجاهُ وأمَّنه ممَّا يخافُ».

رواه الترمذي في الجنائز ٨٧٥ بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦١، وأبو يعلى في مسنده رقم ٣٢٩٠، ٣٤٠٤ وسنده حسن، وحسنه الترمذي والمنذري، وجوَّده النووي.

الآية الكريمة تخبر بأنه لا يستوي من هو قائم بالليل ساجدًا وقائمًا يخاف موقف يوم القيامة ويرجو رحمة ربه مع من هو كافر أو منحرف غافل عن الله تعالى، بينما الحديث الشريف يدل على أنَّ من استوى خوفه ورجاؤه عند الموت، كان من المهتدين المفلحين سيعطيه الله عزَّ وجلّ ما تمنَّاه وأمله ويؤمنه مما يخشاه، والله ذو الفضل العظيم. ففي الآية والحديث بيان مقامَي الخوف والرجاء.

١٠ **قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَن أذهبتُ كَرِيمتَيه فاحتسب وصبر، لم أرض له ثوابًا دون الجنَّة».

رواه الترمذي ٢٢٢١ بتهذيبي، والنسائي في التفسير ٦/ ٤٤٥، وابن حبان ٧٠٧، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، ونحوه عند البخاري في المرض رقم ٥٦٥٣، والترمذي ٢٢٢٠ عن أنس.

في الآية الكريمة فضل عظيم للصَّابرين على البلاء ونحوه، وأنهم يعطون أجورهم بلا وزن ولا عدد، وراجع ما سبق في سورة البقرة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

أما الحديث الشريف فهو موافق للآية؛ لأنَّ ذهاب البصر مصيبة عمياء، فمن صبر على فقده لم يكن له جزاء يماثله إلاَّ الجنة، ونعم الجزاء لمن لا يتسخط ولا يتضجر...

٢٠ **قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾.**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهل الجنة يَتَراءَوْنَ أهلَ الغُرف مِن فوقهم كما تَراءَوْنَ الكوكب الدُّرِّيّ الغابرَ

في الأُفُقِ من المشرق أو المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يَبْلُغَها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصَدَّقُوا المرسلين».

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٢٥٦، ومسلم رقم ٢٨٣١ في الجنة. وفي رواية عن سهل بن سعد: «إنَّ أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء»، رواه البخاري في الرقائق ٦٥٥٥، ٦٥٥٦، ومسلم ٢٨٣٠، في الجنة أيضًا. وعن أبي هريرة نحوه أيضًا، رواه أحمد ٢/ ٣٣٩، والترمذي في صفة الجنة ٧٣٧٣ وحسَّنه وصحَّحه.

في الآية وما ذكر من الأحاديث فضل عظيم للمتَّقين لا يتصوَّر، حيث إنَّ الله عزَّ وجلّ بفضله وكرمه سيكرمهم بالغرف في أعلى الجنان، حتى إنَّ سكَّان الجنَّة ليتراءونهم كما نتراءى في الدنيا الكوكبَ الدُّرِّيّ البعيد المدى في السماء.

﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، قلت: يا رسول الله، أَتُكَرَّرُ علينا الخصومةُ بعد الذي كان بيننا في الدنيا، قال: «نعم»، فقال: إنَّ الأمر إذًا لشديدٌ.

رواه أحمد ١/ ١٦٧، والترمذي في التفسير ٣٠٢٤، والحاكم ٢/ ٤٣٥، وحسَّنه وصحَّحه الترمذي، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الآية الكريمة إخبار الباري جلَّ علاه نبيّه ﷺ بأنه لا بدَّ وأن يموت ويفارق هذه الحياة كما سيموت الآخرون، ثمَّ إذا كانت القيامة كان الخصام بين الناس فيما كانوا فيه من الشرك والكفر والإيمان فيفصل بينهم فصل عدالة بلا ظلم ولا شطط.

(٤٢) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

عن أبـي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن في سفر ذات ليلة قلنا: يا رسول الله، لو عرَّسْتَ بنا؟ قال: «إنِّي أخاف أن تناموا فمن يُوقِظُنا للصَّلاة؟»، فقال بلال: أنا يا رسول الله، فَعرَّسَ القومَ فاضطَجَعُوا وأُسنَد بِلالٌ إلى راحِلَتِه فغلبتْهُ عيناه فنام فاستيقظ النبـي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يا بلال، أين ما قلتَ؟»، قال: ما أُلْقِيَتْ عليَّ نومةٌ مثلها قط، قال: «إنَّ اللَّـهَ قبَضَ أرواحَكُم حينَ شاءَ وردها عليكم حين شاءَ، يا بلال قُم فأذِّن في النَّاس بالصلاة»، فتوضَّأ فلما ارتفعت الشمس وابيضَّت قام فصلَّى.

رواه البخاري في المواقيت ٥٩٥، وفي التوحيد رقم ٧٤٧١، وأبو داود فيمن نام عن الصلاة ٤٣٩، ٤٤٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٥، وفي المجتبى... وفي الباب عن أبـي هريرة عند مسلم وغيره.

الآية مع الحديث يدلاَّن على أنَّ النوم موت وقبض لروح الإنسان، فلا يبقى له شعور ولا شيء مما تتَّصف به حياته إلاَّ تنفُّسه فتقبض روحه، فإن كان أجلها قد انتهى أمسك الله روحه، وإلاَّ أرسلها حتى تقطع أشواطها في هذه الحياة ويتمّ أجلها، ولذلك قال ﷺ: «إنَّ اللَّـهَ قبَضَ أرواحَكُم...» إلخ.

وللحديث فوائد وأحكام ليس هذا محل بسطها.

(٤٦) قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سُئِلَت: بأيّ شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّـهُمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض،

عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اِهْدِني لما اخْتُلِفَ فيه مِن الحقِّ بإذنك، إنك تَهدِي مَن تشاء إلى صراط مستقيم».

رواه مسلم في صلاة الليل ٦/ ٥٦، ٥٧.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، مُرْني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: «اللَّـهُمَّ فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، ربَّ كل شيء ومليكه، أَشْهَدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ أنتَ، أعوذُ بكَ مِن شرِّ نفسي ومِن شرِّ الشَّيطان وشِرْكِه». وزاد في رواية: «وأن أقْتَرِف على نفسي سوءاً أو أَجُرَّه إلى مُسلمٍ»، قال: «قله إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ وإذا أخذتَ مَضْجَعَكَ».

رواه أحمد رقم ٥١، ٥٢، ٦٣، ٨١، وأبو داود، والترمذي في الدعوات ٣١٧٢، والدارمي ٢٦٩٢، وابن حبان ٢٣٤٩، والحاكم ١/ ٥١٣، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي والنووي والحافظ، والرواية الثانية رواها الترمذي ٣٣٠٠، ٣١٧٢، عن ابن عمرو بسند صحيح.

كلا الحديثين فيهما اقتباس من الآية الكريمة، والحديث الأول يدل على مشروعية ما فيه من الذكر والدعاء عند افتتاح صلاة الليل ونعم الدعاء والتوجُّه والتوسُّل. أما الثاني فيدل على مشروعية ذكر ما فيه صباحًا ومساءً وعند إرادة النوم، فينبغي للمسلم أن يحرص على ذكره؛ ففيه الإقرار لله عزَّ وجلّ بالإبداع والعلم والربوبية له تعالى ووحدانيته وملكيته لكل الكائنات، كل ذلك مقدم بين يدي الاستعاذة والتحصُّن به تعالى من شر النفس والشَّيطان وشركه واقتراف الذنوب. . .

(٥٣) قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ ناسًا من أهل الشرك قد قتَلُوا فأكْثَرُوا، وزَنَوْا فأكْثَرُوا، ثُمَّ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقول وتدعو

إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارةً، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان]، ونزلت: ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٧٠، ومسلم في الإيمان في كون الإسلام يهدم ما قبله ٢/ ١٣٩، ١٤٠، وأبو داود في الملاحم ٤٢٧٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٦، وفي تحريم الدم من المجتبى، وغيرهم.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالي».

رواه أحمد ٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، والترمذي ٣٠٢٥، بتهذيبي بسند صحيح، وشهر ثقة تُكُلِّمَ فيه بغير حجة كما قال النووي في شرح مسلم وفي شرح المهذب.

وهذه الآية الكريمة ذكر العلماء أنها من أرجى الآيات في القرآن للعصاة، فهي مع ما ذكرنا من الحديثين تدل على سعة رحمة الله عزَّ وجلّ وعظيم فضله وشمول مغفرته لكل الناس، وأنه تعالى لا يتعاظمه ذنب مهما فحش وعظم، وأنَّ مجرَّد الإقبال عليه تعالى والإنابة إليه يوجب المغفرة والعفو، فله الحمد على ما منَّ به علينا وتكرَّم.

﴿٥٧﴾ **قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أهل الجنَّة يقول: لولا أنَّ الله هداني؛ فيكون له شكرًا، وكلُّ أهل النار يقولون: لو أنَّ الله هداني، ليكون عليه حسرة».

رواه أحمد ٢/ ٥١٢، والنسائي ٦/ ٤٤٧، والحاكم ٢/ ٤٣٥، وسنده صحيح وصحَّحه الحاكم على شرطهما وأقرَّه الذهبي.

فالحديث بيان أنَّ كل الناس سيتمنّون يوم القيامة أن لو كان هداهم الله غير أنَّ المؤمن يكون له ذلك شكرًا، بينما الكافر يكون عليه ندامة وحسرة كما نطقت به الآية الكريمة هنا.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يُريدُ أن يُفْطِر، ويفطر حتى نقول: ما يريدُ أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل والزمر.

رواه أحمد ٦/ ٦٨، ١٢٢، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٧، وفي الدعوات ٣١٨٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٤، وفي الصيام من المجتبى، والحاكم ٢/ ٤٣٤، وسنده صحيح عند بعضهم.

في الحديث مشروعية قراءة هاتين السورتين عند النوم كقراءة (الم) السجدة و (تبارك) الملك، والمُسَبِّحَاتِ السبع، وفَّقَنا الله تعالى لقراءة ذلك.

(٦٧) قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنَّا نجد أنَّ الله تعالى يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وفي رواية: فضحك... تعجُّبًا لما قال وتصديقًا له.

رواه أحمد ٣٥٩٠، ٤٣٦٨، والبخاري في التفسير ١٠/ ١٧١، وفي التوحيد ١٧/ ٢١٤، ١٦٩، ١٧٠، ومسلم في أول صفة القيامة رقم ٢٧٨٦، والترمذي ٣٠٢٦، والنسائي ٦/ ٤٤٦، ٤٤٧، كلاهما في التفسير.

وعن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقْبِضُ اللَّـهُ الأرض ويَطوِي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوكُ الأرض».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٧١، وفي التوحيد ١٦٨/٧، ومسلم في القيامة رقم ٢٧٨٧، والنسائي في التفسير ٦/ ٤٤٨. ونحوه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، رواه البخاري في التوحيد ١٧/ ١٦٧، ومسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٨٨، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوي الله عزَّ وجلّ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون، أين المتكبِّرون، ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون، أين المتكبِّرون». وفي رواية: «يأخذ الله عزَّ وجلّ سمواته وأَرَضِيه بيديه فيقول: أنَا الله، ويقبض أصابعه ويبسُطها، أنا الملك». حتى نظرت إلى المنبر يتحرَّكُ من أسفلِ شيءٍ منه، حتى إني لأقولُ: أساقِط هو برسول الله ﷺ؟. وكلا اللفظين لمسلم.

ما في الآية والأحاديث من ذكر اليمين والشمال والأصابع هي من صفات الله الذاتية، ومذهب السلف في أمثال هذه مما يوهم التجسيم والجارحة لله عزَّ وجلّ هو إمراره كما جاء من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.

وقد تكلَّف وتعسَّف جماعة من الخلفيين في تأويل ما في هذه الأحاديث وذهبوا في ذلك بعيدًا عن الحق والصواب، وقد أنصف هنا الإمام ابن بطال رحمه الله فقال: لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد. وقال الحافظ في الفتح:

والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإنَّ كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد. هذا وقد أبعد النجعة بعض الأشاعرة المتأخِّرين فزعم أنَّ أحاديث الباب شاذَّة رغم أنَّها في الصحيحين، وتلقَّاها العلماء بالقَبول.

أما ضحك النبي ﷺ فكان تصديقًا للحبر وليس تكذيبًا له كما زعم البعض. قال النووي: ظاهر السياق أنه ضحك تصديقًا له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر.. إلخ.

وردَّ الحافظ على من أنكر هذه الأحاديث وقال: إنَّ في ذلك طعنًا على ثقات الرواة وردًّا للأخبار الثابتة... انظر: كتاب التوحيد من الفتح ١٧/ ١٧١، وكتاب التفسير لهذه السورة ١٠/ ١٧١.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، أي: ما عظموه حق عظمته، وما أعطوه الصفات اللائقة به مع ما له من الجلال والعظمة والكبرياء، وأنَّ السموات السبع والأرضين السبع على عظمها وكبرها واتِّساعها هي عند الله تعالى يوم القيامة شيء ضئيل جدًّا، وكيف لا، والكل خلقه وتحت ملكه وتصرُّفه.

وفي قوله تعالى: «أنا الملك، أين ملوك الأرض، أين الجبَّارون، وأين المتكبِّرون»، فيه إظهار لعظمته وتفرُّده بالملك الكامل الذاتي، وأنَّ كل ملكٍ وجبَّار ومتكبِّر كانت ملكيته مَجازية ومستعارة وإن زعم أنه يملك ويصول ويجول، ففي ذلك اليوم العظيم تضمحل كل الادِّعاءات ويبقى الملك لله الواحد الأحد، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أتدري ما سَعَةُ جهنَّم، قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حَدَّثَتْنِي

عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله، قال: «على جسر جهنَّم».

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٣٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٧، والحاكم ٢/ ٤٣٦، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

تقدَّم نحو هذا السؤال والجواب عنه في سورة إبراهيم، عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾، وهناك توسَّعنا شيئًا ما، فارجع إليه.

٦٨ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال يهودي في سوق المدينة: لا والذي اصطفى موسى على البشر، قال: فرفع رجل من الأنصار يده فصكَّ بها وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، إن لي ذِمَّةً وعهدًا، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ لطمتَ وجهه»، قال: قال يا رسول الله، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عُرِفَ الغضبِ في وجهه، ثمَّ قال: «لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله، فإنه يُنفخ في الصور فيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أوَّل من بُعِثَ، أو في أوَّل من بُعِث، فإذا موسى عليه السلام آخِذٌ بالعرش فلا أدري أَحُوسِبَ بِصَعْقَته يوم الطور أو بُعِث قبلي، ولا أقول: «إن أحدًا أفضل من يونس بن مَتَّى».

رواه البخاري في الأنبياء ٧/ ٢٤٠، وفي التفسير ١٠/ ١٧٢، وفي الخصومات رقم

٢٤١١، وفي الرقاق ٦٥١٧، وفي التوحيد رقم ٧٤٧٢، ومسلم في فضائل موسى ١٥/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، رقم ٢٣٧٣، وأبو داود ٤٦٧١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٨، والترمذي في التفسير ٣٠٣٠ بألفاظ. وانظر تخريجي لأحاديث الشفاء ص ١٤٢.

النهي عن التفضيل بين الأنبياء محمول على ما يؤدِّي إلى النزاع والفتن، وإلاَّ فنبيّنا ﷺ سيِّد الناس وأفضلهم إطلاقًا، وقد فضَّل الله بعض الرسل على بعض كما هو نصّ القرآن. وفي الحديث فضل سيِّدنا موسى عليه الصلاة والسلام ومزية له حيث سيوجد آخذًا بقوائم العرش قبل بعثة الناس، ويكون كما قال نبيّنا ﷺ إما قام قبله أو لم تصبه الصعقة عند النَّفخة فيكون ممَّن استثناه الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النَّفختين أربعون»، قالوا: يا رسول الله، أربعون يومًا؟ قال: «أَبيْت»، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «أَبَيْت»، قالوا: يا رسول الله، أربعون سنةً؟ قال: «أبيت»، قال: «ثُمَّ يُنزِل الله تبارك وتعالى مِنَ السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلاَّ يبلَى إلاَّ عظمٌ واحدٌ وهو عَجْب الذَّنَب»، قال: يعني فيه يركب الخلق يوم القيامة.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٧٢، وفي الأنبياء، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٥٥، وأبو داود في السُّنَّة ٤٧٤٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٩، وفي الجنائز من المجتبى، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٦، وكذا أحمد ٢/ ٣٢٢، ٤٢٨، ٤٩٩، وغيرهم.

قوله: «أَبَيت»، أي امتنعت من القول بتعيين العدد لأنه لم يرد فيه نص. و «عجب الذنب»، بفتح العين وسكون الجيم، هو: عظم لطيف في أصل الصلب، وهو مكان رأس الذنب. و «النفخة الأولى» هنا، هي: نفخة الصعق التي يموت عندها كل الأحياء. أما الثانية: فنفخة القيام لرب العالمين.

وعن أبـي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرن القرنَ وحنى جبهته وأصغى سمْعه ينتظر أن يؤمر أن ينفُخُ فَيَنْفُخ». قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حَسْبُنَا اللّـه ونِعم الوكيل، توكَّلنا على اللّـه»، وربما قال سفيان: «على اللّـه توكلنا».

رواه أحمد ٣/ ٧، ٧٣، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٥٢، وفي التفسير ٣٠٢٨ بتهذيبـي، وحسَّنه. ولا يضرّ هنا عطية العوفي، فقد رواه ابن ماجه ٢٥٦٩ من غير طريقه، ثم إن له شاهدًا عن أبـي هريرة رواه الحاكم ٤/ ٥٥٩ بسند صحيح على شرط مسلم، فالحديث صحيح.

قوله: كيف أنعم، بفتح الهمزة والعين، أي: كيف تطيب لي الحياة والعيش والملك صاحب القرن قد تهيأ للنفخ... يقول هذا ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا فأزيد.

وفي الحديث فضل «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وأنه ينبغي قولها عند الشدائد والأهوال، فمن كفاه الله لا يضام...

وبهذا تمَّت سورة الزمر، والحمد للّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى اللّـه وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ غَافِرٍ ﴾
«المؤمن»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي مكية، وآياتها خمس وثمانون، وهي تمتاز بالشدة والعنف مع الكفار والصراع بين الحق والباطل.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ابتداء ذكر السور الحواميم، وهي سبع سور: بدايتها هذه السورة «غافر» ونهايتها سورة الأحقاف، وهذه أسماؤها على الترتيب في المصحف الكريم: غافر، فصلت (السجدة)، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. وكلها مكيات.

٢ ـ ذكر حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يستغفرون للذين آمنوا، آيات ٧ ـ ٩.

٣ ـ ذكر مناداة الملائكة الكفار يوم القيامة: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، آية ١٠.

٤ ـ الإخبار بأن الله عزَّ وجل أمات الناس وأحياهم مرتين كما سيعترف به

الكفار يوم القيامة عند مشاهدتهم الأهوال والشدائد فيسألون الرجعة للدنيا، آية ١١ .

٥ ـ إخباره عزَّ وجل بأنه يعلم خائنة الأعين، آية ١٩ .

٦ ـ ذكر قصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه وبيان إرشاداته التي وجهها لفرعون وقومه وما آل إليه حاله، آيات ٢٨ ـ ٤٥ .

٧ ـ الدلالة على أن يوسف عليه الصَّلاة والسَّلام كان رسولاً إلى أهل مصر قبل كليم الله موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، آية ٣٤.

٨ ـ عتو فرعون وطغيانه وإسرافه حتى قال لوزيره هامان: ابنِ لي صرحًا لعلي أبلغ أسباب السموات فأطلع إلى إلـه موسى. آيتان ٣٦، ٣٧ .

٩ ـ عرض الكفار على النار في البرزخ بعد موتهم غدوًّا وعشيًّا، آية ٤٦ .

١٠ ـ إن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، آية ٥٧ .

١١ ـ الأمر بدعاء الله عزَّ وجل ووعده بالاستجابة وذم المستكبرين في ذلك، آية ٦٠ .

١٢ ـ فرح الكفار واللادينيين بما عندهم من العلم حينما جاءتهم رسل الله بالبينات والعلوم الإلـهية كما هو حال الناس اليوم في عصرنا، آية ٨٣.

١٣ ـ لا ينفع أحدًا إيمانه عند مشاهدة بأس الله وعذابه، آية ٨٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١٤ **قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ .**

عن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال: كان عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: «لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، لا إلـه إلاَّ الله ولا نعبد إلاَّ إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء

الحسن، لا إلـه إلاَّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». قال: وكان رسول الله ﷺ يهلِّل بهنَّ دبر كل صلاة.

رواه أحمد ٤/ ٥، ومسلم في المساجد ٥/ ٩١، ٩٢، وأبو داود ١٥٠٦، ١٥٠٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٤٩، وفي السهو من المجتبى.

في الحديث مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات الخمس وهو ذكر عظيم الأهمية يشتمل على توحيد الله عزَّ وجل ونفي الشريك عنه، والإقرار له بالنعمة مع الثناء عليه وإخلاص الدين والعبودية له، وذلك بأن تكون خالية عن أي شائبة من الشرك الأكبر والأصغر، وأن لا يراد بها إلاَّ الله عزَّ وجل وحده. والمراد بقوله: «فادعوه. . .» إلخ، أي أخلصوا العبادة لله وحده.

قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾. ﴿٢٨﴾

عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلِّي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبـي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٢٠٤، والبخاري في أوائل السيرة النبوية ٨/ ١٦٨، وفي التفسير ١٠/ ١٧٥، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٠، وابن إسحاق في السيرة ومن طريقه أحمد ٢/ ٢١٨، مطولاً من حديث عمرو بن العاص. وللحديث شواهد عن علي وأنس وأسماء بنت الصديق.

الآية الكريمة جاءت تتحدث عن قول مؤمن آل فرعون لقومه في شأن رسالة نبـي الله موسى ودعوته عليه الصَّلاة والسَّلام، وقالها أبو بكر رضي الله تعالى عنه لكفار قريش في دفاعه عن رسول الله ﷺ، والحديث يدل على

شدة ما لقيه عليه الصَّلاة والسَّلام من كفار قريش من الإذاية وهذا يعد أشدها كما قال ابن عمرو، ومثل هذا ما صنعوه معه في وضع سلا الجزور على عنقه الشريف وهو يصلي ﷺ.

(٤٦) **قوله تعالى:** ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبـي ﷺ قال: «ألاَ إنَّ أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، حتى يبعثه الله يوم القيامة».

رواه أحمد ٢/ ١١٣، والبخاري في بدء الخلق رقم ٣٢٤٠، ومسلم في الجنة ١٧/ ٢٠٠، ٢٠١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٠، وفي الجنائز من المجتبـى.

الآية الكريمة استدلَّ بها أهل السنَّة على عذاب البرزخ والقبور، وهي نَـصٌّ فـي عـذاب الأرواح، وجـاءت السنـة بثبـوت عـذاب الأجسـام أيضًـا، والأحاديث بثبوت فتنة القبور وعذابه كثيرة متواترة، ومع ذلك فقد أنكرها المعتزلة ومن لفَّ لفهم من أهل البدع وهوَّنوا من أمر القبور.

(٦٠) **قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾.

عـن النعمـان بـن بشيـر رضـي الله تعـالـى عنهمـا قـال: سمعـت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العِبادة»، ثم قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٤/ ٢٧١، ٢٧٦، وأبو داود ١٤٧٩، والترمذي في التفسير ٢٧٨٠، ٣٠٣٤، وفي الدعوات ٣١٥٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٠، وابن ماجه ٣٨٢٨، وابن حبان ٢٣٩٦، والحاكم ١/ ٤٩٠، ٤٩١، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي.

الحديث يدل على أن الدعاء يطلق على العبادة، وأنه أعلى وأرفع

أنواعها وأشرفها، والآية الكريمة دلَّت على مشروعية الدعاء، وأن من لم يدع الله عزَّ وجل فهو مستكبر وأنه سيدخل جهنم داخرًا، أي ذليلاً مهانًا، وجاء في حديث آخر: «من لمْ يسأل الله يغضب عليه».

وبهذا تمت سورة غافر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ فُصِّلَتْ ﴾

«السجدة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

نزلت بعد ما قبلها، وآياتها أربع وخمسون، وأهدافها بيان بعض أسس الإيمان، كالكلام على القرآن والوحي والرسالة ودلائل التوحيد.

من خصائص هذه السورة

١ ــ قولة الكفار المقيتة حول القرآن ودعوة رسول الله ﷺ: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ ﴾، آية ٥.

٢ ــ ذكر آية يستدل بها الأصوليون وغيرهم على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ . . . ﴾، آيتان ٦، ٧.

٣ ــ بيان حقيقة فيها إعجاز علمي وهي أن السماء كانت أولاً دخانًا من بخار الأرض التي كانت خلقت قبلها، وهو الذي وصل إليه العلم الحديث التجريبي، آية ١١.

٤ ــ بيان أن الله عزَّ وجل خاطب السماء والأرض بقوله: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾، آية ١١.

٥ ـ قولة الكفار أيضًا في شأن القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾، آية ٢٦.

٦ ـ ذكر آية الدعاة إلى الله وفضلهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، آية ٣٣.

٧ ـ ذكر الآية الثانية الدالة على حفظ القرآن من الباطل، آيتان ٤١، ٤٢.

٨ ـ بيان أن كل ما كان يقال للرسول من التكذيب والقذف بالباطل كان يقال لإخوانه السابقين من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، آية ٤٣.

٩ ـ إخباره عزَّ وجل بأنه سيرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وهذا من الإعجاز العلمي، وقد أرانا تعالى آياته في المخترعات المدهشة والطائرات والأقمار الاصطناعية والتلفاز والراديو والفكس والحاسوب والبرق والتلغراف وعلم الطب بجميع أصنافه وأنواعه وعلم الفلك وعلم طبقات الأرض وغيرها من العلوم التي تصدق هذه الآية الكريمة وأنها من كلام خالق الكائنات العالم بالظواهر والخفيَّات، فلا إله إلاَّ هو، ولا صانع ولا مؤثر سواه، آية ٥٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿١﴾﴿٢﴾﴿٣﴾ قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم ورسول الله ﷺ في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أمورًا لعلَّه أن يقبل منها بعضها ويكف عنا، قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث

فيما قال له عتبة، قال رسول الله ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، قال: فأفعل. فقال رسول الله ﷺ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فمضى رسول الله ﷺ فقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد؟» قال: سمعت، قال: «فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم.

رواه ابن إسحاق مع الروض ١/ ١٨٥، ١٨٦، مرسلاً بسندٍ حسن. ورواه متَّصلاً عبد بن حميد، وأبو يعلى ٢/ ٢٠٣، والبغوي في التفسير ٦/ ٨٩ من حديث جابر بن عبد الله. ورواه أبو نعيم في الدلائل ١٨٢، من طريق ابن أبي شيبة، وأورده النور في المجمع ٦/ ٢٠ برواية أبي يعلى، وقال: فيه الأجلح الكندي وثَّقه ابن معين وغيره، وضعَّفه النسائي وغيره، وباقي رجاله ثقات.. فالحديث حسن.

وفي الحَديث بيان عظمة القرآن الكريم، وأن كل من كان يسمعه من العرب يتعجب من بلاغته وفصاحته وما ينطوي عليه من البيان... وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، وفي ذلك معجزة من معجزاته البيانية...

وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ﴾، أي بيِّنت معانيه ووضحت أحكامه ومواعظه وأمثاله في حال كونه قرآنًا عربيًا واضحًا نزل بلسان العرب ليعلموا تفاصيل آياته ودلائل إعجازه.

(١٦) **قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نصِرتُ بالصَّبا وأهلِكتْ عاد بالدَّبُورِ».

رواه أحمد ١/ ٢٢٣، ٢٢٨، ٣٢٤، ٣٣٣، والبخاري في بدء الخلق ٧/ ١١٠، وفي المغازي، ومسلم في الاستسقاء رقم ٩٠٠، ٦/ ١٩٧، وغيرهم. ويأتي في الذاريات وفي القمر.

و «الصبا» بفتح الصاد المشددة هي الريح الشرقية، والدبور الريح الغربية. و «الريح الصرصر» هي الشديدة الصوت والهبوب والبرودة، و«الأيام النحسات»، أي المشؤومات.

وفي الحديث إخبار منه ﷺ عن بعض جنود الله عزَّ وجل التي يبعثها على من يشاء، وهي هنا الريح، ذلك الجند الذي لا يقاوم، فأخبر بأن نصره كان بالريح التي تهب من ناحية الشرق وهي التي أرسلها تعالى على الأحزاب يوم الخندق: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ . . . ﴾ الآية، أما قوم عاد فأهلكهم الله بالريح التي تأتي من جهة المغرب وهي كما قص الله تعالى في كتابه عنهم في غيرما سورة.

(٢٢) **قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) ﴾.**

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: اجتمع ثقفيان وقرشي عند البيت فقال بعضهم: أترى الله يعلم ما نقول، قال بعضهم: إذا أخفينا لم يعلم، وإذا

جهرنا علم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ . . .﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٨٢، وفي التوحيد رقم ٧٥٢١، ومسلم في صفات المنافقين ١٧/ ١٢٢، رقم ٢٧٧٥، والترمذي في التفسير ٣٠٣٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥١، بألفاظ من أتمها الآتي قال: «اختصم عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليلٌ فقه قلوبهم، كثيرٌ شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمعه إذا أخفينا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ . . .﴾ الآية.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ . . .﴾ الآية، قال: إنكم تدعون مُفْدمًا على أفواهكم بالفِدَام، فأول شيء يبين على أحدكم فخذه وكفه.

رواه أحمد ٥/ ٣، ٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥١، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٧٠، ٣٢٧١، وابن حبان ١٢٨٦ بالموارد، والحاكم ٢/ ١٨٧، ١٨٨، وصحَّحه الحاكم والذهبي وسنده حسن، وهو صحيح لطريقين له وهو عند بعضهم مطولاً وبعضهم مختصرًا.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لما رجعت مهاجِرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية منهم: يا رسول الله بينا نحن جلوس مرت علينا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قُلَّة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، ثم قالت: ستعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم أمري

وأمرك عنده غدًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت، صدقت، كيف يُقدِّس الله قومًا لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم».

رواه ابن ماجه في الفتن ٤٠١٠، وأبو يعلى رقم ١٩٩٩، وابن حبان ١١/ ٤٤٤، ٤٤٥، وهو حديث صحيح لشواهده عن ابن عباس وبريدة وأبـي سعيد وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وعائشة. وانظر مخرجيها في حواشي ابن حبان.

قوله: «مفدمًا على أفواهكم بالفدام»، الفدام بكسر الفاء ما يشد على الكوز والإبريق من خرقة لتغطية الشراب الذي فيه، ومعناه: أنهم يمنعون الكلام بأفواههم ويختم عليها لتتكلم جوارحهم.. وقولها: «يا غُدَر»، بضم الغين المعجمة وفتح الدال صيغة مبالغة للغادر.

والآية وهذه الأحاديث كلها دالة على أن الأسماع والأبصار والأفخاذ والأكف والجلود كلها ستشهد على الإنسان يوم القيامة بما عمل في هذه الحياة من خير أو شر، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية من شؤون عباده مهما استتر الإنسان أو تغيب عن الأبصار فإن الله عزَّ وجل معه ينظر إليه ويراقبه.

(٢٣) قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن بالله الظن، فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/ ٣٩٠ بهذا السياق وسنده محتمل للتحسين، وأصله في صحيح مسلم ١٧/ ٣٠٩، وسنن أبـي داود ٣١١٣، وابن ماجه ٤١٦٧، ورواه أحمد في مواضع ٣/ ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٤.

وفي الآية والحديث مشروعية حسن الظن بالله عزَّ وجل في كل شيء

وذم ظن السوء به؛ فإن ذلك من أسباب الردى والهلاك، وفي الحديث الصحيح الآخر: «أنا عند ظن عبدي بـي».

(٣٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

عن سفيان الثقفي رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم». قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه. وفي رواية قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه، ثم قال: «هذا»، وفي رواية: «قل ربـي الله ثم استقم».

رواه أحمد ٣/ ٤١٣ و ٤/ ٣٨٥، والترمذي في الزهد ٢٢٣٠، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٢، ورواه مسلم في الإيمان ٢/ ٨، ٩ مختصرًا.

الاستقامة هو الثبات على الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلي عن الفواحش والذنوب... وهذا هو المطلوب من العبد، ولذلك قالوا: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة.

والحديث موافق للآية الكريمة وأن من آمن بالله عزَّ وجل وما يتبع ذلك من كلبات الإيمان ثم لزم طاعة الله وداوم على ذلك فقد حاز كل خير، فلا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه أهل العلم، وفي الحديث وجوب الحذر من سقطات اللسان وفلتاته فإنه ذو حدين فهو مصدر لكل خير وكل شر، نسأل الله عزَّ وجل الحفظ من آفاته.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

عن أبـي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن

الله يخوف بهما عباده». وفي رواية: «وإذا كان ذلك فادعوا وصلوا حتى ينكشف ما بكم».

رواه البخاري في الكسوف ٣/ ٢٠١ وغيره، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٢، وفي المجتبى. وورد عن جابر وأبي موسى وعائشة وابن عمرو وابن عباس وأُبي بن كعب وغيرهم، وهي أحاديث متواترة.

الآية والحديث يدلان على أن الشمس والقمر من جملة آيات الله الكونية الدالة عليه وأنهما مخلوقان مسخران مذللان لا يملكان لأنفسهما شيئًا لا سيرًا ولا وقوفًا، فكيف يُتَّخذان آلهة من دون الله تعالى أو يعتقد لهما التأثير في هذا الكون؟!.

وبهذا تمت سورة فصلت السجدة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الشُّورَىٰ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة آياتها ثلاث وخمسون، ومحورها يدور حول الوحي والقرآن والرسالة والبعث ودلائل التوحيد.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر تلك الآية العظيمة التي هي روح التوحيد في النفي والإثبات: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾، فمن اعترف بوجود الله تعالى ووحدانيته وأثبت له أسماءه وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ونزهه عمَّا لا يليق به من سمات الحدوث والنقائص: كان موحدًا وبريئًا من التشبيه والتعطيل، آية ١١.

٢ ــ دين الأنبياء وهو التوحيد واحد، وهو الذي وصف به أكابر أولي العزم كنوح ونبينا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وأمرهم الله أن لا يتفرَّقوا فيه، آية ١٣.

٣ ــ ورود آية فريدة من نوعها في القرآن الكريم اشتملت على عشر كلمات مستقلَّات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها، وقالوا:

لا نظير لها سوى آية الكرسي، وهي قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾، وهذا إعجاز بالغ الأهمية، آية ١٥.

٤ ـ ذكر آية اللطيف: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾، آية ١٩.

٥ ـ ذكر آية تدل على أنَّ من تحاكم لغير الله واتخذ دينًا غير دين الله كان قد اتخذ مع الله شريكًا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾، آية ٢١.

٦ ـ ذكر آية مودة قربى رسول الله ﷺ، آية ٢٣.

٧ ـ بيان سنَّة الله في عباده وهو أن يغيثهم بالمطر بعد قنطهم ويأسهم، آية ٢٨.

٨ ـ بيان حكمته تعالى في عباده بأن جعلهم نوعين بالنسبة للإنجاب، فمنهم عقيم لا يلد أبدًا، ومنهم منجب، ثم منهم من يهبه تعالى إناثًا ومنهم من يمنحه ذكورًا، ومنهم من يزوجه ذكورًا وإناثًا، إنه عليم قدير، آيتان ٤٩ و ٥٠.

٩ ـ ذكر أنواع الوحي الإلـٰهي وأقسامه، آية ٥١.

١٠ ـ تسمية القرآن روحًا. . . آية ٥٢.

١١ ـ بيان أنَّ رسول الله ﷺ لم يكن له علم بالقرآن ولا بتفصيل شرائع الإيمان قبل أن يوحى إليه، وإنَّما علَّمه الله عزَّ وجلّ ما لم يكن يعلم، آية ٥٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٣) قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقًا».

رواه البخاري في بدء الوحي ١/ ٢٠، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٨٨، والترمذي في المناقب ٣٤٠٩.

«الصلصلة» هي الصوت. و «الجرس» بفتح الجيم والراء الناقوس. «فيفصم» من الثلاثي والرباعي، أي يقلع عني. «وعيت»: حفظت، «ليتفصَّد»، أي ليسيل بالعرق.

الوحي له معانٍ فيطلق على الإشارة، وعلى الإلهام، وعلى ما ذكر هنا، وله مراتب ستأتي آخر السورة، والحديث يدل على عظمة الوحي وثقله وأنه لا يطيقه إلاَّ من جعل الله تعالى فيه قوة روحانية، وليس ذلك إلاَّ للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

(٧) قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قال: قلنا: لا، إلاَّ أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا، ثم قال للذي في

يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا».

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذًا نعمل إن كان هذا أمر قد فُرغ منه، قال رسول الله ﷺ: «سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيَّ عمل، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: فرغ ربّكم عزَّ وجل من العباد، ثم قال باليمنى فنبذها فقال: فريق في الجنة، ونبذ باليسرى فقال: فريق في السعير».

رواه أحمد ٢/ ١٦٧، والترمذي في القدر ١٩٧٣ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٢، ٤٥٣، وسنده صحيح، ولذا حسَّنه الترمذي وصحَّحه.

ما في هذه الحديث الشريف من الأمور لا تتحملها العقول، حسبنا الإيمان بما قال نبينا ﷺ. ولكونه فوق مستوى العقول البشرية أنكره بعض المحدثين. . وهو خطأ؛ فإن لهذا الحديث مثلاً وهو حافظتنا، فهي حاملة لمحفوظاتٍ غير محصاة، بحيث لو كتبت لجاءت في مجلدات. وقد تكلَّم على معناه شخصيتان من كبار رجال التصوف هما ابن العربي الحاتمي في الفتوحات المكية ومولانا الشريف عبد العزيز الدباغ كما في الإبريز لتلميذه ابن المبارك، وتكلم عليه أستاذنا السيد أحمد الصديق في بعض كتبه ورد على ابن حبان الذي أنكره، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث دليل على أن من كتب سعيدًا أو شقيًّا لا يتبدل أبدًا، وهو ظاهر الآية الكريمة، فريق في الجنة وفريق في السعير، مع حديث: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي».

وقوله في الحديث: «سددوا»، أي اطلبوا بأعمالكم السداد والقصد في الأمر، وقاربوا واتركوا الغلو والتقصير.

١٣ قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد.

رواه أحمد ٢/ ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٤١، والبخاري في الأنبياء ٧/ ٢٩٩، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١١٩، وأبو داود في السنة ٤٦٧٥، وابن حبان ١٤/ ٧٤، ٧٥، ٣١٧.

أولاد العَلَّات: الإخوة لأب من أمهات شتى، ويقال للأشقاء أولاد الأعيان. قال العلماء: معنى الحديث أن أصل إيمان الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة فهم متَّفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف حسب مصالح الأمم التي بعث فيها الرسل عبر الأجيال، فالدين المذكور في الآية هو أصوله اتفاقًا.

٢٣ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ... ﴾ الآية، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عجلتَ، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، قال: إلاَّ أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

رواه البخاري في المناقب رقم ٣٤٩٧، وفي التفسير ١٠/ ١٨٥ رقم ٤٨١٨، والترمذي في التفسير ٣٠٣٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٣.

ومعنى الآية الكريمة، أي: لا أطلب منكم أجرة على التبليغ، وإنما

أطلب منكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضًا. واختلف المفسرون في توجيه الآية؛ فابن عباس حملها على أن يوادوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينه وبينهم فيكون الخطاب على هذا خاصًا بقريش، وذهب سعيد بن جبير وعلي بن الحسين والسدي وعمرو بن شعيب إلى أن يوادوا أقارب النبي ﷺ فيكون الخطاب عامًا، والآية محتملة للأمرين، والله تعالى أعلم.

(٢٥) **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

رواه أحمد ٢/ ١٣٢، ١٥٣، والترمذي في الدعوات رقم ٣٣٠٤ بتهذيبي، وابن ماجه ٤٢٥٣، وابن حبان ٢/ ٣٩٥، وبالموارد رقم ٢٤٤٩، والحاكم في التوبة ٤/ ٢٥٧، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٩٠، وسنده حسن، أما الحاكم فصححه ووافقه الذهبي، وكذا جزم بصحته أحمد شاكر.

الأحاديث في هذا الباب كثيرة، والتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته وهي مقبولة من الكافر والمسلم على السواء بنص القرآن والسنة المتواترة إذا وقعت بشروطها، وهي الإقلاع عن الذنب أيًا كان والعزم على عدم الرجوع إليه والندم والاستغفار، وهي مقبولة في كل زمان ومكان ما لم تصل الروح إلى الحلقوم وهي الغرغرة المذكورة في الحديث، وما لم تطلع الشمس من مغربها، أو جاء بأس الله وعذابه، ففي هذه الأحوال الثلاثة لا تقبل أصلاً وإن صدر من العبد ما صدر (آمَنَ، بَكَى، اسْتَعْتَبَ)، لا يقبل منه شيء، فالآية الكريمة مطلقة قيدتها آيات أخرى وأحاديث نبوية.

(٣٠) **قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدَّثنا بها رسول الله ﷺ؟: « ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾، وسأفسرها لك يا عليّ: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يُثنِّي عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا، فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه».

رواه أحمد ١/ ٨٥، وأبو يعلى ٤٥٣، وأورده النور في المجمع ٧/ ١٠٤، وأعلَّه بأزهر بن راشد. لكن للحديث طريقًا آخر عند أحمد ١/ ٩٩، ١٥٩، والحاكم ٢/ ٤٤٥، بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ولفظه: «من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به فاللَّهُ أعدل من أن يُثنِّي عقوبتَه على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه، فالله أكرمُ من أن يعود في شيء قد عفا عنه».

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلاَّ بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ـ قال: وقرأ ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾».

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٣٨. وهو وإن كان سنده مجهولاً فإن له شاهدًا عن الحسن مرسلاً، رواه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٧٨، بسندٍ صحيح. وفي الباب آثار تؤيد الحديث، بل في الموضوع أحاديث في الصحيحين وغيرهما في معنى ما ذكرنا.

الآية وما ذكرنا تدل على أن ما يصاب به الإنسان من نكبات ومحن وبلايا... هو من كسبه وما عملت يداه من السقطات والذنوب وذلك في الغالب.

وبهذا جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ۝٣٦﴾ [الروم: ٣٦]، وقال في آية ثانية: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ۝٤٨﴾ [الشورى]، ومن لطف الله عزَّ وجل

بعبده أن جعل له ما يصيبه من بلاء ومحن. . كفارة لما صدر منه من سيِّئات. . وما يعفو الله عنه أكثر. ولذا جاء في الحديث الصحيح: «لا يزال البلاء بالعبد في نفسه، وأهله، وماله، حتى يلقى الله وليس عليه ذنب».

(٤٠) **قوله تعالى**: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله تعالى عنه والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ!! قال: «إنه كان معك ملك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا أبا بكر ثلاث كلهنَّ حق: ما من عبدٍ ظلم بمظلمة فيُغضي عنها الله تعالى إلاَّ أعزَّه الله تعالى بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلاَّ زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلاَّ زاده الله بها قلَّةً».

رواه أحمد ٢/ ٤٣٦، وأبو داود في باب الانتصار من كتاب الأدب رقم ٤٨٩٦، ٤٨٩٧، وسنده حسن، ويلاحظ أنَّ أبا داود أخرجه متصلاً ومرسلاً.

في الحديث كالآية استحباب العفو عن المسيء والحلم وعدم مقابلة الجاهل السفيه بالمثل، وأنه ينبغي للمظلوم الصبر وحبس النفس عن الانتصار وليعلم أن عند رأسه ملكًا يدافع عنه ويكذِّب الشاتم، وفيه أن الشيطان يحضر عند التخاصم وأنه ينبغي للمؤمن مفارقة مجالس الخصومة، وفي الحديث غير ذلك مما هو واضح منه.

(٤١) **قوله تعالى**: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قالت عائشة رضي الله

تعـالى عنها: مـا علمت حتى دخلت عـليَّ زينـبُ بغيـر إذن، وهي غضبـى، ثـم قالت: يـا رسول الله أحسبك إذا قلبتْ لك بنت أبـي بكـر ذُرَيْعَتَيْها[1].
ثم أقبلت عليَّ، فأعرضتُ عنها، حتى قال النبـي ﷺ: «دونكِ فانتصري»، فأقبلتُ عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها، ما تردُّ عليَّ شيئًا فرأيت النبـي ﷺ يتهلَّل وجهه.

رواه أحمد وابنه في الزوائد ٦/ ٩٣، والبخاري في الأدب المفرد ٥٥٨، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء، وفي التفسير ٦/ ٤٥٣، وابن ماجه ١٩٨١ وسنده صحيح.

الانتصار عند الظلم لا مانع منه كما في الآية الكريمة، وكما صدر من السيدة عائشة مع ضرتها السيدة زينب رضي الله تعالى عنهما، وكان ذلك بإذن من النبـي ﷺ وبحضوره وإن كان الأولى عدم الانتصار كما سبق في الآية قبلها. . .

(٥١) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في رُوعي أنَّ نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

رواه البغوي في شرح السنَّة عن ابن مسعود مسندًا، وعن المطلب مرسلاً مطولاً ومختصرًا ١٤/ ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥. والحديث صحيح له شواهد: عن جابر رواه ابن مـاجـه ٢١٤٤، وابـن حبـان ٨/ ٣٢، ٣٣، ٣٤، والحـاكـم ٢/ ٤، والبيهقـي ٥/ ٢٦٤، ٢٦٥، وأبو نعيم ٣/ ١٥٦، ١٥٧، وسنده صحيح على شرط مسلم. وله شاهد ثانٍ عن أبـي أمامة، رواه أبو نعيم ١٠/ ٢٦، ٢٧، فالحديث صحيح.

قولـه: «روح القـدس»، في روايـة «الروح الأمين» وهـو جبريل عليـه

---

(١) تصغير ذِرَاعَيْنِ.

السَّلام. وقوله: «نفث»، النفث شبيه بالنفخ. وقوله: «في رُوعي» بضم الراء، أي في خَلَدي ونفسي، ومعناه أوحي إلي.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً ودَينًا، قال: قال: «ألا أبشِّرك بما لقي أباك»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «ما كلَّم الله أحدًا قط إلاَّ من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلَّمه كفاحًا، فقال: تمنَّ عليَّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانيةً، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يُرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

رواه أحمد ٣/ ٣٦١، والحميدي ١٢٦٥، والترمذي في التفسير ٢٨١٦، وابن ماجه ٢٨٠٠، وابن حبان ١٥/ ٤٩٠، ٤٩١، والحاكم ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤، وأبو يعلى ٢/ ٢٦٧، وسنده حسن.

في الحديثين مع الآية الكريمة بيان لأنواع الوحي وأنه ثلاثة أنواع: وحي، ويشمل الرؤيا والإلهام. أو من وراء حجاب، كما كلَّم نبي الله موسى ونبينا ليلة الإسراء صلوات الله وسلامه عليهما. أو بواسطة جبريل، وهو إما أن يُلقي في رُوعه ما يؤمر بإلقائه، أو يأتيه في صفة رجل.. فيحدثه بما يأتي به من عند الله عزَّ وجل. والكلام على هذا الموضوع له محل آخر إن شاء الله تعالى.

وبهذا تم الكلام على سورة الشورى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الزُّخْرُفِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة كسابقتها تهتم بالعقيدة وأصول الدين، وآياتها تسع وثمانون.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر تلك النعمة العظيمة، وهي تسخير المركوبات البرية والبحرية، وإرشادنا إلى تسبيح الله عزَّ وجل وذكره ودعائه عند ركوبنا، آيات ١٢ ــ ١٤.

٢ ــ قولة جهلة العرب ومشركيهم بأن الملائكة إناث، آية ١٩.

٣ ــ تشابه القلوب والأقوال والسلوك في تقليد الآباء، آيتان ٢٢، ٢٣.

٤ ــ قولة الكفار في شأن إنزال القرآن: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، آية ٣١.

٥ ــ بيان الحكمة وسر الله عزَّ وجل في تفاضل الناس في الأرزاق، آية ٣٢.

٦ ــ لو فرض وجعل الناس أمة واحدة كافرة لمتعهم الله ونعمهم وأتحفهم بجميع أنواع المتع والتحف، آيات ٣٣ ــ ٣٥.

٧ ــ جرت سنَّة الله فيمن أعرض عنه عزَّ وجل أن يقيض له شيطانًا مصاحبًا له، آية ٣٦.

٨ ــ ضرب الله عزَّ وجل المثل بسيدنا عيسى عليه السَّلام، فيضج الكفار ويصدون عن سبيل الله عزَّ وجل ويقولون: ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ... ﴾، آيات ٥٧ ــ ٥٩.

٩ ــ جعل نزول سيدنا عيسى عليه السَّلام علامة للساعة، آية ٦١.

١٠ ــ كل الأخلاَّء والأصدقاء سيكونون يوم القيامة بعضهم لبعض عدوًّا إلاَّ المتقين، فيقال لهم: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ... ﴾، آيات ٦٧ ــ ٦٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿١٢﴾ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا
﴿١٣﴾ تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ
﴿١٤﴾ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

عن علي بن ربيعة رحمه الله تعالى قال: شهدت عليًّا رضي الله تعالى عنه أتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله»، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله»، ثم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، ثم قال: «الحمد لله» ثلاثًا، «الله أكبر» ثلاثًا، «سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت»، ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعتُ ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال:

ربِّ اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، قال: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري».

رواه أحمد ١/ ٩٧، ١١٥، ١٢٨، والطيالسي ١٣٢، وأبو داود ٢٦٠٢، والترمذي في الدعوات رقم ٣٢٢١ بتهذيبي، والنسائي في السير من الكبرى ٥/٢٤٨، وابن حبان ٦/ ٤١٤، ٤١٥، والحاكم ٢/٩٨، ٩٩، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه وهو صحيح على شرط الشيخين عند بعضهم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ «كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا وقال: « ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾، اللَّـهُمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى ومن العملِ ما ترضى، اللَّـهمَّ هوِّن علينا سفرنا هذا، واطو عنّا بعده، اللَّـهمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّـهمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد»، فإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

رواه أحمد ٢/ ١٤٤، ١٥٠، ومسلم في الحج ٩/ ١١٠، ١١٢، وأبو داود ٢٥٩٩، والترمذي في الدعوات ٣٢٢٢، وابن حبان ٦/ ٤١٢، ٤١٣، والحاكم ٢/ ٢٥٤ من طرق.

قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾، أي ما كنا لهذا المركوب مطيقين قهره وإذلاله حتى نركبه لولا تسخير الله إياه لنا. والمراد بالأزواج في الآية أصناف المخلوقات وأنواعها من الحيوان والنبات وغير ذلك.

وفي الآية الكريمة بيان عظمة القدرة الإلـهية وما أنعم الله تعالى به علينا من تسخير هذا الكون وما فيه من حيوان وأنعام ومركوبات برية وبحرية. وإذا كان هذا الامتنان الإلـهي جاء في عصر كان أهله يستخدمون الأنعام والسفن البسيطة، فكيف بما أظهره تعالى لأهل هذا العصر من هذه

الأنواع المركوبة المدهشة كالسيارات والقطارات والطائرات والبواخر العظيمة التي تكون أشبه شيء بمدينة فوق البحر؟!!

وفي الحديثين مشروعية قول هذه الأذكار والأدعية والاستغفار عند الركوب، وفي حديث الإمام علي رضي الله تعالى عنه فضل إقرار العبد لله بذنبه واستغفاره منه واعترافه بأنه لا يغفر الذنب سواه...

٣٥ **قوله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.**

عن عمر رضي الله تعالى عنه في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه في مشربة، أي غرفة، وفيه أنه دخل عليه وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوُها ليف قال: فرأيت أثر الحصير في جنبه.. فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسِّع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا، ثم قال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب، أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية: فابتدرت عيناي، قال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» قلت: وما لي لا أبكي؟! وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلاَّ ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك!! فقال: «يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا»، قلت: بلى...

رواه أحمد ١/ ٣٤، والبخاري في العلم وفي النكاح وفي التفسير ١٠/ ٢٨٤، ومسلم في الطلاق ١٠/ ٨٢، ٩٢، والترمذي في التفسير ٣١٠٠ وغيرهم.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة، ولبس الحرير والديباج، وقال: «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة».

رواه أحمد ٥/ ٣٨٥، ٣٩٧، والبخاري في الأطعمة رقم ٥٤٢٦، وفي اللباس ٥٨٣٧، ومسلم في اللباس رقم ٢٠٦٧، وباقي الجماعة.

لا ريب أن الآخرة هي خاصة بالمتقين لا حظَّ فيها للكافرين. وفي الحديثين أن متاع الدنيا لا عبرة به لأنه شيء ضئيل، وأن المؤمن ينبغي له أن يكون همه دائمًا الدار الآخرة، ولا يعبأ بهذا المتاع الفاني، ولا يطمئن به ولا ينظر إلى ما متع به الكفار وأتباعهم وأشباههم ممن يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، وأن يكون راضيًا بالآخرة دون الدنيا، كما قال نبينا ﷺ لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. وفي حديث حذيفة تحريم استعمال الحرير والذهب والفضة، وعلَّل النبي ﷺ ذلك بكونها من شأن الكفار ومتعهم في الدنيا وأنها لنا خاصة في الآخرة.

٥٥ **قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.**

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتَ الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه له، ثم تلا: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

رواه أحمد ٤/ ١٤٥، وابن جرير ٧/ ١٩٥، وابن أبي حاتم رقم ١٢٩٠، والطبراني في الكبير ١٧/ ٣٣٠، والبيهقي في الشعب رقم ٤٥٤٠. وهو حديث صحيح لطرقه، غير أن ذكر هذه الآية لم يأتِ عند هؤلاء المخرجين إلاَّ في رواية عند ابن أبي حاتم رقم ١٨٥١٠، وكذلك أورده هنا في الدر المنثور ٧/ ٣٨٤، وابن كثير في التفسير. وفي سنده ابن أخي ابن وهب وهو مجهول لم أهتدِ لمعرفته، وباقي رجاله ثقات، وابن لهيعة روى عنه هنا عبد الله بن وهب.

والحديث تقدم في سورة الأنعام في آية: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٤٤]. فهنالك الكلام على معناه.

وقوله تعالى هنا: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾، أي أغضبونا.

(٥٨) **قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾.**

عن أبـي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجَدَل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية.

رواه أحمد ٥/ ٢٥٢، ٢٥٦، والترمذي ٣٠٣٩، وابن ماجه ٤٨، والحاكم ٢/ ٤٤٧، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم.

الجَدَل بفتحتين: الخصومة بالباطل. ومعنى الآية الكريمة: أن الله لما ذكر عيسى عليه السَّلام في القرآن وضرب المثل بالآلهة التي عُبدت من دون الله عزَّ وجل ضجَّ الكفار وارتفعت أصواتهم بالصياح: وقالوا آلهتنا خير أم هو، يعنون عيسى، وقالوا: فإن كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا معه، فقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ...﴾ الآية، أي ما قالوا لك هذا القول إلاَّ على وجه الجدل والمكابرة لا لطلب الحق، فهم قوم شديدو الخصومة واللجاج بالباطل، والحديث يدل على أن من أراد الله به الضلال صرفه إلى كثرة الجدال، ففيه ذم النزاع والخصام سواء كان ذلك في الدين أو في الدنيا.

(٦١) **قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لقد علمت آية في القرآن ما سألني عنها أحدٌ قط، فما أدري أعلِمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها؟ ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلتُ: أنا لها إذا راح غدًا، فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس، ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها؟ فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها؟ قال: نعم، إن رسول الله ﷺ، قال لقريش: «يا معشر قريش، إنه ليس أحدٌ يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان

نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فلئن كنتَ صادقًا فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾، قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ. . .﴾ الآية، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السَّلام قبل يوم القيامة.

رواه أحمد ١/٣١٧، ٣١٨، والطبراني في الكبير رقم ١٢٧٤٠ بسندٍ حسن، أما الشيخ أحمد شاكر فصحَّحه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، أي أن عيسى لعلامة على قرب الساعة، يعني نزوله وخروجه من أشراطها وعلامات قيامها الكبرى، وقد تواترت بذلك الأحاديث، وأفردها بالتأليف جماعة من العلماء. وقوله: «لعلم»، قرئت بكسر العين وسكون اللام، وبفتحهما.

﴿٧٧﴾ **قوله تعالى:** ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء، قال ﷺ: «فحانت الصلاة وأممتهم فلما فرغت من الصلاة، قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفت إليَّ فبدأني بالسلام».

رواه مسلم في الإيمان رقم ١٧٢.

القرآن يدل على أن مالكًا اسم خازن النار، يعني رئيس ملائكة النار وخزنتها، وهم تسعة عشر كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وبهذا تمت سورة الزخرف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الدُّخَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها تسع وخمسون، وأهدافها ترسيخ العقيدة وبيان كلياتها.

من خصائص هذه السورة

١ ــ فيها ذكر الليلة المباركة المبهمة التي بينت في سورة القدر وأنه يفرق ويُبيَّن ويُفَصَّل فيها كل أمر محكم، من آجال، وأرزاق، وسائر أحوال الأحياء وغيرها، وتنسخ من اللوح المحفوظ ثم يوحى بها إلى الملائكة، آيات ٣ ــ ٥.

٢ ــ ذكر الدخان الذي أصاب كفار قريش حين استعصوا على رسول الله ﷺ، آيتان ١٠، ١١.

٣ ــ ذكر البطشة الكبرى، وهي وقعة بدر، آية ١٦.

٤ ــ بيان أن أعداء الله من الكفار إذا ماتوا لا تبكيهم الأرض ولا السماء، آية ٢٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١٠ قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ قريشًا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾.

رواه الشيخان وغيرهما وتقدَّم في الفرقان، وفي الروم مختصرًا ومطولاً.

«السَّنَة» هي الجدب والقحط. والحديث يدل على أن الدخان المذكور في القرآن هنا هو ما أصاب كفار قريش عند جهدهم من الجوع، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة. نعم هنالك دخان آخر سيكون من أشراط الساعة، وقد تقدَّم في ذلك حديث حذيفة بن أسيد الغفاري في سورة النمل عند ذكر دابة الأرض، وهو في صحيح مسلم والسنن فارجع إليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فمر بابن صياد فقال له رسول الله ﷺ: «قد خبأت لك خبأ»، فقال: دُخٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تعدُوَ قدرك»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دعني فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله».

رواه أحمد ١/ ٣٨٠، ومسلم في الفتن ١٨/ ٤٧، ٤٨، ٤٩، وابن حبان ١٥/ ١٨٥، ١٨٦، والطحاوي في المشكل ٤/ ٩٩.

ابن صياد هذا جاءت فيه أحاديث عن جماعة من الصحابة، وحديثه هذا يشير إلى أن الكهنة يتلقون عن الشياطين كلمات غير كاملة ولا مفهومة، وكان هذا الدجال يتهم بأنه الدجال الأعور، والصحيح أنه كان كاهنًا معه رئي

من الجن. ولما لقيه النبي ﷺ وكان قد نزلت عليه سورة الدخان فأضمر في قلبه ذلك، فقال لابن صياد: «إني قد خبأت لك خبأً»، فقال له: دخ، فلم يهتدِ للآية كاملة إلاَّ لهذا اللفظ الناقص، ولهذا قال النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك»، أي القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء وما لا يصل إلى بيان أمور الغيب.

انظر: شرح مسلم للنووي ١٨/ ٤٦، ٤٩.

(٥٦) **قوله تعالى:** ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعَّموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا».

رواه أحمد ٢/ ٣١٩، ٣/ ٣٨، ومسلم في الجنة ١٧/ ١٧٥، والترمذي في سورة الزمر ٣٠٣١.

الآية الكريمة نص في أن أهل الجنة لا يموتون، وزادها بيانًا الحديث المتقدم في ذبح الموت، وقول الملائكة لأهل الجنة والنار: خلود بلا موت. وبيَّن في حديث الباب أن أهل الجنة لا يصيبهم سقم، ولا بؤس، ولا هرم، ولا موت، فهم أصحاء شباب منعَّمون مخلدون.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الدخان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه إلى الأبد بلا نهاية.

* * *

﴿ سُورَةُ الجَاثِيَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وآياتها سبع وثلاثون، والغالب على السورة ذكر دلائل التوحيد المتمثلة في هذا الكون، ذلك الكتاب المنظور وما فيه من عجائب المخلوقات.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر آية الدهريين: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا . . . وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾، آية ٢٤.

٢ ـ جثو الناس يوم القيامة على ركبهم: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾، آية ٢٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٢٣ **قوله تعالى**: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية، قال: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٧، والحاكم ٢/ ٤٥٢، ٤٥٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وهو حسن فقط لوجود جعفر بن أبي المغيرة.

الأثر مفسر للآية الكريمة، فإن من كان يعبد الأصنام وأنواع الأحجار. . . فلا يرتاب عاقل في أنه يعبد هواه وأنه إلـٰهه.

وجاء في حديث ضعيف: «ما تحت ظل السماء من إلـٰه يعبد أعظم عند الله من هوى متَّبع».

رواه الطبراني في الكبير وابن أبي عاصم وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١١٨.

٢٤ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبُّوا الدهر فإن الله هو الدهر، قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الخير، أقلِّب الليل والنهار».

رواه البخاري في التفسير رقم ٤٨٢٦، وفي الأدب وفي التوحيد ٧٤٩١، ومسلم في الأدب رقم ٢٢٤٦، وأبو داود في الأدب ٥٢٧٤ وغيرهم، وقد تقدَّم في سورة الأحزاب، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ومعنى الحديث: أن الله عزَّ وجل خالق الدهر، فقوله: «أنا الدهر»، أي رب الدهر وخالقه. وليس المراد أنه تعالى مسمى بالدهر كما ذهب إليه ابن حزم ومن لف لفَّه، وعلى هذا فمن سب الدهر فإنما يسب الله تعالى لأنه الخالق لما يقع في الدهر.

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما رحمهما الله تعالى في هذا الحديث: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابتهم شدة، أو بلاء، قالوا: يا خيبة الدهر، ويسندون تلك الأفاعل إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عزَّ وجل، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يسبونه ويسندون إليه

تلك الأفعال. قال ابن كثير: هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزَّ وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري».

رواه أحمد ٢/٣٧٦، ٤٢٧، ومسلم في البر والصلة ٢٦٢٠، وأبو داود ٤٠٩٠، وابن ماجه ٤١٧٤ وغيرهم.

«الكبرياء» أي الجلال والكمال والبقاء. وهو من أحاديث الصفات؛ فهو تعالى منزَّه عن الإزار والرداء الحادثين، فتفسير ما في الحديث إمراره كما جاء بلا تعطيل ولا تشبيه، أو يفسر بما يليق بعظمته وكماله.

وبهذا تمت سورة الجاثية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه إلى أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الأحقَافِ ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة هي آخر الحواميم، وآخر السور المكية، وبدايتها كما تقدَّم من سورة الشعراء، وهي نحو من إحدى وعشرين سورة جاءت متواليات، لم يتخللها من المدني إلاَّ سورة الأحزاب، التي جاء قبلها ثمان وبعدها ثلاث عشرة.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر الأثارة من علم، وقد اختلف في معناها المفسرون، ويأتي في الحديث ما يبينها، آية ٤.

٢ ــ تصريح رسول الله ﷺ بأنه كان في ابتداء أمره لا يدري ما يُفعل به ولا بغيره، آية ٩.

٣ ــ قولة الكفّار في فقراء الصحابة وإسلامهم: ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾، آية ١١.

٤ ــ بيان مدة حمل المرأة بالجنين مع فصاله من الرضاعة يكون مدتهما ثلاثين شهرًا، آية ١٥.

٥ ــ بيان حال الولدين البار والعاقّ، وما سيؤول إليه أمرهما في الآخرة، آيات ١٥ ــ ١٨.

٦ ــ أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في تحمل البلاء والصبر على الدعوة والتبليغ وأن لا يستعجل، آية ٣٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) **قوله تعالى**: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ــ قال سفيان، أحد الرواة: لا أعلمه إلاَّ عن النبـي ﷺ ــ: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، قال: الخط.

رواه أحمد رقم ١٩٩٢، والطبراني في الكبير رقم ١٠٧٢٥ بسندٍ صحيح رجاله رجال الصحيح.

الحديث مبين للأثارة المذكورة وأنها الخط، أي علم الرمل الذي جاء به حديث مسلم وغيره: «قد كان قبلكم نبـي يخط فمن وافق خطَّه خطَّه فذاك» وليس المراد بالخط الكتابة كما قيل.

والآية الكريمة جيء بها خطابًا لكفار قريش فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: يقول لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾، ثم قال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾، أي القرآن يكون حجة لكم بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله، ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو ائتوني بأثارة وبقية من علم يُؤْثَر عن الأولين أو يستند إليهم بخط أو غيره.

(٩) **قوله تعالى**: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾.

عن أم العلاء ــ من المبايعات ــ رضي الله تعالى عنها قالت: طَارَ لَهُمْ في السكن ــ حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين ــ عثمان بن مظعون، قالت: فاشتكى عثمان عندنا فمرَّضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» قالت: فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: «أما هو فقد جاءه اليقين من ربِّه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»... قالت: والله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا، فأحزنني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عينًا تجري، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك عمله».. وفي رواية: «ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم».

رواه أحمد ٦/ ٤٣٦، والبخاري في الهجرة النبوية ٨/ ٢٩٦، وفي الجنائز ٣/٣٥٨، وفي التعبير ١٦/ ٤٩، وفي مواضع، وهو من أفراده.

في الحديث فضل عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وكان أول ميت أقبر في البقيع من المهاجرين. وقوله ﷺ: «والله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم»، وكذا ما ذكر في الآية الكريمة. هذا كان قاله قبل أن يخبره الله عَزَّ وجَلّ بأنه أول من يدخل الجنَّة وأنه غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأنَّه سيِّد الناس يوم القيامة وصاحب المقام المحمود، وصاحب الوسيلة.

وانظر لهذا الموضوع: تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٧، وفتح الباري ٨/ ٣٥٨ من الهجرة النبوية.

١٠ **قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.**

عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلاَّ

لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ. . .﴾ الآية.

رواه البخاري في مناقب عبد الله بن سلام ٨/ ١١٩.

وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: انطلق النبي ﷺ يومًا وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إلـه إلاّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه». قال: فأُسْكِتوا ما جاوبه منهم أحدٌ. ثمَّ ردَّ عليهم فلم يجبه أحد، ثمَّ ثلَّث فلم يجبه أحد، فقال: «أبيتم؟! فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذَّبتم».

ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شرًا، قال رسول الله ﷺ: «كذبتم، لن يقبل قولكم، أمَّا آنفًا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم!! فلن يُقبل قولكم»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عزَّ وجل فيه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾.

رواه أحمد ٦/ ٢٥، والطبراني في الكبير ١٨/ ٤٦، ٤٧، وابن حبان مع الإحسان ١٦/ ١١٨، ١٢٠، والحاكم ٣/ ٤١٥، ٤١٦، وسنده صحيح وأورده النور في المجمع ٧/ ١٠٥، ١٠٦ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

في الحديثين بيان الشاهد الإسرائيلي المذكور في الآية، وأنه عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، وأن الآية نزلت فيه وبسببه. وفيها فضل هذا الحبر حيث فارق اليهود وترك رياسته وسيادته عندهم وأسلم، وأنه من أهل الجنة بالنص من النبي ﷺ، وقول سعد: ما سمعت. . .إلخ، لا ينفي المبشرين الآخرين بالجنة، وهم كثيرون، جمعتُهم في رسالة خاصة طُبِعَت وأعيدت والحمد لله.

(١٧) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

عن يوسف بن ماهَك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما شيئًا فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة رضي الله تعالى عنها فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ. . . ﴾ الآية، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلاّ أن الله أنزل عذري.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ١٩٧، ١٩٨، وهو من أفراده، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٩، والحاكم ٤/ ٤٨١، وفيه: لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ. . . ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب والله ما هو به، ولو شئت أن أسمِّي الذي أنزلت فيه لسميتُه، ولكن رسول الله ﷺ

لعن أبا مروانَ ومروانُ من صلبه، فمروان فضض من لعنة الله. وصحَّحه الحاكم على شرطهما مع انقطاع فيه. لكن الحديث صحيح لطريق آخر له، رواه البزار، قال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٤١، وإسناده حسن.

ما زعمه مروان من نزول الآية في عبد الرحمن بن أبـي بكر رضي الله تعالى عنهما لا يصح، فإن عبد الرحمن كان مسلمًا صالحًا، ولذلك أنكرت عليه السيدة عائشة وهي أعلم منه وأكبر وأفضل، وبما أن مروان لمز أخاها وطعن فيه قابلته بالمثل فأخبرته بأن الصادق المصدوق ﷺ لعن أباه الحكم وهو في صلبه، فكان ذلك من باب المشاكلة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۚ﴾.

﴿٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ريحًا قام وقعد، وأقبل وأدبر، قالت: فقلت له. فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا...﴾ الآية، قالت: فيرى قطرات فيسكن. وفي رواية عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب...»، وفي رواية: كان إذا عصفت الريح قال: «اللّٰهمَّ إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»، وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه».

رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٠٦، وفي التفسير ١٠/ ١٩٩، ومسلم ٦/ ١٩٦، وفي الاستسقاء ٩/ ١٩٦، ١٩٧، والترمذي ٣٠٤٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٩، وابن ماجه ٣٨٩١.

ما ذكر من روايات الحديث تدل على ما ينبغي للإنسان أن يفعله إذا هبَّت ريح خوفًا من أن يأتي فيها عذاب كما ذكرت الآية عن قوم عاد حيث أرسلت عليهم الريح وجاءت سحابة فظنوها ممطرة وكان فيها هلاكهم.

٢٩ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
٣٠ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ
٣١ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟
٣٢ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ
٣٣ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ
بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: انصتوا، قال: صه، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآية.

رواه ابن أبي شيبة والحاكم ٢/ ٤٥٦، وصحَّحه وأقره الذهبي.

وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: سألت ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: آذنته بهم شجرةٌ.

رواه البخاري في البعثة النبوية ٨/ ١٧٢، ومسلم في الصلاة.

وقوله: بطن نخلة، بينه وبين مكة ليلة لجهة الطائف، وقوله: آذنته، أي أعلمته، وما في الباب مع الآية الكريمة يدل على أن الجن استمعوا قراءة النبي ﷺ وهو يصلِّي بأصحابه ولم يرهم هذه المرة ولا قرأ عليهم شيئًا وإنما قرأ عليهم وأرشدهم مرة أخرى عندما دعوه وكان معه ابن مسعود رضي الله

تعالى عنه، وسيأتي لهذا مزيد في سورة الجن إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ . . .﴾ الآية، أي وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجن. . . إلخ.

والآية نص في تكليف الجن وأنهم مخاطبون بالشرائع كالإنس ولا فارق ولا خلاف بين المسلمين في ذلك، كما فيها دليل قاطع على وجودهم وأنهم جنس موجودون في هذا العالم يعيشون معنا يأكلون ويشربون ويتناسلون. . . وقد ألّف الناس في حياتهم وشؤونهم كتبًا قديمًا وحديثًا، فمن أنكرهم كان جاهلاً، وبالتالي كافرًا.

وبهذا تمت سورة الأحقاف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

من هذه السورة الكريمة بدىء في ذكر بعض السور المدنية، وقد جاءت هنا ثلاث سور مدنيات متواليات: هذه السورة، والفتح، والحجرات، ثم توالت سور أُخَر مكيَّات نحو الست. . . وهذه السورة ثمان وثلاثون آية، وأهدافها التحدث عن الأحكام الشرعية شأن السور المدنية كالكلام على الجهاد وما يتعلق به، وذكر المنافقين وبعض صفاتهم. . . . ولم تخل أيضًا من ذكر بعض جوانب العقيدة وأصول الدين.

من خصائص هذه السورة

١ ـ حكم الأسارى بعد الإثخان، وأن الإمام مخير فيهم بين المَنِّ والفداء، آية ٤.

٢ ـ ذكر الآية المشهورة التي شرطت النصر للمؤمنين بنصر الله تعالى، آية ٧، وقد تقدمت آية أخرى في الحج جاء فيها القسم على النصر لمن ينصر الله، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

٣ ـ ذكر أنهار الجنة الأربعة مفصلة: من ماء، ولبن، وخمر، وعسل، آية ١٥.

٤ ـ ذكر آية تأمر النبي ﷺ ومن يستحق الخطاب أن يعلم أن لا إلـه إلّا الله، آية ١٩.

٥ ـ أمر الله نبيه ﷺ أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات، آية ١٩.

٦ ـ بيان ما كان عليه المنافقون عند نزول آية فيها ذكر القتال، آية ٢٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

عن سلمة بن نفيل رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: إني سئمت الخيل وألقيتُ السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلتُ: لا قتال. فقال له النبي ﷺ: «الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عزَّ وجل وهم على ذلك، ألَا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

رواه أحمد ٤/ ١٠٤، والنسائي في كتاب الخيل من المجتبى ٦/ ١٧٨، ١٧٩، والطبراني في الكبير ٧/ ٥٩، ٦٠، ٦١، وسنده صحيح.

الحديث يدل على أن وضع الحرب أوزارها لا يزال بعيدًا، وأن القتال مشروع وواقع حتى يأتي أمر الله عزَّ وجل، وذلك لا يكون إلَّا بعزة الإسلام والمسلمين واندثار الكفر والكفار، وذلك سيكون بإذن الله أيام سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصَّلاة والسَّلام، فالحديث الشريف نص في محل النزاع بين المفسرين.

وعن المقدام بن معديكرب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للشَّهيد عند الله تعالى ستّ خصال: أن يغفر له في أوَّل دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه».

رواه أحمد ٤/ ١٣١، والترمذي في الجهاد ١٥٢٤، وابن ماجه ٢٧٩٩، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه. وله شاهد بنحوه عن قيس الجذامي، رواه أحمد ٤/ ٢٠٠.

في الحديث فضل الشهيد في سبيل الله عزَّ وجل وأن الله تعالى سيكرمه إكرامًا بالغًا، ويتحفه بطرائف عظيمة، وأنه تعالى لا يضيِّع عمله، كما أخبرت بذلك الآية الكريمة، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الشهيد والشهادة معروفة في الصحاح وغيرها، وإنما أوردنا هذا الحديث على الخصوص لما جمع فيه من الخصال التي أكرم بها...

﴿٥﴾ ﴿٦﴾ قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا.

رواه البخاري في الرقاق ٦٥٣٥، وفي المظالم، وأحمد ٣/ ١٣، ٦٣، ٧٤، وابن جرير ٢٦/ ٤٤، وأبو يعلى ١/ ٥٠٠، والحاكم ٢/ ٣٥٤.

«إذا خلص» بفتح اللام، أي نجا وسلم المؤمنون من دخول النار.

الحديث يدل على أن المؤمن يوم القيامة سيعرف منزله من الجنة ويهديه الله إليه لا يخطئه كأنه كان يسكنه من قديم فلا يسأل عنه أحدًا، ولهذا

قال تعالى هنا في الآية: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾، أي عرَّفهم بها وهداهم إليها.

٨ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «تعِس عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض». وفي رواية: «وإن منع سخط».

رواه البخاري في الجهاد ٢٨٨٦، وفي الرقاق ٦٤٣٥، وابن ماجه ٤١٣٥، وابن حبان ٨/ ١٢، والبيهقي ٩/ ١٥٩، ١٠/ ٢٤٥.

«تعس»: التعاسة لها معانٍ، تأتي بمعنى الهلاك، والسقوط والانحطاط والبعد. والمراد الدعاء عليه بالعثار والانكباب. و «القطيفة» دثار له خمل، و «الخميصة» كساء أسود له أعلام.

وفي الحديث بيان أن المتفاني في كسب المال وجمعه وتكديسه وحب المظاهر والملابس... هو عبد لذلك، وأنه في تعاسة وهلاك وخسارة لاتخاذه مشتهيات هذه الحياة آلهة له يتذلل لها ويعبدها من دون الله عزَّ وجل كالكفار الذين لهم التعاسة والخسارة لعبادتهم الأصنام عياذًا بالله تعالى، وهو يدل على أن كل من أحب شيئًا وتفانى فيه وأقبل عليه ظاهرًا وباطنًا فهو عبد له كائنًا ما كان ذلك الشيء مالاً أو زوجة أو لهوًا أو لعبًا.

١١ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في حديثه عن غزوة أحد... وفيه قول أبي سفيان: ألا لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»...

رواه أحمد ٤/ ٢٩٣، والبخاري في الجهاد ٣٠٣٩، وفي المغازي ٣٩٨٦،

٤٥٦١، وأبو داود ٢٦٦٢، والنسائي في الكبرى ٥/ ١٩٠، وابن حبان ١١/ ٤٠، ٤١، وابن سعد ٢/ ٤٧.

في الآية والحديث بيان أن الله عزَّ وجل مولى المؤمنين، أي وليهم وناصرهم وسيدهم، بينما الكفار لا مولى لهم، بل أولياؤهم الجمادات من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر...

(١٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

رواه مسلم في الأشربة ٢٠٦٢، وابن ماجه ٣٢٥٨، وأبو يعلى ٩١٧، وابن حبان ١٢/ ٣٨، ٣٩. وفي الباب عن جماعة، منها عن أبي هريرة عند البخاري في الأطعمة ٥٣٩٧، ومسلم في الأشربة ٢٠٦٣، وعن ابن عمر رواه البخاري ٥٣٩٤ وغيره.

ظاهر الحديث يدل على أن همّ الكافر هو بطنه وملء أمعائه السبع، بينما المؤمن الكامل بخلافه، فهو يقلل من الأكل ويقتصر على الحاجة. ولذا اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على ظاهره مطلقًا، ومنهم من جعله على ظاهره، لكنه في شخص خاص كما جاء في حديث أبي هريرة مصرحًا به، وعلى هذا مشى ابن عبد البر وغيره، وقالوا: لا سبيل إلى حمله على العموم لأن المشاهدة تدفعه، وقيل: الحديث خرج مخرج الغالب، وقيل: هو مثل ضرب لزهد المؤمن في الدنيا وتقلله منها وحرص الكافر عليها وتمتعه بها وشدة شرهه فهو يأكل ويتمتع كالأنعام، وانظر: در الغمام الرقيق لكاتبه، ففيه بحث في الموضوع لأستاذنا السيد أحمد رحمه الله تعالى.

(١٣) قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة

قال لها: ما أطيبك من بلد وأحبَّك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

رواه الترمذي في المناقب ٣٦٩٠ بتهذيبي، وابن حبان ١٠٢٦، بالموارد وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

وعن عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحَزْوَرة فقال: «والله إنَّك لخير أرض الله وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت».

رواه أحمد ٤/ ٣٠٥، من طرق والترمذي ٣٦٨٩، وابن ماجه ٣١٠٨، وابن حبان ١٠٢٥، وصحَّحه الترمذي، وهو كما قال؛ فإن سنده صحيح.

«الحَزْوَرة» على وزن القَسْوَرة، وهو موضع بمكة. والقرية التي أخرجته هي مكة، والمراد أهلها الكفار الذين تسببوا في إخراجه ﷺ ومهاجرة بلاده ومسقط رأسه الذي قضى فيه ثلاثًا وخمسين سنة من حياته. والآية جاءت تسلية للنبي ﷺ بأن كثيرًا من أهل القرى القدامى كانوا أعظم وأقوى وأكثر.. من أهل مكة، وقد أهلكهم الله وأباد خضراءهم، فكذلك سيفعل بهؤلاء. وقد فعل سبحانه وتعالى.

والحديثان يدلان على أن مكة المكرمة هي أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله، وخير أرض الله على الإطلاق وأنها أفضل حتى من المدينة المنورة، وهذا قول الجمهور.

(١٥) قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾.

عن معاوية القشيري رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في الجنة بحر اللَّبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم ينشقُّ منها بعد الأنهار».

رواه أحمد ٥/ ٥، والترمذي في صفة الجنة، ٢٣٨٤، والدارمي ٢٨٣٩، وابن حبان ١٦/ ٤٢٤، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فهو أوسط الجنة وهو أعلى الجنة وفوقه العرش ومنه تفجَّر أنهار الجنة».

رواه أحمد ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩، والبخاري في الجهاد ٢٧٩٠، وفي التوحيد ٧٤٢٣، وابن حبان ١٠/ ٤٧١، ٤٧٢، وهو من أفراد البخاري. ورواه الترمذي مختصرًا ٢٣٤٧ بتهذيبي ونحوه عن معاذ بن جبل، رواه أحمد ٥/ ٢٤٠، ٢٤١، ٢٣٢، والترمذي ٢٣٤٨ مطولاً، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

الحديثان يدلان على أن في الجنة بحارًا من لبن وماء وعسل وخمر، ثم تتفجر منها أنهار نابعة فيكون لكل مؤمن من سكان الجنة نصيبه وهذه البحار والأنهار كلها مصدرها الفردوس الذي هو أعلى الجنان وأفضلها وأوسعها. وفي الآية الكريمة والحديثين تشويق بالغ بالجنة ونعيمها، نسأل الله عزَّ وجل أن يسكننا الفردوس بفضله وجوده ورحمته، آمين.

١٩ **قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.**

عن عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُوافي عبد يوم القيامة وهو يقول «لا إلـه إلاَّ الله» يبتغي بذلك وجه الله عزَّ وجل، إلاَّ حرَّم الله عليه النار».

رواه البخاري في الرقاق رقم ٦٤٢٣، ١٤/ ١٧، هكذا مختصرًا، ورواه في مواضع مطولاً، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٥/ ١٥٩، ١٦٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٠ وفي المجتبى، وابن ماجه وغيرهم مطولاً أيضًا، والأحاديث في معنى هذا كثيرة مشهورة.

قوله: «يبتغي»، أي يطلب بذلك الله عزَّ وجل ورضاه. والمراد بالحديث أنه لا يدخل النار إذا مات مؤهلاً للجنة بحيث ختم عليه بالإيمان، وإذا مات مع ذنوب يتحقق معها العذاب لا يخلد في النار، وأن مآله سيكون الجنة إن شاء الله تعالى، فيكون الحديث مؤولاً، أي حرم الله عليه النار ما لم يلق الله بما يوجبها.

(١٩) قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

عن عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرت خلفه هكذا، فعرف الذي أريد فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على نَغْض كتفه مثل الجُمع حوله خِيلان كأنها الثآليل، فجئت حتى استقبلتُه فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: ولك، قال بعض القوم: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ولكم ثم تلا: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ...﴾ الآية.

رواه مسلم في الفضائل رقم ٢٣٤٦، والترمذي في الشمائل في خاتم النبوة، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٠ وغيرهم.

وقوله: «نَغْض كتفه»، بفتح النون وضمها وسكون الغين المعجمة هو أعلى الكتف. وقوله: «مثل الجُمع»، بضم الجيم، وهي الكف المجموعة، وقوله: «خيلان»، بكسر الخاء، جمع خالٍ، وهي الشامة في الجسد، وقوله: «كأنها الثآليل»، جمع ثؤلول، وهي حبة تظهر في الجسد كالحصة فما دونها.

وفي الحديث مزية لهذا الصحابي عبد الله بن سَرْجس، حيث أراه النبي ﷺ الخاتم وخصه بالاستغفار، وفيه تواضع النبي ﷺ وكريمُ أخلاقه. أما الآية الكريمة فإنها صريحة في أمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار للمؤمنين

والمؤمنات. والكلام على موضوع الاستغفار يحتاج إلى بسط فلنرجئه لمحل آخر إن شاء الله تعالى.

٢٢ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
٢٣ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت، فقال لها: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك»، قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٠١، ٢٠٢، وفي الأدب ٥٩٨٧، وفي التوحيد ٧٥٠٢، ومسلم في البر والصلة رقم ٢٥٥٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦١، وابن جرير ٣٦، ٥٦.

قوله: «قامت الرحم»، هو على ظاهره، فإن الله قادر على أن يجعل للمعاني والأعراض أجسامًا فتتكلم، ولهذا أمثلة كثيرة جاءت في السنة، وقوله: «فأَخَذَتْ»، هكذا بحذف المفعول، وجاء في رواية لابن السكن: «بحقْوِ الرحمن»، وفي رواية: «بحقوي الرحمن» بالتثنية، فحذفها بعضهم لإشكاله عنده ولا إشكال في ذلك، فهي إما صفة لله تعالى فتحمل على ظاهرها مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة أو تحمل على التشبيه لمن يرى ذلك من الخَلَف، والحقو هو الإزار أو معقده.

وفي الآية والحديث الوعيد الشديد لقاطع الرحم وأنه ملعون بلعنة الله تعالى، وقد وردت أحاديث في التشديد في ذلك.

٣٨ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية

يومًا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ . . .﴾ الآية، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: «هذا وقومه». زاد في رواية: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله رجال من فارس».

رواه الترمذي ٣٠٤٦، والحاكم ٢/٤٥٨ بسندٍ صحيح على شرط مسلم، ولذا صحَّحه وأقرَّه الذهبي وهو في الصحيحين بنحوه لكن جاء فيه حين أنزلت سورة الجمعة، وسيأتي ذلك.

قوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ . . .﴾، أي إن تدبروا وتعرضوا عن طاعة الله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، أي يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ في التولي.

وفي الآية تهديد شديد للمعرضين عن الله عزَّ وجل والمدبرين عن طاعته . .

أما الحديث ففيه فضل مسلمي العجم من أبناء فارس، وهو إشارة إلى ما ظهر فيهم من كثرة علماء الحديث وحملة السنة والعباد والزهاد . . .

وبهذا نكون قد أنهينا الكلام على سورة محمد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الفَتْح﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي من السور المدنيَّة العظيمة، نزلت مرجع النبي ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حيث صدَّه المشركون عن المسجد الحرام وعقدوا معه الصلح على أن يرجع ويأتي العام القابل، فنحر هديه وحلق رأسه ورجع، فلما كان بالطريق نزلت السورة الكريمة تتحدَّث عما كان من أمره وأمرهم... وهي تسع وعشرون آية. وأهدافها: التشريع الإسلامي وبيان العبادات والمعاملات والأخلاق... وقد امتازت بذكر بيعة الرضوان والفتح المبين على المسلمين.

من خصائص هذه السورة

١ ـ نزول هذه السورة تُبشِّر المسلمين بالفتح... ولذلك قال النبي ﷺ لما أنزلت: «أنزلت عليَّ سورةٌ هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها».

٢ ـ نعمته تعالى العظمى على نبيه ﷺ بما أعطاه وبشره به من الفتح وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر وإتمام نعمته عليه وهدايته الصراط المستقيم ونصره النصر العزيز، وهذا من خصائصه التي لا يشاركه

فيها غيره، ولم يأتِ لأحد سواه التنصيص على غفران ذنوبه ما تقدم وما تأخر منها، آيات ١ ــ ٣.

٣ ــ تشريفه ﷺ وتكريمه بأن جعل من بايعه كمن بايع الله، آية ١٠.

٤ ــ ذكر بيعة الرضوان وما تفضل الله به على أهلها من الرضاء ونزول السكينة، آية ١٨.

٥ ــ تصديق الله رؤيا رسوله ﷺ بالحق بدخوله مع أصحابه المسجد الحرام، آية ٢٧.

٦ ــ ختم السورة ببيان صفات الصحابة في التوراة والإنجيل، ووعدهم بالأجر العظيم، آية ٢٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾.**

عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يُجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر: ثكلتك أمُّك يا عمر، نَزَرْتَ رسول الله ﷺ ثلاثَ مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بـي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلَّمت فقال: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سـورةٌ هي أحبُّ إليَّ ممَّـا طلعت عليـه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

رواه أحمـد ١/ ٣١، والبخـاري فـي المغـازي ٤١٧٧، وفـي التفسيـر ١٠/ ٢٠٤، ٢٠٥، وفي فضائل القرآن ٥٠١٢، والترمذي ٣٠٤٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦١.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . . . ﴾ ـ الآية ـ، مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها»، فتلاها رسول الله ﷺ فقالوا: هنيئًا مريئًا رسول الله ﷺ لقد بين لك الله ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى الآية بعدها: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ ﴾.

رواه أحمد ٣/ ٢١٥، ٤/ ١٢٢، ١٣٤، ٦/ ٢٥٢، ١٧٣، ١٩٧، والبخاري في المغازي ٤١٧٢، وفي التفسير ٤٨٣٤، ومسلم في الجهاد ١٧٨٦، والترمذي ٣٠٤٨ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٢، وابن حبان ٢/ ٩٢، ٩٣ وغيرهم.

قوله: ثكلتك، أي فقدتك أمك. وقوله: نَزَرْتَ، أي ألححت عليه إلحاحًا. وقوله: نشبت، أي لبثت.

وفي الحديثين فضل سورة الفتح وذلك لما احتوت عليه من البشارات لرسول الله ﷺ ولأصحابه الحاضرين معه، وأن الله تعالى رضي عنهم ووعدهم بدخول الجنة وتكفير ذنوبهم ويا لها من بشارة فتلك أمنية كل مؤمن.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

رواه أحمد ٦/ ١١٥، والبخاري في تفسير سورة الفتح ١٠/ ٢٠٦، ومسلم في صفات القيامة ١٧/ ١٦٢ وغيرهم، ونحوه عن المغيرة بن شعبة. رواه البخاري في صلاة الليل ٣/ ٢٥٦، وفي التفسير ٤٨٣٦، ومسلم في صفات القيامة ٢٨١٩، ١٧/ ١٦٢، والترمذي والنسائي وغيرهم.

وقولها: حتى تتفطَّر، أي تتشقَّق. وفي رواية: «حتى تورَّمت»، أي انتفخت قدماه.

وهذا التكلف في العبادة منه ﷺ مع بشارة الله إيَّاه بغفران ما تقدَّم له وما تأخَّر قيامًا بشكر الله عزَّ وجل على ما أولاه وأنعم به عليه، وهذه عادة الأكابر من الأنبياء والمقربين من أتباعهم.

وعنها رضي الله تعالى عنها أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الحجاب فقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم!! فقال رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم»، قال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، قال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم وأعلمكم بما أتقي».

رواه مسلم ٧/ ٢٢٣، ٢٢٤، وأبو داود ٢٣٨٩ كلاهما في الصيام.

وجاء نحوه عن عمر بن أبي سلمة وفيه: أيقبِّل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «سل هذه» لأمِّ سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: «أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له».

رواه مسلم في المصدر السابق ٧/ ٢١٩، وابن حبان ٨/ ٣١٠، والبيهقي ٤/ ٢٣٤.

في الحديثين وجوب الاقتداء به ﷺ في كل ما سنَّه لأمته، وإن كل ما كان يفعله هو غاية في القربة والتعبد ولو كان رخصة، فإن العمل بالرخصة في وقتها كالعمل بالعزيمة، وفيهما أنه كان أكمل العباد وأخشاهم لله عزَّ وجل وأعلمهم به وبما يتقي ﷺ. وما في الحديثين من قولهما: قد غفر الله لك... إلخ، قد تكرر من الصحابة ذكره له ﷺ ورده عليهم.

(٤) قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقرأ في داره

سورة الكهف وإلى جانبه حِصانٌ مربوط بِشَطَنَيْنِ فتغشَّته سحابة فجعلت تدنو وتدنو حتى جعل الفرس يفرُّ منها، قال الرجل: فعجبت لذلك، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له وقص عليه، فقال النبي ﷺ: «تلك السكينة نزلت للقرآن».

رواه البخاري ١٠/ ٤٣٣، ومسلم ٦/ ٨١، ٨٢ كلاهما في فضائل القرآن.

حصان: بكسر الحاء: ذَكَرُ الخيل، أما بالفتح: فالمرأة العفيفة. بِشَطَنَيْنِ، بفتحات مع سكون الياء، وهو الحبل الطويل. فتغشته: أي علته. وفي الحديث أن السكينة وهي من الأعراض تجسمت في صفة سحابة، وأنها نزلت لتلاوة القرآن الكريم، وقد تنزل عند ذكر الذاكرين. والسكينة طمأنينة تكونُ في القلوب عند تلاوة القرآن وذكر الله عزَّ وجل وسماع المواعظ والذكرى، وهي المرادة هنا في الآية الكريمة، قال النووي: المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة.

(١٨) قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فقال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض».

رواه البخاري في غزوة الحديبية ٤١٥٤، وفي التفسير ٤٨٤٠، ١٠/ ٢٠٩، ومسلم في بيعة الرضوان من كتاب الإمارة ١٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٤.

وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة».

رواه أحمد ٣/ ٣٥٠، وأبو داود ٤٦٥٣، والترمذي في المناقب ٣٦٢٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٤، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه ونحوه عند مسلم عن أم مبشِّر، وتقدَّم في طه.

وعنه قال: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة، وقد بايعناه على أن لا نفرَّ ولم نبايعه على الموت.

رواه مسلم في الإمارة ١٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٤ وغيرهما، وفي الباب أحاديث في المبايعة عن ابن عمر، وسلمة بن الأكوع في البخاري، وعن عقبة بن عامر عند مسلم.

في هذه الأحاديث بيان أن أهل بيعة الرضوان لا يدخل النار أحد منهم وأنهم كانوا خير أهل الأرض وقتهم، وأنهم من المبشرين بالجنة، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضي عنهم، ومن رضي الله تعالى عنه لا يسخط عليه أبدًا، وأخبر تعالى فيما سلف أن من بايعه ﷺ إنما بايع الله عزَّ وجل وأن يد الله فوق أيدي المبايعين. وفي حديث جابر الأول والثالث بيان عددهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة، وكان من جملتهم الخلفاء الأربعة وباقي العشرة الذين يجعلهم الشيعة الروافض أئمة النواصب ويوالون عليهم اللعنات في كل المناسبات ولا يستحيون مع ذلك في انتسابهم إلى الإسلام. . .

٢٤ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناسًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم عند صلاة الفجر فأخذهم رسول الله ﷺ فعفى عنهم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ. . .﴾ الآية.

رواه مسلم في الجهاد ١٨٠٨، وأبو داود ٢٦٨٨، والترمذي ٣٠٤٩ في التفسير، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٤.

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ

بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى. . فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟» أو «هل جعل لكم أحد أمانًا؟» فقالوا: لا، فخلَّى سبيلهم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ. . .﴾ الآية.

رواه أحمد ٤/٨٦، ٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٥، والحاكم ٢/٤٦٠، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع ٦/١٤٥: رجاله ـ يعني أحمد ـ رجال الصحيح.

في الحديثين بيان سبب نزول الآية الكريمة، وفي الحديث الثاني معجزة باهرة للنبي ﷺ، حيث دعا على أولئك الشباب فأعمى الله أبصارهم حتى ألقى عليهم القبض، ثم عفا عنهم، وفي الآية امتنان من الله على الصحابة حيث أنعم عليهم فكف أيدي الكفار عنهم فلم يسلطوا عليهم، بل ظفروا بهم وأسروهم.

(٢٥) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

عن أبي جمعة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافرًا، وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا، وكنا ثلاثة رجال وتسع نسوة، وفينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾.

رواه الطبراني في الكبير ٢٢٠٤، وأبو يعلى ٥٦٠، قال النور في المجمع ٧/١٠٧: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

معنى الآية الكريمة: لولا وجود أناس بمكة يخفون إيمانهم لا تعلمونهم بأعيانهم كراهة أن توقعوا بهم دون علم منكم بإيمانهم فينالكم

بقتلهم إثم وعيب لأذن لكم بقتال الكفار ولما كف أيديكم عنهم.

(٢٧) **قوله تعالى:** ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشًا قد جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادُّوك ومانعوك، فقال ﷺ: «أشيروا أيها الناس عليَّ أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟»، وفي لفظ: «ترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم، فإن يأتونا كان الله قد قطع عنقًا من المشركين، وإلاَّ تركناهم محزونين»، وفي لفظ: «فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين، وإن نجوا يكن عنقًا قطعها الله عزَّ وجل، أم ترون أن نؤمّ البيت فمن صدَّنا عنه قتلناه؟»، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حربًا، فتوجَّه له فمن صدَّنا عنه قاتلناه. وفي لفظ: فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: «فروحوا إذن»، وفي لفظ: «فامضوا على اسم الله تعالى»، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش.

وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثَّنية التي يهبط عليهم منها بركت به

راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّةً يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلاَّ أعطيتهم إياها»، ثم زجرها، فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء يتبرَّضه الناس تبرُّضًا، فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع ﷺ من كنانته سهمًا ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريِّ حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا عند مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب فأضرَّت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلاَّ فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذنَّ الله أمره». قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشًا فقال: إنا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال رسول الله ﷺ.

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم؟ ألستُ بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولستم بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال:

ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلِّم النبـي ﷺ، فقال النبـي ﷺ له نحوًا من قوله لبديل بن ورقاء، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تك الأخرى فإني والله لأرى وجوهًا وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبـي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قائم على رأس النبـي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبـي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه وقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، قال: أي غُدَر، ألستُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبـي ﷺ أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبـي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخَّم نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره،

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. .

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، قال النبي ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُدن فابعثوها له»، فبُعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قُلدت وأُشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَزٌ بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبي ﷺ.

فبينما هو يكلِّم النبي ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم. . .» فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتابًا، فدعا النبي ﷺ بعليّ رضي الله تعالى عنه وقال: «اكتب بسم اللّـه الرَّحمن الرَّحيم»، فقال سهيل بن عمرو: أما الرَّحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللّـهمَّ كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلاَّ بسم اللّـه الرَّحمن الرَّحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللّـهمَّ». ثمَّ قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، قال الزهري: وذلك لقوله والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلاَّ أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدَّث العرب أنا أخذنا

ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلاَّ رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا، فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يَرْسُف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيء أبدًا، فقال للنبي ﷺ: فأجزه لي، قال: «ما أنا بمجيز ذلك لك»، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيتُ؟ وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا في الله عزَّ وجل.

قال عمر رضي الله تعالى عنه: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًّا؟ قال ﷺ: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال ﷺ: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذًا؟ قال ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أولست كنتَ تحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال ﷺ: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»؟ قلت: لا، قال ﷺ: «فإنك آتيه ومطوف به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، قال: أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به. قال عمر رضي الله تعالى عنه: فعملت لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فذكر لها ما لقي من الناس، قالت له أم سلمة رضي الله تعالى عنها: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]. فطلق عمر رضي الله تعالى عنه يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبـي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبـي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بَصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستلَّه الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى بَرَد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرًا»، فلما انتهى إلى النبـي ﷺ قال: قتل والله صاحبـي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم

نجاني الله تعالى منهم، فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سِيف البحر قال: وتفلّت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلاَّ لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلاَّ اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم وأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ حتى بلغ ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

وكانت حميتهم أنهم لم يقرُّوا أنه رسول الله ﷺ، ولم يقرُّوا ببسم اللّٰه الرَّحمن الرَّحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

رواه البخاري في الشروط مطولاً ٦/ ٢٥٧، ٢٨٠، ورواه في المغازي مختصرًا ٨/ ٤٥٠، ٤٥٩، ٤٦٠، تفرَّد بإيراده هكذا البخاري، ورواه أحمد ٤/ ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، وأبو داود ٢٧٦٥، ٤٦٥٥، وابن حبان ١١/ ٢١٦، ٢٢٦، والبيهقي ٥/ ٢١٥، ٧/ ١٧٠، ٩/ ٢٢١ وغيرهم، بعضهم مطوّلاً وبعضهم مختصرًا.

شرح غريب حديث المسور

قوله: قلد الهدي وأشعره، تقليد الهدى، وضع شيء في عنقه كحبل ونحوه، والإشعار هو جرحه في جانب منه حتى يسيل الدم ليكون ذلك علامة تعرف بها أنها هدي للحرم. وقوله: عينًا، أي رجلاً يتجسَّس له أخبار الكفار. وقوله: الأحابيش، جمع أُحبُوش بضمتين مع سكون الحاء، وهم قبائل من العرب كانوا تحالفوا مع قريش وسموا بذلك لتجمعهم فإن الحباشة الجماعة. وقوله: يركض، أي يضرب الفرس عدوًا. وقوله: خلأت القصواء، أي حرنت. وقولهم: حَل حَل، بفتح الحاء، يقال ذلك للناقة إذا

وقفت ولم تسر. قوله: حبسها حابس الفيل، أي حبسها الله عزَّ وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها. وقوله: خطة، بضم الخاء المعجمة، أي خصلة. وقوله: ثمد بفتحتين، أي حفيرة فيها ماء مثمود، أي قليل. وقوله: يتبرضه، أي يأخذونه قليلاً قليلاً. وقوله: يجيش، بفتح الياء وكسر الجيم، أي يفور. وقوله: العوذ، بضم المهملة، جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن. وقوله: المطافيل، هي الأمهات التي معها أطفالها، والمراد أنهم أتوا بنوقهم ذوات الألبان والأولاد، وبنسائهم وأطفالهم؛ لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. وقوله: فقد جَمُّوا، أي: استراحوا، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم.

وقوله: حتى تنفرد سالفتي، السالفة هي صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل، أي حتى أقتل، وقيل غير ذلك. وقوله: استنفرت، أي طلب منهم النفار للقتال. وقوله: فلما بلَّحوا، بفتح الباء وتشديد اللام، أي امتنعوا. وقوله: اجتاح، أي أهلك أصله بالكلية. وقوله: أشوابًا، أي أخلاطًا. وقوله: خليقًا، أي حقيقًا. وقوله: امصص بظر اللات، امصص بألف وصل وصادان مهملتان الأولى مفتوحة، أمر من المص وهو الرضاعة. والبَظر بفتح الباء وسكون الظاء المعجمة هي قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات اسم أحد الأصنام التي كانت تعبدها قريش وثقيف. وأراد أبو بكر بهذا سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، كأنه قال له ارضع قطعة فرج صنمك اللات.

وقوله: أي غُدَر، بضم الغين المعجمة وفتح الدال، هو معدول عن غادر مبالغة في الغدر. وقوله: جعل يرمق، بفتح الياء وضم الميم، أي يلحظ. وقوله: وما يُحِدُّون، بضم الياء، أي لا ينظرون إليه متأملين، بل يغضون أبصارهم احترامًا له. وقوله: رجل فاجر؛ لأنه كان غدارًا. وقوله:

ضُغطة، بضم الضاد وسكون الغين المعجمتين ثم طاء، أي قهرًا. وقوله: يرسف، أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب قيده. وقوله: فلم نعطي الدنية، أي الخصلة المذمومة الخسيسة. وقوله: فاستمسك بغرزه، بفتح الغين، وهو للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد بذلك التمسك بأمره ﷺ وترك مخالفته كالذي يركب الفرس فلا يفارقه. وقوله: حتى برد، بفتح الباء والراء، أي حتى خمدت حواسه، وهو كناية عن الموت. وقوله: ذعرًا، أي خوفًا.

وقوله: ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، يقتضي أن ذلك وقع في الحديبية، وليس كذلك، بل جئنه بالمدينة داخل مدة الصلح، وسيأتي الكلام على الآية في سورة الممتحنة إن شاء الله تعالى.

هذا حديث عظيم فيه فوائد وأحكام وحكم يستحق أن يفرد بالشرح لما فيه من الأحكام الظاهرة والمستنبطة الكثيرة، فلتراجع بعضها في كتاب الشروط من فتح الباري. والشاهد منه ومما ذكر معه مما يتعلق بالآية هو مصالحة كفار قريش للمسلمين على أن يرجعوا عامهم ويأتوا العام المقبل معتمرين وبذلك صدق الله رسوله الرؤيا التي رآها وحملته على الخروج حتى وقع ما وقع، وهذه الرؤيا هي أصل لهذه القصة كلها بل ولنزول سورة الفتح بتمامها، فالسورة الكريمة ما نزلت إلاَّ للتحدث عن عمرة الحديبية وعمرة القضاء التي انتهت بتصديق الرؤيا وكان في ذلك فتحًا عظيمًا.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. . . الحديث.

رواه البخاري في المغازي ٨/ ٤٤٥، ومسلم.

وقد فسروا قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾،

بصلح الحديبية، لما ترتب عليه من العواقب الحميدة والآثار الجليلة والنصر المبين، انتهى بفتح مكة المكرمة، ولم يكن بين صلح الحديبية والفتح الأعظم إلاَّ سنة وأشهر.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحًا عليهم إلاَّ سيوفًا، ولا يقيم بها إلاَّ ما أحبوا، فاعتمر ﷺ من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثًا أمروه أن يخرج فخرج.

رواه البخاري في عمرة القضاء ٩/ ٤٩، ومسلم.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر بهذا، ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، قال ﷺ: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله»، ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «امْحُ رسول الله»، قال رضي الله تعالى عنه: لا والله لا أمحوك أبدًا، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانه حتى أمحوه»، فمحاه وكتب مكان رسول الله محمدًا، فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح إلاَّ السيف في القُرُب، ولا يخرج منها بأحد يتبعه، ولا يمنع أحدًا من أصحابه إن أراد أن يقيم بها»، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًّا فقالوا: قل لصاحبك فليخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله ﷺ فتبعتهم بنت حمزة رضي الله تعالى عنهما تنادي يا عم يا عم، فتناولها علي رضوان الله عليه فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السَّلام: دونك

ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: أشبهت خَلْقي وخُلُقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

رواه أحمد ٤/ ٢٩٨، والبخاري في الحج ١٨٤٤، وفي الصلح ٢٦٩٩، وفي المغازي ٤٢٥١، ومسلم في صلح الحديبية ١٢/ ١٣٦، ١٣٧ مختصرًا.

(٢٧) قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ ارحم المحلّقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: «اللّهمّ ارحم المحلِّقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، وقال في الرابعة: و «المقصرين».

رواه أحمد ٢/ ١٧٩، والبخاري ٥/ ٣٠٩، ومسلم ٩/ ٤٩ كلاهما في الحج. وفي رواية عنه عند البخاري ٥/ ٣١١، حلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه وقصَّر بعضهم.

في الحديث بيان أن الحلق أفضل من التقصير عقب الحج أو العمرة عند التحلل علمًا بأن الكل سنة، والآية الكريمة تشير إلى أفضلية الحلق، حيث قدمه تعالى على التقصير وفي الأمر سعة والحمد لله.

(٢٨) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

تقدَّم ما يتعلَّق بالآية في سورة التوبة، آية رقم ٣٣.

(٢٩) **قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم فقالوا: إنهم لا يقرأون كتابًا إلاَّ مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه «محمد رسول الله» ﷺ.

رواه البخاري في العلم رقم ٦٥، وفي الجهاد ٢٩٣٨، وفي اللباس ٥٨٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٥.

في الحديث مشروعية ختم الكتب بالخاتم، وفيه جواز نقش اسم الشخص على خاتمه ليختم به وخاصةً إذا كان من ذوي السلطة والأمر، وهذا الخاتم النبوي هو الذي كان يتداوله الخلفاء الثلاثة الراشدون حتى سقط في بئر أريس بقباء أيام خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، فنزحوا الماء فلم يعثروا عليه.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الفتح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الحُجُرَاتِ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة من المدنيات أيضًا، وهي تُعنى بالأخلاق والتربية الإسلامية، وتطهير المجتمع المسلم من أدران الفواحش والذنوب الاجتماعية، وهي مع وجازتها وقلّة آياتها، جمعت من الفضائل والأخلاق والمكارم ما لم تجمعه سورة سواها، حتى أطلق عليها بعض العلماء «سورة الأخلاق»، وهي ثمان عشرة آية.

من خصائص هذه السورة

١ ــ امتازت بذكر أربع آيات مبتدأة بوصف الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وهي آيات ١، ٢، ٦، ١٢.

٢ ــ ذكر سلوك الأدب مع نبـي الإسلام بعدم التقدم بين يديه في أي شيء وعدم رفع الصوت فوق صوته، وخفضه عند مخاطبته ﷺ، آية ١.

٣ ــ بيان بعض أخلاق أهل الجهل والسفاهة والجفاء وسوء أدبهم مع مقام الحضرة النبوية، آية ٤.

٤ ــ وجوب التثبت عند نقل الأخبار وأنه لا يقبل في ذلك قول الفاسق، وهي قاعدة من قواعد الدين التي تتركز عليها الرواية والشهادة، آية ٦.

٥ ــ بيان منة الله تعالى على المؤمنين حيث حبب إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، آيتان ٧، ٨.

٦ ــ وجوب الإصلاح بين المسلمين المتقاتلين، آية ٩.

٧ ــ قتال الفئة الباغية إذا أصرت على عدم الصلح والرجوع إلى الحق، آية ٩.

٨ ــ بيان الأخوة الإسلامية، وأن كل المؤمنين إخوة لبعضهم، آية ١٠.

٩ ــ النهي عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، آية ١١.

١٠ ــ النهي عن التنابز بالألقاب وأنه فسوق، آية ١١.

١١ ــ اجتناب ظن السوء بالمسلمين، آية ١٢.

١٢ ــ النهي عن التجسس وتتبع العورات، آية ١٢.

١٣ ــ النهي عن الغيبة والطعن في الأعراض، آية ١٢.

١٤ ــ بيان أن الناس كلهم من أصل واحد لا فضل لأحد على آخر إلاَّ بالتقوى، آية ١٣.

١٥ ــ التنصيص على التفرقة بين الإيمان والإسلام، آية ١٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
(٢) سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ
(٣) كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: «أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلاَّ خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾ حتى انقضت الآية، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمِع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

رواه أحمد ٤/ ٤، ٦، والبخاري في المغازي ٤٣٦٧، وفي التفسير ٤٨٤٧، ١٠/ ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، وفي الاعتصام ٧٢٠٢، والترمذي في التفسير ٣٠٥١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٩، ومن المجتبى رقم ٥٣٨٦.

كان سبب نزول الآيات هم بنو تميم حين قدموا على رسول الله ﷺ، فأوائل الآيات نزلت لمُماراة الشيخين رضي الله تعالى عنهما بين يدي رسول الله ﷺ، والكلام على غض الصوت جاء في شأن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، ولهذا قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، وذلك لغض صوته وتأدبه بعد نزول الآية.

وقولة ابن الزبير هذه رواها البخاري في التفسير.

أما المناداة من وراء الحجرات فجاءت في شأن بني تميم، وهم الذين نادوا رسول الله ﷺ وهو قائلٌ وسط النهار فجعلوا ينادونه: يا محمد اُخرج إلينا أين أنت...

وعن البراء رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن

﴿وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ...﴾ الآية، قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زَيْنٌ، وإن ذمّي شَيْنٌ، فقال النبـي ﷺ: «ذاك الله عزَّ وجل».

رواه الترمذي ٣٠٥٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٦، وابن جرير ٢٦/ ١٢١، وسنده صحيح؛ رجاله رجال مسلم، ولا يضر السبيعي هنا؛ فإن للحديث شاهدًا عن الأقرع بن حابس، وهو الذي نادى رسول الله ﷺ وقال له هذه الكلمات، وحديثه عند أحمد ٣/ ٤٨٨، و ٦/ ٣٩٣، ٣٩٤، والطبراني في الكبير ٨٧٨ وسنده صحيح.

الحجرات جمع حجرة، وهي هنا بيوت زوجات النبـي ﷺ.

وقوله: حمدي... إلخ، يعني أن من مدحته فهو المحمود، ومن ذممته فهو المعيب المشين. والشَين بفتح الشَّين هو العيب خلاف الزين. ولما قال هذه الكلمات وكان مخطئًا في ذلك رد عليه النبـي ﷺ وعرفه بأن المتصف بذلك في الحقيقة هو الله عزَّ وجل.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾.

جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبـي ﷺ فسأل النبـي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبـي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»، وفي رواية: قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة وكان ذلك الانكشاف لبس ثيابه وتحنط وتقدم فقاتل حتى قتل.

رواه أحمد ٣/ ١٤٦، ٢٨٧، والبخاري في المناقب رقم ٣٦١٣، وفي الجهاد

٢٨٤٥، ومسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله رقم ١٨٧، وابن حبان ١٦/ ١٢٨، ١٣٠، وأبو يعلى ٣٤٢٧.

وفي الحديث فضل هذا الصحابي ثابت بن قيس وأنه من شدة خوفه من غضب الله عليه. . . احتبس في بيته كئيبًا حزينًا حتى بشَّره النبي ﷺ بالجنة، وكان آخر أمره أن قتل شهيدًا في وقعة اليمامة، ولذلك جاء في حديث رواه الحاكم ٣/ ٢٣٤، أنَّ النبي ﷺ قال له: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة»، وصحَّحه الحاكم.

(٦) **قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾.**

عن الحارث بن ضرار الخزاعي والد جويرية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهما قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ فيه وأقررتُ به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، قلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعتُ زكاته فيرسل إليَّ رسول الله ﷺ رسولاً لإبَّان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبَّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته فظنَّ الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عزَّ وجل ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقَّت لي وقتًا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلاَّ من سخطة كانت فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ الوليدَ بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِق، فرجع فأتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة، وأراد

قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتَّةً، ولا أتاني.

فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيتُه ولا أتاني وما أقبلتُ إلاَّ حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عزَّ وجل ورسوله قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾.

رواه أحمد ٤/٢٧٩، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٠٣، قال النور في المجمع: ورجاله ثقات، وجوَّده السيوطي في الدر المنثور ووردت القصة من طرق. انظر: الدر ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، وابن جرير ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.

لا خلاف بين المفسرين أن الآية نزلت بسبب الوليد بن عقبة وهو ابن أبي معيط مات والده كافرًا وأسلم الوليد يوم الفتح، وولاه سيدنا عثمان الكوفة وكان شرَّابًا للخمر، وصلَّى بالناس مرة الصبح أربع ركعات وقال لهم: أزيدكم، فرفع أمرُه إلى سيدنا عثمان وكان أخاه لأمه فأمر بحده وعزله، ثم سكن بعد البرقة، قال ابن عبد البر: خبره في صلاته بالناس الصبح أربعًا. . . مشهور من رواية الثقات. . وقصة حده وجلده في صحيح البخاري.

والآية الكريمة أصل أصيل، وقاعدة عظيمة من قواعد الدين، وهو وجوب التثبت في نقل الأخبار، ورواية الأحاديث النبوية.. وأداء الشهادة.. وأن الفاسق لا تقبل روايته ولا شهادته كما لا يعمل بخبره مطلقًا، بل لا بدَّ من العدالة وهي معروفة.

(٧) قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾.

عن أبي نضرة رحمه الله تعالى قال: قرأ أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ...﴾ الآية، قال: هذا نبيكم ﷺ يوحى إليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنِتوا فكيف بكم اليوم.

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٥٤ وحسّنه وصححه، وهو من أفراده عن الستة.

العَنَت: بفتحات، أصله التعب، والمراد به هنا الحرج أو مطلق المشقة.

ومعنى الآية الكريمة أن رسول الله لو أطاع الناس في أكثر ما يقترحون عليه أو يحبون لحصل لهم تعب عظيم، وحرج شديد كبير.

(٩) قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبَيٍّ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرضٌ سَبِخَةٌ، فلما أتاه النبيُّ ﷺ فقال: إليك عني، والله

لقد آذاني نتنُ حمارك، فقال رجلٌ من الأنصار منهم، والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضربٌ بالجريد والنِّعال والأيدي، فبلغنا أنها نزلت: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا... ﴾ الآية.

رواه البخاري في الصلح رقم ٢٦٩١، ومسلم في السير والجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ١٢/ ١٥٩.

في الحديث أن الآية نزلت بسبب ما وقع بين الأوس والخزرج في هذه الوقعة، ولم يذكر البخاري هذا الحديث في التفسير، فذكره في الصلح، وذكر حديث أسامة بدله وقد قدمناه آخر سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى ﴾ [آل عمران: ٨٦]، وذكر هنالك بأطول من ههنا، وسنورده هنا.

وفيه أن المسلم الكامل الملتزم قد تحمله الحمية والهوى والعصبية على الخصام والخروج عن الجادة وأنه ليس بمعصوم. وفيه غشيان مجالس الأخلاط والأندية للدعوة إلى الله عزَّ وجل، وفيه مشروعية الصلح بين المتضاربين والمتقاتلين، وفيه حلمُ النبي ﷺ وعفوه عن ذلك المنافق وإعراضه عن سفاهته.

وقد جاءت قصة أخرى مع هذا اللعين شبيهة بهذه، ففي التفسير من صحيح البخاري ٩/ ٢٩٨، ٣٠٠، والجهاد والسير من صحيح مسلم ١٢/ ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩ من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ ركب حمارًا عليه إكافٌ تحته قطيفة فدكية وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم

عبد الله بن أُبَـي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله ابن أبـي أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغبِّروا علينا، فسلَّم عليهم النبـي ﷺ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أُبـي: أيُّها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقًّا فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا فلم يزل النبـي ﷺ يخفِّضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حُباب ـ يريد عبد الله ابن أبـي ـ قال: كذا وكذا، قال: اعفُ عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرة أن يُتَوِّجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه النبـي ﷺ.

فهذه قصة أخرى غير الأولى وهي أبسط وفيها عفوه ﷺ عن هذا المنافق.

وعن أبـي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يومًا ومعه على المنبر الحسنُ بن علي رضي الله تعالى عنهما فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

رواه أحمد ٥/٣٨، ٤٤، ٤٩، والبخاري في الصلح ٢٧٠٤، وفي المناقب ٣٦٢٩، ٣٧٤٦، وفي الفتن ٧١٠٩، وأبو داود في السنَّة ٤٦٦٢، والنسائي في الجمعة والترمذي في المناقب رقم ٣٥٤٥ بتهذيبـي وغيرهم.

السيد هو من فاق أهل زمانه في خصال الخير، وقد يطلق على غيره مجازًا.

وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوته ﷺ ومعجزاته، حيث أخبر عن سيِّدنا الحسن عليه السَّلام وهو لا يزال طفلاً صغيرًا بأن الله عزَّ وجل سيُصلح به بين المسلمين، فحقق الله ذلك بمصالحته مع معاوية فحُقنت بذلك دماء المسلمين التي كانت على وشك الإراقة، فرضي الله تعالى عنه وعنا معه آمين.

والآية الكريمة تأمر المسلمين بالإصلاح بين المتقاتلين من أهل الإسلام، فإن أبت فرقة منهما عن المصالحة وأصرَّت على القتال وجب على المسلمين قتالها حتى ترجع إلى حكم الله عزَّ وجل.

(٩) **قوله تعالى:** ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ⑨﴾.

عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمينٌ، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولُوا».

رواه أحمد ٢/ ١٦٠، والحميدي ٥٨٨، ومسلم في الإمارة ١٢/ ٢١١، والنسائي في آداب القضاء ٨/ ١٩٥، وفي الكبرى ٢/ ٤٦٠.

المقسطون: أهل العدل في الحكم، من أقسط، أما القاسطون: فهم الجائرون، من قسط. وفي الحديث فضل أهل العدل والقسط بين الرعايا ومن يلون أمورهم، فيدخل في ذلك الإمارة العظمى، والقضاء، والحسبة، والنظارة... وما إلى ذلك، فمن كان عادلاً من هؤلاء كان له هذا الفضل العظيم المذكور في الحديث.

أما قوله: عن يمين الرحمن... إلخ، فهذا من أحاديث الصفات نؤمن به ولا نؤوله ولا نعرف معناه، وظاهره غير مراد لأن الجارحة مستحيلة في حق الله عزَّ وجل.

(١٠) **قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ⑩﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو

المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

رواه أحمد ١٢/ ٩١، والبخاري في المظالم ٢٤٤٢، وفي الإكراه ٦٩٥١، ومسلم في البر والصلة ٢٥٨٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٩٣، والترمذي في الحدود ١٢٩٦ بتهذيبي وغيرهم.

في باب الأخوة الإسلامية أحاديث كثيرة جاءت في الصحاح والسنن وغيرها وكلها تفيد أن المسلمين إخوة تجمعهم كلمة الإخلاص والتكاليف الشرعية والأخوَّة تقتضي البرور والإحسان والأخذ باليد والمساعدة وغير ذلك من الإيجابيات، كما تقتضي رفع الأذى وكل أنواع الإساءة عن كل المسلمين، وهذا الجانب للأسف قد ضيعه أكثرُ المسلمين وفرطوا فيه ولم يعودوا يهتمون به، فكُلٌّ منطوٍ على نفسه والنظر إلى مصالحه، حتى أولئك الثرثارون والقائمون بالنيابة عن إخوانهم يغشونهم ويهضمون حقوقهم ولا يبالون بمصالحهم العامة والخاصة، وإنما الذي يهمهم هي مصالحهم الشخصية . . .

(١١) **قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾.**

عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجلُ منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ. . .﴾ الآية، وفي رواية: وليس أحد منا إلاَّ له لقب أو لقبان، قال: فكان إذا دعي بلقبه قلنا: يا رسول الله، إن هذا يكره هذا.

رواه أحمد ٤/ ٦٩، ٥/ ٣٨٠، وأبو داود ٤٩٦٢، والترمذي ٣٠٥٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٦، وكذا البخاري في الأدب المفرد ٣٣٠، وابن حبان ١٧٦١ بالموارد، والحاكم ٢/ ٤٦٣، و ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

التنابز بالألقاب: التنادي بالأسماء المكروهة للإنسان، وذلك محرم بنص الآية الكريمة وأنه فسوق، فمعنى الآية: لا يدعو وينادي بعضكم بعضًا بلقب يبغضه ولا يحبّه، وهو مأخوذ من النبز، بسكون الباء، من نبزه إذا لقبه بما فيه ذم.

(١٢) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تنافسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٥، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٨٢، وفي مواضع، والبخاري في الأدب ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، وفي الفرائض ٦٧٢٤، ومسلم ٢٥٦٣، وأبو داود في الأدب ٤٩١٧ وغيرهم.

سوء الظن بالمسلم حرام لغير ريبة، وقد سماه النبـي ﷺ أكْذَبَ الحديث، وهكذا التجسس عليه والبحث عن أحواله بقصد الشر والإيقاع به والوشي به إلى ذوي السلطة فإنه محرم أشد التحريم. وفي الحديث الإرشاد إلى التخلي عما يؤدي إلى العداوة والمهاجرة بين المسلمين من الخصال الساقطة والأخلاق السافلة.

(١٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلمُ، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتَّه».

رواه أحمد ٢/ ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٥٨، ومسلم في البر والصلة ١٦/ ١٤٢، رقم

٢٥٨٩، والترمذي فيه أيضًا رقم ١٧٨٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٧٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٧ وغيرهم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا تعني قصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».

رواه الترمذي آخر صفة القيامة رقم ٢٣٢٤، وأبو داود في الأدب ٤٨٧٥، وسنده صحيح على شرط الصحيح، وجاء في رواية عنه ﷺ: «ما أحب أني حكيت أحدًا وإن لي كذا وكذا»، وفي رواية: حكيت للنبي ﷺ رجلاً فقال: «ما يسرُّني أني حكيت رجلاً وإن لي كذا وكذا». . وحسَّنه الترمذي وصححه.

قوله: بهته، بفتح الهاء مخففة، أي قلت فيه البهتان والباطل وما لا أصل له. والغيبة: بكسر الغين، بيَّنها الحديث، وهي ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، وهي محرمة بالإجماع، فلا يجوز ذكر أي شخص مسلم ذكرًا كان أم أنثى بما يكرهه لو كان حاضرًا، سواء كان متعلقًا به أو بزوجته أو ولده أو والديه أو ماله أو داره. . . وقد جاءت في ذلك آثار نبوية وزواجر شديدة.

وإذا كانت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها وصفت السيدة صفية رضي الله تعالى عنها بكونها قصيرة القامة، وأخبرها ﷺ بأن تلك الكلمة لو خلطت بماء البحر لكدرته وأفسدته، فكيف بمن يسلق بلسانه الأعراض ويأكل لحوم الناس بالطعن واللمز والقذف والبهتان، حفظنا الله تعالى من هذا الخلق المقيت الخطير.

نعم، استثنى العلماء إباحة الغيبة لأسباب: كشكاية المظلوم لذوي السلطة، والاستفتاء مثلاً من الظلم، وتحذير المسلمين من الشر كجرح الرواة والشهود والمصنفين، والنصيحة عند المشورة، ومن يتجاهر بفسقه أو بدعته فيجوز ذكره بما يتجاهر به، وغير ذلك مما ذكره العلماء رحمهم الله.

(١٣) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هيِّن على الله، والناس بنو آدم، وخلق اللّهُ آدم من التراب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ. . . ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/ ٥٢٤، والترمذي ٣٠٥٥، وابن أبي حاتم ٣٣٠٦. والحديث صحيح لطرقه وشواهده عند الطيالسي ٢١٧٣، وابن حبان ١٩٤٣، بالموارد وسنده صحيح.

عن ابن عباس ولفظه: «لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية، فوالذي نفس محمد بيده لما يُدَهْدِهُ الجُعَل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

وعن أبـي هريرة ولفظه: «لينتهيَنَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحمُ جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجُعَل الذي يُدَهْدِهُ الخُراء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، كلهم من آدم وآدم خلق من التراب».

رواه أبـو داود فـي الأدب ٥١١٥، والتـرمـذي آخـر حـديـث فـي جـامعـه ٣٧١٦ بتهذيبـي، وسنده صحيح عند أبـي داود وحسن عند الترمذي.

وعن أبـي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إن النبـي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلاَّ أن تفضله بتقوى الله».

رواه أحمـد ٥/ ١٥٨، وسنـده حسـن. وتقـدم حـديـث أبــي هـريـرة: سئل رسول الله ﷺ: أيّ الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، وهو في الصحيح، وانظر ما سبق في سورة يوسف.

قوله: عُبِّيَّة: بضم العين المهملة وكسر الباء الموحدة المشدَّدة ثم تحتيَّة مفتوحة مشدَّدة، هي النخوة والكبر. وقوله: الجُعَل بضم الجيم وفتح

العين، ويقال: الجُعلان، هو الدويبة السوداء كالخنفساء تأكل البعر. وقوله: يُدهده، بضم التاء وفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما هاء ساكنة، أي يُدَحْرِجُهُ.

وما ذكر من الأحاديث موافقة للآية الكريمة ومبيِّنة لها، وأنه لا عبرة بالأشخاص ولا بالأموال.. وإنما العبرة بالإيمان والتقوى والدين لا غير، وما عدا ذلك فالناس كلهم سواء لا فضل لهذا على ذاك.

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: «الحسبُ المال، والكرم التقوى».

رواه أحمد ٥/ ١٠، والترمذي ٣٠٥٦، وابن ماجه ٤٢١٩، والحاكم ٢/ ١٦٣، و ٤/ ٣٢٥، وسنده صحيح وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

الحديث مبين للكرم في الآية وأنه تقوى الله عزَّ وجل، وأن الحسب عند أهل الدنيا هو المال، فمن لا مال له ولا ثروة فلا حسب له عندهم.

١٤ قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله أعطيتَ فلانًا وفلانًا ومنعت فلانًا وهو مؤمن، قال: «أو مسلم»، قالها مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: «أو مسلم».

رواه أحمد ١/ ١٨٢، والبخاري في الإيمان رقم ٢٧، وفي الزكاة ١٤٤٨، ومسلم في الإيمان ٢٣٦، ٢٣٧، من طرق وأبو داود، ٤٦٨٣، ٤٦٨٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٧، وفي الإيمان من المجتبى مطولاً ومختصرًا.

ظاهر الآية والحديث التفرقة بين الإيمان والإسلام، وأن الإنسان قد يكون ظاهر الإسلام ولكن قلبه لا يزال لم يرسخ فيه الإيمان. وللعلماء

خلاف بين المعنيين فقيل إن الإيمان أخص من الإسلام، وقيل: هما سواء ولكل دليل يعتمد عليه.

(١٧) قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا فقالوا: قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عددًا ولا أكَلِّهم شوكة؛ وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: «تكلموا» هكذا قالوا: لا، قال: «إن فقه هؤلاء قليلٌ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم...»، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ... ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٧، والحديث وإن كان في سنده ضعف فإنه ينجبر بشاهد له عن عبد الله بن أبي أوفى. رواه الطبراني في الأوسط، قال في المجمع ٧/ ١١٢ فيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن جرير ٢٦/ ١٤٥، عن سعيد بن جبير مرسلاً بسند صحيح. فالحديث لذلك صحيح.

قوله: أَكَلِّهْم شوكة، الكَلُّ بفتح الكاف، قفا السيف والسكين الذي لا يقطع وليس بحادّ، ومعناه: لسنا بأضعفهم أو أقلهم أذى، إذا أردنا ذلك.

وفيما قالوه افتخار منهم وامتنان على النبي ﷺ حيث أسلموا اختيارًا طائعين ولم يقاتلوه كما قاتلته قبائل مُضَرَ، فرد الله تعالى عليهم ما امتنُّوا به وبيَّن لهم أن المنَّة لله عزَّ وجل، حيث وفَّقهم وهداهم للإيمان.

وبهذا تمت سورة الحجرات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ قٓ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها خمس وأربعون، وهي أول سورة من حزب المفصل، فإن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يحزبون القرآن سبعة أحزاب:

الأول: فيه ثلاث سور: البقرة، وآل عمران، والنساء.

الثاني: فيه خمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

الثالث: فيه سبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

الرابع: فيه تسع: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.

الخامس: فيه إحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

السادس: فيه ثلاث عشرة: الصافات، ص، والزمر، وغافر، والسجدة، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات.

السابع: من سورة ق إلى آخر القرآن، وهي خمس وستون سورة من السور المفصل وفيها الطوال، والوسطى، والقصار.

وقد جاء بهذا حديثٌ رواه أحمد ٣٤٣/٤، وأبو داود في أبواب التطوع رقم ١٣٨٨، وابن ماجه في الصلاة رقم ١٣٤٥، وحسَّنه ابن كثير.

عن أوس بن حذيفة قال: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزِّبون القرآن؟ فقالوا: ثلاثٌ، وخمسٌ، وسبعٌ، وتسعٌ، وإحدى عشرةَ، وثلاث عشرة، وحزبُ المُفصَّل من ق حتى تختم.

وهذه السورة الكريمة طابعها الغالب عليها هو إقامة الحجة على البعث والنشور والمعاد والحساب، والجنة والنار، والترغيب والترهيب إضافة إلى الكلام على الوحدانية والرسالة.. ولذلك كان ﷺ يقرؤها في المجامع العامة كالجُمع لاشتمالها على كل ما ذكرنا.

فعن أم هشام بنت حارثة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد كان تنُّورنا وتنُّور رسول الله ﷺ واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ إلاَّ عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جُمُعة على المنبر إذا خطب الناس.

رواه مسلم في الجمعة ٦/ ١٦٠، ١٦٢، وأبو داود ١١٠٠، ١١٠٢، ١١٠٣، والنسائي في الكبرى ٤٦٨/٦، وفي الجمعة من المجتبى.

وعن زيد بن علاقة عن عمه قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ الصبحَ فقرأ في إحدى الركعتين: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾، قال شعبة: فلقيته في السوق في الزحام فقال: «ق».

رواه مسلم رقم ٤٥٧، والترمذي كلاهما في الصلاة، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٨، وفي المجتبى وابن ماجه ٨١٦.

التنور بفتح التاء وضم النون المشددتين هو الفرن والمخبز.

من خصائص هذه السورة

١ ــ إن الله عزَّ وجل يعلم ما توسوس به النفوس وما يجول في الخواطر، آية ١٦.

٢ ــ إنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ــ وهو عرق كبير في العنق متصل بالقلب ــ والآية من آيات الصفات، فالأولى عدم تأويلها مع تنزيه الله عزَّ وجل عن الحلول في الأماكن أو الذوات، آية ١٦.

٣ ــ ذكر الكاتِبَيْن المكلَّفَين بالإنسان أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، آية ١٧.

٤ ــ ذكر سكرة الموت التي كان يحيد عنها الإنسان، آية ١٩.

٥ ــ تكلم جهنم يوم القيامة فتقول: هل من مزيد، آية ٣٠.

٦ ــ لم يصبه تعالى لغوب ولا تعب ولا إعياء عندما خلق هذه الكائنات العلوية والسفلية وما فيها من عجائب المخلوقات، آية ٣٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١٦) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تجاوز لأمتي عمَّا وسوست أو حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم».

رواه أحمد ٢/ ٢٥٥، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٨١، والبخاري في العتق ٢٥٢٨، وفي النكاح ٥٢٦٩، وفي الأيمان والنذور ٦٦٦٤، ومسلم في الإيمان ٣/ ١٤٦، ١٤٧، وأبو داود

٢٢٠٩، والترمذي في الطلاق رقم ١٠٦٤ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٣/ ٣٦٠، وابن ماجه ٢٠٤٠.

في الحديث فضل الله على عباده ولطفه بهم حيث إنه لا يؤاخذهم بالوساوس النفسانية وما يخطر في البواطن من الحديث ما دام الإنسان لم يتكلم بذلك بلسانه ولم يعمل بجوارحه بمقتضى ما حدثته نفسه. وعلى هذا فمن حدثته نفسه بقتل شخص، أو زنا أو شرب أو طلاق مثلاً أو أي شر لا يؤاخذه الله بكل ذلك، والواجب عليه أن يعرض عما وسوست به نفسه ويستعيذ بالله من شرها وشر الشيطان. وفي الآية الكريمة بيان لبعض صفات الربوبية كعظيم قدرته وإحاطة علمه وقربه من عباده وشهوده وحضوره.

(١٨) قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

عن بلال بن الحارث المُزني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يَكْتُبُ الله عزَّ وجل بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة».

رواه أحمد ٣/ ٤٦٩، والترمذي في الزهد ٢١٣٩ بتهذيبي، وابن ماجه ٣٩٦٩، والحاكم ١/ ٤٥، ٤٦، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وله شاهد في الصحيح.

الآية الكريمة تخبر بأن كل إنسان عليه حافظان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله يكتبان ما يتلفظ به من قول، وسيأتي في الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، فهما حاضران معه رقيبان عليه لا يفارقانه.

أما الحديث فيزيد الآية وضوحًا، وأنه ما من خير فيه رضاء الله أو شر

فيه سخط الله إلاَّ ويكتبه عليه بواسطة ملائكته الكرام. وفيه إرشاد إلى أنه ينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه ويراقب ما يتلفظ به فإنه قد يزلّ فيسخط الله عليه.

(٢٦) **قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكِّلت بثلاثة، بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلـٰهًا آخر، وبالمصورين.

رواه أحمد ٢/ ٣٣٦، والترمذي في أول صفة النار رقم ٢٣٩١ بتهذيبي وحسَّنه وصحَّحه.

عنق بضمتين، أي مثل صورة عنق حقيقية بدليل ذكر العينين والأذنين واللسان، فإن هذه لا تكون إلاَّ للأجسام، ولا داعي للتأويل وادِّعاء المجاز فإن الآخرة خلاف الدنيا.

وفي الحديث وعيد، أي وعيد لهؤلاء الأصناف الثلاثة الذين منهم من جعل مع الله إلـٰهًا آخر فإنه من الأخسرين كأخويه المذكورين معه. والجبار العنيد هو المتمرد العاتي الجائر الباغي الذي يرد الحق ولا يقبله ولا يعمله.

(٣٠) **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وعزَّتك وكرمك».

رواه أحمد ٣/ ١٣٤، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢١٧، وغيره، ومسلم في صفة جهنم ١٧/ ١٨٣، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٥٧. ونحوه عن أبي هريرة عند البخاري ومسلم في المصدرين مطوَّلاً.

وقوله: قط قط: بفتح القاف وسكون الطاء، أي حسبي. وقوله: ينزوي، أي يجتمع.

وهذا الحديث من أحاديث الصفات، قال النووي: جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد، يعني به الجارحة وصفة المخلوقات. وقال الحافظ في الفتح: واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله تعالى. وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك... إلخ.

وفي الآية مع الحديث تكلم جهنم، ولا استحالة في ذلك بالنسبة لقدرة الله عزَّ وجل، ولا سيما يوم القيامة؛ فإن فيها أمورًا فوق مستوى عقولنا، فحسبنا الإيمان بما جاء في كتابنا وعلى لسان نبينا ﷺ فنقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

(٣٩) **قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾.**

عن عمارة بن رُويبة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يَلِجْ النار»، فقال له رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ.

رواه مسلم في المساجد ٥/ ١٣٥، وأبو داود ٤٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦٨، ٤٦٩، وفي المجتبى.

وعن جرير رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجعلنا ننظر إلى القمر ليلة البدر فقال النبي ﷺ: «أما إنكم تنظرون إلى ربكم تبارك

وتعالى كما تنظرون إلى القمر لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاتين صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروبها، وتلا: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ. . . ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٢٠، ومسلم في المساجد ٥/ ١٣٤ وغيرهما.

قوله: لم يلج، أي لم يدخل. وقوله: لا تضامون، أي لا يلحقكم ضيم في الرؤية.

جيء بالحديثين لبيان أن المراد بالتسبيح في الآية قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هو صلاتا الصبح والعصر، وعبَّر عنهما بالتسبيح تعبيرًا بالجزء عن الكل وهو شائع. وفي الحديث الأول فضل المحافظة على هاتين الصلاتين وأن مصليهما لا يدخل النار، وذلك لثقلهما على أكثر الناس وتفريطهم فيهما. والحديث الثاني دليل لأهل السنَّة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، والأحاديث بذلك متواترة، ويأتي مزيد لهذا في سورة القيامة.

وبهذا تمت سورة ق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الذَّارِيَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وهي مكيَّة، وآياتها ستون، وموضوعها دلائل التوحيد وإقامة الحجة على وقوع البعث. . . وذكر قصص بعض الأنبياء مع أممهم الطغاة.

من خصائص هذه السورة

١ ــ بيان أن المتقين من سماتهم قلة النوم بالليل اشتغالاً منهم بالقيام والتهجد، آيتان ١٧، ١٨.

٢ ــ إقسام الله عزَّ وجل على حقية رزقه للعباد وأنه واقع جزمًا كوقوع نطقنا، آيتان ٢٢، ٢٣.

٣ ــ ذكر آية تدل على تواطؤ الإيمان والإسلام، وهي: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾، فالمؤمنون الأولون هم المسلمون الآخرون، آيتان ٣٥، ٣٦.

٤ ــ الأمر بالفرار إلى الله عزَّ وجل يعني إلى الإيمان به وطاعته، آية ٥٠.

٥ ــ ذكر الآية العظيمة المشهورة في أن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلاَّ لعبادته، آية ٥٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١٧) قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

عن حفصة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل»، فكان بعد ذلك لا ينام إلاَّ قليلاً.

رواه البخاري في التعبير ١٦/ ٧٦، ٧٧ وغيره، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٣٨، ٣٩ وغيرهما.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها»، قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلَّى بالليل والناس نيام»، وفي رواية: «وأفشى السلام»، وفي أخرى: «وتابع الصيام».

رواه أحمد ٥/ ٣٤٣، والطبراني في الكبير ٣٤٦٦، وابن حبان ٢/ ٢٦٢، والبيهقي في السنن ٤/ ٣٠٠، ٣٠١، والبغوي في شرح السنة رقم ٩٢٧، وسنده صحيح، وقال النور في المجمع ٢/ ٢٥٤، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وفي الباب غير ذلك.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات الأتقياء أهل الجنان، وأنهم يقللون من النوم شغلاً منهم بصلاة الليل والتهجد.

وحديث أبي مالك يدل على أن هؤلاء المذكورين فيه لهم غرف خاصة يُعطونها دون غيرهم، ومن هؤلاء المتهجدون الذين يقومون من مضاجعهم يصلون والناس في فرشهم نائمون غافلون. أما حديث حفصة في شأن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم فيدل على أن قيام الليل من صفات الصالحين، فلا ينبغي لهم أن يغفلوا عن ذلك.

(١٨) قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربُّنا

تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يَطلع الفجر».

رواه أحمد ٢/ ٢٦٧، ٤٣٣، ٤٨٧، والبخاري في التهجد ١١٤٥، وفي الدعوات ٦٣٢١، وفي التوحيد ٧٤٩٤، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٥٨، وأبو داود ١٣١٦، والترمذي في الصلاة ٣٩٨، وفي الدعوات ٣٢٦٩، وابن ماجه ١٣٢٦ من طرق وألفاظ.

هذا الحديث أيضًا من أحاديث الصفات، فتفسيره إمراره كما جاء بلا تكييف ولا انتقال من مكان إلى مكان، بل نزوله تعالى بلا آلة ولا تحرك ولا شيء من صفات المخلوقين، وفي الآية والحديث الترغيب في الاستغفار والدعاء بالأسحار، لأنه وقت التجلي الإلـهي وهو من مظان الاستجابة، ولذا جاء في حديث آخر عنه ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن».

رواه الترمذي في الأدعية رقم ٣٣٤٨ بتهذيبي، وحسَّنه وصحَّحه.

(١٩) **قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾.**

عن الحسن عليه السَّلام قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حقٌّ وإن جاء على فرس».

رواه أحمد ١/ ٢٠١، وأبو داود ١٦٦٥، والطبراني في الكبير ٢٨٩٣، وابن خزيمة ٢٤٦٨، وأبو يعلى ٦/ ٣٣، قال الحافظ: وجزم بصحته غير واحد. وجوَّده العراقي والسخاوي، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر، وانظر القول المسدد ص ٦٨، ٧٠.

في الآية والحديث دليل على أن للسائل حقًّا كيفما كان حاله ولو جاء راكبًا حمارًا أو بغلاً أو فرسًا أو سيارة مثلاً، فلا يرد إلاَّ بالإعطاء أو بالكلمة الطيبة.

(٤١) قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالصَّبا وأُهلكتْ عاد بالدَّبور».

رواه الشيخان وغيرهما وتقدَّم في سورة السجدة.

وعن رجل من ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: قدمتُ المدينة فدخلتُ على رسول الله ﷺ فذكرتِ عنده وافد عاد فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد. فقال رسول الله ﷺ: وما وافد عاد؟ قال: فقلت: على الخبير بها سقطت، إن عادًا لما أقحطت بعثت قَيْلاً فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغنَّته الجرادتان، ثم خرج يريد جبال مهرة فقال: اللَّـهمَّ إني لم آتك لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه، فاسقِ عبدك ما كنت مسقيه، واسقِ معه بكر بن معاوية ــ يشكر له الخمر الذي سقاه ــ، فرفع له سحابات، فقيل له: اختر إحداهنَّ فاختار السوداء منهنَّ فقيل له: خذها رمادًا رِمْدِدًا لا تذر من عاد أحدًا. وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلاَّ قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾.

رواه أحمد ٣/ ٤٨١، ٤٨٢، والترمذي في التفسير ٣٠٥٨ وسنده صحيح.

قوله: على الخبير سقطت، أي على العليم بقصته. قوله: أقحطت بضم الهمزة، أي تأخر عنهم نزول المطر. وقوله: قيلاً بفتح القاف وسكون الياء اسم وافدهم. وقوله: الجرادتان: مغنيتان كانتا بمكة. وقوله: رمادًا بفتح الراء، وقوله: رِمْدِدًا بكسر الراء والدال الأولى بينهما ميم ساكنة، أريد به المبالغة في الاحتراق. وقوله تعالى: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾، هي التي لا خير فيها بل شر محض. وفي الحديث عِبَر لا تخفى كالآية الكريمة.

(٥٨) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسُدَّ فقرك، وإلاَّ تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك».

رواه أحمد ٢/٣٥٨، والترمذي في صفة القيامة، رقم ٢٢٨٧ بتهذيبي، وابن ماجه ٤١٠٧، وابن حبان ٢٤٧٧ بالموارد، والحاكم في التفسير ٢/ ٤٤٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي، بل سنده حسن في الشواهد وهو صحيح لشاهد له عن معقل بن يسار. رواه الحاكم ٤/ ٣٢٦، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

في الحديث الشريف دليل على أن من انقطع إلى الله عزَّ وجل تعبُّدًا أو دعوة إليه وشغلاً بالعلوم الدينية كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الرزق وملأ قلبه غنى به عزَّ وجل، ومن غفل عن الله تعالى صرفه إلى مشاغل الحياة وملأ قلبه بها ولم يسد فقره، بل يبقى طوال حياته فقير القلب حريصًا على الدنيا.

وقد جاءت أحاديث في معنى هذا الحديث كحديث: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما قُدِّر له».

رواه الترمذي في صفة القيامة ٢٢٨٦، وهو صحيح لشواهده عن زيد بن ثابت عند ابن ماجه ٤١٠٥ بسندٍ صحيح، وآخر عن ابن عمر رواه الحاكم ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩، وصحَّحه، وثالث عن ابن مسعود رواه ابن ماجه ٤١٠٦.

وقوله: راغمة، أي أتته ذليلة منقادة.

ويؤخذ من الحديث أن من أسباب الرزق الانقطاع إلى الله تعالى علمًا وعملاً، وأن ذلك يعتبر سببًا روحيًا، ولذا كان يقول بعض كبار الصالحين: للناس أسباب وسببنا تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وفي الحديث الصحيح: «لو توكَّلتم على الله حقَّ توكُّله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

رواه أحمد ١/ ٣٠، والترمذي ٢١٦٤، وصحَّحه من حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

وقوله: خماصًا، أي جياعًا. وبطانًا، أي عظيمة البطن. يعني: تروح شباعًا.

وفي حديث آخر: «من نزلت به فاقة، فأنزلها بالناس لم تُسدّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل».

رواه أبو داود في الزكاة ١٦٤٥، والترمذي في الزهد ٢١٤٦، وحسَّنه وصحَّحه، وهو عنده صحيح على شرط مسلم.

لم تسد فاقته، أي لم تقض له مهمته من الرزق.

وبهذا تمت سورة الذاريات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الطُّورِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة كسابقتها تتحدَّث عن العقيدة: التوحيد، الرسالة، البعث والنشور، القيامة والجنة والنار، وبيان مآل السعداء والأشقياء، وهي تسع وأربعون آية.

من خصائص هذه السورة

١ ـ القَسَم بالبيت المعمور، وهو بيت في السماء السابعة مقابل الكعبة، وهو للملائكة كالكعبة لأهل الأرض، تطوف به الملائكة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، آية ٤ .

٢ ـ بيان أن الله تعالى سيلحق الأبناء المؤمنين بآبائهم يوم القيامة لتقر أعينهم بذلك، آية ٢١ .

٣ ـ ذكر عظمة القدرة وإقامة الحجَّة على الكفار وقطع مزاعمهم وأن الله عزَّ وجل هو الخالق، ولم يخلقوا صدفة بدون خالق، أو كانوا هم الخالقين، آيتان ٣٥، ٣٦.

٤ ـ أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما قضاه عليه من أعباء الرسالة، وإخباره إيَّاه بأنه بمرأى منه تعالى يحفظه ويرعاه، آية ٤٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) **قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ ذكر البيت المعمور في السماء السابعة: «وإذا إبراهيم عليه السَّلام مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبدًا».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما ضمن حديث الإسراء مطوَّلاً، وقد تقدَّم في سورة سبحان، ورواه أحمد ٣/ ١٥٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٠، والحاكم ٢/ ٤٦٨ مختصرًا كما ذكرنا، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

الحديث مبين للبيت المعمور وأنه في السماء السابعة، وكان خليل الرحمن مسندًا ظهره إليه ويدخله من الملائكة ما لا يحصيهم إلاَّ الله عزَّ وجل، وذلك يدل على كثرة الملائكة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

(٢١) **قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله ليرفع ذُرِّيَّة المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ...﴾ الآية، ثم قال: وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين.

رواه البزار، قال النور في المجمع ٧/ ١١٤ فيه قيس بن الربيع وثَّقه شعبة، والثوري وفيه ضعف.. فالحديث حسن مؤيد بالآية الكريمة.

الآية والحديث كلاهما يدلان على أن الله عزَّ وجل سيكرم المؤمن بجمع ولده إليه في درجته لتقرّ عينه بذلك زيادة في إكرامه، وهذا من فضل الله عزَّ وجل على المؤمن الصالح.

(٣٦) (٣٧) قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾.

عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)...﴾ الآية، كاد قلبي أن يطير.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٢٦، وفي الصلاة وفي المغازي، ومسلم في الصلاة ٤٦٣، وأبو داود ٨١١، والنسائي، وابن ماجه ٨٣٢.

قال الحافظ على هذه الآية نقلاً عن الخطابي: وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز فلا بدَّ لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق، أفَهُم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا، ثم قال: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ الآية، أي إن جاز لهم أن يدَّعوا خلق أنفسهم فليدَّعوا خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم؛ فقامت الحجة... ومن هذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير ودخل الإسلام قلبه.

(٤٨) قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨)
(٤٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)﴾.

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلاَّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ثم قال: ربِّ اغفر لي ــ أو قال: ثم دعا ــ أستجيب له»، وفي رواية: «وإن قام فتوضأ وصلَّى قُبِلت صلاتُه».

رواه أحمد ٥/ ٣١٣، والبخاري في التهجد ١١٥٤، والترمذي في الدعوات ٣١٩٢ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢١٥، وابن ماجه ٣٨٧٨، والبيهقي ٣/ ٥ وغيرهم.

تعار معناه استيقظ من النوم، وأصل التعار، السهر والتقلب على الفراش. وفي الحديث فضل من استيقظ في الليل وذكر الله بما في الحديث، وأن من فعل ذلك غفر له واستجيب دعاؤه وقبلت صلاته.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللَّـٰهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك؛ إلاَّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك».

رواه الترمذي ٣٢٠٧، وأحمد ٢/ ٤٩٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى ٦/ ١٠٥، وابن حبان ٢٣٦٦، بالموارد والحاكم ١/ ٥٣٦، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم على شرط مسلم. وللحديث شواهد عن عائشة وابن عمر عند النسائي في الكبرى ٦/ ١٠٦، وعن أبي برزة الأسلمي عند أبي داود ٤٨٥٩، والدارمي والحاكم ١/ ٥٣٧، وعن جبير بن مطعم عند الطبراني في الكبير ٥٨٦، والحاكم ١/ ٥٣٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وعن رافع بن خديج عند الطبراني في معاجمه الثلاثة. قال النور ١/ ١٤١: ورجاله ثقات، وزاد بعضهم في أوله: «سبحان الله وبحمده».

قوله: لغطه، بفتحتين، هو كثرة الكلام الذي لا طائل تحته.

وهـذا الاستغفار يقال لـه كفارة المجلس، وهـذا فضل عظيم ولطف من الله ورحمةٌ بعباده المؤمنين. والحديث كسابقه موافق للآية الكريمة في معناها من مشروعية التسبيح عند القيام سواء قيام الليل أو غيره.

وبهذا تمت سورة الطور، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه أمهات المؤمنين وصحابته البررة الأكرمين، وعلى حزبه ومن تبعهم بإحسان أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النَّجْمِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وهي كباقي السور المكية، غير أنها امتازت بذكر مشاهد من المعراج بالنبي ﷺ، وآياتها، اثنتان وستون.

من خصائص هذه السورة

١ ــ قَسَمه تعالى بالنجم إذا هوى على أن رسوله الكريم ﷺ لم يضل ولم يغو، وأنه لا ينطق عن هواه، بل ما أتى به إن هو إلاَّ وحي أوحاه الله إليه، آيات ١ ــ ٤.

٢ ــ كلامه تعالى على حادث المعراج وبيان بعض مشاهده التي قطعِها النبي ﷺ ونزَلها، آيات ٨ ــ ١٨.

٣ ــ التنصيص على أنه ﷺ رأى جبريل عليه السَّلام للمرة الثانية على صورته الأصلية عند سدرة المنتهى، وهذا نص في وقوع المعراج يرد على الذين ينكرونه مع ردهم للأحاديث النبوية الواردة في ذلك وزعمهم أنها أخبار آحاد. . وكل ذلك جاء من جهلهم المركب، آية ١٣ ــ ١٧.

٤ ــ رؤيته ﷺ ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى، آية ١٨ .

٥ ــ ذكر اللات والعزى ومناة. . وهي أسماء لأصنام كانت للعرب، آيتان ١٩، ٢٠ .

٦ ــ الإنكار على الكفار في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، آية ٢٧ .

٧ ــ ذكر اللمم، وهي صغار الذنوب وأنها مغفورة مع اجتناب كبائر الإثم والفواحش، آية ٣٢ .

٨ ــ التنصيص على أن علم الله تعالى محيط بأطوار الإنسان من يوم أنشىء من الأرض وحيث كان جنينًا في بطن أمه، آية ٣٢ .

٩ ــ النهي عن تزكية النفوس ومدحها ــ يعني: إعجابًا وتفاخرًا ــ، آية ٣٢ .

١٠ ــ بيان أنه ليس للإنسان يوم القيامة إلاَّ ما سعى، إلاَّ ما استثنى، آيتان ٣٩، ٤٠ .

١١ ــ ذكر آيات ودلائل القدرة لم تذكر بأسمائها إلاَّ هنا، وهي الإضحاك والإبكاء والإغناء والإفقار، آيتان ٤٣، ٤٨ .

١٢ ــ ذكر الشِّعرى، اسم كوكب مضيء كانت تعبده خزاعة، وهما شعريان، موقعهما تحت برج الجوزاء، أحدهما عن يمين البرج، والآخر عن يساره، آية ٤٩ .

١٣ ــ توبيخ الكفار على ضحكهم عند سماعهم القرآن وهم غافلون غير باكين، آيات ٥٩ ــ ٦١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٣) (٤) **قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ .**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل

شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب: فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلَّا الحقُّ».

رواه أحمد ٢/ ١٦٢، ١٩٢، وأبو داود ٣٦٤٦، والدارمي ٤٩٠، والحاكم ١/ ١٠٦، وسنده صحيح.

الحديث ينص على أنه ﷺ لا يقول إلَّا الحق في جميع أحيانه وهو الوحي الإلـهي الذي نص الله عزَّ وجل عليه في الآية الكريمة.

٩ ١٠ قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾.

عن زر بن حُبيش رحمه الله تعالى أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ...﴾ الآية، فقال: أخبرني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السَّلام له ستمائة جناح.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٣٣، ٢٣٤، وفي بدء الخلق، ومسلم في الإيمان رقم ١٧٤، والترمذي ٣٠٦١، والنسائي ٦/ ٤٧٢، كلاهما في التفسير.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾.

قال ابن عباس: قد رآه النبي ﷺ.

رواه الترمذي ٣٠٦٤ بسندٍ صحيح.

١١ قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه: «ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى رسول الله ﷺ جبرائيل عليه السَّلام في حلَّة من رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض.

رواه أحمد رقم ٣٧٤٠، والترمذي ٣٠٦٧ بسندٍ صحيح على شرط مسلم، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رآه بقلبه مرتين.

رواه أحمد ١٩٥٦، ومسلم ١٧٦ بنحوه، والترمذي ٣٠٦٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٢.

﴿١٣﴾﴿١٤﴾﴿١٥﴾ **قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ**
﴿١٦﴾﴿١٧﴾﴿١٨﴾ **ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ**
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾، قال: رأى جبريل عليه السَّلام قد سدَّ الأفق لم يره إلَّا في هذين المكانين.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٣، وابن خزيمة في التوحيد ١٣٣، ١٣٤ بسندٍ صحيح. وفي رواية: رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق، رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٣٤، والنسائي ٦/ ٤٧٣.

وعنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ سِدْرة المنتهى قال: انتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من فوق، فأعطاه الله عندها ثلاثًا لم يُعطهن نبيًّا كان قبله: فرضت عليه الصلاة خمسًا وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لأمته المقحِمات ما لم يشركوا بالله شيئًا، قال ابن مسعود: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾، قال: السدرة في السماء السادسة، قال سفيان: فراش من ذهب، وفي رواية: «إليها ينتهي علم الخلق لا علم لهم بما فوق ذلك».

رواه مسلم في الإيمان ٣/ ١، ٢، والترمذي ٣٠٦٠ بتهذيبي، وحسَّنه وصحَّحه والسياق له.

قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، أي قدرهما، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾، أي أقل منهما. وقوله: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾، أي مرة أخرى، وقوله: ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤﴾ هي بكسر السين: شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الخلائق، وقوله: في حلة من رفرف، بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة، أصله ما كان من الديباج رقيقًا حسن الصنعة، ولعلَّ المراد به هنا صفة ريشه. وقوله: وغفر لأمته المقحمات، بضم الميم وكسر الحاء هي الذنوب العظام التي تدخل أصحابها النار.

في هذه الآيات الإحدى والعشرين مع ما ذكرنا تحتها من الأحاديث أمور:

أولاً: ثبوت عروج النبي ﷺ نصًّا كتابًا وسنَّة، بل وإجماعًا ولم يخالف في ذلك إلاَّ بعض من طمس الله بصيرته من العقلانيين المنحرفين.

ثانيًا: وصول النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة عن يمين العرش وعندها جنة المأوى التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين، وما جاء من أنها في السادسة شاذ. وهذه السدرة شجرة لها ثمار الواحدة منها مثل قلال هَجَر كما جاء في حديث الإسراء، وقد غشيتها أنوار حتى ما يستطيع أحد نعتها كما جاء في مسلم.

ثالثًا: إن النبي ﷺ لم يَمِل بصره في ذلك المقام لا يمينًا ولا شمالاً، وما جاوز الحد الذي رأى تأدُّبًا منه ﷺ في تلك الحضرة.

رابعًا: إن الله تعالى أراه في تلك الليلة أكبر آياته، فرأى عجائب الملكوت رأى الأنبياء والملائكة في الجنة والنار والبيت المعمور وسدرة المنتهى وجبريل على صورته الأصلية إلى غير ذلك من الآيات.

خامسًا: اختلفت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس في رؤية النبي ﷺ ربه تعالى، فالأول فسَّر الآية: ولقد رآه. . .إلخ برؤية جبريل، بينما الثاني فسرها برؤية الله، لكنه في الرواية الأولى أطلق، وفي الثانية قيدها بقوله: رآه بقلبه مرتين.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى بداية من الصحابة فمن بعدهم في هذه القضية، فذهب ابن مسعود وأبو هريرة وعائشة وجماعة من المحدثين والمتكلمين إلى عدم الرؤية، وذهب آخرون إلى الرؤية، ومن هؤلاء ابن عباس وأبو ذر وكعب والحسن البصري وأبو هريرة في رواية عنه وهو قول الإمام أحمد وأبي الحسن الأشعري في آخرين.

قال النووي في شرح مسلم: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلاَّ بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يشكك فيه. . .إلخ.

(١٩) **قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف منكم فقال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلاَّ الله، ومن قال: تعال أقامرك فليتصدق».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٣٥، وفي الأدب وفي الاستئذان. . . ومسلم في الأيمان والنذور ١٦٤٧، وأبو داود ٣٢٤٧، والترمذي في النذور ١٤١٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٤، وابن ماجه ٢٠٩٦.

اللات والعزى صنمان كانا في الجاهلية يُعبدان من دون الله.

وفي الحديث مشروعية ذكر كلمة التوحيد عند الحلف بغير الله مما يعظمه الكفار من الطواغيت والأوثان، وأن من حلف بذلك غلطًا لا يحكم بكفره، ويؤخذ منه أن من حلف بذلك معتقدًا تعظيمها يكفر. وفيه أن الدعوة إلى المعصية توجب لصاحبها التصدق ليكفر الله تعالى عنه ما دعا إليه لأنه دعوة إلى الإثم.

وعن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمُرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئًا»، فرجع خالد فلما أبصرت به السَّدَنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عُزَّى، فأتاها خالد فإذا هي امرأة عُريانة ناشرةً شعرها تحتفن التراب على رأسها فعمَّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٤، وأبو يعلى ٩٠٢٤١ بسندٍ حسن.

في الحديث أن الشياطين هم المضللون لعبدة الأصنام، وأنهم يتظاهرون لهم في أصنامهم ويتراءون لهم عند عبادتهم إياها فيغرونهم على عبادتها والاستغاثة بها فيزدادون إغراقًا في الكفر والضلال، ولا أدل على ذلك من العزى التي كانت تمثلها امرأة من الشياطين.

وبمناسبة ذكر اللات والعزى... إلخ، نشير إلى ما هو شائع بين كثير من المفسرين وغيرهم من ذكر قصة الغرانيق، وأنها باطلة من وضع الزنادقة، ولا يصح شيء فيها لا من طريق النقل ولا من جهة المعنى، وقد ذكرت خلاصة الموضوع في التعاليق على تهذيب الشفا ٤١٣، ٤١٤.

(٢٤) (٢٥) **قوله تعالى:** ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يُكتب له من أمنيته».

رواه أحمد ٢/ ٣٥٧، ٣٧٨، بسندٍ صحيح.

الأمور كلها تابعة لقضاء الله عزَّ وجل وقدره، فليس كل ما يتمناه الإنسان ويود الحصول عليه يدركه، فقد تأتي الرياح بما لا تهوى السفن، ولذلك ينبغي للمسلم أن لا يتمنى إلاَّ ما فيه خير وصلاح ومنفعة له عاجلاً أو آجلاً مما لا يتنافى وقواعد الدين، فإذا تمنى شرًّا فليبادر بالإنابة والرجوع إلى الله تعالى.

(٣٢) **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾، قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله عزَّ وجل، قال الله عزَّ وجل: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٧٢].

واليأس من روح الله عزَّ وجلّ، قال الله عزَّ وجل: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٧)﴾ [يوسف: ٨٧].

والأمن من مكر الله عزَّ وجل، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله تبارك وتعالى جعل العاق جبارًا شقيًّا.

وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣].

وقذف المحصنة لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: ٢٣].

وأكل مال اليتيم، لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠].

والفرار من الزحف لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٦].

وأكل الربا لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

والسحر لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والزنا لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧].

والغلول لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومنع الزكاة المفروضة لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾ [التوبة: ٣٥].

وشهادة الزور لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وشرب الخمر لأن الله عزَّ وجل عدل بها الأوثان.

وترك الصلاة متعمدًا أو شيئًا مما فرض الله، لأن الرسول ﷺ يقول: «من ترك الصلاة متعمِّدًا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ».

ونقض العهد، وقطيعة الرحم...

رواه الطبراني في الكبير ١٣٠٢٣، قال النور في المجمع ٧/ ١١٥، ١١٧: وإسناده حسن.

هذا الأثر يبين بعض كبائر الإثم المذكورة في الآية، وأن ما ذكر فيه هي أعظم الفواحش وأكبرها ولا شك في ذلك، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها تنص على كبائر الذنوب، وقد ذكر ابن عباس من هذه الكبائر تسعة عشر كبيرة وهناك عدد كبير لها قد أربى على الأربعمئة، كما ذكر ذلك ابن حجر الهيتمي في الزواجر مفصلاً، فليراجع.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النُّطق، والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه». وفي رواية: «وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، وزنا الفم القبل».

رواه أحمد ٣/ ٢٧٦، ٣١٧، ٣٧٢، ٥٣٦، والبخاري في القدر ٦٦١٢، وفي الاستئذان ٦٢٤٣، ومسلم في القدر ٢٦٥٧، وأبو داود ٢١٥٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٣.

وعنه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ...﴾ الآية، قال: قال النبي ﷺ: «إن تغفر اللّٰهمَّ تغفر جمًّا، وأي عبد لك ما ألمَّا».

رواه الترمذي ٣٠٦٨، والحاكم ٢/ ٤٦٩، وسنده صحيح على شرط مسلم،

وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع ٧/ ١٥ برواية البزار وقال: رجاله رجال الصحيح.

وقوله: وأي عبد لك ما ألمَّا، ألمَّ بالذنب إذا فعله. واللَّمم صغار الذنوب وهي المفسرة في حديث أبي هريرة من النظر والنطق والتقبيل والتمني لفعل الزنا والمشي. . .

وسُمِّيت هذه المعاصي زنا مجازًا لأن ذلك كله يدعو إلى الزنا الحقيقي مع ما في ذلك من الالتذاذ والتمتع، ولكن الذي يصدق هذه المقدمات أو يكذبها هو الفرج، وإن لم يفعل غفرت له تلك المقدمات بالوضوء والصلاة والصدقة والصيام والتلاوة والذكر والتوبة والاستغفار. . . ولذلك عقب سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ . . .﴾ الآية، فيا واسع المغفرة اغفر لنا وتجاوز عنا.

(٣٢) **قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.**

عن محمد بن عمرو بن عطاء رحمه الله تعالى قال: سمَّيْتُ ابنتي بَرَّة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما: إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ برَّة فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكُّوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم»، فقالوا: بم نسميها؟ قال: «سموها زينب».

رواه مسلم في الأدب ١٤/ ١٢٠ من طرق.

في الآية والحديث ذم تزكية النفوس، لأن الله تعالى هو أعلم بالقلوب التي هي مصادر التقوى ومحل الإيمان والشعب اليقينية، نعم للإنسان أن يذكر ما فيه من مكارم الأخلاق وما هو متصف به من خصال الخير ونحو ذلك تحدُّثًا بنعمة الله تعالى عليه أو لأجل مصلحة دينية. . .

٣٩ ٤٠ قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

رواه أحمد ٢/ ٣١٦، ٣٧٢، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٦٨٢، وأبو داود ٣٨٨٠، والترمذي في الأحكام ١٢٤٧، والنسائي في الكبرى ٤/ ١٠٩، والبخاري في الأدب المفرد ٣٨ وغيرهم.

اختلف المفسرون في الآية الكريمة فقال بعضهم: إنها في الكفار، وقال آخرون: إنها في المسلمين، وهؤلاء اختلفوا هل يلحق الميت عمل الغير أم لا، فالجمهور على اللحوق كالصدقة والصيام والحج والاستغفار.

والحديث نص في انقطاع عمل الميت إلاَّ من هذه الثلاث المذكورة، وقالوا: إن هذه الثلاث هي أيضًا من عمله، والمسألة مستوفاة في موضعها فلا نطيل بإيراد متشعباتها.

٦٢ قوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾، قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلاَّ رجلاً رأيته أخذ كفًا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا وهو أُميَّة بن خلف، وفي رواية: وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٣٧، ٢٣٨، وفي سجود القرآن، وفي مناقب الأنصار، وفي المغازي، ومسلم في سجود التلاوة رقم ١٥٧٦، وأبو داود ١٤٠٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٥، وفي المجتبى.

في الحديث مشروعية السجود في هذا الموضع وهو مذهب الأكثر،

وخالف الإمام مالك فلم ير السجود في المفصل. وسجود المشركين مع النبي ﷺ يقال سببه قضية الغرانيق التي تكلَّم بها الشيطان عند قراءة النبي ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾، فظن الكفار أن النبي ﷺ نطق بذلك، وحاشاه من ذلك بأن يسلط عليه الشيطان حتى يتكلم على لسانه. وانظر إبطال هذه القصة والخلاف فيها في: الشفا لعياض.

وبهذا تمَّت سورة النجم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه وأتباعه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ القَمَرِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي مكية أيضاً كالسورتين بعدها الرحمن والواقعة، وهي خمس وخمسون آية. وأهدافها ذكر التوحيد والبعث والنشر والقيامة وأهوالها، وامتازت بالإعذار والإنذار والعنف.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر انشقاق القمر، تلك المعجزة العظمى التي أعطاها الله لرسوله ﷺ وخصّه بها دون سائر الأنبياء، آية ١ .

٢ ــ بيان تيسير وتسهيل القرآن لمن يريد أن يتذكر أو يحفظه، آية ١٧ .

٣ ــ ذكر انهزام جَمْعِ الكفَّار وتوليتهم الدبر يوم بدر، تلك المعجزة القرآنية التي أخبر بها قبلَ وقوعها فكانت كما أخبر القرآن، آية ٤٥ .

٤ ــ بيان أنَّ الكفار سيسحبون يوم القيامة في النار على وجوههم ويقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾، آية ٤٨ .

٥ ـ ذكر آية القدر التي طالما استدلَّ بها أهل السُّنَّة لأسبقية كتابة المقادير وأسبقية علم الله عزَّ وجلّ بها، آية ٤٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾.**

عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه، أن عمر رضي الله تعالى عنه سأله: ما كان يقرأ رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ قال: «كان يقرأ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾، و ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

رواه مسلم ٦/ ١٨١، ١٨٣، وأبو داود ١١٥٤، والترمذي ٤٨١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٥، وفي المجتبى.

في الحديث مشروعية قراءة هذه السورة مع ﴿قٓۚ﴾ في صلاة العيدين.

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتين»، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

رواه البخاري في تفسير النازعات ١٠/ ٣١٨، وفي الطلاق، وفي الرقاق رقم ٦٥٠٣، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٥٠، وغيرهما. ونحوه عن أبي هريرة رواه البخاري في الرقاق ٦٥٠٥، وغيره. وعن جابر بن سمرة ووهب السوائي عند أحمد.

الحديث مبيِّن لاقتراب الساعة كالآية، وأنَّ النبي ﷺ بعث في آخر الدنيا ولم يبق منها أيام حياته إلاَّ مثل ما بين الوسطى والسبابة، وهو شيء ضئيل جدًّا، وإذا كانت الساعة أيام النبوَّة من القرب كما ذكر فكيف بها اليوم، فلا شكَّ أنها على وشك الوقوع.

وعن عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعدُ، فإنَّ الدُّنْيَا قد آذنت بِصرَمٍ، وولَّت حِذَاء ولم يبق منها إلا صُبَابةٌ كَصُبابَةِ الإِناءِ يَتَصَابُّها صاحبها، وأنكم مُنتقلون منها إلى دار لا زوالَ لها، فانتقلوا بِخَيْرِ ما بِحَضْرَتِكُم، فإنه قد ذكر لنا أنَّ الحَجر يُلْقَى مِن شفيرِ جَهَنَّم فَيَهْوِي فيها سبعين عامًا، ما يُدرِك لها قعرًا، والله لتُملأن أفعجبتُم؟ والله لقد ذكر لنا أنَّ ما بين مصاريع الجنة مسيرةُ أربعين عامًا، وليأتينَّ عليه يومٌ كظيظُ الزحام. . .» الحديث.

رواه أحمد ٤/ ١٧٤، ح ٥/ ٦١، ومسلم في الزهد ١٨/ ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

قوله: آذنت بِصرَم، أي: أعلمت بانقطاع. وقوله: وولت حذاء، أي: سائرة. وقوله: إلاَّ صُبابة. . . إلخ، بضم الصاد، أي: بقية يسيرة.

الحديث يتحدَّث عن الدنيا وأنها قد مضت وذهبت ولم يبق منها إلاَّ أيام قلائل، فالساعة على الأبواب، فالواجب التزوُّد والاستعداد للدار التي لا تفنى والتي لا زوال لها. وفي الحديث بيان خطورة جهنَّم وعظمها، نعوذ بالله تعالى منها ومن أهلها.

(١)(٢) قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حِراء بينهما، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ . . .﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٤١، وفي السِّيرة النبويَّة ٨/ ١٨١، ومسلم في صفة القيامة ١٧/ ١٤٥، والترمذي في التفسير ٣٠٧٠ وغيرهم.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، فانشق القمر فلقتين، فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال

لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»، يعني: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٤٠، ٢٤١، وفي أوائل السِّيرة ٨/ ١٨١، وأحمد رقم ٣٥٨٣، والترمذي ٣٠٦٩، والحاكم ٢/ ٤٧١، ونحوه عن ابن عمر عند مسلم ١٧/ ١٤٤، ١٤٥، والترمذي ٣٠٧١.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سَحَرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سَحَرَنا فما يستطيع أن يَسْحَر الناسَ كلَّهم.

رواه أحمد ٤/ ٨١، ٨٢، والترمذي ٣٠٧٢، والحاكم ٢/ ٤٧٢، وغيرهم. وسنده عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

معجزة انشقاق القمر من أمَّهات معجزات نبيّنا ﷺ وأبهرها وأروعها، لا مثيل لها ولا يعادلها شيء من آيات الأنبياء، ومع كونها ورد الخبر بها في القرآن والسُّنَّة الصحيحة أنكرها طوائف من المبتدعة.

١٩ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرتُ بالصَّبا وأُهلكت عاد بالدَّبور».

رواه الشيخان وتقدَّم.

الرِّيح الصرصر: هي الريح الباردة ذات الصوت. والصرير: العظيم.

٤٥ **قوله تعالى**: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: «اللَّهُمَّ إنِّي أنشُدك عهدَكَ ووعْدَك، اللَّهُمَّ إن تَشأ لا تُعبد بعدَ اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله،

ألْحَحْت على ربك. وهو يثب في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾.

رواه البخاري في الجهاد وفي المغازي وفي التفسير ١٠/ ٢٤٢، ٢٤٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧٧، وروى بعضه مسلم عن ابن عباس، عن عمر رضي الله تعالى عنهم. والحديث تقدَّم عن سيِّدنا عمر مطوّلاً وببعض اختلاف في سورة الأنفال عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

في الآية الكريمة معجزة ظاهرة، حيث أخبر تعالى بانهزام جمع الكفّار وفرارهم قبل الوقعة بزمان، فكان الأمر كما أخبر سبحانه وتعالى، وكان النبي ﷺ على علم بذلك ويقين، وإنما ألحَّ في الدعاء تعبُّدًا لله عزَّ وجلّ وقيامًا بأمانة الرسالة والتشريع لأنه أسوة لأمته.

﴿٤٦﴾ قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد أنزل على رسول الله ﷺ بمكة، وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٤٣، وفي فضائل القرآن، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٧.

قوله: والساعة أدهى وأمر، أي عذاب الساعة والآخرة أشد وأمرّ من يوم بدر.

﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾.

رواه مسلم رقم ٢٦٥٦، ج ١٦/ ٢٠٤، ٢٠٥، والترمذي ١٩٨٨، كلاهما في القدر، ورواه الثاني في التفسير أيضًا ٣٠٧٣، وابن ماجه في المقدمة ٨٣.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوَّل الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه ثلاثة: رجل استُشْهِدَ فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبتَ، ولكن قاتلت لأن يقال: فلان جريء، قد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكن تعلَّمتَ العلم ليقالَ: عالِم، وقرأت القرآن ليقال: قارئٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاَّ أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكن فعلت كي يقال: جَوَادٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِي في النار».

رواه مسلم في الإمارة رقم ١٩٠٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٧، ٤٧٨، وكذا أحمد ٢/ ٣٢٢.

يسحبون، أي: يجرّون.

الحديث الأول مع الآية الكريمة يدلاَّن على ثبوت القدر، ومعناه أسبقية علم الله تعالى بما سيكون ويقع من الكائنات خيرها وشرّها وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

أما الحديث الثاني ففيه تهديد شديد، ووعيد عظيم أكيد هائل للمرائين بأعمالهم وخاصة المقاتلين المجاهدين والعلماء وحفظة القرآن والمتصدّقين من الأغنياء.

فما ذكره الحديث في هؤلاء الثلاثة تقشعرّ منه الجلود عياذًا بالله تعالى، فنسأله تعالى وهو الكريم الرحيم أن يتفضَّل علينا بالإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا الظاهرة والباطنة آمين.

وبهذا تمَّت سورة القمر، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى اللَّه وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الرَّحْمَٰن ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آيات هذه السورة ثمان وسبعون، وهي تُعنى بتعداد النعم العظيمة على عباده، وذكر آيات القدرة المنبثة في هذا الكون المنظور، ثمَّ بيان مآل الأشقياء وما أعدَّ الله تعالى للأتقياء من نعيم ومتع.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر النعمة العظمى، وهي تعليمه تعالى عباده القرآن الذي هو أصل حياة القلوب، ولولا تعليم الله عزَّ وجلّ وإلهامه لما استطاع أحد منَّا أن يتعلَّمه، وهو كلامه القديم الأسنى، آية ١.

٢ ـ من ضروريات نعمه تعالى على الإنسان أن علَّمه البيان، وألهمه لغاته التي بها يخاطب غيره، وفي ذلك من دلائل التوحيد ما لا يخفى على ذي عقل وتفكير، آية ٤.

٣ ـ أنَّ هذه الأرض وما فيها من ثمار وحبوب وزروع وفواكه ونبات. . . ما خلقت إلاَّ للأنام من إنس وجان وطير وحيوان وهام. . . آية ١٠.

٤ ــ ذكر آية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ وتكرارها ثلاثين مرَّة، ولا توجد في غير هذه السورة لا مفردة ولا مكررة.

٥ ــ بيان أصل الإنس والجن، وأنَّ الأول خلق من صلصال كالفخَّار، والثاني خلق من مارج من نار، آيتان ١٤، ١٥.

٦ ــ إخراجه تعالى اللؤلؤ والمرجان من البحرين الحلو والمالح، آية ٢٢.

٧ ــ إنَّ الله عزَّ وجلّ كل يوم هو في شأن، يحيي ويميت، ويغني ويُفقر، ويُعزّ ويُذلّ، آية ٢٩.

٨ ــ ذكر الجنان الأربع وصفاتها الرائقة المعدات لمن خاف مقام ربّه، آيات ٤٦ ــ ٧٨.

٩ ــ ذكر بعض صفات نساء الجنة أنَّهنَّ كالياقوت والمرجان وخيرات حسان مقصورات في الخيام لم يقربهن إنس ولا جان، آيات ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٧٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١٣ **قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرَّحمٰن، من أوَّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتُها على الجنِّ ليلةَ الجنِّ فكانوا أحسنَ مردودًا منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد».

رواه الترمذي ٣٠٧٤، والحاكم ٢/ ٤٧٣، وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد عن ابن عمر رواه البزار ٢٢٦٩ بسند حسن في الشواهد.

في الحديث فضل الصحابة من الجن وحسن أدبهم مع القرآن الكريم وجوابهم الجميل. . وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾، معناه: فبأي نعم ربكما تكذِّبان يا معشر الإنس والجن، ولذلك أجاب الجن بقولهم: لا بشيء من نعمك يا ربنا نكذب، فلك الحمد، أي: على ما أسديت إلينا وأنعمت وتفضَّلت.

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائكةُ من نور، وخُلِق الجانُّ من مارج من نار، وخُلِق آدم ممَّا وُصِف لكم».

رواه أحمد ٦/ ١٥٣، ١٦٨، ومسلم ١٨/ ١٢٣.

المارج: اللهب المختلط بسواد النار.

وفي الحديث تفصيل للآية الكريمة وبيان لأصل خلقة الأصناف الثلاثة المكلفين، وهم: الملائكة وأصلهم من النور، والجن وأنهم خلقوا من لهب النار، وآدم عليه السلام وأنه مخلوق من أصناف الأرض كما وصف لنا ذلك القرآن ﴿ مِّن تُرَابٍ ﴾، ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾، ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾، ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾. . . فسبحان القادر الفعَّال لما يشاء، لا إلـٰه إلاَّ هو العزيز الحكيم.

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾، قال: «مِن شأنه أن يَغْفِر ذنبًا ويُفَرِّجَ كَرْبًا، ويَرْفع قَومًا، ويَخفِض آخرين».

رواه ابن ماجه ٢٠٢، والبزار ٢٢٦٧، قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن. وللحديث شاهدان: عن عبد الله الأزدي، رواه ابن جرير ٢٧/ ١٣٥، والبزار ٢٢٦٦، وعن ابن عمر رواه البزار أيضًا.

وبما في الحديث قال كل المفسرين للآية الكريمة، فهو تعالى كل يوم في شأن عباده يُحيي ويُميت، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقِر، ويعزّ ويذلّ، ويبتلي ويفرِّج، ويبسط ويضيق، ويخفض ويرفع.. ومع ذلك فلا يشغله شأن عن شأن.

(٣٩) **قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يُحاسَبُ يومَ القيامة أحدٌ فيغفر له، يرى المسلم عملَه في قبره، ويقول الله عزَّ وجلّ: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾.

رواه أحمد ٦/ ١٥٣ بسند جيِّد.

ومعنى الآية الكريمة: ففي ذلك اليوم الرهيب عندما تشقق السماء وتصير وردة كالدهان، لا يُسأل أحد من المذنبين من الإنس والجن عن ذنبه، لأنَّ للمذنب علامات تدل على ذنبه كاسوداد الوجوه وزرقة العيون، فلا يقال لأحد: أنت المذنب؟ أو غيرك؟ أو: مَن المذنب منكم؟ بل يُعرفون بسيماهم، وقيل: هذا في بعض مشاهد القيامة، لأنَّ لها مشاهد، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾، وفي مشهد آخر يسأل الكل كقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

وانظر: ابن جرير ٢٧/ ١٤٢، ١٤٣، وابن كثير ٦/ ٤٩٤.

أما الحديث، فالظاهر منه: أنَّ من حوسب يوم القيامة بمعنى المناقشة هلك ولم يغفر له كما قدمنا في حديث السيِّدة نفسها: «من نوقش الحساب

هلك». أما المؤمن فقد يحاسب في قبره ليكون أهون عليه في الموقف، فيمحص في البرزخ فيخرج يوم القيامة من قبره وقد اقتص منه. عفوك وغفرانك يا ربّنا.

(٤٦) **قوله تعالى:** ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقص على المنبر يقول: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾، فقلت: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ الثانية: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾، فقلت الثانية: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ في الثالثة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾، فقلت الثالثة: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! قال: «وإن رَغِم أنف أبي الدرداء».

رواه أحمد ٢/٣٥٧، والنسائي في الكبرى ٦/٤٧٨، والبغوي في شرح السُّنَّة ٤١٨٩ وسنده صحيح، وعزاه النور لأحمد والطبراني وقال: رجال أحمد رجال الصحيح. وفي الصحيح نحوه عن أبي ذر، لكن بدون ذكر الآية.

وفي الآية الكريمة فضل الخوف من الله عزَّ وجلّ وأنه يوجب الجنتين رحمة من الله. والحديث يزيد الآية بشارة على أنَّ المؤمن الذي يخاف الله عزَّ وجلّ سيدخله الجنَّة وإن ارتكب الفواحش كالزنا والسرقة مثلاً، غير أنَّ هذا لا يدل على أنه يدخل الجنة بدون سابقة عذاب، بل لا بدَّ من التفصيل كما هو معلوم، فإنَّ من مات وله كبائر وموبقات فهذا في مشيئة الله فقد يعفو الله تعالى عنه وقد يعذِّبه، ثم يكون مآله الجنة لإيمانه وخوفه من الله تعالى ولو مرَّة من عمره. أما من مات تائبًا لا ذنوب له فهذا لا يعذَّب، بل هو من السابقين إلى الجنة إن شاء الله تعالى.

(٤٨) **قوله تعالى:** ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾.

عن أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت

رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير الرَّاكب في ظِلِّ الفَنَن منها مائة سنة، أو قال: يَسْتَظِلُّ بظِلِّها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأنَّ ثَمَرَها القِلالُ».

رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٨ وحسَّنه وصحَّحه، وفي الصحيح: «إنَّ في الجنة شجرةً يسير الراكب تحت ظلها مائة عام لا يقطعها»، وسيأتي في الواقعة.

قوله: أفنان، أي: أغصان، وفي ذلك إكرام للمؤمن داخل الجنة وكم له من متع هنالك.

٥٨ **قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾.**

عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: إما تفاخروا أو تذاكروا: الرجالُ أكثرُ في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إنَّ أول زُمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. . . ولكل واحد منهم زوجتان يُرى سوقُها من وراء اللحم من الحُسن».

رواه البخاري في بدء الخلق وغيره، ومسلم في الجنة، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٤. ورواه الترمذي ٢٣٥١ عن ابن مسعود بلفظ: «إنَّ المرأة من نساء أهل الجنة لَيُرى بياضُ ساقِها من وراء سَبعين حُلَّة، حتى لَيُرَى مُخُّها، وذلك بأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾، فأمَّا الياقوت: فإنه حجر لو أدخلتَ فيه سلكًا ثمَّ استَصْفَيْتَه لأُوريتَه من ورائه، وهو عند ابن حبان بالموارد ٢٦٣٢، وابن جرير ٢٧/ ١٥٢، والطبراني في الكبير ٨٨٦٤، والبزار ٣٥٣٦. وذكره في المجمع ١٠/ ٤١١، ٤١٢ من حديث أبـي سعيد، و ٢٤٢ عن ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناد ابن مسعود صحيح.

وفي الآية والحديث بعض صفات نساء أهل الجنة وأنَّهنَّ في الصفاء كالياقوت، وفي البياض كالمرجان، ولذلك كان مخ سوق إحداهن ليرى من الخارج لصفاء الأجسام. لا أحرمنا الله من التمتع بهن.

(٦٢) **قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾.**

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتُهُما وما فيهما، وجنَّتان من ذهب آنيتُهُما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبر على وجهه في جنَّة عدن».

رواه أحمد ٤/ ٤١١، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢٤٨، وفي التوحيد في الرؤية، ومسلم في الجنة، والترمذي كذلك ٢٣٤٥، وابن ماجه ١٨٦، وقد تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾، يعني: في المنزلة والفضل، فالأوليان للمقربين السابقين، والأُخريان لأهل اليمين، كما قال بعض السلف من المفسرين، وعلى كل فبينهما بَوْن وفضل وكلها من النعم العظيمة التي سيمتَّع بها المؤمنون.

(٧٢) **قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝٧٢﴾.**

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة خيمةً من لؤلؤة مجوَّفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرَوْنَ الآخرين، يَطُوفُ عليهم المؤمنون. . .» الحديث.

رواه البخاري ١٠/ ٢٤٨، ومسلم في الجنة، والترمذي ٢٣٤٦، والدارمي ٢٨٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٩، مطوَّلاً ومختصرًا.

الزاوية: هي الناحية من البيت، والخيمة عند العرب بيت من الوبر وعبَّر بها هنا عن البيت أو القصر. وقوله: عرضها ستون ميلاً، وإذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها، وهذه خيمة واحدة، وكم لولي الله من خيام وقصور.

والحديث يدلّ على أنَّ المؤمن سيعطى من الحور والنساء ما لا عدَّ له،

فما تقدَّم من أنَّ كلّ واحد له زوجتان ممَّا لا مفهوم له. وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾، أي: محبوسات في الخيام، أي: لا ينظرن إلى غير أزواجهن، فهنَّ في بيوتهن قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا تشوف لهن إلى الغير فضلاً عن النظر إليهم. وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤﴾، أي: تلك الحور لم يقربهن أحد قبل أزواجهن، فهنَّ عذارى أبكار.

٧٨ **قوله تعالى:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾.

عن ربيعة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلِظُّوا بذي الجلال والإكرام».

رواه أحمد ٤/ ١٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٩، والحاكم ١/ ٤٩٨، ٤٩٩، وصحَّحه ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي في الدعوات ٣٢٩٧ عن أنس، والحاكم ١/ ٤٩٩ عن أبي هريرة.

قوله: أَلِظُّوا، أي: الزموه وأكثروا من التلفُّظ والإلحاح به في دعواتكم.

ففيه الحض على دعائه تعالى بهذا الاسم الشريف، فإنه عزَّ وجلّ صاحب الجلالة ونهاية العظمة والإكرام الذي لا أكرم منه.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ثم قال: «اللَّـٰهُمَّ أنت السَّلام ومنك السَّلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام».

رواه أحمد ٥/ ٢٧٥، ٢٧٩، ومسلم ٥/ ٨٩، وأبو داود ١٥١٣، والترمذي ٢٦٩، وغيرهم. ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها عند مسلم والترمذي أيضًا، والطيالسي ٤٨٢ بلفظ: «كان إذا سلّم لا يقعد ـ يعني بعد الصلاة ـ إلاَّ بقدر ما يقول: اللَّـٰهُمَّ أنت السلام. . .» إلخ.

وهذا كان يفعله أحيانًا وأحيانًا كان يقعد حتى يخرج المعقبات،

وأحيانًا يجلس يتحدَّث مع أصحابه، وحضَّ على الجلوس بعد صلاة الصبح للذكر حتى تطلع الشمس وتصلَّى صلاة الشروق، وأخبر بأنَّ ذلك يقوم مقام حجَّة وعمرة تامَّتين. . .

وبهذا تمَّت سورة الرَّحمٰن، والحمد للَّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلِّ اللَّٰهُمَّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الوَاقِعَةِ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها ست وتسعون، وأهدافها الكلام على القيامة وأهوالها، وانقسام الناس في ذلك اليوم الرهيب إلى ثلاثة أقسام: مقرَّبون، وأهل اليمين، وأهل الشمال، ثم بيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان، والسحاب والمطر، والزرع والحرث والنار... ثم بيان عظمة القرآن وأنه ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ من ملائكة الرحمن.

من خصائص هذه السورة

١ ــ إذا قامت القيامة فإنها ستخفض أقوامًا لكفرهم وانحرافهم... وترفع آخرين لإيمانهم وطاعتهم لربهم، آية ٣.

٢ ــ بيان أصناف الناس يوم القيامة، وهم ثلاثة: مقرَّبون، وأهل اليمين، وأصحاب الشمال، آيات ٧ ــ ١١.

٣ ــ ذكر فاكهة الموز وهو الطلح، آية ٢٩.

٤ ــ إنَّ فاكهة الجنَّة غير مقطوعة حسب الفصول، ولا ممنوعة إلَّا بالأثمنة كالدنيا، آيتان ٣٢، ٣٣.

٥ ــ إنَّ نساء الجنة سينشئهن الله عزَّ وجلّ إنشاء ويبدعهن إبداعًا في غاية الحسن والجمال أبكارًا عُربًا أترابًا، آيات ٣٥ ــ ٣٧.

٦ ــ ذكر الحراثة والزراعة بلفظيهما، آيتان ٦٣، ٦٤.

٧ ــ الإقسام بمواقع النجوم على عظمة القرآن الكريم وأنه في كتاب مكنون لا يمسّه إلاَّ المطهَّرون، آيات ٧٥ ــ ٨٠.

٨ ــ ذكر مشهد الموت عند الاحتضار، آيات ٨٣ ــ ٨٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، قد شِبْتَ، قال: «شَيَّبَتْنِي هودُ والواقعةُ والمُرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٨٠ بتهذيبي، وفي الشمائل ٤٠، وأبو يعلى ١/ ٦٥، والحاكم ٢/ ٣٤٣، ٣٧٦، وصحَّحه على شرط البخاري ووافقه الذهبي وعزاه في المجمع ٧/ ٣٧، ١١٨ لأوسط الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن أبي جحيفة رواه الترمذي في الشمائل رقم ٤١، وأبو يعلى ١/ ٣٦٣.

إنَّما خصَّ هذه السور بالذكر لما فيها من القوارع، وذكر أهوال يوم القيامة وتغير هذا العالم واضمحلاله وفنائه وقيام الناس للبعث وانقسامهم إلى أهل سعادة وأهل شقاوة، أما هود ففيها قوله عزَّ وجلّ خطابًا له ﷺ: «فاستقم كما أمرت».

وعن أبي ظبية رحمه الله تعالى قال: مرض عبد الله ــ ابن مسعود ــ في مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنِّي

أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبهُ فاقةٌ أبدًا».

رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٧٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٩١، ٤٩٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم، والحديث متَّفق على ضعفه، وبعض طرقه موضوعة، لكنني أوردته لحسن سياقة قصَّته وليكون القارىء على علم منه بضعفه، فإنَّ كثيرًا من الناس يعتمدون عليه فيحافظون على قراءة السورة قصد ذهاب الفقر والفاقة، وسيأتي في سورة الطلاق بيان ما يجلب الرزق ويُذهِب الفاقة.

٢٠ **قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني دخلت الجنة فسمعت وجبة ارتَجَّتْ لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، حتى عدّت اثني عشر رجلًا ـ وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك ـ، قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس تَشْخُبُ أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر السدخ، أو قال: إلى نهر البيدخ، قال: فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها، وأتوا بِصَحْفة فيها بُسْرَةٌ فأكلوا منها فما يقلبونها لشق إلاّ أكلوا منه فاكهة ما أرادوا وأكلت معهم. قال: فجاء البشير من تلك السرية فقال: يا رسول الله، كان من أمرنا كذا وكذا وأصيب فلان وفلان حتى عدَّ الاثني عشر الذين عدَّتهم المرأة، قال رسول الله ﷺ: «عليَّ بالمرأة»، فجاءت، فقال: «قُصِّ على هذا رؤياكِ»، فقصَّت، قال: هو كما قالت لرسول الله ﷺ.

رواه أحمد ٣/ ١٣٥، ٢٥٧ من طريقين، وكلاهما صحيح.

قوله: وجبة، بفتح الواو وسكون الجيم، أي: سمعت صوت الشيء الساقط. وقوله: ارتجَّت، أي: تحرَّكت لتلك الوجبة الجنة. وقوله: تشخب ـ بضم الخاء ـ أوداجهم، أي: تسيل عروقهم.

وفي هذا الحديث المشتمل على هذه الرؤيا بشارة أي بشارة للشهداء، وفيه ما دلَّت عليه الآية الكريمة من أنَّ أهل الجنة يتخيَّرون من فواكهها ويأكلون منها ما شاءوا. . . وتقدم في حديث الإسراء في سدرة المنتهى: فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا نبقها مثل قلال هجر. روياه، أي البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في صلاة الكسوف. قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك كففت، فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذتُه لأكلتم منه ما بقيت الدُّنيا. . .» الحديث.

رواه مسلم ٦/ ٢١٣، ٢١٤، وغيره.

فواكه الجنة كثيرة ومتنوعة وأولياء الله من سكانها يتخيَّرون منها ما أرادوا.

(٢١) **قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ طير الجنة كأمثال البُخت يرعى من شجر الجنة»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنَّ هذه لطيرٌ ناعمةٌ، فقال: «أكلتها أنعمُ منها» قالها ثلاثًا، و «إني لأرجو أن تكون ممَّن يأكل منها يا أبا بكر».

رواه أحمد ٣/ ٢٢١، بسند قد يحسن لشواهده.

وفي حديث أنس في الكوثر: «فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر».

رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٩ بسند صحيح على شرط مسلم.

البخت، بضم الباء وسكون الخاء: نوع من الإبل عظيمة الجثث. والجزر، بضم الجيم والزاي، جمع جزور: وهو الجمل.

وفي الحديث بيان بعض صفات طير الجنة التي سيأكل منها أولياء الله

فيها وأنها ناعمة، وأنَّ آكليها أنعم منها لما سيكون عليهم، ويعلوهم من نضرة النعيم والبهجة والجمال، جعلنا الله تعالى بمنِّه وكرمه منهم بلا حساب ولا عتاب ولا سابقة عذاب آمين.

والاختلاف في التعبير في الآيتين ٢٠، ٢١، حيث عبَّر في الفاكهة بقوله: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وفي الطير بقوله: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾، لا بدَّ وأن يكون فيه سرّ وحكمة، وقد يقال: يتخيَّرون في الفواكه لكثرتها وتنوُّعها واختلاف أذواقها، أما الطَّير فيشتهون منها المقلي أو المشوي أو المطبوخ أو المُبَخَّر مع اختلاف ما يطبخ معه ممَّا تشتهيه نفوسهم، واللحم لحم وإن اختلفت الطيور، والله أعلم.

﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ **قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾.**

عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنة لَمُجتمعًا للحورِ العِين يَرْفَعْنَ أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلِها قال: يَقُلْن: نحن الخالداتُ فلا نَبِيدُ، ونحن النَّاعماتُ فلا نَبْأَسُ، ونحن الرَّاضياتُ فلا نَسْخَطُ، طُوبى لمن كان لنا وكُنَّا له».

رواه الترمذي ٢٣٨٣، والحديث وإن كان فيه ضعف فإنَّ له شاهدًا عن ابن عمر رواه الطبراني في الأوسط ٤٩١٤، وفي الصغير ١/ ٢٥٩، ٢٦٠، وسنده صحيح. انظر: المجمع ١٠/ ٤١٩.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ زُمْرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الَّذين يلونهم على صورة أشد كوكب دُرِّيّ في السماء، لا يبُولون ولا يتغوَّطون ولا يَتْفلُون ولا يَمْتَخِطُون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المِسْك، ومجامرهم الألُوَّة وأزواجُهم الحور العين، وأخلاقهم على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم ستُّون ذراعًا».

رواه أحمد ٢/ ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٣، والبخاري في الأنبياء ٣٣٢٧، وفي بدء الخلق ٣٢٤٥، ومسلم في الجنة ٢٨٣٤ وغيرهم.

قوله: ورشحهم، أي: عرقهم. وقوله: الأَلُوَّة، بفتح اللام الأولى وضم الثانية ثم واو مفتوحة مشدودة: هو العود القُمَاري الذي يُتَبَخَّرُ بِه. وقوله: على خلق رجل. . . إلخ: ورد بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهما ولكل وجه ومستند، وإن كان السياق يدل على الأول.

والحديثان كالآية أنَّ نساء الجنة يسمّين الحور العين، وسُمِّين بذلك لاشتداد بياض بياض عيونهن وسواد سوادها مع غاية الجمال والبهاء، ولذلك قال في الآية: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ﴾ في الصفاء والنقاء، وتقدّم وصفهن في سورة الرحمن بـ ﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾، وبـ ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾. وجاء في صحيح البخاري وغيره عنه ﷺ في حديث: «ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة اطَّلَعَت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأَتْ ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». النصيف: الخمار.

﴿٢٧﴾ ﴿٤١﴾ **قوله تعالى:** ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾، و ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾.

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾، فقبض بيده قبضتين، فقال: «هذه للجنَّة ولا أُبالي، وهذه للنار ولا أُبالي».

رواه أحمد ٥/ ٢٣٩، وسنده لا بأس به.

والحديث صحيح بلا ذكر الآيتين، فله شواهد صحَّ منها أربعة:

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خَلَق اللَّهُ آدم عليه السلام حين خلقه فضرب كَتِفَهُ اليُمْنى فأخرج ذُرِّيَّةً بيضاءَ كأنَّهم الذَّرُّ، وضرب كَتِفَهُ اليُسْرى فأخرج ذُرِّيَّةً سوداءَ كأنَّهم الحُمَم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أُبالي، وقال للذي في كفِّه اليُسْرى: إلى النار ولا أُبالي».

رواه أحمد ٥/ ٤٤١ وسنده صحيح.

وعن عبد الرحمن بن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللّـهَ عزَّ وجلّ خَلَق آدم ثم أخذ الخلق مِن ظهره، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي»، قال: فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على مَواقِع القَدَر».

رواه أحمد ٤/١٨٦، وابن حبان ٢/ ٥٠ بالإحسان، والحاكم ١/ ٣١، وصحّحه ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع ٧/ ١٧٦: ورجاله ثقات.

وعن أبـي نضرة قال: مرض رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فبكى، فقيل له: ما يُبْكِيكَ يا عبدَ الله؟ ألم يَقُل لك رسول الله ﷺ: «خُذ من شاربك ثم أقرره حتى تلقاني»، قال: بلى ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللّـهَ تبارك وتعالى قَبَضَ قَبْضَة بيَمِينه فقال هذه لهذه ولا أُبالي، وقبض قبضة أخرى ــ يعني بيده الأخرى ــ فقال: هذه لهذه ولا أُبالي»، فلا أدري في أيّ القبضتين أنا؟.

رواه أحمد ٥/ ٦٨ بسندٍ صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه»، فَتَفرَّقَ النَّاسُ وهم لا يختلفون في القدر.

رواه الطبراني في الصغير ١/ ١٣٠ بسند صحيح.

فهذه الأحاديث كلها شواهد صحيحة لحديث الباب في الجملة، وهي تدلّ على أمور:

أوّلاً: أن الله تعالى أخرج من كَتِفَيْ أبينا آدم عليه السلام جميع ذُرِّيَّته وكانوا في الصغر كالذرّ.

ثانيًا: فيها ثبوت قدر الله عزَّ وجلّ للخلق، وأنَّ جميع الأمور سبق بها علم الله وكتبت في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ وليست مُسْتَأْنَفَةٌ كما يقوله القدرية المبتدعة.

ثالثًا: أنَّ الله عزَّ وجلّ ميَّز بين أهل السَّعادة فجعلهم بيضًا، وبين أهل الشقاوة فجعلهم سودًا كالفحم عياذًا بالله تعالى منهم.

رابعًا: جعل لكل من الصنفين علامة يُعرفان بها، وهي الإيمان والعمل بمقتضاه أو ترك ذلك، ولذلك قال للسائل فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على مواقع القدر»، يعني كُلًّا سَيُيَسَّر لِما سَبَقَ له، كما جاء في الحديث الوارد من طرق عن جماعة من الصحابة: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وسيأتي إيراده في سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾.

خامسًا: أنَّ الله عزَّ وجلّ قضى وحكم وحُكْمُهُ عدل بالجنة لأقوام، وبالنار لآخرين، بدون مبالاة بأحد ولا اكتراث، لأنَّ الملك ملكه والخلق خلقه، فلا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا يُسأل عمَّا يفعل. فنسأله تعالى أن يمنَّ علينا بالموت على السعادة.

سادسًا: ما ذكر في هذه الأحاديث من القبضتين واليمين... هي من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت مع التنزيه ونفي التشبيه.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمۡدُودٍ ۝٣٠﴾. ٣٠

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّةِ شَجَرةً يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مائة عام لا يَقْطَعُها»، واقرأوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمۡدُودٍ ۝٣٠﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٥١، ومسلم في الجنة ٢٨٢٦، والترمذي في التفسير ٣٠٧٥، وفي صفة الجنة ٢٣٤١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٩ وغيرهم، ومثله عن أنس رواه الشيخان والترمذي ٣٠٧٦.

في الحديث بيان الظل الممدود في الآية، وأنَّ الراكب المُجِدَّ

لا يقطعه في مدَّة مائة عام، والظل هنا لا نعرفه لأنه ليس هنالك شمس ولا قمر ينشأ عن ضوئهما ظل الأشجار... وإنما هو ظل ينشئه الله تعالى من أنوار لا ندركها الآن. وقوله: ﴿مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾، قال المفسِّرون: أي لا زوال له فهو دائم.

﴿٣٢﴾ **قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾.**

فيها حديث أنس المتقدم في رؤيا تلك المرأة وغيره.

وإذا كنا في الدنيا نرى الفواكه المختلفة الكثيرة المتنوعة، والدنيا بالنسبة للآخرة كالتراب مع الذهب... فكيف بفاكهة الآخرة التي ما رأت عين مثلها ولا سمعت أذن شبهها ولا خطرت على قلب بشر، إن وصفها بالكثرة من جانب الحضرة الإلـٰهية يؤذن بما لا ندركه من كثرتها.

﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ **قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ**
﴿٣٨﴾ **ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله، هل نَصِلُ إلى نِسَائِنا في الجنَّة؟ قال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ في اليوم إلى مائةِ عَذْرَاءَ».

رواه الطبراني في الأوسط ٧٢٢، والصغير ٧٩٥، والبزار ٣٥٢٥، قال النور ١٠/ ٤١٩: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب، وهو ثقة.

وعنه عن رسول الله ﷺ، أنه قيل له: أَنَطأُ في الجنَّة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دَحْمًا دَحْمًا، فإذا قام عنها رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا».

رواه ابن حبان ١٦/ ٤١٥، والبزار ٣٥٢٤ وغيرهما بسند حسن صحيح. وفي الباب أحاديث أشار إليها محقق الإحسان.

قوله: عذراء، أي: بكرًا. وقوله: دَحْمًا دَحْمًا: في «النهاية» هو النكاح والوطءُ بدفع وإزعاجٍ.

والحديثان يدلَّان على أنَّ نساء الجنة ليس فيهن ثَيِّبَةٌ، بل كلهن أبكارٌ كما نطقت بذلك الآية الكريمة، وحتى من جُومِعَت عادت بكرًا مطهَّرة كما في الحديث الثاني. وفي الحديث الأوَّل أنَّ المؤمن ليواقع في اليوم مائة بكرًا، وذلك لما سيعطاه من القوة في ذلك.

وجاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يُعطى المؤمنُ في الجنة قوَّة كذا وكذا من الجماع»، قيل: يا رسول الله، أويطيق ذلك؟ قال: «يُعطَى قُوَّة مِائَةٍ».

رواه الترمذي ٢٣٥٣ وصحَّحه، وابن حبان ٢٦٣٥ بالموارد، وله شاهد عن زيد بن أرقم رواه الدارمي ٢٨٢٨ بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾. ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ نارَكُم هذه جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنَّم، وضُرِبت بالبحر مرَّتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد». وفي رواية: «نارُ بني آدم التي يُوقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم»، فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافِيَةً فقال: «إنَّها قد فُضِّلَتْ عليها بِتسعةٍ وسِتِّين جزءًا».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٤، ٣١٣، ٤٦٧، والبخاري في بدء الخلق ٣٢٦٥، ومسلم في صفة الجنة ٢٨٤٣، ١٧/ ١٧٩، والترمذي ٢٤٠٨، وابن حبان ١٦/ ٥٠٣، ٥٠٤، بالإحسان.

في الحديث عظمة نار جهنم، وأنها تعادل من نارنا تسعًا وستين مرة، ولذا قال الصحابة: إن كانت ـ يعنون نار الدنيا ـ لكافية للتعذيب. ولكن الله عزَّ وجلّ وهو أحكم الحاكمين جعلها كذلك ليعذب بها من كفر به وعبد غيره وطغى في هذه الحياة وعتا وتجبَّر، فهم فيها كما قال تعالى في

سورة النساء: ٥٦ : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾، وكما قال في سورة الإسراء: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾. فلأمثال هؤلاء أُعِدَّت تلك النار عياذًا بالله تعالى منها ومن أهلها.

والآية الكريمة جيء بها كأخواتها مبدوءة بـ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ لإقامة الحجَّة على الكفار، والدلالة على وحدانيته تعالى، وعلى عظمة القدرة الإلـٰهية، وأنه تعالى الذي يخلق الإنسان من المني الذي يمنونه هو الذي ينبت الزروع من البذر الذي يُلْقُونه في المزارع، وأنه الذي ينزل الماء العذب من السحاب ولو شاء لجعله مالحًا شديد الملوحة، ثم جاء دور النار وأنه تعالى الذي أنشأ شجرتها وجعلها تذكرة للنار الكبرى إذا رآها الناس تذكَّروا بها جهنَّم فيخافون عقابه ويطيعونه ويتَّقونه.

﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ
﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ
تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مُطِرَ النَّاسُ على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ مِن النَّاس شاكرٌ، ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صَدَقَ نوءُ كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ حتى بلغ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

رواه مسلم في الإيمان رقم ٧٣ ج ٢/ ٦١، ٦٢، ونحوه في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني.

مواقع النجوم، أي: منازلها وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها. وقيل: مساقط غروبها ونزولها.

وإنما قال تعالى في شأن القسم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾؛ لما في المقسم به، وهي مواقع النجوم من عظيم دلائل القدرة لو كنّا نعلم حقيقة الأمر وما أودع تعالى في هذه الكواكب وبروجها وأفلاكها وما ينشأ عنها في هذا العالم من تغيُّرات.

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾: هذا الكتاب الصحيح أنه اللوح المحفوظ. وقوله في الحديث: «أَصْبَحَ مِن النَّاس شاكرٌ»، أي: مؤمن وهو الذي يقول: هذه رحمة الله تعالى. وقوله: نوء كذا: النوء هو النجم؛ والمطر والغيم، وكان أهل الجاهلية يعتقدون التأثير للنجوم، فكانوا ينسبون المطر إليها. تعالى الله عمّا يقوله الظالمون.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. ﴿٧٩﴾

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمهم الله تعالى قال: إنَّ في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «أن لا يَمَسّ القرآن إلاَّ طاهر».

رواه مالك في الموطأ، باب الأمر بالوضوء لمن مسَّ القرآن، وهو مرسل صحيح. ورواه ابن حبان ٧٩٣ بالموارد، والحاكم ١/ ٣٩٥ متَّصلاً، وصحَّحه الحاكم وغير واحد من الحفَّاظ. ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر... إلخ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذه وجادة جيِّدة قرأها الزهري وغيره، قال: ومثل هذا ينبغي الأخذ به... وانظر ما سبق أول سورة المائدة.

في الآية الكريمة إخبار عن القرآن الكريم بأنه في اللوح المحفوظ، وأنَّه لا يمسّه إلاَّ المطهَّرون وهم ملائكة الله عزَّ وجلّ. هذا قول المفسِّرين،

ولم يذكر ابن جرير سواه عن مفسِّري السلف. فاستدلال بعض الفقهاء بالآية على تحريم مس القرآن لغير الطاهر وحملهم الآية على أنها نهي غير سديد بل هو خبر..

والدليل على ما ذهبوا إليه هو حديث عمرو بن حزم المذكور مع حديث الإمام علي رضي الله تعالى عنه: «كان رسول الله ﷺ يُقرِئُنا القرآنَ ما لم يكن جُنُبًا».

رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصحَّحه الترمذي خلافًا لمن طعن فيه.

(٨٢) **قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.**

عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما مُطِر قوم قط إلاَّ أصبح بعضُهم كافرًا يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وقال: وتجعلون شكركم أنكم تُكَذِّبون».

رواه ابن جرير ٢٧/ ٢٠٨، قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وما فسر به ابن عباس جاء مثله عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه، رواه الترمذي ٣٠٧٨، وابن جرير ٢٧/ ٢٠٨، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٣٤.

قال ابن جرير في معنى الآية: وتجعلون شكر الله على رزقه إيَّاكم التكذيب. يعني بدل أن يشكروا الله على ما أنزل عليهم من مطر ورحمة فيؤمنوا به ويطيعوه، قابلوا ذلك بالتكذيب والكفران بنسبة ذلك إلى الأنواء.

(٩٦) **قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

رواه البخاري في الدعوات ٦٤٠٦، وآخر كتابه وهو ختم مسكه، ومسلم في الذكر ٢٦٩٤، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٠ بتهذيبي، وابن ماجه ٣٨٠٦.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

رواه البخاري في الأدعية ١٣/ ٤٦٢، ٤٦٣، والترمذي ٣٠٣٩، وابن ماجه ٣٨١٢.

في الحديثين فضل تسبيح الله تعالى وتحميده وتعظيمه، وأنَّ ذلك من موجبات الجنَّة ومكفِّرات الذُّنوب، وأنَّ ذلك ممَّا يحبّه الله عزَّ وجلّ.

وقد جاء عن عُقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: لمَّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولمَّا نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، قال: «اجعلوها في سجودكم».

رواه أبو داود ٨٦٩، وابن ماجه ٨٨٧، وكذا أحمد ٤/ ١٥٥، وابن خزيمة ٦٠٠، ٦٧٠، والحاكم ١/ ٢٥٥، ج ٢/ ٤٧٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي في الموضع الثاني. وصحَّ ذلك من فعله ﷺ، رواه أحمد ٥/ ٣٨٤، ومسلم ٧٧٢، وأهل السنن عن حذيفة.

وبه تمَّت سورة الواقعة، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى اللّٰه وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الحَدِيدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وهنا جاء دور السور المدنية أيضًا، وهي عشر سور متواليات، وهي الآتية: الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصفّ، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم.

وهذه السورة تسع وعشرون آية، وأهدافها التربية الإسلامية والتشريع الحكيم، والتوجيه والتزهُّد في هذه الحياة، ولم تخل من ذكر أسماء الله وصفاته ودلائل توحيده.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر أربعة أسماء لله عزَّ وجلّ الدَّالَّة على أوَّليته بلا بداية، وآخريته بلا نهاية، وظهوره للعقول بدلائل قدرته، وباطنيته بحيث لا تدركه الأبصار، ولا تتصوَّره العقول، آية ٣.

٢ ـ معيَّته تعالى مع خلقه أينما حلُّوا وارتحلوا، فهو رقيب عليهم لا تخفى عليه خافية منهم، آية ٤.

٣ ــ بيان أنه لا يستوي المهاجرون والأنصار الأوَّلون ممن آمن وأنفق وقاتل، مع من جاء بعد الفتح فآمن وأنفق وقاتل، علمًا بأنَّ جميعهم وعدهم الله الحسنى، آية ١٠.

٤ ــ ذكر مشهد رهيب للمنافقين يوم القيامة حيث سيحال بينهم وبين المؤمنين بسور باطنه لجهة المؤمنين رحمة وظاهره عذاب للمنافقين، آية ١٣.

٥ ــ لفت أنظار المؤمنين إلى الاتِّصاف بالتخشُّع ولين القلوب وأن لا يكونوا كأهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد فقَسَت قلوبهم، آية ١٦.

٦ ــ من آمن بالله ورسوله إيمانًا خالصًا صادقًا كان من الصدِّيقين، آية ١٩.

٧ ــ التزهيد في هذه الحياة ووصفها بخمس صفات سافلة ساقطة هابطة: لعب، لهو، زينة، تفاخر، تكاثر، آية ٢٠.

٨ ــ ذكر آية تدلّ على أنَّ كل ما يقع في هذه الحياة ويحدث من مصيبة سواء كانت في هذا الكون أو فيمن عليه من الخلق هي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن يوجدها الله ويخلقها. وهي تسلية لكل مبتلى في هذه الحياة، فمن تفكَّر فيها هانت عليه المصائب والأحداث أيًّا كانت إذا كان مصحوبًا بالإيمان بالله ورسوله ﷺ، آيتان ٢٢، ٢٣.

٩ ــ ذكر الحديد وما فيه من بأس شديد ومنافع للناس، وهو من باب الإعجاز العلمي، آية ٢٥.

١٠ ــ جعل الله عزَّ وجلّ في بني نوح وإبراهيم النبوة والكتاب، آية ٢٦.

١١ ــ ذكر الرهبانية التي ابتدعها النصارى ولم يراعوها حق رعايتها، آية ٢٧.

١٢ ـ من اتَّقى الله وآمن برسوله ﷺ كافأه الله عزَّ وجلّ بثلاث كرامات: يجعل له كفلين من رحمته، ويعطيه نورًا في هذه الحياة، ويغفر له ما فرط من ذنبه، آية ٢٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾. ﴿٣﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «اللّٰهُمَّ ربَّ السَّمواتِ السَّبع وربُّ الأرَضين ورب العرش العظيم، ربّنا وربّ كلِّ شَيءٍ، فَالِق الحَبِّ والنَّوى، مُنْزِل التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذُ بكَ مِن شرِّ كلِّ ذِي شَرّ أنتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، إنَّ ربِّـي على صراطٍ مُستقيم، أنتَ الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدكَ شيء، وأنتَ الظَّاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليس دُونَكَ شيءٌ، اِقضِ عَنِّي الدَّيْنَ وأَغْنِنِي مِنَ الفقر».

رواه أحمد ٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦، ومسلم في الذكر ١٧/ ٢٥، ٣٧، وأبو داود في الأدب ٥٠٥٠، والترمذي في الدعوات ٣١٨٠، ٣٢٥٣، وابن ماجه ٣٨٧٣.

قوله: فالق الحب... إلخ، أي: يا من فلقهما فأخرج منهما الزرع والنخيل... وقوله: من شرّ كل ذي شر، يدخل فيه كل شرير من الإنس والجن والحيوان، فهو من الجوامع.

والحديث مفسِّر للآية الكريمة وأنه تعالى أوّلٌ لم يكن قبله أحد، وآخرٌ لا يبقى بعده أحدٌ، وأنّه الظاهر ظهورًا ليس فوقَ ظهوره أحدٌ، وأنه باطنٌ بحيثُ لا يُدْرِكه أحدٌ. وهذا التفسير أولى ممّا نقله البخاري رحمه الله تعالى عن يحيى بن زياد الفرّاء، حيث قال: الظاهر على كل شيء علمًا، والباطن على كل شيء علمًا فهو وإن كان محتملاً فما فسّر به

النبي ﷺ مقدم عليه، «وإذا ظهرت شمس الله بطلت شمس معقل»، أو كما قالوا.

(١٠) قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما كلامٌ، فقال خالدٌ لعبدِ الرَّحمن: تَسْتَطِيلون علينا بأيام سبقتُمُونا بها؟! فبلغنا أنَّ ذلك ذُكِر للنبي ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبًا ما بلغتم أعمالهم».

رواه أحمد ٣/ ٢٦٦ وسنده صحيح على شرط البخاري. وهو في صحيح مسلم ١٦/ ٩٢، ٩٣ عن أبي سعيد الخدري بهذه القصة. وجاء عن أبي هريرة في صحيح مسلم أيضًا ١٦/ ٩٢ بلفظ: لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

الآية وما ذكر من الأحاديث تدلّ على أنَّه لا يستوي السابقون من الصحابة مع اللاحقين منهم وإن كانوا جميعًا تشملهم البشارة بدخول الجنَّة.

وقوله ﷺ: «دعوا لي أصحابي»، هذا كان خطابًا للصحابة اللاحقين، وإذا كان هذا فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم فكيف بمن جاء بعدهم. ومن هنا يعرف خطر من ينتقد الصحابة فأحرى من يسبهم ويلعنهم كما هو شأن الشيعة الروافض من الإمامية الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم...﴾ إلخ، معناه: لا يستوي في الفضل من آمن وأنفق ماله وقاتل الأعداء مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من آمن وأنفق ماله وقاتل بعد فتح مكة، أولئك ـ يعني الأولين ـ أعظم أجرًا، وأرفع منزلة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا ممَّن آمن

وأنفق وقاتل قبل الفتح وبعده وعده الله الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات.

(٢٢) قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله قدَّر المقادير قبْلَ أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». وفي رواية: «كتب اللّه مقادير الخلائق...»، إلخ قال: «وكان عرشه على الماء».

رواه أحمد ٢/ ١٦٩، ومسلم ١٦/ ٢٠٣، والترمذي ١٩٨٧ كلاهما في القدر.

قال العلماء رحمهم الله: المراد بكتابة مقادير الخلائق تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، لا أصل التقدير فإنَّ ذلك أزلي لا أوَّل له.

وفي الآية والحديث دليل على أنَّ الله تعالى فرغ من كل شيء، وأنَّ كل ما يقع في هذا العالم من خير أو شرّ، طاعة أو معصية... هو مكتوب ومسطور ومقدَّر في اللوح المحفوظ، وهذا من كليات الإيمان الست ومن تحقق بهذا المقام هانت عليه البلايا واستراح من تعب طلب الدنيا والسعي وراء الرزق بتلهُّف... وقوله تعالى: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾، أي: نخلقها.

(٢٧) قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٧)﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت مُلُوكٌ بعد عيسى عليه السلام بَدَّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، قيل لملوكهم: ما نجد شَتْمًا أشدَّ من شتم يشتمونا هؤلاء إنهم يقرؤون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٤٤)﴾، مع ما يعيبونا به في

أعمالنا في قراءتهم فادْعُهم فليقرؤوا كما نقرأ، ولْيُؤْمنوا كما آمنّا، فدعاهم فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلاّ ما بدَّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابْنُوا لنا أُسْطُوَانًا، ثم ارفعونا إليها ثم اعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم، وقال طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحتفر الآبار ونحترث البقول، ولا نردُّ عليكم ولا نمرُّ بكم. وليس أحد من القبائل إلاّ وله حميمٌ فيهم. قال: ففعلوا ذلك فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، والآخرون قالوا: نتعبَّد كما تعبَّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بُعِث النبي ﷺ لم يبقَ منهم إلاّ قليل انحطَّ رجلٌ من صومعتِه، وجاء سائح من سياحتِه، وصاحبُ الدَّيْر من دَيْرِه، فآمنوا به وصدَّقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم، وقال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين يتشبَّهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

أخرجه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٠، ٤٨١، وفي أدب القضاة من المجتبى ٥٤٠٠، وسنده صحيح، وعطاء بن السائب ثقة، وسفيان الثوري سمع منه قبل الاختلاط.

هذا الحديث يصوِّر لنا ذلك المجتمع المسيحي الجاهلي وما فعله ملوكهم المنحرفون من تبديل الإنجيل حسب أهوائهم وما صار إليه أمرهم

من مضايقة المؤمنين الملتزمين بتعاليم التوراة والإنجيل وهمهم بقتلهم فكان ذلك سببًا في مهاجرتهم ذلك المجتمع الكافر وسياحتهم في الأرض واتِّخاذهم الصَّوامع والديرات وابتداعهم الرهبانية والانقطاع للعبادة والزُّهد في التزوُّج، وكان قصدهم في ذلك طلب مرضاة الله عزَّ وجلّ لكنهم لم يقوموا بما التزموه ولم يراعوه حقَّ رعايته. كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فلما جاء الإسلام أبطل الرهبانية وجاء بالقصد والاعتدال، فأمر بالتزوُّج وحذَّر من الرغبة عنه، وجعل رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله.

وقد ورد عنه ﷺ: «لِكُلِّ نبيّ رهبانيةٌ، ورهبانية هذه الأُمَّة الجهادُ في سبيل الله عزَّ وجلّ».

رواه أحمد ٣/ ٢٦٦ من حديث أنس بن مالك، وهو وإن كان في سنده زيد العمي، وهو ضعيف، فإنَّ له شاهدًا رواه أحمد ٣/ ٨٢ عن أبي سعيد الخدري عنه ﷺ: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأسُ كلّ شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانيةُ الإسلام»، وسنده لا بأس به. وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «لا صَرورة في الإسلام»، رواه أحمد برقم ٢٨٤٥، وأبو داود ١٧١٣، والحاكم ١/ ٤٤٨، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، وهو من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

والصرورة هو التبتُّل والرغبة عن التزوُّج لأنَّ ذلك من فعل الرهبان وليس من أخلاق أهل الإسلام. وهذا بلا شك ممنوع إذا حرم الإنسان على نفسه النساء وترك ذلك رغبة عن السنة، أما من لم تكن له رغبة فيهن وخاف على نفسه من فتن الحياة وانقطع للعبادة فلا لوم عليه في ذلك، وقد كان على هذا كثير من سلف هذه الأمة، والله تعالى أعلم.

(٢٨) **قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٢٨) ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ

يؤتون أجرهم مرَّتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي فله أجران. . . » الحديث.

رواه الشيخان، وتقدَّم في القصص، آية رقم ٥٤.

والآية الكريمة حملها ابن عباس على أهل الكتاب كما في الحديث المذكور، وهو اختيار ابن جرير في تفسيره، وقال آخرون: إنها في هذه الأمة، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾، أي: ضعفين.

وبهذا تمَّت سورة الحديد، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُجَادِلَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها ثنتان وعشرون، وموضوعها بيان حكم الظهار، والمناجاة الأثيمة، وأدب المجالس، وذكر بعض صفات اليهود السافلة، ثم بيان عوار المنافقين وبعض صفاتهم الخاصة بهم، ثم ذكر وجوب معاداة أعداء الله عزَّ وجلّ.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر الظهار وأحكامه وبيان أنه كذب وزور، وأن الأمّهات هنَّ الوالدات، آية ٢.

٢ ــ إنَّ الله عزَّ وجلّ مع أهل النجوى قلّوا أم كثروا ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، آية ٧.

٣ ــ ذكر تحيَّة اليهود لنبي الله بغير ما حيَّاه الله لغزًا منهم وسبًّا وشتمًا له ﷺ، آية ٨.

٤ ــ النهي عن النجوى الأثيمة والتحذير منها، آية ٩.

٥ ــ بعض آداب المجالس وهو التوسُّع والتفسُّح للقادم، آية ١١.

٦ ــ رفع درجات ذوي العلم العاملين، آية ١١.

٧ ـ تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقد نسخت، آية ١٢.

٨ ـ ذكر بعض صفات المنافقين التي لم تذكر في غير هذه السورة وبيان أنهم حزب الشيطان الخاسرون، آيات ١٤ إلى ١٩.

٩ ـ ذكر وصف خاص بالمؤمنين حقًّا، وأنهم لا يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا أحبّ النَّاس إلى الإنسان وأقربهم إليه، وأنَّ هؤلاء المؤمنين هم حزب الله المفلحون، آية ٢٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «الحمد للّه الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلَّمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

رواه أحمد ٦/ ٤١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٢، وفي الظهار من المجتبى رقم ٣٤٦٠، والحاكم ٢/ ٤٨١، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، وذكره البخاري في التوحيد معلقًا رقم ٧٣٨. ورواه ابن ماجه ٢٠٦٣ بلفظ: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء»، وهو عند الحاكم أيضًا ٢/ ٤٨١، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، ورواه أحمد ٦/ ٤١٠ عن خولة نفسها، ويأتي قريبًا.

الظهار: هو أن يقول الإنسان لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، وكان هذا سائدًا بين أهل الجاهلية، فكان أوس بن الصامت أول من ظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة، فأنزل الله عزَّ وجلّ فيها قرآنًا، وسمَّى الظهار كذبًا وزورًا، وأمره بالكفَّارة المذكورة في صدر السورة.

وفي الآية والحديث عظمة الله عزَّ وجلّ وكبرياؤه، فالسيِّدة رضي الله تعالى عنها لم تسمع كلام خولة وهي معها في البيت، والله تعالى سمعها سبحانه فجلَّ ربنا ما أعظم شانك وأرفع مكانك وأعزّ سلطانك، لا إلـه إلاَّ أنت ربّنا وإلـهنا، لا إلـه لنا سواك، ولا ربَّ لنا غيرك، تعاليت عن المثيل والشبيه.

٣ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن
٤ قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

عن خولة بنت ثعلبة رضي الله تعالى عنها قالت: والله فيَّ وفي أوس بن صامت أنزل الله عزَّ وجلّ صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خُلُقه وضَجِر، قالت: فدخل عليَّ يومًا فراجعتُهُ بشيء فغضب فقال: أنتِ عليَّ كظهر أمّي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ثمَّ دخل عليَّ فإذا هو يُرِيدُنِي على نفسي، قالت: فقلت: كلاَّ والذي نفس خُوَيْلة بيده لا تخلصُ إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

قالت: فواثبني وامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي فاستعرتُ منها ثيابَها ثم خرجتُ حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرتُ له ما لَقِيتُ منه، فجعلتُ أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خُلُقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خُوَيْلَةُ، ابنُ عمِّك شيخٌ كبيرٌ فاتّقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحتُ حتى نزل فيَّ القرآن، فتَغَشَّى رسول الله ﷺ ما كان يَتَغَشَّاهُ ثم سُرِّي عنه فقال لي: «يا خُوَيْلَةَ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك»، ثم قرأ علي: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا . . .﴾ إلى

قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾. فقال لي رسول الله ﷺ: «مُرِيهِ فليعتق رقبةً»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «فليصُم شهرين متتابعين»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «فَلْيُطْعِم ستِّينَ مسكينًا وسقًا من تمر»، قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنَّا سنعينه بعرقٍ من تمر»، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: قد أصبتِ وأحسنتِ، فاذهبي فتصدَّقي عنه ثم استوصي بابن عمّك خيرًا»، قالت: ففعلتُ. . .

رواه أحمد ٦/ ٤١٠، ٤١١، وأبو داود ٢٢١٤، ٢٢١٥، وابن حبان ١٠/ ١٠٧، ١٠٨، والبيهقي ٧/ ٣٩١، ٣٩٢، وابن الجارود ٧٤٦ وغيرهم، وهو صحيح، وابن إسحاق صرَّح بالتحديث، ومعمّر بن عبد الله بن حنظلة حديثه حسن في الشواهد.

وللحديث شواهد ومنها الآتي:

عن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت رجلاً قد أُوتيت من جماع النساء ما لم يؤتَ غيري، فلما دخل رمضان تظاهرتُ من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرَقًا من أن أصيب منها في ليل فأتتابع في ذلك إلى أن يُدركني النهارُ وأنا لا أقدر أن أنزِعَ، فبينما هي تخدُمُني ذات ليلة إذ تكشَّف لي منها شيءٌ فوثبتُ عليها فلمَّا أصبحتُ غدوتُ على قومي فأخبرتهم خبري فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فأُخْبِرُه بأمري، فقالوا: لا والله لا نفعل، نتخوَّف أن ينزل فينا قرآن، أو يقول رسول الله ﷺ فينا مقالة يبقى علينا عارُها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال: فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري فقال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك، قال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك، قال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك وها أنا ذا، فأمض فيَّ حكم الله تعالى فإني

صابر لذلك، قال: «اعتق رقبة»، قال: فضربت صفحة عُنُقي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملِك غيرها، قال: «فصم شهرين»، قلتُ: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلاَّ في الصيام، قال: «فأطعم ستين مسكينًا»، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشاء ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق، فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقًا ستين ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك»، قال: فرجعتُ إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضّيقَ وسوءَ الرأي ووجدت عند رسول الله ﷺ السَّعة والبركة؛ أمر لي بِصَدَقَتِكُم فادفعوها إليَّ. فدفعوها إليّ. . .

رواه أحمد ٤/ ٣٧، وأبو داود ٢٢١٣، والترمذي ١٠٨٠، ٣٠٨٢ بتهذيبي، وابن الجارود ٧٤٤، وابن ماجه ٢٠٦٣، والحاكم ٢/ ٢٠٣، ورجاله ثقات، وفيه عنعنة ابن إسحاق مع انقطاع فيه، لكنه رواه الترمذي في الظهار ١٠٨٢، والحاكم ٢/ ٢٠٤، والبيهقي ٧/ ٣٨٦، ٣٩٠ من طريق آخر مرسلاً بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر أيضًا عن ابن عباس رواه أبو داود ٢٢٢٣، والترمذي ١٠٨١، وابن ماجه ٢٠٦٥، والحاكم ٢/ ٢٠٤، والبيهقي ٧/ ٣٨٦، وسنده حسن في الشواهد. أما الترمذي فقال فيه: حسن غريب صحيح. وحسَّنه الحافظ في الفتح.

ظاهر حديث سلمة بن صخر أنَّ نزول آية الظهار كانت بسببه، والصحيح أن سببها هو أوس بن الصامت وبنت عمّه خولة بنت ثعلبة كما في حديثي عائشة وخولة المتقدِّمين، وفي الآية وما ذكرنا من الأحاديث وجوب كفَّارة الظهار، وأنَّها تجب قبل المماسة، وهي إما عتق رقبة، فإن فقدت وجب صيام شهرين متواليين، فمن لم يستطع ذلك لكبر أو ضعف أو مرض فعليه أن يطعم ستين مسكينًا. وهذا الحكم لا خلاف فيه.

ملاحظة: الظهار من الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية، فجاء الإسلام واعتبرها، وأوجب فيها كفَّارة، كما أقرَّ النكاح والقسامة وغير ذلك مع إدخال تعديلات عليها.

٨ **قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل يهودي على النبي ﷺ فقال: السام عليك، فقال النبي ﷺ: «وعليك»، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: وعليك السامُ وغضبُ الله. قالت: فخرج اليهودي فقال النبي ﷺ: «يا عائشة، إنَّ الله تبارك وتعالى لا يُحبُّ الفاحش والمتفحِّش»، قالت: يا رسول الله، أما تدري ما قال؟ قال: «وما قال؟»، قالت: قال السامُ عليك، فهو قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: فخرج اليهودي وهو يقول بينه وبين نفسه، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾.

وفي رواية: . . . فقلت: بل عليكم السامُ واللعنةُ، قال النبي ﷺ: «يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قلت: عليكم».

رواه البخاري ٦٩٢٧ في استتابة المرتدين، ومسلم في السلام ١٤/ ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٢، وابن ماجه ٣٦٩٨. ورواه البخاري ومسلم أيضًا عن أنس وابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان ما كان عليه اليهود الملاعين من المكر والدهاء والتخلُّق بالأخلاق الهابطة ونفاقهم. . . فها هم يحيون سيِّد الخلق ﷺ والمسلمين بما ظاهره تحيَّة وسلام، وباطنه سبّ وشتم فيفضحهم الله عزَّ وجلّ ويكشف عوارهم وبوارهم، عليهم لعائن الله

المتوالية أبد الآبدين. وفي الحديث الأمر بالرفق والمعاملة بالتي هي أحسن حتى مع الكفَّار، وخاصة بالنسبة إلى الدعاة إلى الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

(٩) **قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتُم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما حتى يختلطوا بالناس فإنَّ ذلك يُحزنه».

رواه أحمد ١/ ٤٦٠، ٤٦٢، وفي مواضع، والبخاري في الاستئذان ٦٢٩٠، ومسلم في السلام ٢١٨٤، وأبو داود في الأدب ٤٨٥١، والترمذي ٢٦٣٦، وابن ماجه ٢٧٧٥، وغيرهم.

التناجي هو كلام رجلين أو ثلاثة سرًّا فيما بينهم دون باقي الناس، وهذا هو الذي جاءت فيه الآية الكريمة ناهية عنه، فإذا كان مصحوبًا بالإثم فهو محرم، وإن كان سوى ذلك فلا بأس به إن كان الناس مختلطين، فإن كانوا ثلاثة وتناجى اثنان دون صاحبهما فيحرم؛ لأنَّ ذلك يحزنه ويوقعه في سوء الظن بالمتناجين.

(١١) **قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يُقيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا».

رواه أحمد ٢/ ٨٩، ١٢٦، والبخاري في الجمعة وفي الاستئذان ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧، وأبو داود ٤٨٢٨، والترمذي في الاستئذان ٢٥٦٣ بتهذيبي، وغيرهم.

الآية والحديث يدلاَّن على أنَّ الجالس لا يقام من مجلسه ليجلس فيه غيره؛ لأنَّ ذلك ينافي الأدب ويمسّ بحرمة المؤمن ويحرجه، والواجب في الأدب الإسلامي أن يتوسَّعوا، وهو التفسُّح في الآية، وفيها إشارة إلى فضل التوسُّع وأنَّ ذلك يوجب التفسُّح في رحمة الله تعالى وجنَّته.

(١١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) ﴾.

عن أبي الطُّفيل رضي الله تعالى عنه، أنَّ نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعُسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من اسْتَخْلَفْتَ على أهل الوادي؟ قال: استخلفْتُ عليهم ابن أَبْزَى، قال: ومن ابن أَبْزى؟ قال: رجل من الموالي، قال عمر: استخلفتَ عليهم مولى، فقال له: إنه قارىء لكتاب الله تعالى وإنه عالم بالفرائض، فقال: أما إنَّ نبيّكم ﷺ قال: «إنَّ الله ليرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»، وفي رواية: «بهذا الكتاب».

رواه أحمد ١/ ٣٥، ومسلم في فضائل القرآن ٦/ ٩٨، والدارمي ٣٣١٨، وابن ماجه ٢١٨، وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ ٱنشُزُواْ ﴾، أي: ارتفعوا وتنحّوا عن المجلس وانهضوا ليقع التوسُّع. فالآية الكريمة تدلّ على أنَّ من وسَّع لأخيه في المجلس وقام حتى يقع التفسُّح، وتواضع له رفعه الله درجة، هذا في مطلق المؤمنين، أما إذا كان من أهل العلم بالله وبأحكامه، فتواضع في هذا المشهد فَسَيَرْفَعُهُ الله درجات لا يعلم عدَدَها إلاَّ الله... وهذا الذي دلَّ عليه الحديث المذكور، فإنَّ من حفظ القرآن وتعلَّم أحكامه.. رفعه الله عزَّ وجلّ في الدنيا والآخرة ولو كان في الدنيا من بيت وضيع ونسب غير حسيب ولا شريف.

(١٨) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نَفَرٌ من المسلمين قد كاد يقلُصُ عنهم الظل قال: فقال: «إنَّه سيأتيكم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تُكَلِّموه»، قال: فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلَّمه، فقال: علامَ تشتُمني أنت وفلان، وفلان، نَفَرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

رواه أحمد ١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠، والحاكم ٢/ ٤٨٢، وصحّحه وقد جاء من طرق صحيحة.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات المنافقين وهو حلفهم على الكذب والبهتان، حتى في الآخرة سينافقون الله ويحلفون له بأنهم كانوا مسلمين ولم يكونوا مشركين كما كانوا يحلفون للنبي ﷺ في غيرما مشهد، من ذلك ما في هذا الحديث، فهذا المنافق قد شتم النبي ﷺ مع أصحابه في خفاء، ولما واجهه النبي ﷺ بذلك وفضحه بوحي من الله عزَّ وجلّ جعل يحلف له مع أصحابه ويعتذرون إليه، فنزلت الآية الكريمة تخبر بكذبهم ومآلهم يوم القيامة.

وبهذا تمَّت سورة المجادلة، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الحَشْرِ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي أربع وعشرون آية، وأهدافها التشريع الإسلامي من أحكام الجهاد والغنائم وبالأخص ما يتعلَّق بغزوة بني النضير، وما وقع فيها ونزل باليهود، وما أخذه المسلمون من غنيمة وفيء، وبيان أصحابه الذين يستحقّونه، ثم التعرُّض للمنافقين الذين تعاهدوا مع يهود بني النضير ضد المسلمين، وخُتمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى، كما فُتحت بتسبيح كل ما في السموات والأرض لله عزَّ وجلّ.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر غزوة بني النضير وعليها مدار السورة الكريمة، ولذا سمَّاها بعض الصحابة سورة بني النضير.

٢ ــ ذكر آية طالما استدلَّ بها جمهور الأصوليين على اعتبار القياس من أدلة الفقه الإسلامي: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾، آية ٢.

٣ ــ مشروعية قطع أشجار الكفار المحاربين، وليس ذلك من الإفساد المنهيّ عنه؛ لأنَّ في هذا نكاية للعدوّ وإغاظة لهم، آية ٥.

٤ ــ بيان الفيء وحكمه ومصارفه وحكمة قسمته، آيات ٦ ــ ٨.

٥ ــ تلك الآية العظيمة التي تعدّ أصلاً أصيلاً لاتِّباع الرسول ﷺ في الأمر والنهي، آية ٧.

٦ ــ مدح الفقراء المهاجرين والأنصار بخصال خاصة راقية، آيتان ٨، ٩.

٧ ــ من صفات المسلم المتأخِّر مع إخوانه السابقين الاستغفار لهم والدعاء معهم بخير، آية ١٠.

٨ ــ موقف فاشل كاذب للمنافقين مع اليهود في تعاهدهم ضد الإسلام وبيان عاقبة أمرهم، آيات ١١ ــ ١٥.

٩ ــ ضرب مثل للكافر مع الشيطان إذ قال له: اكْفُر، فلمَّا كفر قال: إنِّي بريءٌ منك، آيتان ١٦، ١٧.

١٠ ــ ختام السورة الكريمة بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، وذكر من ذلك نحوًا من ثلاثة عشر اسمًا، آيات ٢٢ ــ ٢٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٥) قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطعها، وهي البُوَيْرَةُ، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

رواه أحمد ٦٠٥٤، ٦٢٥١، والبخاري في المغازي وفي التفسير ١٠/ ٢٥٤، ومسلم في الجهاد ١٧٤٦، والترمذي في السِّيَر ١٤١٩، وفي التفسير ٣٠٨٥ بتهذيبي، وأبو داود ٢٦١٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٣، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٤٤.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ . . . ﴾ الآية، قال: اللِّينةُ: النخلة. ﴿ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾:

قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فَحَكَّ في صدورِهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٨٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٣، وسنده صحيح على شرط البخاري في طريق عند الترمذي.

اللينة: هي النخلة كما فسَّرها ابن عبَّاس. والبُوَيْرَة، بالتصغير: أرض لليهود ببني النضير.

وفي الآية والحديث مشروعية تحريق أشجار أهل الحرب وقطعها عند قتالهم، ولا يعدّ ذلك من الإفساد وتبذير الأموال بل في ذلك أجر وثواب، فإنَّ كل ما يغيظ الكفَّار ويسيء إليهم ويحزنهم فيه أجر... وفي هذه الغزوة عبرة لمن يعتبر من الكفَّار الذين يخفرون العهود ضد المسلمين.

٦ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا
٧ رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا
يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾.

عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان، عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أموال بني النضير ممَّا أفاء الله على رسوله ممَّا لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عُدَّة في سبيل الله.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٥٤، وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسِّيَر

١٧٥٧، وأبو داود في الخراج ٢٩٦٥، والترمذي في الجهاد ١٥٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٤، وفي المجتبى.

وعنه أيضًا: أنَّ عمر رضي الله تعالى عنه قال: سأخبركم بهذا الفيء، إنَّ الله تعالى خصَّ نبيّه ﷺ بشيء لم يعطه غيره فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾. فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، فوالله ما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، وكان رسول الله ﷺ ينفق منه على أهله سنتهم ثم يجعل ما بقي في مال الله عزَّ وجلّ.

رواه البخاري في فرض الخمس ٣٠٩٤، وفي المغازي ٤٠٣٣، وفي الاعتصام ٧٣٠٥ وفي مواضع، ومسلم في الجهاد ١٧٥٧، وأبو داود في الخراج ٢٩٦٣، والترمذي في السِّيَر ١١٧٦، والنسائي في المجتبى ٤١٤٨، وفي الكبرى ٦/ ٤٨٣، ٤٨٤، مطوّلاً ومختصرًا.

الإيجاف: سرعة السير. والفيء: ما أخذ من الكفار بدون حرب ولا قتال، وكانت أموال بني النضير من هذا القبيل ففرّقها النبي ﷺ كما أمره الله عزَّ وجلّ وخمَّسها على خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله ﷺ، ثم ذوي القربى، ثم اليتامى، ثم المساكين، ثم ابن السبيل، وهي مصاريف الغنائم والأنفال. وكان الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قاما بذلك أحسن قيام بعد النبي ﷺ، هذا حكم الفيء الذي يؤخذ بدون قتال.

أما ما يؤخذ بقتال فله حكم آخر وهو تخميس الغنيمة، فأربعة أخماس للمقاتلين، والخمس الباقي يوزَّع على الأصناف المذكورين في هذه الآية، وفي آية الأنفال: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾. وهذا باب واسع يحتاج إلى كلام.

(٧) **قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾.**

عن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات، والمُتَنَمِّصات، والمُتَفَلِّجات للحسن المُغَيِّرات خلق الله، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنتَ الواشمات والمستوشمات والمُتَنَمِّصات والمُتَفَلِّجات للحسن المُغَيِّرات خلق الله، فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، قال: والله إن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، ثم قال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾.

قال: قالت المرأة: فإني أرى شيئًا من هذا الآن على امرأتك، قال: فاذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئًا فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها. وفي رواية: لو رأيت شيئًا من ذلك ما صحبتني.

رواه أحمد ١/ ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٣، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢٥٤، ٢٥٥، وفي اللباس ٥٩٤٣، ٥٩٤٨، ومسلم في اللباس ٢١٢٥، والترمذي في الأدب ٢٥٩٣، والنسائي في الكبرى ٩/ ٤٨٥، وفي المجتبى في الزينة.

وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه «نهى عن الدّباء، والحَنتَم، والنَّقير، والمُزَفَّت، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

رواه مسلم في الأشربة رقم ١٩٩٧، وأبو داود ٣٦٩٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٤، وفي المجتبى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «ذروني

ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، ما نَهَيْتُكم عنه فانتهوا، وما أمرتكُم به فأتوا منه ما استطعتم».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٧، ٢٥٨، ٤٢٨، ٥١٧، والبخاري في الاعتصام ٧٢٨٨، ومسلم في الحج ١٣٣٧، وفي الفضائل ١٥/ ١٠٩، ١١٠، والترمذي في العلم ٢٤٩٣، وابن ماجه رقم ١، ٢.

في الآية الكريمة وما في الباب من أحاديث دليل على وجوب اتِّباع ما جاء به رسول الله ﷺ من أقواله أمرًا ونهيًا وخبرًا، وأفعاله، كانت مستأنفة أو بيانًا للقول، وتقريراته؛ فإنه لا يقر على منكر أبدًا، وكل هذا لا خلاف فيه بين علماء الإسلام، واختلفوا فيما تركه وسكت عنه، والصحيح أنه من المعفوات لحديث: «وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها».

ومن الجهل الفاضح قصر بعض المحاضرين والكتَّاب الآية الكريمة على سببها من قضية الفيء، وهذا جهل سافر يستحقّ صاحبه التصفيع على قفاه، فإننا لو قصرنا القرآن على خصوص الأسباب لما بقي معنا من الدين إلاَّ النزر منه، فالعبرة بالعموم.

والواشمات: اللاتي يتعاطين الوشم. والمتنمّصات: اللاتي ينتفن شعر حواجبهن. والمتفلجات: اللاتي يبردن أسنانهن ليجعلن فلجة بين السنَّين، وكل ذلك تغيير لخلق الله. وقوله: الدباء... إلخ: هذه أوعية كانوا ينبذون فيها فنهى عنها، ثم نسخ ذلك وقال: «انبذوا ما بدا لكم غيرَ أن لا تشربوا مسكرًا».

وحديث أبي هريرة يدل على أنَّ جانب النهي لا رخصة فيه وأنه يجب الانتهاء عن كل المنهيات مطلقًا، وهذا بخلاف جانب الأوامر فإنها مقيدة بالاستطاعة، والموضوع طويل الذيل يحتاج إلى كلام أكثر من هذا.

(٨) قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ

﴿٩﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، وإنَّ أبا بكر وعمر، وإنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين، وكان من الأنصار مهاجرون؛ لأنَّ المدينة كانت دار شرك فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٥، وفي المناقب وفي السير، وهو في المجتبى رقم ٤١٦٦، وكذا أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٧٩، ١٨٠، وسنده صحيح.

وعن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: أوصى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: «أوصِ الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى، وأوصيه بالمهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ...﴾ الآية، أن يعرف لهم هجرتهم، ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالأنصار الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم فضلهم، وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل ذمَّة محمد ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن لا يحمل عليهم فوق طاقتهم، وأن يقاتل عدوهم من ورائهم.

رواه البخاري في الجنائز ١٣٩٢، وفي الجهاد ٣٠٥٢، وفي المناقب ٣٧٠٠، وفي التفسير ٤٨٨٨ ١٠/ ٢٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٥.

في الآية الكريمة فضل عظيم للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم وحرَم الله يطلبون بذلك فضل الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله وأنهم هم الصادقون في إيمانهم، وكذا الأنصار الذين كانوا بالمدينة فآمنوا بالله ورسوله وآووه إليهم ونصروه وقاتلوا أعداءه دونه وكانوا يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة، أي حزازة وغيظًا وحسدًا مما أوتيه

المهاجرون من الغنيمة دونهم، فكل من الصنفين يجب احترامهم وتعظيمهم ومحبَّتهم والوصاية بهم خيرًا للأسبقية التي لهم ولصحبتهم لأشرف الخلق. . . فلا يوازيهم أحد ممَّن جاء بعدهم أبدًا رضي الله تعالى عنهم.

(٩) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا، إلاَّ أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة». وفي رواية لأبي هريرة: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قالوا: لا، فقالوا: أتكفونا المؤونة ونشرككم في التمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

رواه أحمد ٣/ ١١١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٤، والبخاري في المساقاة ٢٣٧٦، وفي المناقب ٣٧٩٤، والحميدي ١١٩٥، والطيالسي ١٩٦٩، والبيهقي ٦/ ١٤٣، ١٤٤، وغيرهم، كلهم من حديث أنس. ورواه البخاري في المزارعة ٥/ ٤٠٥، وفي المناقب ٨/ ١١٤ من حديث أبي هريرة.

هكذا كان المسلمون أيام النبوّة، فهؤلاء الأنصار رغم أنَّ النبي ﷺ أراد أن يخصّهم بأراض يقطعها لهم بالبحرين امتنعوا حتى يشرك معهم إخوانهم المهاجرين، كما أنَّ المهاجرين أبوا أن يأخذوا النخيل من الأنصار بدون مقابل، بل اشترطوا عليهم أن يعملوا لهم في النخيل ويصلحوا من شأن الحوائط في مقابل ما يأخذونه من التمر، ولذلك مدح الله تعالى الأنصار بقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾.

وقوله: سيصيبكم أثرة، بفتحتين، أي: سيأتي عليكم وقت يستأثر الناس

فيه بالدنيا وبالسلطة دونكم، ولذلك أمرهم بالصبر حتى يلقوه يوم القيامة.

(٩) قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رجلاً من الأنصار بات به ضَيْفٌ فلم يكن عنده إلاَّ قوتُ صِبيانِه، فقال لامرأته: نوِّمي الصِّبية، وأطفِئي السّراج، وقرِّبي للضيف ما عندك، فنزلت: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧، وفي مناقب الأنصار، ومسلم في الأشربة ٢٠٥٤، والترمذي في التفسير ٣٠٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٦، هكذا مختصرًا. وهو مطول عند البخاري وغيره، ولفظه: قال: أتى رجل رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجَهد، فأرسَلَ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يُضيِّفه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضَيْفُ رسول الله ﷺ لا تَدَّخِرِيه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلاَّ قوتُ الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم وتعالَيْ فأطفئي السراج ونَطْوي بُطوننا الليلةَ، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجبَ اللّٰهُ عزَّ وجلّ أو ضَحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وتفضيله عليه. والخصاصة: الفقر والحاجة. والعجب أو الضحك في الحديث: صفة لله تعالى، ومَنْ أَوَّلَ جعل ذلك بمعنى الرضاء، والله أعلم.

وما فعله هذا الصحابي الذي نزلت بسببه الآية هو غاية في الإيثار ونهاية في كرم النفس وحسن الضيافة، إذ بات طاويًا هو وزوجه وأطفاله ليشبع ضيفه، وهذا الإيثار كان شائعًا بين الصحابة. ومن أروع مشاهد الإيثار ما وقع في غزوة اليرموك حيث كان جماعة من الصحابة نحو الثلاثة أو أكثر، كل واحد آثر صاحبه على نفسه في شرب الماء حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب واحد منهم.

٩ **قوله تعالى:** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقوا الظُّلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الفحش فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ، وإيَّاكم والشُّحَّ فإنه أهلكَ مَن كان قبلَكم، أَمَرَهُم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا».

رواه أحمد ٢/ ١٥٩، ١٦٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، وأبو داود ١٦٩٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٦، وابن حبان ١٥٨٠ بالموارد، والحاكم ١/ ١١، ٤١٥، وصحَّحه ووافقه الذهبي وسنده حسن، وهو صحيح لطرقه وشواهده، منها عن أبي هريرة عند أحمد ٢/ ٤٣١، والبخاري في الأدب المفرد ٤٨٧، وابن حبان ٥٦٦، والحاكم ١١/ ١١، ١٢، بنحو حديث ابن عمرو، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ومنها عن جابر رواه أحمد ٣/ ٣٢٣، ومسلم ٢٥٧٨ بلفظ: «اتقوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم»، ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر مختصرًا.

الفحش: هو الكلام الساقط الهابط المنافي للأدب. والشح: أبلغ من البخل في المنع، فالشحيح قد يمتنع من أداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده بخلاف البخيل. والفجور: يُطلق على الزنا وعلى الكذب وغيرهما من الانحرافات الفاحشة.

وفي هذه الأحاديث ذم الشحّ والتحذير منه وأنه سبب هلاك من قبلنا وأنه يتسبب في الفجور وقطيعة الأرحام واستحلال المحارم وسفك الدماء. وفي الآية دليل على أنَّ من وقى الشحّ واتَّصف بالجود والكرم والسخاء كان من الفائزين.

١٨ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾.

عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ

في صَدْر النهار قال: فجاء قوم حفاةً عراةً مُجْتَابي النِّمَار والعَبَاء، مُتَقَلِّدي السيوف عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مضر، فَتَمَعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّى ثم خطب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾، والآية التي في الحشر: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره»، حتى قال: «ولو بشق تمرة».

قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تَعْجزُ عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَيْن من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عَمِل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيِّئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ».

رواه الطيالسي ٦٧٠، وأحمد ٤/٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ومسلم في الزكاة ٧/١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، والترمذي في العلم ٢٤٨٩، وابن ماجه في المقدمة ٢٠٣، وغيرهم، واللفظ لمسلم.

مجتابي النمار: أي لابسي النمار، والنمار: جمع نمر، وهي: العَباءة. فتمعَّر، بتشديد العين المفتوحة، أي: تغير. كومين: تثنية كوم، بالضم والفتح، وهو: الصبرة العظيمة. يتهلل، أي: يستنير كالهلال فرحًا وسرورًا. مذهبة، بضم الميم ثم ذال معجمة ساكنة ثم هاء مفتوحة: كأنه فضَّة مذهَّبة في حسن الوجه وإشراقه. وقيل غير ذلك.

والآية الكريمة تدلّ على وجوب محاسبة العبد نفسه ولينظر في هذه الحياة ماذا قدَّم من عمل لآخرته وماذا ادَّخر لنفسه من الأعمال الصالحة وأنواع القربات.

وجاء الحديث الشريف يتحدَّث على الصدقة ومواساة الفقراء والمحتاجين؛ لأنَّ الصدقة من أفضل ما يقدمه المسلم لآخرته.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «كل امرىء في ظل صدقته حتى يُقْضَى بين الناس».

رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم ١/ ٤١٦ وصحَّحه على شرط مسلم.

وقوله: مَن سَنَّ سنَّةً حسنةً... إلخ: فيه الحثّ على الابتداء بالخيرات وسنِّ السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات. قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، وأنَّ المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة.

انظر: كتاب الجمعة وكتاب الزكاة ٧/ ١٠٤.

(١٩) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

عن نعيم بن نمحة قال: كان من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: (أما تعلمون أنكم تَغْدون وتروحون لأجلٍ معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عزَّ وجلّ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلَّا بالله عزَّ وجلّ، إنَّ قومًا جعلوا لغيرهم، فنهاكم الله عزَّ وجلّ أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدِموا على ما قدَّموا في أيام سلفهم، وخلوا بالشقوة والسعادة، أين الجبَّارون الأوَّلون الذين بنوا المدائن وحصَّنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت

الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إنَّ الله عزَّ وجلّ أثنى على زكريا وأهل بيته عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جَهْلُه حِلمَه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم).

رواه الطبراني. قال ابن كثير بعد أن أورده بسنده في تفسيره: هذا إسناد جيِّد ورجاله كلهم ثقات، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات غير أنَّ أبا داود السجستاني قد حكم بأنَّ شيوخ جرير كلهم ثقات. وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه.

هذه خطبة هامَّة بليغة فيها وصايا ومواعظ رقيقة ولأجلها أوردتها وإن كانت ليست على شرطي. ومعنى الآية الكريمة: لا تكونوا يا معشر المؤمنين، كالذين تركوا ذكر الله عزَّ وجلّ ومراقبته وطاعته فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها بما يصلحها؛ لأنَّ الذنب يجرّ إلى الذنب، فإنهم لمَّا تركوا عبادة الله وامتثال أوامره عوقبوا على ذلك بأن أنساهم حظ أنفسهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم فإنهم كفرة فاسقون.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ
﴿٢٣﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ
﴿٢٤﴾ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ: «إنَّ للَّه تسعةَ

وتسعين اسمًا، مائةً إلاَّ واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

رواه البخاري ومسلم، وقد تقدَّم آخر سورة الأعراف، آية رقم ١٨٠، ورواه الترمذي في الدعوات ٣٢٧٧، ٣٢٧٨، بتهذيبي، وابن ماجه ٣٨٦١، وابن حبان ٢٣٨٤ بالموارد، والحاكم ١/١٦، ١٧ بذكر الأسماء مطوَّلاً. وسياقه عند الترمذي: «هو الله الذي لا إلـه إلاَّ هو، الرحمن، الرحيم، الملِك، القدُّوس، السلام، المؤمن، المُهَيْمِن، العزيز، الجبَّار، المتكبِّر، الخالق، البارىء، المصوِّر، الغفَّار، القهَّار، الوهَّاب، الرزَّاق، الفتَّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرَّافع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميع، البصير، الحَكَم، العدْل، اللَّطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المقِيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الودود، المَجيد، الباعث، الشَّهيد، الحقُّ، الوكيل، القويُّ، المَتين، الوليُّ، الحَميد، المُحصي، المُبدىء، المُعيد، المُحيـي، المُميت، الحيُّ، القيُّوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصَّمد، القادر، المُقْتَدِر، المقدِّم، المؤخِّر، الأوَّل، الآخر، الظَّاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البَرُّ، التوَّاب، المنتقم، العفوُّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المُقْسِط، الجامع، الغني، المُغني، المانع، الضَّارّ، النَّافع، النُّور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرَّشيد، الصَّبور». وسنده صحيح، والوليد بن مسلم وإن كان مدلِّسًا فقد صرَّح بالتحديث، ولذلك صحَّحه الحاكم ١/١٦، ١٧. غير أنَّ جمهور المحدِّثين قالوا: إنَّ ذكر الأسماء مدرج، والله تعالى أعلم.

في الآية الكريمة والحديث الشريف ذكر أسماء الله الحسنى وقد شرحها علماؤنا رحمهم الله تعالى كالإمام القشيري، والغزالي، والقرطبـي، والبيهقي في الأسماء والصفات، وهو أجمعها.

وعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم، ـ ثمَّ قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ـ ، وكَّل الله به سبعين ألف ملك يُصلُّون عليه حتى يُمْسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها

حين يمسي كان بتلك المنزلة».

رواه أحمد ٥/٢٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٩ بتهذيبي، والدارمي ٣٤٢٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٧٨، ورجاله ثقات، غير أنَّ خالد بن طهمان كان قد اختلط وهو في نفسه ثقة صدوق.

في الحديث مشروعية قراءة هذه الآيات من أواخر هذه السورة مع الاستعاذة ثلاث مرَّات صباحًا ومساءً وأنَّ قارىء ذلك إن مات من يومه أو ليلته كان شهيدًا، وهذا بالإضافة إلى توكُّل عشرات الألوف من ملائكة الله يستغفرون له نهاره وليله، وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى، فينبغي للمؤمن أن يحرص على هذا الخير ويهتم به، والحديث وإن كان ضعيفًا فإنَّ ضعفه ليس بشديد لا سيَّما وهو في فضائل الأعمال، وقد رخصوا في ذلك.

وهذه الآيات جاءت خاتمة سورة الحشر التي هي إحدى المسبّحات السبع التي فيها آية خيرٌ من ألف آية، وقد قيل إنها في هذه الآيات، وحق لهذه الآيات أن تتخذ وظيفة وورِدًا لما احتوت عليه من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى.

وبهذا تمَّت سورة الحشر، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثلاث عشرة آية، وأهدافها الرئيسية: النهي عن اتِّخاذ أعداء الله أولياء تلقى إليهم المودَّة... ثم امتحان النساء المهاجرات، ثم مبايعتهن على الشرائع.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر خليل الله إبراهيم عليه السلام وكونه أسوة لنا في براءته من الكفار ومعبوداتهم، آية ٤.

٢ ـ جواز البرور بمن لم يقاتلنا ولم يعادينا من الكفار، آية ٨.

٣ ـ ذكر امتحان النساء المهاجرات... وأن لا يُرجعن للكفار، آية ١٠.

٤ ـ ذكر مبايعة النبي ﷺ النساء على شرائع الدين أمرًا ونهيًا، آية ١٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ

خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظَعينة معها كتاب فخذوه منها»، فذهبنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أَخْرِجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجِنَّ الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصِها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممَّن بمكَّة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟»، قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إنِّي كنت امرءًا من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدًا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي ﷺ: «إنه قد صَدَقَكُم»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: دعني يا رسول الله، فأضرب عنقه، فقال: «إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٥٨، ٢٥٩، وفي الجهاد رقم ٣٠٠٧، وفي المغازي ٤٢٧٤، ومسلم في الفضائل ٢٤٩٤، وأبو داود في الجهاد ٢٦٥٠، والترمذي في التفسير ٣٠٨٨ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٧، وغيرهم.

الظعينة: تُطلق على المرأة في الهودج، ويقال أيضًا للهودج وحده أو للمرأة نفسها. وقوله: عقاصها، أي: ضفيرتها.

وفي الحديث فضل أهل بدر وأن الله تعالى غفر لهم ما قدَّموا وما

أخَّروا من كبار الذنوب وصغارها، وأنَّ من سبقت له العناية لا تضرّه الجناية، ومن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبدًا، وما فعله حاطب لو فعله غيره للزم قتله؛ لأنَّ ذلك يعتبر ردَّة كما هو مقرَّر في كتب الردَّة، ولذلك استأذن سيِّدنا عمر رسول الله ﷺ في قتله لأنه فهم من فعله هذا مخالفته للدِّين يوجب قتله؛ لأنَّ فيه مسيسًا بِسِرِّ النبي ﷺ، لكنه عليه السَّلام بيَّن له عدم موجب القتل بأنه من المغفور لهم. وفي الحديث جواز تفتيش المرأة ولو أدَّى إلى نزع ثيابها والاطِّلاع على عورتها إن كان لذلك موجب شرعي مقطوع به.

وفي الآية الكريمة النهي عن اتِّخاذ الكفَّار أولياء، والتحذير من إلقاء أسرار المسلمين إليهم.

(٨) قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قَدِمَتْ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قريشٍ إذْ عاهَدُوا، فأتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وهي راغبةٌ أفأَصِلُها؟ قال: «نَعَم، صِلِي أُمَّكِ».

رواه أحمد ٦/ ٣٤٤، ٣٤٧، والبخاري في الأدب ١٣/ ١٧، ومسلم في الزكاة ٧/ ٨٩، وغيرهم، وعند البخاري: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

في الآية والحديث مشروعية الإحسان إلى المشركين الموادعين للمسلمين والبرور بهم والعدل بينهم، وقيل ذلك خاص بالنساء والأطفال، وفيه البرور بالوالدين وإن كانوا مشركين، وإنه لا بأس بدخولهم لبيت المسلم. كما فيه جواز قَبول هداياهم المباحة لنا.

(١٠) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

تقدَّم في حديث المسور أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا عاهد كفَّار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات بعد أن رجع إلى المدينة، فأنزل الله عزَّ وجلّ هذه الآية. وكان في المعاهدة بين النبي ﷺ وبين قريش أنَّ من جاءهم من المؤمنين ردوهم إليهم. فجاءه نساء، فأنزل الله الآية واستثنى النساء ونهاهم أن يردوهن إلى الكفَّار لأنَّهن لم يكنَّ في العهد. وأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يمتحن كل امرأة جاءته مهاجرة أنها ما خرجت إلاَّ رغبة في الله وفي رسوله ﷺ.

(١٢) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾.

عن أُمَيْمَة بنت رقيقة رضي الله تعالى عنهما قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نساء نبايعه على الإسلام، فقلت: يا رسول الله، هلمّ نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال: «فيما استطعتنَّ وأطقتنَّ»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منَّا بأنفسنا، هلمّ نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي لا أصافح النِّساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة».

رواه أحمد ٦/ ٣٥٧، والترمذي في السِّيَر ١٤٦٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٨ واللفظ له، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٧٤ وسنده صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ كان يمتحن من يهاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾، قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا

الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتُك» كلامًا، لا والله ما مَسَّتْ يدُه يدَ امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلاَّ بقوله: «قد بايعتُك على ذلك».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٦١، ومسلم في الإمارة، باب بيعة النساء ١٣/ ١٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٨، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٧٥، وغيرهم.

وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا...﴾، ونهانا عن النِّياحة، فقبضت امرأة يدَها فقالت: أَسْعَدَتْنِي فُلانةٌ، أريد أن أَجْزِيَها، فما قال لها النبي ﷺ شيئًا فانطلقت ورجعت فبايعها. وفي رواية: فقلت: إلاَّ آل فلان، فإنَّهم قد كانوا أَسْعَدُوني في الجاهلية فلا بُدَّ لي من أن أُسْعِدَهم، قال: «إلاَّ آلَ فلان».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٦٢ وغيره، ومسلم في الجنائز ٩٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٨. ونحوه عن أم سلمة رواه الترمذي ٣٠٩٠، وفيه: ما هو المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه، قال: «لا تَنُحْنَ...» الحديث، وسنده عنده صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقُّهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «أنتُنَّ على ذلك؟»، فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله...

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٦٥، ومسلم في العيدين ٦/ ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

وعن عبادة بن الصَّامت رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا»، وقرأ آية النساء قال: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب

من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئًا من ذلك فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، فبايعناه على ذلك».

رواه البخاري في الإيمان ١/ ٧٠، ٧٤، وفي المناقب وفي المغازي وفي التفسير ١٠/ ٢٦٤ وفي غير ذلك، ومسلم في الحدود ١٧٠٩، والترمذي في الحدود أيضًا ١٣٠٩، والنسائي في البيعة وفي الإيمان من المجتبى رقم ٥٠٠٢، وفي الكبرى ٦/ ٤٨٨، وابن ماجه في الجهاد وفي الحدود.

في هذه الأحاديث بيان للمبايعة التي بايع فيها النبي ﷺ النساء، وهي التي نزلت فيها الآية، وبايعهن على ترك الشرك والسرقة والزنا وقتل الأولاد والإتيان بالبهتان، وهو اللقيط، وأن لا يعصوه في معروف. وعلى هذه الخصال بايع ﷺ الرجال؛ لأنَّ أصلها نزلت في النساء.

وفي حديث عائشة وأميمة دليل على أنَّ النبي ﷺ لم يبايع النساء بالمصافحة كما بايع الرجال وأنَّه لم تمسّ يده يد امرأة قط. وفيه رد على بعض من يقول بأنه صافحهن. . .

وفي حديث عبادة دليل على أن من أصاب شيئًا من الجنايات. . . فأقيم عليه حد ذلك كان كفَّارة له، ومن ستره الله فهو إلى الله يفعل به ما يشاء. وقال الشافعي رحمه الله: واجب لمن أصاب ذنبًا فستره الله عليه أن يستر على نفسه ويتوب فيما بينه وبين ربه. وكذلك روي عن أبي بكر وعمر أنهما أمرا رجلاً أن يستر على نفسه. . . ذكره الترمذي في الجامع.

وبهذا تمَّت سورة الممتحنة، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وكلَّما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الصَّفِّ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي أربع عشرة آية، وموضوعها ذكر الجهاد في سبيل الله والتضحية بالنفس في سبيل ذلك، ونصر دين الله عزَّ وجلّ، وبيان التجارة الرابحة . . .

من خصائص هذه السورة

١ ـ الإنكار على من يقول ولا يفعل وأنَّ ذلك يَمقت الله عليه تعالى، آيتان ٢، ٣.

٢ ـ ثبوت محبَّة الله عزَّ وجلّ لمن يقاتلون في سبيل الله مصطفين كالبنيان المرصوص، آية ٤ .

٣ ـ إنكار كليم الله موسى عليه السلام على بني إسرائيل في إذايتهم إياه، آية ٥ .

٤ ـ الإخبار ببشارة روح الله عيسى عليه السلام لقومه بنبيّنا وتسميته إيَّاه أحمد ﷺ، آية ٦ .

٥ ـ بيان التجارة الرابحة وهي الإيمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال والأنفس وأنَّ ذلك يوجب غفران الذنوب ودخول الجنان والنصر القريب، آيات ١٠ ـ ١٣ .

٦ ـ بيان انقسام بني إسرائيل في شأن عيسى عليه السلام قسمين: أنصار ومعارضين، آية ١٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [إلخ السورة].

عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: قعدنا نقرأ مع أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

رواه أحمد ٥/ ٤٥٢، والترمذي ٣٠٩١، والحاكم ٢/٢٢٨، ٢٢٩، ٤٨٧ وسنده صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطيهما ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في الإتحاف بعد أن عزاه لأبي يعلى: رواته ثقات. وكذا صحَّحه الحافظ. وهذا الحديث من المسلسلات الصحيحة التي قلّ نظيرها.

في الحديث ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من تمنِّي الخير والعمل بالأفضل، لكن الله تعال أنكر عليهم ما تمنّوه لتقصيرهم في القيام بما يجب القيام به.

(٣) قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

عن عبد الله بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي، فذهبتُ لِأَخْرُج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أُعْطِكَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردْتِ أن تُعْطِيه؟»، قالت: تمرًا، فقال: «أما إنكِ لو لم تفعلي كُتِبَتْ عليك كَذْبَةٌ».

رواه أحمد ٣/ ٤٤٧، وأبو داود في الأدب ٤٩٩١، والبيهقي في السنن

١٠/١٩٨، ١٩٩، ورجاله ثقات غير مولى عبد الله مجهول. لكن الحديث حسن لشواهده من أصحّها حديث أبي هريرة: «مَن قال لصبي تعال، هاك، ثم لم يعطه شيئًا فهي كذبة». رواه أحمد ٢/ ٤٥٢ بسند صحيح، وانقطاعه لا يضر هنا.

الحديث موافق للآية الكريمة، فإنَّ الوعد مع عدم الوفاء يعدّ كذبًا، وهو قول بلا عمل، وفي ذلك تعرض لمقت الله عزَّ وجلّ.

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾، أي: عظم فعلكم هذا بغضًا عند ربكم. قال ابن عبَّاس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أنَّ الله عزَّ وجلّ دلّنا على أحبّ الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيّه أنَّ أحبّ الأعمال: إيمان بالله لا شكَّ فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشقَّ عليهم أمره، فنزلت الآية.

أخرجه ابن جرير ٢٨/ ٨٣، ٨٤ عنه وعن مجاهد، واختاره فقال: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عَنَى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملنا به، ثم قصَّروا في العمل بعدما عرفوا، وهذا القول موافق لحديث عبد الله بن سلام الذي صدرنا به السورة، فلا يعدل عنه.

(٤) **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.**

عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: نجد مكتوبًا محمَّد رسول الله ﷺ لا فظ ولا غليظ ولا صخَّاب بالأسواق ولا يجزي بالسيِّئة السيِّئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمته الحمَّادون، ويكبِّرون الله عزَّ وجلّ على كل نجد، ويحمدونه في كل منزلة، ويأتزرون على أنصافهم، ويتوضَّؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دويّ كدويّ النحل، ومولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام.

رواه الدارمي في أوّل سننه رقم ٥ بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين ٧،٨ بنحوه، والثاني منهما سنده حسن.

كلام كعب هذا منقول من كتاب الله التوراة، وكعب ثقة صادق خلافًا لمن طعن فيه ظلمًا. وفيه صفات النبي ﷺ وصفات أمته التي منها أنهم يصفُّون في القتال كما يصفُّون في الصلاة، وهو موافق لمضمون الآية الكريمة وهي تدل على أنَّ الله عزَّ وجلّ يرضى من عباده اصطفاف المؤمنين أمام العدو عند القتال ملتصقين إلى بعضهم كأنهم البنيان الثابت قد رُصَّ بعضه ببعض وألصق وأحكم حتى صار شيئًا واحدًا فلا يفرون ولا يجبنون ولا يضعفون، وأنَّ صانعي ذلك محبوبون عنده تعالى.

٥ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قِسْمةً، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمَّد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتمَعَّر وجهُه وقال: «رحم الله موسى لقد أُوذِي أكثر من هذا فصَبَر».

رواه البخاري في مواضع في المغازي وفي الأدب ١٣/ ٨٦، ١٢٦، وفي الاستئذان، والحميدي ١١٠، وأحمد ١/ ٣٨٠، ٤٣٥، ٤٥٣، وغيرهم.

في الآية الكريمة لفت أنظار المؤمنين من هذه الأمة من أن ينالوا من النبي ﷺ نوعًا من أنواع الإذاية، وقد آذاه المنافقون فصبر وصفح عنهم، ولا أدلّ على ذلك من حديث الباب، فإن نسبته ﷺ إلى الظلم في القسمة من إذاياته بمكان، ولكنه ذكر أخاه موسى وما لاقى من قومه فاقتدى به في صبره، وإعراضه عن الجاهلين وضعفاء الإيمان.

(٦) **قوله تعالى:** ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنِّي عند الله خاتم النبيين وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوةُ أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى، ورؤيا أمِّي التي رأت، وكذلك أمَّهاتُ النبيِّين يَرَيْنَ، وأنَّ أمَّ رسول الله ﷺ رأت حين وَضَعَتْهُ نورًا أضاءت له قصورُ الشام».

رواه أحمد ٤/ ١٢٧، وابن جرير ٢٨/ ٨٧، وابن حبان ٦٤٠٤، والحاكم ٢/ ٦٠٠، والبخاري في التاريخ ٦/ ٦٨، والبيهقي في دلائل النبوَّة ١/ ٨٠، ٨٣، و٢/ ١٣٠، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع ٨/ ٢٢٣، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.

والحديث صحيح له شواهد عن أبي هريرة، وميسرة الفجر، وعن جماعة من الصحابة من طريق خالد بن معدان: أنَّ نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشَّام». رواه ابن إسحاق في السيرة ١/ ١٧٥، ومن طريقه الحاكم ٢/ ٢٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/ ٨٣، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي وجوَّده ابن كثير في البداية ٢/ ٢٧٥.

في الآية الكريمة بشارة روح الله عيسى عليه السلام لقومه بنبيِّنا ﷺ، وجاء الحديث مؤيِّدًا لذلك، وفي الآية إشارة إلى أنَّ اسم نبيِّنا ﷺ في الإنجيل أحمد.

وقد جاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم، وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ سمَّى لهم نفسه فقال: «أنا محمد وأنا أحمد. . .» إلخ.

وباقي مضامن الحديث ذكرته في حواشي تهذيب الخصائص والشفا.

(٩) قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

تقدَّم ما يتعلَّق بالآية في براءة بما أغنى عن إعادته هنا، وهذه هي الآية الثالثة في هذا الموضوع لفظًا ومعنى، فالأولى في براءة آية رقم ٣٣، والثانية في سورة الفتح رقم ٢٨، وهذه الثالثة.

(١٤) قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أراد الله عزَّ وجلّ أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً ورأسه يقطر ماء، فقال: أيكم يُلقَى شَبَهِي عليه فيُقْتَلُ مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًّا فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم، أنت، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام، ثم رفع عيسى من رَوْزَنَةٍ[1] كانت في البيت إلى السماء وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه ثمَّ صلبوه. فتفرَّقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان فينا الله عزَّ وجلّ ما شاء الله ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء هم اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء هم النسطورية. وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه، فهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمَّدًا ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ ﴾، يعني الطائفة التي كفرت في زمان عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمان عيسى، ﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ ﴾،

---

(١) رَوْزَنَة، هي على وزن رَوْنَقَة: هي خرق في سقف البيت.

بإظهار محمد ﷺ دينَهُمْ على دين الكفَّار ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ .

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٨٩، ٤٩٠، وابن جرير ٢٨/ ٩٢، ورجاله ثقات غير المنهال بن عمرو، وهو صدوق ربما وهم، لكنه أخرج له البخاري، فقد جاوز القنطرة كما قالوا، وعلى كلٍّ فأقل أحوال الحديث أن يكون حسنًا.

رفع سيِّدنا عيسى مقطوع به، وكذا نزوله آخر الزمان، وقد دنا وقته إن شاء الله تعالى، وكونه شُبِّه على اليهود الذين أرادوا قتله هو نص القرآن أيضًا، وهذا الأثر المذكور يرفع النزاع الذي طالما حصل بين المفسِّرين في الذي ألقي عليه الشبه، فهو ينصّ على أن الذي شُبِّه به وصُلِب هو أحد أصحابه من الحواريين.

وهذا الأثر يحتمل أن يكون من الإسرائيليات، ويحتمل أن يكون مرفوعًا بدليل قول ابن عباس، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ .

وفيه أنَّ أصول فرق النصارى هم ثلاثة، اليعقوبية: القائلون بأنَّ الله هو عيسى عليه السلام؛ والنسطورية: الذين يقولون أنَّ عيسى ابن الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، ثم تشعَّبت فرقهم؛ أما الفرقة الثالثة: فهم المؤمنون القائلون بأنَّه عبد الله ورسوله وليس بإلـه ولا بابن إلـه ولا بإلـه ثالث، فالله لا إلـه إلَّا هو لا صاحبةً له ولا ولد، ولا شبيه ولا نظير ولا شريك، ولم يحل في شيء من خلقه ولا اتَّحد معه. . .

وبهذا تمَّت سورة الصفّ، والحمد للّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلِّ اللّـهُمَّ وسلِّم وبارك على حبيبك المصطفى وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الجُمُعَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي إحدى عشرة آية، وأهمُّ ما ذُكِر فيها ذمُّ حاملي الكتاب المعرضين عن العمل بما فيه وتشبيههم بالحمار الذي يحمل الأسفار ولا يدري ما فيها، ثم الكلام على الجُمُعة والسعي إليها.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر تلك المعجزة العظمى القرآنية الغيبية وهي الإخبار بمجيء أقوام بعد الصدر الأول يؤمنون بهذا النبي العظيم إيمانًا غيبيًّا، آية ٣.

٢ ـ تشبيه اليهود الذين أُعطوا التوراة ولم يعملوا بمقتضاها بالحمار الذي يحمل أسفارًا من الكتب والعلم النافع ولا يناله منها إلاَّ التعب والعناء بثقل الحمل، وهذا المثل لا يختص باليهود، بل يجرّ ذيله على علمائنا وقرّائنا ممّن لا يلتزمون بشرع الله تعالى، آية ٥.

٣ ـ ذكر الجمعة والأمر بالسعي إلى حضور خطبتها وصلاتها وترك ما يشغل عنها، آية ٩.

٤ ـ إباحة التجارة والعمل بعد صلاة الجمعة وأنه لا مانع من الاشتغال يوم الجمعة، آية ١٠.

٥ ــ ذكر تلك الحادثة الخطيرة التي صدرت من الصحابة حيث كان النبي ﷺ يخطب يوم جمعة فجاءت عير من الشام فانصرفوا إليها وتركوه، آية ١١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٣ **قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنّا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قلت: من هم يا رسول الله، فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا ــ وفينا سلمان الفارسي ــ، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريّا لَنَالَهُ رجال أو رجل من هؤلاء»، وفي رواية: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان. . .» إلخ، وفي أخرى: «لو كان عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه».

رواه أحمد ٢/ ٤١٧، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢٦٧، ٢٦٨، ومسلم في الفضائل ٢٥٤٦، والترمذي في التفسير ٣٠٩٧، وفي الفضائل ٣٦٩٧، والنسائي في الكبرى ٥/ ٧٦، وابن حبان ١٦/ ٢٥٨.

أما الحديث الوارد: «لو كان العلم بالثريّا. . .» إلخ، فضعيف رواه ابن حبّان وغيره.

في الآية والحديث معجزة غيبية ظاهرة، حيث أخبر تعالى بقوم يأتون بعد الصحابة يؤمنون بالنبي ﷺ وقد عيّنهم الحديث الشريف وأنهم ناس من أبناء فارس ورجال العجم أو كل من صدّق النبي ﷺ من غير العرب الأُمّيّين.

وفي الحديث فضل مؤمني العجم وحِرْصُهم على الإيمان والعمل

بمقتضاه، والحديث صدَّقه الواقع، فإنَّ للعجم أياديَ في خدمة دين الإسلام وعلومه ويكفي أن يكون أكثر حفَّاظ الحديث وأصحاب الأمَّهات المشهورة من العجم. فالبخاري عجمي، ومسلم عجمي، وأبو داود عجمي، والترمذي عجمي، وابن ماجه عجمي، والنسائي عجمي. . . وغيرهم كثير، وهكذا شأنهم في التفسير والعلوم العربية واللغة والأدب والتصوُّف، فالعجم لهم شأن عظيم في خدمة الإسلام والتمسُّك به، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾، أي: لم يأتوا بعد أو لم يلحقوهم في الفضل والسابقة، و ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ـ كله ـ ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾. . .

﴿٥﴾ قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تكلَّم يوم الجُمُعة والإمام يخطُب فهو كمثلِ الحمار يحمِل أسفارًا، والذي يقول له: أنصِت ليست له جمعةٌ».

رواه أحمد ١/ ٢٣٠، وابن أبي شيبة ٥٣٠٥، ١/ ٤٥٨، والبزار ٦٤٤ مع الأستار، والطبراني في الكبير، وفي سنده مجالد بن سعيد مختلف فيه، وقد حسَّن له غير واحد. وقال البوصيري في الإتحاف: لكن المتن له شواهد كثيرة. وقال الحافظ: لا بأس بإسناده. وانظر: مجمع الزوائد ٢/ ١٨٤.

الآية الكريمة جاءت في صفة اليهود في عدم انتفاعهم بما في التوراة وهم يحملونها، فكان مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل أسفار الكتب العلمية ويتعب بسببها وهو لا يدري ما فيها، وهكذا جعل النبي ﷺ المتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب مثله في عدم انتفاعه بخطبة الجمعة وحضوره المسجد لصلاتها كالحمار. . . فلا جمعة له.

(٦) قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ
(٧) ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ولو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار».

رواه أحمد ١/٢٤٨، ٣٦٨، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح، وسنده صحيح، والحديث تقدَّم مطوَّلاً في سورة البقرة، آية ٩٥، وآل عمران، آية ٦١، ويأتي في سورة العلق إن شاء الله تعالى.

كان اليهود الملاعين يدَّعون أنَّ الدار الآخرة خاصة بهم دون سائر الأُمم الأُخرى فأكذبهم الله كما تقدَّم في سورة البقرة... وقالوا في جملة مزاعمهم إنهم أولياء لله من دون الناس، فأكذبهم الله تعالى هنا وطلب منهم أن يتمنَّوا الموت ويشتاقوا إليه ليصلوا إلى الجنة، فأخبر تعالى عنهم بأنهم لا يتمنونه وذلك لعلمهم بما كسبت أيديهم من الجرائم.

(٩) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟
(١٠) إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ
فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾.

عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء.

رواه البخاري ٣/٤٤، وأبو داود ١٠٨٧، ١٠٨٨، والترمذي ٤٦٤ بتهذيبي، والنسائي ٣/ ٨١، ٨٢، وابن ماجه ١١٣٥، وغيرهم، كلهم في الجمعة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا كان

يوم الجُمُعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأوَّل فالأوَّل، فإذا خرج الإمام طُوِيتْ الصُّحُفُ واستمعوا الخطبة. والمُهَجِّر إلى الصلاة كالمُهْدِي بَدَنة، ثم الذي يليه كالمُهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي كَبْشًا حتى ذكر الدَّجاجة والبَيْضة، وفي رواية: وكرجل قدم طائرًا أو عُصْفورًا».

رواه البخاري ٣/ ١٧، ١٨، ومسلم ٦/ ١٤٥، والنسائي ٣/ ٧٩، ٨٠، وأبو داود والترمذي ٤٤٨، والرواية الثانية رواها أحمد ٢/ ٢٧٢، والنسائي ٣/ ٨٠ بسند صحيح.

قوله في حديث السائب: زاد النداء الثالث يعني باعتبار الإقامة وإلاَّ فعثمان رضي الله تعالى عنه إنما زاد أذانًا واحدًا قبل الزوال ليأتي الناس المسجد.

والكلام على الجُمُعة طويل، ولا شكَّ أنَّ حضور صلاتها من فروض الأعيان على كل ذكر بالغ عاقل، ولحضورها فضل عظيم وخاصة المبكر إليها، ويومها سيِّد أيَّام الأسبوع، وفي هذا اليوم خلق آدم عليه السلام، وفيه تاب الله عليه، وفيه أنزل من الجنَّة، وفيه تكون نفخة الصعقة، وفيه تقوم الساعة كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة.

ويؤخذ من الآية الكريمة أنَّ السعي إلى الجمعة لا يجب إلاَّ عند سماع النداء، لأنَّه تعالى رتَّب الأمر بالسَّعي على النداء، وفي الآية وجوب ترك البيع بعد النداء، وكذا غيره من الأعمال والأشغال بالإجماع حتى قال العلماء: إنَّ كل عقد وقع بعد نداء الجمعة كان باطلاً لا يصحّ.

(١١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١) ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة،

فمرَّت عِيرٌ تحمل الطعام، فخرج النَّاس إلاَّ اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية. وفي رواية: بينما النبـي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائمًا إذ قدمت عير المدينة، فابتدرها أصحاب النبـي ﷺ حتى لم يبق منهم إلاَّ اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر.

رواه البخاري في الجُمُعة ٩٣٦، وفي البيوع وفي التفسير ١٠/٢٦٨، ومسلم في الجمعة ٨٦٣، والترمذي في التفسير ٣٠٩٣، والنسائي في الجمعة وفي الكبرى في التفسير ٦/٤٠٩ وغيرهم.

العِير، بكسر العين: هي الإبل التي تحمل التجارة والميرة. واللهو في الآية هو الضرب في الطبل الذي كانوا يضربون فيه عند قدوم تجارة إعلامًا للناس بذلك.

وهذه الحادثة كانت خطيرة على من انفضَّ عن النبـي ﷺ وهو يخطب لولا أنَّ الله عزَّ وجلّ عفا عنهم وغفر لهم لكونهم لم يكونوا يعلمون أنَّ ذلك محرم، وقد جاء في رواية عند البيهقي: «لو انفضتم جميعًا لسال بكم الوادي نارًا». ولعلَّ أولئك الأصحاب الذين انفضّوا ظنّوا أنَّ استماع الخطبة ليس بواجب، لا سيَّما وأنهم كانوا قد صلّوا الجمعة لأنها كانت تصلَّى قبل الخطبة كالعيدين، وبعد هذه الحادثة قدمت الخطبة على الصلاة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: كانت للنبـي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر النَّاس. . .

رواه مسلم في الجمعة ٦/١٤٩، ١٥٣، وروى نحوه البخاري ٣/٥٢، ومسلم أيضًا ٦/١٤٩، وأبو داود ١٠٩٢، والترمذي ٤٥٤، وباقي الجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

في الحديثين أنَّ خطبة الجمعة كانت من قيام لا من جلوس، ولقوله

تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، وهو إجماع لا خلاف فيه، وأوّل من خطب قاعدًا معاوية بن أبـي سفيان أيام إمارته.

وعن ابن عباس وأبـي هريرة رضي الله تعالى عنهم أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

رواه مسلم ٦/١٦٦، وأبو داود ١١٢٤، والترمذي ٤٦٧، وابن ماجه ١١١٨.

فيه مشروعية قراءة هاتين السورتين في صلاة الجمعة.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الجُمُعة، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ المُنَافِقُونَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة كسابقتها إحدى عشرة آية، وهي تُعنى بذكر المنافقين وصفاتهم وفضحهم والكشف عن كذبهم وبيان مقالاتهم حول الرسول ﷺ والمؤمنين وكلامهم السفيه، ولذلك سُمِّيَت السورة باسمهم إخلادًا لذكرهم السيِّء الهابط.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص أكثرها تحوم حول المنافقين، وهي:

١ ــ اتِّخاذهم أَيْمانهم ظاهرًا جُنَّة ووقاية وحقنًا لدمائهم، آية ٢.

٢ ــ من صفاتهم أنهم إذا رُؤوا أُعجب الناس بهيئاتهم لحسنهم وفخامتهم، وإن تكلَّموا استمعوا لكلامهم لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، آية ٤.

٣ ــ أنَّهم هم الأعداء الكاملون لله ولرسوله وللمؤمنين، آية ٤.

٤ ــ كانوا إذا قيل لهم هلمّوا إلى الرسول ليستغفر لكم لووا رؤوسهم ساخرين متكبِّرين. . . فلن يغفر الله لهم أبدًا، آية ٥.

٥ ــ ذكر مقالة ذلك الخاسر عدوّ الله ابن أُبيّ ابنِ سلول، في رسول الله ﷺ: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا»، و «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ»، آيتان ٧، ٨.

٦ ــ النهي عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله من صلاة وتحميد وتسبيح وتهليل وتكبير. . . وأنَّ من فعل ذلك كان من الخاسرين في الآخرة، آية ٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
(٢) لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ
(٣) اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
(٤) يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ
(٥) مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾
(٦) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
(٧) الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ
(٨) يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن
رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أُبـيٍّ ابن سلول يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾، و ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، فذكرت ذلك لعمِّي فذكر ذلك عمِّي للنبـي ﷺ، فدعاني النبـي ﷺ فحدَّثته،

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَـيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني شيء لم يصبني شيء قط مثله، فجلست في البيت فقال لي عمِّي: ما أردت إلاَّ أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدَّقك».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٦٩، ٢٧٣ من طرق، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ١٧/ ١٢٠، والترمذي في التفسير ٣٠٩٤، ٣٠٩٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩١، ٤٩٢، ورواه الترمذي ٣٠٩٥، والحاكم ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩، بسياق آخر مطوَّلاً وحسَّنه وصحَّحه، وكذا الحاكم والذهبي.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكَسَع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجري: يا لَلْمهاجرين، وقال الأنصاري: يا لَلأنصار، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أُبَـيٍّ ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يَتَحَدَّث الناس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه». وفي رواية: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقرّ أنَّك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٧٤، ٢٧٥، ومسلم في البرّ والصِّلة رقم ٢٥٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٩٧ بتهذيبي.

قوله: فكسع، أي: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. وقوله: دعوها، أي: دعوى الجاهلية، وهي الاستغاثة لأجل الانتصار.

وهي قولهم هنا: يـا للمهاجرين. . يـا للأنصار. وقوله: منتنة، أي: هذه الكلمة قذرة خبيثة.

وفي الحديثين بيان لسبب نزول السورة. وفيها بيان فضائح المنافقين وما كانوا عليه من الكذب والمكر والكيد للمسلمين قاتلهم الله وأخزاهم.

وبهذا تمَّت هذه السورة، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّغَابُنِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة الكريمة آياتها ثمان عشرة، وهي وإن كانت مدنية فطابعها طبع السور المكية في الكلام على العقيدة وآثار القدرة في هذا الكون والإنسان، ولفت الأنظار إلى الأمم السابقة وما حلَّ بها من النقمة والإبادة عندما طغوا وكفروا.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر الأمر الإلـهي لنبيّه ﷺ بالقَسَم للكفار تأكيدًا لهم على وقوع البعث والجزاء الذي طالما أنكروه وجادلوا فيه، وهذا هو القسم الثالث في الموضوع. . . ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ آية ٧.
وتقدَّم الأول في يونس، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾،
والثاني في سورة سبأ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، آية ٣.

٢ ــ لا يصاب الإنسان بأيّ مصيبة إلاَّ بإذن من الله عزَّ وجلّ، آية ١١.

٣ ــ قد يكون للإنسان أعداء من الأولاد والأزواج فليحذرهم، آية ١٤.

٤ ــ إن تقوى الله عزَّ وجلّ المأمور بها في عدَّة آيات هي مقيَّدة هنا بالاستطاعة والطاقة والوسع، آية ١٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٨ قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحَرَّة الوَبَرَةِ أدركَهُ رجلٌ قد كان يُذكَر منه جرأةٌ فقال: أتَّبعك لأُصِيب معك، فقال رسول الله ﷺ: «تؤمنُ بالله ورسولِه؟»، قال: لا، قال: «فإنَّا لا نستعينُ بِمُشرك»، قال: فقال له في المرَّة الثانية: «تؤمنُ بالله ورسولِه؟»، قال: نعم، فانطلق فتبعه.

رواه أحمد ٦/ ٦٧، ٦٨، ١٤٩، ومسلم ١٨١٧، وأبو داود ٢٧٣٢، والترمذي في السِّيَر ١٤٢٦، وابن ماجه ٢٨٣٢، كلهم في الجهاد، والدارمي ٢٤٩٩، ٢٥٠٠، وابن الجارود ١٠٤٨.

الإيمان بالله وبرسوله ﷺ شرط صحة في كل طاعة، ومنها: الجهاد، ومعاونة المسلمين. ولذلك ردَّ رسول الله ﷺ هذا الرجل حالة كفره، فلم يقبله للاستعانة به حتى أشهر إسلامه وآمن بالله ورسوله ﷺ. وقد اتفق العلماء رحمهم الله على تحريم الاستعانة بالمشرك على المسلم، وأجازها البعض إن كانت بالمشرك على المشرك ومنعها آخرون، وهو ظاهر هذا الحديث.

ويؤيِّد هذا حديث خبيب بن يساف بلفظ: «لا نستعين بالمشركين على المشركين».

رواه أحمد ٣/ ٤٥٤، والحاكم ٢/ ١٢١، ١٢٢، وصحَّحه.

وهناك ما يدلّ على الرخصة في الاستعانة بالكفَّار على الكفَّار لأجل الحاجة والضرورة كما هو مذكور في محلّه.

وانظر: جواهر البحار لكاتبه، رقم ٥٣٦.

(١٤) قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ . . . ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾، قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدِّين همّوا يعاقبوهم، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ . . . ﴾ إلخ.

رواه الترمذي ٣٠٩٩، وابن جرير ٢٨/ ١٢٤، ١٢٥، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٥٨، والحاكم ٢/ ٤٩٠، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

الأزواج والأولاد كثيرًا ما يكونون سببًا في خسارة الإنسان وشقاوته عياذًا بالله تعالى، إذا هو أطاعهم فيما يهوون، فإنهم بالطبع لا يحبون منه الجهاد في سبيل الله ولا يرضون منه أن يتصدَّق ويواسي المحتاجين ولا يتركونه يخرج للدعوة إلى الله عزَّ وجلّ أو الهجرة إلى بلد يقيم فيها دينه، وبذلك يكونون له أعداء، وقد يعادونه لأسباب تافهة دنيوية محضة، فيجب عليه أن يكون على حذر كبير منهم. ألهمنا الله وإيَّاهم رشدنا، وحفظنا وإيَّاهم من شرور أنفسنا.

(١٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاءه الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران يمشيان ويَعْثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صَدَق

اللَّـهُ ورَسُولُه ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾، نظرتُ إلى هذين الصَّبِيَّيْن يمشيان ويعثُران فلم أصبر حتى قطعت حديثي فرفعتهما».

رواه أحمد ٥/ ٣٥٤، وأبو داود ١١٠٩، والترمذي في المناقب ٣٥٤٦، والنسائي في الجمعة ٣/ ١٠٨، وفي الكبرى ١/ ٥٣٥، ٥٥١، وابن ماجه ٣٦٠٠، وابن خزيمة ١٠٨٢، وابن حبان ٢٢٣٠ بالموارد، والحاكم ١/ ٢٨٧، وهو حسن صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الآية والحديث يدلاَّن على أن ما ابتلي به الإنسان في هذه الحياة من الفتنة العظيمة والمحنة الشديدة فبالأموال والأولاد.

١٦ قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فَأْتُوا مِنْهُ ما استطعتم».

رواه البخاري ومسلم، وانظر ما تقدَّم آية ٧ من سورة الحشر، فهنالك تخريجه...

الآية الكريمة والحديث الشريف مقيِّدان لإطلاقات القرآن والسُّنَّة في الأمر بالتَّقوى بالاستطاعة، وما في طوق الإنسان.

والحمد للَّـه على رحمته ولطفه بنا وإحسانه إلينا.

وبهذا تمَّت سورة التغابن، والحمد للَّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الطَّلَاقِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي اثنتا عشرة آية، وأهدافها بيان أحكام الزوجين من الطلاق والرجعة والعدَّة والنفقة.

من خصائص هذه السورة

للسورة خصائص تسع كلّها تتعلّق بالأُسرة، إلاَّ ثنتين، وهذه الخصائص هي:

١ ـ الأمر الإلٰهي للمؤمنين بالطلاق السنِّي، وهو في أول طهر المرأة لم يتقدَّم فيه مسيس وجماع لها، آيتان ١، ٢.

٢ ـ النهي عن إخراج المطلقة من بيتها ما دامت في العدَّة، آية ١.

٣ ـ الأمر بإشهاد ذوي عدل عند الطلاق وعند الإرجاع، آية ٢.

٤ ـ بشارة المتَّقين بالتفريج عنهم عند كل ضيق وحصولهم على الرزق من حيث لا يحتسبون، آيتان ٢، ٣.

٥ ـ بيان عدَّة اليائسة من الحيض والصغيرة التي لم تحض بعد أو الكبيرة التي لم يتقدَّم لها حيض في حياتها، آية ٤.

٦ ـ عدَّة الحامل مطلقًا سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها، آية ٤ .

٧ ـ وجوب النفقة والسكن للمطلقة والحامل والمرضعة، آية ٦ .

٨ ـ إنفاق الزوج يكون حسب وضعيته من سعة وضيق، آية ٧ .

٩ ـ بيان أنَّ الأرضين سبع مثل السموات، ولا ندري أين هذه السبع، هل هي طباق تحت هذه الأرض، أم هي على هذه الكرة التي نعيش عليها؟ . قد قيل بكل ذلك، آية ١٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ .

عن سالم، أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم أخبره أنه طلَّق امرأة له وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ رسول الله ﷺ ثم قال: «لِيُرَاجِعْها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسَّها، فتلك العِدَّة التي أمر الله عزَّ وجلّ أن يُطَلَّق لها النساءُ». وفي رواية: قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ ـ في قُبُل عدتهن ـ ﴾ »، وفي رواية: «مره فليراجعها ثم ليطلِّقها طاهرًا أو حاملاً».

رواه أحمد ٢/ ٢٦، ٤٣، ٥٤، والبخاري ١١/ ٢٦١، ٢٦٦، ومسلم ١٠/ ٥٩، ٦٩، وأبو داود ٢١٨٥، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٦/ ٤٩٣، وابن ماجه ٢٠١٩، وغيرهم بألفاظ مطوَّلاً ومختصرًا.

قوله: قبل عدتهن، بضم القاف والباء، أي: مستقبلات عدَّتهن، وهذه القراءة من القراءات الشاذة بالاتفاق، وهي محمولة على التفسير كما قال النووي وأبو حيان وغيرهما، وهي تؤدي معنى الحديث والآية، وهو أن يكون الطلاق في طهر لم تمس المرأة فيه بجماع، فقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ

﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾، أي: في طهر من غير جماع، فقبل عدَّتهن، أي: إقبال طهرهن وأوله وابتداؤه.

٢ ٣ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

عن أبـي ذر رضي الله تعالى عنه قال: جعل النبـي ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ثـم قـال: «يا أبا ذر، لو أن الناس كلَّهم أخذوا بها لكفتْهم»[1].

رواه أحمد ٥/ ١٧٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٤، وابن ماجه ٤٢٢٠، وابن حبان ١٥/ ٥٣ بالإحسان وسنده صحيح لولا انقطاعه، لكن له طريق آخر رواه أحمد ٥/ ١٤٤، و ٦/ ٤٥٧ مطوّلاً، وشهر بن حوشب تكلم فيه بلا حجة كما قال النووي وغيره، فالحديث قويّ بطريقيه.

وعن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

رواه أحمد ١/ ٢٤٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ١١٨، وابن السني في عمل اليوم ٣٥٨، والطبراني في الصغير ٢/ ٧٧، والحاكم ٤/ ٢٦٢، ورجاله ثقات إلاَّ الحكم بن مصعب فجهله البعض وذكره البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحًا، وبناءً على هذا صحَّحه الحاكم وأحمد شاكر في شرح المسند رقم ٢٢٣٤.

الحديثان يفسِّران الآية الكريمة وأنها كافية لمن تحقق بها وعمل بمقتضاها فاتَّقى الله عزَّ وجلّ وتوكَّل عليه. فمن كان كذلك كفاه الله ما أهمه

---

(١) وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إنَّ أكبر آية في كتاب الله تفويضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. رواه الطبراني بأسانيد، أحدها رجالها رجال الصحيح إلاَّ عاصم بن بهدلة، وهو حسن الحديث. وانظر: المجمع ٧/ ١٢٥.

وجعل له من كل كرب وغم وهَمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا منه، وآتاه برزقه من حيث لا يدري ولا يخطر بباله.

والاستغفار هو من كمال التقوى، فالإكثار منه فيه خير كبير، ففي الحديثين دليل واضح على أنَّ تقوى الله وكثرة الاستغفار من أسباب تيسير الأمور والخروج من المضايق وتفريج الكروب وحصول الرزق من حيث لا يدري الإنسان، فيكون هذا من الأسباب الروحية، وقد قدمنا ص ٨٢٥ بعض ما يتعلَّق بهذا الموضوع، فليراجع، فإنه مهم.

٤ **قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾.**

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ سورة النساء ـ يعني الطلاق ـ القصرى نزلت بعد البقرة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾.

رواه أبو داود ٢٣٠٧، والنسائي في الطلاق في المجتبى وفي التفسير من الكبرى ٦/ ٤٩٤، وابن ماجه ٢٠٣٠، والبيهقي ٧/ ٤٣٠، وسنده صحيح.

وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن رحمه الله تعالى أنه قال: قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة، أيصلح لها أن تتزوَّج، قال: لا، إلاَّ آخر الأجلين، قال: قلت: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، قال: إنما ذلك في الطلاق، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فأرسل غلامه كُريبًا فقال: ائت أم سلمة رضي الله تعالى عنها فسلها هل كان هذا سنَّة من رسول الله ﷺ، فجاءه فقال: قالت: نعم، سُبَيْعَة الأسلمية وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة فأمرها رسول الله ﷺ أن تزوج، وكان أبو السنابل فيمن خطبها.

رواه البخاري رقم ٤٩٠٩، ٥٣١٨، ومسلم ١٤٨٥، والترمذي ١٠٧٦،

والنسائي؛ كلهم في الصلاة، ورواه النسائي أيضًا في الكبرى ٦/ ٤٩٤ .

وعن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه، أنَّ سُبَيْعة الأسلمية نُفِست بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت.

رواه البخاري في الطلاق ٥٣٢٠، وفي الباب غير ما ذكرنا.

سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق، لأنَّها ذكرت أحكام النساء، ومراد ابن مسعود أنَّها جاءت بعد سورة البقرة التي فيها عدَّة الوفاة أربعة أشهر وعشر، وعدَّة الطلاق ثلاثة قروء، فجاءت هذه السورة تخبر بأنَّ عدَّة الحامل هي وضعها ونفاسها، فتكون مخصصة لما في البقرة، فالحامل عدَّتها نفاسها سواء كانت مطلَّقة أو متوفى عنها زوجها، فإذا وضعت ولو من يومها خرجت من العدَّة وحلَّ لها أن تتزوَّج. ويزيد هذا وضوحًا حديث سُبَيْعة الأسلمية رضي الله تعالى عنها التي أمرها النبي ﷺ أن تتزوَّج فور وضعها بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة، وخفي هذا الحكم على ابن عباس وأفتى بما في البقرة حتى علم بقصَّة سُبَيْعَة فرجع.

(١٢) قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى، أنه كان بينه وبين أُناس خُصومةٌ فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت له: يا أبا سلمة، اجتنب الأرض فإنَّ النبي ﷺ قال: «مَن ظَلَم قِيدَ شِبرٍ مِنَ الأرضِ طُوِّقَهُ مِن سبعِ أَرَضِين...».

رواه أحمد ٦/ ٦٤، ٧٩، ٢٥٢، ٢٥٩، والبخاري في المظالم ٦/ ٣٠، وفي بدء الخلق ٧/ ١٠٣، ومسلم في البيوع في تحريم الظلم ١١/ ٥٠.

وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، أنَّ أروى خاصمته في بعض

داره، فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شِبرًا من الأرض بغير حقِّه طُوِّقَه في سبع أرضين يوم القيامة». اللَّـهُمَّ إن كانت كاذبة فاعمِ بصرها واجعل قبرها في دارها، قال: فرأيتها عمياء تلتمس الجُدُر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرَّت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها.

رواه البخاري ٦/٢٨، ومسلم ١١/٤٨، ٤٩، كلاهما في المظالم، واللفظ لمسلم، ورواه البخاري أيضًا في بدء الخلق ٧/ ١٠٤.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبـي ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقّه خُسِف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

رواه أحمد ٢/٩٩، والبخاري في المظالم ٦/ ٣٠، وفي بدء الخلق ٧/ ١٠٣، وغيره. وفي الباب عن أبـي هريرة عند أحمد ٢/ ٣٨٧، ومسلم ١٦١١ في المساقاة، وعن يعلى بن مرَّة عند أحمد ٤/ ١٧٣، وابن حبان وغيرهما بسند صحيح، ولفظ هذا: «من أخذ أرضًا بغير حقّها كُلِّفَ أن يَحمل تُرابها إلى المَحْشَر».

قوله: قيد شبر، بكسر القاف، أي: قدر، يقال: قيد وقاد، وقيس وقاس، بمعنى واحد. وقوله: طُوِّقه، بضم الطاء وكسر الواو المشددة مبني للمجهول، أي: جعل ذلك في عنقه كالطوق كما قال تعالى في مانعي الزكاة: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وقيل: يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقة ذلك. ويؤيِّد هذا الرواية الأخيرة ليعلى بن مرَّة، فإنَّ فيه: «كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»، والله أعلم.

والآية الكريمة صريحة كالأحاديث في أنَّ الأرضين سبعٌ كالسموات، وجاء صريح القرآن بأنَّ السموات طباقًا، وهكذا جاء في السُّنَّة الصحيحة في أحاديث الإسراء والمعراج، وأنَّ النبـي ﷺ قطع السموات السبع ووجد في كل سماء نبيًّا من الأنبياء، وهكذا جاء في حديث أبـي هريرة الذي رواه

الترمذي وغيره في أنها طبقات وأنَّ ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام. . . وكذا حديث الأوعال الآتي في الحاقة، كلها دالة على ذلك، يبقى الأمر في الأرضين، فصريح القرآن أنَّها مثل السموات طباق بعضها فوق بعض، وبهذا قال علماء الإسلام خلافًا لمن قال أنها أقاليم سبع، فإنَّ ذلك يخالف صريح القرآن والأحاديث التي ذكرناها.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم تحت حديث سعيد بن زيد: قال العلماء: هذا تصريح بأنَّ الأرضين سبع طبقات، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وأما تأويل المماثلة على الهيئة والشكل فخلاف الظاهر، وكذا قول من قال: المراد بالحديث سبع أرضين من سبع أقاليم؛ لأنَّ الأرضين سبع طباق، وهذا تأويل باطل أبطله العلماء بأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من هذه الأقاليم شيئًا من إقليم آخر بخلاف طباق الأرض فإنَّها تابعة لهذا الشبر في الملك، فمن ملك شيئًا من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق» ١١/ ٤٨. وذكر الحافظ نحوه مختصرًا في بدء الخلق ٧/ ١٠٢ فقال: ونقل عن بعض المتكلّفين أنَّ المثلية في العدد خاصة، وأنَّ السبع متجاورة ـ يعني أقاليم ـ قال: وحكى ابن التِّينِ عن بعضهم أنَّ الأرض واحدة، قال: وهو مردود بالقرآن والسُّنَّة. قال الحافظ: لعلَّه القول بالتجاور وإلاَّ فيصير صريحًا في المخالفة، قال: ويدل للقول الظاهر ما رواه ابن جرير ٢٨/ ١٥٣، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية «ومن الأرض مثلهن»، قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق»، هكذا أخرجه مختصرًا وإسناده صحيح[1].

(١) وكذا أخرجه الحاكم كالآتي في التفسير من المستدرك ٢/ ٤٩٣، وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي.

قال: وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٣، والبيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبي الضحى مطوَّلاً: «سبع أرضين، في كل أرض نبـي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى». قال البيهقي: وإسناده صحيح إلاَّ أنه شاذ بمرَّة، بل هو منكر وإن صح سنده.

قلت: وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي.

وعلى كلٍّ فالأرضون سبع كالسموات ولا فارق، غير أنَّ الظاهر أنَّ الأرضين مرتوقات متلاصقات لما اكتشف الآن من أنَّ هذه الأرض التي نعيش عليها هي كوكب في الفضاء كجملة الكواكب، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه وكونه.

وبهذا تمَّت سورة الطلاق، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّحْرِيمِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور العشر المدنيات المتواليات، وهي اثنتا عشرة آية، وهدفها البارز هو الكلام على بيت النبي ﷺ وزوجاته الطاهرات وما صدر منهن حوله ﷺ من التنافس والغَيْرة.

من خصائص هذه السورة

١ ـ تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه أو بعض سراريه طلبًا لرضاء بعض أزواجه، فعاتبه الله عزَّ وجلّ على ذلك بلطف ورفق، آية ١.

٢ ـ حكم من فعل مثل ذلك أن يكفِّر كفارة اليمين، آية ٢.

٣ ـ ذكر إفشاء بعض نسائه ما أسرَّه إليها وإطلاع الله إياه على ذلك، آية ٣.

٤ ـ حملة شديدة عنيفة من الله جلَّ عُلاه على أمَّهات المؤمنين لما صدر منهن من التنافس والغيرة ضدّ النبي ﷺ، وما توعَّدهن به بإبداله تعالى لرسوله نساء خيرًا منهن. . . كل ذلك جاء انتصارًا له ﷺ، آيتان ٤، ٥.

٥ ــ الأمر الإلهي للمؤمنين بحفظهم أنفسهم وأهليهم من النار التي وقودها الناس والحجارة، آية ٦.

٦ ــ بيان أنَّ خَزَنَة جهنَّم ليست فيهم رحمة وإنما هم غلاظ شداد، آية ٦.

٧ ــ الأمر بالتوبة النصوح، وهي الندم على الذنب والإقلاع عنه ونيَّة عدم الرجوع إليه، آية ٨.

٨ ــ ضرب مثلين رائعين، أحدهما للكافرين، والثاني للمؤمنين.

فالأول: ضُرب بامرأتي نوح ولوط حيث كانتا تحت عصمة رجلين من أفضل الخلائق فلم ينفعهما ذلك يوم القيامة لكفرهما، آية ١٠.

أما الثاني: فضُرب بامرأتين كانتا تمثلان أفضل النساء في زمانهما، ألَا وهما: آسية بنت مزاحم التي كانت تحت فرعون الطاغية، ومريم البتول التي أحصنت فرجها وعاشت مع بني إسرائيل الذين تنكَّروا لها ورموها بالعظائم فلم يضرّها ذلك بل أصبحت كسابقتها مضرب الأمثال في العفَّة والفضيلة النسوية، آيتان ١١، ١٢.

٩ ــ ذكر امرأة فرعون ولم يتقدَّم لها ذكر في غير هذه السورة، آية ١١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١) ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة ــ رضي الله تعالى عنهما ــ حتى حرَّمها، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ الآيات.

رواه النسائي في عشرة النساء من الصغرى والكبرى، وأخرجه في التفسير من الكبرى ٦/٤٩٥، والحاكم ٢/٤٩٣، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصحَّحه الحافظ في الفتح. وله شاهد عن ابن عمر رواه الهيثم بن كليب في مسنده، قال ابن كثير في التفسير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستَّة.

(١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
(٢) رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ
(٣) إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا
(٤) نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ
قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ، أنَّ النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ وحفصة أيتنا ما دخل النبي ﷺ عليها فلتقل: إني أجد منك ريح مَغَافِيرَ، فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «بل شربتُ عسلاً عند زينب»، وقال لي: «لن أعود له»، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾، ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ ﴾، ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ ﴾؛ لقوله: «بل شربت عسلاً»، وفي رواية: «فلن أعود له وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدًا».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٨٢، وفي الطلاق ١١/ ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، وفي الأيمان والنذور في ٦٦٩١، ومسلم في الطلاق ١٠/ ٧٣، وأبو داود ٣٧١٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٥، وفي عشرة النساء، وفي النذور من المجتبى.

(٢) قوله تعالى: ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، وقال: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾.

وفي رواية قال: في الحرام يُكَفِّرُ، ثم قرأ الآية. وفي رواية ثالثة قال: إذا حرم امرأته ليس بشيء.

رواه مسلم ٢٠/ ٧٢، ٧٣، في الطلاق بالرواية الأولى، وورواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٨٢، بالرواية الثانية وفي الطلاق ١١/ ٢٩١ بالرواية الثالثة.

مراد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن من حرم زوجته على نفسه عليه أن يكفِّر كفَّارة اليمين، ولا يلزمه طلاق، واستدلَّ بالآية، إشارة منه إلى أنَّ النبي ﷺ حرَّم مارية عليه، وهو قول للعلماء، وجاء به حديث أنس الذي صدرنا به أوَّل السورة، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس في آخرين. لكن الصحيح أنَّ النبي ﷺ إنما حرم شرب العسل وقال: «لن أعود وقد حَلَفْتُ»، فجاءت الآية الكريمة تبيِّن أنه تعالى قد شرع للمؤمنين ما يتحللون به من أيمانهم وذلك بالكفَّارة، والله تعالى أعلم.

يبقى الكلام في حكم من حرَّم زوجته، فذهب ابن عباس كما رأينا أنَّ عليه الكفارة، وقال بذلك جماعة من أهل العلم، وقال آخرون: تحرم عليه البتة حتى تنكح زوجًا غيره، وهذا مذهب مالك وآخرين، وقال البعض: لا شيء في ذلك، وبه قال ابن حزم في جماعة، والله تعالى أعلم.

وانظر: شرح النووي لمسلم ١١/ ٧٣، ٧٤، فقد ذكر المذاهب في ذلك مفصَّلة.

(٤) قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه سأل عمر رضي الله تعالى عنه عن اللّتين تظاهرتا على النبي ﷺ، فقال: عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٨٣، ومسلم في الطلاق ١٠/ ٨٥، والترمذي في

التفسير ٣١٠٠، كلهم رووه مطوّلاً، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٥، مختصرًا كما ذكرناه.

اختلفت الأحاديث في سبب نزول هذه الآيات وماذا حرم رسول الله ﷺ عليه؟ هل الأمة أم العسل؟ وعلى الثاني: من الساقية؟ هل زينب أم حفصة؟ ومن المتظاهرتان عليه ﷺ؟ هل عائشة وحفصة، أم عائشة وسودة وصفية.. والأحاديث بذلك كلها صحيحة. والصحيح أنَّ التحريم كان للعسل وهو سبب النزول للآيات، والمتظاهرتان هما عائشة وحفصة، والساقية هي زينب، وما جاء في البخاري من كتاب الصلاة ١١/ ٢٩٥، ٢٩٧، ومسلم فيه أيضًا ١٠/ ٧٥، ٧٦، ٧٧، من أنَّ المتظاهرات هن عائشة وسودة وصفية، وأنَّ الساقية كانت حفصة: هو غلط وانقلابُ الأسماء على بعض الرواة، وهو مخالف لصريح القرآن. ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾. فهما في الآية ثنتان لا ثلاث رضي الله تعالى عنهن جميعًا.

أما من قال بتعدُّد القصَّتين في الأمة والعسل فهو وإن كان محتملاً لصحة الرواية بهما جميعًا، فالظاهر أنه بعيد كما قال ابن كثير وغيره.

(٥) **قوله تعالى:** ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة عليه، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾، فنزلت مثل ذلك.

رواه أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم، وتقدَّم تخريجه في البقرة: آية رقم ١٢٥، وفي الأحزاب: آية رقم ٥٣، وذكرت في كل موضع قطعة منه مما يناسب الموضوع.

هذا من موافقات عمر رضي الله تعالى عنه، وقد ذكرت موافقاته لنزول القرآن الكريم في فضائل الصحابة، وهي ست موافقات جاءت بأسانيد صحيحة.

انظر: صحيفة ١٠٠، ١٠١، ١٠٢ من الكتاب المذكور.

أما الآية الكريمة، فقال القرطبي: هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ لو طلقهن في الدنيا أن يزوِّجه نساءً خيرًا منهن والله عالم بأنه لا يطلقهن، ولكن أخبر عن قدرته على أنَّ رسوله لو طلقهن لأبدله خيرًا منهن تخويفًا لهن... إلخ.

(٨) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾.

عن الأغر المزني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيُّها الناس، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة». وفي رواية: «إنه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

رواه أحمد ٤/ ٢١١، ٢٦٠، ومسلم في الدعوات ١٧/ ٢٣، ٢٤، وأبو داود ١٥١٥، والبخاري في الأدب المفرد ٦٢١، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة ٦/ ١١٦، وغيرهم. والروايتان لمسلم وغيره. وفي الباب عن أبي هريرة رواه النسائي ٦/ ١١٤، وابن ماجه ٣٨١٥ بسند صحيح بنحوه، وعن أنس رواه النسائي ٦/ ١١٤ بلفظ: «إني أستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة».

لَيُغَانُّ: الغين يكون للمقربين، وهو بمنزلة الغيم للأبرار والغفلة للعامة، والرين لقلوب الكفار وأشباههم. واستغفار النبي ﷺ وتوبته إنما هو تعبُّد لله عزَّ وجلّ وتشريع لأمته، ومن باب حسنات الأبرار سيِّئات المقربين، فكان يستغفر من خلاف الأولى ومن فعل بعض المباحات...

والتوبة النصوح: هي الخالصة الصادقة، وهي التي تتوفَّر فيها ثلاثة شروط: الندم وتألُّم القلب على فعل الجريمة، ثم الإقلاع عن الذنب، ثم نيَّة عدم الرجوع إليه، ثمَّ سؤال المغفرة، فإذا كان هناك حق لمخلوق استرضى صاحبه، ومن كمال التوبة صلاة ركعتين، فإذا حصلت بهذه الشروط قُبلت قطعًا خلافًا لمن قال غير ذلك، وكان جزاء التائب ما وعد الله به في تتمَّة الآية وهو: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ...﴾.

وعن رجل من بني كنانة قال: صَلَّيْتُ خلف رسول الله ﷺ عام الفتح، فسمعته يقول: «اللَّـٰهُمَّ لا تخزني يوم القيامة».

رواه أحمد ٤/ ١٣٤ بسند صحيح، وأورده في المجمع ١٠/ ١٢٢ وقال: رجاله ثقات.

وعن أبي ذرّ وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّل من يُؤْذَنَ لهُ في السُّجودِ يومَ القيامةِ...»، وفيه: «وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم».

أورده ابن كثير في التفسير من رواية محمد بن نصر المروزي بسند حسن صحيح، وابن لهيعة روى عنه هنا ابن المبارك، وروايته عنه كانت قبل احتراق كتبه.

في الآية الكريمة والحديث الثاني بشارة لمؤمني هذه الأمَّة وأنها ستكون مع نبيّها ﷺ والنور يتلألأ ويضيء عليهم بين أيديهم وبأيمانهم داعين الله عزَّ وجلّ: يا ربَّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا...

(١٢) قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاَّ آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران،

وخديجة بنت خُوَيْلِد وإنَّ فضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام».

رواه أحمد ٤/ ٣٩٤، ٤٠٩، والبخاري في الأنبياء ٣٤١١، وفي فضائل الصحابة ٣٧٧٩، وفي الأطعمة ٥٤١٨، ومسلم في الفضائل ٢٤٣١، ١٥/ ١٩٨، ١٩٩، والنسائي في الكبرى ٥/ ٩٣، وفي المجتبى في عشرة النساء وغيرهم.

فيه فضل هؤلاء النسوة وأنهنَّ أفضل نساء العالمين قد بلغن نهاية الكمال البشري وجميع الفضائل وخصال البرّ والتقوى، ويضاف إليهن مولاتنا فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة رضوان الله تعالى عليهنَّ جميعًا.

وقد اختلف في نبوَّة آسية ومريم كغيرهما من النسوة، فنقل القول بنبوَّتهما عن أبي الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم وجماعة، وذهب الجمهور إلى أنه لم تكن نبوَّة في النساء.

وبهذا تمَّت سورة التحريم، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُلك﴾
«تبـارك»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

من هنا استؤْنِفَ ذكر السُّوَر المكِّيَّات إلى آخر القرآن، وهي نحو من خمس وأربعين سورة كلها مكِّيَّات وليس يتخلَّلها من المدنيات إلاَّ ثلاث سور، وهي: البيِّنة، والزَّلزلة، والنصر. فسبحان العليم الخبير الحكيم..

وهي ثلاثون آية، وأهدافها بيان أصول الدِّين ودلائل التَّوحيد...

من خصائص هذه السورة

١ ــ بيان سرّ هذه الحياة، وأنَّ المقصود بجعل الموت والحياة هو ابتلاء العباد، وليعلم من يكون الأحسن عملاً منهم من غيره، آية ٢.

٢ ــ بيان ما ذكر في سورة الطلاق من أنَّ السموات سبعًا، وتقييدها هنا بأنها طباق بعضها فوق بعض، آية ٣.

٣ ــ من حكم خلق النجوم في السماء كونها جعلت ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾، يعني يؤخذ منها قطع وشهب فيضربون بها كما في آية أخرى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾، ومن حكمها أنها يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة للسماء الدنيا، آية ٥.

٤ ـ امتنانه تعالى علينا بتذليل الأرض وإرشاده إيَّانا بالمشي في أطرافها ونواحيها ونأكل من رزقه الذي قدَّره لنا، آية ١٥ .

٥ ـ توعُّده إيَّانا بما إذا غار الماء وذهب في تخوم الأرض من الذي يخرجه لنا ويرده علينا لولاه سبحانه جلَّ عُلاه؟! آية ٣٠ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ . . . ﴾ السورة بتمامها.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ سورة من القرآن ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غُفِرَ له، وهي سورة: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ ».

رواه أحمد ٢/ ٢٩٩، ٣٢١، وأبو داود ١٤٠٠، والترمذي ٢٦٩٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٦، وابن ماجه ٣٧٨٩، وابن حبان ١٧٦٦ بالموارد، والحاكم ١/ ٥٩٥، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

ونحوه عن أنس بلفظ: «سورة من القرآن ما هي إلاَّ ثلاثون آية خاصمت عن صاحبِها حتى أَدْخَلَتْهُ الجنَّة، وهي سورة: ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ ».

أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٦٦٧، والصغير ٤٩٠، قال في المجمع ٧/ ١٢٧: ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كنا نُسَمِّيها في عهد رسول الله ﷺ المانِعة، وإنَّها في كتاب الله سورةٌ من قرأها في ليلة فقد أكثرَ وأطيبَ.

عزاه في المجمع لكبير الطبراني ١٠٢٥٤ وأوسطه، وقال: رجاله ثقات. وفي رواية عنه عند كبير الطبراني ٨٦٥٢، ٨٦٥٣: «مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فجلسوا عند رأسه، فقال: لا سبيل لكم عليه، قد كان يقرأ سورة الملك». وفي رواية: ـ

«تُؤْتَى رِجْلاهُ وجوفُه ورأسُه وكلٌّ يقول: ليس علي مَن قِبَلي سبيلٌ، قد كان يقرأ في سورة الملك». قال عبد الله: فهي المانعة، تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة هذه سورة الملك من قرأها في ليلة أكثر وأطيب. وسنده حسن، وانظر: المجمع ٧/ ١٢٧، ١٢٨.

هذه السورة الكريمة سورة عظيمة الشأن، فيها فضيلة وخير كبير وبركة لمن قرأها عند نومه، فهي شافعة ومانعة لصاحبها من العذاب بإذن الله عزَّ وجلّ، ولذا «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأها مع سورة (ألم) السجدة»، كما تقدَّم الحديث بذلك في أوَّل السورة المذكورة.

جَعَلَنَا الله تعالى من المحافظين على قراءتها كل ليلة حضرًا وسفرًا، صحَّةً ومرضًا.

وهذا آخر الكلام على السورة، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الْقَلَمِ ﴾

« ن »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثنتان وخمسون آية، وأهدافها الكلام على التوحيد والرسالة والبعث والقيامة وأهوالها.

من خصائص هذه السورة

وتختصّ بالآتي:

١ ـ افتتاحها بالقَسَم بالقلم والمسطورات التي تدل على عظم هذه النعمة، وهي نعمة القلم والكتابة التي هي طريق تحصيل العلوم المختلفة المتنوعة، آية ١.

٢ ـ ذكر خُلُق نبيّنا العظيم الذي لم يتقدَّم له ولا يأتي بعده مثيل، آية ٤.

٣ ـ بيان خصال ذلك الشقي الخاسر ووصفه بعشر صفات سافلة هابطة: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾، آيات ١٠ ـ ١٣.

٤ ــ ذكر مثل ضُرِب للبخلاء بأصحاب الجنَّة (البستان) الذين بخلوا على الفقراء فأباد الله جنَّتهم وأحرقها ليلاً، آيات ١٧ ــ ٣٢ .

٥ ــ ذكر الكشف عن الساق يوم القيامة وهو من آيات الصفات، آية ٤٢ .

٦ ــ الأمر الإلـهي لنبيّنا ﷺ بالصبر على الدعوة وأن لا يقتفي أثر نبـي الله يونس عليه السلام بأن يتضجَّر ويفرّ من قومه، آية ٤٨ .

٧ ــ ذكر العين وأنَّ إصابتها حقٌّ بإذن الله عزَّ وجلّ، آية ٥١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ .**

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ أوَّل ما خلقَ اللّٰهُ القلم، فقال له: اُكْتُب، فجرى بما هو كائن إلى الأبَدِ» .

رواه أحمد ٥/ ٣١٧ بسند صحيح، وأبو داود ٤٧٠٠، والترمذي في القدر ١٩٨٦، وفي التفسير ٣٠٩٨ بتهذيبي، والطيالسي ٥٣، وغيرهم، وهو مطول عندهم.

﴿نٓۚ﴾: من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه. والقلم: يشمل كل الأقلام بدءًا من قلم الله عزَّ وجلّ الذي أمره بكتابة المقدورات والمكوَّنات. وهو نعمة من النعم العظيمة على الإنسانية، فهو من أعظم أسباب المعارف والعلوم، فلولاه لما حُفِظَ علينا القرآن الكريم، ولما حُفِظت علينا السُّنَّة المحمَّدية ولا دُوِّنت العلومُ ووصلت إلينا عسلاً مصفًّى، فالقلم وما يكتب ويسطر به لهما شأن عظيم، ولهذا أقسم الله عزَّ وجلّ بهما هنا لما لهما من منافع ومصالح دينية ودنيوية، وسيأتي ما امتنَّ به تعالى علينا في العلق بقوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ .

والحديث المذكور يدلّ على أنَّ القلم من أوّل ما خلق، وأنه كتب كل ما هو كائن ممَّا شاء الله عزَّ وجلّ أن يكون.

٤ **قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.**

عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «كان خُلُقُه القرآن».

رواه أحمد ٦/ ٩١، ١٦٣، ومسلم في صلاة الليل ٦/ ٢٥، ٢٦.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عَشْرَ سنين فما قال لي أفٍّ قطُّ، ولا قال لشيء فعلته لِم فعلتَه، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلتَه، وكان ﷺ «أَحْسَنَ النَّاسَ خُلُقًا».

رواه أحمد ٣/ ٢٢٢. ٢٢٨، ٢٧٠، والبخاري في المناقب ٧/ ٣٨٦، ٣٨٧، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٨٥، ٨٦.

كان خلقه القرآن، بضم الخاء واللام: تعني عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ صار امتثال القرآن ــ أمرًا ونهيًا وخبرًا ــ سجية وصفة له تطَبَّعَهُ، وترك طبعه الجِبِلِّي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل.

١١ **قوله تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنَّهُمَا يُعَذَّبانِ وما يُعَذَّبانِ في كبيرٍ، أما أحدُهما فكان لا يَسْتَتِر مِنَ البولِ، وأما الآخر فكان يَمْشِي بالنَّميمة».

رواه البخاري في الطهارة ٢١٨، ج ١/ ٣٣٤، وفي الجنائز ١٣٦١، ١٣٧٨، وفي الأدب ٦٠٥٢، ومسلم في الطهارة ٢٩٢، ٣/ ٢٠٠، وباقي الجماعة والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٦.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه مرَّ عليه رجلٌ فقيل له: إنَّ هذا يَرفعُ الحديثَ إلى الأُمراءِ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «لا يَدخُل الجنةَ قَتَّاتٌ».

رواه أحمد ٥/ ٣٩٧، ٤٠٢ والحميدي ٤٤٣، والبخاري في الأدب ٦٠٥٦، ومسلم ١٠٥، ١٧٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٧١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٦، وغيرهم.

الهمَّاز: المغتاب الطعَّان في أعراض الناس الآكل لحومهم، وقد جاء في الغيبة قوارع وزواجر معروفة. والقتَّات: هو النمَّام الذي يَسْعَى بالكلام للإفساد بين الناس والأَحِبَّة، كما جاء في المسند وسنن ابن ماجه وغيرهما من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرَكم بخياركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذين إذا رُأوا ذُكِرَ اللّٰهَ عزَّ وجلّ»، ثم قال: «أَلاَ أُخْبِرَكم بشراركم، المَشَّاؤون بالنَّميمة المُفْسِدُون بين الأَحبَّة الباغون للبرآء العَنَت»، وقد تقدَّم في سورة يونس: آية ٦٣.

وقوله في حديث ابن عباس: وما يعذَّبان في كبير، يعني عندهم، فإنهم قد يستهينون بمثل ذلك وهما عند الله عظيم لأنهما من موجبات عذاب القبر عياذًا بالله تعالى. وفي حديث حذيفة وعيد شديد وتهديد أكيد للوشاة والجواسيس ورجال المخابرات فإنهم إن لم يتوبوا ويرعووا عمَّا هم فيه دخلوا النار، كما أنهم في حالتهم الراهنة شرار خلق الله لأنهم يسعون بالإفساد بين الحاكمين والمحكومين.

(١٣) **قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.**

عن حارثة بن وهب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيف مُتضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كلّ عُتُلٍّ جوَّاظ مستكبرٍ»، وفي رواية: «كل جوَّاظ جَعْظِري مستكبر».

رواه أحمد ٤/ ٣٠٦، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢٨٩، وفي الأدب ١٣/ ١٠١، وفي الأيمان والنذور ١٤/ ٣٥٠، ومسلم في الجنة ١٧/ ١٨٦، ١٨٧، والترمذي في صفة جهنَّم ٢٤٢٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٧، وابن ماجه في الزُّهد ٤١١٦.

متضعف، بضم الميم وفتحات مع تشديد العين وكسرها، فعلى الأول وهو المشهور معناه: الذي يضعفه النَّاس ويحتقرونه، وعلى الثاني: المتواضع في نفسه أو الرقيق القلب المُخْبِتُ. وقوله: لو أقسم... إلخ، معناه: لو حلف على شيء إيجابًا أو سلبًا لأبَرَّ تعالى حلِفَه إكرامًا له. وقوله: عتل، بضم العين والتاء: هو الجافي عن سماع الموعظة، الغليظ في أخلاقه الفظ. والجوَّاظ: الجموع للمال المنوع، أو المختال في مشيته اللحيم، والمستكبر صاحب الكبر المتعاظم الذي يبطر الحق ولا يقبله ويحتقر الناس ويستصغرهم.

وفي الحديث بيان أهل الجنة من أهل النار بصفاتهم في هذه الحياة.

(٤٢) **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.**

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكْشِفُ ربُّنا عن ساقه فيسجد كلّ مؤمن ومؤمنةٍ ويَبْقى من كان يسجدُ في الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب يسجد فيعود ظهرُهُ طبقًا واحدًا».

رواه أحمد ٣/ ١٦، ١٧، والبخاري في التفسير ١٠/ ٢٩٠ وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان رقم ١٨٣، وغيرهم.

هذا قطعة من حديث طويل، واختلف في معنى الساق اختلافًا كثيرًا، فذهب جماعة إلى تأويله، وقالوا معناه: يكشف فيه عن أمر عظيم فظيع في غاية الهول والشدَّة، قالوا: والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدَّة. ولا داعي إلى هذا مع بيان الحديث للآية الكريمة، فالآية كالحديث من باب صفات الله تعالى، فنؤمن بذلك ولا نعطل، مع تنزيه الله تعالى عن الجارحة وتشبيهه بخلقه.

والحديث مطابق للآية في عدم استطاعة الكفَّار والمنافقين السجود يوم القيامة عندما يدعون إلى ذلك فيسجد المؤمنون ويمتنع الكفار، وتصير ظهورهم طبقًا واحدًا.

(٤٨) قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨)﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَنبغي لأحد أن يكون خيرًا من يونس بن متَّى»، وفي رواية: «لا يقولن إني خير...» إلخ.

رواه البخاري في الأنبياء ٧/ ٢٦٢، وفي تفسير الصافَّات ١٠/ ١٦٣. ورواه أحمد ٢/ ٤٠٥، ٥٣٩، والبخاري في تفسير سورة الأنعام ٩/ ٣٦٣، وفي الصافَّات ١٠/ ١٦٣، وفي الأنبياء ٧/ ٢٤٠، ومسلم في الفضائل ١٥/ ١٣٣، ١٣٤، عن أبي هريرة وابن عبَّاس بألفاظ.

صاحب الحوت هو نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام، وسُمِّي بذلك لأنَّ الحوت التقمه وابتلعه، وسُمِّي في آية أخرى بذي النون.

وإنما نهي عن تفضيل أحد على يونس لئلا يؤدي إلى احتقاره

واستصغاره لما صدر منه من الفرار من قومه، وليس معناه أنه أفضل من نبيّنا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾، معناه: لا تكن يا رسولي محمَّدًا في الضجر والعَجَلة كيونس عليه السلام حيث غضب على قومه وتركهم فركب البحر فالتقمه الحوت. . . إلخ.

٥١ **قوله تعالى:** ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «العينُ حقٌّ ولو كان شيء سابق القدر لسَبَقَتْهُ العين وإذا استُغْسِلْتُم فاغسِلوا».

رواه مسلم في السلام ١٤/١٧١، والأحاديث بهذا كثيرة، ويأتي بعضها في الطب.

قوله: ليزلقونك، أي: يصرعونك بأعينهم ويهلكونك. والآية تدلّ على أنَّ إصابة العين وتأثيرها حق بإذن الله تعالى، وفيها جاءت تلك الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي تخبر بوقوع العين وأنها قد تدخل الرجل القبر والجمل القدر، وهذا شيء محسوس مشاهدٌ لا يُنْكَر. وإنما اختلفوا في طريق تأثير العين.

وقوله في الحديث: وإذا استُغسلتم. . . إلخ، معناه: أنَّ العائن إذا عُرِفَ وجب عليه أن يغسل رجليه ويديه وبعض أطرافه ويُصَبَّ ذلك الماء على المعيون فيكون علاجه.

والخلاصة: أنَّ هذه خاصية جعلها الله عزَّ وجلّ في عين العائن الحاسد أو المعجب، إمَّا بِسُمّ يصل من عينه في الهواء إلى بدن المعيون أو بجواهر. . . وهذا كبعض الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك من

حينه أو عمي، والصحيح يخالط المريض فيُصابُ بمرضه، وقد يتثاءب شخصٌ بحضرة آخر فيتثاءب الآخر، وهذا شيء كثير، فالأجسام والأرواح والمعادن والأشجار والنَّبات وأنواع الحيوان والطير، الكل له خواص يختصّ بها. وقد ذكر الأطبَّاء وعلماء الحيوان والرّوحانيُّون وغيرهم خواص الأشياء، وقد اكتشف العلم الحديث العجائب من ذلك، ولا معنى لإنكار العين وقد أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ بها عن الله عزَّ وجلّ الذي خلق الأشياء وخواصّها، والذي يعلم النافع والضارّ منها على الإجمال والتفصيل.

وبهذا تمَّت سورة القلم، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الحَاقَّةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثنتان وخمسون آية، وأهدافها ذكر القيامة وأهوالها، والكلام على الطغاة المكذِّبين أمثال قوم عاد وثمود ولوط وفرعون. . . ثم بيان صدق القرآن وبراءة الرسول ﷺ ممَّا نسبه إليه واتَّهمه به المشركون الملاعين.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر الحاقَّة مكررة مرتين وهي من أسامي يوم القيامة، سُمِّيت بذلك لحقية وقوعها، آيتان ١، ٢.

٢ ــ بيان الأيام والليالي التي أهلك الله فيها قوم عاد وهي سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، آية ٧.

٣ ــ بيان ما يقوله كل من يؤتى كتابه بيمينه أو شماله، آيات ١٩ ــ ٢٩.

٤ ــ بيان مقدار السلسلة التي يسلك فيها الكافر صاحب الشمال، آية ٣٢.

٥ ــ قسم الله عزَّ وجلّ بكل الكائنات: ما نشاهد وما هو غائب عنّا، آيتان ٣٨، ٣٩.

٦ ــ تنزيه القرآن الكريم عن كونه قول ساحر أو كاهن بل هو تنزيل من ربِّ العالمين، آيات ٤٠ ــ ٤٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٦) **قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وقد تقدَّم تخريجه في سورة فُصِّلت: آية ١٦.

والصبا، بفتح الصاد: الريح الشرقية، وبها كان هلاك الأحزاب في غزوة الخندق. والدَّبور: الريح الغربية، وهي التي أَهْلَكَ بها الله عزَّ وجلّ قوم عاد.

(٧) **قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُذِن لي أن أُحدِّث عن مَلَكٍ من ملائكة اللّـهِ من حَمَلَةِ العرشِ، إنَّ ما بين شَحْمَةِ أذنه إلى عاتقه مسيرة سَبْعِمائةِ عام».

رواه أبو داود في السُّنَّة ٤٧٢٧ بسند صحيح، والطبراني في الأوسط ١٧٣٠، ٤٤١٨، قال الهيثمي في المجمع ١/ ٨٠: ورجاله رجال الصحيح.

العرش: هو أعظم خلق خلقه الله، وهو سقف هذا العالم، وله حَمَلَة مكلَّفون به من قِبَل الله تعالى يحملونه، لهم من الخلقة والعظمة ما لا يعلمه إلَّا الله، فإذا كان الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه سبعمائة عام وهو شيء مدهش لا تتحمَّله عقولنا، فكيف يا ترى بجثته؟ ولا ندري الباقين، وكل ذلك يدل على عظمة خالقنا وإلـٰهنا والمدبر لشؤوننا.

والحديث فيه بيان حملة العرش الآن، وأنهم ثمانية على هيئة الأوعال

ـ جمع وعل، وهو: التيس المتوحِّش[1] ـ وأنَّ جثَّتهم عظيمة بحيث مسافة ما بين ركبهن وأظلاف أقدامهن كما بين السماء والسماء، والله تعالى أعلم.

والآية الكريمة تدل على أنَّ حملة العرش يوم القيامة سيكونون ثمانية أملاك وكذلك هم الآن؛ يدلّ لذلك الحديث التالي إن صحَّ، وهو:

عن العبَّاس رضي الله تعالى عنه، أنَّه كان جالسًا في البطحاء في عصابة ورسول الله ﷺ جالس فيهم، إذ مرَّت عليهم سَحَابَة فنظروا إليها، فقال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ما اسمُ هذه؟»، قالوا: نعم، هذا السحاب، فقال رسول الله ﷺ: «والعنانَ؟»، قالوا: والعنان، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟»، قالوا: لا والله ما ندري، قال: «فإنَّ بعد ما بينهما إمَّا واحدةً وإما اثنان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، والسماء فوقها كذلك»، حتَّى عدَّهن سبع سموات كذلك، ثم قال: «فوق السماء السابعة بحرٌ بين أعلاه وأسفَلِه كما بين السماء إلى السماء وفوق ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهِنَّ ورُكبِهِنّ مثلُ ما بين السماء إلى السماء، والله فوق ذلك».

رواه أبو داود في كتاب السُّنَّة ٤٧٢٤، ٤٧٢٥، والترمذي في التفسير ٣١٠٢ من طرق صحيحة، ورواه أحمد رقم ١٧٧٠، ١٧٧١، وأبو داود ٤٧٢٣، وغيرهما بسندين ضعيفين، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريقين أحدهما صحيح، ورواه الحاكم ٢/ ٥٠٠، ٥٠١، مرفوعًا وموقوفًا، وصحّح الموقوف على شرط مسلم. والحديث مع صحَّة سند بعض طرقه هو حديث فيه نكارة، ومع ذلك فقد جزم بصحَّته من المعاصرين: الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند، وأستاذنا السيِّد أحمد الصديق في جؤنة العطَّار، وخالفهما السيِّد عبد الله الصديق.. رحم الله الجميع.

(١) هذا من نكارة الحديث، فإنَّ وَصْف الملائكة بالأوعال فيه تنقيص لهم وحط من قدرهم، وهم المكرمون المطهَّرون الذين يجب تنزيههم عمَّا فيه غضاضة...

(١٨) قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ الناس يوم القيامة ثلاثَ عَرَضَاتٍ، فأمَّا عرضتان فجدال ومعاذِير، وأما الثالثة فعند ذلك تطيرُ الصُّحف في الأيدي فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله».

رواه أحمد ٤/ ٤١٤، وابن ماجه ٤٢٧٧ في الزُّهد ورجاله ثقات مع انقطاع فيه، وهو عند ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٧١. وله شاهد عن أبي هريرة مثله، رواه الترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٥ بسند حسن، لولا ما قيل في عدم سماع الحسن من أبي هريرة، وفيه خلاف. وله شاهد آخر موقوف على ابن مسعود رواه البيهقي، قال الحافظ: بسند حسن.

في الحديث بيان عرض الناس يوم القيامة على الله عزَّ وجلّ، وأنه سيكون ثلاث عرضات، ففي العرضة الأولى: كل واحد يدافع فيها عن نفسه، أما الثانية: فيعترفون ويعتذرون فيها، أما في الثالثة: فيُمَكَّنُ كُلٌّ من كتابه فتظهر النتيجة، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله.

(١٩) (٢٠) قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ
(٢١) (٢٢) (٢٣) أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا
(٢٤) (٢٥) وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ
(٢٦) (٢٧) (٢٨) كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي
(٢٩) (٣٠) (٣١) سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نُوقش الحسابَ هلك»، قلت: يا رسول الله، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ . . .﴾، قال: «ذلك العَرْضُ». وفي رواية: «ليس أحدٌ يحاسَبُ إلاَّ هلك»، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ . . .﴾ إلخ، قال: «ذاك العرضُ يُعْرَضون، ومن نوقش الحساب هلك».

رواه البخاري في العلم ١٠٣، وفي التفسير في الانشقاق ٤٩٣٩، وفي الرقاق ٦٥٣٦، ومسلم في الجنة ٢٨٧٦، والترمذي في صفة القيامة وفي الانشقاق من التفسير، ويأتي.

الحديث الشريف يُبيِّنُ أنَّ من نوقش الحساب يوم القيامة كان من الهالكين، والمناقشة أن يقال له عملت وعملت ولم فعلت؟ ألم يأتك كتابي؟ وهذا سيأخذ كتابه بشماله فيكون ذلك علامة على شقاوته فيتمنَّى أن لم يحاسب ولم يؤت كتابه ويودّ الموت وينادي: ما أغنى عنِّي ما كنت أملك من المال والسلطة شيئًا في هذا اليوم. أما الصنف الثاني من أهل الحساب فيحاسب حسابًا يسيرًا بأن يعرض عليه عمله ثم يقال له اذهب فقد غفرت لك، فيعطى كتابه بيمينه فينادي من شدَّة الفرح: خذوا واقرأوا كتابي فقد أخذته بيميني وكنت أظن أني سألقى حسابي. فهو في عيش رغد وحياة مرضية في الجنان العالية قطوفها وثمارها قريبة المأخذ ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئًا لكم بما أمضيتم في أيام الدنيا من الإيمان وطاعة الرحمن. وهناك صنف ثالث لم يذكر هنا وهم الذين يدخلون الجنة بدون حساب لا بمناقشة ولا بعرض، جعلنا الله تعالى بفضله وكرمه منهم آمين.

﴿٣٢﴾ **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾.**

عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ رصاصةً مثل هذه، وأشار إلى مثل جُمْجُمَة أُرْسِلَتْ مِنَ السَّماء إلى الأرض وهي مسيرةُ خَمْسِمائَةِ سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها».

رواه أحمد ٢/ ١٩٧، والترمذي في صفة جهنَّم رقم ٢٤٠٧، وحسَّنه وصحَّحه.

والحديث الشريف يدل على أمرين، أوّلاً: أنَّ المسافة بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يردّ على من أنكر ذلك. ثانيًا: عظم السلسلة التي يشدّ بها الكافر ويسلك فيها وأنَّ طولها مسافة أربعين سنة، والظَّاهر أنَّ هذا العدد لا مفهوم له وإنما المقصود به هو التكثير فقط، والله تعالى أعلم.

وقد جاء في صحيح مسلم ما يفيد أنَّ الصخرة العظيمة لَتُلْقَى من شَفِير جهنَّم فتَهْوِي فيها سبعين عامًا ما تُفْضِي إلى قرارها، والسلسلة بالنسبة لجهنَّم شيء ضئيل جدًّا.

وبهذا تمَّت سورة الحاقَّة، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سورة المعارج﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها أربع وأربعون، وأهدافها الكلام على كفَّار قريش وإنكارهم البعث، ثم الكلام على القيامة وأهوالها، والآخرة ومواقفها وشدائدها، وحساب الناس، وبيان السعداء من الأشقياء، وأحوال المؤمنين والمجرمين.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر عروج الملائكة إلى الله عزَّ وجلّ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، آية ٤.

٢ ــ تمنِّي الكافر المجرم فداء نفسه يوم القيامة ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته، أي: قبيلته، وعشيرته ومن في الأرض جميعًا كي ينجو، آيات ١١ ــ ١٤.

٣ ــ من صفات الإنسان الهلع والجزع إذا أصيب بشر، والبخل والمنع إذا أصيب بخير، آيات ١٩ ــ ٢١.

٤ ــ القسم برب المشارق والمغارب، آية ٤٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾، قال: النضر بن الحارث بن كَلَدَة.

رواه النسائي في الكبرى ٦/٤٩٨، والحاكم ٢/٥٠٢، وصحَّحه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي، وسنده عند النسائي صحيح على شرط البخاري.

يريد ابن عباس أنَّ السائل بنزول العذاب والداعي به هو هذا الشقي، وهو القائل أيضًا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال].

وقد أهلكه الله عزَّ وجلّ يوم بدر فصار إلى أمّه الهاوية.

فمعنى الآية الكريمة: دعا داع من كفار مكَّة لنفسه ولقومه بنزول عذاب واقع لا محالة للكافرين ليس له دافع، أي: لا رادَّ له إذا أراد الله وقوعه وهو نازل بهم من الله العظيم ذي المعارج، أي: صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة.

(٤) **قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾.**

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منْ صاحب كنزٍ لا يؤدِّي زكاته إلاَّ أُحْمِي عليه في نار جهنَّم فيجعلُ صفائحَ فيُكْوَى بها جَنْبَاه وجبينُه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة. . .» الحديث.

رواه مسلم في الزكاة ٧/ ٦٤، ٦٨، ورواه البخاري مطوَّلاً، والنسائي في المجتبى ٢٤٨٢، وفي الكبرى ٦/ ٤٩٨، والسياق لمسلم مختصرًا.

اليوم المذكور هو يوم القيامة كما قال ابن عباس وعامّة المفسِّرين، وهو ظاهر هذا الحديث، وجمعوا بين هذا وبين الآية الأخرى التي فيها ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾، بأنَّ القيامة فيها مواقف ومشاهد، فيكون اليوم على البعض خمسين ألف سنة، وعلى البعض الآخر ألف سنة، وعلى آخرين، وهم المؤمنون مقدار صلاة مكتوبة. لطف الله بنا وسامحنا وعاملنا بفضله آمين.

١٩ ٢٠ ٢١ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ ما في الرَّجُلِ شُحٌّ هالِعٌ، وجُبْن خالِعٌ».

رواه أحمد ٢/ ٣٠٢، ٣٢٠، وأبو داود في الجهاد ٢٥١١، وابن حبان ٨٠٨ بالموارد، والبخاري في التاريخ ٦/ ٨، ٩، والبيهقي ٩/ ١٧٠، بسند صحيح.

الشح الهالع: هو الذي يحمل صاحبه على الحرص على المال والجزع على ذهابه، فالهلع أفحش الجزع. أما الجبن الخالع: فهو الخوف الذي ينشؤ عنه ضعف القلب وأنواع الأفكار، فكأن الجبن يخلع القوّة والنجدة من القلب. فهاتان الصفتان شرّ ما في الإنسان من حيث هو. وجاءت الآية الكريمة تصوِّر ما في بني آدم غير المهذَّب من أنه: هلوع جزوع إذا مسَّه الشر، شحيح منوع إذا مسَّه الخير، إلاَّ المؤمنين الصَّالحين المهذَّبين فليسوا كذلك، ثم ذكر صفاتهم السَّامية.

٣٦ ٣٧ **قوله تعالى:** ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾.

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حِلَقٌ فقال: «ما لي أراكم عِزِينَ، ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربّها».

رواه أحمد ٥/ ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٧، ومسلم في الصلاة رقم ٤٣٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٢٣، ٤٨٢٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٨، وغيرهم، ورواه ابن جرير عن أبي هريرة بنحوه بسند جيِّد.

عزين، جمع عزة: وهي الحلقة المجتمعة من الناس، فعزين معناه متفرِّقين.

والآية الكريمة جاءت تنكر على المشركين الذين كانوا يشاهدون النبي ﷺ وما أتى به من الآيات، ومع ذلك كانوا مهطعين، أي: مسرعين فارِّين متفرِّقين يجتمعون حوله ﷺ حلقًا حلقًا عن يمينه وشماله يسمعون كلامه ويتحدَّثون ويتعجَّبون ويستهزئون به وبأصحابه.

وفي الحديث الشريف الإنكار على تفرُّق الصحابة حِلَقًا حِلَقًا، ففيه ذم ذلك والإرشاد إلى الاجتماع بدل التفرُّق، وفيه استحباب التشبُّه بالملائكة الكرام في أفعالهم.

وبهذا تمَّت سورة المعارج، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ نُوحٍ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثمان وعشرون آية، وكلها تدور حول دعوة سيِّدنا نوح عليه الصَّلاة والسَّلام قومه وما سلك معهم من الأساليب في الدعوة ترغيبًا وترهيبًا، ثم في النهاية لمَّا أيس منهم دعا عليهم دعوة شاملة لا تبقي ولا تذر.

من خصائص هذه السورة

١ ـ تنويع نوح عليه الصلاة والسلام لقومه الدعوة ترغيبًا وترهيبًا ودعوتهم إلى الله عزَّ وجلّ ليلاً ونهارًا وسرًّا وعلانية فلم يزدهم ذلك إلاَّ نفورًا وإعراضًا، آيات ٥ إلى ١٦.

٢ ـ إنَّ الله عزَّ وجلّ أنبت الإنسان من الأرض نباتًا، وذكر العلماء لذلك معنيين، الأول: الإنبات الأول، وهو خلقه من الأرض وأنواعها.. ثانيًا: إنباته بإمداده تعالى إيَّاه بالأغْذِية طوال حياته، فهو دائمًا يعيش من الأرض زروعًا وثمارًا وبقولات وفواكه وأنعامًا، وهي تأكل من الأرض فكأنه دائم النبات من الأرض، ولله الحمد، آية ١٧.

٣ ــ بيان الأصنام التي عبدها قوم نوح وذكر أسمائها وهي وُدٌّ وسُوَاع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْر، آية ٢٣.

٤ ــ دعاء نوح على قومه عليه السلام دعوة شاملة عامة على الكبير والصغير، آية ٢٦.

٥ ــ دعاؤه عليه الصلاة والسلام بالمغفرة لنفسه ووالديه ولكل من دخل بيته من المؤمنين والمؤمنات، آية ٢٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٢٦ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لو رَحِمَ اللّٰهُ أحدًا من قومِ نوح لَرَحِمَ أمَّ الصَّبِيِّ»، قال رسول الله ﷺ: «كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غَرَسَ شجرة فَعَظُمَتْ وذهبت كلَّ مذهبٍ ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة... ويمرُّون فيسألونه فيقول: أعمَلُها سفينة. فيسخرون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر؟ وكيف تجري؟ قال: سوف تعلمون. فلما فرغ منها وفار التنُّور وكثر الماء في السِّكَكِ خَشِيَتْ أُمُّ الصَّبِي عليه وكانت تُحِبُّه حبًّا شديدًا، فخرجتْ إلى الجبل حتى بَلَغَتْ ثلثه، فلمَّا بلغها الماء خرجت به حتى استوت به على الجبل، فلما بلغ الماءُ فمَها رفعته بيديها حتَّى ذهب به الماء، فلو رحم الله منهم أحدًا لَرَحِم أُمَّ الصبي».

رواه الحاكم في التفسير من المستدرك ٢/ ٣٤٢، وصحَّحه والطبراني في الأوسط، وأورده النور في المجمع ١/ ٢٠٠ بروايته، وقال فيه موسى بن يعقوب الزمعي: وثَّقه ابن معين وغيره، وضعَّفه ابن المديني، وبقيَّة رجاله ثقات. وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم ٢/ ٣٤٣، ٣٤٧، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٧٦ بسند رجاله ثقات غير أنَّ رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد فيها كلام، فالحديث بطريقيه حسن إن شاء الله.

كان دعاء سيِّدنا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه موافقًا ومناسبًا لهم في القساوة والشمول، فعمم دعاءه على الكبير والصغير وعلى كل الديار، والحديث المذكور يدلّ على أنَّ العذاب إذا نزل بقوم حصد جميعهم حتى الأبرياء تبعًا لعشائرهم المجرمين، وهو عدل من الله تعالى لا ندري سِرَّه بالتدقيق، وقد جاء في الصحيح: أَنَهْلَكُ وفينا الصَّالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»، وأيُّ خبث أعظم من الكفر وعبادة غير الله ومحاربة أنبيائه والدعاة إليه، فلا عجب في إغراق ذلك الصبي البريء مع أمه المجرمة فيكون مصيره الجنَّة ومصير أمّه النَّار. وهذا غاية العدالة.

٢٨ **قوله تعالى:** ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تَصْحَبْ إلاَّ مؤمنًا ولا يَأْكُلْ طعامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ».

رواه أحمد ٣/ ٣٨، وأبو داود ٤٨٣٢، والترمذي في الزُّهد ٢٢١٤، وابن حبان بالموارد ٢٠٤٩، ٣٠٥٠، ٢٥٢٢، والحاكم ٤/ ١٢٨، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وقال النووي في رياضه: إسناده لا بأس به.

في الآية الكريمة مشروعية الدعاء بالمغفرة للنفس والوالدين وكل المؤمنين، وخاصة من دخل منهم بيت الإنسان الداعي.

أما الحديث الشريف فجاء يحذِّر من صحبة غير المؤمن؛ لأنَّ صحبة قرناء السوء كالكفَّار والفسَّاق والسُّفهاء وذوي الأخلاق المنحرفة تؤثر على الإنسان ولو كان مؤمنًا... فإنَّه مع توالي الأيام يَنْسَاقُ معهم في فجورهم وانحرافاتهم.

كما أنَّه ينبغي للمؤمن أن لا يطعم إلاَّ الأتقياء؛ لأنَّ غيرهم سيستعينون بذلك الطعام على معاصي الله وربَّما كان مشاركًا ومساعدًا لهم، ثمَّ إنَّ

المطاعمة توجب الأُلفة وتؤدِّي إلى التَّوادد، وذلك ينافي الحب في الله والبغض في الله.

قال أبو حامد رحمه الله تعالى في الإحياء: الإِخوان ثلاثة: أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلاَّ الدين، وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلاَّ الخُلُقَ، وأخ لتستأنس به فلا تراع فيه إلاَّ السلامة من شرّه وخبثه وفتنته.

وبه تمَّ الكلام على سورة نوح، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الجِنّ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

آياتها كسابقتها ثمان وعشرون، وهي تتحدَّث عن الجن الذين استمعوا لقراءة النبي ﷺ وآمنوا به وذهبوا إلى قومهم منذرين، وإخبارهم بما كانوا عليه من قبل وما نزل بهم، وانقسامهم إلى راشدين وقاسطين ظالمين، وإنَّ القاسطين حطب جهنَّم.

من خصائص هذه السورة

١ ـ تناولت بالكلام فريقًا من الجن وهم الذين استمعوا إلى قراءة النبي ﷺ فآمنوا، وكيف أنهم دعوا قومهم للإيمان... إلخ، آيات ١ ـ ١٩.

٢ ـ ذكر أن من الجن صالحين وغير ذلك، آية ١١.

٣ ـ ذكر أن المساجد لله فلا يدعى فيها إلاَّ الله، آية ١٨.

٤ ـ ذكر أن الغيب علمه عند الله فقط إلاَّ من ارتضاه الله من الرسل، آيتان ٢٦، ٢٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)... ﴾ الآيات.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم.. انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبرِ السماء وأُرْسِلَ عليهم الشُّهُب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خَبَرِ السماء وأُرْسِلَت علينا الشُّهب قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاَّ شيء حَدَث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ بِنَخْلَة وهو عامد إلى سوق عُكاظ وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾، وأنزل الله عزَّ وجلّ على نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أوحى الله قول الجن».

رواه البخاري في صفة الصلاة رقم ٧٧٣، وفي التفسير ١/ ٢٩٦، ٣٠١، ومسلم في الصلاة ٤٤٩، والترمذي ٣١٠٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٩، والحاكم ٢/ ٥٠٣، ثلاثتهم في التفسير.

وعنه قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة فتكون حقًّا، وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بُعِث رسولُ اللّـهِ ﷺ مُنِعُوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم

تكن النجوم يُرْمَى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلاَّ من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلِّي بين جبلين، ـ أُراه قال: بمكَّة ـ، فلقوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

رواه أحمد ١/ ٢٢٤، والترمذي ٣١٠٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٠، كلاهما في التفسير، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

وعن علقمة رحمه الله تعالى قال: قلنا لعبد الله: هل صحب النبي ﷺ منكم أحد ليلة الجن؟ قال: لم يصحبه منَّا أحد ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالْتَمَسْنَاهُ في الأَوْدِية والشِّعَاب، فقلنا: اسْتُطير واغْتِيلَ، قال: فبتنا بِشَرٍّ ليلة بات بها قوم، فلمَّا أصبحنا إذا هو جاء من قبل حِرَاء قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبتُ معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزَّاد فقال: «لكم كلُّ عظم ذُكِر اسمُ اللَّـهِ عليه يقعُ في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بَعْرَة عَلَفٌ لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم».

رواه أحمد ١/ ٤٣٦، والطيالسي ١٤٣، ومسلم في الجهر بالقراءة في الصحيح ٤/ ١٦٩، ١٧٠، وأبو داود رقم ٣٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩٩، والترمذي في التفسير ٣٠٤٤، وغيرهم.

حديث ابن عباس فيه بيان سبب نزول ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، وفي هذه القصة لم يرهم النبي ﷺ ولا قصد القراءة عليهم، وإنما كانوا طوافين في الأرض ليتعرَّفوا على سبب ما حدث لهم، فمروا بالنبي ﷺ وهو يصلِّي صلاة الصبح بأصحابه بنخلة فاستمعوا إلى قراءته فآمنوا به ثمَّ علم بهم بواسطة شجرة كما قدمنا في سورة الأحقاف: آية ٢٩، ٣٣.

أمَّا حديث ابن مسعود فهي قصة أخرى كانت الدعوة فيها من الجن فأجابهم وقرأ عليهم القرآن وعلمهم بعض شؤون الدِّين. . . وكل ذلك كان بمكة المكرمة، وانظر ما سبق في الأحقاف.

وأخذ العلماء من حديث ابن عباس كالقرآن أنَّ العبرة بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ؛ لأنَّ هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرَّد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشرّ ما اختارهم للتوجُّه إلى الجهة التي ظهر له أنَّ الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك غلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو هذا قِصَّةُ سَحَرَةِ فِرعون، بل وكبار الصحابة الذين كانوا يعبدون الأصنام قبل إسلامهم.

وفي الحديث أيضًا أنَّ الشياطين والجن اسم لمسمًّى واحد، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان. . أفاده الحافظ رحمه الله تعالى.

١٩ **قوله تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قول الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾، قال: لما رأوه يصلِّي وأصحابه يصلُّون بصلاته ويسجدون بسجوده قال: تعجبوا من طواعية أصحابه له، فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

رواه أحمد ١/ ٢٧٠، والترمذي ٣١٠٦، والحاكم ٢/ ٥٠٤، كلاهما في التفسير وصحَّحاه ووافقهما الذهبي وهو عند ابن جرير ٣/ ١١٨.

﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، في الآية: هو رسولنا الكريم ﷺ. وقوله تعالى: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾، معناه: كاد الجن يركب بعضهم بعضًا من شدَّة

الازدحام حرصًا على سماع القرآن. . . ووصف تعالى هنا نبيّه ﷺ باسم العبودية تشريفًا وتكريمًا له كما وصفه بها في الإسراء وفي سورة الفرقان، وكان هذا الوصف أحب إليه، ولذلك قال كما في البخاري من حديث عمر: «إنَّما أنا عَبْدٌ فقولوا: عبدُ اللّـهِ ورسوله» ﷺ.

وبهذا تمَّت سورة الجن، والحمد للّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُزَّمِّل﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي عشرون آية، والسورة الكريمة محورها الكلام على جانب من جوانب حياة النبي ﷺ الشريفة العطرة وعبادته وتبتُّله ونزول الوحي الثقيل عليه ﷺ. . .

من خصائص هذه السورة

١ ــ نداء النبي ﷺ من الله تعالى بصفة المُزَّمِّل، أي: المتلفف في ثيابه، آية ١.

٢ ــ الأمر الإلـهي بقيامه ﷺ الليل نصفه أو قليلاً منه، آيات ٢، ٣، ٤.

٣ ــ إخباره تعالى نبيّه ﷺ بأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً، آية ٥.

٤ ــ ساعات الليل وقيامه أثقل شيء على الإنسان وأقوم قيلاً، أي: أبين قولاً، آية ٦.

٥ ــ أمره تعالى نبيّه ﷺ بالتبتُّل والانقطاع إلى عبادته، آية ٨.

٦ ــ أمره تعالى رسوله الكريم ﷺ بالهجر الجميل وهو الذي لا عتاب فيه، وكان هذا بالنسبة للكفَّار قبل الأمر بقتالهم، آية ١٠.

٧ ـ التخفيف على المسلمين في صلاة الليل ونسخ فرضيتها عليهم وبيان أسباب ذلك، آية ٢٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ . . .﴾ الآيات.

عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى قال: انطلقنا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فاستأْذنّا عليها فدخلنا، قلت: أَنبِئيني عن قيام رسولِ اللّٰه ﷺ، قالت: «ألستَ تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإنَّ الله افترض القيام في أوَّل هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولاً حتى انْتَفَخَتْ أقدامُهم وأمْسَك اللّٰهُ خاتِمَتَها اثنيْ عشر شهرًا، ثم أنزل الله عزَّ وجلّ التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوُّعًا بعد فريضة».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٠، وفي السهو من المجتبى، وابن ماجه ١١٩١ بسند صحيح، وأخرجه مطوَّلاً أحمد ٦/ ٥٣، ٥٤، ومسلم ٧٤٦، وأبو داود ١٣٤٢، والنسائي في المجتبى.

وعنها: كانت إذا عركت قال لها رسول الله ﷺ: «يا بِنْتَ أبي بكر، اتَّزِري على وسطك»، وكان يُبَاشِرُها من الليل ما شاء الله حتى يقومَ لصلاته وقلَّ ما كان ينام من الليل؛ لما قال الله عزَّ وجلّ له: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٠، وأبو يعلى رقم ٤٩٣٩، والبيهقي ١/ ٣١٢، بسند صحيح، وقسم المباشرة مع الاتِّزار في الصحيحين عنها وعن ميمونة رضي الله تعالى عنهما.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ . . .﴾ الآية نسختها الآية التي فيها قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ . . .﴾ الآية.

وفي رواية: لما نزل أول المُزَّمِّل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان، حتى نزل آخرها، وكان بين أوَّلها وآخرها سنة.

رواه أبو داود ١٣٠٤، ١٣٠٥ من طريقين وكلاهما حسن.

قولها: عركت، بفتحات، أي: حاضت. وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ...﴾، أي: لن تطيقوا قيامه..

وما في الباب يدلّ على أنَّ قيام الليل كان واجبًا على المسلمين كالرسول ﷺ وبقي ذلك سنة كاملة، ثمَّ خفَّف الله تعالى عنهم فنسخ ذلك ورفعه عنهم وبقي فرضًا على رسول الله ﷺ كما هو قول جمهور العلماء، وفضيلة مرغبًا فيه بالنسبة لسائر الأمة. والحكمة في نسخ ذلك هي ما ذكره تعالى في قوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾.

فأسباب التخفيف: المرض، والتجارة، والجهاد في سبيل الله تعالى، فأصحاب هذه الخصال لا يتيسَّر لهم قيام الليل في الغالب، والله عزَّ وجلّ حكيم عليم برٌّ رحيم.

٤ **قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه، أنَّه سُئِل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مدًّا ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يَمُدُّ بسم الله، ويَمُدُّ الرحمن، ويَمُدُّ الرحيم».

رواه البخاري في فضائل القرآن ١٠/٤٦٨، ٤٦٩، والإسماعيلي وأبو نعيم في مُسْتَخرجَيْهما.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أنها سُئِلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

رواه أحمد ٦/ ٣٠٢، وأبو داود ٤٠٠١، والترمذي في التفسير ٢٧٣٤، وابن خزيمة ١/ ١٤٨، والحاكم ٢/ ٢٣٢، والبيهقي ٢/ ٤٤، بسند صحيح وصحَّحه النووي في شرح المهذَّب، وابن الجزري في النشر.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عنه ﷺ: «يقال لقارىء القرآن: اقرأْ وارْقَ ورَتِّل كما كنتَ تُرَتِّل في الدُّنيا، فإنَّ منزلَتَك عند آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُها».

رواه أحمد ٢/ ١٩٢، وأبو داود ١٤٦٤، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٢، وابن حبان ٧٦٦ بالإحسان، والحاكم ١/ ٥٥٢، ٥٥٣، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي. في هذه الأحاديث بيان للترتيل المأمور به في القرآن الكريم، والمراد به الترسُّل والتبيين وإعطاء الحروف حقوقها عند التلفُّظ بها وإخراجها من مد وإدغام وإظهار وغنَّة... وفي هذا الموضوع أُنشِىء علم التجويد.

٥ **قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَس وهو أشَدُّهُ عَلَيَّ، فيُفْصَمَ عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي الملك رجلاً فيُكَلِّمُني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا.

رواه البخاري في بدء الوحي ١/ ٢٠، ومسلم في الفضائل ١٥/ ٨٨، والترمذي في المناقب ٣٤٠٩، وقد تقدَّم ص ٧٤٠.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هل تحسّ بالوحي؟ فقال

رسول الله ﷺ: «أَسْمَعُ صَلاَصِلَ ثُمَّ أَسْكُت عندَ ذلك، فما من مرَّة يُوْحَى إليَّ إلاَّ ظننتُ أنَّ نَفْسِي سَتُقْبَضُ».

رواه أحمد ٢/ ٢٢٢ ورجاله ثقات، وابن لهيعة حسن الحديث وخاصة في الشواهد، وقال النور في المجمع ٨/ ٢٥٦: رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن، أما الشيخ أحمد شاكر فصحَّحه على عادته في التصحيح لابن لهيعة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن كان لَيُوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا.

رواه أحمد ٦/ ١١٨، قال النور في المجمع ٨/ ٢٥٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت تُرَضُّ فخذي.

رواه البخاري في الصلاة، وفي الجهاد ٦/ ٣٨٥، وفي التفسير ٩/ ٣٢٩، والترمذي ٢٨٣٧، والنسائي في المجتبى ٦/ ٩.

قوله: فيفصم، أي: يقلع عني. وقوله: صلصلة الجرس: صوته. والجَرَس، بفتحتين: هو الناقوس. ليتفصد، أي: ليسيل. صلاصل، أي: أصواتًا. وقولها: بجرانها، بكسر الجيم: وهو مقدّم عنقها. وقوله: ترض، أي: تدق أو تكسر.

وفي هذه الأحاديث بيان عظم الوحي وشدَّته وثقل نزوله، وأنَّ النبي ﷺ كان يعاني ويلاقي متاعب ومشاقًا عند نزول الوحي، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾، يحتمل الثقل المذكور، ويحتمل ثقل التكاليف التي فيه، أو ثقله في الآخرة لمن عمل به، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه وإحسانه آمين.

(١٧) قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتي فَيَمْكُث أربعين ــ لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا ــ، فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عُروةُ بن مسعود فيطلُبُه فيُهلِكُهُ ثم يمكُث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل اللّـهُ ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرَّة من خير أو إيمان إلاَّ قبضَتْه حتى لو أنَّ أحدكم دخل في كَبِدِ جبل لدخلته عليه حتَّى تقبضه قال: سمعتها من رسول الله ﷺ». قال: «فيبقى شرارُ الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثَّل لهم الشيطان فيقول: لا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رِزقُهم، حَسَنٌ عيشُهم، ثم يُنفَخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاَّ أصغى ليتًا ورفع ليتًا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله ــ أو قال: ينزل الله ــ مطرًا كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس، هلم إلى ربكم ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الوالدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق».

رواه مسلم في الفتن، باب ذكر الدجَّال ١٨/ ٧٥، ٧٦، ٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠١.

قوله: كبد جبل، أي: وسطه. وقوله: في خفة وأحلام السباع، أي: يكون الناس وقتئذ في سرعتهم إلى الشر والفساد وغشيان الشهوات كسرعة الطير في طيرانها، وفي الظلم والعدوان وتسلُّط بعضهم على بعض كالسباع العادية. وقوله: أصغى ليتًا... إلخ، بكسر اللام، ومعناه: أمال جهة

صفحة عنقه ورفع الأخرى. وقوله: يلوط حوض، أي: يصلحه. وقوله: الطل، بالطاء، وهو الصحيح، أي: كمني الرجال كما جاء في حديث آخر.

هذا حديث عظيم في فتن آخر الزمان، وفيه ذكر الدَّجَّال، وعيسى، ولبثه في الأرض، وقَبْضِ أرواح المؤمنين بالريح الطيِّبة، وفشوّ الجهل، وعبادة الأوثان، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة القيام لرب العالمين، ثم بعث أهل النار، ثم الشَّاهد من الحديث الموافق للآية الكريمة الإخبار بأنَّ ذلك اليوم لشدَّة أهواله وشدائده ومواقفه الحرجة ومشاهده الخطيرة ستشيب فيه الولدان وتتغيَّر فيه الطبائع، نعوذ بالله عزَّ وجلّ من هوله بمنِّه وكرمه.

٢٠ **قوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث المسيء صلاته أنه ﷺ قال له: «. . . ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن».

رواه البخاري في الصلاة ٢/ ٣٨٣، وفي الاستئذان، ومسلم في الصلاة ٤/ ١٠٦، ١٠٧، وباقي الجماعة كلهم في الصلاة مطوَّلاً. وقد ذكرته في بداية الوصول وفي إتمام المنَّة كاملاً.

الآية الكريمة جاءت في التخفيف في قيام الليل، وأنَّ المسلم المتهجد له أن يأتي ويقرأ بما تيسَّر وأمكن في صلاة الليل بعشر آيات، أو مائة أو أكثر حسب الاستطاعة والنشاط والزمان والفراغ وهدوء الليل، فالأمر في ذلك واسع والحمد لله، علمًا بأنَّ لقيام الليل فضلاً كبيرًا وله تأثير في تنوير القلوب لمن تدبَّر وتخشَّع . . .

٢٠ **قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾.**

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أيُّكم مالُه أحبُّ

إليه من مال وارثه»، قالوا: يا رسول الله، ما منَّا من أحد إلاَّ ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلاَّ ذاك يا رسول الله، قال: «ما منكم رجل إلاَّ مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر».

رواه أحمد ١/ ٣٨٢، والبخاري في الرقاق رقم ٦٤٤٢، ج ١٤/ ٣٦، والنسائي في الوصايا من المجتبى، والبيهقي ٣/ ٣٦٨، وغيرهم.

الآية والحديث يدلاَّن على أنَّ ما قدَّمه الإنسان في الدنيا من خير صدقة كانت أم غيرها من أنواع الخير سيجد ثوابه عند الله عزَّ وجلّ أوفر ما يكون، وفي ذلك حضّ على ما يمكن تقديمه من أنواع القربات وخاصة ما يتعدَّى نفعه كالإنفاق في أبواب الخير.

وبهذا تمَّت سورة المُزَّمِّل، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُدَّثِّر﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست وخمسون آية، وأهدافها الكلام على بعض أحوال النبي ﷺ وأمر الله تعالى إيَّاه بإنذار الناس، ثم بيان بعض صفات الكفرة الطُّغاة. . . والكلام على أهل الجنَّة وأهل النَّار وما يتحاوران فيه.

من خصائص هذه السورة

١ ـ خطاب الله تعالى نبيّه ﷺ بالمدَّثِّر، وهو كالمُزَّمِّل وزنًا ومعنًى، وأصله المتدثّر، أي: المتلفف والمتغطِّي بالدثار، وهو الغطاء الذي يكُون فوق. . . آية ١.

٢ ـ هذه السورة الكريمة هي أول سورة نزلت تأمر بالتبليغ والإنذار بعد فتور الوحي، آية ٢.

٣ ـ ذكر ذلك الطاغية الجبَّار الشقي الخاسر الوليد بن المغيرة، وبيان بعض صفاته العَفِنَةِ، وما قاله في القرآن الكريم المقدَّس، وذكر ما أعدَّ الله له من عظيم عقابه وأليم عذابه، آيات ١١ إلى ٣٠.

٤ ــ بيان الملائكة المكلفين بالنار، وهم الزبانية، وذكر عددهم وحكمة ذلك، آية ٣٠.

٥ ــ جنود الله كثيرة ولا يعلم عددها إلاَّ هو سبحانه وتعالى، آية ٣١.

٦ ــ كل نفس ستكون يوم القيامة رهينة بما كسبت وقدَّمت يداها إلاَّ أصحاب اليمين، آيتان ٣٨، ٣٩.

٧ ــ تساؤل المؤمنين في الجنة عن الكفار وسبب دخولهم النار وجواب الكفار عن ذلك ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾، فلم يكونوا يصلون كالمسلمين ولا كانوا يؤدون حقوق الله... في أموالهم، وكانوا يتحدَّثون بالأباطيل وما لا خير فيه، وكانوا مع كل ذلك يكذبون بالبعث ويوم القيامة، آيات ٤٠ إلى ٤٦.

٨ ــ ضرب المثل للكفار المعرضين عن سماع القرآن وفرارهم من ذلك بالحمر الوحشية التي تفرّ إذا عاينت الأسد وهو القسورة، آيتان ٥٠، ٥١.

٩ ــ ختم السورة بأنَّ الله عزَّ وجلّ هو أهل التقوى وأهل المغفرة، آية ٥٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

﴿١﴾ **قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه، أنَّه سمع رسول الله ﷺ وهو يحدِّث عن فترة الوحي: «فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض فرُعِبتُ منه فرجعت فقلت: زمّلوني زمّلوني، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾، فحمي الوحي وتواتر.

رواه البخاري في بدء الوحي ١/ ٣١، وفي بدء الخلق، وفي الأدب، وفي التفسير

١٠/ ٣٠٥، ٣٠٦، ومسلم في الإيمان ١٦١، ٢٥٥، ٢٥٦، والترمذي في التفسير ٣١٠٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٢، ٥٠٣.

وفي رواية عن يحيى بن كثير قال: سألت أبا سلمة: أيُّ القرآن أُنْزِل أَوَّل؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾، فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أيّ القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾، فقلت: نُبِّئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، فقال: لا أخبرك إلاَّ بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «جاورتُ في حراء فلمَّا قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديتُ فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت: دثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماءً باردًا، وأُنزِل عليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾.

هذا رواه البخاري في التفسير.

والحديث بالرواية الأولى يخبر أنَّ هذه السورة نزلت بعد فترة الوحي، بينما الرواية الثانية ظاهرها يدلّ على أنَّها أوَّل ما نزلت، والصحيح أنَّ أوَّل ما نزل إطلاقًا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، ثم فتر الوحي مدَّة، ثم جاءت رؤيته ﷺ للملك وهو جالس على كرسي بين السماء والأرض فجاءه بهذه السورة ثم تتابع الوحي.

۝٣١ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال ناسٌ من اليهود لأُناس من أصحاب النبي ﷺ هل يعلم نبيّكم كم عَدَدَ خَزَنَةِ جهنَّم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، غُلِبت أصحابُك اليوم، قال: «وبما غُلِبُوا؟»، قال: سألهم يهود هل يعلم نبيّكم كم عدد خَزَنَة

جهنَّم؟ قال: «فما قالوا؟»، قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبيّنا.

قال: «أفغلب قوم سئلوا عما لا يعملون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبيّنا؟! لكنهم قد سألوا نبيّهم فقالوا: أرنا الله جهرةً، فقال: عليَّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدَّرْمَكُ»، فلمَّا جاءوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خَزَنَة جهنَّم؟ قال: هكذا وهكذا، في مرة عشرة، وفي مرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبـي ﷺ: «ما تُربة الجنَّة؟»، قال: فسكتوا هُنَيْهَةً ثمَّ قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النبـي ﷺ: «الخبز من الدرمك».

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٠، ورجاله رجال مسلم، غير أنَّ مجالد بن سعيد مختلف فيه، وروى له مسلم مقارنة وحسَّن له الذهبـي.

الدَّرْمَك: كجعفر، التراب النَّاعم أو دقيق الحُوارى.

في الآية الكريمة أنَّ المكلَّفين بأصحاب النار هم ملائكة الله المكرمون خلقهم لذلك، وهم تسعة عشر ملكًا كل ملك لا يعلم عظمته وخلقته إلاَّ الله عزَّ وجلّ، وليس في قلوبهم مقدار ذرَّة من الرحمة... بل هم متناسبون مع محل نقمة الله وغضبه وعذابه، أجارنا الله من ذلك.

وبهذا تمَّت سورة المُدَّثِّر، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ القِيَامَةِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وهي أربعون آية، وتُعنى بالكلام على البعث والجزاء والقيامة وأهوالها وبيان مشهد من مشاهد الاحتضار.

من خصائص هذه السورة

١ ـ القسم بيوم القيامة والنفس اللوَّامة، آيتان ١، ٢.

٢ ـ ذكر النفس اللوَّامة في هذا الموطن بالذات، وقد ذكرت في موضعين آخرين، الأوَّل: باسم الأمَّارة في يوسف، والثاني: باسم المطمئنة، وستأتي. والنفس اللوَّامة هي نفس المؤمن التقي الذي يلوم نفسه دائمًا على ما فعل أو قصَّر، آية ٢.

٣ ـ التنصيص على ذكر البنان في تسوية الإنسان وإنشائه من جديد للبعث، وهذا يعدّ من الإعجاز العلمي لما علم اليوم في العلوم التجريبية من أنَّ أصعب ما في تركيب الإنسان هو البنان، ولذلك كانت هذه الآية من أسباب إشهار مستشرق إسلامه، آيتان ٣، ٤.

٤ ـ ذكر حالة النبـي ﷺ عند الوحي بأسلوب آخر غير ما في سورة طه، آيات ١٦، ١٧، ١٨.

٥ ـ ذكر آية كريمة فيها ذكر رؤية المؤمنين الله عزَّ وجلّ يوم القيامة في الجنان وهي الآية العظيمة التي اعتمدها أهل السُّنَّة في ذلك، آيتان ٢٢، ٢٣.

٦ ـ ذكر مشهد من مشاهد احتضار الأشقياء الخاسرين، آيات ٢٦ إلى ٣٠.

٧ ـ الإنكار على الإنسان الذي يظن أنه خلق ويترك هملاً بلا تكليف ولا بعث ولا حساب ولا جزاء، آية ٣٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، قال: كان رسول الله ﷺ يُعالِـج من التنزيل شِدَّةً وكان ممَّا يحرِّك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحرِّكهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحرِّكهما، وقال سعيد: أنا أحرِّكهما كما رأيت ابن عبَّاس يحرِّكهما، فحرَّك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، قال: جمعه له في صدرك وتقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، ثمَّ إنَّ علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبـي ﷺ كما قرأه.

رواه البخاري في بدء الوحي ١/ ٣٢، ٣٣، وفي التفسير ١٠/ ٣٠٩، ٣١٠، وفي فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة ٤٤٨، والترمذي في التفسير ٣١١٢، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٣.

«كان يعالج»، أي: يحاول حفظه بمشقّة. كان النبي ﷺ في ابتداء الوحي إذا جاءه جبريل وألقى عليه القرآن تعجّل فجعل يحفظه مباشرة عند التلقّي فأرشده الله عزّ وجلّ إلى ما هو أسهل وأولى به فأمره أن يستمع له أوّلاً، وتكفل له أن يجمعه له في صدره، وثانيًا بعد إلقائه أن يقرأه، ثم ثالثًا على الله تعالى بيانه وإيضاحه.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، أي: علينا أن نقرأه عليك ونجمعه في صدرك بدون معاناة ولا معالجة. وقوله: ﴿قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، أي: قراءته. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، أي: علينا أن نبيّنه ونوضّحه لك، وهذا من لطفه تعالى ورفقه بنبيّه ﷺ.

(٣٢) (٣٣) **قوله تعالى**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هل تَضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحابٌ، وهل تَضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فكذلك تَرَوْنَهُ عزَّ وجلّ»، وفي رواية: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٥، ٢٩٣، ٥٣٤، والبخاري في الرقاق ١٤/ ٢٤١، ٢٤٢، في التوحيد رقم ٧٤٣٧، في قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ومسلم في الإيمان ١٨٢، ٢٩٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٧، ٥٠٤، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٧١، وغيرهم.

وتقدّم حديث صهيب في سورة يونس، في آية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وفيه: «فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبّ إليهم من النظر إليه»، وهو عند مسلم في الإيمان، والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه. كما تقدّم حديث جرير البجلي في سورة ق، آية ٣٩،

وفيه: «أما إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر لا تضامون في رؤيته»، وهو في الصحيحين. والأحاديث في رؤية الرب يوم القيامة متواترة عن النبي ﷺ.

قوله: «هل تضارون»، أي: هل يضرّ بعضكم بعضًا. ورؤية المؤمنين اللّه يوم القيامة متّفق عليها بين أهل السُّنَّة من السلف والخلف، ولم يخالف في ذلك إلاَّ المعتزلة والشيعة، وحق لهم أن يُمنعوا ويُحرموا منها لما هم عليه من الانحرافات.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ بالضاد المعجمة، المراد بها: البهجة المشرقة المضيئة البهيّة المسرورة، والنضرة: النعمة وجمال البشرة والإشراقة الجميلة؛ وفي سورة التطفيف: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾. جعلنا الله عزَّ وجلّ بمنِّه وكرمه من أشرف أهلها.

﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾.

عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾، قاله رسول الله ﷺ وأنزله الله عزَّ وجلّ؟ قال: قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله عزَّ وجلّ.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٤، والطبراني في الكبير ج ١١/ ٤٥٨، والحاكم ٢/ ٥١٠، بسند صحيح، وصحّحه الحاكم وأقرّه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾، أصلها عند العرب أنها أفعل تفضيل من وَلِيَه الشيء إذا دنا منه وقاربه، أي: وليك الشَّرُّ وأوشَكَ أن يُصِيبَكَ فاحْذَر وَانْتَبِه لأمري، فالكلمة ذهبت مذهب المثل في التخويف والتحذير والتهديد، فكأنه قيل له: ويل لك يا أيها الشقي، ثم ويل لك. هكذا قال المفسِّرون.

(٤٠) **قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾.**

عن موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى قال: كان رجل يصلِّي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾، قال: سبحانك اللَّـٰهُمَّ فبلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

رواه أبو داود ٨٨٤، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٨٩، والبيهقي ٢/ ٣١٠، وسنده صحيح. واحتمال عدم سماع موسى بن أبي عائشة من الصحابي يَضْعُفُ بشاهده عن أبي هريرة بلفظ: «من قرأ منكم: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝٨﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشَّاهدين. ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾، فليقل: بلى. ومن قرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ﴾ فبلغ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾، فليقل: آمَنَّا بالله». رواه أحمد ٢/ ٩٤٩، وأبو داود ٨٨٧، والترمذي ٣١٢٩، والبيهقي ٢/ ٣١٠. وهو وإن كان فيه رجل مجهول فإنه يتأيد أيضًا بحديث قتادة رواه ابن جرير ٢٩/ ٢٠١، ٣٠/ ٢٥٠، وهو مرسل صحيح، وله شاهد آخر عن ابن عباس رواه ابن جرير ٣٠/ ٢٥٠، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٨٩ موقوفًا عليه. وعلى أيِّ حال فالحديث حسن يعمل به.

الاستفهام في الآية تقريري، وأحاديث الباب تدلّ على مشروعية الجواب بما فيها. فآية الباب يجاب عنها بسبحانك اللَّـٰهُمَّ فبلى، أي: أنت قادر يا ربَّنا على إحياء الموتى. والباقي ستأتي في مواضعها

وبهذا تمَّت سورة القيامة، والحمد للَّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الإِنسَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

السورة إحدى وثلاثون آية، وهي تتحدَّث بإسهاب عن شؤون الآخرة ونعيم المتَّقين الأبرار، وما حباهم الله وأعطاهم من متعة مع ذكر أوصافهم ونعيمهم بما لم يتقدَّم له ذكر في غير هذه السورة.

من خصائص هذه السورة

١ ـ بيان أنه قد مضى على هذا الإِنسان دهر طويل لم يكن معروفًا، ولا له ذكر عند أحد غير الله، آية ١.

٢ ـ بيان صفات الأبرار ونعيمهم بإسهاب، آيات ٥ إلى ٢٤.

٣ ـ ذكر النذر وأنَّ الوفاء به من صفات الأبرار، آية ٧.

٤ ـ وصف يوم القيامة بالعبوس والقمطرير، أي: الشديد العصيب، آية ١٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ النبـي ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

رواه مسلم ٦/ ١٦٨ في الجمعة، ورويناه عن أبـي هريرة وتقدَّم في ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، آية ٢.

وفيـه مشروعيـة قراءة هاتين السورتين فـي صبـح يوم الجمعة، وذلك لمـا فيهما مـن الكلام عـلى الآخرة. وقـلَّ مـن يقرأ بهما اليوم، والله الموفِّق الهادي.

أما الآية الكريمة فمعناها أنَّه قد مرَّ وقت طويل من الزمان لا يعلم عدده إلَّا الله كان الإنسان فيه مجهولاً لا يعرف ولا يذكر رغم أنه تَقَدَّم في هذا الكون خَلْق غيره من الملائكة والجن. . .

٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مولود يُولدُ على الفِطرةِ حتى يُعرِب عنه لسانه، فإذا أعرب عنه لسانه إما شاكرًا وإما كفورًا».

رواه أحمد ٣/ ٣٥٣. الحديث أورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٢١، وقال: وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة، وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات، فالحديث من هذا الطريق حسن، وأوَّله صحيح أصله في الصحيحين من حديث أبـي هريرة، وقد تقدَّم في سورة الروم.

وقوله: «حتى يعرب. . .» إلخ، يعني: حتى يتكلَّم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ. . .﴾ إلخ، أي: بيّـنّا له طريق الخير وطريق الشرّ ببعثة الرسل وإنزال الكتب، فهو إما أن يكون موفَّقًا فيختار الإيمان وشكر الله عزَّ وجلّ، وإما أن يضلّ فيختار الكفر بالله وعبادة غيره.

وفي صحيح مسلم: «كلُّ النَّاس يَغْدُو فَبَائِـع نَفْسَه فموبقُها أو مُعْتِقها»، فمن وجد خيرًا فليحمد الله عزَّ وجلّ كثيرًا طوال حياته.

(٧) **قوله تعالى:** ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من نَذَرَ أن يطيع الله فليطعْه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه».

رواه أحمد ٦/ ٣٦، ٤١، والبخاري في الأيمان والنذور ٦٦٩٦، ج ١٤/ ٣٩٢، ٣٩٨، وأبو داود ٣٢٨٩، والترمذي في الأيمان والنذور ١٣٩٤، والنسائي في المجتبى ٧/ ١٦، وفي الكبرى ٣/ ١٣٤، وابن ماجه ٢١٢٦.

النذر: إيجاب ما ليس بواجب، كأن يُلزِمَ الإنسان على نفسه شيئًا ما كصيام أو صدقة أو صلاة أو نحو ذلك، فإن كان نذر طاعة وجب الوفاء به، وإن كان معصية حرم الوفاء به، وكان عليه كفَّارة يمين على القول الصحيح كالحانث فيه مطلقًا.

والآية الكريمة جاءت صفة للأبرار وأن من شِيَمهم الوفاء بما أوجبوه على أنفسهم من أنواع الخير والقربات. وللنذر أحكام مستوفاة في كتب السُّنَّة والفقه الإسلامي.

(١٣) **قوله تعالى:** ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾.

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «اشْتَكَتُ النارُ إلى ربّها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضًا فَنَفِّسْنِي، فأذن لها كلَّ عام بنَفَسَين، قال: أشدُّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشدُّ ما تجدون من الحرِّ من حرّ جهنَّم»، وفي رواية: «نفس في الشتاء ونفس في الصيف أشدّ ما تجدون. . .» إلخ.

رواه البخاري في الصلاة ٥٣٧، وفي بدء الخلق ٣٢٦٠، ومسلم في الصلاة

١٦١٧، والترمذي في صفة جهنَّم ٢٤١١، وابن ماجه في الزُّهد ٤٣١٩، وكذا أحمد ٢/ ٥٠٣، وغيرهم.

الزمهرير: شدَّة البرد ونهايته المفرطة، وفي الآية الكريمة بشارة لأهل الجنة وأنهم إذا دخلوها لا يذوقون ولا يرون فيها حرارة شمس ولا شدَّة برد وهذا بخلاف أهل النار. وفي الحديث دليل على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافًا للمعتزلة، وفيه تكلم الجمادات والله عزَّ وجلّ يفعل ما يريد ولا يعجزه شيء.

وبهذا تمَّت سورة الإنسان، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ المُرْسَلَاتِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي خمسون آية، وحديثها يدور حول الآخرة وبيان أهل السعادة والشقاوة وذكر الغيبيات وآثار القدرة في هذه الكائنات.

من خصائص هذه السورة

١ ـ افتتاحها بالقسم بخمسة أشياء لم يتقدَّم لها مثيل بهذا الأسلوب، وهي تشمل الرياح المتتابعة العاصفة الشديدة الهبوب التي تدمِّر ديار الظالمين والمجرمين، كما تشمل الملائكة الموكلة بالسحاب والمفرقة بين الحق والباطل، والتي تنزل بالوحي وتلقي كتب الله تعالى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وهذا القسم جاء مؤكدًا لصحة وقوع الموعود به وهو القيامة والبعث والحساب، آيات ١ إلى ٧.

٢ ـ امتازت بتكرار جملة: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، وفي كل جملة وردت إخبارًا عن أشياء من أحوال

الآخرة وتذكيرًا بأحوال الدنيا، وفي ذلك من العبرة ما لا يخفى، آيات ١٥ إلى ٤٩.

٣ ـ بيان ظل الكفار في جهنَّم وأنه سيكون من دخانها، وسيتفرَّع ثلاث شعب فيؤمرون بالانطلاق إلى التظليل به تهكُّمًا بهم واستهزاءً وسخرية، آيات ٢٩ إلى ٣١.

٤ ـ تشبيهه تعالى الشرر المتطاير من جهنم في عظمته بالقصر العظيم وفي اللون بالجمالات الصفر لسرعتها أو الجمالات بمعنى حبال السفن تجمع بعضها لبعض ـ قاله ابن عباس ـ ، وهذا التشبيه لا وجود له في غير هذه السورة الكريمة، آيتان ٣٢، ٣٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾.**

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار وأنزلت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، فإنَّا لنتلقَّاها مِن فيهِ إذ خرجت علينا حيَّة فابتدرناها فدخلت جُحْرها، فقال رسول الله ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَّكُمْ وَوُقِيْتُم شَرَّهَا...»، وفي رواية: كنا مع رسول الله ﷺ في سفح جبل وهو قائم يصلِّي وهم نيام قال: إذ مرَّت حيَّة فاستيقظنا وهو يقول: «مَنَعَهَا مِنْكُم الَّذِي مَنَعَكُمْ مِنْهَا»، وأُنزِلَت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾.

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٣١٧، وفي التفسير ١٠/ ٣١٣، ٣١٦، ومسلم في السلام ٢٢٣٤، والنسائي في المناسك من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى ٦/ ٥٠٥، والرواية الثانية رواها أحمد ١/ ٤٥٣ بسند حسن لوجود عاصم بن بهدلة المقرىء.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّ أم الفضل رضي الله تعالى عنها سمعته يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾، فقالت: يا بُنَيَّ، ذكَّرتَنِي بقراءتك

هذه السورة أنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

رواه البخاري في القراءة في المغرب ٧٦٣، وفي المغازي، ومسلم في القراءة في الصبح ٤٦٢، وأبو داود ٨١٠، والترمذي ٢٧٦، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٦/ ٥٠٥، وابن ماجه ٨٣١.

الحديث الأول فيه بيان سبب نزول السورة وفيه مشروعية قتال الحيَّات، وقد جاء الأمر بقتلها في رواية عند البخاري، وفيه: «إنَّ الحيَّات شَرٌّ لنا وأنها إذا اختفت وجب تركُها». أما الحديث الثاني ففيه مشروعية قراءة المرسلات في صلاة المغرب، وبه قال جمهور الأئمة، ومن قال بخلاف ذلك ردَّ عليه هذا الحديث.

وبه تمَّت سورة المرسلات، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ النَّبَإِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي أربعون آية، والمحور التي تدور عليه هو الكلام على القيامة والبعث والنشور ودلائل التوحيد وآثار القدرة وبيان مصير أهل النار ومصير أهل الجنَّة.

من خصائص هذه السورة

١ ــ الإنكار على الكفار الذين طالما تساءلوا عن القيامة والبعث وتشكَّكوا في ذلك واختلافهم في وقوعه، آيات ١ إلى ٤.

٢ ــ فيها من أشد الآيات على أهل النار: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾، آية ٣٠.

٣ ــ ذكر بعض صفات نساء أهل الجنة بأنَّهنَّ كَوَاعِبُ، أي: نَوَاهِدُ قد بَرَزَتْ أَثْدَاؤُهُنَّ ولم تتدلَّ، لأنَّهُنَّ أبكارٌ عَذَارَى، وهذا الوصف لم يأت في غير هذه السورة، آية ٣٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾. ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يَقُلْ أحدُكم الكَرْمُ، فإنما الكرم الرجل المسلمُ، ولكن قولوا: حَدَائِقُ الأَعْنَاب».

رواه أبو داود ٤٩٧٤ في الأدب، والنسائي في الكبرى ٥٠٦/٦ بسند صحيح، وأصله في البخاري رقم ٦١٨٣، ومسلم ٢٢٤٧ بلفظ: «لا تقولوا كرْم فإن الكرْم قلبُ المؤمن»، لفظ البخاري.

الآية الكريمة بشارة للأتقياء وأنَّ لهم موضع ظفر وفوز بجنَّات النَّعيم، وبساتين ناضرة فيها حدائق الأعناب الطيبة المتنوعة، ونساء عذارى أبكار قد ظهرت ثديهن. وفي الحديث النهي عن تسمية شجرة العنب بالكرم بل يقال: العنب والله تعالى أعلم.

وبه تمَّ الكلام على سورة النبأ، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النَّازِعَاتِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست وأربعون آية، وهي تتحدَّث عن القيامة وأهوالها ومآل المتَّقين والفاجرين.

من خصائص هذه السورة

١ ــ القسم بملائكة خاصين من المكلفين بقبض أرواح الكافرين والمؤمنين وتدبير شؤون هذا الكون بإذن الله عزَّ وجلّ، آيات ١ إلى ٥.

٢ ــ تسميته تعالى النفختين بالراجفة والرادفة، لأنه بالأولى يرتجف ويتزلزل كل شيء ولا يبقى أحد إلاَّ رجف ومات، وبالثانية التي تأتي بعد الأولى يحيى الناس ويقومون لربّ العالمين، آيتان ٦، ٧.

٣ ــ ذكر مقالة ذلك الطاغية العاتي فرعون الخاسر: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾، آية ٢٤.

٤ ــ تفصيل بعض ما يتعلّق بخلق الأرض والسماء وهو من تتمّة ما تقدَّم في فُصِّلَت: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾، آيات ٢٧ إلى ٣٣.

٥ ـ تسميته تعالى القيامة بالطَّامَّة الكبرى، أي: الداهية العظمى، كما سمَّاها بالواقعة والحاقَّة والقارعة كما تقدَّم، ويأتي، آية ٣٤.

٦ ـ بيان مآل الطَّاغي الذي يؤثر الدنيا على الآخرة، ومآل الخائف التقي الذي ينهى نفسه عن هواها، آيات ٣٧ إلى ٤١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

٦ ٧ **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾.**

عن أُبَـيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، اذكروا الله، جاءتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَة، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه»، قال أُبَـيٌّ: فقلت: يا رسول الله، إنِّي أُكْثِرُ الصلاة عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربعَ؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعلُ لك صلاتي كلَّها، قال: «إذًا تكفى هَمَّك ويُغفر لك ذنبك».

رواه أحمد ١٣٦/٥، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٧٨ بتهذيبي، والحاكم ٤٢١/٢ وصحَّحه. الحديث سنده حسن وهو صحيح لطريق له، قال المنذري: بسند جيِّد.

الراجفة: هي النفخة الأولى التي ترجف فيها الأرض والجبال، وأما الرَّادفة: فهي نفخة القيامة التي تُدَكُّ فيها الأرض والجبال دكًّا.

وفي الحديث تنبيه من النبـي ﷺ وإرشاد لنا وتيقيظ وتذكير... وفيه أن من جعل صلاته على النبـي ﷺ كلها له كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته وغفر ذنبه. جعلنا الله عزَّ وجلّ منهم بمنِّه وكرمه آمين.

(٣٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تَمِيدُ، فخلق الجبالَ فألقاها عليها فاستقرَّت، فعَجبَتْ الملائكةُ من شِدَّةِ الجبال، فقالوا: يا ربّ، هل من خلقك شيء أشدُّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديدُ، فقالوا: يا ربّ، فهل من خلقك شيء أشدُّ من الحديد؟ قال: نعم، النَّارُ، قالوا: يا ربّ، فهل من خلقك شيء أشدُّ من النَّار؟ قال: نعم، الماءُ، قالوا: يا ربّ، فهل من خلقك شيء أشدُّ من الماء؟ قال: نعم، الرِّيح، قالوا: يا ربّ، هل من خلقك شيء أشدُّ من الرِّيح؟ قال: نعم، ابنُ آدم تَصَدَّقَ بصدقةٍ بِيَمِينه يُخفيها عن شماله».

رواه أحمد ٣/ ١٢٤، والترمذي آخر التفسير ٣١٤٩ بتهذيبي، ورجاله ثقات؛ غير أنَّ سليمان بن أبي سليمان الهاشمي لا يُعرف حاله وهو تابعي مستور روى عنه ثقة من رجال الصحيحين، وهو العوام بن حوشب، فالحديث حسن على مذهب بعض أهل الحديث أو صحيح.

جَعْلُ الجبالِ راسياتٍ للأرض مِن حِكْمَةِ الله عزَّ وجلّ ولُطْفِهِ بعباده، فهي آية باهرة وبالتالي نعمة أي نعمة للعباد، ولولاها لتحرَّكت الأرض بنا ومادت وغرقت في المحيطات التي هي أكثر بكثير من اليابس.

والحديث يدلُّ على تفاضل الخلق في العظمة والشدَّة، وأنَّ أعظمها وأشدّها قهر النفس ومحاربتها وحملها على التصدُّق سرًّا من دون أن يطلع عليه أحد.

(٤٢)(٤٣)(٤٤) قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن

الساعة حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾، فكف عنها.

رواه ابن جرير ٣/ ٤٩، والبزار ٢٢٧٩ بكشف الأستار، والحاكم ٢/ ٥١٣ بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم والذهبي، وقال الهيثمي ٧/ ١٣٣: رجاله رجال الصحيح.

وعن طارق بن شهاب رضي الله تعالى عنه، أنَّ النبي ﷺ كان لا يزال يَذْكُرُ مِن شأنِ السَّاعة حتَّى نزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ . . . ﴾ إلخ.

رواه النسائي ٦/ ٥٠٦، وابن جرير ٣/ ٤٩، والطبراني في الكبير ٨٢١٠، وسنده صحيح إلى طارق وهو لم يسمع من النبي ﷺ.

كانوا يسألون النبي ﷺ كثيرًا عن السَّاعة ووقت قيامها، فقال الله تعالى له: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾، أي: ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، فلماذا يُلِحُّون عليك في السؤال عنها، ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾، أي: مردّها ومرجعها، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، والواجب عليك إنذار من يخافها.

وبه انتهت سورة النازعات، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ عَبَسَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثنتان وأربعون آية، وهي تتحدَّث عن ترسيخ العقيدة وبيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان، والنبات، والطعام، ولفت الأنظار، إلى ما في ذلك من نعم سوابغ، ثم الكلام على القيامة وأهوالها.

من خصائص هذه السورة

١ ــ ذكر تلك القصة العظيمة الحاصلة بين نبيّنا ﷺ وبين ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله تعالى عنه ونزول السورة بسببه، آيات ١ إلى ١٠.

٢ ــ لَعْنُ الإنسان من حيث هو لشدَّة كفره وتمرُّده على الله عزَّ وجلّ مع كثرة الإحسان إليه وإمداده بالنعم السوابغ طوال حياته، آية ١٧.

٣ ــ التنصيص على تيسير الطريق على الإنسان وتسهيل خروجه من بطن أمه حتى خرج من قُبُلها من مجرى البول بسهولة، آية ٢٠.

٤ ــ لفت الأنظار إلى التفكُّر في تكوين رزق الإنسان من أين يأتيه، آيات ٢٤ إلى ٣٢.

٥ ــ بيان شدَّة هول يوم القيامة حتى إنَّ الإنسان ليفرّ من أحبّ الناس إليه وأقربهم لديه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥﴾، آيات ٣٤ إلى ٣٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

۝١ ۝٢ **قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقولُ: يا رسول الله، أَرْشِدْني. وعِنْدَ رسول الله ﷺ رجلٌ مِن عُظَمَاءِ المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعْرِضُ عنه ويُقْبِلُ على الآخر ويقول: «أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟»، فيقول: لا. ففي هذا أنزل.

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٤، وابن جرير ٣/ ٥٠، وابن حبان ١٧٦٩ بالموارد، والحاكم ٢/ ٥١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

قوله: ﴿عَبَسَ﴾، أي: كلح وجهه. ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾، أي: أعرض عنه، ولم يكن ذلك منه ﷺ احتقارًا له، وإنما كان ذلك حرصًا منه ﷺ على إسلام ذلك الكافر، فجاءت الآيات الكريمات ترشد نبينا ﷺ إلى ما كان ينبغي له أن يفعله، وهو تذكير الأعمى رضي الله تعالى عنه وإرشاده لعلَّه يَزَّكَّى. وقد ضلَّ هنا أقوام وأساءوا الأدب مع حضرة النبي ﷺ.

۝١٥ ۝١٦ **قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَة، والذي يقرأ القرآن وهو يَتَتَعْتَعُ عليه له أجران». وفي رواية: «وهو عليه شديد».

رواه أحمد ٦/ ٩٨، ١٧٠، ٢٣٩، والبخاري في سورة عبس ١٠/ ٣٢٠، ومسلم

في فضائل القرآن ٦/ ٨٤، وأبو داود ١٤٥٤، والترمذي في التفسير ٢٧١٣.

الماهر: هو الحاذق فيه الحافظ له عن ظهر قلب بإتقان. يتتعتع، التَّتَعْتُع: هو التردُّد في القول، والمراد به يشق عليه. والسفرة: هم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم.

وفي الحديث بشارة لحملة القرآن الماهرين فيه قراءة ورسمًا وأنهم سيكونون مع هؤلاء السفرة الكرام البررة، كما أنَّ القارىء الذي يشقّ عليه القرآن لا يخلو من خير، فإنَّ له أجرين: أجر القراءة، وأجر التعب والشدَّة التي يعانيها في قراءته. جعلنا الله تعالى من القسم الأول بمنّه وكرمه آمين.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «تُحْشَرُون حُفَاة عُراة غُرْلاً»، فقالت امرأة: أَيُبْصِرُ أو يَرَى بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قال: «يا فلانة، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾».

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٧، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٠٠، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه وهو عنده صحيح على شرط الشيخين. وله شاهد عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ الناسُ يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، فقالت له عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾. رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٧، والحاكم ٤/ ٥٦٤، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وهو عند مسلم في الجنة ١٧/ ١٩٢، ١٩٣، بدون ذكر الآية، وفيه: قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض». وحديث ابن عباس أصله عند البخاري في التفسير ٩/ ٣٥٥، ومسلم في الجنَّة ١٧/ ١٩٤، وغيرهما مطوَّلاً بلا ذكر آية.

الحشر: هو الجمع. والغُرْل، جمع أغْرَل، والغُرْلَةُ: هي الجلدة التي تكون على حشفة الذكر فتقطع في الختان. وفي الآية والحديثين إخبار عن

مشاهد يوم القيامة، وأنَّ الناس سيخرجون من قبورهم كما خلقهم الله وأنَّ كل امرىء منهم له ما يشغله ويغنيه عن النظر إلى غيره، فهم عراة نساءً ورجالاً ورغم ذلك لا ينظر أحد إلى سوأتي الآخرين، وذلك لما دهمهم من الأهوال والشدائد والدواهي التي يشيب لها الولدان، ولذلك قال النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنهما: «الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»، وهذا مشهد خطير وخطير أعاذنا الله تعالى منه بمنِّه وكرمه آمين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾، أي: لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب أمر يشغله عن شأن غيره، فلا يفكر إلاَّ في نفسه، حتى إنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليقول كل واحد منهم نفسي نفسي.

وبه انتهى الكلام على سورة عبس، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ التَّكوِير﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي تسع وعشرون آية، وحديثها جاء بالذات عن القيامة وتغيُّر هذا الكون واضمحلاله مع بيان حقيقة القرآن والرسالة . . .

من خصائص هذه السورة

١ ــ امتازت بذكر مشهد القيامة بأسلوب فَذّ مُخِيف، يَهُزُّ القلوب هزًّا مع بيان ما يحدُث من التغيُّرات في كل الكائنات، في الشمس، والنجوم، والجبال، والحيوان، والوحوش، والنفوس، والسماء، والأرض، والبحار. . . آيات ١ إلى ١٤.

٢ ــ ذكر الموءودة بهذه الصفة التي طالما أُقْبِرَتْ حيَّةً على الأيدي الآثمة وأنَّها ستُسأَلُ يومَ القيامة عن سَبَب قتلها، آية ٨.

٣ ــ القسم بالكواكب والليل والصبح بأسلوب لم يعهد له ذكر من قبل، آيات ١٥ إلى ١٨.

٤ ــ ذكر صفات عدَّة لجبريل عليه السلام امتاز بها عن غيره لم تُذكر له في غير هذه السورة، حتَّى اغترَّ بها الزمخشري في كشَّافه، ففضله على

نبيّنا ﷺ، وهو شذوذ منه، كما شذَّ ابن حزم بتفضيل الملائكة على الأنبياء مطلقًا. والكمال لله تعالى وحده، آيات ١٩ إلى ٢١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سَرَّهُ أن ينظُرَ إلى يوم القيامة كأنه رأيُ عينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾».

رواه أحمد رقم ٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، والترمذي ٣١١٦، والحاكم ٢/ ٥١٥ وسنده صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وعزاه في المجمع ٧/ ٣١٨ لأحمد بإسنادين وقال: رجالهما ثقات.

إنما كانت القيامة متجلِّية في هذه السور الثلاث لأنها وصفتها بأوصاف دقيقة مخيفة وحق لها ذلك. نسأل الله السَّلامة والعافية.

وعن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «الشَّمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يوم القِيَامَةِ».

رواه البخاري في بدء الخلق ٧/ ١٠٨، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح.

وأخرجه البزار وزاد فيه: «مُكَوَّران في النَّار»، فقال الحسن ـ يعني البصري ـ وما ذنبهما؟ فقال أبو سلمة: أُحَدِّثُكَ عن رسول الله ﷺ وتقول: وما ذنبهما؟ وورد عن أنس بلفظ: «الشمس والقمر ثوران عقيران في النار»، رواه الطيالسي ٢٢٨٨، وأبو يعلى ٣/ ٤٠١، وابن حبان في المجروحين وهو ضعيف جدًا. وانظر: اللآلىء المصنوعة ١/ ٨٢.

قوله: مكوَّران، أي: مُلَفَّان مع طَمْس نورهما ثمَّ يُلْقَيَانِ فِي النَّار زيادة في عذاب أهلها، وليس معناه أنَّهما سَيُعَذَّبَانِ، كلا، إنهما خلق لله تعالى جُعِلا في النَّار تبكيتًا لمن كان يعبدهما، وليعلموا أنَّ عبادتهم كانت باطلة ولا

يلزم من إلقائهما في النار تعذيبهما، فإنَّ لله تعالى خزنة في جهنم من الملائكة كُلِّفوا بها وبأهلها ولا يحسُّون بعذابها.

٧ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو على المنبر يقول: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال: تزويجهم أن يؤلف كل قوم إلى شبههم.

أورده الحافظ في المطالب رقم ٣٨٠٢، والبوصيري في الإتحاف ٦٦٠٢، وعزياه لأحمد بن منيع في سنده. قال البوصيري: بسند صحيح.

هذا التفسير من قبيل المرفوع، لأنه من عالم الغيب لا مجال فيه للنظر، والله تعالى أعلم. ومعناه كالآية أنه في القيامة يقرن كل صنف بما يشبهه، فالصالح مع الصالح والفاجر مع الفاجر، وقيل: غير ذلك.

٨ ٩ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

عن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله تعالى عنه قال: ذهبتُ أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ قلتُ: يا رسولَ اللّـهِ، إنَّ أُمَّنا كانت في الجاهلية تقْري الضيف وتَصِلُ الرَّحم، هل ينفعها عملُها ذلك شيئًا؟ قال: «لا»، قال: فإنها وَأَدَت أختًا لها في الجاهلية لم تبلغ الحنث، فقال رسول الله ﷺ: «المَوْءُودَةُ والوَائِدَةُ فِي النَّارِ، إلاَّ أنْ تُدْرِكَ الوَائِدَةُ الإسلام».

رواه أحمد ٣/ ٤٧٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٧ بسند صحيح، وهو في المجمع ١/ ١١٩، وقال فيه: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن ابن مسعود بلفظ: «الوائدة والموءودة في النار». رواه أبو داود ٤٧١٧، وابن حبان بالموارد ٦٧، وبالإحسان ١٦/ ٥٢١، ٥٢٢ ورجاله ثقات، ولا يضرّ هنا أبو إسحاق السبيعي.

الموءودة: هي البنت التي كانت تُوَارَى في التراب حيَّةً قبل البلوغ، والوائدة: هي فاعلة ذلك. وكان هذا من عادات الجاهلية القَذِرَة.

والحكم في هذين الحديثين على الموءودة بدخول النار مشكل، ولا سيَّما إذا لم تكن محتلمة فإنها غير مكلفة.

وقد جاء في السُّنَّة الصحيحة ما يخالف هذا. ففي التعبير من صحيح البخاري ٧٠٤٧ من حديث سمرة الطويل في رؤيا النبـي ﷺ، وفيه: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان اللَّذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين».

وأخرج أحمد ٥/٥٨ عن حَسْنَاءَ بِنتِ معاويةَ بن صَرِيم، عن عَمِّها قال: قلت: يا رسول الله، مَن في الجَنَّة؟ قال: «النبـي في الجنة، والشَّهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة». وحسَّنه الحافظ.

وأخرج ابن أبـي حاتم ١٠/٣٤٠٦ عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة.

فما ذكرناه يدلّ على أنَّ الموءودة في الجنة، فيكون حديث الباب مؤوَّلاً ولا بدَّ، وإذا كان من لم تبلغه الدعوة غير مكلَّف ولا معذَّب يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾، فكيف بالصغير وخاصة المظلوم المدفون في التراب حيًّا.

وفي الآية الكريمة أنَّ الله عزَّ وجلّ سيسأل يوم القيامة الموءودة عن سبب قتلها، فيقال لها: بأي ذنب استحققت القتل، فيقتص لها من وائدها الظالم القاسي، اللَّـهُمَّ إلاَّ إذا تاب وأسلم فإنَّ الإسلام يهدم ما قبله.

﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ **قوله تعالى**: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾.

عن عمرو بن حريث رضي الله تعالى عنه قال: صَلَّيتُ خلف النبـي ﷺ الصُّبح فسمعتُه يقرأ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾، وفي رواية: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾.

رواه أحمد ٤/٤٠٧، ومسلم ٤/١٧٨، وأبو داود ٨١٧، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٧.

الخنَّس، جمع خانس: هي الكواكب التي تخنس نهارًا وتختفي عن الأبصار. والكُنَّس: هي النجوم التي تغيب وتستتر عند غروبها. وقوله: والليل إذا عسعس، أي: أقبل بظلامه أو أدبر.

وبهذا تمَّت سورة التكوير، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الانفِطَارِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي تسع عشرة آية، وهي كسابقتها في الكلام على الانقلاب الكوني وذهاب هذا العالم وقيام الساعة وما يظهر عندها من أهوال ودواهي.

من خصائص هذه السورة

١ ـ بَعْثَرَةُ القُبُور وقَلْبُها ونَبْشُ ما فيها من الأموات، آية ٤.

٢ ـ توبيخ الإنسان الغافل الجاهل المغرور بكرم الله وحلمه وكثرة نعمه، آية ٦.

٣ ـ وصفه تعالى الحَفَظَة الكَتَبَة عليهم السلام بالكَرَم وبالعِلم بما نفعله، آيتان ١١، ١٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١ قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قام معاذ فصلَّى العشاء الآخرة،

فطوَّل، فقال النبـي ﷺ: «أفتَّانٌ أنتَ يا معاذُ، أينَ أنتَ من ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾».

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٨ بهذا اللفظ بذكر ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ وسنده صحيح على شرط مسلم. والحديث أخرجه البخاري ومسلم وباقي الجماعة بألفاظ واختلاف في الزيادة والنقصان.

وفيه مشروعية الوسط في القراءة وكراهة التطويل وأنَّ ذلك يؤدِّي إلى فتنة المصلِّين، ولذلك جاء في بعض روايات الحديث: «فإذا صلَّى وحده فليطول ما شاء».

٧ ٨ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

عن بُسْر بن جَحَّاشٍ أنَّ رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفِّه ووضع عليها إصبعه ثم قال: يقول الله تعالى: «يَا ابنَ آدم، أنَّى تُعْجِزُنِي وقد خلقتُك مِن مِثْلِ هذه حتى إذا سَوَّيتُك وعَدَلْتُك مشيتَ بين بردين وللأرض منك وئيدٌ فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغتْ نفسُك هٰذه، وأشار إلى حلقه ــ وفي رواية: حتى إذا بلغت التراقي ــ قلت: أتصدَّق، وأنَّى أوانُ التَّصَدُّق».

رواه أحمد ٤/ ٢١٠، وابن ماجه ٢٧٠٧، وابن سعد في الطبقات ٧/ ٤٢٧، قال البوصيري في الزوائد: وإسناده صحيح رجاله ثقات.

قوله: أنَّى تعجزني، بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، أي: كيف يتسنَّى لك أن تجعلني أو تعتقدني عاجزًا عن إعادتك وإحيائك وأنا الذي أوجدتك من مثل هذه ــ يعني النطفة ــ. وقوله: وللأرض منك وئيد، أي: ثقل.

وفي الآية الكريمة امتنان من الله تعالى على ابن آدم وتعداد نعمه عليه في خلقه وتسويته وتعديله... أما الحديث الشريف فجاء يوبخ الكافر الظلوم الأثيم المنكر للبعث والجزاء.

(١٠) (١١) (١٢) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون ممَّا ضَحِكتُ»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبةِ العبدِ ربَّه يقول: يا ربِّ ألم تُجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: إنّي لا أُجيز على نفسي إلاَّ شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فَيُخْتَمُ على فيه ويقال لأركانه انطِقي، فتنطق بأعماله ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا لكنَّ وسُحْقًا فعنكُنَّ كنت أناضِلُ».

رواه مسلم في الزُّهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٨، وقد تقدَّم.

الكرام... إلخ: هم الحَفَظَة الذين يكتبون حسناتنا وسيِّئاتنا ولا يفارقوننا ليل نهار طوال حياتنا، ولكل شخص منَّا معه ملك عن يمينه وملك عن يساره، يحصون علينا ما نأتيه في هذه الرحلة من حياتنا، فإذا كان يوم القيامة شهدوا على من أنكر شيئًا ممَّا عمله، وهم الأمناء المصدّقون صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا أبد الآبدين.

(١٩) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾، قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا...»، وهكذا نادى بني عبد مناف وعمّه العبَّاس وعمَّته صفية وابنته فاطمة وفي كل يقول: لا أغني عنكم أو عنك من الله شيئًا...» الحديث.

رواه الشيخان، وتقدَّم في سورة الشعراء: آية ٢١٤.

في الآية والحديث التنصيص على أنه لا يملك أحد لأحد شيئًا يوم القيامة بإذنه؛ لأنَّ الملك يومئذ لله وحده. نعم، من أذن الله تعالى لأحد من أصفيائه أن يشفع لمن أراد تعالى رحمته فعل ونفعه بإذنه عزَّ وجلّ. أما أن يملك أحد لآخر بإذنه شيئًا كإدخاله الجنَّة أو إبعاده من النار أو ما إلى ذلك، فهذا ليس لأحد غير الله، فالأمر والحكم والتصرُّف لله وحده في الدنيا والآخرة.

وبهذا تمَّت سورة الانفطار، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المُطَفِّفِينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست وثلاثون آية، وجاءت حربًا سافرًا عنيفًا على المطففين الذين يحبُّون الأموال ويبخسون الناس أشياءهم ويغشُّون ويخدعون الآخرين في الكيل والميزان.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر التطفيف، وهو النقص أو الزيادة في الكيل والميزان، وهو من أكل أموال الناس بالباطل غشًّا وسرقة واختلاسًا وخديعة، ويعدّ من كبار الذنوب، وقد أهلك الله تعالى أمّة برمّتها على هذه الجريمة، وهم قوم شعيب، آيات ١ إلى ٣.

٢ ـ ذكر كتابي الفجار والأبرار، فالأول: في سجِّين، وهو أسفل سافلين، بينما الثاني: في أعلى علِّيِّين، وبينهما بون شاسع، آيات ٧ ـ ٢٢.

٣ ـ ذكر آية ثانية في القرآن تدلّ بمفهومها على صحَّة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنان عندما يحجب الكفَّار وأشباههم عنها من الفجَّار، آية ١٥.

٤ ــ ذكر الرَّيْن، وهو تغشية القلب بآثار الإجرام والذنوب والفواحش، آية ١٤.

٥ ــ بيان ما كان يفعله المجرمون مع المؤمنين في الدنيا من الاستهزاء بهم والتغامز عليهم وتفكههم بذلك وحكمهم عليهم بالضلال، وأنَّ الأمر سينقلب عليهم حيث سيكون المؤمنون متَّكئين في الجنان على الأرائك يضحكون على الكفَّار وينظرون هل أثيب أولئك الأعداء وجوزوا على ما كانوا يصنعون، آيات ٢٩ ــ ٣٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) (٢) (٣) قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لمَّا قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فحسنوا الكيل بعد ذلك.

رواه النسائي في الكبرى ٦/٥٠٨، وابن ماجه في التجارات ٢٢٢٣، وابن حبان ١٧٧٠ مع الموارد، والحاكم ٢/٣٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي وهو عند ابن جرير ٣٠/٩١.

التطفيف: البخس والنقص في الكيل والميزان ونحوهما إما بالازدياد إن اكتال من الغير لنفسه، وإما بالنقص إن كال لهم من عنده، ولهذا فسَّره الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي: من الناس، ﴿يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾، أي: يأخذون حقَّهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾، أي: ينقصون ويبخسون. وحسب المطففين أنَّ الله افتتح الكلام معهم بالويل، وهو الهلاك والخسارة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ استعمل سِبَاعَ بن عُرْفُطَة على المدينة فقرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فقلت: هلك فلان؛ له صاعان: صاع يُعطِي به، وصاع يأخذ به.

رواه البزار، وقال النور في المجمع ٧/١٣٥: ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن مسعود الجحدري، وهو ثقة.

الحديث كسابقه، وظاهر الحديثين أنَّ السورة أو أولها مدنية ولذلك اختلف فيها المفسِّرون، فمن قائل إنَّها مكية، ومن قائل إنَّها مدنية، وقيل: نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة، وقيل: إنَّها مدنية إلاَّ ثمان آيات فمكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾.

٦ **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، يقوم أحدُهم في رَشْحِه إلى أنصاف أُذُنَيْهِ»، وفي رواية: «يَغيب أحدُهم في رشحه».

رواه أحمد ٤٦١٣، ٤٦٩٧، والبخاري في التفسير ١٠/ ٣٢٤، وفي الرقاق رقم ٦٥٣١، ومسلم في الجنة ٢٨٦٢، ١٧/ ١٩٥، ١٩٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٢، وفي التفسير ٣١١٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٠٩، وابن ماجه ٤٤٧٨، وغيرهم.

وعن المقداد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أُدْنِيَت الشمسُ من العباد حتى تكونَ قِيدَ ميلٍ أو اثنين فَتصهرهم الشمسُ فيكونون في الغرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى

عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجمه إلجامًا»، فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، أي: يلجمه إلجامًا.

رواه أحمد ٦/٣، ٤، ومسلم في صفة النار ١٧/ ١٩٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤١.

الرشح: هو العرق. أدنيت الشمس، أي: قربت. قِيد، بكسر القاف، أي: قدر. وقوله: فتصهرهم، بفتح الهاء، أي: تذيبهم. وقوله: حقويه، بفتح الحاء: هو موضع الإزار وتكة السروال. وقوله: يلجمه، بضم الياء وكسر الجيم، أي: يصل عرقه إلى فمه حتى يمنعه من الكلام.

وما في الآية والحديثين موقف خطير هائل ويكون ذلك عقب خروج الناس من القبور وقبل الشفاعة العظمى التي سيحظى بها نبيّنا ﷺ فيَكُونُ النَّاسُ في هذا الموقف تحت حرارة الشمس حسب أعمالهم، ولذلك فمن الناس من يصل عرقه إلى عقبه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى نصفه، ومنهم من يلجمه وهذا سيكون لعامَّة الناس، أما الأفراد الوارد فيهم التظليل فأولئك خارجون عن هذا العذاب عياذًا بالله تعالى منه.

(١٤) **قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبدَ إذا أَذنَبَ ذَنْبًا نُكِتَتْ في قلبِه نكْتةٌ سوداءُ، فإن هو نَزَعَ واستغفرَ وتاب صُقِل قلبُه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلوَ قلبَه فهو الران الذي ذكر الله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

رواه أحمد ٢/ ٢٩٧، والترمذي ٣١١٧، والنسائي ٦/ ٥٠٩ كلاهما في التفسير، وابن ماجه في الزُّهد ٤٢٤٤، وحسَّنه وصحَّحه الترمذي وابن حبان ١٧٧١ بالموارد، والحاكم ٢/ ٥١٧ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

نكتت، النكت: هو الأثر القليل كالنقطة، مثل أثر الوسخ في المرآة. والران: ويقال: الرين من ران هو التغطية والصدأ على القلب يعتري الكفَّار والمسرفين في الإجرام والفواحش، فالذنوب إذا تتابعت على القلب ولم يتب صاحبها أغلقته وأصبح أسود مظلمًا، فإن تاب ورجع إلى الله تعالى صقل وانجلى.

قوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾. ٢٥

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أُراهُ قد رَفَعَهُ إلى النبي ﷺ قال: «أيّما مؤمن سَقَى مؤمنًا شربة ماءٍ على ظَمَإٍ سَقَاهُ اللَّهُ تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيّما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيّما مؤمن كسا مؤمنًا ثوبًا على عُرْيٍ كساه الله من خُضْر الجنة».

رواه أحمد ٣/ ١٣، ١٤، وأبو داود في الزكاة ١٦٨٢، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٧٠ من طريقين هو لهما حسن، وقد حسَّنه المنذري والسيوطي والمناوي.

في الآية والحديث بشارة للأبرار والمحسنين الذين يطعمون الجائعين ويسقون العطشى ويكسون العراة والعرايا، وإنَّ اللَّه عزَّ وجلّ سيجازيهم يوم القيامة من جنس أعمالهم. حقَّقنا الله بذلك بمنِّه وكرمه ووفَّقنا آمين.

وبهذا تمَّت سورة التطفيف، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الانْشِقَاق﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي خمس وعشرون آية، وموضوعها كسوابقها من الكلام على الانقلاب الكوني وأهوال القيامة وبيان أهل السعادة والشقاوة مع توبيخ الكفار على عدم إيمانهم . . .

من خصائص هذه السورة

اختصَّت بالقَسَم بالشَّفَق وما يطرأ للخلائق من ركوبهم الشدائد والأهوال طبقًا عن طبق بداية من الموت، فالقبر، فالبعث، فالموقف، فالحساب، فالمرور على الصراط، ثم الجنَّة أو النَّار. . نسأل الله البر الكريم الرفق والسلامة من كل ذلك.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ . . . ﴾ الآيات.**

تقدَّم حديث: «مَن سَرَّهُ أن ينظُر إلى يوم القيامة كأنَّه رأي عين، فليقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ ».

رواه حم ت كم.

فليعتبر المؤمن بهذه السور وليقرأها بتدبُّر وتمعُّن جيِّدًا؛ لأنَّ هذه السور الثلاث قد جمعت مشاهد القيامة بكل أهواله ومخاويفه وتقلُّباته بأهله.

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، و ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ونحوهما.

رواه أحمد ٥/ ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، وأبو داود ٨٠٥، والترمذي ٢٧٥، والنسائي ٣/ ١٢٩، وابن حبان ٤٦٥ وغيرهم بسند صحيح وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

الحديث فيه مشروعية قراءة الانشقاق والطارق في الظهرين ولا خلاف في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾. ﴿٤﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُلْقِي الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطُوَانَةِ من الذهبِ والفضَّة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتِلتُ، ويجيءُ القاطعُ فيقول: في هذا قَطَعْتُ رحمي، ويجيء السَّارق فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدِي ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيئًا...».

رواه مسلم في الزكاة ٧/ ٩٧، ٩٨، والترمذي في الفتن ٢٠٣٩ بتهذيبي، وابن حبان ١٥/ ٩٠.

أفلاذ، جمع فلذ، بكسر الفاء وسكون اللام: وهي القطعة من اللحم. والأُسطوانة: هي السارية. ومعنى الحديث أنَّ الأرض ستلقي ما في بطنها من المعادن كالذهب والفضة، وهو مبين لبعض ما في الآية الكريمة، فإنَّ الآية أعم منها فإنها تشمل ما في جوفها من الأموات والمعادن وغيرها فستلقي الجميع وتتخلَّى عنهم. قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلَّت عنهم، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقي الحامل ما في بطنها من الحمل، وذلك يؤذن بعظم الهول.

٨ قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾.

تقدَّم حديث: من نوقش الحساب هلك، وهو في الصحيحين. انظر آية ١٩ من الحاقة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللَّـهُمَّ حاسِبْنِي حِسَابًا يسيرًا»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: أن يَنْظُرَ في كتابه فَيَتَجَاوَزُ له عنه، إنَّه من نوقِش الحساب يا عائشة يومئذ هَلَكَ»، زاد في رواية: «وكُلَّ ما يُصِيبُ المؤمنَ يُكَفِّرُ عنه من سَيِّئَاتِهِ حتَّى الشوكة تشوكُه».

رواه أحمد ٦/٤٨، ٨٥، وابن جرير ٣٠/ ١١٥، وابن حبان ١٦/ ٣٧٢، والحاكم ١/ ٥٧، ٢٥٥، ج ٤/ ٢٤٩، ٥٧٩، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وابن إسحاق صرَّح بالتحديث عن أحمد.

في الحديث بيان الحساب اليسير. والعرض هو أن ينظر في كتابه ويرى ما فيه من سيِّئات فيتجاوز الله تعالى عنه ولا يناقشه، وللحساب اليسير أسباب كثيرة وموجبات عدَّة، والنبي ﷺ مع غفران ما تقدَّم له وما تأخَّر يسأل الله عزَّ وجلّ الحساب اليسير، وذلك يدلّ على شدَّة خوفه من الله وعدم أمنه من عذابه تعالى.

١٦ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَقْتُ المغربِ ما لم يَغِب الشَّفَق».

رواه مسلم في المواقيت ٥/ ١١٢، ١١٣ مطوَّلاً.

الشفق، بفتحتين: هو الحمرة التي تبقى على الأفق بعد غيبوبة الشمس، هكذا فسَّره جمهور أهل اللغة والغريب، وهو الظاهر من الحديث

وعمل النبي ﷺ. فوقت المغرب يمتدّ إلى ذهابه فإذا غاب دخل وقت العشاء، وهذا طبعًا في الأقاليم المعتدلة التي يغيب فيها الشفق، وهي وسط الكرة الأرضية التي علم الله أن الإسلام سيكون فيها. . .

٢٠ ٢١ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾.

عن أبي رافع قال: صلَّيتُ مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما العتمة، فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له: فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

رواه البخاري ٢/ ٢١٤، ومسلم ٥٧٨، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/ ٥١٠ وغيرهم.

الحديث يدل على جواز سجود التلاوة في الفريضة، وبه قال جمهور الأئمة، ولم ير ذلك مالك رحمه الله تعالى.

وبهذا تمَّت سورة الانشقاق، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ البُرُوجِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثنتان وعشرون آية وهدفها الغالب عليها هو الكلام على أصحاب الأخدود وما يتبعه.

من خصائص هذه السورة

١ ــ امتازت بالقَسَم باليوم الموعود والشاهد والمشهود، آيتان ٢، ٣.

٢ ــ ذكر قصة أولئك الطغاة العتاة أصحاب الأُخدود الذين عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات بالتحريق بالنار، آيات ٤ ــ ٧.

٣ ــ فاتنوا المؤمنين والمؤمنات إن لم يتوبوا لهم عذاب جهنَّم، آية ١٠.

٤ ــ تعبيره تعالى بانتقامه من الكفَّار بالبطش وأنه شديد في ذلك، آية ١٢.

٥ ــ ذكر خمس صفات وأسماء لله عزَّ وجلّ لم تذكر على هذا الأسلوب في غير هذه السورة: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾، آيات ١٤ ــ ١٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ . . .﴾ الآيات.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿ٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾، و ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾.

رواه أحمد ٢/ ٣٢٧، وغيره.

لا خلاف في هذا، وقد تقدَّم في الانفطار حديث جابر في الموضوع.

(٢) (٣) قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليومُ المَوْعُودُ يومُ القيامة، واليومُ المشهودُ يومُ عَرَفة، والشَّاهد يومُ الجمعة قال: وما طلعت الشمس ولا غربتْ على يوم أفضل منه».

رواه أحمد ٢/ ٢٩٨، والترمذي ٣١٢١، والحاكم ٢/ ٥١٩ بسند حسن أو صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وله شاهد عن أبي مالك، رواه الطبراني. انظر: المجمع ١/ ١٣٥.

في الحديث ما أبهم في الآيتين، فاليوم الموعود: هو يوم القيامة الذي وعد الله به عباده في كثير من سور القرآن وآياته. والمشهود: هو يوم عرفة الذي تشهده الخلائق المؤمنة ويؤمونه من كل أقطار الأرض وأرجائها. أما الشاهد: فهو يوم الجمعة الذي هو أفضل أيام الأسبوع إطلاقًا، وهو الذي تقع فيه النفخة والساعة. . .

(٤) (٥) (٦) قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦﴾.

عن صهيب رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كان ملِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني كبرت فابعث

إليَّ غلامًا أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللَّـٰهُمَّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنَيَّ، أنت اليوم أفضل منِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك سَتُبْتَلَى، فإن ابتُلِيتَ فلا تدل عليَّ.

وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هـٰهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له: مَن رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعى بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه حتى وقع شقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّ به حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بالغلام، فقيل له:

ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاَّ فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللَّـٰهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُور فتوسَّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلاَّ فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللَّـٰهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك: إنَّك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأُخدود في أفواه السكك فخُدَّت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري فإنك على الحق.

رواه أحمد ٦/ ١٦، ١٨، ومسلم آخر صحيحه ١٨/ ١٣٠، ١٣٣، والترمذي ٣١٢٢ بتهذيبي، والنسائي ٦/ ٥١٠، ٥١١، ٥١٢ في الكبرى، زاد الترمذي قال:

يقول الله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾، قال: فأما الغلام فإنه دُفِنَ. قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

مفرق رأسه، أي: وسطه. ذِروته، بكسر الذال وضمها: أعلاه. فرجف، أي: اضطرب. قُرْقُور، بضم القافين: الزورق والسفينة الصغيرة. الأُخدود: شق مستطيل في الأرض. فتقاعست، أي: تأخَّرت.

هذا حديث عظيم فيه فوائد وعبر، وهو مبيِّن للآية الكريمة، فكان أولئك الكفرة مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾، وما كان ذنبهم عندهم إلاّ إيمانهم بالله عزّ وجلّ وحده، ولذا قال تعالى عنهم: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ . . . ﴾ إلخ، وقد ذكرت فوائد هذا الحديث وعبره مفصَّلة في عجائب الأقدمين ص ١٣٨، ١٣٩، إلى ص ١٤٥.

۝٢١ ۝٢٢ **قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ نبي الله ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ خلَقَ لَوْحًا محفوظًا من دُرَّةٍ بيضاءَ صَفَحَاتُها من ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قلمُه نورٌ، للَّهِ في كل يوم ستُّون وثلاثمائة لحظةً، يَخْلُق ويَرْزُق، ويُميت، ويُحْيِـي، وَيُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويفعلُ ما يشاء.

رواه الطبراني في الكبير ١٢/ ٧٢، وسنده لا بأس به في المتابعات والشواهد، فزياد بن عبد الله البكائي مختلف فيه وهو من رجال الشيخين، وليث بن أبـي سليم روى له مسلم مقارنة، وما قيل فيه لا يضرّ هنا.

جاءت الآية الكريمة تخبر بأنَّ هذا الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ هو قرآن عظيم ممجَّد ومقدَّس ومكتوب ومستودع في لوح الله عزَّ وجلّ

محفوظ عنده من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان. وهذا اللوح جاء ذكره في القرآن في عدَّة سور جاء في بعضها معبّر عنه بأم الكتاب وفي أخرى بالذكر...

وجاء في هذا الحديث بعض صفاته وأنه من درَّة وصفحاته من الياقوت وقلمه نور. وقوله: «لحظة» هي من صفات الله تعالى تناسب ذاته التي ليس كمثلها شيء وليست كلحظات خلقه، تعالى وتقدس أن تشبه ذاته الذوات أو صفاته الصفات، وكل ما يخطر ببالك فربنا مخالف لذلك.

وبهذا تمَّت سورة البروج، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الطَّارِقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي سبع عشرة آية، وموضوعها الكلام على خلق الإنسان وأصله بالتدقيق، ثم الكلام على القرآن الكريم وأنه كلام فصل بين الحق والباطل وليس فيه هزل. . .

من خصائص هذه السورة

١ ـ القَسَم بالسماء والطارق الذي هو النجم الثاقب على أنَّ كل نفس عليها حافظ يحفظ عليها ما عملت من خير وشر، آيات ١ إلى ٤ .

٢ ـ لفت الأنظار إلى أصل خلقة الإنسان وتناسله وأنه يخرج من الماء المتدفّق الذي ينحدر من صلب الرجل، ومن بين ترائب المرأة بإذن من الله تعالى وقدرته وإرادته، وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار، آيات ٥ إلى ٧ .

٣ ـ إنَّ يوم القيامة هو يوم تكشف فيه السرائر وتختبر فيه النوايا وتمتحن فيه القلوب، آية ٩ .

٤ ـ بيان أنَّ القرآن هو كلام فصل يفصل بين الحق والباطل وليس فيه هزل ولا لهو ولا باطل، آيتان ١٣ ، ١٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ... ﴾ الآيات.**

تقدَّم حديث جابر أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ: «ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها»، هكذا جاء في بعض روايات الحديث.

(٩) **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾.**

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادرٍ لواء، فقيل: هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان».

وفي رواية لأبي سعيد الخدري: «لكل غادر لواء عند أُسْتِه يوم القيامة»، وفي رواية أخرى له: «لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غَدْره، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».

رواه عنهما مسلم في الجهاد ١٢/ ٤٢، ٤٤.

الغدر محرَّم، من كبار الذنوب، ولا سيَّما من ذوي السلطة والقوَّة، فمن غدر في الدنيا فضحه الله عزَّ وجلّ يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وكشف سرائره أمام الخلائق ووضع له عند أُسته ــ أي: دبره ــ لواء يعرف به، نعوذ بالله من كشف السرائر ومن خزي الدنيا والآخرة.

وبهذا تمَّت سورة الطارق، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الأَعْلَى ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي تسع عشرة آية، وموضوعها: تذكير الإنسان بتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك، وأمره ﷺ بالدعوة إلى الله، ووصف للإنسان في إيثاره الدنيا على الآخرة، مع أن الآخرة خير وأبقى.

من خصائص هذه السورة

١ ـ الأمر بتنزيه الله عزَّ وجلّ لكونه خلق الأشياء فسوَّاها وقدَّر الأمور فهدى العباد إليها، وكونه أخرج المرعى والنبات والحشائش للأنعام ثم صيَّرها بعد الخضرة مهشمة سوداء، آيات ١ إلى ٥.

٢ ـ إخباره نبيّه ﷺ بأنه سيقرئه القرآن ويحفظه عليه فلا ينساه أبدًا إلاَّ ما سيرفعه وينسخه ممَّا يشاء سبحانه وتعالى، آيتان ٦، ٧.

٣ ـ تيسيره وتوفيقه نبيّه ﷺ للشريعة السهلة السمحة التي هي أيسر وأسهل الشرائع وهي دين الإسلام، آية ٨.

٤ ـ الإخبار عن الإنسان بأنه من شأنه إيثار الدنيا على الآخرة رغم أنَّ الثانية خير من الأولى وأبقى، وأنَّ كل ذلك موجود في صحف إبراهيم وموسى، آيات ١٦ إلى ١٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ . . . الآيات.**

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، وربَّما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما.

رواه مسلم ٦/ ١٦٧، وأبو داود ١١٢٢، والترمذي ٤٨٠، والنسائي في المجتبى ٣/ ٩٢، وفي الكبرى ٦/ ٥١٣، وابن ماجه ١٢٨١.

فيه مشروعية قراءة هاتين السورتين في الجمعة والعيدين، وهي السُّنَّة العملية المتَّبعة.

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُصْعَب بن عُمَير، وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عَمَّارٌ وسَعْدٌ وبلالٌ، ثم قدم عُمر في عشرين، ثم قدم رسول الله ﷺ فما رأينا أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، فما قدم حتى نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وسورة من المفصل. وفي رواية: فما قدم حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سور من المفصل.

رواه البخاري في المناقب رقم ٣٩٢٤، ٣٩٢٥، وفي فضائل القرآن ٤٩٩٥، وفي التفسير ١٠/ ٣٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٣.

في الحديث فضيلة للأنصار، بل فضائل. وفيه قِدَمُ هجرةِ مصعب وابن أم مكتوم. وفيه الفرح برسول الله ﷺ ومحبَّة الأنصار له، ولقدومه عليهم. وفيه حرصهم على تعلُّم سور المفصل..

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: صلَّى معاذ بن جبل لأصحابه العشاء فطوَّل عليهم فانصرف رجل منا فصلَّى، فأُخبر معاذ عنه فقال: إنه

منافق، فلمَّا بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي ﷺ: «أتريدُ أن تكونَ فتَّانًا يا معاذُ، إذا أمَمْتَ بالناس فاقرأْ بالشمس وضحاها، و ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، و ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ».

رواه مسلم في القراءة في العشاء رقم ٤٦٥، ج ٤/ ١٨٢، ١٨٣، والنسائي في الصغرى وفي الكبرى ٦/ ٥١٣، وابن حبان في صحيحه بالإحسان ٦/ ١٥٩، ١٦٠، وأصله عند الجماعة بألفاظ كما تقدَّم.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنَّه صلَّى مع النبي ﷺ فكان يقول في سجوده: «سبحان ربِّي الأعلى».

رواه مسلم ٦/ ٦١، وأبو داود ٨٧١، والترمذي ٢٣٥، والنسائي ٢/ ١٤١.

٣ **قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.**

وقد تقدَّم حديث ابن عمرو: «إنَّ اللَّـهَ قَدَّر المقادير قبل أن يخلق السمواتِ والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء».

وهو في مسلم وغيره.

فقوله تعالى: قدَّر فهدى، أي: قدَّر الأشياء قبل كونها وجعل لكل شيء خواصّه ومزاياه، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها كما هدى الأنعام إلى مراعيها والحيوانات والهوام و . . . إلى ما يصلحها ويحفظ عليها حياتها، فسبحان الحكيم العليم القدير القيُّوم. فلو فكَّر الإنسان في هذه الجملة لأخذته الدهشة ممَّا احتوت عليه من عجائب هذا الكون وما سخّر فيه للإنسان وهدي إليه.

١٣ **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾.**

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهلُ النار الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون». . .

رواه أحمد ومسلم وغيرهما وقد تقدَّم.

في الآية والحديث أنَّ الأشقى الذي سيصلى النار الكبرى آيسٌ ميؤوسٌ من الموت، وخروج روحه من جسده، كما أنه آيس من الحياة العادية ومن الأمان من النكال والعذاب.

١٦ ١٧ **قوله تعالى:** ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

عن أبـي موسى رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخِرتَه أضرَّ بدُنياه، فآثِرُوا ما يَبْقى على ما يَفْنى».

رواه أحمد ٤/ ٤١٢، وابن حبان ٢/ ٤٨٦، والحاكم ٤/ ٣٠٨، ٣١٩، والبغوي في شرح السُّنَّة رقم ٤٠٣٨، والقضاعي في مسند الشهاب رقم ٤١٨ وسنده صحيح ورجاله ثقات، وصحَّحه الحاكم وعزاه في المجمع إلى أحمد والبزار والطبراني وقال: رجالهم ثقات ١٠/ ٢٤٩، لكنه منقطع كما قالوا.

الآية الكريمة تخبر بأنَّ الناس من شأنهم إيثار الدنيا وتفضيلها وتقديمها على الآخرة؛ لأنهم يشاهدون زخارفها ونضارتها وشهواتها فيفتنون بها، ولذلك فإنَّهم يقدمونها على الآخرة إلاَّ من رحم الله رغم أنَّ الآخرة أشرف وأفضل وأحسن وأدوم من الدنيا، فينبغي للمؤمن أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى كما جاء في الحديث، فإنَّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له.

رواه أحمد ٦/ ٧١ عن عائشة بسند فيه ضعف.

١٨ ١٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لمَّا نزلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال النبي ﷺ: كان كلّ هذا ــ أو كان هذا ــ في صحف إبراهيم وموسى فلما نزلت: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾، قال: وفَّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥١٣، والبزار ٢٢٨٥، والحاكم ٢/ ٤٧٠، وصحَّحه ووافقه الذهبـي، وأورده الهيثمي ٧/ ١٣٧ برواية البزار وقال: رجاله رجال الصحيح، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الحديث موافق للآية الكريمة وإنَّ ما هو مذكور في هذه السورة من المواعظ هو مثبت في الكتب القديمة المنزلة على خليل الله وكليمه عليهما الصلاة والسلام، فهي ممَّا توافقت عليه الشرائع.

وبه تمَّت سورة الأعلى، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الغَاشِيَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست وعشرون آية، وحديثها عن القيامة وبيان أهل الشقاء وأهل السعادة، ثم الكلام على دلائل التوحيد والقدرة في الحيوان والسماء والأرض والجبال.

من خصائص هذه السورة

١ ـ ذكر النمارق والزرابي في صفة الجنة، آيتان ١٥، ١٦.

٢ ـ لفت الأنظار إلى التفكُّر في كيفية خلق الإبل وذكرها وحدها هنا دون بقيَّة المواشي من بقر وغنم ومعز، لما في خلقتها من العظمة والدلالة على الله عزَّ وجلّ، ولو كان الفيل عند العرب لذكره لهم، سبحانه ما أعظم شانه وأعزّ سلطانه، آية ١٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ . . .﴾ الآيات.**

عن النعمان بن بشير أنه سئل: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ به في الجمعة

على إثر سورة الجمعة قال: كان يقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ .

رواه مسلم ٨٧٨، وأبو داود ١١٢٣، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٥/ رقم ١١١٩، ففيه مشروعية قراءة الغاشية مع سورة الجمعة في صلاتها.

والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تغشى كل الخلائق.

(١٨) (١٩) (٢٠) قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع، فأتاه رجل منهم فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أنَّ الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: «الله»، قال: فمن جعل فيها هذه المنافع؟ قال: «الله».

قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع آللّه أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: زعم رسولك أنَّ علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آللّه أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، ثم ذكر الصدقة والحج... ثم قال في الأخير: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئًا، فلما قفى قال رسول الله ﷺ: «لَئِن صَدَق لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ».

رواه مسلم في الإيمان رقم ١٢، ١/ ١٦٩، ١٧١، والترمذي في الزكاة ٥٥١، والنسائي في الصوم من المجتبى، وفي الكبرى ٢/ ٦٢، ج ٣/ ٤٣٨، والبغوي في شرح السُّنَّة رقم ٤/ ٥، وغيرهم، ورواه البخاري في العلم ١/ ١٥٨، ١٦١ بمعناه.

هذا السائل هو ضمام بن ثعلبة، وجاء حديثه هذا من طرق، وجاء مثل هذا السؤال من حديث طلحة بن عبيد الله وهو في الصحيحين وغيرهما.

وهذا الرجل كان عاقلاً وعارفًا بطريق الاستدلال، ولذلك كان أوَّل ما سأل عليه النبي ﷺ: من خلق هذه الأجرام المشاهَدَة وما فيها من منافع للخلق، ثم بعد ذلك لما أجابه النبي ﷺ بأنَّ كل ذلك خلق الله جعل يسأله بالله آللّه أرسله آللّه فرض كذا وكذا. . .

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ إشارة إلى علم الحيوان، وفي قوله: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨﴾ إشارة إلى علم الفلك، وفي قوله: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ إشارة إلى علم الجغرافيا، وفي قوله: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ إشارة إلى علم طبقات الأرض. فانظر كيف جمع سبحانه وتعالى في هذه الجمل بين عدَّة علوم من العلوم الكونية وقد مرَّ في القرآن الكثير منها مفرقًا.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾. ۝٢١ ۝٢٢

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَن أُقاتل النَّاس حتَّى يقولوا لا إلـه إلاَّ اللّه، فإذا قالوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهم وأموالَهم إلاَّ بحقِّها وحسابُهم على الله، ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾».

رواه أحمد ٣/ ٤٩٤، ومسلم في الإيمان ١/ ٢١١، رقم ٢١، ٤٥، والترمذي ٣١٢٣ في التفسير وفي الإيمان، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٤، والحاكم ٢/ ٥٢٢، وليس عند أحمد الآية.

المصيطر: هو المسلّط، أي: لست عليهم بمسلّط، ولا قهّار تجبرهم على الإيمان.

فالآية والحديث يدلاَّن على أنَّ مهمة الرسول ﷺ هي التبليغ والتذكير ثمَّ القتال لمن أبـى الإسلام وشرائعه وامتنع من أداء الجزية. . . وليس من مهمَّته ﷺ إجبارهم على الإسلام، فإنَّ الهداية والتوفيق بيد الله.

(٢٣)(٢٤) قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ: «كلُّ أُمَّتي يَدخلون الجنَّةَ إلاَّ مَن أَبَـى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبـى؟ قال: «مَن أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبـى».

رواه أحمد ٢/ ٣٦١، والبخاري في الاعتصام رقم ٧٢٨٠، والحاكم ١/ ٥٥.

وعنه في رواية قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَدْخُلُنَّ الجنة إلاَّ مَن أَبَـى وشردَ على الله كَشرادِ البعير».

رواه الحاكم ١/ ٥٥، ٤/ ٢٤٧ بسند صحيح على شرط الشيخين، وله شاهد عن أبـي أمامة عند أحمد ٥/ ٥٨، والحاكم ١/ ٥٥، ٤/ ٢٤٧، وأورده النور في المجمع ١٠/ ٧٠، ٧١، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير علي بن خالد وهو ثقة، وله شاهد آخر عن أبـي سعيد الخدري بلفظ: «لَتَدْخُلُنَّ الجنة كلُّكم إلاَّ مَن أبـى وشَرَد على الله كشرادِ البعير» الحديث، رواه ابن حبان ١/ ١٩٦، ١٩٧، وعزاه النور ١٠/ ٧٠ إلى أوسط الطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح.

أَبَـى، أي: امتنع. وقوله: شرد، بفتحتين، أي: نفر.

لا يدخل النار إلاَّ من شرد وفر عن الله وأعرض عنه وعن دينه كلية، أما من آمن به وبرسوله وبما جاء به واتَّبع هديه واقتفى أثره ﷺ حسب طاقته دخل الجنة إن شاء الله رحمةً منه وفضلاً.

وبه تمَّ الكلام على سورة الغاشية، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الفَجْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثلاثون آية، وتتحدَّث عن بعض قصص الأقدمين كعاد وثمود وفرعون، الطغاة المفسدين العتاة، وما نزل بهم من أليم عقاب الله عزَّ وجلّ.

ثمَّ الكلام على بعض أخلاق العباد عند الابتلاء، ثمَّ الإشارة إلى يوم القيامة وذكر بعض مشاهدها. . .

من خصائص هذه السورة

١ ــ القَسَم بالليالي العشر من ذي الحجَّة، والشَّفع والوتر من كل شيء، آيات ١ ــ ٣.

٢ ــ ذكر عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، آيات ٦ ــ ٨.

٣ ــ بيان حالة الإنسان عند الابتلاء بالخير والشر وما يقوله ويعتقده عندئذ، آيتان ١٥، ١٦.

٤ ــ ندامة الكافر والمقصّر يوم القيامة وتمنّيهما تقديم العمل الصالح ليومهما ذلك، وأنّى لهما ذلك؟ فقد فات الوقت والأوان!!، آيتان ٢٣، ٢٤.

٥ ــ التنصيص على أنه لا يعذب عذاب الله أحدٌ ولا يوثق وثاقه أحد، آيتان ٢٥، ٢٦.

٦ ــ ذكر النفس المطمئنة الزكية الطاهرة التقية وما ستُنَادَى به عند الاحتضار.. ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ ﴾، آيات ٢٧ إلى ٣٠. اللَّـهمَّ اجعلنا من أهل هذه النفس الطاهرة آمين.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ ... ﴾ الآيات.**

في حديث جابر رضي الله تعالى عنه في قصة صلاة معاذ... «فأين أنت من ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ و ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾».

تقدَّم تخريجه في الانفطار وغيرها، وهو بهذا السياق رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥١٥.

(٢) (٣) **قوله تعالى: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما مِن أيَّام العمل فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلاَّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».

رواه أحمد ٢/ ٢٢٤، ٣٣٨، والبخاري في العيدين رقم ٩٦٩، وأبو داود ٢٤٣٨، والترمذي ٦٦٩، وابن ماجه ١٧٢٧ كلهم في الصوم.

في الحديث فضل أيام العشر من ذي الحجَّة، وأنَّ العمل فيها لا يوازيه إلاَّ عمل رجل خرج لجهاد العدو بماله ونفسه فاستشهد وقتل ولم يرجع بشيء من ذلك، وهذا فضل فائق.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ قال: «إنَّ العشرَ عشرُ الأضحى، والوتر يومُ عرفة، والشفعَ يومُ النحر».

رواه أحمد ٣/ ٣٢٧، والنسائي ٦/ ٥١٤، والبزار ٢٢٨٦ كشف الأستار، والحاكم ٤/ ٢٢٠، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبـي، وسنده صحيح لولا عنعنة أبـي الزبير.

الحديث مفسِّر للعشر والشفع والوتر. واختلفت في ذلك أقوال المفسِّرين كما يعلم من ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(١٧) قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾.

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما قليلاً.

رواه أحمد ٥/ ٣٣٣، والبخاري في الأدب من صحيحه ١٣/ ٤٣، وفي الأدب المفرد ١٣٥، وأبو داود في الأدب ٥١٥٠، والترمذي في البر والصلة ١٧٦٤ بتهذيبـي.

ونحوه عن أبـي هريرة بلفظ: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتَّقى الله».

رواه مسلم في الزهد ١٨/ ١١٣.

ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وفيه زيادة: «والساعي على اليتيم والأرْمَلَةِ والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والصائم القائم لا يفتر».

رواه أبو يعلى ٤/ ٢٦٣، والطبراني في الأوسط ٤٧٣٩، وفيه ليث بن أبـي سليم، ولا يضرّ، فإنَّ له شاهدًا عن أبـي هريرة مثله غير أنَّه قال: «كالصَّائم لا يفطر وكالقائم لا ينام» رواه النسائي في الكبرى ٢/ ٤٦، وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٥٥، ومالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن، وسنده صحيح على شرطهما بل هو في صحيح البخاري ومسلم. انظر ما سبق في الكلام على آية ٣٦ من سورة النساء.

وقوله: كافل اليتيم، أي: القائم بنفقته وتربيته والإحسان إليه.

وفيه فضل عظيم لمن وفَّقه الله للإحسان إلى اليتيم ومن معه. والآية الكريمة جاءت منكرة على من يهملون اليتامى فلا يطعمونهم ولا يحسنون إليهم، كما لا يحثّون على إطعام المحتاج والمسكين.

٢٢ **قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.**

في حديث الشفاعة الطويل... «فيجيء الله تعالى لفصل الخطاب».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الصراط والرؤية.. «فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا...» الحديث.

رواه البخاري في الرقاق ١٤/ ٢٤٦ مطوّلاً.

هذا المجيء مما يجب الإيمان به على ما أراد الله عزَّ وجلّ، قال ابن كثير: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، يعني: «لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحدًا بعد واحد فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم، حتى تنتهي النوبة إلى سيِّدنا محمد ﷺ فيقول: أنا لها أنا لها، فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك، وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدَّم بيانه في سورة سبحان، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا...».

فيجب علينا أن نؤمن بمجيئه تعالى يوم القيامة ليفصل بين العباد ويكلِّمهم ويحاسبهم بدون ترجمان، ومجيء الملائكة كذلك صفوفًا متتابعة، وذلك لا بدَّ أن يقع كما أخبر القرآن الكريم ونطقت به السُّنَّة النبوية

مع اعتقادنا أنَّ الله عزَّ وجلّ ليس كمثله شيء، وما يقع في الآخرة هي أمور خارجة عن مستوى عقولنا ومن عالم الغيب.

٢٣ **قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.**

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كلِّ زمام سبعون ألفَ ملَكٍ يَجُرُّونَها».

رواه مسلم في الجنة ١٧/ ١٧٩، والترمذي في صفة جهنَّم ٢٣٩٠.

الآية والحديث متَّحدان في أنه يؤتى بجهنَّم يوم القيامة، وذلك بموقف الناس لترعب الكفَّار وترهبهم وتزعجهم. وهذا أيضًا من عالم الغيب ممَّا لا نعلم كيفيته فيجب الإيمان به وكفى.

٢٤ **قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾.**

عن محمد بن عَمْرَةَ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ عَبْدًا خَرَّ على وَجْهِهِ مِن يوم وُلِد إلى أن يموتَ في طاعة الله لَحَقَرَهُ يومَ القيامة، ولَوَدَّ أنَّه رُدَّ إلى الدنيا كيما يَزدادَ من الأجر والثواب».

رواه أحمد ٤/ ١٨٥ بسند صحيح، وهو من قبيل المرفوع؛ لأنَّه لا مجال فيه للنظر.

والآية والحديث يدلَّان على أنَّ الإنسان من حيث هو سيتمنَّى يوم القيامة أن لو قدَّم لحياته تلك، أمَّا الكافر والمقصِّر فأمرهما واضح. وأما الطائع التقي والمقتصد فلِمَا يريان من عظم الجزاء، نسأل الله البرّ الرحيم أن يعاملنا بفضله وكرمه.

وبه تمَّ الكلام على سورة الفجر، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ البَلَدِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي عشرون آية، وهي من السور التي بدأها الله عزَّ وجل بصيغة القسم المنفي، للفت السمع إلى أهمية الموضوع، وتحدثت السورة عن الإنسان المعاند الذي يظن أنه لن يقدر الله عليه، وعن الأعمال التي يقتحم بها العبد العقبة، ثم تصف حال المؤمنين وحال الكافرين في الآخرة.

من خصائص هذه السورة

١ ــ قَسَمهُ تعالى بالبلد الأمين ورسول الله به، وبالوالد وما ولد، والمراد بذلك على قول الجمهور آدم وذرِّيَّته الصالحون؛ على أنَّ الإنسان في كبد وشدَّة يقاسي المتاعب والشدائد طوال وجوده بداية من حمله فولادته فرضاعه ففطامه فطفولته فشبابه فكهولته فشيخوخته، فهو في كل هذه المراحل في تعب وشدَّة ثم تكون خاتمته سكرات الموت، آيات ١ إلى ٤.

٢ ــ إنكاره تعالى على بعض العتاة أهل الغرور الذي كان يظن أن لن يقدر عليه أحد لقوَّته وأنَّ أمره يخفى على الله عزَّ وجلّ، آيات ٥ ــ ٧.

٣ ــ امتنان الله عزَّ وجلّ على عباده بنعمه العظام السوابغ التي جعلها للإنسان كالعينين مثلاً واللسان والشفتين، وكونه بيَّن له طريقي الخير والشرّ، آيات ٨ ــ ١٠.

٤ ــ بيان العقبة الكؤود التي ينبغي للإنسان أن يجتازها، وهي العمل الصالح الشَّاقّ كفك الرقبة وإطعام اليتامى والمساكين والأقارب أيام الحاجة والجوع مع التواصي بالصبر والرحمة والشفقة، آيات ١١ إلى ١٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

١٣ **قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾.**

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمني عملاً يدخلني الجنة، قال: لئن كنت أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ لقد أَعْرَضْتَ المسألة، اعتِق النَّسَمَة، وفُكَّ الرَّقَبَةَ»، فقال: يا رسول الله، أَوَلَيْسَتَا بواحدة؟ قال: «لا، إن عِتقَ النَّسمةَ أن تُفْرَدَ بعِتقِها، وفَكَّ الرقبةِ أن تُعِينَ في عِتقها. والمِنْحَةُ الوَكُوفُ، والفَيْءُ على ذي الرَّحم الظالم، فإن لم تُطِق ذلك فأطْعِمْ الجَائِعَ واسْقِ الظَّمْآن، وأْمُر بالمعروف وأْنْهَ عَنِ المُنْكَرِ، فإن لم تُطق ذلك فكُفَّ لسانَك إلاَّ من الخير».

رواه أحمد ٤/ ٢٩٩، والبخاري في الأدب المفرد ٦٩، والطيالسي ٧٣٩، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٩٧، ٩٨، والحاكم ٢/ ٢١٧، والبيهقي ١٠/ ٢٧٢، ٢٧٣، والبغوي في شرح السُّنَّة ٩/ ٣٥٤، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع برواية أحمد وقال: رجاله ثقات ٤/ ٢٤٣.

لقد أقصرت الخطبة، أي: جئت بها قصيرة. لقد أعرضت... إلخ، أي: جئت بها عريضة واسعة. والنسمة: ذات الروح. والمنحة الوكوف، أي: غزيرة اللبن.

وفي الحديث فضل فك الرقاب وعتقها إن وجدت مملوكة، وذلك بعض اقتحام العقبة المذكورة في الآية. والعقبة: هي عقبة في الدنيا تمنع دخول الجنة، فإذا اقتحمها العبد سهل الوصول إلى الجنة، وقد وضحت السورة كيف تقتحم هذه العقبة.

وفيه مع ذلك مكارم ينبغي للمسلم الاتِّصاف بها، وهي منحة الماشية والصدقة على القريب المنحرف المعتدي، وإطعام الجائع، وسقي العطشان والأمر بالخير والنهي عن الشر، فمن لم يطق ذلك فلا أقل أن يكون سلبيًّا لا له ولا عليه بأن يكف لسانه عن الآخرين إلاَّ من خير، فالحديث من جوامع الأخلاق.

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

عن سلمان بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقةُ على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ اثنتان: صدقةٌ وصِلَةٌ».

رواه أحمد ٤/ ١٧، ١٨، ٢١٤، والحميدي ٨٢٣، والترمذي ٥٨٢، والنسائي ٥/ ٦٩، كلاهما في الزكاة، ورواه النسائي في الكبرى أيضًا ٢/ ٤٩، وابن ماجه ١٨٤٤، وابن خزيمة ٢٣٨٥، وابن حبان ٨/ ١٣٣، وبالموارد ٨٩٢، ٨٩٣، والحاكم ١/ ٤٣١، ٤٣٢، والبيهقي ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩، والحديث صحيح لشواهده.

في الحديث بيان أنَّ الصدقة على المسكين، وخاصة القريب، فيها خير كبير وهي من اقتحام العقبة، وما ذكر هنا هم أصحاب الميمنة.

وقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾، أي: ذي مجاعة.

وبه تمَّت سورة البلد، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الشَّمْسِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي خمس عشرة آية، أقسم الله فيها بعدة مخلوقات له إظهاراً لعظمته، ثم ذكر جواب القسم بمن أفلح وبمن خاب، وذكر شيئًا من أخبار ثمود قوم صالح، مع الناقة.

من خصائص هذه السورة

١ ـ وهي قَسَمه تعالى بسبع آيات من الكائنات العظام، وهي الشمس وضياؤها، والقمر إذا أعقبها، والنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، وبالليل إذا غطّى الكائنات بظلامه، وبالسماء والذي بناها بلا عمد، وبالأرض والذي بسطها على ماء ممتدّة ممهّدة قارة، وبالنفس الإنسانية التي كلفها الله عزَّ وجلّ وزيّنها بالفضائل والكمالات والذي سوّى خلقتها، آيات ١ إلى ٨.

٢ ـ أَقْسَمَ تعالى بهذه الكائنات السبع إظهارًا لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية، وإشارة إلى ما فيها من مصالح وعظم نفعها وأنها لا بدَّ لها من صانع ومدبِّر لحركاتها وسكناتها، وكان المقسم عليه بهذه الأشياء

هو فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتَّقى الله وزكَّى نفسه، أو خيبته وشقاوته وخسرانه إذا دسَّاها وحقرها بالكفر والذنوب وأوردها موارد الهلكة آيتان ٩، ١٠.

ألهمنا الله رشدنا ووفَّقنا لما فيه صلاحنا وسعادتنا آمين.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ ...﴾ الآيات.**

فيه حديث أنس في قصة معاذ في صلاته العشاء، وقوله ﷺ له: «اقرأ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، و ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ونحوهما».

رواه أحمد ٣/ ١٢٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٥ بسند صحيح على شرطهما، وتقدَّم عن جابر بنحوه في صحيح مسلم وغيره. انظر: «الأعلى».

(٧) (٨) (٩) (١٠) **قوله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.**

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّـهُمَّ إنِّي أعوذ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ والهَمِّ وعذابِ القبر، اللَّـهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها، أنتَ وليُّها ومَوْلاها، اللَّـهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من علم لاَ يَنْفَعُ، ومن نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، ومِن دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا».

رواه أحمد ٤/ ٣٧١، ومسلم في الأدعية ١٧/ ٤١، والنسائي في الاستعاذة من الكبرى ٤/ ٤٤٣، ٤٤٤، والترمذي في الدعوات ٣٣٤٠، واللفظ لغير الترمذي.

ونحوه عن عائشة رواه أحمد ٦/ ٢٠٩ بسند صحيح، وانظر: المجمع ٢/ ١٢٧، ١٢٨، و ج ١٠/ ١١٠.

ونحوه أيضًا عن ابن عباس أورده في المجمع ٧/ ١٣٨ برواية الطبراني

رقم ١١١٩١ من كبيره قال: وإسناده حسن، وله شاهد آخر عن أبـي هريرة في السُّنَّة لابن أبـي عاصم ٣١٩.

وزَكِّهَا، أي: طَهِّرها.

وفي أحاديث الباب مشروعية سؤال الله عزَّ وجلّ التقوى وتزكية النفس؛ لأنه ولي كل شيء ومولاه وبيده قلوب عباده يقلبها كيف يشاء سبحانه.

(١٢) **قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾.**

عن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبـي ﷺ يخطب وذَكَر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: «إذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا: انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ في رَهْطِهِ مثلُ أَبِـي زَمْعَةَ».

رواه أحمد ٤/ ١٧، والبخاري في التفسير ١٠/ ٣٣٣، ٣٣٤، وفي أحاديث الأنبياء، ومسلم في الجنة ٢٨٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٥.

قوله: إذ انبعث، أي: انطلق أشقى القوم بسرعة ونشاط. وعاقِر الناقة اسمه قُدَارٌ، على وزن غُرَاب، لعنه الله وأخزاه. وقوله: عارم، أي: صعب كثير الشهامة والشرّ. وقوله: منيع، أي: قويّ ذو منعة، أي: له رهط يمنعونه من كل ضيم.

وبه تمَّت سورة الشمس، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ اللَّيْلِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي إحدى وعشرون آية، افتتحها تعالى بالقَسَم ببعض الكائنات على أنَّ الناس مختلفون في سعيهم وأعمالهم، منهم المؤمن الذي يعمل الصالحات ويتقرَّب إلى الله بأنواع القربات ويسعى جادًّا لعتق مهجته من عذاب الله تعالى. ومنهم الكافر والمتمرِّد على الله تعالى الذي لا يألو جهدًا في التمرُّد والإعراض عن دين الله عزَّ وجلّ واتِّباع هواه، ثمَّ يبيِّن أنَّ من أنفق ماله واتَّقى الله عزَّ وجلّ فإنه سيهيَّأ للعمل المؤدِّي به إلى الجنة ونعيمها، بينما الذي كذب بالجنَّة وما أعدَّ الله فيها لأوليائه سيهيِّئه لطريق الشرّ والحياة السيِّئة المؤدِّية إلى دار العذاب.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ . ۝١ ۝٢ ۝٣

عن علقمة رحمه الله تعالى قال: قدمنا الشام فدخلنا مسجد دمشق على أبي الدرداء فقال: كيف يقرأ عبد الله ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ ﴾ . . . فقرأت عليه:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ «والذكر والأنثى»، قال: واللّـهِ لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في.

رواه البخاري في مواضع في الفضائل ٣٧٤٢، ٣٧٦١، وفي الاستئذان ٦٢٧٨، ومسلم في الصلاة ٨٢٤، والترمذي في القراءات ٢٧٤٥، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٦.

قراءة ابن مسعود هذه التي كان يقرؤها أبو الدرداء ليست بمتواترة وهي مخالفة للمصحف الإمام الذي بين أيدي المسلمين، ولعلها من القراءات المنسوخة التي لم يبلغ نسخها ابن مسعود وأبا الدرداء رضي الله تعالى عنهما.

٥ ٦ ٧ **قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ ﴾.**

عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: كنا في جنازة ببقيع الغَرْقَد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله وبيده مِخْصَرَةٌ، فجعل يَنْكُتُ بها الأرضَ ثم قال: «ما منكم من أحدٍ إلاّ وقد كُتِبَ مَقْعَدَهُ من النار ومقعده من الجنة»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكل على كتابنا؟ فقال: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، أما من كان من أهل السعادة فَسَيُيَسَّر إلى عملِ السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فَسَيُيَسَّرُ إلى عَمَلِ الشقاء ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾.

رواه أحمد رقم ٦٢١، ١٦٧، ١٦٨، ١١١٠، والبخاري في القدر، وفي التوحيد ١٧/ ٣٠٥، ومسلم في القدر ١٦/ ١٩٥، ١٩٦، وأبو داود في القدر رقم ٤٦٩٤، والترمذي فيه ١٩٦٨ وفي التفسير ٣٢١٦، والنسائي ٦/ ٥١٧، وابن ماجه ٧٨، والطيالسي ٦١.

مِخصرة، بكسر الميم: كالسوط والعصا. ينكت، أي: يضرب. أفلا

نتَّكل، أي: نعتمد على القدر وما كتب علينا وندع العمل. اعملوا، أي: لا بدَّ من العمل فإنه الذي يصدق ما كتب في الأزل، فالسعيد سَيُهَيَّأُ للإيمان والعمل الصالح ويُيَسِّرُه اللَّـهُ لما خلق لأجله، والشقي بعكس ذلك، فمن اعتمد على ما كتب عليه وترك العمل كان ذلك علامة على شقاوته.

وفي الموضوع أحاديث عن أنس في الصحيحين، وعن عمران بن الحصين فيهما أيضًا، وعن ابن عمر عند أحمد والترمذي.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾، أي: أنفق ماله ابتغاء وجه الله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ربه فآمن وكفَّ عن محارمه، وآمن بالحسنى، أي: الجنة، فسنهيِّئه لعمل الخير ونسهل عليه فعل الطاعات وترك المحرمات. والعكس بالعكس، فمن بخل بإنفاق ماله واستغنى عن ربه وعن عبادته وكذب بالجنة فسنهيِّئه للخصلة المؤدِّية للعسر، وهي طريق الشر المؤدِّي إلى النار.

وبهذا تمَّت سورة الليل، والحمد للَّـه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الضُّحَىٰ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي إحدى عشرة آية، وحديثها عن شخصية حضرة رسول الله ﷺ.

من خصائص هذه السورة

واختصَّت بأمور تتعلَّق بجانب رسول الله ﷺ، وهي كالآتي:

١ ــ أنَّ الله عزَّ وجلّ ما تركه منذ أدناه، وما أبغضه منذ أحبَّه، آية ٣.

٢ ــ أنَّ الآخرة خير له من الأولى، آية ٤.

٣ ــ أنه سيعطيه ربه حتى يرضى، آية ٥.

٤ ــ امتنانه تعالى عليه حيث كان يتيمًا فآواه، وضالاًّ لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان فهداه إلى معرفة ذلك وعلمه، وعائلاً محتاجًا فأغناه بما هيَّأ له من أسباب التجارة في مال مولاتنا المحبوبة خديجة رضي الله تعالى عنها، آيات ٦ ــ ٨.

٥ ــ الوصية له ﷺ بثلاث خصال مقابل ما كان عليه في أوائله:

أولاً: عدم قهر اليتيم واحتقاره، فقد كان يتيمًا فآواه الله تعالى إلى عمه فأحسن إليه، آية ٩.

ثانيًا: عدم زجر السائل والإغلاظ له، فقد كان عائلاً فسهَّل الله له طريق العيش فأغناه، آية ١٠.

ثالثًا: التحدُّث بنعمة الله تعالى عليه بإبلاغ الرسالة وتعليم الجاهل وإرشاد الحائر، فقد كان تائهًا عن معرفة الكتاب وفروع الشريعة وتفاصيلها، فعلَّمه الله ما لم يكن يعلم ﷺ وشرف وعظم، آية ١١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١)(٢)(٣) **قوله تعالى**: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

عن جندب البجلي رضي الله تعالى عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، وفي رواية: ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنِّي لأرجو أن يكون شيطانُك قد تَرَكك، لم أَرَه قَرِبَك منذ ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾. وفي رواية: قالت امرأة: يا رسول الله، ما أرى صَاحِبَك إلاَّ أَبْطَأَك، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾. وفي رواية: كنت مع النبي ﷺ في غار فدميت إصبعه، فقال النبي ﷺ: «هل أنت إلاَّ إصبعٌ دَمِيت، وفي سبيل الله ما لَقِيت»، قال: فأبطأ عليه جبريل عليه السلام، فقال المشركون: قد وُدِّعَ مُحمَّدٌ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

رواه البخاري في التهجُّد ١١٢٤، ١١٢٥، وفي التفسير ١٠/ ٣٣٩، ٣٤٠ رقم ٤٩٥٠، ٤٩٥١، وفي فضائل القرآن ٤٩٨٣، ج ١٠/ ٣٨٢، ومسلم في الجهاد ٧٩٧، ج ١٣/ ١٥٦، والترمذي ٢١٢٧، والنسائي ٦/ ٥١٧، ٥١٨، كلاهما في التفسير، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، والروايات كلها عند البخاري إلاَّ دمي الإصبع فهي عند مسلم ١٢/ ١٥٥، والترمذي، لكن الأول لم يذكرها متَّصلة بسبب النزول.

قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، أي: ما تركك. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، أي: ما أبغضك.

وقوله: أبطأ، أي: تأخَّر. وفي الآية الكريمة ردّ لما قاله المشركون وتلك المرأة المقيتة من أنَّ الله تعالى تركه وقلاه، قاتلهم الله وأخزاهم. والمرأة المبهمة هي امرأة أبـي لهب، أم جميل بنت حرب.

٤ **قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾.**

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثَّر في جَنْبِهِ، فلمَّا استيقظ جعلتُ أَمْسَحُ جنبَهُ وقلت: يا رسول الله، ألا آذنْتَنَا حتى نبْسُطَ لك على الحصير شيئًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَا لِي ولِلدُّنْيَا، إنَّمَا مَثَلِي ومَثَلُ الدُّنْيا كَرَاكِبٍ ظل تحت شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

رواه أحمد ١/٣٩١، ٤٤١، والترمذي في الزهد ٢١٩٥ بتهذيبي، وابن ماجه ٤١٠٩، والحاكم ٤/٣١٠، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، يعني لشواهد. وقد أشرت إليها في تهذيب الجامع.

هذا بعض مشاهد حياة رسولنا وعيشه ﷺ، فلقد كان على حالة عظيمة من الزُّهد في هذه الحياة وترك التنعُّم والترف رَغْبَةً فِيمَا ادَّخَرَهُ اللَّـهُ لَهُ في الدار الأُخرى التي قال له فيها هنا: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾، أي: هي أشرف لك وأبقى من هذه الحياة الفانية الزائلة المُنَغَّصَةِ.

٥ **قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما هو مَفْتُوحٌ على أمته كَفْرًا كَفْرًا فَسُرَّ بذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾، فأعطاه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم.

رواه ابن جرير ٣٠/ ٢٣٢، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٤٣، وزاد في الدر المنثور: عبد بن حميد، والطبراني والحاكم والبيهقي وابن مردويه وأبا نعيم. . . وسنده صحيح.

ما ذكره ابن عباس جميعه مرفوع لأنه لا مجال فيه للنظر والرأي. وفيه ما أعطاه الله تعالى نبيّه ﷺ في الآخرة إضافة إلى ما شَرَّفه به على سائر الخلائق من الخصائص التي خصَّ بها ممَّا لا يلحقه فيها لاحق أبدًا.

وهذه الآية الكريمة يقول فيها أهل البيت: إنها أرجى آية في القرآن الكريم، وقوله في الحديث: كَفْرًا كَفْرًا، بفتح الكاف وسكون الفاء، أي قَرْيَةً قَرْيَةً.

٨ قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغِنَى عن كَثْرَةِ العرضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النفْسِ».

رواه أحمد ٢/ ٢٤٣، ٣٨٩، ٣٩٠، والبخاري في الرقاق ٦٤٤٦، ومسلم في الزكاة ١٠٥١، والترمذي في الزُّهد ٢١٩١، وابن ماجه فيه ٤١٣٧ وغيرهم.

العَرَض، بفتحتين: كل ما ينتفع به من المتاع.

وعن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزِقَ كَفَافًا وقَنَّعَهُ اللّـهُ بما أَعْطَاه»، وفي رواية: «فَصَبَرَ عليه».

رواه أحمد ٢/ ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ومسلم في الزكاة ١٠٥٤، والترمذي في الزُّهد ٢١٦٩، وابن ماجه كذلك ٤١٣٨ وغيرهم، ونحوه عن فضالة بن عبيد رواه أحمد ٦/ ١٩، والترمذي ٢١٧٠، وابن حبان ٢٥٤١ بالموارد، والحاكم في الإيمان ١/ ٣٤، ٣٥، وصحَّحه الترمذي والحاكم والذهبي.

العائل: هو الفقير المحتاج. وقوله: فأغنى: يشمل الغنى المادي

بمال خديجة رضي الله تعالى عنها وهذا في الظاهر، ويشمل الغنى القلبـي، ولا شكَّ في هذا أيضًا، فإنه كان أغنى الناس قلبًا، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي يقول: ولكن الغنى غنى القلب، وهو الذي يحدِّثنا بأنَّ من كان رزقه كفافًا وهو قوت اليوم وقنع ورضي به كان من المفلحين، ولا توجد هذه الصفة إلاَّ فيمن كان غَنِيَّ القلب.

وبهذا تمَّت سورة الضُّحى، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الشَّرْح ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثمان آيات، وحديثها أيضًا عن شخصية رسولنا الكريم ﷺ وامتنانه تعالى عليه بما أولاه من نعم وفضائل وخصائص.

من خصائص هذه السورة

يتجلّى ذلك في الآتي:

١ ـ شرح صدره ﷺ بالهدى والإيمان ونور القرآن والعلوم والمعارف الإلـٰهية وجعله رَحيبًا واسعًا، آية ١.

٢ ـ حط عنه الحمل الثقيل، وهي الأمور التي فعلها عن اجتهاد مثلاً أو فعلها أيام الجاهلية قبل الإسلام، وليست الذنوب فإنَّ الأنبياء معصومون من الذنوب قبل التنبُّؤ وبعده على القول الصحيح، آيتان ٢، ٣.

٣ ـ رفع ذكره وإعلاء مقامه في الدنيا والآخرة في الأذان والصلاة والخطب، آية ٤.

٤ ــ تبشيره بالفرج والخروج من الشدَّة التي كان فيها، وأنَّ مع ذلك العسر يسرًا، آيتان ٥، ٦.

٥ ــ إرشاده إلى الاجتهاد في العبادة وإتعابه نفسه في طلب الآخرة بعد فراغه من دعوة الخلق، وأن يجعل همَّته ورغبته فيما عند الله تعالى، آيتان ٧، ٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾.

عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه، أن نبي الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا أنا عِندَ البيتِ بينَ النَّائم واليَقْظَانِ إذْ سَمِعتُ قائلاً يقول: أحدٌ بين الثلاثةِ. فأُتيت بِطَسْتٍ مِن ذهب فيها ماءُ زمزمَ فشُرِحَ صَدْرِي إلى كذا وكذا»، قال قتادة: قلت لأنس: ما يعني؟ قال: «إلى أسفل بطني»، قال: «فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فغسل قلبي بماء زمزمَ ثم أعيد مكانه ثم حُشِيَ إيمانًا وحكمةً».

رواه البخاري ومسلم مطوَّلاً في قصة الإسراء، وقد تقدَّم.

وقع له هذا الحادث ــ أعني شقَّ الصدر ــ مرارًا، وأوله كان وهو رضيع في بني سعد. وظاهر قوله: وشرح صدري إلى كذا وكذا، أنه كان محسوسًا وهو ممَّا لا ينبغي الخلاف فيه لما ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك أنَّ أثر ذلك كان ببطنه الشريف.

وأوردت هذا الحديث عند هذه الآية تبعًا لأبي عيسى الترمذي.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: إنَّ رَبِّي وربَّك يقول لك: تَدْرِي كيف رفعتُ ذكرك»؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي».

رواه ابن جرير ٣٠/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٤٥، وأبو يعلى ١/ ٥٧٦، وابن حبان ٨/ ١٧٥ بالإحسان، وبالموارد ١٧٧٢، وسنده حسن لولا رواية دراج عن أبي الهيثم، فإنَّ فيها ضعفًا عندهم، علمًا بأنَّ الترمذي يحسن له كثيرًا، وعزاه في المجمع ٨/ ٣٥٤ وقال: إسناده حسن، والحديث معناه صحيح.

إنه ﷺ مرفوع الذكر في الدنيا والآخرة بأبي هو وأمي، فلا يؤذِّن مؤذِّن ولا يصلِّي مصلٍّ ولا يذكر ذاكر إلاَّ ذكر النبي ﷺ، وكيف لا وذِكْره مقرون بالله في عدَّة سور من القرآن الكريم.

٥ ٦ **قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.**

عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾، قال: خرج النبيُّ ﷺ مَسْرورًا فرِحًا وهو يَضْحَكُ وهو يقول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»: ﴿إن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا﴾.

رواه عبد الرزّاق في تفسيره ٢٥/ ٣٨٠، وابن جرير ٣٠/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٤٦، والحاكم ٢/ ٥٢٨، وهو مرسل صحيح، ونحوه عن قتادة أيضًا مرفوعًا رواه ابن جرير ٣٠/ ٢٣٦، بسند صحيح أيضًا، وعن ابن مسعود ذكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ بشَّر أصحابه بالآية: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»، رواه عبد بن حميد من طريق قتادة به، ذكره الحافظ في الفتح وقال: سنده جيِّد.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ جالسًا وحِيالَهُ جُحْرٌ، فقال: «لو جاءَ العُسْرُ فدخَلَ هذا الجُحْرَ لجاءَ اليُسْرُ حتى يَدْخُلَ عليه فيُخْرِجَهُ»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

رواه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٤٦، والبزار ٢٢٨٨، والطبراني في الأوسط ١٥٤٨، وفي سنده عائذ بن شريح وهو ضعيف، هكذا في المجمع ٧/ ١٣٩. وقال الحاكم ٢/ ٥٢٨، صحَّ ذلك عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما، وذكره البخاري في ترجمة في التفسير ١٠/ ٣٤١، فقال: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ». وبالجملة، فالحديث ثابت بما أوردناه.

ففي الآية وهذه الأحاديث بشارة للمكروبين، وأنه لا بدَّ من حصول الفرج بعد الشدَّة. ومعنى قوله ﷺ: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»: أنَّ العرب جرت عادتهم في كلامهم أنَّ المعرفة إذا تكرَّرت كانت الثانية هي الأُولى، فالعسر الثاني في الآية هو الأول، فهو عسر واحد، والنكرة إذا تكرَّرت كانت الثانية غير الأُولى، وعليه فاليسر الثاني غير الأول فيكون يسران في مقابلة عسر واحد، وهذا من دقيق فهم النبي ﷺ وعظيم استنباطه. وقد كتب الناس في الفرج بعد الشدَّة واليسر بعد العسر.

وبهذا تمَّت سورة الانشراح، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التِّين ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي كسابقتها بدأت بصيغة قسم للدلالة على أن الله هو الخالق، وأنه خلق الإنسان في أحسن خِلْقَةٍ، وأن يوم الدين حق لمحاسبة الناس على أعمالهم، وهي ثمان آيات.

وقد اختصَّت بالآتي:

من خصائص هذه السورة

١ ــ القسم بالتين والزيتون لما فيهما من منافع للعباد، آية ١.

٢ ــ القَسَم أيضًا بأراضي الرسالات الإلـٰهية، وهي طور سيناء من بلاد فلسطين، والبلد الأمين مكة المكرَّمة، آيتان ٢، ٣.

٣ ــ أنَّ الله عزَّ وجلّ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وحيث إنه لم يشكر نعمة الله عليه بهذا الخَلْقِ العظيم العجيب ردَّه وأنزله إلى أسفل دركات جهنَّم يوم القيامة، هذا هو ظاهر السِّياق، وقيل: ردَّه إلى العمر الأَرْذَل الأَخسَر الأَضْعَفِ، وهو أيام الهَرَم والخَرَف، وذلك بعد أن

كان قويًا ناصرًا شابًا، حفظنا الله تعالى من ذلك، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم ناجون بفضل الله ورحمته من جهنَّم ومن الخرف والهرم إن شاء الله تعالى، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه آمين، آيات ٤ ــ ٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ . . . الآيات.**

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ العِشَاء فقرأ بـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

رواه البخاري ٧٦٧، ٧٦٩، ومسلم ٤٦٤، وأبو داود ١٢٢١، والترمذي ٢٧٨، والنسائي في المجتبى ٣١٠، ج ٢/ ١٣٥، كلهم في الصلاة، ورواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٤٢ وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى أيضًا ٦/ ٥١٨، وابن ماجه ٨٣٤، ٨٣٥.

فيه مشروعية القراءة في صلاة العشاء بهذه السورة، وتقدَّم ما يفيد القراءة فيها بأوسط سور المفصل، فانظر ما سبق في الانفطار والأعلى . . .

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ العَلَق ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي تسع عشرة آية، وتتحدَّث عن أعظم نعمة، وأشمل رحمة، وأعمّ خير حظيت به الأمة الإسلامية تبعًا لنبيّها العظيم ﷺ، ألا وهي بداية نزول القرآن الكريم والوحي الإلـهي على نبيّه الكريم ﷺ، ثم فيها إنكار على الذي ينهى عن عبادة الله، ويكذب ويعرض عن ذكر الله، ثم تحذير له ولأمثاله، بأنه سيؤخذ بناصيته فيقذف في العذاب هو ومن معه.

من خصائص هذه السورة

١ ــ نزول أول خطاب من المولى العلي الأعلى إلى نبيّه المختار ﷺ وهو بداية الوحي: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ . . . ﴾ آيات ١ ــ ٥.

٢ ــ فيها تذكير من الله تعالى لنا بنعمة التعلُّم بالقلم. . وقد تقدَّم في سورة القلم، آية ٤.

٣ ــ إخباره عزَّ وجلّ بأنَّه علَّم الإنسان ما لم يعلم ممَّا كان يجهله، وهذا من جملة إعجاز القرآن، فإنَّ الإنسان الحالي علَّمه الله وأطلعه على كثير

من الخفايا الكونية وهداه إلى استخدامها وما يجهله أكثر بكثير ممَّا علَّمه، آية ٥.

٤ ـ بيان طبيعة الإنسان إذا رأى نفسه أنه استغنى وهو طغيانه وتمرُّده، آيتان ٦، ٧.

٥ ـ الإخبار عن ذلك الأشقى الخائب الخاسر أبـي جهل لعنه الله الذي كان ينهى النبـي ﷺ عن الصلاة وأغلظ له في القول وهدَّده، فأخبر الله تعالى عنه أنه إن لم ينته عن تمرُّده ليأخذنَّه بناصيته وليدعونَّ زبانية جهنَّم الغلاظ الشداد فتأخذه إن دعا هو الآخر أهل ناديه كما زعم، آيات ٩ إلى ١٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يَخْلُو بغار حراء، فيَتَحَنَّثُ فيه ـ وهو التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذواتِ العَدَد قبل أن ينزِع إلى أهله ويَتَزَوَّدُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزوَّدُ لمثلِها حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، قال: ما أنا بقارىء»، قال: «فأخذَني فغطَّني حتى بلغَ مِنِّي الجَهد، ثمَّ أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، قلتُ: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثمَّ أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ . . .﴾.

فرجع بها رسول الله ﷺ يَرجُفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني، فَزَمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كَلاَّ واللّـهِ ما يُخْزِيك اللّـه أبدًا، إنَّك لتَصِلُ الرَّحِم، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعِينُ على نوائب الحق.

فانطلقتْ به خديجة حتى أتتْ به ورقةَ بن نوفل بن أسدِ بن عبدِ العُزَّى ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ، اسمع من ابنِ أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقةُ: هذا النامُوس الذي نزَّل الله على موسى، يَا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُون حَيًّا إذ يُخرِجُكَ قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلاَّ عُودي، وإن يُدْرِكْني يومُك أَنْصُرْك نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثم لم يَلْبَث ورقة أن تُوُفِّي وفَتر الوحيُ. . .

رواه أحمد ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣، والبخاري في بدء الوحي ١/ ٢٥، ٣٠، وفي التفسير ١٠/ ٣٤٤، ٣٥٠، وفي التعبير وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان ٢/ ١٩٧، ٢٠٥، وغيرهم.

قوله: الرؤيا الصالحة ـ في رواية: الصادقة، ومعناهما واحد ـ. وقوله: كفلق الصبح، أي: يظهر صدقها في اليقظة كضياء الصبح. قوله: ما أنا بقارىء، أي: لا أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثًا قال له: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ. . . ﴾ إلخ، وقيل: هي استفهامية، أي: ماذا أقرأ، أو كيف أقرأ؟ والله أعلم. وقوله: فغطَّني، أي ضمَّني وعصرني. وقوله: الجهد، بفتح الجيم وضمّها: وهو الغاية والمشقَّة. وقوله: يرجف، أي: يرتعد ويضطرب.

وقوله: الروع، بفتح الراء: الفزع. وقوله: لا يخزيك الله. . . إلخ، أي: لا يهينك ولا يفضحك. وقوله: وتحمل الكَلّ، بفتح الكاف، ومعناه: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال. . . وقوله: وتكسب المعدوم، أي تكسب غيرك المال المعدوم وتعطيه إياه، وقوله: جَذَعًا، بفتحتين، أي: شابًا قويًا. وقوله: نصرًا مؤزّرًا، أي: قويًا بالغًا. . .

وفي هذا الحديث الشريف فوائد كثيرة هامة، فهو يدلّ على أنَّ أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا، ومكث كذلك ستَّة أشهر على الصحيح، وفيه أنَّ أوّل ما نزل من القرآن: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾، وهو قول الجمهور للأدلة المتضافرة على ذلك، وفيه فضل مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وتأييدها للنبـي ﷺ. ويؤخذ من هذا أنها أوّل من آمن به إطلاقًا، وفيه أنَّ النبـي ﷺ كان متَّصفًا بالأخلاق الكريمة قبل نبوَّته، وقد عرفت ذلك خديجة منه، فلذلك لما قال لها لقد خشيت على نفسي، يعني من الشيطان. . . ثبتته وعرفت أنه لا يسلط عليه الشيطان لما هو متخلق ومتَّصف به من الأخلاق الحسنة، وفيه الفزع إلى أهل العلم بالدين عند نزول المهمات. . . وفيه فضل ورقة بن نوفل وأنه آمن بالنبـي ﷺ وتمنَّى نصره عندما يدعو قومه ويخرجونه من بلدته. وقد جاء في رؤيا له ﷺ ما يدلّ على أنَّه من أهل الجنة، وفي الحديث غير ذلك من الفوائد.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى على أول هذه السورة في تفسيره: فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهنَّ أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأنَّ من كرمه تعالى أن علَّم الإنسان ما لم يعلم، فشرَّفه وكرَّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البريَّة آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في

الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس.. وقال القرطبي على قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ ... إلخ، نبَّه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كُتب الله المنزلة إلاَّ بالكتابة، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين ١٩/ ١١٩.

۝١٧ ۝١٨ ۝١٩ قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلِّي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبَرَهُ، فقال أبو جهل: إنك لتعلمُ ما بِهَا نادٍ أكثر مِنِّي، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾، قال ابن عباس: والله لو دَعَا نَادِيَهُ لأَخَذَتْهُ زبانِيَة اللَّـهِ.

رواه أحمد ١/ ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٦٨، والترمذي في التفسير ٣١٣١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٨ بسند صحيح على شرط مسلم، وهو عند ابن جرير ٣٠/ ٢٥٦.

وعنه قال: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمَّدًا يصلي لأَطَأَنَّ على عُنقِه، فقال النبي ﷺ: «لو فَعَلَ لأَخَذَتْهُ الملائكةُ عِيانًا».

رواه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤، وأحمد رقم ٣٤٨٣، والبخاري ١٠/ ٣٥٣، ٣٥٤، والترمذي ٣١٣٠، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٨، وابن جرير ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهَه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، قال: فقال: واللاَّتِ والعزَّى لئن رأيته يُصَلِّي كذلك لأطأَنَّ على رقبتِه ولأُعَفِّرَنَّ وجهَهُ في التُّرابِ، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلِّي ليطأ على رَقَبَتِه، قال: فما فجأهم منه إلاَّ وهو

ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ قال: فقال: إنَّ بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا منِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الملائكةُ عُضوًا عُضوًا»، قال: وأنزل الله ــ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ــ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ ﴾، يعني: أبا جهل... ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ ﴾ يدعو قومه، ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ الملائكة، ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾.

رواه مسلم ١٧/ ١٣٩، ١٤٠ في صفة المنافقين، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٨، وابن جرير ٣٠/ ٢٥٦، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٥٠ من طريقه.

قوله: فَزَبَرَهُ، أي: نَهَرَه وأغلظ عليه. وقوله: لأَخذَتْهُ زبانية الله: الزبانية هم ملائكة النار المكلَّفون بها وبأهلها. وقوله: لأعفرنَّ، أي: لألصقنَّ وجهه بالتراب وأمرغه. وقوله: ينكص، أي: يرجع إلى الوراء.

وفي هذه الأحاديث حماية الله عزَّ وجلّ لنبيّه ﷺ وعصمته وحفظه من أعدائه، وأنه لو شاء لبعث عليهم بعض ملائكته الشداد الغلاظ العظام ولأخذوهم بدون كبير تعب، ولكنه تعالى كان يسلك به كغيره من الأنبياء والمقرَّبين سبيل سنَّته في خلقه وهو طريق الأسباب.

وبهذا تمَّت سورة العلق، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ القَدْرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

وهي خمس آيات، وتمتاز بالحديث عن بيان الليلة المباركة المذكورة في سورة حم الدخان مبهمة، وأنها ليلة القدر، تلك الليلة ذات الفضل العظيم المفضلة على سائر الشهور والأيام، وذلك لما يكون فيها من التجلّيات الإلـهية، والأنوار والنفحات الربّانية التي يفيضها الباري جلَّ عُلاه على عباده المؤمنين تكريمًا لنزول القرآن المُبين فِيهَا وفي أفضل شهر وهو رمضان المعظم. كما يأتي عقبه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ... ﴾ الآيات.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾، قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عزَّ وجلّ ينزِّل على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض، قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ ﴾ [الفرقان]، وفي

رواية: أنزل القرآن جملةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا.

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥١٩، وابن جرير ٣٠/ ٢٥٩، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٥٢، والحاكم ٢/ ٢٢٢، ٥٣٠، وصحّحه ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع ٧/ ٤٠ برواية الطبراني في الكبير ٢٣٨٢، والبزار ٢٢٩٠ وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

الحديث بيَّن أنَّ نزول القرآن في رمضان، ومعناه نزوله من اللوح المحفوظ جملةً واحدة إلى السماء الدنيا، ثم جعل ينزله الله تعالى منجّمًا حسب الأسباب، حتى تمَّ في ثلاث وعشرين سنة، وهذا معلوم لا شكَّ فيه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾. ۝٢ ۝٣

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال: «تحَرَّوْهَا في السبع الأواخِر مِن شَهْرِ رَمَضَانَ».

رواه البخاري ٢٠١٥، ومسلم ٨/ ٥٨، ٥٩، (١١٦٥)، كلاهما في الصيام.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: مَن صَامَ رَمَضَان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبِه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه».

رواه البخاري ٢٠١٤، ومسلم في صلاة التراويح ٦/ ٤٠، ٤١، وغيرهما.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال: «تقُولين: اللَّـهُمَّ إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعْفُ عَنِّي».

رواه أحمد ٦/ ١٧١، ١٨٣، ٢٥٨، والترمذي في الدعوات ٣٢٨٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥١٩، وابن ماجه ٣٨٥٠، والحاكم ١/ ٥٣٠، وصحَّحه على شرطهما ووافقه

الذهبـي، وسنده عند الترمذي على شرط مسلم، ولذلك حسَّنه وصحَّحه.

فضل ليلة القدر والكلام على وقتها يطول الكلام بنا فيه لكثرة ما جاء في ذلك من الأحاديث، فالليلة في رمضان وبالأخص في العشر الأواخر وخاصة في أفرادها وأوتارها، خلافًا لمن قال: إنها تنتقل في السنة أو رفعت، فإن ذلك يخالف الأحاديث المتضافرة في كونها في رمضان في العشر البواقي، وإرشاد النبـي ﷺ أصحابه إلى طلبها في تلك الليالي.

وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها مشروعية ما يقال من الدُّعاء في ليلتها، وهو أجمع دعاء وأوعاه؛ لأنَّ من عفا الله تعالى عنه فقد فاز وسعد.

(٤) **قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾.**

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الملائِكَةِ والرُّوحِ».

رواه مسلم في الصلاة (٤٨٧)، ٤/ ٣٠٤، وأبو داود ٨٧٣، والنسائي في الكبرى ٥١٩/٦، وفي المجتبى ٢٦/ ١٤٩، (١٠٤٨).

اختلف في الروح المذكور في هذه السورة وفي الحديث، فقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: هو ملك خاص.

وبهذا تمَّت سورة القدر، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الْبَيِّنَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه هي أول سورة مدنية تتخلّل خمسًا وأربعين سورة مكية كما تقدَّم في أول ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾، وهي ثمان آيات، وأهدافها الكلام على أهل الكتاب والمشركين وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ وتفرّقهم بعد قيام الحجَّة عليهم ثم الكلام على إخلاص العبادة لله عزَّ وجلّ وحده وبيان مآل السعداء والأشقياء.

وامتازت بذكر شر البرية وخيرها، حيث ذكر أنَّ شرّها هم الكفَّار من اليهود والنصارى وسائر المشركين أيًا كانوا، أما خيرها فهم المؤمنون الصالحون أهل الاستقامة مع الله عزَّ وجلّ، وهم الذين رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ . . . ﴾ الآيات.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأُبَـيٍّ بن كعب حين نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾: «إنَّ الله تعالى أَمَرَنِي أن أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾»، قال: وسَمَّانِي لك، قال: «نعم»، فبكى.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٥٥، ٣٥٦، وفي المناقب، ومسلم ١٦/ ٢٠، والترمذي ٣٥٦٤ كلاهما في فضائل الصَّحابة، ورواه مسلم في الصلاة ٧٩٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٠.

فيه فضيلة لِأُبَـيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، وكان أقرأ الصحابة.

٥ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

عن أُبَـيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدِّينَ عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرًا فلن يُكفره».

رواه أحمد ٥/ ١٣١، ١٣٢، وسنده حسن صحيح.

الحنيفية: هي الدين الحق ودين الإسلام الذي ارتضاه الله لهذه الأمة، فمن ابتغى دينًا غيره كان من الخاسرين.

وعن أبـي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: كنا نأتي النبـي ﷺ إذا نزل عليه الوحي فيحدِّثنا، قال لنا ذات يوم: «إن الله عزَّ وجلّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصَّلاة وإيتاءِ الزَّكاةِ، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحَبَّ أن يكونَ له ثانٍ، ولو كان له ثان لأحَبَّ أن يكونَ إليهما ثالثٌ، ولا يملأُ جَوْفَ ابنِ آدم إلاَّ الترابُ، ثم يتوبُ الله على من تاب».

رواه أحمد ٥/ ٢١٨، ٢١٩، والطبراني في الكبير ٣٣٠٠، قال في المجمع ٧/ ١٤٠: ورجال أحمد رجال الصحيح.

وقوله: لو كان لابن آدم... إلخ: في الصحيح: وكانت آية من القرآن، فنسخ لفظها منه.

في الحديث أنَّ إيجاد المال جُعل لتقام الصلاة وتؤتى الزكاة قيامًا بأداء حق الله عزَّ وجلّ وحق عباده، وأن الإنسان من حيث هو جُبِل على حب المال وزيادته، وأنه لا يشبع منه ولو كان عنده القناطير المقنطرة، إلاَّ من رحم الله.

(٧) **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البريَّة، قال: «ذاك إبراهيم».

رواه مسلم في الفضائل ١٥/ ١٢١، وأبو داود ٤٦٧٢، والترمذي ٣١٣٤، والنسائي ٦/ ٥٢٠، كلاهما في التفسير.

خير البرية، أي: أفضل المخلوقات، وما قاله ﷺ هو من تواضعه مع أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإلاَّ فهو أشرف البرية وسيِّدهم وأفضلهم إطلاقًا، ثم كل المؤمنين الصالحين خير البرية كما في الآية الكريمة.

وبهذا تمَّت سورة البيِّنة، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الزَّلزَلَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هذه السورة الثانية من المدنيات، وهي ثمان آيات كسابقتها، وموضوعها يخالف السور المدنيات، حيث إنها تتحدَّث بالذات عن القيامة وأهوالها، وما يحصل من الزلزال الشديد. . . وإخراج ما في بطن الأرض من الأموات والكنوز، وتحدث الأرض بما وقع عليها، ثم انصراف الناس وصدورهم فرقًا فرقًا.

وقد امتازت بتلك الآية الجامعة الفاذَّة: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ﴾.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾. ١

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ وأبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه قاعد فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟»، فقال: أَبْكَتْني هذه

السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم لا تُخطِئون ولا تُذْنِبون لَخَلقَ اللّهُ تعالى أُمَّةً مِن بعدِكم يُخْطِئون ويُذْنِبون فيغفر لهم».

رواه الطبراني، قال في المجمع ٧/ ١٤١: وفيه حيي بن عبد الله المعافري وثقه ابن معين وغيره، وضعَّفه أحمد وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. فالحديث حسن إن شاء الله ولآخره شاهد في مسلم.

الزلزال: هو التحرُّك الشديد العنيف.

وفي الحديث فضل الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وفيه سعة رحمة الله عزَّ وجلّ وشمول مغفرته لمن تاب إليه واستغفر. وفيه أنَّ العباد لا ينفكُّون عن ذنوب يأتونها، نسأل الله تعالى العفو.

(٤) **قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾.**

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ أخبارَها أن تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ وأمَةٍ بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا، فهذِه أخبارُها».

رواه أحمد ٢/ ٢٧٤، والترمذي ٢٢٤٩، ٣١٣٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٠، وابن حبان ٢٥٨٦ بالموارد، والحاكم ٢/ ٢٥١، ٥٣٢، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي في موضع وتعقَّبه في الثاني، وهو وإن كان في سنده يحيى بن أبي سليمان وهو لين الحديث، فإنَّ للحديث شاهدًا عند الطبراني. قال النور في المجمع ٧/ ٢٤١: فيه ابن لهيعة. ولهذا حسَّنه الترمذي وصحَّحه.

في الحديث بيان أخبار الأرض يوم القيامة، حيث إنها تشهد على كل من عمل فوقها شيئًا.

(٧) (٨) **قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾.**

عن صعصعة عمّ الفرزدق رضي الله تعالى عنه قال: قدمتُ على

النبي ﷺ فسمعته يقول: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾، قال: حَسْبِي لا أُبالِي أن لا أسمعَ غيرَها.

رواه أحمد ٥/ ٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٠، ٥٢١، والحاكم ٣/ ٦١٣، والطبراني في الكبير ٧٤١١، قال النور ٧/ ١٤١: مرسلاً ومتَّصلاً، ورجال الجميع رجال الصحيح، وصحَّحه البوصيري في الإتحاف ٨/ ٤٤٥.

المثقال: هو الوزن. والذَّرَّة: أقل شيء. والآية الكريمة كافية لمن اعتبر كهذا الرجل الذي لم يزد أن سمع غيرها لما علم منها أنَّ العبرة بالخير والشر، فمن أكثر من الخير كان مفلحًا، ومن ازداد من الشر كان خاسرًا، والله حكم عدل لا يظلم أحدًا.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن الحُمُر فقال: «ما أنزل اللَّهُ فيها شيئًا إلاَّ هذه الآية الفاذَّةَ الجامعة: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾».

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٥٦، ومسلم في الزكاة ٧/ ٦٧ مطوَّلاً.

معنى قوله: الفاذَّة، أي: قليلة النظير. وقوله: الجامعة، أي: العامة الشاملة. وسؤال الصحابة رسول الله ﷺ عن الحمر كان على زكاتها، فأخبرهم ﷺ على أن الله تعالى لم يوجبها فيها كالخيل والبغال إلاَّ ما كان من استعمالها في الخير كإعارتها مثلاً، وحمل الغير عليها ونحو ذلك.

وبهذا تمَّت سورة الزلزلة، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّكَاثُرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثمان آيات كسابقتيها، وفيها إخبار عن لهو بني آدم، وتحذير للإنسان اللاهي برؤية الجحيم، وأنه سيسأل عن النعيم الذي أعطاه إياه الله في الدنيا.

من خصائص هذه السورة

امتازت السورة بالآتي:

١ ــ الإخبار عن بني آدم بأنهم مغرمون ولاهون بالتفاخر بكثرة الأموال والأولاد والعشائر والأصحاب حتى الموت، آيتان ١ ، ٢ .

٢ ــ التهديد الشديد والزجر والتخويف الأكيد للإنسان، وأنه سيعلم ما أنذر به علم اليقين، وسيرى الجحيم ويشاهدها عين اليقين بعد أن كان متشككًا فيها، آيات ٣ ــ ٧ .

٣ ــ سؤال الإنسان يوم القيامة عن كل نعيم تنعَّم به في هذه الحياة حتى الظل والماء، آية ٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

عن أنس، عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنهما قال: كنا نُرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، يعني: «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلاَّ التراب ويتوب الله على من تاب».

رواه البخاري في الرقاق ١٤/ ٣٢، ٣٣، باب ما يُتّقى من فتنة المال.

نُرى، بضم النون، أي: نظنّ، ويجوز فتحها، بمعنى: نعتقد. وقوله: كنا نرى هذا من القرآن. . . إلخ: الجمهور على أنه ـ أعني لو كان لابن آدم. . . إلخ ـ مما نسخ لفظه من القرآن وبقي حكمه ومعناه، وقد ورد هذا عن جماعة من الصحابة، عن النبي ﷺ، منهم: ابن عباس وابن الزبير عند البخاري في الرقاق، وعن ابن عباس عند البخاري ومسلم، وعن جابر عند أحمد وابن حبان، وغيرهم. وقوله: ويتوب الله. . . إلخ، معناه: أنَّ من ترك الاستكثار والحِرْصَ فقد تاب فيتوب الله عليه.

في الحديث بيان ما جبل عليه ابن آدم من حب المال والشغف به والتهافت عليه والاستكثار منه، وأنه لا يملأ قلبه أو فاه إلاَّ التراب، وهو كناية عن الموت؛ لأنه إذا دفن صبَّ عليه التراب فامتلأ به جوفه وفاه. . ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب غيره.

عن عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: « ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾، قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

رواه أحمد ٤/ ٢٤، ٢٦، ومسلم ٢٩٥٨، والترمذي ٢١٦١، كلاهما في الزهد، ورواه أيضًا في التفسير ٣١٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢١.

الحديث يفيد أنَّ مال الإنسان الذي يجول ويصول به في حياته ليس له منه إلَّا ما قدَّمه بين يديه من صدقة ومعروف وما عدا ذلك فسيتركه وراءه يقتسمه الورثة بينهم، ومعنى الآية الكريمة شغلكم التفاخر بكثرة الأموال والأولاد عن طاعة الله تعالى وعن الاستعداد للآخرة حتى أدرككم الموت ودُفنتم في المقابر.

٨ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده مِنَ النَّعِيم الذي تُسْأَلُون عنه يوم القيامة الظِّلّ البارد والرُّطَب البارد عليه الماء البارد».

رواه مسلم ٢٠٣٨ مطوَّلاً، وأبو داود ٥١٢٨ في الأدب، والترمذي في الاستئذان، وفي الزهد ٢١٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢١، وابن ماجه ٣٧٤٥، وغيرهم، وهو مختصر من قصة أبي الهيثم ابن التيهان مع رسول الله ﷺ، وهو في الشمائل للترمذي مطوَّلاً في باب ما جاء في عيش رسول الله ﷺ. وله شواهد عن جابر عند أحمد، وأبي مسعود عند ابن ماجه، وعن أبي عَسِيب عند أحمد.

وعن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾. قال الزبير: يا رسول الله، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان: التمر والماء، قال: «أما إنَّه سَيَكُونُ».

رواه أحمد رقم ١٤٠٥، والترمذي في التفسير ٣١٣٨، وابن ماجه في الزهد ٤١٥٨، وحسَّنه الترمذي وهو حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه، وفيه: وإنما هما الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا، قال: «إن ذلك سيكون».

رواه الترمذي في التفسير ٣١٣٩ بسند حسن صحيح، وله شاهد بمثله أيضًا عن محمود بن لبيد رواه أحمد ٥/ ٤٢٩ بسند حسن صحيح.

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يُسأل عنه يوم القيامة ــ يعني العبد ــ من النعيم أن يقال: ألم نُصِحَّ لك جسمك ونَرْوِكَ مِنَ الماءِ البارد».

رواه الترمذي في التفسير ٣١٤٠، وابن حبان ٢٥٨٥ بالموارد، وبالإحسان ١٦/ ٣٦٤، ٣٦٥، والحاكم ٤/ ١٣٨، وغيرهم بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي.

هذه الأحاديث المذكورة كلها تدل على أنَّ الإنسان سيسأل عن كل ما تمتع به من نعيم، في هذه الحياة بداية من الظل والماء البارد والتمر الطيب وصحَّة الجسم فضلاً عمَّا هنالك من نعم سوابغ ظاهرة وباطنة، والإنسان يتنعَّم ويتمتَّع بها ويستغلّها طوال حياته ليل نهار، والصحابة رضي الله تعالى عنهم احتقروا ما كان لديهم من نعيم ضئيل في نظرهم وهو الماء والتمر فأخبرهم النبـي ﷺ بأنه سيكون ذلك في مستقبل الزمان وسيفتح الله على الناس زهرة الدنيا ويصبحون في رغد العيش والنعيم والترف والرفاهية كما هو واقع الأمة منذ أجيال، وبالأخص في عصرنا هذا فإنه ظهر فيه من النعيم ما لم يتقدَّم له مثيل في تاريخ الأمة، فلنعدّ جوابًا عمَّا نتمتَّع به نسأل الله البر الرحيم أن يتجاوز عنَّا.

وبهذا تمَّت سورة التكاثر، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الفِيلِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي مكية، وآياتها خمس.

من خصائص هذه السورة

امتازت هذه السورة بالحديث عن قصَّة أصحاب الفيل الذين قدموا مكة المكرَّمة من اليمن قاصدين هدم بيت الله الحرام برئاسة أبرهة الأشرم ملك اليمن من طرف النجاشي الحبشي وجاءوا في جيش عظيم ومعهم فيلة كثيرة يقدمها فيل عظيم، ولما دخلوا مكة المكرَّمة وحاولوا استباحة البيت وتهديمه أرسل الله تعالى عليهم طيرًا أبابيل، أي: جماعات متتابعة، كل طير يحمل معه ثلاثة أحجار (قنابل)، واحدة في منقره وثنتان في رجليه، فأهلكهم الله جميعًا وأبادهم بقذف تلك الطيور ولم يُبْقِ منهم أحدًا.

كل ذلك فعله الله عزَّ وجلّ إكرامًا لنبيّه ﷺ الذي كان حملاً في بطن أمه إذ ذاك، وحمايةً لحرم الله الذي سبق في علمه أنه سيكون في مستقبل الزمان وطنًا لحبيبه سيِّدنا رسول الله ﷺ وقبلة لكل الأقطار والأصقاع، وأنه سيصبح

عاصمة الإسلام الدينية عبر الأجيال والعصور في أيام الأمَّة المحمَّدية، فللّه الحمد والشكر على ذلك وله الثناء اللائق به سبحانه جلَّ عُلاه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ . . .﴾ الآيات.**

قد تقدَّم في سورة الفتح حديث قصَّة الحديبية، وفيه: عندما بركت القصواء قال ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بِخُلُقٍ، ولكن حَبَسَها حابِسُ الفيل»، وهو في البخاري مطوَّلاً في مواضع.

وقوله: حبسها حابس الفيل، أي: حبسها الله عزَّ وجلّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

وتقدَّم أيضًا حديث: «إنَّ الله حبس عن مكة الفيل وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين. . .» إلخ.

وهو عند البخاري في العلم ١/٢١٦، ٢١٧، وفي اللقطة ٦/١٢، وغيرها، ومسلم في الحج ٩/ ١٣٠ عن أبـي هريرة.

ومعنى ذلك أنَّ الله حبس الفيل عن استباحة الحرم الشريف وأباح ذلك لنبيّه ﷺ ساعة من نهار عند فتحها.

وبهذا تمَّت سورة الفيل، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ المَاعُونِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي سبع آيات.

من خصائص هذه السورة

حديثها الذي امتازت به هو ذكر الويل للسّاهين عن صلاتهم فلا يصلّونها بحال أو يضيعونها في أوقاتها فلا يصلّونها حتى يخرج وقتها المحدد. وليس المراد بالسّاهين الساهين فيها؛ فإن هذا واقع ومعفوٌّ عنه، بل الساهون والغافلون عنها.

كما امتازت السورة بذكر مانعي الماعون وأنَّ لهم الويل كالسَّاهين عن الصلاة والمرائين بأعمالهم، نسأل الله اللطف والعفو آمين.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(٤) (٥) **قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.**

عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «بينَ الرجل وبين الشِّرك والكفرِ تركُ الصلاة».

رواه أحمد ٣/ ٣٧٠، ٣٨٩، ومسلم في الإيمان ٢/ ٧٠، ٧١.

ومعناه: أنَّ الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل، بل دخل فيه، كذا في شرح مسلم للنووي.

وفي حديث بريدة: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كَفَر».

رواه أحمد ٥/ ٣٤٦ والأربعة، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه.

ولا شكَّ أنَّ تارك الصلاة هو من الساهين عنها، فله الويل... عياذًا بالله تعالى من ذلك.

٦ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّـهُ بِهِ، ومَن رَاءَى رَاءَى اللَّـهُ بِهِ».

رواه مسلم في الزهد ٢٩٨٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٢، وابن حبان في صحيحه ٢/ ١٣٥، وهو في خ ٦٤٩٩ في الرقاق، وفي الزهد ٢٩٨٧ من حديث جندب رضي الله تعالى عنه. وفي الباب عن ابن عمرو عند أحمد، وعن أبـي سعيد الخدري عند الترمذي، وعن أبـي بكرة عند أحمد.

قوله: سمع، بتشديد الميم، أي: ذكر أعماله الصالحة ليسمعه الناس ويثنون عليه، وقوله: راءى، أي: عمل عملاً أراه للناس ليحترموه ويعظموه ويعتقدوا فضله. وهذا كله شرك في العمل إذا كان قصده ذلك، فإن كانت نيَّته الاقتداء به ونحو ذلك ممَّا لا عِلَّة فيه فليس بمذموم ولا فيه شائبة شرك إن شاء الله تعالى، بل قد يكون من باب التحدُّث بالنعمة...

٧ قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كل معروف صدقة، كنا نعدّ

الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقِدْر. وفي رواية: والفأس والميزان وما تتعاطون بينكم.

رواه أبو داود ١٦٥٧، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٢، وابن جرير ٣٠/ ٣١٧، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٦٩، والطبراني في الكبير ٩٠١٣، والأوسط ١٤٩٥، والبزار ٢٢٩٢ بالأستار، والبيهقي ٤/ ١٨٣ وسنده حسن وهو صحيح لطرقه وشواهده، بل قال النور في المجمع ٧/ ١٤٣: رجال الطبراني رجال الصحيح.

في هذه الآية كسابقتيها وعيد شديد لمن اتَّصف بهذه الصفات الثلاث: السهو عن الصلاة، والمراءاة بالأعمال، ومنع الناس العارية التي يتعارف الناس على إعارتها، وذلك مثل الدلو والفأس والنار والملح والإبرة وأشباه ذلك من الأمور التَّوافه.

ويؤخذ من نصوص الشرع أنَّ هذه الخصال الثلاث لا تجتمع إلَّا في منافق أو رقيق الدين.

والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الكَوْثَرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ثلاث آيات، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم.

من خصائص هذه السورة

امتازت بالآتي:

١ ـ ذكر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى نبينا ﷺ في الجنة وامتنانه تعالى عليه بذلك، آية ١.

٢ ـ أمره تعالى إياه ﷺ بإدامة الصلاة ونحر البُدن شكرًا لله عزَّ وجلّ، آية ٢.

٣ ـ إخباره تعالى إيَّاه ﷺ بأنَّ مبغضه هو الأبتر الأقطع، وهو دفاع من الباري جلَّ عُلاه عن حبيبه عليه الصلاة والسلام، آية ٣.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ . . . ﴾ الآيات.**

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في

المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتبسِّمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقدْ أُنْزِلَتْ عليَّ آنفًا سورة»، فقرأ: «بسم اللَّـهِ الرَّحمن الرَّحيم، ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾»، قال: «أتَدْرُون ما الكوثَر؟»، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهرٌ وعَدَنِيهِ ربِّي عزَّ وجلّ عليه خير كثيرٌ، هو حوض ترد عليه أُمَّتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فَيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: رب إنه من أُمَّتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك».

رواه أحمد ٣/ ١٠٢، ١٦٤، ٢٣٦، ومسلم ٤/ ١١٢، وأبو داود ٧٨٤، كلاهما في الصلاة، والنسائي في التفسير ٦/ ٥٢٣.

وعنه قال: لما عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيتُ على نهرٍ حافَّتاه قِبَابُ اللُّؤْلُؤ مُجوَّف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»، وفي رواية: «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافَّتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك».

رواه أحمد ٣/ ١٦٤، ١٩١، ٢٠٧، ٢٣١، ٢٨٩، والبخاري ١٠/ ٣٦٢، والترمذي ٣١٤١، كلاهما في التفسير، ورواه البخاري أيضًا في الرقاق ١٤/ ٢٧٠، وأبو داود في السُّنَّة ٤٧٤٨، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٣، وابن جرير ٣٠/ ٣٢٣، ٣٢٤.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنَّها سُئِلت عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾، قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطِآه عليه دُرٌّ مُجَوَّفٌ آنيته كعدد النجوم.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٦٢ وهو من أفراده، ورواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٣ وفيه: «في بَطْنَانِ الجنة، قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدرِّ والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج».

رواه أحمد رقم ٥٣٥٥، ٥٩١٣، والترمذي في التفسير ٣١٤٢ وحسَّنه وصحَّحه، وسنده صحيح رجاله رجال الصحيح، وهو عند ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٧٠.

قوله: أغفى... إلخ، أي: نام. وقوله: فيختلج، أي: ينتزع ويقتطع. وقوله: حافتاه: هو شاطئاه. والكوثر هو نهر في وسط الجنة أعد لنبينا ﷺ وهو أصل للحوض الذي يُهيَّأ له ﷺ ولأمَّته قبل الصراط، وجاءت الأحاديث بصفتهما متَّحدة غالبًا، والإيمان بالحوض والكوثر من العقائد الإسلامية اليقينية لا أحرمنا الله ووالدينا ومشايخنا وأحبَّتنا وجميع المؤمنين من الشرب منهما. وراجع تهذيب الخصائص الكبرى والشفا لعياض لكاتبه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. ٣

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المنتبر من قومه يزعم أنه خير منّا؟ ونحن ـ يعني أهل الحجيج وأهل السدانة ـ؟ قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النساء].

رواه النسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٤، وابن جرير ٣٠/ ٣٣٠، والبزار ٢٢٩٣ بالأستار، وابن حبان ١٧٣١ بالموارد، والطبراني في الكبير ١١٦٤٥ وسنده صحيح.

الشانىء: هو المبغض. والأبتر: هو الذي إذا مات انقطع نسله وذِكْره.

وقد كان المشركون يلمزون النبـي ﷺ بذلك عندما مات له ولده إبراهيم فدافع الله تعالى عنه وأخبره بأنَّ شانئه هو الأبتر الأذل الأخزى الأقل، أما هو ﷺ فقد أعلى الله ذكره على الرغم من أنوفهم، وأعزَّه وأظهر دينه، وأوجب شرعه على جميع العباد عبر الأجيال إلى يوم القيامة. . . وآمن به واتَّبعه مليارات من البشر والجن، ولا يزال الناس يدخلون في دينه من سائر الأجناس في كل عصر من العصور. . وكل ذلك يعتبر عزًّا له وتشريفًا.

والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الكَافِرُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست آيات.

من خصائص هذه السورة

اختصَّت بالبراءة من الكفر والشرك وقطع أطماع الكافرين فيما طلبوه من النبي ﷺ والمسلمين في التسامح بينهم وتبادل العبادة بين الله وبين الأصنام، وصرَّحت بأنَّ لِكُلٍّ دينه، فللكفار دينهم وهو عبادة الأوثان والأحجار والأشجار، ولنبي الله والمؤمنين دينهم، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والبراءة من غيره أيًّا كان.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قراءتها في صلاة الطواف والفجر وبين العشاءين:

عن جابر رضي الله تعالى عنه في حديث حجَّة النبي ﷺ أنه عليه

الصلاة والسلام لما فرغ من الطواف ذهب إلى المقام وقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ثم صلّى ركعتين خلفه، قرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه أحمد ٣/ ٣٢٠، ومسلم ٨/ ١٧٥، ١٧٦ وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه مسلم ٦/ ٥، وأبو داود ١٢٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٥، وابن ماجه ١١٤٨.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رَمَقْتُ النبيَّ ﷺ أربعًا وعشرين مرَّةً يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه الترمذي ٣٧٤، وابن ماجه ١١٤٩، وابن حبان ٦٠٩ بالموارد، وسنده صحيح.

كان ﷺ يختار هاتين السورتين في هذه الصلوات لما امتازتا به من التوحيد ونفي الشريك والبراءة من عبادة غير الله عزَّ وجلّ...

قراءتها عند النوم:

عن فَرْوَةَ بنِ نوفل، عن أبيه رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فمجيءُ ما جاءَ بك؟»، قلت: جئت يا رسول الله لِتُعَلِّمَني شيئًا أقوله عندَ منامي، قال: «إذا أخذتَ مضجعكَ فاقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾، ثم نم على خاتمتها فإنَّها براءةٌ من الشِّرك».

رواه أبو داود في الأدب ٥٠٥٥، والترمذي في الدعوات ٣١٨٣، والنسائي في

الكبرى ٦/ ٥٢٤، وابن حبان ٢٣٦٣، ٢٣٦٤ بالموارد، والحاكم ١/ ٥٦٥، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

فيه أنَّ قراءة هذه السورة عند النوم تبرىء صاحبها من الشرك، وحُقَّ لها ذلك، فينبغي لكل مؤمن تعاهُدها عند منامه.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النَّصْرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي مدنية، وهي الثالثة من نيف وأربعين سورة مكية، وآياتها ثلاث كالكوثر، لكن هذه أطول من تلك.

من خصائص هذه السورة

تمتاز هذه السورة، بأنها تتحدَّث عن مجيء نصر الله للإسلام وأهله، وفتح مكة المكرَّمة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وإعلام النبي ﷺ بدنوِّ أجله.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه يسألني مع أصحاب النبي ﷺ، فقال له عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: أتسأله ولنا بَنُون مثلُه؟ قال: فقال له عمر: إنه من حيث تعلم فسأله عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، فقلت: إنما هو

أجلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَهُ إيَّاهُ، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال له عمر: واللّـهِ ما أعلم منها إلاَّ ما تَعْلَمُ.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٦٥، ٣٦٧، وفي مواضع، والترمذي ٣١٤٣، والنسائي ٦/ ٥٢٥، كلاهما في التفسير.

وعنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ قال: نُعِيَتْ لرسول الله ﷺ نَفْسُه حين أُنْزِلَتْ فأخذ في أشدِّ ما كان اجتهادًا في أمرِ الآخرة. . . الحديث.

رواه النسائي ٦/ ٥٢٥، وابن جرير، والطبراني في الكبير ١١٩٠٣، ١١٩٠٤، وابن حبان ٢٢٩٩ بالموارد بسند صحيح، وانظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢٣ و ٧/ ١٤٤.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللّـهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللّـهُمَّ اغْفِر لي»، يتأوّل القرآن.

رواه البخاري في الصلاة رقم ٧٩٤، ٨٠٧، وفي المغازي، وفي التفسير ١٠/ ٣٦٤، ومسلم في الصلاة ٤٨٤، وأبو داود ٨٧٧، والنسائي في المجتبى، وابن ماجه ٨٨٩.

وقولها: يتأول القرآن، أي: يفعل ما أمره به في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ . . .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال لعبيد الله بن عتبة: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قال: صدقت.

رواه مسلم آخر الكتاب ١٨/ ١٦٠، ١٦١، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٥.

هذه الآخرية نسبية وإلاَّ فقد قيل: إنَّ آخر ما نزل المائدة أو التوبة أو آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وراجع ما تقدَّم في المائدة والتوبة.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ المَسَدِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي خمس آيات.

من خصائص هذه السورة

حديثها يدور بالخصوص حول الخائِبَيْنِ الخَاسِرَيْنِ العدوَّين أبـي لهب وزوجه الغادرة أم جميل، اللّذَين كانا شديدي العداوة لرسول الله ﷺ، وقد سجل الله عزَّ وجلّ عليهما الخيبة والهلاك والتباب في قرآن يُتلى مدى الدهر.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) **قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١... ﴾ الآيات.**

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صَعِدَ رسولُ اللَّـهِ ﷺ ذاتَ يوم على الصَّفا، فنادى: «يا صَبَاحَاه»، فاجتمعت إليه قريشٌ... فقال أبو لهب: ألهذا جَمَعْتَنَا؟ تبًا لك، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٣٦٨، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٨، والترمذي ٣١٤٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٦، وغيرهم، وقد تقدَّم كاملاً في سورة الشعراء عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾، أي: خسرت. والتباب: الهلاك والخسارة، وعبَّر تعالى باليدين عن الذات وهو شائع في الأساليب العربية. وقوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾، أي: صاحبة إشعال وتلهُّب. والجِيد: العنق. والمسد: الليف.

وعن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت النبـي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَازِ وهو يقول: «يا أيُّها الناس، قولوا: لا إلـٰهَ إلاَّ اللّـٰهَ تُفْلِحُوا»، ويَدْخُلُ في فجاجِهَا والناس مُتَقَصِّفُونَ عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت يقول: «أيُّها الناس، قولوا: لا إلـٰهَ إلاَّ اللّـٰهَ تُفْلِحُوا»، إلاَّ أن وراءه رجلاً أحول وَضِيءَ الوجه ذا غَدِيرَتَيْنِ يقول: إنَّه صَابِـىءٌ كاذِبٌ، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوَّة، قلت: من هذا الذي يكذِّبه؟ قالوا: عمّه أبو لهب.

رواه أحمد وابنه عبد الله في المسند ٣/ ٤٩٢، ٤٩٣، ٤/ ٣٤١، من طرق، والطبراني في الكبير ٥/ ٦١، وأورده الهيثمي ٦/ ٢٢ وقال: بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال.. وله شاهد عن طارق بن عبد الله، وعن رجل من بني مالك بن كنانة، وعن منيب الأزدي وعن مدرك. أوردها كلها الهيثمي ٦/ ٢١، ٢٢، وفيها ما رجالها رجال الصحيح أو رجالها ثقات غير أنَّ بعضها فيها بدل «أبي لهب»: «أبو جهل».

وفي هذا الحديث وما معه ما كان عليه النبـي ﷺ من تحمُّل المشاق والشدائد في تبليغ رسالة ربّه مع غربته وهو صابر حامد لا يَتَضَجَّرُ ولا يتأخَّر حتى أظهره اللّـٰه عزَّ وجلّ ونصره، وفيه ما كان عليه ذلك الخاسر الخائب أبو لهب من خذلان ابن أخيه الكريم ﷺ وخبثه وسقوطه وسفاهته، فبدل أن

ينصره ويتبع دينه أو على الأقل يعتزله ويبكت عنه، كان يؤذيه ويشتمه ويسفهه ويحذر منه ويخذله، فأذله الله في نار جهنم.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين، وجزاه عنَّا وعن الإسلام أفضل وأعظم وأجزل ما جزى رسولاً عن أمته ونبيًّا عن قومه.

* * *

﴿ سُورَةُ الإِخْلَاصِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي أربع آيات.

من خصائص هذه السورة

من خصائصها أنها تتحدَّث عن التوحيد، وصفات الألوهية نفيًا وإثباتًا، فأثبتت لله الوحدانية والصمدية، ونفت عنه الولادة والولد والكفؤ والمماثل، وفي ذلك ردّ على المشركين القائلين بالذرية له والبنين، وعلى النصارى القائلين بالتثليث، وبذلك كانت جامعة لتوحيد الله تعالى؛ لأنَّ التوحيد مركَّب من الإِثبات والنفي: إثبات ذات لا تشبه الذوات غير معطلة عن الصفات، منزَّهة عن الشبه والمماثلة للمحدثات. ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ . . .﴾ الآيات.

تقدَّم حديث أبـي هريرة: «يقول الله تعالى: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك. . .» إلخ في سورة الروم، آية ٢٧.

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أُنْسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ...﴾.

والصمد: الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلاَّ سيموت، وليس شيء يموت إلاَّ سيورث، وأنَّ الله تعالى لا يموت ولا يورث. ولم يكن له كفوًا أحد. قال: لم يكن له شبيهٌ ولا عدل ولا كمثله شيء.

رواه الترمذي في التفسير ٣١٤٥، وابن جرير ٣٠/ ٣٤٢، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٧٤، والحاكم ٢/ ٥٤٠، وصححه ووافقه الذهبي، وللحديث طرق يحسن أو يصح بها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فَسَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾، فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ»، قلت: ما وجبت؟ قال: «الجنة».

رواه الترمذي في فضائل القرآن ٢٧٠٥، والنسائي في الكبرى ٦/ ٥٢٦، وكذا أحمد ٢/ ٣٠٢، والحاكم ١/ ٥٦٦، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه، أنه دخل على رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلِّي يدعو يقول: اللَّـهُمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشهد أن لا إلـهَ إلاَّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، قال: «والذي نَفْسِي بيدِهِ لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِل به أعطى وإذا دُعِي به أجابَ».

رواه أبو داود ١٤٩٣، ٣٤٤٥، وابن ماجه ٣٨٥٧، وغيرهما بسند صحيح.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى

رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له وكان الرجل يَتَقَالُّهَا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيدِه إنَّها لتعْدِلُ ثلثَ القرآن».

رواه البخاري في فضائل القرآن ١٠/ ٤٣٥، وفي الأيمان والنذور، وفي التوحيد، ومسلم ٨١١، ٨١٢، وجاءت أحاديث كثيرة بهذا حتى عُدت في المتواتر. وانظر: تهذيب جامع الترمذي آخر التفسير، كما جاءت أحاديث في فضلها غير ما ذكرنا، وقد أوردت خلاصتها في بداية الوصول.

وفي هذه الأحاديث جملة من الفضائل والخصائص لهذه السورة ككونها فيها اسم الله الأعظم، وكون قراءتها توجب الجنة وكونها تعدل ثلث القرآن إلى غيرها من المزايا.

وبهذا تمَّت سورة الإخلاص، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الفَلَقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي خمس آيات.

من خصائص هذه السورة

من خصائصها ومقاصدها: طلب التحصُّن برب الفلق والصبح من الشرور العارضة من المخلوقات، ومن شر الليل إذا أظلم، ومن شرّ الساحرات النفَّاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد. وهي رقية من كل ذلك.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾. ﴿٣﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فإذا القمر حين يطلع، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإنَّ هذا هو الغاسق إذا وَقَب».

رواه أحمد ٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، والترمذي في التفسير ٣١٤٦، والنسائي

في اليوم والليلة، والحاكم ٢/ ٥٤٠، ٥٤١، وحسّنه الترمذي وصحّحه، وكذا صحّحه الحاكم والذهبي وحسّنه الحافظ وضعّفه النووي واهمًا.

ظاهر الحديث أنَّ الغاسق هو القمر إذا غاب، ويقال أيضًا لليل إذا أظلم. . . وقوله: وقب، أي: دخل بظلامه

وبهذا تمّت سورة الفلق، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذرّيّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النَّاسِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآله وصحبه وزوجه وحزبه

هي ست آيات.

من خصائص هذه السورة

من خصائصها أنها هي تتحدَّث عن الاحتماء بالله عزَّ وجلّ والاستجارة به من الأعداء الألدَّاء، ألا وهم شياطين الإنس والجن. وهي رقية من كل ذلك.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن أبـي ذر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلستُ، فقال: «يا أبا ذر، هل صلَّيت؟»، قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال: فقمت فصلَّيت ثم جلست، فقال: «يا أبا ذر، تعوَّذ بالله من شرِّ شياطين الإنس والجنِّ»، قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»، الحديث.

رواه أحمد ٥/١٧٨، وهو وإن كان فيه المسعودي، فإن له شاهدًا عن أبـي هريرة

رواه الطبراني في الأوسط ٢٤٥، وعن أبي أمامة عند أحمد فيحسن لذلك، وانظر ما سبق في الأنعام آية ١١٢.

والاستعاذة من الشياطين وردت بها أحاديث كثيرة متواترة معروفة في كتب الأذكار والدعوات حفظنا الله عزَّ وجلّ من شرهم.

وبهذا تمَّت سورة الناس، والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

الأحاديث الصحيحة الواردة في المعوذات

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قد أنزل الله عليَّ آيات لم يُرَ مثلهنَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾».

رواه أحمد ٤/ ١٤٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ومسلم في فضائل القرآن ٦/ ٩٦، والنسائي في الاستعاذة، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧١١، وآخر التفسير ٣١٤٧ بتهذيبي.

وعنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دُبُر كلِّ صلاة.

رواه أحمد ٤/ ١٥٥ وفي مواضع، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧١٢، والنسائي ٣/ ٥٨، وسنده صحيح عند أحمد.

وعنه قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: «قل»، فاستمعت، ثم قال: «يا عقبة، قل»، فاستمعت، فقالها الثالثة، فقلت: «ما أقول؟ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقرأ السورة حتى ختمها. ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: «ما تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أحدٌ».

رواه النسائي في المجتبى ٥٠١٨، وفي الكبرى ٤/ ٤٤١ بسند صحيح.

وعن عبد الله بن خُبَيْبٍ رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا ليلة مَطِيرَةً وظُلمَةً شديدة نطلُبُ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي لنا، قال: فأدْركْتُه فقال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئًا، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ حينَ تُمْسِي وتُصْبِح ثلاثَ مرَّاتٍ تكفيكَ من كلِّ شيءٍ».

رواه أبو داود في الأدب ٥٠٨٢، والنسائي في المجتبى ٣٨٢٨، وفي الكبرى ٤/ ٤٤٢، ٤٤٣ وسنده صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جَمَعَ كفَّيْه ثمَّ نَفَثَ فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرَّات.

رواه البخاري في فضائل القرآن رقم ٥٠١٧، وفي الطب ٥٧٤٨، وفي الدعوات ٦٣١٩، ومسلم ١٧/ ٣٧، وأبو داود في الأدب ٥٠٥٦، والترمذي في الدعوات ٣١٨٢، وابن ماجه ٣٨٧٤.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتدَّ وجعُه كنتُ أقرأ عليه وأمسحُ بيده رجاء بركتها.

رواه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٧، وفي الطب ٥٧٤٨، وفي الدعوات ٦٣١٩، ومسلم في كتاب السلام ٢١٩٢، وأبو داود ٣٩٠٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى، وغيرهم.

في هذه الأحاديث فضل هذه السور الثلاث وقراءتها مجموعة، وأنها أفضل ما تعوَّذ بها المسلم، وأنها تسن قراءتها صباحًا ومساءً وخاصة عند

النوم، وأنَّ من قرأها كذلك كفته من كل شيء يسوءه، وأنها يرقى بها عند المرض.. فينبغي للمؤمن المحافظة على قراءتها حسب ما جاء في هذه الأحاديث.

وفَّقنا الله عزَّ وجلّ للعمل بما في الكتاب والسُّنَّة من أوامر وإرشادات آمين، وجنَّبنا الزلل والهفوات وحفظنا من كل ما فيه سخطه وغضبه آمين، وختم لنا بالسعادة عند الأجل وجمعنا وحشرنا مع نبيّنا ﷺ في جملة النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وبـه تـمَّ الكتـاب،
والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات،
وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله
وذرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين،
كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *

وكـان الفـراغ منـه
ضحوة يوم الثلاثاء، السادس عشر من محرَّم الحرام،
بداية عام اثنين وعشرين وأربعمائة وألف ١٤٢٢هـ،
بمنزلي بطنجة مرشان طريق القرية، دار القرآن والعلوم الدينية،
على يد أفقر الورى وأحوجهم إلى رحمة الله ومغفرته
أبـي الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي،
عفا الله تعالى عنه وغفر له وسامحه، آمين.

الفهارس

١ ـ فهرس أطراف الأحاديث والآثار .

٢ ـ فهرس أسباب النزول .

٣ ـ فهرس الموضوعات .

١ - فهرس
أطراف الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة
آخى رسول الله بين . . .	٣٨٩
آخر شيء نزل من القرآن . . .	١٣٩
آخر ما نزل . . . آية الربا . . .	١٣٣
آية المنافق ثلاث . . .	٤٠
الآيتان من آخر البقرة . . .	٣٦
أبالله وآياته . . . تستهزئون . . .	٤١٤
أبا المنذر، أي آية . . .	٣٥
ابدأ بما بدأ الله به . . .	٦٩
ابدأ بنفسك فتصدق . . .	١٠٠
أبشر بخير يوم مر عليك . . .	٤٢٤
أبصروها فإن جاءت به أكحل . . .	٥٨٤
أبغض الرجال إلى الله . . .	٩٧
أتاني جبريل فأمرني أن أضع . . .	٤٨٧
أتاني جبريل (في رفع ذكره ﷺ) . . .	١٠٦٩
أتاني داعي الجن فذهبت . . .	٩٧٧
أتاني الليلة ربي في أحسن . . .	٧١٠
أتت أم عمارة النبي ﷺ فقالت . . .	٦٦٢
أتدرون أي يوم ذلك . . .	٥٥٦
أتدرون ما أخبارها . . .	١٠٨٧
أتدرون ما الغيبة . . .	٨٠٩
أتدرون ما الكوثر . . .	١٠٩٩
أتدرون ما هذان الكتابان . . .	٧٤٠
أتدرون مم أضحك . . .	٥٩٥، ٦٩٥
أتدري ما حق الله على العباد . . .	٢٢٨
أترى بما أقول بأسًا . . .	١٠١١
أتردين إليه حديقته . . .	١١١
أتريد أن تكون فتانًا . . .	١٠٤٢
أتريدون أن تقولوا كما . . .	١٤٦

أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة . . . ١١٢
اتقوا الله في النساء . . . ١١٠
اتقوا الظلم فإن الظلم . . . ٩٠٠
اتقوا فراسة المؤمن . . . ٤٧٥
أتقولون هذا أضل أم بعيره . . . ٣٥٦
أتي بالبراق ليلة أسري . . . ٤٩١
أتي بلحم فرفع إليه الذراع . . . ٤٩٥
أتيت ليلة أسري بي . . . ١٣٤
أتيت على نهر حافتاه اللؤلؤ . . . ١٠٩٩
اجتنبوا السبع الموبقات . . . ٢١٠، ٣٧٢، ٥٩٥
اجعلها في قرابتك . . . ١٦٩
اجمعوا لي من كان من يهود . . . ٥١، ٥٧٧
اجعلوها في ركوعكم . . . ٨٧٣
اجعلوها في سجودكم . . . ٨٧٣
أجيبوه، قولوا: الله مولانا . . . ٧٧٢
احتج آدم وموسى . . . ٤٤، ٥٨، ٢٥٨
أحسنت فإذا تعافت فاجلدها . . . ٢٢٠
أحصر رسول الله فحلق وجامع . . . ٨٧
أحلت لنا ميتتان ودمان . . . ٢٦٨
احموا ظهورنا فإن رأيتمونا . . . ١٨٦
أحيانًا يأتيني مثل صلصلة . . . ٧٤٠، ٩٨٣
أخبَرَني بهن جبريل . . . ٥٣
أخبِرْني عن صفة رسول الله . . . ٦٦٧
أخِّر عني يا عمر . . . ٤١٧
أخذ الله الميثاق من ظهر آدم . . . ٣٦١
اِخسأ فلن تعدو قدرك . . . ٧٥٦
أدِّ الأمانة إلى . . . ١٤٥، ٢٣٥
ادع القوم فمن أسلم . . . ٦٨٠
ادعوا الله الذي إذا . . . ٦١٩
إذا أحب الله عبدًا نادى . . . ٥٣٤
إذا أخذت مضجعك فاقرأ . . . ١١٠٣
إذا أرسلت كلبك المعلم . . . ٢٧٢
إذا استأذن أحدكم ثلاثًا . . . ٥٩٦
إذا تمنى أحدكم فلينظر . . . ٨٣٨
إذا جلس بين شعبها الأربع . . . ٢٧٧
إذا جمع الله الأولين . . . ١٠٣٩
إذا جمع الله الناس ليوم القيامة . . . ٥٢٤
إذا حرم الرجل امرأته . . . ٩٤٤
إذا خلص المؤمنون من النار . . . ٧٧١
إذا دخل أهل الجنة . . نادى منادٍ . . . ٤٣٠
إذا دخل أهل النار النار جيء . . . ٥٢٨
إذا رأيت الله يعطي العبد . . . ٣٢٣، ٧٥٢
إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه . . . ١٥٣
إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد . . . ٣٩٩
إذا زنت أمة أحدكم . . . ٢٢٠
إذا سمعتم صياح الديكة . . . ٦٤٣
إذا قام أحدكم من الليل . . . ٢٣٣
إذا قرأ ابن آدم السجدة . . . ٤٣

إذا قضى الله الأمر . . . ٦٨٢
إذا كان يوم الجمعة كان . . . ٩٢٢
إذا كان يوم القيامة أدنيت . . . ١٠٢٥
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى . . . ٨٨٨
إذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا . . . ٢٧٠
إذا مات الإنسان انقطع . . . ٨٤٢
إذا نعس أحدكم وهو يصلي . . . ٢٣٢
أُذن لي أن أحدث عن ملك . . . ٩٦٢
اذهب إلى صدقة بني زريق . . . ٨٨٦
اذهب فادعه (لبعض العتاة) . . . ٤٦٢
اذهب فاطلب ولو خاتمًا . . . ٦٦٨
أرأيت الليل إذا جاء . . . ١٨١
أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً . . . ٦١٣
أربع قبل الظهر بعد الزوال . . . ٤٨٣
أربعة يوم القيامة يدلون . . . ٤٩٦
أربعوا على أنفسكم . . . ٧٦
ارجع فأحسن وضوءك . . . ٢٧٧
ارجع فإنك لم تصنع شيئًا . . . ٨٣٧
أرني مكانه حتى أمحوه . . . ٧٩٥
أرواحهم في جوف طير خضر . . . ١٩٠
أريد أن أصلي فأتوضأ . . . ٢٧٤
أريد منهم كلمة تدين لهم . . . ٧٠٥
أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب . . . ٢٧٦
استعيذوا بالله من عذاب . . . ٣٤٨
أسري بالنبي إلى بيت المقدس . . . ٤٩٤
اسق يا زبير وأرسل الماء . . . ٢٣٧
اسقه عسلاً . . . صدق الله . . . ٤٨٤
اسم الله الأعظم في هاتين . . . ١٥٣
أسمع صلاصل ثم أسكت . . . ٩٨٤
استوصوا بالنساء خيرًا . . . ٢١٨
أشبهت خلقي وخلقي . . . ٧٩٦
اشتكى رسول الله فلم يقم . . . ١٠٦٤
اشتكت النار إلى ربها . . . ٩٩٩
أشد ما صنع المشركون . . . ٧٢٧
أشد الناس عذابًا . . . ٥٠
اشفعوا تؤجروا . . . ٢٤١
اشهدوا (عند انشقاق القمر) . . . ٨٤٧
أشيروا أيها الناس (في الحديبية) . . . ٧٨٦
أصبح من الناس شاكر . . . ٨٧٠
أصدق كلمة قالها الشاعر . . . ٦٢٦
اصرف بصرك (عن نظر الفجأة) . . . ٥٩٨
اصنعوا كل شيء إلاَّ النكاح . . . ١٠١
أعتق النسمة وفك الرقبة . . . ٤١٢
أعذر الله إلى امرىء أخر عمره . . . ٦٩٠
أعطِ ابنتي سعد الثلثين . . . ٢١٢
أعطيت خمسًا لم يعطهن . . . ٣٥٩، ٦٨٣
أعطيت خواتيم سورة البقرة . . . ١٤٨
أعطيت ما لم يعط أحد . . . ١٧٦

اعملوا فكل ميسر لما خلق له . . . ١٠٦١
أعوذ بكلمات الله التامة . . . ٥٧٥
أعوذ بوجهك . . . هذا أهون . . . ٣٢٥
أعوذ بنور وجهك . . . ٦٠١
اغزوا في سبيل الله . . . ٨٤
أفتان أنت يا معاذ . . . ١٠١٩
أفتحبه لأمك . . . أفتحبه لبنتك . . . ٤٩٧
أفرغت يا أبا الوليد . . . ٧٣٢
أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر . . . ٤٠٧
أفلا أكون عبدًا شكورًا . . . ٧٨١
أفي شك أنت يا ابن الخطاب . . . ٧٥١
أفيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون . . . ٩٩١
أقبل وأدبر واتق الدبر . . . ١٠٣
أقبل اليهود إلى النبي . . . ٥٣
اقرأ الآيتين من آخر البقرة . . . ١٤٨
اقرأ عليَّ . . فإني أحب . . . ٢٣١
أَقرأُنا أُبَـيّ . . . ٥٤
اقرأوا القرآن فإنه يأتي شافعًا . . . ٣٤
أقرب ما يكون الرب من العبد . . . ٨٢٣
اكتب . . . فوالذي نفسي بيده . . . ٨٣٣
أكرمهم عند الله أتقاهم . . . ٤٥٤
إلى معاد: إلى مكة . . . ٦٢٦
ألست تنتجها وافية أعيانها . . . ٣١٤
ألظوا بذي الجلال والإكرام . . . ٨٥٨
الله . (قاله لغورث) . . . ٢٨٠
الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل . . . ٣٥٣
اللَّـهمَّ اجعل صلاتك ورحمتك . . . ٥٩٧
اللَّـهمَّ ارحم المحلقين . . . ٧٩٦
اللَّـهمَّ أعني عليهم بسبع . . . ٦٣٤
اللَّـهمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه . . . ٤٩٨
اللَّـهمَّ أمتي أمتي . . . ٣١٨، ٤٦٧
اللَّـهمَّ إن تهلك هذه الفئة . . . ٣٧١
اللَّـهمَّ أنت السلام . . . ٨٥٨
اللَّـهمَّ أنجز لي . . . ٣٧٠، ٣٨٥
اللَّـهمَّ إني أول من أحيا أمرك . . . ٢٩٠
اللَّـهمَّ إني أنشدك عهدك . . . ٨٤٧
اللَّـهمَّ إني أعوذ بك من العجز . . . ١٠٥٨
اللَّـهمَّ إنك عفو تحب العفو . . . ١٠٨١
اللَّـهمَّ أيده بروح القدس . . . ٦١٥
اللَّـهمَّ أين ما وعدتني . . . ٣٨٥
اللَّـهمَّ بارك لنا في ثمرنا . . . ٥٨، ٥٩
اللَّـهمَّ حاسبني حسابًا يسيرًا . . . ١٠٣٠
اللَّـهمَّ رب السموات السبع . . . ٨٧٦
اللَّـهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى . . . ٤٢١، ٥٩٧
اللَّـهمَّ صلِّ على محمد . . . ٦٧٤
اللَّـهمَّ فقهه في الدين . . . ١٥
اللَّـهمَّ لك الحمد أنت نور . . . ٦٠٠
اللَّـهمَّ منزل الكتاب . . . ٦٥٦
اللَّـهمَّ هؤلاء أهل بيتي . . . ٦٦١

اللَّـهمَّ هؤلاء أهلي . . . ١٦٠
اللَّـهمَّ هذا قسمي فيما أملك . . . ٢٥٥
اللَّـهمَّ لا تخزني يوم القيامة . . . ٩٤٨
الذين إذا رؤوا ذكر الله . . . ٤٣٠
ألم تري أن قومك . . . ٥٩
أليس الذي أمشاه على الرجلين . . . ٥٠٨
أما إنك لو لم تفعلي كتبت . . . ٩١٣
أما إنكم تنظرون إلى ربكم . . . ٨١٩
أما إنه سيكون (يعني النعيم) . . . ١٠٩١
أما إنه ليس من أهل هذه الأديان . . . ١٧٧
أما إنهم سيَغْلِبون (الروم) . . . ٦٣٣
أما إنهم لم يكونوا يعدونهم . . . ٤٠٣
أما إني خيرت فاخترت . . . ٤١٧
أما تستحي المرأة أن تهب . . . ٦٦٩
أما علمت يا عمرو أن الإسلام . . . ٣٧٨
أما والله إني لأتقاكم لله . . . ٧٨٢
أما والله إني لأخشاكم لله . . . ٣٠٢
أُمِرَ أن يأخذ العفو . . . ٣٦٤
أُمِرَ بالجلوس مع ضعفاء المؤمنين بخلاف الكافرين المتكبرين . . . ٥١٤
أَمَرَ من كل جاد عشرة أوسق . . . ٣٣٣
أَمَرَ يوم بدر بأربعة وعشرين . . . ٦٣٨
أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى . . . ٨٤، ١٢٦، ٣٩٧، ١٠٤٧
أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى . . . ٦٥٧
أَمَرَني أن أصرف بصري . . . ٥٩٨
أَمَرَني أن أقرأ بالمعوذات . . . ١١١٧
امكثي في بيتك حتى يبلغ . . . ١١٦
إمّا أن تركب أو تنصرف . . . ٥٩٧
أمّا أهل النار الذين هم أهلها . . . ٥٣٨، ٦٨٩، ١٠٤٢
أمّا بعد فإن الدنيا قد آذنت . . . ٨٤٦
أمّا بعد يا عائشة فإنه قد بلغني . . . ٥٨٨
أمّا صاحبكم هذا فقد غامر . . . ٣٥٨
أمَّتي أمتي . . . سنرضيك . . . ٣١٨، ٤٦٧
أنْ تجعل لله ندًّا وهو خلقك . . . ٤٠، ٦٠٩
أنْ تطعمها إذا طعمت . . . ١١٠
إنْ تغفر اللَّـهمَّ تغفر جمًّا . . . ٨٤٠
إنْ رأيتمونا تخطفنا الطير فلا . . . ١٨٦
إنْ شاء محببة . . . ١٠٣
أنْ لا يمس القرآن إلاَّ طاهر . . . ٨٧١
أنْ ينظر في كتابه فيتجاوز . . . ١٠٣٠
أنا أول من يؤذن له في الخروج . . . ٩٤٨
أنا أول من يجثو بين يدي . . . ٥٦٠
أنا أولى الناس بعيسى . . . ٢٨٣، ٧٤٢
أنا بين الخيرتين : أستغفر لهم . . . ٤١٧
أنا دعوة أبي إبراهيم . . . ٩١٦
أنا سيد ولد آدم . . . ٤٩٥، ٥٠٢
أنا محمد وأنا أحمد . . . ٩١٦

أَنَا النبي لا كذب ٤٠٢
أَنَا وكافل اليتيم كهاتين . . . ٢٢٩، ١٠٥١
أَنبئوني بأفضل أهل الإيمان . . . ٣٧
انبعث أشقاها: انبعث لها رجل . . . ١٠٥٩
أَنتَ أخونا ومولانا . . . ٧٩٦
أنت بذاك (قاله للمظاهر) . . . ٨٨٥
أَنْت منهم (قاله لابن مسعود) . . . ٣٠٩
أَنْتَ مني وأنا منك . . . ٧٩٦
أَنْتم أعلم بدنياكم . . . ٤٨
أَنْتم الذين قلتم . . لكني أصوم . . . ٣٠٢
أَنْتُم اليوم خير أهل الأرض . . . ٧٨٣
انْتهى إليها ما يعرج من الأرض . . . ٨٣٤
أَنزل على رسول الله وفخذه . . . ٩٨٤
أَنْشدك بالله أهكذا تجدون . . . ١٨٩
أَنْشدك بالذي أَنْزَل عليك التوراة . . . ٣٥٨
أَنْشدكم بالذي أنزل التوراة . . . ١٦٩
انشق القمر على عهد رسول الله . . . ٨٤٧
انْصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا . . . ٢٦٨
انْطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ . . . ٩٠٧
انْظر فإنك لست بخيرٍ من أحمر . . . ٨١١
انهزموا ورب محمد . . . ٤٠٢
الإنابة إلى دار الخلود . . . ٣٣٢
الأنبياء إخوة من علات . . . ٢٨٣
إنّ آثاركم تكتب . . . ٦٩٣
إنّ إبراهيم حرم مكة . . . ٥٨
إنّ ابني هذا سيد وسيصلح . . . ٨٠٦
إنّ أحدكم ليتكلم بالكلمة . . . ٨١٧
إنّ أحدكم ليجمع خلقه . . . ٥٥٨
إنّ أحدكم إذا مات عرض . . . ٧٢٨
إنّ الله إذا استُودع شيئًا حفظه . . . ٦٤١
إن الله إذا تجلى لشيء يخشع له . . . ٣٥٤
إنَّ الله إذا خلق العبد للجنة . . . ٣٦٠
إنّ الله أطعمنا الغنائم رحمة . . . ٣٨٧
إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك . . . ١٠٨٤
إنّ الله بسط يده بالليل ليتوب . . . ٦٠٨
إنّ الله تجاوز عن أمتي . . . ١٤٧
إنّ الله تجاوز لأمتي عما . . . ٨١٦
إنّ الله جعل بالغرب بابًا . . . ٣٣٨
إنّ الله حبس عن مكة . . . ١٠٩٤
إنّ الله خلق آدم ثم أخذ . . . ٨٦٦
إنّ الله خلق آدم فمسح . . . ٣٦٠
إنّ الله خلق آدم من قبضة . . . ٤١، ٥٧١، ٦٣٥
إنّ الله خلق خلقه في ظلمة . . . ٣٤٦، ٦٠١
إنّ الله خلق لوحًا محفوظًا . . . ١٠٣٦
إنّ الله خلق مائة رحمة . . . ٣٥٦

إنّ الله خلق يوم خلق . . . ٣٥٦
إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت . . . ٤٠٤
إنّ الله سيخلص رجلاً من أمتي . . . ٥٤٦
إنّ الله طيب لا يقبل . . . ٧١، ٥٧٢
إنّ الله قال : إنا أنزلنا المال . . . ١٠٨٤
إنّ الله قبض أرواحكم . . . ٧١٦
إنّ الله قبض قبضة بيمينه فقال . . . ٨٦٦
إنّ الله قد أعطى كل ذي حق . . . ٧٣
إنّ الله قد فرض عليكم الحج . . . ١٧١
إنّ الله قدر المقادير قبل أن . . . ٨٧٨
إنّ الله كتب على ابن آدم . . . ٨٤٠
إنّ الله كتب كتابًا أنزل منه . . . ١٤٨
إنّ الله لم يفرض الزكاة إلاّ . . . ٤٠٦
إنّ الله لم يهلك قومًا فيجعل . . . ٢٩٦
إنّ الله لما خلق الخلق كتب . . . ٣٢٢
إنّ الله ليرفع بهذا القرآن أقوامًا . . . ٨٨٩
إنّ الله ليرفع ذرية المؤمن . . . ٨٢٨
إنّ الله ليملي للظالم فإذا . . . ٤٤٢
إنّ الله ورسوله حرم الخمر . . . ٣٣٥
إنّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنة . . . ٢٣٠، ٤٨٢
إنّ الله لا ينام ولا ينبغي . . . ١٢٣، ٦١٨
إنّ الله يبسط يده بالليل . . . ٣٣٩
إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا . . . ١٧٣
إنّ الله يقبل توبة العبد . . . ٢١٥، ٧٤٣
إنّ الله يقبل الصدقة ويأخذها . . . ٤٢١
إنّ الله يقول : أنا أغنى الشركاء . . . ٥٢٤
إنّ الله يقول : يا عبادي كلكم مذنب . . . ٦٩٧
إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم . . . ٥٠٧، ٦٠٨
إنّ أمر محمد كان بيّنًا لمن رآه . . . ٣٨
إنّ أهل الجنة يتراءون . . . ٧١٤
إنّ أهل الكتابين افترقوا . . . ١٧٤
إنّ أول الآيات خروجًا . . . ٦٢٠
إنّ أول زمرة تدخل الجنة . . . ٨٥٦
إنّ أول ما خلق الله القلم . . . ٩٥٤
إنّ أول ما يسأل عنه من النعيم . . . ١٠٩٢
إنّ أول من جحد آدم . . . ١٤١
إنّ بالمدينة أقوامًا . . . ٤١٨
إنّ الحميم ليصب على رؤوسهم . . . ٥٦١
إنّ الدنيا حلوة خضرة . . . ٤٢٨
إنّ الدين عند الله الحنيفية . . . ١٠٨٤
إنّ الدين يسر . . . ٧٥
إنّ الربا وإن كثر فإن . . . ١٣٦
إنّ ربك ليعجب من عبده . . . ٧٤٩
إنّ ربي عزَّ وجل أمرني . . . ٦٣٦
إنّ رجلاً أذنب ذنبًا . . . ١٨٢
إنّ الرجل يعمل بطاعة الله . . . ٢١٣
إنّ روح القدس نفث في رُوعي . . . ٧٤٦
إنّ الزمان قد استدار . . . ٤٠٨

أنّ سبيعة الأسلمية نفست . . . ٩٣٨
إنّ سورة من القرآن ثلاثون آية . . . ٩٥١
إنّ الشمس والقمر آيتان . . . ٧٣٦
إنّ الشهر تسع وعشرون . . . ١٠٨
إنّ طير الجنة كأمثال البخت . . . ٨٦٣
إنّ عبد الله رجل صالح لو . . . ٨٢٢
إنّ العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت . . . ١٠٢٦
إنّ العبد إذا كان في انقطاع . . . ٣٤٨
إنّ العبد إذا وضع في قبره . . . ٦٣٨
إنّ العشر عشر الأضحى . . . ١٠٥١
إنّ عفريتًا تفلت علي البارحة . . . ٧٠٧
إنّ في الأنعام آيات محكمة . . . ٣٣٦
إنّ في الجنة خيمة من لؤلؤة . . . ٨٥٧
إنّ في الجنة غرفًا يرى ظاهرها . . . ٨٢٢
إنّ في الجنة لشجرة يسير . . . ٨٦٧
إنّ في الجنة لمجتمعًا للحور . . . ٨٦٤
إنّ في الجنة مائة درجة . . . ٥٧٠، ٧٧٥
إنّ في المعاريض لمندوحة . . . ٥٤٧
إنّ قلوب بني آدم بين أصبعين . . . ٣٢٩
إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . ٤٥٦
إنّ لقمان كان يقول . . . ٦٤١
إنّ لكلِّ نبيٍّ حواريًا . . . ١٥٩
إنّ لكلِّ نبيٍّ ولاة من النبيين . . . ١٦٤
إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا . . . ٣٦٣، ٩٠٣
إنّ للشهيد عند الله ست خصال . . . ٧٧١
إنّ المرأة خلقت من ضلع . . . ٢٠٧
إنّ المسلم إذا سئل في القبر . . . ٤٦٦
إنّ مكة حرمها الله . . . ٨٢
إنّ من الشجر شجرة . . . ٤٦٥
إنّ الملائكة تحدث في العنان . . . ٦١٤
إنّ من الشعر لحكمًا . . . ٦١٦، ٦٩٧
إنّ من ضئضىء هذا قومًا . . . ٤١١
إنّ من عباد الله من لو أقسم . . . ٧٣
إنّ من العباد عبادًا يغبطهم . . . ٤٣١
إنّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل . . . ٥١٨
إنّ موسى كان رجلاً حييًا . . . ٦٧٧
إنّ موضع سوط أحدكم . . . ١٩٤
إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه . . . ٦١٥
إنّ الميت تحضره الملائكة . . . ٧٠٩
إنّ ناركم هذه جزء من سبعين . . . ٨٦٩
إنّ ناسًا من أمتي يعذبون . . . ٤٧٢
إنّ الناس إذا رأوا الظالم . . . ٣١٥
إنّ الناس يصيرون . . . جثى . . . ٥٠٣
إنّ الناس يقولون أكثر أبوهريرة . . . ٦٩
إنّ النبي سجد في ص وقال . . . ٧٠٦
إنّ هذا البلد حرمه الله . . . ٨٢، ٦٢١، ٦٢٦
إنّ وسادك لعريض . . . ٧٨
إنّا إذا نزلنا بساحة قوم . . . ٧٠٢

إنّا لم نرده عليك إلاّ أنّا حُرم . . . ٣١١
إنّا لا نستعين بمشرك . . . ٩٣١
إنّك لعريض القفا . . . ٧٨
إنكم تتمون سبعين أمة . . . ١٧٦
إنكم تختصمون إلي . . . ٨٠، ٢٥٠
إنكم تُدْعَون مفدمًا على أفواهكم . . . ٧٣٤
إنكم سترون ربكم كما ترون . . . ٥٤١
إنكم محشورون رجالاً وركبانًا . . . ٥٠٧
إنّما أمرت بالوضوء إذا قمت . . . ٢٧٤
إنّما أنا رحمة مهداة . . . ٥٥٣
إنّما سمي البيت العتيق . . . ٥٦٣
إنّما سمي الخضر لأنه . . . ٥٢١
إنّما مثلي ومثل ما بعثني . . . ٤٧٧
إنّما هو كما قال لقمان لابنه . . . ٣٢٦
إنّما يكفيك هكذا . . . ٢٨٠
إنّه أتاني آتيان الليلة . . . ٤٢٠
إنّه بلغني أنكم تريدون . . . ٦٩٣
إنّه سيكون في هذه الأمة قوم . . . ٣٥١
إنّه قد أذن لكن أن تخرجن . . . ٦٧٥
إنّه كان معك ملك يرد عنك . . . ٧٤٥
إنّه ليأتي الرجل العظيم . . . لا يَزن . . . ٥٢٣، ٥٢٤
إنّه ليس بذاك . . . ٦٤٢
إنّه ليغان على قلبي وإني . . . ٩٤٧
إنّها تنفي الخبث . . . ٢٤٢
إنّها ستكون فتنة، القاعد . . . ٢٨٦
إنّهم الآن يسمعون ما أقول . . . ٦٣٧
إنّهما ليعذبان . . . ٩٥٥
إنّي أخاف أن تناموا . . . ٧١٦
إنّي أمرت بالعفو فلا تقاتلوا . . . ٢٣٩
إنّي رأيت الجنة فتناولت . . . ٨٦٣
إنّي عند الله خاتم النبيين . . . ٦٠، ٩١٦
إنّي لم أبعث لعانًا . . . ٥٥٣
إنّي لا أصافح النساء . . . ٩٠٩
اهجهم وجبريل معك . . . ٦١٥
أوتيت بالبراق وهي دابة . . . ٤٩٢
أو غير ذلك يا عائشة . . . ٣٦٣
أول زمرة يدخلون الجنة . . . ٨٦٤
أول ما بدىء به من الوحي . . . ١٠٧٥
أول مسجد وضع . . . ١٧١
أول الناس يُقضى يوم القيامة . . . ٨٤٩
أوليس قد ابتعته منك . . . ١٤٣
أوليس اليهود يقرأون التوراة . . . ٢٩٨
أو مسلم (لمن منع منه الصدقة) . . . ٨١٢
ألا أبشرك بما لقي أباك . . . ٧٤٧
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمَّون . . . ٥٢٨
ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء . . . ٤٠٦
ألا أخبركم بأفضل آية . . . ٧٤٤
ألا أخبركم بأفضل من الصيام . . . ٢٥١
ألا أدلكم على ما يمحو الخطايا . . . ٢٠١

ألا أنبئكم بأهل الجنة . . . ٩٥٧
ألا إنَّ آل أبـي فلان ليسوا لي . . . ٣٧٨
ألا إنَّ أحدكم إذا مات . . ٧٢٨
ألا إنَّ ربـي أمرني أن أعلمكم . . . ٧٠
ألا إنَّ القوة الرمي . . . ٣٨٢
ألا إنَّما هي أربع : أن لا تشركوا . . . ٦٠٩
ألا تجيبوه؟ قولوا الله مولانا . . .
ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم . . . ٧٣٤
ألا تصفون كما تصف الملائكة . . . ٧٠١
ألا تصلون؟ (قاله للإمام علي ومولاتنا فاطمة) . . . ٥١٧
ألا رجل يضيفه . . . ٨٩٩
ألا وإني أوتيت القرآن ومثله . . . ٧
أي عم قل لا إلـه إلاَّ الله . . . ٤٢٣
أيسركم أنكم أطعتم الله . . . ٣٥٠
أين السائل عمن قضى نحبه . . . ٦٥٨
أين المتألي على الله . . . ١٠٦
إياكم والجلوس على الطرقات . . . ٥٩٨
إياكم والظن . . . ٨٠٩
أي يوم أحرم . . . ١٣٨
أيكم ماله أحب إليه من مال . . . ٩٨٦
أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة . . . ١٠٢٧
أيها الناس إنه لم يبقَ مبشرات . . . ٤٣٢
أيها الناس قد فرض عليكم الحج . . . ١٧١
بخ ذلك مال رابح . . . ١٦٨
بسم اللّـه الرَّحمن الرَّحيم من محمد رسول الله . . . ١٦١
بُعِث ﷺ ببراءة . . . ٣٩٥
بعثت إلى كل أحمر وأسود . . . ٣٥٩
بعثت إلى الناس كافةً . . . ٣٥٩
بعثت أنا والساعة كهاتين . . . ٨٤٥
بعثت بالحنيفية السمحة . . . ٧٥
بل أستأني بهم (كفار قريش) . . . ٤٩٩
بل شربت عسلاً عند زينب . . . ٩٤٤
بل على شيء قد فرغ منه . . . ٤٤٣
بـل للناس عامة (للذي قبل المرأة) . . . ٤٤٥
بل للناس كافة . . . ٤٤٤
بل هو من أهل الجنة . . . ٨٠١
بينا رسول الله يصلي بفناء . . . ٧٢٧
بينما أنا أمشي إذ سمعت . . . ٩٨٩
بينما أنا عند البيت . . . ١٠٦٩
بين الرجل وبين الشرك . . . ١٠٩٥
بين النفختين أربعون . . . ٧٢٣
البينة وإلاَّ حد في ظهرك . . . ٥٨٣
تبايعوني على أن لا تشركوا . . . ٩١٠
تبلغ الحلية من المؤمن حيث . . . ٥٦١
تجيء الأعمال يوم القيامة . . . ١٦٦
تحشرون حفاة عراة . . . ٥١٦، ١٠١٢
تحروها في السبع الأواخر . . . ١٠٨١
تخرج الزكاة من مالك . . . ٤٩٧

تشويه النار فتقلص شفته . . .	٥٧٧
تصدقوا عليه . . .	٤١٣
تطعمها إذا طعمت . . .	٢٢٧
تعس عبد الدينار والدرهم . . .	٧٧٢
تقولين: اللّٰهمَّ إنك عفو . . .	١٠٨١
تفتح يأجوج ومأجوج . . .	٥٥٠
تلا رسول الله: ﴿ربِّ إنهن أضللن كثيرًا﴾ . . .	٤٦٧
تلزم بيتك (قاله لأبي ذر) . . .	٢٨٦
تلقي الأرض أفلاذ كبدها . . .	١٠٢٩
تلك الروضة الإسلام . . .	١٢٧
تلك السكينة نزلت للقرآن . . .	٧٨٣، ٨٨٠
تلك صلاة المنافق . . .	٢٥٥
تلك العزى . . .	٨٣٧
توفي ودرعه مرهونة . . .	١٤٤
ثكلتك أمك يا ابن لبيد . . .	٢٩٨
ثلاث إذا خرجن لم ينفع . . .	٣٣٩
ثلاث جدهنَّ جد . . .	١١٣
ثلاث من كن فيه وجد بهن . . .	٤٠٠
ثلاثة لا يكلمهم الله	١٢٨
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . . .	٦٢٤
جاء الأقرع بن حابس، وعيينة ابن حصن، فوجدوا النبي ﷺ . . .	٥١٤
جاء العاقب والسيد . . .	١٦٠
الجاهر بالقرآن كالجاهر . . .	١٣١
جاورت بحراء فلما قضيت . . .	٩٩٠
جعل الله الأهلة . . .	٨٠
جنتان من ذهب آنيتهما . . .	٤١٤
جنتان من فضة آنيتهما . . .	٨٥٧
حاج آدم موسى عليهما السلام . . .	٥٣٩
حبب إلي من دنياكم . . .	١٥٦
الحج عرفات . . .	٩٦
الحج عرفة . . .	٩٣
حجي واشترطي . . .	٨٧
الحسب المال والكرم التقوى . . .	٨١٢
حَسِّ، لو أُطاع فيكُنَّ . . .	٦٧٣
الحمد لله، أم القرآن . . .	٤٧٦
الحمد لله الذي أخرجه من النار	١٥٧
الحمد الذي جعل في أمتي من أمرني . . .	٥١٤
خذوا الشيطان، (في شاعر) . . .	٦١٥
خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلاً . . .	٢١٤
خذوا ما وجدتم، وليس لكم . . .	٤١٣
خرج نساء الأنصار كأن . . .	٦٧٥
خرج يلتمس فوجد قومًا . . .	٥١٥
خرجت سودة بعدما ضرب . . .	٦٧٥
الخط (أثارة من العلم) . . .	٧٦٢
خطب ﷺ زينب لزيد . . .	٦٦٣
خطب ﷺ على جليبيب امرأة . . .	٦٦٤
خفف على داود القرآن . . .	٤٩٨

خمس قد مضين: الدخان... ٦١٠
خلق الله آدم: فضرب كتفه... ٨٦٥
خلق الله الخلق فلما فرغ... ٧٧٧
خلقت الملائكة من نور... ٨٥٣
خير دينكم أيسره... ٧٥
خيركم خيركم لأهله... ٢١٧
خير ما ركبت إليه الرواحل... ٥٦٣
خير نسائها مريم... ١٥٨
خير النساء التي إذا نظرت إليها... ٢٢٧
خير يوم طلعت عليه الشمس... ٤٥
الخيل لثلاثة: لرجل أجر... ٣٨٢
دعا على الأحزاب... ٦٥٦
دعا على قريش بالسنين... ٧٥٦
الدعاء هو العبادة... ١٠٨٥
دخل أبو بكر يستأذن... ٦٥٩
الدقل والفارسي... ٤٥٩
دعوة ذي النون إذ دعا... ٥٤٨
دعوا لي أصحابي فوالذي... ٨٧٧
دعوها فإنها منتنة... ٧٤٦
الدنيا متاع وخير متاعها... ٢٢٧
دونك فانتصري، (لعائشة)... ٧٢٨
ذاك إبراهيم (خير البرية)... ٥٤٩
ذروني ما تركتكم... ٨٩٥، ٨٩٦
ذكر رسول الله الدجال... ٥٤٩
رأى جبريلَ في حلة قد سد... ٨٣٣
رأى جبريلَ في صورته... ٦٨٧
رأى جبريلَ وله ستمائة جناح... ٦٨٧
رآه بقلبه مرتين... ٨٣٤
رأيت جبريل ينزل من الأفق... ٢٩٩
رأيت عمرو بن لحي الخزاعي... ٣١٤
رأيت الليلة رجلين أتياني... ١٣٣
الربا ثلاث وسبعون بابًا... ١٣٥
رباط يوم وليلة خير... ٢٠١
رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر... ٩١٥
الزاد والراحلة... ١٧٢
الساعي على الأرملة... ٢٢٩
سأل موسى ربه... ٦٤٩
سألت جبريل أي الأجلين... ٦٢٣
سام أبو العرب... ٧٠٠
سباب المسلم فسوق... ٩٠
سبحانك اللّٰهم وبحمدك... ١١٠٦
سبوح قدوس... ١٠٨٢
سجد النبي في النجم... ٨٤٢
سجدت خلف أبي القاسم... ١٠٣١
السجدة في ص ليست... ٧٠٦
سجدها داود توبة... ٧٠٦
سددوا وقاربوا فإن صاحب... ٧٤١
السلام عليكم دار قوم... ٦٣٩
السلام عليكم ورحمة الله... ٥٩٧
سلوا الله من فضله... ٢٢٤
سمعت النبي يقرأ بالطور... ٨٢٩
سموها زينب... ٨٤١

سيكون بعدي أمراء ٤٤٣
سينهاه ما تقول (أي صلاته) . . . ٦٣٠
شاهت الوجوه . . . ٣٧٣
شاهت الوجوه . . . ٤٠٢
شر قتلى تحت أديم السماء . . . ١٧٥
شر ما في الرجل شح هالع . . . ٩٦٩
الشرك بالله وقتل النفس . . . ٢٢٣
شغلونا عن الصلاة الوسطى . . . ١١٩
الشفاء في ثلاثة : في شرطة . . . ٤٨٤
الشمس والقمر مكوران . . . ١٠١٥
شيبتني هود والواقعة . . . ٨٦١
صدق الله ورسوله إنما أموالكم . . . ٩٣٢
صدقة تصدق الله بها عليكم . . . ٢٤٨
الصدقة على المسكين صدقة . . . ١٠٥٦
صدقْت، (قاله للعباس في بدر) . . . ٣٦٩
الصعيد وضوء المسلم . . . ٢٧٩
صلوا عليه (يعني النجاشي) . . . ٢٠٠
صم ثلاثة أيام أو أطعم . . . ٨٨
ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا . . . ٤٢٩
الطاعون وخز أعدائكم . . . ٤٩
طلق أيتهما شئت . . . ٢١٩
طوبى لمن رآني وآمن بي . . . ٣٧
عجبًا لأمر المؤمن . . . ٦٨١، ٦٨٢
عذاب القبر (يعني ضنكًا) . . . ٥٤٠
عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح . . . ١٠٦٥
عرضت عليَّ الجنة والنار . . . ٣١٣
عشر، عشرون، ثلاثون (لمن سلّم) . . . ٢٤٢
على جسر جهنم (عندما تبدل الأرض) . . . ٧٢٢
على اليد ما أخذت حتى . . . ١٤٥
علام تشتمني أنت وفلان . . . ٨٩٠
عليك بالجهاد فإنه رهبانية . . . ٨٨٠
عليك بالصعيد فإنه يكفيك . . . ٢٧٩
عليكم بالشفاءين : العسل . . . ٤٨٤
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة . . . ١٠٩٦
العين حق ولو كان شيء سابق . . . ٩٥٩
الغلام الذي قتله الخضر . . . ٥٢٠
فأما الذين سبقوا بالخيرات . . . ٦٨٨
فإن عادوا فعد . . . ٤٨٨
فإني قد رضيته (يعني جليبيبًا) . . . ٦٦٤
فرغ ربكم من العباد . . . ٧٤١
فضل صلاة الجميع . . . ٥٠١
فضلنا على الناس بثلاث . . . ٧٠١
فلم لا أخذتم مسكها . . . ٣٣٣
في الجنة بحر اللبن . . . ٧٧٤
في الدنيا (عن الغفلة) . . . ٥٤٤
قاربوا وسددوا . . . ٢٥٢

قال الله: إذا هم عبدي بحسنة... ٣٤٠
قال الله: أعددت لعبادي... ٦٤٩
قال الله: ثم أورثنا الكتاب... ٦٨٨
قال الله: كذبني ابن آدم... ٥٦، ٥٧
قال الله: ومن أظلم ممن... ٥٦٦
قال الله: يا ابن آدم أنى تعجزني... ٦٩٧
قال الله: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي... ٨٢٥
قال سليمان بن داود: لأطوفن... ٥١٣
قام موسى يومًا في قومه... ٤٦٤
قام نبي الله يصلي، فخطر... ٦٥٤
قام النبي حتى أصبح بآية... ٣١٩
قد أفلح من أسلم... ٤٨٢، ١٠٦٦
قد أنزل الله القرآن فيك وفي... ٥٨٤
قد خبأت لك خبئًا... ٧٥٦
قد كان قبلكم نبي يخط... ٧٦٢
قد كان لي منكم إخوة... ٢٥٢
قدر الله مقادير... ٤٣٨
قرن ينفخ فيه... ٥٢٢، ٦٢١
قصَّ على هذا رؤياك... ٨٦٢
قصة الروم مع الفرس... ٦٣٤
قصة سعد بن أبي وقاص وأمه... ٦٢٩
قطع سوقها وأعناقها... ٧٠٧
قل: آمنت بالله ثم استقم... ٧٣٦
قل: اللّهم فاطر السماوات... ٧١٧
قل: ربي الله ثم استقم... ٧٣٦
قل: قل هو الله أحد... ١١١٧
قل: لا إله إلاَّ الله أشهد لك... ٦٢٥
القلوب أربعة: قلب أجرد... ٣٩
القنطار اثنا عشر ألفًا... ١٥٦
قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل... ٧٢٤
قوموا إلى جنة عرضها... ١٨١
قوموا فانحروا ثم احلقوا... ٧٩١
قيل لبني إسرائيل ادخلوا... ٤٨
كافل اليتيم له أو لغيره... ١٠٥١
كان آخر كلام إبراهيم... ١٩٢
كان أحدهم يعبد الحجر... ٧٥٨
كان أحسن الناس خلقًا... ٩٥٥
كان إذا آوى إلى فراشه... ١١١٨
كان إذا أراد أن يخرج أقرع... ٥٨٥
كان إذا أراد أن يدعو... ١٨٠
كان إذا أراد أن ينصرف من صلاته... ٨٥٨
كان إذا استوى على بعيره خارجًا... ٧٥٠
كان إذا اشتكى يقرأ بالمعوذات... ١١١٨
كان إذا اغتسل من الجنابة... ٢٧٨
كان إذا حزبه أمر صلَّى... ٥٤٢
كان إذا ذهب ثلثا الليل قال... ١٠٠٧
كان إذا سلم لا يقعد إلاَّ بقدر... ٨٥٨
كان إذا قام أمر بالوضوء... ٢٧٤

كان إذا قام من الليل . . . ٩٧، ٩٨، ٧١٦
كـان إذا نـزل بـأهلـه الضيـق أمرهم . . . ٥٤٢
كان أكثر دعوة يدعو بها . . . ٩٥
كان الله ولم يكن شيء معه . . . ٤٣٧
كان الذي مات على القبلة . . . ٦٣
كـان أول مـن قـدم المـدينـة مصعب . . . ١٠٤١
كان بنو النضير إذا اقتتلوا . . . ٢٩١
كانت عامة وصية رسول الله . . . ٢٣٠
كان خلقه القرآن . . . ٥٦٩، ٩٥٥
كان القصاص في بني إسرائيل . . . ٧٢
كان للنبي خطبتان يجلس . . . ٩٢٤
كـان ملـك (قصـة الغـلام والملك) . . . ١٠٣٣
كان الناس في رمضان إذا . . . ٧٧
كان النداء يوم الجمعة . . . ٩٢٢
كـان لا ينـام حتـى يقـرأ: ألـم تنزيل . . . ٦٤٨
كان يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا . . . ٧٠٣
كان يأوي إلى ركن شديد . . . ٤٤١
كان يتمثل بشعر ابن رواحة . . . ٦٩٦
كان يتوضأ لكل صلاة . . . ٢٧٤
كان يحب أن يوجه . . . ٦٤
كان يُحرس حتى نزل . . . ٢٩٩
كان يدعو: اللّٰهم أعوذ . . . ٤٨٥
كان يدعو عند النوم: . . . ٨٧٦
كان يصلي الظهر إذا زالت . . . ٥٠١
كان يصلي على راحلته . . . ٥٥
كان يصلي نحو بيت المقدس . . . ٦٤
كان يصوم حتى نقول لا يفطر . . . ٧١٩
كـان يعـالـج مـن التنـزيـل شدة . . . ٥٣٩، ٩٩٣
كان يعتكف العشر . . . ٧٩
كان يعلمنا كلمات عند النوم . . . ٥٧٥
كان يقرأ في الأضحى والفطر . . . ٨٤٥
كان يقرأ في الجمعة . . . ١٠٤٥
كـان يقـرأ فـي الصبـح يـوم الجمعة . . . ٩٩٨
كان يقرأ في صلاة الجمعة . . . ٩٢٥
كان يقرأ في الظهر والعصر . . . ١٠٢٩
كان يقرأ في العشاء الآخرة . . . ١٠٣٣
كان يقرأ في العيدين . . . ١٠٤١
كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة . . . ٦٤٧
كان يقرئنا القرآن ما لم يكن جنبًا . . . ٨٧٢
كان يقطع قراءته . . . ٩٨٢
كـان يقـول: اللّٰهـمَّ إنـي أعـوذ بك . . . ١٠٥٨
كان يقول دبر كل صلاة . . . ٧٢٧
كان يقول في ركوعه وسجوده . . . ١٠٨٢
كان يقول لأصحابه: هل رأى . . . ٤٢٠
كـان يقـول: لا إلـه إلاَّ الله وحده . . . ٦٥٥

كان يكثر أن يقول في ركوعه . . . ١١٠٦
كان يكثر أن يقول: يا مقلب . . . ٣٢٩
كان يوم عاشوراء . . . ٧٤
كانت أموال بني النضير مما . . . ٨٩٣
كانت امرأة تصلي خلف . . . ٤٧٣
كانت امرأتان معهما ابناهما . . . ٥٤٧
كانت عامة وصية رسول الله . . . ٢٣٠
كانت قراءته مدًّا . . . ٩٨٢
كانوا يخذفون أهل الأرض . . . ٦٣٠
الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . ٤٥٤
كفى بالمرء كذبًا أن يحدث . . . ٢٤١
كفوا عن القوم إلاَّ أربعة . . . ٤٨٩
كلاب النار شر قتلى . . . ١٧٥
كلّ أمتي يدخلون الجنة إلاَّ . . . ١٠٤٨
كلّ أهل الجنة يقول: لولا . . . ٧٩٦
كلّ ذنب عسى الله أن يغفره . . . ٢٣٤
كلّ شراب أسكر فهو حرام . . . ٣٠٦
كلّ عرفات موقف . . . ٩٣
كلّ عمل ابن آدم يضاعف . . . ١٢٨
كلّ مسكر حرام . . . ٣٠٦
كلّ مسكر خمر . . . ٣٠٥
كلّ معروف صدقة . . . ٢٥١
كلّ مولود يولد على الفطرة . . . ٩٩٨
كلمتان خفيفتان على اللسان . . . ٨٧٢
كلوا الزيت وادهنوا . . . ٥٧١
كلوا واشربوا وتصدقوا . . . ٣٤٧
الكمأة من المن وهي شفاء . . . ٤٨
كمل من الرجال كثير . . . ٩٤٨
كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي . . . ٥٦٣
كنا مع النبي في سفر . . . ٥٥
كنا نتحدث أن أصحاب بدر . . . ١٢١
كنا نتكلم في الصلاة . . . ١١٩
كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة . . . ٧٨٣
الكوثر نهر في الجنة . . . ١١٠٠
كيف أنت إذا أصاب الناس . . . ٢٨٦
كيف أنعم وقد التقم صاحب . . . ٧٢٤
كيف أنعم وصاحب الصُّور . . . ١٩٢
كيف تجد قلبك؟ . . . ٤٨٨
كيف تجدك(لرجل مريض) . . . ٧١٣
كيف تفعلون بمن زنى منكم . . . ١٧٠
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم . . . ١٨٠
كيف يقدس الله قومًا . . . ٧٣٥
لأستغفرن لك الله ما لم أنه . . . ٤٢٣
لأعلمنك أعظم سورة . . . ٣٧٤
لئن صدق ليدخلن الجنة . . . ١٠٤٦
لئن كنت أقصرت الخطبة لقد . . . ١٠٥٥
لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا . . . ٦٩٦
لعن الله الخمر وشاربها . . . ٣٠٦
لعن الله المحلل والمحلل له . . . ١١٣
لعن الله اليهود حرمت . . . ٣٣٥
لعن رسول الله آكل الربا . . . ١٣٤

لعن رسول الله الراشي . . . ٧٩
لعن رسول الله الواشمات . . . ٨٩٥
لقد أنزلت علي آنفًا (الكوثر) . . . ١٠٩٩
لقد أنزلت عليَّ سورة . . . ٧٧٩، ٧٨٠
لقد تحجرت واسعًا . . . ٣٥٥
لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير . . . ٦٤٨
لقد قرأتها على الجن فكانوا . . . ٨٥٢
لقد قلت كلمة لو مزجت بماء . . . ٨١٠
لقد نزلت آية ويل لمن قرأها . . . ١٩٨
لقي آدم موسى فقال . . . ٥٢٩
لقي موسى آدم فقال . . . ٣٥٥
لك بها سبعمائة ناقة . . . ١٢٨
لكل غادر لواء يوم القيامة . . . ١٠٣٩
لكل نبي رهبانية ورهبانية . . . ٨٨٠
لله خمسها، وأربعة . . . ٣٧٩
للسائل حق ولو جاء على فرس . . . ٨٢٣
لِم لطمت وجهه؟ . . . ٧٢٢
لَمْ تحل الغنائم لأحد . . . ٣٨٦
لَمْ يبعث الله نبيًا إلاَّ بلسان . . . ٤٦٤
لَمْ يتكلم في المهد إلاَّ عيسى . . . ١٥٩
لَمْ يكذب إبراهيم في شيء . . . ٥٤٦، ٧٠١
لَمْ يكن يغزو في الشهر الحرام . . . ٨٥
لمّا أسري برسول الله انتهى . . . ١٤٧
لمّا أغرق الله فرعون . . . ٤٣٣
لمّا أهديت زينب إلى رسول الله . . . ٦٧٢
لمّا خلق الله آدم مسح ظهره . . . ٣٦٠
لمّا خلق الله الأرض جعلت . . . ١٠٠٨
لمّا خلق الله جنة عدن . . . ٥٦٩
لمّا عرج بي رأيت . . . ٥٣٠
لمّا فتر عنه الوحي كان يجاور . . . ٦٨٧
لمّا قدم رسول الله المدينة صلّى . . . ٦٤
لمّا كان ليلة أسري بي . . . ٤٩٢
لمّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي . . . ٣٠٠
لن يجتمعا في قلب رجل . . . ٧١٣
لن يغلب عسر يسرين . . . ١٠٧٠
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . . . ٢٢٦
لن يوافي عبد يوم القيامة . . . ٧٧٥
لو اتخذت من مقام إبراهيم . . . ٥٧
لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا . . . ٥٠
لو أن رجلاً أراد فيه بإلحاد . . . ٥٦٢
لو أن رصاصة مثل هذه أرسلت . . . ٩٦٥
لو أن عبدًا خرَّ على وجهه . . . ١٠٥٣
لو أن قطرة من الزقوم . . . ١٧٣
لو أن اليهود تمنوا الموت . . . ٥٢
لو أنكم لا تخطئون لخلق الله . . . ١٠٨٧
لو توكلتم على الله حق توكله . . . ٨٢٦

لو جاء العسر فدخل هذا الحجر . . . ١٠٧٠
لو خرج الذين يباهلون . . . ١٦١
لو دخلتموها ما خرجتم منها . . . ٢٣٧
لو دنا مني لاختطفته الملائكة . . . ١٠٧٩
لو رحم الله أحدًا من قوم نوح . . . ٩٧٢
لو فعل لأخذته الزبانية . . . ١٠٧٨
لو فعل لأخذته الملائكة . . . ١٦١
لو كان الإيمان بالثريا . . . ٩٢٠
لو كان كاتمًا شيئًا . . . ٦٦٥
لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب . . . ١٠٩٠
لولا ما مضى من كتاب الله لكان . . . ٥٨٤
لو يعلم المؤمن ما عند الله . . . ٣٥٧
ليس المسكين الذي ترده . . . ١٣٢
ليس بأرض ولا امرأة (سبأ) . . . ٦٨٠
ليس الغنى عن كثرة العرض . . . ١٠٦٦
ليس هو كما تظنون . . . ٣٢٦
ليس لي في النساء حاجة . . . ٦٦٨
لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم . . . ٨١١
ليُّ الواجد يُحل عرضه . . . ٢٥٧
ما أحل الله في كتابه فهو حلال . . . ٥٣١
ما أسكر كثيره فقليله حرام . . . ٣٠٦
ما أصاب أحدًا قط هم . . . ٣٦٤
ما أصابكم من مرض أو عقوبة . . . ٧٤٤
ما أصر من استغفر وإن عاد . . . ١٨٤
ما أنا حملتكم بل الله حملكم . . . ٤١٩
ما أنزل الله في التوراة والإنجيل . . . ٤٧٦
ما أنزل الله فيها (زكاة الحمر) . . . ١٠٨٨
ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه . . . ٢٦٩
ما بال دعوى الجاهلية . . . ٩٢٨
ما بعث الله من نبي . . . إلَّا كانت له بطانتان . . . ١٧٨
ما بين القوم وبين أن ينظروا . . . ٧٠٨
ما تحت ظل السماء . . . ٧٥٩
ما تركت بعدي فتنة أضر . . . ١٥٦
ما تعوذ بمثلهن أحد . . . ١١١٧
ما خلأت القصواء . . . ١٠٩٤
ما خلق الله وما ذرأ . . . أكرم عليه من محمد . . . ٤٧٤
ما الدنيا في الآخرة إلَّا كما . . . ٤٠٩
ما زال جبريل يوصيني بالجار . . . ٢٣٠
ما ضلَّ قوم بعد هدى . . . ٩٧، ٧٥٣
ما ظنك باثنين الله ثالثهما . . . ٤١٠
ما فعل أسيرك يا أبا هريرة . . . ١٢٢
ما قرأ على الجن ولا رآهم . . . ٩٧٦
ما كان فارس يوم بدر غير المقداد . . . ٣٧١
ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ . . . ٨٨
ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا . . . ٤٧٢، ٦٨٣
ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلَّا . . . ٦٥٤
ما لي أراكم عزين: ألا تصفون . . . ٩٦٩
ما لي وللدنيا: إنما مثلي . . . ١٠٦٥
ما مات حتى أحلَّ الله له النساء . . . ٦٧١

ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم... ٦٣٩
ما من أيام العمل فيهن أحب... ١٠٥٠
ما من رجل يخرج فيتصدق... ٢٩٣
ما من رجل يذنب ذنبًا... ١٨٣
ما من صاحب ذهب ولا فضة... ٤٠٧
ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته... ٩٦٨
ما من عبد تصيبه مصيبة... ٦٧
ما من عبد ظلم مظلمة فيغضي... ٧٤٥
ما من مسلم يذنب ذنبًا... ٢٥٠
ما من مسلم يصاب بشيء... ٢٩٣
ما من مولود إلاَّ والشيطان... ١٥٧
ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة... ٦٣٦
ما من مؤمن إلاَّ وأنا أولى به... ٦٥٥
ما من نبي يمرض إلاَّ خيِّر... ٢٣٨
ما من يوم يصبح فيه... ٦٨٣، ٦٨٤
ما منكم من أحد إلاَّ وقد... ١٠٦١
ما هذا يا عائشة... فرس... ٧٠٦
ما هذا اليوم... نحن أحق... ٤٣٣
ما يمنعك أن تزورنا أكثر... ٥٣٠
الماهر بالقرآن مع الكرام... ١٠١١
مثل المنافق كمثل الشاة... ٢٥٦
مثل المؤمن مثل النحلة... ٤٨٣
مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل... ٦٦٧
المختلعات هن المنافقات... ١١٢
مررت ليلة أسري بي... ٤٧
مرض أبو طالب فجاءته قريش... ٧٠٥
المستبان ما قالا فعلى البادي... ٢٥٦
المستشار مؤتمن... ١٨٨
المسلم أخو المسلم لا يظلمه... ٨٠٨
معك من سور القرآن شيء... ٧٤١
المغضوب عليهم اليهود... ٢٦
مفاتح الغيب خمس... ٣٢٤، ٤٦٠، ٦٤٣
مقبلات ومدبرات... ١٠٤
المقسطون عند الله يوم القيامة... ٨٠٧
ملك موكل بالسحاب... ٤٦١
من آتاه الله مالاً فلم يؤد... ١٩٣
من أتى ساحرًا أو عرافًا... ١٤
من أحب أن يزحزح عن النار... ١٩٤
من أحب دنياه أضر بآخرته... ١٠٤٣
من أخذ شبرًا من الأرض بغير... ٩٣٩
من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب... ٧٤٤
من استعملناه منكم على عمل... ١٩٠
من استيقظ من الليل... ٦٦٣
من أسلف فليسلف في كيل... ١٤١
من أطاعني فقد أطاع الله... ٢٤٠
من أكثر من الاستغفار جعل الله له... ٩٣٦
من أنظر معسرًا أو وضع... ١٣٩

من أنظر معسرًا فله بكل . . . ١٣٩
من تاب قبل أن تطلع الشمس . . . ٣٣٩
من ترك الصلاة متعمدًا . . . ٨٤٠
من تصدق بعدل تمرة . . . ١٣٦
من تعار من الليل فقال . . . ٨٢٩
من تكلم يوم الجمعة والإمام . . . ٩٢١
من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه . . . ٨٣٠
من حج هذا البيت فلم يرفث . . . ٩٠
من حفظ ثلاث آيات ٥١٢
من حفظ عشر آيات ٥١١
من حلف على يمين صبر . . . ١٦٤
من حلف فقال: باللات والعزى . . . ٨٣٦
من خير معايش الناس رجل . . . ٤٧٨
من دعا بدعاء الجاهلية . . . ٥٦٦
من رأى منكم منكرًا فليغيره . . . ١٧٤
من رغب عن سنَّتي فليس مني . . . ٣٠٢
من سئل عن علم فكتمه . . . ٧٠
من سره أن يبسط له في رزقه . . . ٦٨٧
من سره أن ينظر إلى الصحيفة . . . ٣٣٦
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة . . . ١٠١٥، ١٠٢٨
من سمَّع سمَّع الله به . . . ١٠٩٦
من سنَّ سنَّة حسنة فله أجرها . . . ٩٠١
من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج . . . ٨٥٣
من شهد أن لا إلـه إلاَّ الله . . . ٢٦٠
من شهد صلاتنا هذه . . . ٩٣
من صام رمضان إيمانًا . . . ١٠٨١
من صلَّى البَردين دخل الجنة . . . ٥٤٢
من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها . . . ٢٥
من صلَّى قبل طلوع الشمس . . . ٨١٩
من ظلم قيد شبر من الأرض . . . ٩٣٨
من علم فليقل . . . ٦٣٤
من قال حين يسمع النداء . . . ٥٠٣
من قال حين يصبح ثلاث مرات . . . ٩٠٤
من قال سبحان الله وبحمده . . . ٨٧٣
من قال لصاحبه تعالى أقامرك . . . ٣٠٩
من قرأ آية الكرسي دبر كل . . . ٣٥
من قرأ: أليس الله بأحكم . . . ٩٩٦
من قرأ سورة الكهف . . . ١٨٢
من قرأ سورة الواقعة . . . ٨٦٢
من قرأ يس في ليلة أصبح . . . ٦٩١
من كانت الآخرة همه جعل الله . . . ٨٢٥
من كظم غيظًا وهو يقدر . . . ١٨٢
من لبس ثوبًا جديدًا . . . ٣٤٥
من لبسه في الدنيا لم يلبسه . . . ٥٦٢
من لم تأمره صلاته بالمعروف . . . ٦٣١
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء . . . ٦٣١
من لم يسأل الله يغضب عليه . . . ٧٢٩
من مات وهو يدعو لله ندًّا . . . ٧٠
من محمد رسول الله إلى هرقل . . . ١٦٣

من نذر أن يطيع الله فليطعه . . . ٩٩٩
من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس . . . ٨٢٦
من نسي صلاة أو نام عنها . . . ٥٣٧
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ٣٥٢
من يبايعني على هؤلاء الآيات . . . ٣٣٦
من يمنعك مني (قاله لغورث) . . . ٢٨٠
المهاجرون والأنصار بعضهم . . . ٣٨٨
المؤمن يأكل في مِعىً واحد . . . ٧٧٣
المؤمنون تتكافأ دماؤهم . . . ٢٩١
الناس يومئذٍ على الصراط . . . ٤٦٩
نحر قبل أن يحلق . . . ٨٧
نحن الآخرون الأولون . . . ٩٧
نحن أحق بالشك من . . . ١٢٧
نزل القرآن على سبعة أحرف . . . ١٥٤
نزلت هذه الآية ﴿واصبر نفسك﴾ ٥١٥
نصرت بالرعب مسيرة . . . ١٨٥
نصرت بالصبا . . . ٧٣٣، ٨٢٤، ٨٤٧، ٩٦٢
نعم، (في تكرار الخصومة) . . . ٧١٥
نعم، صلي أمك . . . ٩٠٨
نَعم، يجزى به المؤمنون . . . ٢٥٢
نعم، يميتك الله ثم يحييك . . . ٦٩٧
نِعْمَ ابن آدم تصدق بصدقة . . . ١٠٠٨
نِعْمَ قوم يكونون من بعدكم . . . ٣٧
نهى عن الحمر الأهلية . . . ٣٣٤
نهى عن الدباء والحنتم . . . ٨٩٥
نهى عن الشرب في آنية الذهب . . . ٧٥١
نهانا عن الخصاء . . . ٣٠٣
نُهِيَ عن أصناف النساء . . . ٦٧١
نودوا أن صحوا فلا تسقموا . . . ٣٤٩
نودي أن يا أمة محمد أعطيكم . . . ٦٢٤
نور يقذف به في القلب . . . ٣٣٢
هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه . . . ٨٦٦
هاتين الآيتين فيهما اسم الله . . . ١٢٣
هٰذا سبيل الله . . . ٣٣٨
هٰذا كتاب من الله ورسوله . . . ٢٦٧
هٰذا ليس لي ولا لك . . . ٣٦٧
هذا مني وأنا منه (جليبيب) . . . ٦٦٤
هذا والذي نفسي بيده من النعم . . . ١٠٩١
هذا وقومه (يعني سلمان) . . . ٧٧٨
هبي نفسك لك . . . ١١٨
هل أنت إلاَّ أصبع دميت . . . ١٠٦٤
هل أنتم تاركوا لي صاحبي . . . ٣٥٨
هل تدرون كم بُعد ما بين السماء . . . ٩٦٣
هل تدرون ما اسم هذه (العنان) . . . ٩٦٣
هل تدرون مم ضحكت؟ . . . ١٠٢١
هل تعلمون أن إسرائيل . . . ٤٦
هل تفقدون . . . أفقد جليبيبًا . . . ٦٦٤

هل جئتم في عهد أحد . . . ٧٨٥
هل عندك غنى يغنيك عنها . . . ٢٧١
هل فيكم من غيركم . . . ٣٧٨
هل منكم أحد أمره أو أشار . . . ٣١١
هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا . . . ٣٥٠، ٦٣٧
هم قوم هذا (أبو موسى) . . . ٢٩٥
هم القوم لا يشقى جليسهم . . . ٦٤٣
هم المتحابون في الله . . . ٣٨٣
هنّ حولي كما ترى . . . ٦٦٠
هو رزق أخرجه الله إليكم . . . ٣١٠
هو مسجدي هذا . . . ٤٢٢
هي الحنظلة (الشجرة الخبيثة) . . . ٤٦٥
هي رؤيا عين أريها . . . ٥٠٠
هي الرؤيا الصالحة . . . ٤٣٢
هي الشفاعة (المقام) . . . ٥٠٢
هي لهم في الدنيا . . . ٧٥١
هي النخلة (الشجرة الطيبة) . . . ٤٦٥
وإن رغم أنف أبي الدرداء . . . ٨٥٥
وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب . . . ٧٨٢
وجبت (الجنة لمن قرأ قل هو الله أحد) . . . ١١١٢
وقت المغرب ما لم يغب الشفق . . . ١٠٣٠
وقيت شركم ووقيتم شرها . . . ١٠٠٢
والله إنك لخير أرض الله . . . ٧٧٤
والله إني لأرجو أن أكون . . . ٧٨٢
والله لأن يلَجَّ أحدكم بيمينه . . . ١٠٧
والله لو دعى ناديه لأخذته . . . ١٠٧٨
والله ما أدري ما يُفعل . . . ٧٦٣
والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع . . . ٦٣٨
والذي نفسي بيده إنها لتعدل . . . ١١١٣
والذي نفسي بيده لأقضين . . . ٥٨١
والذي نفسي بيده لتأمرن . . . ١٧٤
والذي نفسي بيده لقد سأله . . . ١١١٢
والذي نفسي بيده لو كان الإيمان . . . ٩٢٠
والذي نفسي بيده ليوشكن . . . ٢٥٧
والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد . . . ٤٣٨
والذي نفسي بيده لا يعطوني خطة . . . ٧٨٧
ولا الله يلقي حبيبه في النار . . . ٢٨٢
وما يدريك أن الله أكرمه . . . ٧٦٣
ويل أمه مسعر حرب . . . ٧٩٢
ويل للعرب من شر قد اقترب . . . ٥٢١
ويلك فمن يعدل إن لم أعدل . . . ٤١١
لا أحد أصبر على أذى . . . ٥٣٤
لا أحد أغير من الله . . . ٣٣٧
لا إله إلاّ الله وحده . . . ٧٢٦
لا إله إلاّ الله . . . ويل للعرب . . . ٥٢١
لا ألفين أحدكم يجيء يوم . . . ١٨٩
لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن . . . ٦٤١

لا تتبع النظرة النظرة . . . ٥٩٨
لا تتمنوا لقاء العدو . . . ١٨٤، ٣٨٠
لا تجعلوا بيوتكم مقابر . . . ٣٣
لا تحل الصدقة لغني . . . ٤١٢
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا . . . ٤٦٨
لا تدعوا على أنفسكم ولا . . . ٤٢٨
لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول . . . ٨١٨
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين . . . ٧٧٠
لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم . . . ٨٤١
لا تسألوا الآيات فقد سألها . . . ٣٥١
لا تسبوا أصحابي فوالذي . . . ٨٧٧
لا تسبوا الدهر فإن الله هو . . . ٧٥٩
لا تصحب إلَّا مؤمنًا ولا يأكل . . . ٩٧٣
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا . . . ٦١، ٦٣١
لا تصيب عبدًا نكبة . . . ٧٤٤
لا تطروني كما أطرت . . . ٢٥٩
لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية . . . ٨١١
لا تفضلوا بين أنبياء الله . . . ٧٢٢
لا تقتل نفس ظلمًا إلَّا كان . . . ٢٨٥
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر . . . ٦٢٠
لا تقوم الساعة حتى تطلع . . . ٣٣٨
لا حسد إلَّا في اثنتين . . . ١٣٠
لا حلف في الإسلام . . . ٢٢٥، ٢٢٦
لا صرورة في الإسلام . . . ٨٨٠
لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين . . . ٥٧٣
لا يتوارث أهل ملتين . . . ٣٨٩
لا يحاسب يوم القيامة أحد . . . ٨٥٤
لا يحقر أحدكم نفسه . . . ٦٦٦
لا يحل لامرأة . . . أن تحد . . . ١١٧
لا يحل لي من غنائمكم مثل . . . ٣٧٩
لا يدخل الجنة قتات . . . ٩٥٦
لا يدخل النار أحد بايع . . . ٧٨٣
لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة . . . ٥٣٢
لا يذهب الليل . . . حتى تعبد . . . ٤٠٤
لا يزال أمر الناس ماضيًا . . . ٦٠٢
لا يزال البلاء بالعبد في نفسه . . . ٧٤٥
لا يزال هذا الدين عزيزًا . . . ٦٠٢
لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره . . . ٢١٧
لا يقل أحدكم الكرم . . . ١٠٠٥
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه . . . ٨٨٨
لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة . . . ٥٣١
لا يموتن أحدكم إلَّا وهو يحسن . . . ٥٣٥
لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج . . . ٨٩
لا ينبغي لأحد أن يكون خيرًا من يونس . . . ٩٥٨
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب. ٤٠١
يا أبا أسيد أكسها . . . ١١٨

يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس . . . ٦٩٤
يا أبا ذر تعوذ بالله من شر . . . ٣٣٠، ١١١٦
يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا . . . ٩٣٦
يا أبا ذر هل صليت . . . ٣٣٠
يا أبا موسى، ألا أدلك على كنز . . . ٥١٥
يا ابن آدم إنك إن تبذل . . . ١٠٠
يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لهم . . . ٧٥١
يا أم حارثة إنها جنان . . . ٥٧٠
يا أنس كتاب الله القصاص . . . ٧٣
يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم . . . ٧٦، ٦٨٤
يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني . . . ٢٩٩
يا أيها الناس أقيموا الحد . . . ٢٢٠
يا أيها الناس إن الله قد أذهب . . . ٨١١
يا أيها الناس إنكم محشورون . . . ٣١٧، ٥٥٢
يا أيها الناس توبوا إلى الله . . . ٩٤٧
يا أيها الناس قولوا لا إلـه إلاّ الله . . . ١١٠٩
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء . . . ٣٨٠
يا أيها الناس لا تسألوا عن . . . ٤٤١
يا بنت أبي بكر اتزري . . . ٩٨١
يا بني سلمة ألا تحتسبون . . . ٦٩٣
يا بني سلمة دياركم تكتب . . . ٦٩٣
يا جابر ما لي أراك منكسرًا . . . ٧٤٧
يا خويلة ابن عمك شيخ كبير . . . ٨٨٤
يا رسول الله ما الإيمان؟ . . . ٦٤٤
يا سعد ألم تسمع ما قال . . . ١٩٥
يا صباحاه . . . ١١٠٨
يا عائشة استعيذي بالله . . . ١١١٤
يا عائشة الأمر أشد . . . ١١١٢
يا عائشة أمّا الله فقد برأك . . . ٥٨٩
يا عائشة إن الله لا يحب الفاحش . . . ٨٨٧
يا عائشة إني ذاكر لك أمرًا . . . ٦٥٩، ٦٦٠
يا عائشة ذريني أتعبد . . . ١٩٨
يا عائشة ما يؤمنني أن يكون . . . ٧٦٦
يا عقبة قل: قل هو الله أحد . . . ١١١٧
يا عم قل لا إلـه إلاّ الله . . . ٦٢٥
يا عم قولوا لا إلـه إلاّ الله . . . ٧٠٥
يا عمرو صليت بأصحابك . . . ٢٢٢
يا قبيصة إن المسألة لا تحل . . . ٤١٣
يا مرثد، الزاني لا ينكح إلاّ . . . ٥٨٢
يا معشر الأنصار إن الله أثنى . . . ٤٢٢
يا معشر قريش اشتروا . . . ٦١٣، ١٠٢١
يا معشر قريش إنه ليس . . . ٧٥٣

يا معشر النساء تصدقن . . . ١٤٢
يا معشر اليهود أروني . . . ٧٦٤
يا معشر يهود أسلموا . . . ١٥٥
يا نبي الله ، ما لي أسمع . . . ٦٦٢
يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون . . . ١٠٥٣
يؤتى يوم القيامة بالقرآن . . . ٣٤
يبعث الناس فأكون أنا وأمتي . . . ٥٠٢
يبعث الناس يوم القيامة حفاة . . . ١٠١٢
يتعاقبون فيكم ملائكة . . . ٤٦٠
يتقدَّم الإمام وطائفة . . . ١٢٠
يجاء بالرجل يوم القيامة . . . ٤٧
يجاء بالكافر يوم القيامة . . . ٢٨٨
يجتمع المؤمنون . . . ٤٢، ٤٤٠
يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل . . . ٢٤٤
يحرم من الرضاعة ما يحرم . . . ٢١٩
يحسب ما خانوك وعصوك . . . ٥٤٥
يحشر الناس يوم القيامة على . . . ٤٦٩
يحفرون كل يوم (يأجوج) . . . ٥٥٠
يخرب الكعبة ذو السويقتين . . . ٣١٢
يخرج الدجال في أمتي . . . ٩٨٥
يخرج عنق من النار يوم القيامة . . . ٨١٨
يدخل الفقراء الجنة . . . ٥٦٥
يدرس الإسلام كما يدرس . . . ٥٠٦
يدعى نوح يوم القيامة . . . ٦٢
يدنى المؤمن من ربه حتى يضع . . . ٤٣٩
يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي . . . ٤٥٦
يرد الناس النار ثم يصدرون . . . ٥٣٢
يسري على كتاب الله . . . ٥٠٦
يسروا ولا تعسروا . . . ٧٥
يسير الراكب في ظل . . . ٨٥٦
يطوي الله السماوات يوم القيامة . . . ٧٢٠
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث . . . ٩٦٤
يعض أحدكم أخاه كما يعض . . . ٢٩٢
يعني صمامًا واحدًا . . . ١٠٣
يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا . . . ٣١٢
يقال لأهل الجنة : إن لكم . . . ٧٥٧
يقال للرجل من أهل النار . . . ١٦٨
يقال لصاحب القرآن : اقرأ . . . ٥٧١
يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق . . . ٩٨٣
يقبض الله الأرض ويطوي . . . ٧٢٠
يقضي الله في ذلك المواريث . . . ٢١٢
يقول ابن آدم : مالي مالي . . . ٣٢٧، ١٠٩٠
يقول العبد : مالي مالي . . . ٣٢٧
يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي . . . ٦٦
يقول الله : العظمة إزاري . . . ٧٦٠
يقول الله : كذبني ابن آدم . . . ٦٣٥، ١١١١

يقـــول الله : مـــن أذهبـــت كريمتيه . . . ٧١٤
يقـــول الله : يـــا ابـــن آدم أنـــى تعجزني . . . ١٠٢٠
يقول الله : يؤذيني ابن آدم . . . ٦٧٤
يقول الله يوم القيامة : يا آدم . . . ٥٥٦
يقوم أحدهم في رشحه . . . ١٠٢٥
يكشف ربنا عن ساقه . . . ٩٥٧
يكون كنز أحدكم شجاعًا . . . ٤٠٥
يكون من بعدي اثنا عشر أميرًا . . . ٦٠٢
يكون الناس في الظلة دون . . . ٤٦٩
يلقى إبراهيم آزر يوم القيامة . . . ٦١٢
يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة . . . ١٢٧
يمين الله ملأى سحاء . . . ٢٩٧
ينادي منادٍ إن لكم أن تحيوا . . . ٣٤٩
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا . . . ٨٢٢
ينقطع يوم القيامة كل سبب . . . ٥٧٦
اليوم الموعود يوم القيامة . . . ١٠٣٣

انتهى والحمد لله

٢ ـ فهرس أسباب النزول

الآية ورقمها	الصفحة
الجزء الأول	
❑ سورة البقرة	
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ. . . ﴾ ٧٩	٥١
﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ. . . ﴾ ٩٧	٥٣
﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ. . . ﴾ ١٠٩	٥٥
﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ. . . ﴾ ١١٥	٥٥
﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى. . . ﴾ ١٢٥	٥٧
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ. . . ﴾ ١٤٣	٦٣
﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ. . . ﴾ ١٤٤	٦٤
﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ. . . ﴾ ١٥٨	٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ. . . ﴾ ١٨٣	٧٤
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ. . . ﴾ ١٨٤	٧٤
﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ. . . ﴾ ١٨٧	٧٧
﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ. . . ﴾ ١٨٧	٧٧
﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ. . . ﴾ ١٨٧	٧٨
﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ. . . ﴾ ١٨٩	٨١
﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا. . . ﴾ ١٨٩	٨١
﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ. . . ﴾ ١٩٥	٨٦

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ . . . ﴾ ١٩٦	٨٨
﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ . . . ﴾ ١٩٧	٩١
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا . . . ﴾ ١٩٨	٩١
﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ . . . ﴾ ٢١٩	٩٨
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ . . . ﴾ ٢٢٠	١٠٠
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى . . . ﴾ ٢٢٢	١٠١
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ . . . ﴾ ٢٢٣	١٠٣
﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ . . . ﴾ ٢٢٥	١٠٧
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ . . . ﴾ ٢٢٩	١١٠
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا . . . ﴾ ٢٣١	١١٣
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ . . . ﴾ ٢٣٢	١١٤
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ . . . ﴾ ٢٥٦	١٢٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ . . . ﴾ ٢٦٧	١٢٩
﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ . . . ﴾ ٢٧٢	١٣١
﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ . . . ﴾ ٢٧٥	١٣٣
﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ . . . ﴾ ٢٨١	١٣٩
﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ . . . ﴾ ٢٨٤	١٤٦
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . . . ﴾ ٢٨٦	١٤٦
❑ سورة آل عمران	
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ . . . ﴾ ١٢	١٥٥
﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ . . . ﴾ ٦١	١٦٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا . . . ﴾ ٧٧	١٦٤
﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ . . . ﴾ ٨٦	١٦٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ . . . ﴾ ٩٠	١٦٧
﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ . . . ﴾ ٩٢	١٦٨

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ... ﴾ ١١٣	١٧٧
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴾ ١٢٨	١٧٩
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم... ﴾ ١٦٥	٣٨٦
﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ... ﴾ ١٧٢	١٩١
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا... ﴾ ١٨٨	١٩٦
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَٰتٍ... ﴾ ١٩٠	١٩٨
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم... ﴾ ١٩٥	٢٠٠
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ... ﴾ ١٩٩	٢٠٠
❏ سورة النساء	
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَٰمَىٰ... ﴾ ٣	٢٠٨
﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ... ﴾ ٦	٢٠٩
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَٰدِكُمْ... ﴾ ١١	٢١١
﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ... ﴾ ١١	٢١٢
﴿ وَالَّٰتِي يَأْتِينَ الْفَٰحِشَةَ... ﴾ ١٥	٢١٤
﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا... ﴾ ١٩	٢١٦
﴿ ۞ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ النِّسَآءِ... ﴾ ٢٤	٢٢٠
﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... ﴾ ٣٢	٢٢٣
﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ... ﴾ ٣٣	٢٢٤
﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَآءِ... ﴾ ٣٤	٢٢٦
﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ... ﴾ ٤٣	٢٣٢
﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا... ﴾ ٤٣	٢٣٣
﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ... ﴾ ٥٩	٢٣٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ... ﴾ ٦٥	٢٣٧
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ... ﴾ ٧٧	٢٣٩
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ... ﴾ ٨٣	٢٤٠

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ... ﴾ ٨٨	٢٤٢
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا... ﴾ ٩٤	٢٤٥
﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ... ﴾ ٩٥	٢٤٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... ﴾ ٩٧	٢٤٦
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا... ﴾ ١٠٠	٢٤٧
﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ... ﴾ ١٠٢	٢٤٩
﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ... ﴾ ١٢٣	٢٥٢
﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ... ﴾ ١٢٧	٢٠٨، ٢٥٣
﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا... ﴾ ١٢٨	٢٥٤
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ... ﴾ ١٧٦	٢٦٠
❑ سورة المائدة	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ... ﴾ ٦	٢٧٣
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾ ٣٣	٢٨٧
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ... ﴾ ٤١	٢٨٩
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ... ﴾ ٥١	٢٩٤
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ... ﴾ ٦٤	٢٩٦
﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ... ﴾ ٦٧	٢٩٩
﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ... ﴾ ٨٣	٣٠١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ... ﴾ ٨٧	٣٠٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ... ﴾ ٩٠	٣٠٣
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟... ﴾ ٩٣	٣٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ... ﴾ ١٠١	٣١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ... ﴾ ١٠٦	٣١٦
❑ سورة الأنعام	
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ... ﴾ ٣٣	٣٢٢

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم... ﴾ ٥٢	٣٢٤، ٥١٣
﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا... ﴾ ٦٥	٣٢٥
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ... ﴾ ٨٢	٣٢٦
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ... ﴾ ١٢١	٣٣١
❑ سورة الأعراف	
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا... ﴾ ١٧٥	٣٦١
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ... ﴾ ١٩٩	٣٦٤
❑ سورة الأنفال	
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ... ﴾ ١	٣٦٧
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ... ﴾ ٩	٣٧٠، ٣٨٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ... ﴾ ١٥	٣٧٢
﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ... ﴾ ١٧	٣٧٣
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ... ﴾ ١٩	٣٧٣
﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا... ﴾ ٣٢	٣٧٧
﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ... ﴾ ٦٣	٣٨٣
﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ... ﴾ ٦٥	٣٨٤
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ... ﴾ ٦٧	٣٨٥
﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... ﴾ ٧٥	٣٨٩
❑ سورة براءة	
﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ ١	٣٩٤
﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ... ﴾ ١٩	٣٩٩
﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ... ﴾ ٣٤	٤٠٦
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ... ﴾ ٦٥	٤١٤
﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا... ﴾ ٧٤	٤١٥

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا . . . ﴾ ٨٤	٤١٥
﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ . . . ﴾ ٩٥	٤١٩ ، ٤٢٥
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ . . . ﴾ ١١٣	٤٢٣
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ . . . ﴾ ١١٧	٤٢٤
❑ سورة هود	
﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ . . . ﴾ ٥	٤٣٦
﴿ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ . . . ﴾ ١٠٥	٤٤٣
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ . . . ﴾ ١١٤	٤٤٤
❑ سورة يوسف	
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ . . . ﴾ ٣	٤٥٣
❑ سورة الرعد	
﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا . . . ﴾ ١٣	٤٦١
❑ سورة الحجر	
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ . . . ﴾ ٢٤	٤٧٣
❑ سورة النحل	
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . . ﴾ ٩٠	٤٨٦
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا . . . ﴾ ١٢٦	٤٨٩
❑ سورة الإسراء	
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ . . . ﴾ ٥٧	٤٩٩
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ . . . ﴾ ٨٠	٥٠٤
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ . . . ﴾ ٨٥	٥٠٥
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ . . . ﴾ ١١٠	٥٠٨

الآية ورقمها	الصفحة

❑ سورة الكهف

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم... ﴾ ٢٨ — ٥١٣ ـ ٥١٥

الجزء الثاني

❑ سورة مريم

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾ ٦٤ — ٥٣٠

﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ... ﴾ ٧٧ — ٥٣٣

❑ سورة الأنبياء

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ... ﴾ ٩٨ — ٥٥١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ... ﴾ ١٠١ — ٥٥١

❑ سورة الحج

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ... ﴾ ١١ — ٥٥٩

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... ﴾ ١٩ — ٥٦٠

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا... ﴾ ٣٩ — ٥٦٤

❑ سورة المؤمنون

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا... ﴾ ٧٦ — ٥٧٤

❑ سورة النور

﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً... ﴾ ٣ — ٥٨٢

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... ﴾ ٦ — ٥٨٣

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ... ﴾ الآيات ١١ ـ ٢٦ — ٥٨٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ... ﴾ ٣٣ — ٥٩٩

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾ ٥٥ — ٦٠٢ ـ ٦٠٤

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ... ﴾ ٦١ — ٦٠٤ ـ ٦٠٥

الآية ورقمها	الصفحة
سورة الفرقان	
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ...﴾ ٦٨	٦٠٩
سورة القصص	
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾ ٥٦	٦٢٥
سورة العنكبوت	
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا...﴾ ٨	٦٢٩
سورة لقمان	
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ ٦	٦٤١
سورة ألم السجدة	
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ ١٦	٦٤٨، ٦٥٠
سورة الأحزاب	
﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ ٤	٦٥٣
﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ...﴾ ٥	٦٥٤
﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ ٢٣	٦٥٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ...﴾ ٢٨	٦٥٩
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ...﴾ ٣٥	٦٦٢
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ ٣٦	٦٦٣
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ ٣٧	٦٦٤
﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ...﴾ ٥١	٦٦٩
﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ...﴾ ٥٢	٦٧١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ ٥٣	٦٧٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ...﴾ ٥٩	٦٧٥

الآية ورقمها	الصفحة
❏ سورة يس	
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ . . . ﴾ ١٢	٦٩٣
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا . . . ﴾ ٧٧	٦٩٧
❏ سورة ص	
﴿ ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ . . . ﴾ ١	٧٠٥
❏ سورة الزمر	
﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا . . . ﴾ ٢٣	٤٥٣
﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ ٥٣	٧١٧ ـ ٧١٨
❏ سورة فصلت	
﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ . . . ﴾ ٢٢	٧٣٣ ـ ٧٣٤
❏ سورة الزخرف	
﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا . . . ﴾ ٥٧	٧٥٣ ـ ٧٥٤
❏ سورة الدخان	
﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) . . . ﴾ ١٠	٧٥٦
❏ سورة الأحقاف	
﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ . . . ﴾ ١٠	٧٦٤
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ . . . ﴾ ٢٩	٧٦٧
❏ سورة الفتح	
﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي . . . ﴾ ٥	٧٨١
﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ . . . ﴾ ٢٤	٧٨٤، ٧٩٢
﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ . . . ﴾ ٢٥	٧٨٥
❏ سورة الحجرات	
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . . ﴾ ١ الآيات	٨٠٠

الآية ورقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ . . . ﴾ ٦	٨٠٢
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ . . . ﴾ ٩	٨٠٤
﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ . . . ﴾ ١١	٨٠٨
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ . . . ﴾ ١٧	٨١٣
❑ سورة القمر	
﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ . . . ﴾ ١	٨٤٦
﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ . . . ﴾ ٤٨	٨٤٨
❑ سورة الحديد	
﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾ ١٦	٤٥٣
﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا . . . ﴾ ٢٧	٨٧٨
❑ سورة المجادلة	
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا . . . ﴾ ١ الآيات	٨٨٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ . . . ﴾ ٣	٨٨٤
❑ سورة الحشر	
﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا . . . ﴾ ٥	٨٩٢
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴾ ٩	٨٩٩
❑ سورة الممتحنة	
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ . . . ﴾ ٨	٩٠٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ . . . ﴾ ١٠	٧٩١، ٧٩٤، ٩٠٨، ٩٠٩
❑ سورة الصف	
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ . . . ﴾ ١ الآيات	٩١٣
﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت . . . ﴾ ١٤	٩١٧

الآية ورقمها	الصفحة
❑ سورة الجمعة	
﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا. . . ﴾ ١١	٩٢٣
❑ سورة المنافقون	
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ. . . ﴾ ١ الآيات	٩٢٧
❑ سورة التغابن	
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ. . . ﴾ ١٤	٩٣٢
❑ سورة التحريم	
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ. . . ﴾ ١ الآيات	٩٤٣
❑ سورة الجن	
﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ. . . ﴾ ١ الآيات	٩٧٦
❑ سورة المزمل	
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١). . . ﴾ ١ الآيات	٩٨١
﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ. . . ﴾ ٢٠	٩٨٢
❑ سورة المدثر	
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١). . . ﴾ ١ الآيات	٩٨٩
❑ سورة القيامة	
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦). . . ﴾ ١٦	٩٩٣
❑ سورة المرسلات	
﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١). . . ﴾ الآيات	١٠٠٢
❑ سورة عبس	
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١). . . ﴾ الآيات	١٠١١

الآية ورقمها	الصفحة
☐ سورة التطفيف	
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ . . . ﴾ الآيات	١٠٢٤
☐ سورة الضحى	
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ . . . ﴾ الآيات	١٠٦٣
☐ سورة العلق	
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ . . . ﴾ الآيات	١٠٧٨
☐ سورة الزلزلة	
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ . . . ﴾ الآيات	١٠٨٦
☐ سورة الكوثر	
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ . . . ﴾ الآيات	١٠٩٩
☐ سورة المسد	
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ . . . ﴾ الآيات	١١٠٨
☐ سورة الإخلاص	
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ . . . ﴾ الآيات	١١١٢

انتهى والحمد لله

٣ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الجزء الأول	
❑ **المقدمة**	٥
بيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم	٦
التفسير عند العلماء، لغة واصطلاحًا	٨
الحاجة ماسة إلى تفسير القرآن الكريم	٨
للتفسير أربعة أوجه	٩
أمور لا يجوز الكلام فيها إلاَّ بدليل نقلي صحيح	١١
مصادر التفسير الثلاثة: القرآن والسنَّة وأقوال الصحابة	١١
حكم أقوال الصحابة في التفسير والمذاهب في ذلك	١٣
التفسير عبر الأجيال	١٦
أحسن التفاسير التي تكفي لفهم كلام الله تعالى	١٧
ما يكفي من العلوم لمن يريد فهم القرآن الكريم فهمًا كاملاً	١٨
منهج المؤلف في الكتاب	٢١
❑ **فاتحة الكتاب**	٢٣
مقاصد القرآن الكريم	٢٣
من خصائص الفاتحة	٢٤
من فضائل الفاتحة	٢٥

الموضوع	الصفحة

بيان المغضوب عليهم والضالين ٢٦

❑ سورة البقرة ٢٧
خلاصة ما جاء فيها من مقاصد ٢٧
من خصائصها، وهي سبع وسبعون خصيصة ٢٨
من فضائل سورة البقرة ٣٣
فضل آية الكرسي ٣٥
فضل خواتيم سورة البقرة ٣٦
فضل أهل الإيمان بالغيب ٣٧
فضل من آمن برسول الله ولم يره ٣٧
الغيب المأمور بالإيمان به ٣٨
أقسام الناس بالنسبة للهداية والضلال ثلاثة ٣٩
أعظم الذنوب ٤٠
خَلْقُ بني آدم وصفاتهم ٤١
تكريم الله آدم عليه السلام بالعلم ٤٢
تكريم الجنس البشري ٤٣
تكريم الله لآدم عليه السلام ثانيًا بأمره ملائكته بالسجود له، وحسد إبليس له ٤٣
فضل سجود التلاوة ٤٣
محاججة آدم موسى ٤٤
خصائص يوم الجمعة ٤٥
بيان من هو إسرائيل ومن هم الأسباط ٤٦
وعيد لعلماء السوء ٤٧
من نعم الله على بني إسرائيل ٤٨
من تمرُّد اليهود على الله تعالى ٤٨
الطاعون ضرب من وخز الجن ٤٩
من أشد الناس عذابًا ٥٠

الموضوع	الصفحة
تشديد الله على اليهود بسبب تعنتهم وتغييرهم للكتاب	٥٠
زعم اليهود أنهم لن يدخلوا النار وأن الجنة خاصة بهم	٥١
من معجزات القرآن في عدم تمني اليهود الموت	٥٢
اليهود كانوا يعادون جبريل، وعداوته كفر	٥٣
ثبوت النسخ في الإسلام	٥٤
الصلاة على المركوب لأي جهة	٥٥
صحة صلاة من صلَّى غلطًا لغير القبلة	٥٥
معنى: (فثم وجه الله)	٥٦
من نقَّص الله فقد شتمه	٥٦
من موافقات عمر: الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السَّلام	٥٧
دعاؤه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالبركة في المدينة ومُدها وصاعها	٥٨
بناء البيت على قواعد إبراهيم	٥٩
بيان ترك بعض الأعمال الدينية لمصالح اجتماعية دفعًا للفتنة	٦٠
دعاء إبراهيم بالنبي عليهما الصَّلاة والسَّلام	٦٠
موقف المسلمين من حديث بني إسرائيل فلا يصدق ولا يكذب	٦١
آيتان كان رسول الله يقرأ بهما في الفجر	٦٢
فضل الأمة المحمدية وعدالتها	٦٢
إطلاق الإيمان على الصلاة	٦٣
بحث في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة	٦٤
استقبال الكعبة شرط لصحة الصلاة... إما للعين أو للجهة	٦٥
من ذكر الله ذكره الله عزَّ وجل	٦٦
فضل الصبر على المصيبة وما يقال عند ذلك	٦٧
الصفا والمروة والسعي بينهما	٦٧
وعيد كاتمي العلم ووجوب التبليغ	٦٩
حرص أبي هريرة على العلم	٦٩

الموضوع	الصفحة
المؤمنون أشد حبًا لله من الكفار في حبهم لأندادهم	٧٠
امتنان الله على عباده في إحلال ما في الأرض لهم ونهيهم عن اتباع خطوات الشيطان	٧٠
إرشاد الله عباده إلى تناول الطيبات من الرزق وشكره على ذلك	٧١
إن الله طيب ولا يقبل إلاَّ طيبًا	٧١
وجوب القصاص في القتل والجراحات وغيرها من الأطراف	٧٢
من كرامات الأولياء	٧٣
لا وصية لوارث	٧٣
الإجماع على صوم رمضان	٧٤
كان الصوم في الأول على التخيير	٧٤
دين الإسلام مبني على التخفيف	٧٥
قُرْبُ الله عزَّ وجل من عباده وأنه يجيب مَن دعاه	٧٦
بيان ما كان عليه المسلمون من تحريم الأكل وقربان النساء في ليالي رمضان إذا ناموا، ونَسْخُ ذلك	٧٧
نهاية الأكل والشرب في ليالي رمضان	٧٨
بيان الاعتكاف لغةً وشرعًا	٧٩
تحريم الرشوة ولعن صاحبها	٧٩
حكم الحاكم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً	٨٠
الحكمة في وجود الأهلة وتغيرها	٨٠
بيان ما كان عليه الجاهلية من عدم الدخول من الأبواب إذا قدموا من الحج، وعدهم ذلك من البر، ورد الله عليهم في ذلك	٨١
تحريم القتال في الحرم المكي إلاَّ دفاعًا	٨٢
قتال الكفار حتى لا تكون فتنة	٨٣
فتنة ابن الزبير وتجنُّب ابن عمر الدخول فيها وحواره مع بعض المفتونين	٨٣
لم يكن رسول الله يقاتل في الأشهر الحرم إلاَّ من قاتله فيها	٨٥

الموضوع	الصفحة
النهي عن إلقاء الإنسان نفسه إلى التهلكة	٨٦
الإحصار في الحج... وحكم ذلك	٨٧
مشروعية الفدية في الحج والعمرة	٨٨
مشروعية التمتع في الحج وبيان ذلك	٨٨
مواقيت الحج الزمانية وبيان عدم تقدم الإحرام قبلها	٨٩
تحريم الرفث والفسوق والجدال في الحج	٩٠
بيان التزود والتوكل	٩١
جواز التجارة في الحج لمن أدى المناسك	٩١
الوقوف بعرفة والإفاضة منها مع المبيت بالمزدلفة وحكم ذلك	٩٣
ما كان عليه نبي الله من مخالفة أهل الجاهلية في المناسك	٩٤
أجمع دعوة كان يدعو بها نبي الله : ربنا آتنا في الدنيا حسنة	٩٥
بيان الأيام المعدودات وذكر الله فيها	٩٦
من أبغض الناس إلى الله المخاصمون	٩٧
من فضائل الأمة المحمدية	٩٧
أول آية نزلت في الخمر وذمه	٩٨
ما ينبغي للإنسان إنفاقه من ماله	١٠٠
مخالطة اليتامى والإحسان إليهم	١٠٠
تحريم إتيان الحائض... وإباحة مخالطتها	١٠١
الأسئلة السبعة التي جاءت في سورة البقرة	١٠٢
المرأة حرث الرجل	١٠٣
حكم إتيان الزوجة من خلفها في غير المأتى المشروع	١٠٤
منع الحلف على عدم فعل الخير	١٠٦
يمين اللغو لا كفارة فيها	١٠٧
الإيلاء وبيانه وحكمه	١٠٨
بيان عدة الطلاق ومتى يصح إرجاع المرأة	١٠٨

الموضوع	الصفحة

بيان الطلاق الذي يصح معه الإرجاع ١٠٩
حقوق الزوجين ١١٠
خلع المرأة من زوجها وبيان ما يجوز منه وما لا يجوز ١١٠
المطلقة ثلاثًا لا تحل لزوجها حتى تتزوج بآخر زواجًا صحيحًا ١١٢
لا يجوز نكاح التحليل بل هو زنا ١١٣
تحريم الاستهزاء بآيات الله ومنه اللعب بالطلاق ١١٣
تحريم منع المرأة من التزوج ١١٤
وجوب الولي للمرأة ١١٤
عدة المتوفى عنها زوجها ١١٥
ترتيب القرآن توقيفي ١١٥
اعتداد المتوفى عنها في بيتها ١١٦
عدة الوفاة للحامل وغيرها ١١٦
حداد المرأة على الميت ١١٧
لا يجوز خطبة المرأة في عدتها إلاَّ تعريضًا ١١٧
جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها ١١٨
بيان الصلاة الوسطى وأنها العصر ١١٩
تحريم الكلام في الصلاة ١١٩
صلاة الخوف تصح قيامًا وركبانًا راجلين وراكبين أحيانًا ١٢٠
بعض أنواع صلاة الخوف ١٢٠
قصة طالوت مع جالوت وبيان أن أهل بدر كانوا على عدد أصحاب طالوت ١٢١
آية الكرسي وفضلها وخصائصها ١٢٢
بيان وجود اسم الله الأعظم ١٢٣
من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها وتنزيه الله عما فيه إيهام ١٢٣
فائدة هامة تتعلق بآية الكرسي ١٢٤

الموضوع	الصفحة
توجيه قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وأنها منسوخة، وأنها كانت قبل الأمر بقتال الكفار	١٢٥
من فضائل عبد الله بن سلام	١٢٦
قصة الخليل في إحياء الطيور	١٢٧
فضل الصدقة وأنها تضاعف	١٢٨
تحريم المن في الصدقة	١٢٨
النهي عن الصدقة بالذي لا يرضاه لنفسه	١٢٩
من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا	١٣٠
بيان المراد بالحكمة	١٣٠
في كل من الجهر والإسرار بالصدقة خير كبير، والإسرار أفضل	١٣١
جواز التصدق على القريب الكافر	١٣١
بيان المسكين الذي ينبغي أن يعطى	١٣٢
الربا وما جاء فيه من الوعيد	١٣٣
أنواع الربا المحرم ثلاثة	١٣٤
الربا العام ثلاثة وسبعون بابًا	١٣٥
الوعيد الشديد للمرابي، وأنه ملعون ومعذب في البرزخ	١٣٥
ظهور الربا سبب للهلاك ومآل المرابين الإفلاس	١٣٦
المرابي محارب لله	١٣٧
معاملة المعسر بالإنظار إلى وقت اليسر	١٣٩
فضل من أنظر معسرًا	١٣٩
آخر آية نزلت إطلاقًا	١٤٠
مشروعية السلف والدين إلى أجل معلوم	١٤١
بيان الشهود والشهادة	١٤٢
مشروعية الإشهاد والكتابة عند البيع	١٤٣
ما تدل عليه آية المداينة من الأحكام	١٤٤

الموضوع	الصفحة
مشروعية الرهن سفرًا وحضرًا	١٤٤
جواز عدم الإشهاد والكتابة في الدين، مع وجوب أداء الأمانة لأهلها	١٤٥
تجاوز الله عما يحدث به المرء نفسه	١٤٦
رفع الحرج والخطأ والنسيان عن الأمة	١٤٦
من فضائل خواتيم سورة البقرة وخصائصها	١٤٧
❑ سورة آل عمران	١٥٠
من خصائص السورة وهي أربعون خصيصة	١٥٠
بيان اسم الله الأعظم	١٥٣
بيان المحكم المتشابه	١٥٣
الحذر من أهل البدع	١٥٣
ذم المراء والجدال في كتاب الله تعالى	١٥٤
غرور اليهود وتكبرهم	١٥٥
من معجزات القرآن الكريم	١٥٥
عظم فتنة النساء	١٥٦
غلام يهودي كان يخدم النبي عليه السَّلام فهداه الله فمات على الإسلام	١٥٧
من خصائص سيدنا عيسى وأمه سيدتنا مريم عليهما السَّلام	١٥٧
أفضل نساء العالمين	١٥٨
الأطفال المتكلمون في المهد	١٥٩
من فضائل الزبير	١٥٩
من فضائل أهل البيت عليهم السَّلام	١٦٠
تخوف النصارى من مباهلة نبي الله	١٦١
مكاتبة نبي الله إلى هِرَقل عظيم الروم	١٦١
محاورة هرقل لأبي سفيان حول النبي ﷺ	١٦١
نص كتاب رسول الله إلى هرقل	١٦٣
أولى الناس بإبراهيم أتباعه	١٦٤

الموضوع	الصفحة
الوعيد الشديد للحالفين على الكذب	١٦٤
لا يقبل الله دينًا غير دين الإسلام	١٦٦
قبول توبة المرتد إذا صحت توبته	١٦٧
من مات على الكفر لا يقبل منه شيء	١٦٨
فضل الإنفاق مما يحبه الإنسان	١٦٨
منقبة لأبـي طلحة الأنصاري	١٦٨
بيان ما حرمه إسرائيل على نفسه	١٦٩
وجود الرجم في التوراة كالقرآن	١٧٠
أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله المسجد الحرام	١٧١
فرضية الحج مرة في العمر وموجب ذلك	١٧١
معنى تقوى الله حق تقاته	١٧٢
أشياء يرضاها الله لنا وأخرى يسخطها	١٧٣
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٧٤
مراتب الإنكار	١٧٤
ذم التفرق في الدين	١٧٤
الخوارج والروافض شر خلق الله	١٧٥
الأمة المحمدية أكرم الأمم على الله	١٧٦
فضل من أسلم من أهل الكتاب	١٧٧
النهي عن اتخاذ الأصدقاء من غير المؤمنين	١٧٨
من فضائل الأنصار	١٧٩
قنوت النبـي على الكفار ولعنهم	١٧٩
بيان عظم عرض الجنة	١٨١
فضل كظم الغيظ	١٨٢
رحمة الله بعباده بقبول توبتهم كلما أذنبوا وتابوا	١٨٢
النهي عن تمني لقاء العدو للقتال	١٨٤

الموضوع	الصفحة
نصر الله رسوله ﷺ بالرعب مسيرة شهر	١٨٥
الكلام على غزوة أحد	١٨٥
مشروعية المشاورة في الأمور	١٨٨
مشاورات النبي وأصحابه	١٨٨
تحريم الغلول والوعيد في ذلك	١٨٩
من فضائل الشهداء	١٩٠
بيان ما حصل في أعقاب غزوة أحد	١٩١
من فضل: حسبنا الله ونعم الوكيل	١٩٢
وعيد مانعي الزكاة	١٩٣
فوز من زحزح عن النار وأدخل الجنة	١٩٤
من أسباب دخول الجنة	١٩٤
إذاية المنافقين لنبي الله عليه السَّلام وتحمله أذاهم	١٩٤
ذم الفرح بما لم يعطه الإنسان	١٩٦
آيات كان رسول الله يقرؤها إذا قام للتهجد... وويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها	١٩٨
لا يضيِّع الله أجر أي عامل من ذكر أو أنثى	٢٠٠
من فضل النجاشي	٢٠٠
معنى الرباط وفضله	٢٠١
❏ سورة النساء	٢٠٣
من خصائصها وهي خمس وأربعون خصيصة	٢٠٤
فضيلة آيات خمس يحملن بشارات	٢٠٦
أصل خلق المرأة من الضلع	٢٠٧
من أحكام اليتامى مع الأوصياء	٢٠٨
جواز تعدد الزوجات	٢٠٨
إعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين من التركة إذا حضروا	٢٠٩
السبع الموبقات ومنها أكل مال اليتيم	٢١٠

الموضوع	الصفحة
نزول آية المواريث	٢١١
الإجماع على أخذ الذكر مثل حظ الأنثيين في الإرث	٢١١
إخراج الديون من التركة قبل الوصية	٢١١
حظ البنتين الثلثان مع العاصب	٢١٢
بيان الفرائض وأصحابها	٢١٢
الإخوة الأشقاء يحجبون الإخوة للأب	٢١٣
تحريم المضارة في الوصية	٢١٣
حكم الزاني . . . المحصن	٢١٤
قبول توبة العبد ما لم يغرغر	٢١٥
من سفاهة الجاهلية	٢١٦
معاشرة الأهل بالجميل وأنه ينبغي الإغضاء عما يصدر منهن	٢١٧
قتل من تزوج امرأة أبيه	٢١٨
يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب	٢١٩
تحريم الجمع بين الأختين	٢١٩
تحريم تزوج المرأة المتزوجة	٢٢٠
تحريم أكل أموال الناس بغير حق	٢٢١
تحريم الانتحار بأي وسيلة	٢٢٢
أمور من الكبائر	٢٢٣
ضلال بعض نساء عصرنا بمطالبتهن بأمور الرجال الخاصة بهم	٢٢٣
إرشاد من ضاقت به الحال إلى سؤال الله تعالى من فضله	٢٢٤
حكم التحالف والتعاقد والتعاهد	٢٢٥
قوامية الرجال على النساء بنص القرآن	٢٢٦
ما ينبغي سلوكه مع المرأة الناشز	٢٢٧
بيان حقوق العشرة للزوجة	٢٢٧
بيان حقوق الله	٢٢٨

الموضوع	الصفحة

فضل كافل اليتيم ٢٢٩
فضل القائم على الأرملة ٢٢٩
الإحسان إلى الجار ٢٣٠
جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة ٢٣٠
سماع قراءة القرآن والبكاء عندها ٢٣١
تجنب الصلاة عند السكر والنوم ٢٣٢
سبب نزول آية التيمم ٢٣٣
بيان أن الشرك لا يغفر ٢٣٤
الأمر بأداء الأمانات ٢٣٥
وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة عند التنازع، ووجوب طاعة الله ورسوله
وأولي الأمر ٢٣٦
نفي الإيمان عمن لم يحكِّم رسول الله في كل شؤونه ٢٣٧
بيان موضع المنعم عليهم من النبيِّين والصالحين ٢٣٨
وجوب فك الأسارى من المسلمين والقتال لأجلهم ٢٣٩
إطاعة الرسول ﷺ هي من إطاعة الله تعالى ٢٤٠
وجوب التثبت في الأمور وعدم التسرع في إذاعتها ٢٤٠
فضل الشفاعة الحسنة ٢٤١
مشروعية تحية الإسلام ٢٤٢
الكلام على المنافقين الذين خذلوا رسول الله في غزوة أحد ٢٤٢
وعيد قتل المؤمن عمدًا ٢٤٣
وجوب التثبت في قتل الكافر المستسلم ٢٤٥
لا يستوي المجاهدون والمتخلفون ٢٤٥
تحريم الإقامة مع المشركين في ديارهم وخاصةً أهل الحرب منهم ٢٤٦
مشروعية الهجرة ٢٤٧
آية قصر الصلاة وما فيها ٢٤٨

الموضوع	الصفحة
صفة صلاة الخوف	٢٤٩
آية تدل على اجتهاد الرسول ﷺ	٢٤٩
قبول توبة العبد المذنب	٢٥٠
فضل الأمر بالخير والسعي في ذلك	٢٥١
كل ما يصاب به المسلم كان كفارة له	٢٥٢
من فضائل الرسول والصديق	٢٥٢
مصالحة الزوجين عند نشوز أحدهما	٢٥٤
العدل بين النساء وما كان عليه نبي الله في القسم بين نسائه	٢٥٥
بعض صفات المنافقين	٢٥٥
ذم السِّباب	٢٥٦
تحريم مطل الغني الواجد	٢٥٧
آية تدل على نزول سيدنا عيسى عليه السَّلام	٢٥٧
تكليم الله سيدنا موسى حقيقة والإجماع على ذلك	٢٥٨
تحريم الغلو في الدين	٢٥٩
فضل الإيمان بالله والتصديق برسالة محمد ﷺ والاعتقاد بأن عيسى عبد الله ورسوله	٢٦٠
بيان الكلالة (خاتمة سورة النساء)	٢٦٠
❑ سورة المائدة	٢٦٣
مقاصدها وأهدافها	٢٦٣
من خصائصها وهي نحو من خمس وثلاثين خصيصة	٢٦٤
السورة من أواخر ما نزل	٢٦٦
كتاب رسول الله لعمرو بن حزم	٢٦٧
التعاون على البر والتقوى	٢٦٨
ما أبيح من الميتة والدم	٢٦٨
كل ما أراق الدم مع التسمية تعتبر ذكاة شرعية	٢٦٩

الموضوع	الصفحة
امتنان الله على هذه الأمة بإكمال الدين لها	٢٧٠
المضطر الذي تحل له الميتة	٢٧٠
مشروعية الصيد وأكل ما اصطيد بالجوارح	٢٧٢
آية الوضوء والتيمم والغسل	٢٧٣
وجوب الوضوء للصلاة إجماع	٢٧٤
الصحابة الذي رووا صفة الوضوء	٢٧٥
أوعب وأجمع ما جاء في صفة الوضوء	٢٧٥
وجوب غسل الرجلين بالإجماع خلافًا للذين يمسحونهما	٢٧٦
من أسباب وجوب الغسل	٢٧٧
صفة غسل النبـي الكامل	٢٧٨
الصعيد الطاهر يقوم مقام الماء والتيمم مقام الوضوء إذا فقد الماء	٢٧٩
الصعيد وبيانه في اللغة	٢٧٩
صفة التيمم في السنَّة	٢٨٠
معجزة للنبـي مع الأعرابـي الذي أراد الفتك به	٢٨٠
كتم اليهود كثيرًا من الكتاب	٢٨١
زعم اليهود أنهم أبناء الله	٢٨٢
فضل محبة الله عزَّ وجل وأن الله لا يعذب حبيبه	٢٨٢
بيان أنه لم يكن نبـي بين نبينا وعيسى عليهما السَّلام	٢٨٣
من فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم	٢٨٤
قصة ابني آدم وما حصل بينهما	٢٨٥
عظم جرم القاتل الأول	٢٨٥
ما ينبغي أن يكون عليه المسلم أيام الفتن وعدم تبيان الحق	٢٨٦
آية الحرابة والبغاة	٢٨٧
حكم المفسدين في الأرض	٢٨٨
لا فداء للكافر يوم القيامة	٢٨٨

الموضوع	الصفحة

بيان بعض مخازي اليهود ووجوب إقامة الحد عليهم ٢٨٩
وجوب القصاص في الدماء والأطراف ٢٩١
فضل العفو في الجنايات ٢٩٢
اختلاف شرائع الأنبياء ودينهم في الأصول واحد ٢٩٣
تحريم موالاة الكفار ووجوب البراءة منهم ٢٩٤
من فضائل أهل اليمن ٢٩٥
لعنة الله وغضبه على اليهود ٢٩٦
ثبوت مسخ اليهود قردة وخنازير ٢٩٦
من جرائم اليهود نسبتهم البخل لله ٢٩٦
من أحاديث وآيات الصفات ٢٩٧
وجود الكتب الإلـٰهية مع عدم العمل بها لا يجدي شيئًا ٢٩٧
بيان أن الرسول بلغ كل ما أمر بتبليغه، فمن قال غير ذلك كان كافرًا ٢٩٨
كان رسول الله معصومًا من الناس ٢٩٩
شؤم المعاصي وأهلها المصرين عليها وذم من جالسهم وآكلهم ٣٠٠
البكاء من خشية الله ومحبته من صفات الصديقين ٣٠١
النهي عن تحريم طيبات ما أحل الله تعالى ٣٠٢
آية تحريم الخمر نهائيًا ٣٠٣
بيان دلائل تحريم الخمر من القرآن ٣٠٤
أحاديث نبوية تدل على تحريم الخمر ٣٠٥
ما يستفاد من الأحاديث في ذلك ٣٠٧
فشو الخمر بيعًا وشراءً وشربًا ٣٠٨
تحريم الميسر بجميع أشكاله ٣٠٨
إباحة صيد البحر وطعامه ٣١٠
تحريم الصيد على المحرم ٣١١
الكعبة المكرمة وحكمتها وحرمتها ٣١٢

الموضوع	الصفحة

ذم السؤال بلا فائدة ٣١٣

الأنعام التي حرمها العرب ٣١٤

بيان البحيرة وما معها ٣١٤

من اهتدى ولزم نفسه لا يضره من ضل ٣١٥

شهادة الأجنبي في السفر ٣١٦

بيان شفقة النبي ورحمته بأمته وبكائه عليها ٣١٨

□ سورة الأنعام ٣٢٠

أهدافها وخصائصها وهي سبع وعشرون خصيصة ٣٢٠

رحمة الله تغلب غضبه ٣٢٢

تعنُّت كفار قريش وعنادهم ٣٢٢

استدراج الله الناسَ ٣٢٣

فضل ضعفاء المؤمنين ووجوب ملازمتهم وعدم طردهم ٣٢٤

مفاتيح الغيب وبيانها ٣٢٤

آية تشير إلى الآلات الحربية الحالية المتطورة ٣٢٥

بيان معاني الظلم ٣٢٦

اقتداء النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام ٣٢٧

بيان مال العبد الذي يملكه ٣٢٧

آية تدل على عدم رؤية الله ٣٢٨

اختلاف العلماء في رؤية نبينا ربه ليلة الإسراء ٣٢٩

تقليب الله أفئدة عباده ٣٢٩

ثبوت شياطين في الإنس كالجن ٣٣٠

بيان البر والإثم ٣٣١

تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ٣٣١

علامة من شرح الله صدره للإسلام ٣٣٢

حق المال عند الحصاد ٣٣٣

الموضوع	الصفحة
الانتفاع من الميتة بإهابها	٣٣٣
تحريم الحمر الأهلية	٣٣٤
تحريم الخمر والميتة والخنزير والأصنام وتحريم تجميلها ثم بيعها	٣٣٥
إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه	٣٣٥
الصحيفة التي عليها خاتم رسول الله	٣٣٦
تحريم الفواحش	٣٣٧
الله يحب أن يمدح . . . وغيرة الله أشد	٣٣٧
صراط الله المستقيم	٣٣٨
أحاديث تدل على طلوع الشمس من مغربها	٣٣٨
ما يستفاد منها	٣٣٩
تضاعف حسنات المؤمن وتفضل الله عليه	٣٤٠
❑ سورة الأعراف	٣٤٢
خصائصها وهي عشرون خصيصة	٣٤٢
حمد الله عند لبس الثوب الجديد والتصدق بالبالي والفضل في ذلك	٣٤٥
أصل الهداية والضلال	٣٤٦
كشف العورات من مظاهر الجاهلية	٣٤٦
وجوب ستر العورات	٣٤٧
إباحة الأكل والشرب واللباس . . . إذا كان ذلك خاليًا من الإسراف	٣٤٧
مشهد الكفار والمؤمنون عند الموت	٣٤٨
من نعم الله على المؤمن في الجنة	٣٤٩
لا بدَّ لدخول الجنة من عمل	٣٤٩
كيف نادى رسول الله من قتل من كفار قريش	٣٤٩
ثبوت سماع الأموات كلام الأحياء	٣٥٠
النهي عن الاعتداء في الدعاء	٣٥١
النهي عن طلب الآيات المعجزة والإشارة إلى قصة قوم صالح	٣٥١

الموضوع	الصفحة
حكم فاعل عمل قوم لوط	٣٥٢
النهي عن التشبه بالكفار	٣٥٣
كيف تجلى الله للجبل فجعله دكًّا	٣٥٤
محاججة آدم وموسى	٣٥٥
من هم أهل رحمة الله	٣٥٥
رحمة الله رحمتان عامة وخاصة	٣٥٦
وجود صفة نبي الله محمد ﷺ في التوراة	٣٥٧
من فضائل أبي بكر وعمر	٣٥٨
عموم دعوة نبي الله محمد ﷺ	٣٥٩
بيان ما أخذه الله من الميثاق على عباده في عالم الأرواح	٣٦٠
من أحاديث الصفات	٣٦٠
قصة ابن باعوراء إمام علماء السوء	٣٦٢
خلقت الجنة وخلق لها أهل	٣٦٣
فضل أسماء الله الحسنى ومشروعية الدعاء بها	٣٦٣
من الأخلاق الحسنة التي يتأدب بها المسلم الأخذ بالعفو والأمر بالمعروف	٣٦٤
❑ **سورة الأنفال**	٣٦٦
خصائصها الستة عشر	٣٦٦
الأنفال وأحكامها	٣٦٧
الكلام على غزوة بدر	٣٦٨
شر الدواب عند الله الكفار	٣٧٤
وجوب الاستجابة لله وللرسول ﷺ	٣٧٤
من فضائل فاتحة الكتاب	٣٧٤
وجوب الحذر من الفتنة العامة	٣٧٥
مؤامرة الكفار ضد النبي عليه الصَّلاة والسَّلام وإرادتهم قتله	٣٧٦
ما كان الله ليعذب الكفار ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم	٣٧٧

الموضوع	الصفحة

تبرؤ النبـي ﷺ من الكفار إطلاقًا ٣٧٨
فضل الإسلام والهجرة والحج وأنها تهدم ما قبلها من الذنوب ٣٧٨
حكم الغنيمة وبيان تخميسها ٣٧٩
النهي عن تمني لقاء العدو ٣٨٠
بيان مخادعة إبليس كفار قريش ٣٨١
الاستعداد للكفار وبيان القوة المأمور بها، وفضل الخيل ٣٨٢
تأليف الله بين قلوب المؤمنين ٣٨٣
بيان حكم آية المصابرة ٣٨٤
من تتمة الكلام على غزوة بدر والكلام على فداء الأسارى ٣٨٥
المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض ٣٨٨

❑ سورة التوبة ٣٩١
أهدافها وخصائصها وهي ثمان وعشرون خصيصة ٣٩١
سبب عدم ذكر البسملة في السورة ٣٩٤
بيان قطع العلاقة بين الله ورسوله وبين المشركين ٣٩٥
بيان المدة المضروبة للمعاهدين ٣٩٥
وجوب قتال الكفار حتى يسلموا ٣٩٧
وجوب قتل من طعن في الدين ٣٩٨
عُمَّار المساجد هم المؤمنون ٣٩٩
الإيمان بالله... لا يساويه شيء ٣٩٩
وجوب تقديم محبة الله ورسوله على كل المحبوبات ٤٠٠
الكلام على غزوة حنين ٤٠١
التذكير بنعم الله تعالى على الصحابة ٤٠٢
اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون ٤٠٣
وعد من الله بظهور الإسلام على سائر الأديان وانتشاره في الآفاق ٤٠٤
وعيد مانعي الزكاة ٤٠٥

الموضوع	الصفحة
من وعيد مانعي الزكاة أيضًا	٤٠٧
الشهور المعتبرة شرعًا عند الله اثنا عشر شهرًا	٤٠٨
التزهيد في الحياة الدنيا	٤٠٩
التذكير بآية الهجرة النبوية	٤١٠
لمز بعض المنافقين ورئيس الخوارج نبي الله في قسم الصدقات	٤١١
مصاريف الزكاة	٤١٢
كفر الطاعن في القرآن ولو لعبًا	٤١٤
من جرائم المنافقين	٤١٥
النهي عن لمز المتطوعين بالصدقة	٤١٦
النهي عن الصلاة على المنافقين	٤١٧
لا حرج على أصحاب الأعذار من التخلف عن الجهاد	٤١٨
من جرائم المنافقين أيضًا	٤١٩
بيان مآل من خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا	٤٢٠
مشروعية الدعاء لأهل الصدقة	٤٢١
فضل الصدقة عند الله تعالى	٤٢١
المسجد المؤسس على التقوى	٤٢٢
النهي عن الاستغفار للمشركين	٤٢٣
توبة الله على الثلاثة المتخلفين	٤٢٤
❑ **سورة يونس**	٤٢٧
مقاصدها وخصائصها	٤٢٧
النهي عن الدعاء على النفس	٤٢٨
الاستخلاف في الأرض والابتلاء في ذلك بالدنيا والنساء	٤٢٨
بيان الصراط المستقيم في ضرب مثل	٤٢٩
آية تدل على رؤية الله في الجنة ويوضحها حديث نبوي شريف	٤٣٠
بيان أولياء الله وصفاتهم	٤٣٠

الموضوع	الصفحة

بشرى أولياء الله في الدنيا ٤٣٢
تجديد شكر الله تعالى على نعمه ٤٣٣
إغراق فرعون وما حصل في ذلك من جبريل ٤٣٣

❑ سورة هود ٤٣٥
مقاصدها وخصائصها ٤٣٥
إحاطة الله العلمية ٤٣٦
آية: (وكان عرشه على الماء)... وما جاء في خلق العرش ٤٣٧
كل من سمع بالنبي ولم يؤمن به وبما جاء به كان من أهل النار ٤٣٨
كيف يناجي الله عبده المؤمن يوم القيامة ٤٣٩
سيدنا نوح وسؤاله ربه ما ليس له به علم حول ابنه ٤٤٠
سيدنا صالح وقومه وما نزل بهم ٤٤١
كان لوط يأوي إلى ركن شديد ٤٤١
تهديد للظالمين بالعذاب ٤٤٢
إمهال الظالمين واستدراجهم ٤٤٢
العمل على ما سبق به القدر ٤٤٣
وجوب النار لمن ركن إلى الظلمة ٤٤٣
وعيد أعوان الظلمة ومخالطيهم ٤٤٤
بشارة للمؤمنين المذنبين التوابين وأن الحسنات يذهبن السيئات ٤٤٤

❑ سورة يوسف ٤٤٧
خصائص السورة وهي ثلاث وثلاثون خصيصة ٤٤٨
لطيفة هامة في أن للظواهر غايات لا تُعلم حقائقها التي فيها ٤٥١
الأعلام وغيرها التي ذكرت في السورة ٤٥٢
حرص الصحابة على نزول القرآن ٤٥٣
يوسف كريم ابن الكرماء ٤٥٤

الموضوع	الصفحة
أكرم الناس عند الله	٤٥٤
من تواضع نبيِّنا عليه السَّلام	٤٥٦
خلاصة ما دار بين يوسف وبين ملك مصر في شأن النساء	٤٥٦
❑ سورة الرعد	٤٥٨
من خصائصها	٤٥٨
اختلاف الفواكه بعضها عن بعض في الأُكُل مع سقيها بماء واحد	٤٥٩
دقة علم الله بالكائنات	٤٦٠
تعاقب الملائكة على بني آدم	٤٦٠
بيان أن الرعد اسم ملك وأن صوته زجره للسحاب	٤٦١
إرسال الله الصواعق على من شاء من العتاة	٤٦٢
❑ سورة إبراهيم	٤٦٣
خصائصها	٤٦٣
كان الأنبياء يبعثون بلغات أممها	٤٦٤
التذكير بنعم الله وأيامه	٤٦٤
مثل المؤمن كمثل النخلة	٤٦٥
بيان كيف يثبت الله المؤمن	٤٦٦
تبديل نعمة الله كفرًا	٤٦٧
اهتمام النبي ﷺ بأمته	٤٦٧
الابتعاد من ديار المغضوب عليهم والإقامة بها	٤٦٨
كيف يبدل الله الأرض والسماوات وأين يكون الناس يومئذٍ	٤٦٩
❑ سورة الحجر	٤٧١
خصائصها	٤٧١
متى يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين	٤٧٢
الإقسام بحياة النبي عليه الصَّلاة والسَّلام	٤٧٤

الموضوع	الصفحة
ما هي فراسة المؤمن	٤٧٥
مرور النبـي بأصحاب الحجر	٤٧٥
السبع المثاني هي الفاتحة	٤٧٦
كان رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام النذير العريان	٤٧٧
من خير معاش الناس مجاهد في سبيل الله أو رجل معتزل يتعبَّد	٤٧٨
❑ سورة النحل	٤٨٠
مقاصدها وخصائصها	٤٨٠
جزاء المؤمن يعجل له في الدنيا وما في الآخرة أعظم	٤٨٢
فضل صلاة الزوال قبل صلاة الظهر	٤٨٣
ما من شيء من الكائنات إلاَّ وهو يسبِّح الله عزَّ وجل	٤٨٣
مثل المؤمن كالنحل	٤٨٣
العسل ومنافعه	٤٨٤
بيان العمر الأرذل	٤٨٥
أشكال عذاب الكافر	٤٨٦
أجمع آية في القرآن في الأمر والنهي والحلال والحرام	٤٨٦
لا حرج على من فعل محرمًا عن إكراه كفرًا كان أم غيره	٤٨٨
جواز مقابلة المسيء على إساءته	٤٨٨
❑ سورة الإسراء	٤٩٠
خصائصها	٤٩٠
أحاديث الإسراء والمعراج	٤٩١
أهمية الشكر لله	٤٩٥
كيف يمتحن الله يوم القيامة أصمًا وأحمقًا وهرمًا وميتًا في الفترة	٤٩٦
الإحسان إلى القربى والمساكين	٤٩٧
خطورة فاحشة الزنا	٤٩٧

الموضوع	الصفحة
معجزة نبي الله داود عليه السَّلام	٤٩٨
السر في عدم إجابة الله مقترحات الكفار في طلب الآيات	٤٩٩
رؤيا النبي التي كانت فتنة للناس وبيان الشجرة الملعونة	٥٠٠
اية تدل على الأمر بالصلوات الخمس	٥٠١
شهود الملائكة صلاة الفجر	٥٠١
المقام المحمود وشفاعة نبي الله العظمى	٥٠٢
بيان المدخل الصدق والمخرج	٥٠٤
طعن رسول الله الأصنام يوم فتح مكة بمِخصرة	٥٠٤
سؤال اليهود عن الروح والجواب عنه بأنه من أمر الله	٥٠٥
حديث يدل على رفع القرآن	٥٠٦
بيان كيف يحشر الناس يوم القيامة	٥٠٧
مشروعية الدعاء بجميع أسماء الله عزَّ وجل	٥٠٨
سلوك الوسط في القراءة جهرًا وسرًّا	٥٠٨
❑ **سورة الكهف**	٥١١
بيان خصائصها وما فيها من القصص العظيمة	٥١١
كل عمل بمشيئة الله يكون	٥١٣
من فضائل فقراء الصحابة	٥١٣
من فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله	٥١٥
حشر الناس كما خلقوا	٥١٦
الحض على قيام الليل	٥١٧
قصة موسى والخضر عليهما السلام	٥١٨
ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج	٥٢١
معنى الصُّور	٥٢٢
أخسر الناس يوم القيامة	٥٢٣
لا وزن للكافر يوم القيامة	٥٢٣
بيان خطر الرياء وأنه شرك أصغر	٥٢٤

الموضوع	الصفحة

الجزء الثاني

❑ سورة مريم ٥٢٧
أهدافها وبيان خصائصها ٥٢٧
جواز التسمي بأسماء الأنبياء ٥٢٨
بيان ذبح الموت يوم القيامة ٥٢٨
محاجة آدم وموسى عليهما السلام ٥٢٩
تنزل جبريل يكون بأمر الله ٥٣٠
الحلال والحرام والمسكوت عنه ٥٣١
مراتب الناس في المرور على الصراط ٥٣٢
أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ٥٣٢
غرور العاصي بن وائل اللعين ٥٣٣
إلقاء محبة المؤمنين الصالحين في قلوب العباد ٥٣٤

❑ سورة طه ٥٣٦
خصائصها ٥٣٦
كفارة من نام عن الصلاة أو نسيها ٥٣٧
أهل النار لا يموتون فيها ٥٣٨
موت عصاة المؤمنين في النار ٥٣٩
عصيان سيدنا آدم عليه السلام كان نسيانًا ٥٤٠
شقاء من أعرض عن ذكر الله وتعاسته ٥٤٠
الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وغروبها ٥٤١
أمر الأهل بالصلاة وخاصة عند الضيق ونزول الشدائد ٥٤٢

❑ سورة الأنبياء ٥٤٣
موضوعها وخصائصها ٥٤٣
التحذير من الغفلة مع دنو الحساب ٥٤٤

الموضوع	الصفحة
اعتقاد وقوع الميزان يوم القيامة وأن له كفتين للحسنات والسيئات	٥٤٥
قصة الخليل عليه السلام في تحطيم الأصنام	٥٤٦
حكومة لداود وسليمان عليهما السلام	٥٤٧
دعوة ذي النون عليه السلام	٥٤٨
خروج يأجوج ومأجوج على الناس	٥٤٩
آخر الزمان	٥٥١
بيان أن الكفار ومعبوداتهم في النار	٥٥٢
بيان أن من سبقت لهم الحسنى ممن عبده الكفار ليسوا في النار	٥٥١
يحشر العباد كما ولدوا حفاة عراة	٥٥٢
بعث رسولنا رحمة للعالمين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم	٥٥٢
❑ سورة الحج	٥٥٤
أهدافها وخصائصها	٥٥٤
مظهر من مظاهر القيامة وحالة الناس فيها	٥٥٦
الأمة المحمدية مع الأمم الأخرى يوم القيامة وأن الأمة تحتل نصف الجنة	٥٥٧
من أظهر دلائل التوحيد خلق الإنسان	٥٥٨
بيان أن كل شيء بقدر خير وشر	٥٥٩
أول من يجثو للخصومة يوم القيامة	٥٦٠
من أنواع عذاب الكفار في جهنم	٥٦١
حلية المؤمن في الجنة ولباسه	٥٦١
التحذير من الإلحاد بالحرم	٥٦٢
تسمية البيت الحرام بالبيت الضيق	٥٦٣
الهدايا والأكل والإطعام منها	٥٦٣
أول آية نزلت بالإذن في الجهاد	٥٦٤
مقدار يوم القيامة	٥٦٥
لا يستطيع أحد أن يخلق شيئًا فيه روح أبدًا	٥٦٦

الموضوع	الصفحة

الله تعالى هو سمَّانا المسلمين ٥٦٦

❑ سورة المؤمنين ٥٦٨

موضوعها وخصائصها ٥٦٨

من صفات المؤمنين سكان الفردوس ٥٦٩

تكلم الجنة عندما خلقها الله عز وجل ٥٦٩

درجات الجنة وأعلاها الفردوس ٥٧٠

خلق الإنسان من طين ٥٧١

شجرة الزيتون ومنافعها ٥٧١

إن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيبًا ٥٧٢

إن المؤمن جمع بين العمل الصالح والخوف ٥٧٣

استعاذة تقال عند النوم من الفزع ٥٧٥

التميمة الجائزة والممنوعة ٥٧٦

نسب النبي وسببه غير منقطع يوم القيامة ٥٧٦

بعض صفات أهل النار فيها ٥٧٧

بعض مواقف اليهود في الكذب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٧٧

❑ سورة النور ٥٧٩

موضوعها وخصائصها ٥٧٩

حكم الزاني والزانية الأعزبين ٥٨١

تحريم التزوج بالزانية ٥٨٢

بيان اللعان وحكمه في الإسلام وصفات ذلك ٥٨٣

حادث الإفك المتعلق بمولاتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها
وتبرئة الله تعالى إياها ٥٨٥

من قذف مولاتنا عائشة كان كافرًا ٥٩٣

من قال مخلدة في النار كان كافرًا ٥٩٣

الموضوع	الصفحة

عدة فضائل لهذه السيدة من القرآن وغيره ٥٩٤
خسارة الذين يقولون عنها إنها ماتت كافرة ٥٩٥
التحذير من رمي المحصنات بالزنا كذبًا ٥٩٥
بيان الموبقات من المعاصي ٥٩٥
شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة ٥٩٦
وجوب الاستئذان في الدخول لدار الغير ٥٩٦
وجوب غض الأبصار عن المحرمات ٥٩٨
وجوب اتخاذ النساء الخمار ٥٩٩
النهي عن إكراه الفتيات على البغاء ٥٩٩
دعاء عظيم يقال عند قيام الليل ٦٠٠
معنى: الله نور السماوات والأرض ٦٠١
هداية الخلق منوطة بنور الله ٦٠١
وعد من الله لاستخلاف عباده الصالحين في الأرض ٦٠٢
حديث الخلفاء والأمراء الاثني عشر ٦٠٢
من هم هؤلاء الخلفاء ٦٠٣
الخلافة الراشدة كانت ثلاثين سنة يعني متوالية ٦٠٣
لا حرج في الإطعام من بيوت الأقارب ٦٠٤

❑ سورة الفرقان ٦٠٦
موضوعها وخصائصها ٦٠٦
حشر الكافر يوم القيامة على وجهه ٦٠٨
من سر تعاقب الليل والنهار ٦٠٨
أعظم الذنوب عند الله تعالى ٦٠٩

❑ سورة الشعراء ٦١١
موضوعها وخصائصها ٦١١

الموضوع	الصفحة

إنذار النبـي عليه السلام أقاربه ٦١٢
بيان أن ذكر مولاتنا فاطمة عليها السلام في حديث الإنذار وَهَمٌ من الرواة ٦١٤
الشياطين لا تتنزل إلاَّ على الكذابين الآثمين ٦١٤
قد يكون الشعر جهادًا للكفار ٦١٥
بيان الشعر المحمود منه والمذموم ٦١٦

❑ سورة النمل ٦١٧
من خصائصها ٦١٧
من صفات الله عز وجل ٦١٨
الدعاء لا يكون إلاَّ لله ٦١٩
خروج دابة الأرض من أشراط الساعة ٦٢٠
عشر خصال من أشراط الساعة ٦٢٠
حرمة البلد الأمين مكة المكرمة ٦٢١

❑ سورة القصص ٦٢٢
من خصائصها ٦٢٢
أيّ الأجلين الذي قضاه موسى ٦٢٣
أناس يؤتون أجرهم مرتين ٦٢٤
نزول آية في أبـي طالب تدل على عدم إيمانه ٦٢٥
حرمة البلد الحرام ٦٢٦
مكة هي المعاد ٦٢٦
كل شيء هالك إلاَّ الله ٦٢٦

❑ سورة العنكبوت ٦٢٨
موضوعها ومن خصائصها ٦٢٨
الوصاية بالوالدين وإن كانا كافرين، وذكر آيات نزلت في سعد بن
أبـي وقاص وأمه ٦٢٩

الموضوع	الصفحة

بيان بعض ما كان قوم لوط يأتونه ٦٣٠

أهمية الصلاة في تهذيب الأخلاق ٦٣٠

الأمر بالإيمان بما أنزل ٦٣١

❑ سورة الروم ٦٣٢

من خصائصها ٦٣٢

المعجزة الخالدة في تغلب الروم على فارس وإخبار القرآن بذلك قبل الوقوع . ٦٣٣

تكذيب ابن آدم لله تعالى وشتمه إياه ٦٣٥

الخلق مفطورون على الإسلام ما لم يغيروا بواسطة آبائهم ٦٣٦

بحث في سماع الأموات كلام الأحياء ٦٣٧

❑ سورة لقمان ٦٤٠

من خصائصها ٦٤٠

تحريم بيع المغنيات وتعليمهن ذلك ٦٤١

ظاهرة الأغاني النسائية الحالية ٦٤١

إن الله إذا استودع شيئًا حفظه ٦٤١

بيان بعض ما تعانيه الأم من متاعب في الإنجاب ٦٤٢

بركة الديكة وشؤم الحمير ٦٤٣

بيان مفاتيح الغيب الخمس: ٦٤٣

بحث في معرفة الغيبيات ٦٤٤

❑ سورة السجدة ٦٤٧

من خصائصها ٦٤٧

مشروعية قراءة سورة السجدة في صلاة صبح الجمعة وعند النوم .... ٦٤٧ ـ ٦٤٨

حديث معاذ في بيان مقاصد الشريعة وأمهات الدين وموجبات الجنة ٦٤٨

من فضائل قيام الليل للتهجد ٦٤٩

حديث يكشف عن سعة رحمة الله تعالى ٦٤٩

الموضوع	الصفحة

أهمية انتظار صلاة العشاء ٦٥٠
من مصائب الدنيا ٦٥١

❑ سورة الأحزاب ٦٥٢
خصائصها الهامة التي خصت بها ٦٥٢
نفي وجود قلبية للإنسان ٦٥٤
بيان آية التبني وأن الواجب من أولاد الغير نسبتهم إلى آبائهم إن كانوا ٦٥٤
النبي أولى بكل مؤمن من نفسه ٦٥٥
بيان قصة غزوة الأحزاب وما وقع فيها من الشدائد ٦٥٥
بيان رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٦٥٧
أمر الله نبيه عليه السلام بتخيير نسائه بين الله ورسوله والدار الآخرة وبين
الدنيا ومتاعها ٦٥٩
آية التطهير وسبب نزولها ٦٦١
من هم أهل البيت ٦٦١
النساء كالرجال في كل خير وفضل ٦٦٢
فضل من قام من الليل وأيقظ أهله فصليًا معًا ٦٦٣
لا اختيار للإنسان مع قضاء الله ورسوله ٦٦٣
فضل جليبيب الصحابي ٦٦٤
آية تبين أن الرسول قد بلغ كل ما أُمِر به ولم يكتم منه شيئًا ٦٦٤
قصة طلاق زيد زينب وتزوج النبي بها ٦٦٥
وجوب قول كلمة الحق وتغيير المنكر ٦٦٦
بيان أن رسولنا هو خاتم النبيين وأن كل من ادعى النبوة بعده فهو دجال كافر .. ٦٦٧
من صفات رسول الله العظيمة وصفته في التوراة ٦٦٧
لا غضاضة في عرض المرأة نفسها على من يتزوج بها وخاصة إذا كان
الرجل صالحًا ٦٦٨
آية الثقلاء التي أدب الله بها من أساء الأدب مع رسول الله ٦٧٢

الموضوع	الصفحة

آية حجاب نساء النبي عليه السلام ٦٧٢
الأمر الإلـهي بالصلاة على رسول الله ٦٧٤
لعن من آذى الله ورسوله ٦٧٤
آية تدل على وجوب حجاب النساء ٦٧٥
بحث في وجوب الحجاب ٦٧٦
نهي المؤمنين عن التشبه باليهود في إذاية نبيهم موسى ٦٧٧

❏ سورة سبأ ٦٧٩
من خصائصها ٦٧٩
قصة سبأ وما كان من أمرهم ٦٨٠
شأن المؤمن الموفَّق ٦٨١
حالة الملائكة في السماء إذا قضى الله الأمر ٦٨٢
من خصائصه ﷺ ٦٨٣
فضل المنفق وخسارة الممسك ٦٨٣
من صفات الله تعالى السمع والبصر ٦٨٤

❏ سورة فاطر ٦٨٦
من خصائصها ٦٨٦
بيان أن للملائكة أجنحة عدة ٦٨٧
بحث في زيادة العمر والرزق ٦٨٧
بشارة عظيمة لأهل القرآن وللأمة المحمدية ٦٨٨
عذاب الكفار مستمر ٦٨٩
بيان السن التي لا يعذر بعدها الإنسان ٦٨٩

❏ سورة يـٰسٓ ٦٩١
حديث في فضل يـٰسٓ ٦٩١
من خصائصها ٦٩٢

الموضوع	الصفحة
من خصائصها أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلاَّ يسره الله تعالى	٦٩٢
كتابة الخطى إلى الصلاة	٦٩٣
بيان سجود الشمس ومستقرها	٦٩٤
بيان أن الشمس تجري وتسبح في فلكها	٦٩٥
من اعتقد وقوف الشمس كان كافرًا	٦٩٥
مشهد من مشاهد مجادلة العبد ربه يوم القيامة وشهادة جوارحه عليه	٦٩٥
تبرئة رسول الله من الشعر وتنزيهه عنه	٦٩٦
ضرب الكافر مثلاً لله تعالى ونسيانه خلقه وأنه خلقه من نطفة	٦٩٧
تصرف الله في ملكه وأنه لا يعجزه شيء	٦٩٨
❑ سورة الصافات	٦٩٩
من خصائصها	٦٩٩
أصول بني آدم الموجودين حاليًا	٧٠٠
من خصائص هذه الأمة	٧٠١
بيان التخفيف في الصلاة وأنه نسبي	٧٠٣
القِراءة بالصافات من التخفيف	٧٠٣
❑ سورة صّ	٧٠٤
من خصائصها	٧٠٤
بيان تعجب الكفار من وحدة الألوهية	٧٠٥
سجدة ص: تسجد شكرًا لله عز وجل	٧٠٦
عائشة تصنع فرسًا بجناحين تلعب به	٧٠٦
قطع أو مسح سليمان عليه السَّلام لأعناق الخيل	٧٠٧
رسول الله يقبض عفريتًا ثم يطلقه	٧٠٧
رؤية المؤمنين ربهم في جنات عدن	٧٠٨
تنوع العذاب للكافرين في جهنم	٧٠٩

الموضوع	الصفحة

رؤية نبـي الله ربه في المنام في أحسن صورة ٧١٠
بيان الكفارات والدرجات ٧١٠
بيان ما يدل على أن النبـي علمه الله كل شيء ٧١١

❑ سورة الزمر ٧١٢
من خصائصها ٧١٢
فضل الجمع بين الخوف والرجاء ٧١٣
فضل من فقد عينيه وأن جزاءه الجنة ٧١٤
تفاضل أهل الجنة في المنازل والغرف ٧١٤
كل مخلوق ميت، وتكرر الخصومة يوم القيامة ٧١٥
بيان الموتتين الصغرى والكبرى ٧١٦
النوم موت أصغر وقبض للروح ٧١٦
ذكر ودعاء كان رسول الله يفتتح به صلاة الليل ٧١٦
ذكر يقال صباحًا ومساءً وعند النوم ٧١٧
من أرجى الآيات في القرآن الكريم ٧١٧
تمني الناس يوم القيامة الهداية ٧١٨
من صفات الله تعالى وعظمته ٧١٩
مذهب السلف في آيات وأحاديث الصفات ٧٢٠
إبطال قول بعضهم بأن أحاديث طي السماوات... شاذة ٧٢١
النهي عن التفاضل بين الأنبياء وبيان أن نبينا أول من يبعث فيجد سيدنا موسى قائمًا ٧٢٢
بيان النفختين وما بينهما ٧٢٣
فضل «حسبنا الله ونعم الوكيل» عند الشدائد ٧٢٤

❑ سورة المؤمن ٧٢٥
من خصائصها ٧٢٥

الموضوع	الصفحة

ذكر يقال عقب الصلاة ٧٢٦
أشد ما صنع المشركون برسول الله ٧٢٧
عرض النار على الكفار غدوًا وعشيًا ٧٢٨
عرض مقاعد أهل النار وأهل الجنة عليهم غدوًا وعشيًا كذلك ٧٢٨
الترغيب في الدعاء وأنه هو العبادة ٧٢٨

❏ سورة فصلت ٧٣٠
من خصائصها ٧٣٠
تعجب عتبة بن ربيعة من القرآن وحلفه أنه ما سمع بمثله قط ٧٣١
ريح الصبا بها نصر النبي عليه السلام في الخندق ٧٣٣
شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة ٧٣٣
لا يقدس الله قومًا لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم ٧٣٥
مشروعية حسن الظن بالله تعالى ٧٣٥
أهل الاستقامة لا يخافون ولا يحزنون ٧٣٦
الشمس والقمر آيتان يخوف الله بهما عباده ٧٣٦

❏ سورة الشورى ٧٣٨
من خصائصها ٧٣٨
من صفات نزول الوحي على نبي الله عليه السلام ٧٤٠
حديث يحتوي على معجزة وآية لله عز وجل ٧٤٠
ما قدره الله لا يتبدل أبدًا ٧٤١
دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة ٧٤٢
وجوب مودة قربى النبي عليه السلام ٧٤٢
قبول الله توبة عباده وعفوه عن سيئاتهم ٧٤٣
معنى التوبة وشروطها وقبولها ٧٤٣
كل ما يصاب به الإنسان فهو السبب فيه غالبًا ٧٤٤

الموضوع	الصفحة

كل ما يصاب به الإنسان كفارة لما قد عساه أن يكون فعله ٧٤٤
فضلِ العفو عن المسيء ٧٤٥
من ظُلِم أو شُتِم كان معه ملك يرد عنه ٧٤٥
جواز الانتصار ممن ظلمه أو أساء إليه ٧٤٦
أنواع الوحي الإلـهي ثلاثة ٧٤٦

❑ سورة الزخرف ٧٤٨
من خصائصها ٧٤٨
الذكر والدعاء المشروعان عند الركوب ٧٤٩
ذكر السفر خروجًا ورجوعًا ٧٥٠
مشهد من مشاهدِ عظيم زُهْد رسول الله عليه السلام في هذه الحياة ٧٥٠
إنكاره على عمر في طلَبه منه السؤال للتوسع على أمته ٧٥١
علامة الاستدراج من الله للعبد ٧٥٢
جدال الكفار لنبـي الله وضربهم له المثل بسيدنا عيسى عليه السلام ٧٥٣
نزول سيدنا عيسى عليه السلام من أشراط الساعة ٧٥٣
مالك خازن النار يسلِّم على نبينا عليه السلام ٧٥٤

❑ سورة الدخان ٧٥٥
من خصائصها ٧٥٥
دعاء النبـي على قريش بالسنين لما استعصوا ٧٥٦
يقال لأهل الجنة: لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وتعيشوا فلا تموتوا، وتشبعوا
فلا تبأسوا ٧٥٧

❑ سورة الجاثية ٧٥٨
من خصائصها ٧٥٨
التحذير من اتباع الهوى ٧٥٨

الموضوع	الصفحة

النهي عن سب الدهر لأنه مخلوق مذلل لا ضر له ولا نفع، فمن سبه كأنما سب الله ٧٥٩

عظمة الله عز وجل وكبرياؤه ٧٦٠

صفات الله تعالى يجب إمرارها كما جاءت بلا تأويل ولا تشبيه (كالإزار والرداء...) ٧٦٠

❑ سورة الأحقاف ٧٦١

من خصائصها ٧٦١

من معاني الأَثَرَة من العلم ٧٦٢

ما جاء أن النبي ﷺ لا يدري ما يُفعل به قبل أن يخبره الله بأنه مغفور له وغير ذلك ٧٦٣

من فضائل عبد الله بن سلام ٧٦٣

بيان الولد الذي قال لوالديه أف لكما ٧٦٥

عبد الرحمن بن أبي بكر ومروان بن الحكم ٧٦٦

حالة نبي الله عند هبوب الريح ٧٦٦

استماع الجن للقرآن وإيمانهم به ٧٦٧

بيان أن الجن مكلفون كالإنس ٧٦٨

❑ سورة محمد ٧٦٩

من خصائصها ٧٦٩

معنى: حتى تضع الحرب أوزارها ٧٧٠

خصال هامة تعطى للشهيد ٧٧١

أهل الجنة يعرفون منازلهم بلا مرشد ٧٧١

بيان عبدة الدينار والدرهم ٧٧٢

الله مولى المؤمنين ٧٧٢

الكفار في هذه الحياة يتمتعون كالأنعام ٧٧٣

الموضوع	الصفحة

مكة أفضل البلاد وأحبها إلى الله .... ٧٧٣ ـ ٧٧٤
بيان أنهار الجنة المعدة للمؤمنين ٧٧٤
فضل لا إلـٰه إلاّ الله ٧٧٥
استغفار النبي لنفسه وللمؤمنين ٧٧٦
تحريم قطيعة الرحم وفضل صلتها ٧٧٧
فضل مؤمني العجم .... ٧٧٧ ـ ٧٧٨

❑ سورة الفتح ٧٧٩
موضوعها وخصائصها ٧٧٩
هي من السور المحبوبة عند نبي الله ٧٨٠
بيان وقت نزول سورة الفتح ٧٨١
مبالغة النبي في العبادة شكرًا لله تعالى ٧٨١
رسول الله أتقى الناس وأخشاهم له ٧٨٢
نزول السكينة لتلاوة القرآن ٧٨٢
أهل الحديبية كانوا خير أهل الأرض ٧٨٣
لا يدخل النار أحد من أهل بيعة الرضوان ٧٨٣
من معجزات نبي الله في استجابة الدعاء ٧٨٥
حديث صلح الحديبية الطويل ٧٨٦
شرح غريب حديث صلح الحديبية ٧٩٢
الفتح المبين هو بيعة الرضوان ٧٩٥
من أحاديث بيعة الرضوان ٧٩٥
أفضلية الحلق على التقصير في الحج والعمرة ٧٩٦
اتخاذ النبي خاتمًا كان يختم به الكتب ٧٩٧

❑ سورة الحجرات ٧٩٨
من خصائصها ٧٩٨

الموضوع	الصفحة

ايات فيها تأديب للصحابة ٧٩٩
النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ٨٠٠
آية التشبث في سماع الأخبار ٨٠٢
خصام بين الصحابة مصدره المنافق ابن أبـي ابن سلول لعنه الله ٨٠٤
قصة في ذلك مطولة ٨٠٥
إيجاب الإصلاح بين المتقاتلين المسلمين ٨٠٧
فضل المقسطين وما لهم يوم القيامة ٨٠٧
الأخوة الإسلامية وما تقتضيه ٨٠٧
تحريم التنابز بالألقاب ٨٠٨
تحريم ظن السوء والغيبة في أخلاق ٨٠٩
تساوي الناس في أصلهم إلاّ بالتقوى ٨١١
تحريم الافتخار بالآباء وخاصة بالجاهليين ٨١١
التفرقة بين الإسلام والإيمان ٨١٢
المنة لله ورسوله لا لغيرهما أيًا كان ٨١٣

❑ سورة ق ٨١٤
أحزاب القرآن عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٨١٤
مشروعية قراءة هذه السورة في خطبة الجمعة وصلاة الصبح ٨١٥
من خصائصها ٨١٦
تجاوز الله عن الوسوسة وحديث النفس ٨١٦
وجوب مراقبة اللسان عن السقطات ٨١٧
خروج عنق من النار بعينين وأذنين ولسان يقول: وكلت بثلاث ٨١٨
تكلم جهنم وطلبها المزيد ٨١٨
بيان طريقة السلف في قدم الله تعالى ٨١٩
من صلى الصبح والعصر لا يدخل النار ٨١٩
رؤية الله تعالى يوم القيامة ٨٢٠

الموضوع	الصفحة
❑ سورة الذاريات	٨٢١
من خصائصها	٨٢١
من صفات المؤمنين قيام الليل وقلة النوم	٨٢٢
من فضائل قيام الليل	٨٢٢
نزول الرب إلى السماء الدنيا وبيان المراد بالنزول أنه صفة لله بلا تشبيه	٨٢٢ ـ ٨٢٣
فضل الاستغفار والذكر والدعاء آخر الليل	٨٢٣
للسائل حق وإن جاء راكبًا	٨٢٣
بيان قصة عذاب قوم عاد	٨٢٤
التفرغ للعبادة يوجب الغنى من الله عز وجل وأن ذلك من أسباب الرزق الروحية	٨٢٥
❑ سورة الطور	٨٢٧
من خصائصها	٨٢٧
بيان البيت المعمور وموضعه وما يدخله من الملائكة	٨٢٨
إكرام الله عبده المؤمن وإلحاق ذريته به	٨٢٨
مشروعية التسبيح والتحميد عند القيام من الليل والمجلس	٨٢٩
❑ سورة النجم	٨٣١
من خصائصها	٨٣١
ما كان يقول رسول الله عليه السلام إلاّ الحق	٨٣٢
رؤية رسول الله جبريل على صورته الأصلية ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى	٨٣٣
رؤيته ﷺ لجبريل على هيئته الأصلية	٨٣٣
سدرة المنتهى عندها ينتهي كل شيء	٨٣٤
فوائد تؤخذ من آيات المعراج	٨٣٥
الخلاف في رؤية النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ربه ليلة الإسراء والراجح عند أكثر العلماء أنه رآه	٨٣٦
من حلف بغير الله من الطواغيت وجب عليه أن يقول: لا إلـه إلاّ الله	٨٣٦

الموضوع	الصفحة

تظاهر الشياطين عند الأصنام والطواغيت ٨٣٧
الإشارة إلى قصة الغرانيق وبطلانها ٨٣٧
ينبغي للمؤمن أن لا يتمنى إلاَّ الخير ٨٣٨
من أكبر الكبائر عند ابن عباس ٨٣٨
بيان اللمم وهي صغائر من الذنوب ٨٤٠
تسمية النظرة والقبلة. . . زنًا مجازًا ٨٤٠
تزكية النفوس وبيان المذموم منها من غيره ٨٤١
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ ما استثنى ٨٤٢
مشروعية السجود آخر النجم وبيان سجود المشركين مع النبـي فيها وسبب ذلك ٨٤٢

❑ سورة القمر ٨٤٤
من خصائصها ٨٤٤
مشروعية قراءة ق والقمر في صلاة العيدين ٨٤٥
قرب قيام الساعة ٨٤٥
معجزة انشقاق القمر بمكة المكرمة ٨٤٦
معجزة بإخبار انهزام الكفار قبل وقوعه ٨٤٧
أول الناس يقضى عليهم ثلاثة ٨٤٩

❑ سورة الرحمن ٨٥١
من خصائصها ٨٥١
تأدب الجن وجوابهم عند قراءة النبـي: فبأي آلاء ربكما تكذبان ٨٥٢
أصل خلق الملائكة والإنس والجن ٨٥٣
من شأن الله أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ٨٥٣
بعض مشاهد يوم القيامة ٨٥٤
مآل المؤمن الجنة وإن فعل ما فعل ٨٥٥
صفة بعض ظلال الجنة وأغصان أشجارها ٨٥٦

الموضوع	الصفحة

صفة أول زمرة تدخل الجنة	٨٥٦
بناء الجنة من ذهب وفضة وما أعد الله تعالى لأوليائه فيها	٨٥٧
للمؤمن في الجنة من القصور والحور العين ما لا يحصى	٨٥٧
الأمر بذكر الله تعالى ودعائه بذي الجلال	٨٥٨
❑ **سورة الواقعة**	٨٦٠
من خصائصها	٨٦٠
الواقعة من السور التي شيبت نبي الله	٨٦١
حديث فيه رؤيا تكشف عن فضل الشهداء	٨٦٢
بيان أنواع فواكه الجنة ولحومها	٨٦٣
الحور العين وما ينادين به في الجنة	٨٦٤
من صفات أهل الجنة	٨٦٤
كل من أهل الجنة وأهل النار مقدرون عند الله وأن لكل علامات في الدنيا	٨٦٥
بيان الظل الممدود في الجنة	٨٦٧
بيان ما يعطاه المؤمن في الجنة من قوة النكاح	٨٦٨
نساء الجنة أبكارًا دائمًا	٨٦٨
نارنا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم	٨٦٩
آيات الله في النار ومني الإنسان والماء والزرع	٨٧٠
الناس إما شاكر مؤمن بالله وإما كافر	٨٧٠
لا يمس القرآن المقدس إلاَّ طاهر	٨٧١
من فضائل تسبيح الله وتحميده وتعظيمه	٨٧٢
❑ **سورة الحديد**	٨٧٤
من خصائصها	٨٧٤
أولية الله وآخريته وظاهريته وباطنيته	٨٧٦
دعاء عظيم هام كان يدعو به نبي الله عند النوم	٨٧٦

الموضوع	الصفحة
بيان تفسير الأول والآخر والظاهر والباطن	٨٧٦
فضل الصحابة الأولين على اللاحقين	٨٧٧
النهي عن سب الصحابة وأنه لا يلحقهم أحد	٨٧٧
إن الله قدر كل شيء قبل خلق السماوات	٨٧٨
بيان سبب تبديل الإنجيل وتحريفه	٨٧٨
التبتل بمعنى الرغبة عن التزوج مذموم	٨٨٠
بيان من الذي يؤتى أجره مرتين	٨٨٠
❑ سورة المجادلة	٨٨٢
موضوعها ومن خصائصها	٨٨٢
سبب نزول حكم الظهار وبيان معناه	٨٨٣
تفصيل حكم الظهار وكفارة ذلك	٨٨٤
الظهار كان من أمور الجاهلية	٨٨٧
اليهود ومعاملتهم السيئة لنبـي الله عليه السَّلام	٧٨٧
ذم التناجي بالإثم	٨٨٨
الحض على التفسح في المجالس	٨٨٨
من فضل العلماء وحملة القرآن	٨٨٩
إخبار النبـي بما قاله المنافقون فيه وكذبهم عليه وحلفهم على الكذب	٨٩٠
❑ سورة الحشر	٨٩١
من خصائصها	٨٩١
جواز كل ما يغيظ الكفار من تحريق وقطع أشجار وزروع ونحو ذلك	٨٩٢
بيان الفيء وحكمه وأصحابه	٨٩٣
آية جامعة في الاقتداء برسول الله واتباع أمره وترك نهيه	٨٩٥
وجوب اتباع رسول الله في أقواله وأفعاله	٨٩٥ ـ ٨٩٦
فضل المهاجرين والأنصار	٨٩٧

الموضوع	الصفحة
من فضائل الأنصار على الخصوص	٨٩٨
من مظاهر أروع أنواع الإيثار في الإطعام	٨٩٩
ذم الشح والتحذير منه	٩٠٠
الحض على الاستعداد للآخرة بالتقوى والعمل	٩٠٠
بيان تسنين السنَّة الحسنة والسنَّة السيئة	٩٠١
خطبة لأبـي بكر الصديق بليغة هامة	٩٠٢
بيان أحد عشر اسما لله تعالى لم تذكر مجموعة في غير هذا الموضع ختمت بها السورة	٩٠٣
سرد أسماء الله التسعة والتسعين	٩٠٤
من فضل أواخر سورة الحشر	٩٠٤
❑ سورة الممتحنة	٩٠٦
من خصائصها	٩٠٦
النهي عن موالاة أعداء الله من الكفار	٩٠٧
معجزة للنبـي عليه السَّلام بإخباره بكتاب حاطب	٩٠٧
أهل بدر مغفور لهم وإن ارتكبوا الكبائر	٩٠٧
إخبار الكفار بأسرار المسلمين يعتبر ردة	٩٠٨
جواز الإحسان إلى الكفار الموادعين	٩٠٨
مبايعة النبـي عليه السَّلام النساء على الشرائع	٩٠٩
مبايعة الرجال على ما بايع عليه السَّلام	٩١٠
بيان أن الحدود كفارات لمن أقيمت عليهم	٩١١
❑ سورة الصف	٩١٢
من خصائصها	٩١٢
أصح حديث مسلسل حديث سورة الصف	٩١٣
القول إن لم يصدقه الفعل كان كذبًا ومقتًا	٩١٣

الموضوع	الصفحة
بيان صفات النبـي ﷺ وأمته كما في التوراة	٩١٤
بيان بعض أنواع ما أوذي به نبـي الله عليه السلام فصبر كما صبر موسى على إذاية قومه	٩١٥
تبشير سيدنا عيسى بنبـي الله عليهما السلام وتسميته بأحمد	٩١٦
بعض أسماء النبـي عليه السَّلام التي سمي بها	٩١٦
قصة رفع سيدنا عيسى عليه السَّلام إلى السماء	٩١٧
فرق النصارى ثلاثة	٩١٨
❑ سورة الجمعة	٩١٩
من خصائصها	٩١٩
فضل مؤمني العجم ومن جاء بعد النبـي من المؤمنين به وبالغيب	٩٢٠
ذم حاملي الكتاب الجاهلين بما فيه مع ذم اللاغي يوم الجمعة وقت الخطبة	٩٢١
إكذاب الله اليهود في ادعائهم تخصيص الجنة لهم وأنهم أولياء الله	٩٢٢
أذان الجمعة كان أيام النبوة واحدًا	٩٢٢
متى يجب السعي إلى الجمعة	٩٢٣
مشهد خطير للصحابة حيث انصرفوا عن النبي عليه السَّلام وتركوه وهو يخطب	٩٢٣ ـ ٩٢٤
مشروعية قراءة سورة الجمعة في صلاتها	٩٢٥
❑ سورة المنافقين	
من خصائصها	٩٢٦
موقف مقيت للمنافقين مع النبي عليه السَّلام وأصحابه في غزوة تبوك وغيرها	٩٢٧
❑ سورة التغابن	٩٣٠
من خصائصها	٩٣٠
الإيمان شرط صحة لكل عمل صالح	٩٣١
إن الأزواج والأولاد قد يكونون أعداء للإنسان	٩٣٢

الموضوع	الصفحة
الأموال والأولاد فتنة للإنسان	٩٣٢
لا يكلف الإنسان إلاَّ بما في استطاعته	٩٣٣
❑ **سورة الطلاق**	٩٣٤
من خصائصها المتعلقة بالأسرة	٩٣٤
الطلاق المشروع وغير المشروع	٩٣٥
كثرة الاستغفار من أسباب تفريج الكروب	٩٣٦
عدة الحمل الوضع ولو من وقتها	٩٣٧
حديث سبيعة في وضعها عقب موت زوجها وتزوجها إثر ذلك	٩٣٧
بيان أن الأرض سبع كالسماوات	٩٣٨
بيان خطر ظلم الأرض ولو شبرًا	٩٣٩
بيان ما قيل في مثلية الأرض للسماء	٩٣٩
❑ **سورة التحريم**	٩٤٢
من خصائصها	٩٤٢
بيان ما فيها من ضربِ مثلين رائعين في المؤمنين والكافرين	٩٤٣
بيان سبب نزول سورة التحريم	٩٤٣
اختلاف الأحاديث في ذلك مع صحتها	٩٤٤
ماذا تعني الآية: تحلة أيمانكم، والخلاف في ذلك	٩٤٤
الصحيح أن التحريم كان من النبـي للعسل التي شربها عند زينب والمتظاهرتان هما سيدتنا عائشة وسيدتنا حفصة	٩٤٥
الأمر بالتوبة وبيان ما كان عليه نبـي الله من كثرة الاستغفار والتوبة	٩٤٧
الكاملات الفاضلات من النساء	٩٤٨
❑ **سورة الملك**	٩٥٠
من خصائصها	٩٥٠
سورة تبارك تشفع لقارئها	٩٥١

الموضوع	الصفحة

كان النبي لا ينام حتى يقرأ هذه الصورة ٩٥٢

❑ سورة القلم (ن) ٩٥٣

من خصائصها ٩٥٣

أول ما خلق الله القلم فأمره بالكتابة ٩٥٤

من فضل القلم والكتابة ومنافعهما ٩٥٤

كان خلق رسول الله القرآن ٩٥٥

ذم الغيبة والنميمة ٩٥٥

من صفات أهل الجنة وأهل النار ٩٥٧

معنى قوله: يكشف عن ساق، وأن الواجب الإيمان به وعدم الخوض فيه ٩٥٧

من فضائل سيدنا يونس عليه السَّلام ٩٥٨

آية تدل على حقية العين بحيث لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ٩٥٩

بحث يتعلق بخاصية في العين وغيرها ٩٥٩

❑ سورة الحاقة ٩٦١

من خصائصها ٩٦١

عظمة ملائكة حملة العرش ٩٦٢

حديث الأوعال والخلاف في ثبوته ٩٦٣

للخلائق يوم القيامة ثلاث عرضات ٩٦٤

الحساب اليسير والمناقشة ٩٦٤

ما بين السماء الأرض خمسمائة عام ٩٦٥

طول السلسلة التي يسلك فيها الكافر أطول من مسيرة ألوف السنين ٩٦٥

❑ سورة المعارج ٩٦٧

من خصائصها ٩٦٧

السائل الذي سأل نزول العذاب هو النضر ٩٦٨

مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة ٩٦٨

الموضوع	الصفحة
من صفات الإنسان الهلع والجزع والمنع	٩٦٩
ذم التفرق في المسجد حلقًا حلقًا	٩٦٩
❑ سورة نوح	٩٧١
من خصائصها	٩٧١
ما رحم الله تعالى أحدًا من قوم نوح	٩٧٢
الحض على مصاحبة المؤمن	٩٧٣
الإخوان للإنسان ثلاثة أخ للآخرة وأخ للدنيا وأخ للاستئناس	٩٧٤
❑ سورة الجن	٩٧٥
من خصائصها	٩٧٥
بيان استماع الجن لقراءة النبي عليه السَّلام وسبب ذلك	٩٧٦
استدعاء الجن للنبي وذهابه إليهم وقراءته القرآن عليهم وإرشاده إياهم	٩٧٧
من سبقت له السعادة لا تضره الجناية	٩٧٨
الشياطين والجن اسم لمسمى واحد	٩٧٨
❑ سورة المزمل	٩٨٠
من خصائصها	٩٨٠
فرضية قيام الليل والتخفيف فيه	٩٨١
أسباب التخفيف ثلاثة أشياء... المرض والتجارة والجهاد في سبيل الله	٩٨٢
صفة قراءة النبي كانت مدًّا	٩٨٢
من فضائل قارىء القرآن	٩٨٣
من صفة نزول الوحي وشدته	٩٨٣
حديث الدجال ونزول سيدنا عيسى	٩٨٥
حشر العباد وسؤالهم	٩٨٥
الأمر بقراءة ما تيسر من القرآن	٩٨٦
مال الإنسان ما قدمه لآخرته وأنه سيجد يوم القيامة كل ما قدم من خير	٩٨٦

الموضوع	الصفحة

❑ سورة المدثر ٩٨٨
من خصائصها ٩٨٨
أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي المدثر ٩٨٩
عدد خزنة جهنم وصفة تربة الجنة ٩٩٠

❑ سورة القيامة ٩٩٢
من خصائصها ٩٩٢
كيف كان يعالج نبي الله الوحي في أول الأمر ثم أمر بالسكوت... حتى يجمعه الله في قلبه ٩٩٣
بحث في وقوع رؤية الله يوم القيامة وأن أحاديثها متواترة ٩٩٤
معنى قول الله تعالى: أولى لك فأولى ٩٩٥
مشروعية الجواب عند قوله تعالى: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى... بسبحانك اللَّهمَّ فبلى ٩٩٦

❑ سورة الإنسان ٩٩٧
من خصائصها ٩٩٧
مشروعية قراءة السورة في صبح الجمعة ٩٩٨
كان الإنسان مجهولاً غير معروف ٩٩٨
قد بين الله للإنسان السبيل فهو إما شاكر وإما كفور ٩٩٨
بيان النذر وأن الوفاء به من صفات الأبرار ٩٩٩
بيان أن للنار نفسين في الصيف والشتاء ٩٩٩

❑ سورة المرسلات ١٠٠١
من خصائصها ١٠٠١
خروج حية عند نزول السورة ١٠٠٢
مشروعية قراءتها في صلاة المغرب .... ١٠٠٢ ـ ١٠٠٣

الموضوع	الصفحة
❑ سورة النبأ	١٠٠٤
من خصائصها	١٠٠٤
بعض ما أعده الله للمتقين من نعيم	١٠٠٥
النهي عن تسمية شجرة العنب بالكرم	١٠٠٥
❑ سورة النازعات	١٠٠٦
من خصائصها	١٠٠٦
بيان الراجفة والرادفة	١٠٠٧
فضل الإكثار من الصلاة على النبـي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم	١٠٠٧
بيان أشد المخلوقات وأعظمها	١٠٠٨
السؤال عن الساعة وأن منتهى علمها إلى الله	١٠٠٨
❑ سورة عبس	١٠١٠
من خصائصها	١٠١٠
بيان قصة نبـي الله عليه السَّلام مع ابن أم مكتوم الأعمى	١٠١١
الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة	١٠١١
شدة الهول يوم القيامة وأن الكل له شأن يغنيه	١٠١٢
❑ سورة التكوير	١٠١٤
من خصائصها	١٠١٤
سور ثلاث تصور لنا مشاهد يوم القيامة	١٠١٥
الشمس والقمر مكوران يوم القيامة في جهنم	١٠١٥
تزويج النفوس يوم القيامة بالشبيه إلى شبيهه	١٠١٦
بحث في الموءودة وأطفال الكفار	١٠١٦
معنى: الخنس والكنس	١٠١٨
❑ سورة الانفطار	١٠١٩
من خصائصها	١٠١٩

الموضوع	الصفحة
مشروعية قراءتها في العشاء	١٠١٩ ــ ١٠٢٠
كفران ابن آدم بربه وقد خلقه ولم يك شيئًا	١٠٢٠
بيان الحفظة الكاتبين وشهودهم على بني آدم يوم القيامة بما علموا	١٠٢١
يوم القيامة لا تنفع نفس نفسًا أخرى شيئًا	١٠٢١
❑ **سورة المطففين**	١٠٢٣
من خصائصها	١٠٢٣
بيان خسارة المطففين في الكيل والوزن	١٠٢٤
بيان صفة قيام الناس في موقف يوم القيامة	١٠٢٥
خطر المعاصي على القلوب وطلوع الران عليها	١٠٢٦
فضل سقي الماء وإطعام الطعام وكسو الألبسة	١٠٢٧
❑ **سورة الانشقاق**	١٠٢٨
من خصائصها	١٠٢٨
مشروعية قراءتها في الظهر والعصر	١٠٢٨
مشروعية السجود فيها ولو في صلاة الفرض	١٠٢٩
بيان ما تلقيه الأرض من بطنها عند قيام الساعة	١٠٢٩
بيان الحسابين: اليسير والمناقشة	١٠٣٠
ذكر الشفق ووقته والمراد منه	١٠٣٠
حكم السجود في آخرها	١٠٣١
❑ **سورة البروج**	١٠٣٢
من خصائصها	١٠٣٢
مشروعية قراءتها في العشاء	١٠٣٣
بيان اليوم الموعود وشاهد مشهود	١٠٣٣
بيان قصة أصحاب الأخدود مع المؤمنين	١٠٣٣
قصة الغلام والراهب وهي قصة ممتعة	١٠٣٣

الموضوع	الصفحة

بيان أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ لا يبيد ولا يغير ١٠٣٦

❑ سورة الطارق ١٠٣٨

من خصائصها ١٠٣٨

جلاء السرائر يوم القيامة وكشف الخفايا ١٠٣٩

❑ سورة الأعلى ١٠٤٠

من خصائصها ١٠٤٠

مشروعية قراءتها في العيدين والجمعة ١٠٤١

أول من قدم المدينة مهاجرًا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ١٠٤١

النهي عن فعل ما يؤدي إلى فتنة الناس .... ١٠٤١ ـ ١٠٤٢

هداية الله لعباده وبعض أنواع ذلك ١٠٤٢

ذم إيثار الدنيا على الآخرة رغم أن الآخرة خير من الأولى ١٠٤٣

❑ سورة الغاشية ١٠٤٥

من خصائصها ١٠٤٥

مشروعية قراءتها في الجمعة ١٠٤٥

حديث ضمام بن ثعلبة وما فيه من العبرة ١٠٤٦

علوم كونية أشار إليها القرآن الكريم ١٠٤٦

الأمر بقتال الكفار حتى يؤمنوا ١٠٤٧

كل الأمة سيدخلون الجنة إلاَّ من عصى نبـي الله ١٠٤٨

❑ سورة الفجر ١٠٤٩

من خصائصها ١٠٤٩

من فضائل أيام عشر ذي الحجة ١٠٥٠

بيان العشر والوتر والشفع ١٠٥٠

فضل كافل اليتيم ١٠٥١

مجيء الله تعالى يوم القيامة لفصل القضاء ١٠٥٢

الموضوع	الصفحة

وجوب الإيمان بمجيء الله يوم القيامة ١٠٥٢
الإتيان بجهنم يوم القيامة للموقف بسبعين ألف زمام يجرها ألوف من الملائكة ١٠٥٣
كل الناس يتحسرون يوم القيامة حتى المؤمن سيحقر ما عمل ويود الرجوع إلى
الدنيا ليزداد خيرًا ١٠٥٣

❑ سورة البلد ١٠٥٤
من خصائصها ١٠٥٤
بيان ما يكابده الإنسان من شدائد ومحن ١٠٥٤
أشياء توجب دخول الجنة ١٠٥٥
فعل المعروف والأمر به وكف اللسان إلاَّ من خير ١٠٥٥
فضل الصدقة على ذي الرحم ١٠٥٦

❑ سورة الشمس ١٠٥٧
من خصائصها ١٠٥٧
سؤال التقوى وتزكية النفس ١٠٥٨
عاقر ناقة صالح وصفته واسمه ١٠٥٩

❑ سورة الليل ١٠٦٠
من خصائصها ١٠٦٠
القدر والاتكال عليه والعمل وأن كلاًّ خلق ميسرًا لما خُلق له ١٠٦١

❑ سورة الضحى ١٠٦٣
من خصائصها ١٠٦٣
من فضائل نبينا وأن الله منذ أحبه ما أبغضه ومنذ حباه وقربه ما تركه ١٠٦٤
بيان بعض مشاهد نبينا في زهده في هذه الحياة ١٠٦٥
مثل الدنيا ومثل نبينا معها ١٠٦٥
عرض فتوح الدنيا على نبينا قرية قرية ١٠٦٥
الغنى الحقيقي هو غنى القلب ١٠٦٦

الموضوع	الصفحة

❏ سورة الانشراح ١٠٦٨
من خصائصها ١٠٦٨
شق صدر النبـي وغسله وحشوه إيمانًا وحكمة ١٠٦٩
كيف رفع الله ذكر نبينا ١٠٦٩
العسر يتبعه اليسر والفرج مع الشدة ١٠٧٠

❏ سورة التين ١٠٧٢
من خصائصها ١٠٧٢
بيان أن الإنسان خلق في أحسن تقويم ثم رد إلى أسفل سافلين إلاَّ المؤمنين الصالحين ١٠٧٢
قراءتها في العشاء ١٠٧٣

❏ سورة العلق ١٠٧٤
من خصائصها ١٠٧٤
أول نعمة أنعم الله بها على سائر البشرية وهي بداية نزول القرآن الكريم والبعثة النبوية ١٠٧٤
ذكر حديث سيدتنا عائشة في بداية الوحي ١٠٧٥
أبو جهل لعنه الله يهدد النبـي عليه السَّلام فيجيبه الله : سندع الزبانية ١٠٧٨
عناية الله برسوله وحفظه إياه ١٠٧٩

❏ سورة القدر ١٠٨٠
ليلة القدر وفضائلها ومزاياها ١٠٨٠
وقتها في شهر رمضان ١٠٨١

❏ سورة البينة ١٠٨٣
من خصائصها ١٠٨٣
سماع الإمام والشيخ قراءة التلميذ ١٠٨٤
ما أنزل المال إلاَّ لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ١٠٨٤

الموضوع	الصفحة

المؤمنون الصالحون هم خير البرية ١٠٨٥

❑ سورة الزلزلة ١٠٨٦
من خصائصها ١٠٨٦
سعة رحمة الله تعالى ولطفه بعباده ١٠٨٧
شهادة الأرض على ما وقع فوقها ١٠٨٧
رجل يكتفي بسماع سورة الزلزلة ١٠٨٨
الزلزلة سورة فاذة جامعة ١٠٨٨

❑ سورة التكاثر ١٠٨٩
من خصائصها ١٠٨٩
ابن آدم لا يشبع من المال ولو كانت له أودية من ذهب ١٠٩٠
مال ابن آدم ما أكل أو لبس أو تصدق ١٠٩٠
سؤال الله تعالى عباده عن كل نعيم تنعم به الإنسان ١٠٩١

❑ سورة الفيل ١٠٩٣
من خصائصها ١٠٩٣
قصة أصحاب الفيل وكيف أهلكهم الله وانتقم منهم ١٠٩٤

❑ سورة الماعون ١٠٩٥
من خصائصها ١٠٩٥
الغفلة والسهو عن الصلاة يوجب الويل والهلاك ١٠٩٥
خسارة المرائين والذين يمنعون الماعون ١٠٩٦
الماعون الذي لا يجوز منعه ١٠٩٦

❑ سورة الكوثر ١٠٩٨
من خصائصها ١٠٩٨
بيان الكوثر وصفة مائه ومجراه وحافتيه ١٠٩٨

الموضوع	الصفحة
دفع الله تعالى عن نبيه مقولة الكفار في كونه أبتر	١١٠٠
❑ سورة الكافرون	١١٠٢
من خصائصها	١١٠٢
مشروعية قراءتها في صلاة الفجر وبعد المغرب وفي ركعتي الطواف	١١٠٢
قراءتها عند النوم وأنها براءة من الشرك	١١٠٣
❑ سورة النصر	١١٠٥
سورة النصر كانت نعيًا لرسول الله عليه السَّلام بقرب أجله	١١٠٥
فعله ﷺ ما يأمره به ربه	١١٠٦
هي آخر سورة نزلت من السور القصار	١١٠٦
❑ سورة المسد	١١٠٨
من خصائصها	١١٠٨
نداء من نبـي الله عليه السَّلام لبطون قريش وإنذاره إياهم وشتم أبـي لهب إياه	١١٠٨
نزول السورة تنذر بخسارة أبـي لهب وزوجته	١١٠٩
❑ سورة الإخلاص	١١١١
من خصائصها	١١١١
قراءة الإخلاص توجب الجنة	١١١٢
قراءتها مرة تعدل ثلث القرآن	١١١٣
❑ سورة الفلق	١١١٤
من خصائصها	١١١٤
بيان الغسق والاختلاف في معناه	١١١٤
❑ سورة الناس	١١١٦
من خصائصها	١١١٦
الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن	١١١٦

الموضوع	الصفحة

المعوذات ١١١٧
آيات لم ير مثلهن: الفلق والناس ١١١٧
قراءتها عقب كل صلاة ١١١٧
ما تعوذ أحد بمثلهن ١١١٧
قراءة المعوذات الثلاث عند النوم ١١١٨
قراءتهن صباحًا ومساءً يكفين عن كل شيء ١١١٨

❑ الفهـارس ١١٢١
- فهرس أطراف الأحاديث والآثار ١١٢٣
- فهرس أسباب النزول ١١٤٩
- فهرس الموضوعات ١١٦١
فهرس الجزء الأول ١١٦١
فهرس الجزء الثاني ١١٨٥

انتهى والحمد لله